الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبّحث العلميّ

جامعة الأمير عبد القـــــادر

للعلوم الإسلاميّة – قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريـــخ

الرّقم التّسلسلي:.....

رقم التّسجيل:.....

الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط (من ق2-10 هـ /8-16م):

الأوراس نموذجا - دراسة في المجال والعمران والمسالك -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي

إعداد الطّالب:

الطاهر طويل

إشـــراف الأستاذ:

أ. د. علاوة عمارة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د/ علاوة عمارة	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1438- 1439هـ/2019-2020م

اهداء

رحلت عنا أياما فقط قبل تقديم هذا العمل للمناقشة.

وسيبقى طيفك في جميع أماكنك المألوفة.

إلى روح والدي العزيز.

إلى الوالدة الكريمة وكل أفراد العائلة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

كل معاني التقدير والشكر للأستاذ المشرف علاوة عمارة. على سعة الصدر. ونبل الأخلاق. وحسن المعاملة.

وما هذا العمل إلا ثمرة لتوجيهاته، وجهده الكبير في قراءته، وفي طرح وصياغة الموضوع.

كما أوجه جزيل الشكر لجميع الزملاء والأساتذة على مساعدتهم وأخص بالذكر الرفيق: رفيق خليفي الذي لم يبخل بمجهوده رغم انشغالاته الكثيرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

ترتبط الجغرافيا بالتاريخ ارتباطا وثيقا؛ فهي المجال الذي ينشط فيه الإنسان، والبيئة التي فيها يتفاعل، وقد وجدت لتبحث في تنوع الظواهر من مكان لآخر، وقيمتها كعلم أكاديمي تعتمد على مدى إيضاحها للروابط بين المعالم المختلفة في المكان الواحد، وإيجاد جغرافية نسقية تكون الإطار الذي تصاغ فيه الأحداث التاريخية للوصول إلى توليفة تجمع بين الظواهر الطبيعية والبشرية في الإقليم. وهذا ما نسعى إلى تطبيقه على مجال الأوراس لأن التركيز على دراسة مكونات المكان في إطاره الزماني وفق الدراسات الحقلية يستلزم منا التركيز على التوليف الإقليمي وألا نسترسل كثيرا في البحث في التطورات التاريخية إلا بالقدر الذي يلزم لتفسير الوضع، لذلك فإن الجغرافيا التاريخية تعتبر أحد أهم حقول الدراسات التاريخية التي تسمح بمعرفة ودراسة مختلف الفضاءات.

نتيجة هذا الارتباط، فإنه ليس من السهل وضع حد فاصل بين التاريخ والجغرافيا ذلك لأن زمن الجغرافيا أو الإقليم ليست إلا طبقة رقيقة لا تلبث زمنا طويلا حتى تصبح تاريخا، فالمسألة تبدو في صورة عملية تحول؛ بحيث ليس هناك وقت كاف يمكن فيه للعمل الجغرافي أن يفقد جوهره الجغرافي ليصبح بعد ذلك جزءا من الجغرافيا التاريخية، كما أن هناك مشكلة في تحديد القدر الذي يجب أن يأخذه باحث الجغرافيا التاريخية من المادة التاريخية وكذلك تحديد الحد الفاصل بين التاريخ والجغرافيا[1].

إن الجغرافيا التاريخية لأقاليم بلاد المغرب تقتضي الإلمام بمجموعة من المهارات، فهي تسمح في المقام الأول بمعرفة جيدة بالمصادر القديمة لتاريخ بلاد المغرب: اليونانية واللاتينية، والمصادر الأدبية، والمعطيات الأثرية، والوثائق عموما، أما في المقام الثاني، فتشمل دراسة المصادر العربية المختلفة، لأن لها السبق في التأريخ للجزء الغربي من عالم الخلافة الإسلامية، كجغرافيا واحدة متصلة، خاصة وقد تم احراز تقدم كبير في استغلال مختلف المصادر القديمة والوسيطية، حول الجغرافيا التاريخية لمختلف أقاليم القسم الغربي من الخلافة الإسلامية.

ويظهر أن دراسة التاريخ المحلي والمجالات والأقاليم تدخل في صميم الباحث الواسع الاطلاع، ليكُونَ قاعدة للتاريخ العام على ما هو عليه؛ فمن خلال التاريخ المحلي[2] يتغذى التاريخ العام الشامل، من خلال التساؤل والبحث عن صناع التاريخ وعن قاعدته العريضة التي يتغذى منه وتشكله في صورة متكاملة: أليست الطبقات المسحوقة والعامة هي من تشيد وتبني وينسب ذلك للحكام والقادة هكذا مجازا؟ أليست هذه الحواضر

[1] يسري الجوهري. فلسفة الجغرافيا. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. 1988. ص 140- 141.

[2] حول أهمية الجغرافية الإقليمية وموضوعه مضامينها ينظر: أريلد هولت – ينسن. الجغرافية. تاريخها ومفاهيمها. ترجمة عوض يوسف الحداد. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. 1998. ص 28- 29، 32، 72. يسري الجوهري. فلسفة الجغرافيا. ص 137- 173.

والمدن المحلية هي من ترتكز عليها العواصم؟ لذلك فإنه من المفيد الاهتمام بالأسس القاعدية للتاريخ المحلي، الذي لا يزال الكثير منه مهمشا ومغيبا، ويحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث.

بالنسبة لتاريخ الجبل فإنه يشكل أحد هذه المداخل للتاريخ المحلي؛ وهو في العادة كما يرى فرناند برودال عالم يظل مقيما على هامش الحضارات التي هي صنيعة المدن والمناطق المنخفضة، وكان على الإسلام أن يواجه هذه الحواجز الجبلية في بلاد المغرب، لأنه لم يكن من السهل اعتناق الجبليين للديانة الجديدة، و لم تكن الجبال مرغمة على البقاء في عوالم محكمة الإغلاق، لأن الطرق والمعابر كانت تخترقها وتصلها بالمدن وبالسهول؛[1] إذ تشكل الجبال حيزا يحاصر البحر الأبيض المتوسط في منطقة إفريقيا، وجنوبا تلامس الصحراء. فالسهول في هذه المنطقة تشكل مكانا للقرى الكبيرة، في حين أن السكن في الجبال غالبا ما يكون موزعا ومشتتا، حيث يرغم السكان على العيش منغلقين على أنفسهم وينتجون معظم ما يحتاجون إليه بالرغم من العوائق والصعوبات.

نادرا ما اهتم المتخصصون بمكانة الجبال في التصور الترابي لبلاد المغرب وتطور مجتمعه، بينما ركزوا بشكل غير مباشر على الظاهرة المعروفة والمتخيلة في الحاجز الايكولوجي الذي تشكله الجبال بين المجالات الصحراوية بالجنوب والمجالات المتوسطية بالشمال، ولا يتجلى الاهتمام بالمجال الجبلي وارتباطاته إلا في بعض أعمال المؤرخين والجغرافيين وعلم الاجتماع الكولونيالي، ومؤخرا لدى الأنثروبولوجيين.

وقد تحول الاهتمام الجديد للتاريخ، عكس ما سبق، من الوحدات المتسعة التي كانت تعرف بالعصور، والقرون، إلى ظواهر الانفصال، والتاريخ المحلي، وتاريخ الذهنيات والأفكار، وينكب البحث حاليا على رصد عواقب الانقطاعات، تلك الانقطاعات التي تتباين تباينا كبيرا فيما يخص طبيعتها وصفتها"[2].

وفي هذا السياق، فإن فرناند برودال أشار إلى تعدد الأزمنة التاريخية وتفكيكه الزمن الاجتماعي إلى طبقات ذات وتائر وسرعات مختلفة، فإذا كان فعل الزمن يطال الأشياء كلها: المكان والمناخ والبنى الذهنية والاقتصاد والحضارات، فإن فعله لا يتم بالسرعة والوتيرة نفسيهما، لذا لا يمكن إدراج ظواهر الحياة والاجتماع البشريين ووقائعهما في إطار واحد، لأن هذه الوقائع وتلك الظواهر تكشف عن حركات وسيرورات بأعمار وسرعات واتجاهات مختلفة، ولذا تستلزم دراستها الاستعانة بمقاييس زمنية متعددة،

[1] فرناند برودال. المتوسط والعالم المتوسطي. ترجمة مروان أبي سمرا. دار المنتخب العربي. بيروت. 1991. ص 26- 27.

[2] ميشال فوكو. حفريات المعرفة. ترجمة سالم يفوت. المركز الثقافي العربي. بيروت- الدار البيضاء. ط2. 1987، ص 6.

والإحاطة بفترات وحقبات متفاوتة[1]، ومن هنا كان الأوراس أحد هذه المجالات التي يمكن أن تكون موضوعا لهذه الدراسة.

أولا:

الدراسات السابقة:

باستثناء بعض الدراسات القليلة التي سنشير إليها في الصفحات التالية، فإن الأوراس في العصر الوسيط يكاد يكون مغيبا تماما من موضوع الدراسات المتعلقة بالعصر الوسيط، وهذا طبقا للإحصاء الذي قام به علاوة عمارة والخاص بجرد لأهم الأبحاث التي تناولتها الجامعة الجزائرية منذ الإستقلال إلى غاية 2012[2]، لذلك وعلى مدى ما يقارب عشرة قرون من فترة العصر الوسيط، لا يكاد يذكر الأوراس إلا كمجال منفعل لا فاعلا مع الأحداث التاريخية. والمتتبع لكرونولوجيا الأحداث التي عرفتها إفريقية والمغرب في العصر الوسيط فإن الأوراس هو ذلك الطرف الهامشي غير صانع للتاريخ، يتم اللجوء إليه عادة مقرونا بذكر الأحداث التي كانت تتم على أطرافه وخارج مجاله. وهذا الواقع مغاير تماما لفترة التاريخ القديم خاصة الروماني والبيزنطي، حيث نجد ثراء ودراسات وافية حول المنطقة[3]. أما ما يخص الأوراس في العصر الوسيط تحديدا فإن الأمر مختلف.

---

[1] فرناند برودال. المرجع السابق. ص12.

[2] علاوة عمارة. خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية. (1962- 2012). المواقف. 7. (2012). ص 109.

[3] تطرقت بعض الرسائل والأطروحات الجامعية لتاريخ المنطقة في التاريخ القديم مثل **محمد المصطفى فلاح** الذي كانت دراسته قد خصت المشهد الريفي والتجمعات الحضرية القديمة في المنطقة الغربية لنوميديا في العصر القديم، واعتمد على الدراسة الأثرية للعديد من حواضر المنطقة انطلاقا من البقايا الأثرية التي تنتشر في كل المجال الأوراسي، فكانت مفيدة لدراسة نظم الري لبعض الحواضر مثل زانة حيث تظهر القنوات والسواقي الحجرية والأحواض، فنجد بقايا الأحواض والسواقي التي تنتشر حتى إلى غرب المدينة وجنوبها في السهول القريبة منها، كما أن الدراسة شملت تاريخ العديد من حواضر وحصون الأوراس في القديم. Mohamed el Mostafa Filah, *Recherche sur les agglomérations antiques, le réseau urbain, le paysage rural en Numidie occidentale (Algérie)*, thèse de doctorat de l'université de Provence. Aix en Provence.1986

ومثله كانت أطروحة يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي. أطروحة دكتوراه. جامعة منتوري – قسنطينة. كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية. قسم التاريخ و الآثار 2007- 2006.

أما دراسة **زهير بخوش**. "التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني" دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية با"أوراس". رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر2. 2016 2017. فقد حاول البحث في مواضيع جديدة تتعلق بالدراسة الأونوماستية لأفراد مجتمعات هاته المدن والمراكز الحضرية الرومانية بالإقليم الأوراسي، من خلال إعطاء نظرة عن إيبيغرافية القطاع الجنوبي لمقاطعة نوميديا، كحوصلة وكنقد تاريخي للبحوث الإيبيغرافية التي أنجزت في السابق. ثم ومن خلال رصد جميع المعطيات الخاصة بأونوماستية أفراد مجتمعات المراكز الحضرية التي أسسها الرومان بالقطاعات الأوراسية الخمس. وقد تناول بنوع من التفصيل دراسة كل من: المنظومة الأونوماستية لأفراد المجتمع المدني لمستعمرة لامبايسبس تازولت (ثاموقادي) تيمقاد(ثيويستي (تبسة(وتمكن من جمع المادة التوثيقية والدراسة الأونوماستية لجميع صيغ أسماء أفراد مجتمعات المدن والمراكز الحضرية وأفراد الريف من تقييد جميع معطياتها ضمن جداول أونوماستية.

فيما يتعلق بمضمون الدراسات الجغرافية للأوراس، فإن الاستثناء الوحيد لهذه الدراسات نجده عند **جون لويس بالي**[1] (**Jean-Louis Ballais**) الباحث في جغرافية الأوراس، وينطلق من إشكالية الاسم الخاص "بطوبونيم الأوراس"، ثم موقعه وخصائص تضاريسه بالأطلس الصحراوي غرب السلسلة الأطلسية، والصلات المفتوحة والواسعة لسلسلة جبال الأوراس بمجالات الجنوب-الغربي، والشمال-الشرقي.

بالنسبة لحدوده الجغرافية فإن الجغرافي **بالي** يقترح مجموعة معايير لتحديد هذا المجال بدءا بالجانب الجيولوجي المعتمد على عملية ملزمة لمتطلبات رسم الخرائط؛ فلا بد من أجل ذلك معرفة وضبط حدوده مع حوض الحضنة حيث جبال بلزمة في السهول العليا، ومع النمامشة أو الصحراء السفلى لإظهار التمايز، وبهذا يكون مجال هذه المنطقة متميزا عن باقي المجالات الأخرى، نظرا لثباته وقدرته على الاحتفاظ بهذا التميز الذي يتصف به، والذي يسمح له بإعادة تشكله على مر التاريخ، خاصة أن مجال التل يتميز بالعديد من الخصائص الجغرافية المتناسقة والتي تجعله فريدا ومتميزا عن باقي الأقاليم القريبة منه على الأقل.

أما العمل الذي قام به **إيف موديران**[2] (Yves Modéran) فيعتبر مرجع مهم لدراسة القبائل المورية، والتي كرس دراسته لتاريخ قبائل المور من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي، ويشكل مدخلا هاما يمكننا من خلاله إيجاد آثار لحركات القبائل المستمرة والهامة من الشرق إلى الغرب؛ هذه القبائل الطرفية التي صادفت الفاتحين العرب هي الأولى التي مسها التحول الجديد للإسلام، ستستمر في لعب دور كبير في المراحل اللاحقة من العمليات العسكرية للتوسع غربا. ولكن قبل الفتوح الإسلامية لا توجد مؤشرات على اختراقها للأراضي الإفريقية أو نوميديا. مما يدل على أن هذه القبائل قد تحركت بفعل عوامل ناجمة عن أحداث القرن السادس والسابع الميلاديين، وهو ما يؤدي إلى تغيرات في النسيج الاجتماعي للمناطق المفتوحة بفعل هذه الأحداث.

لا يمكن الاستغناء عن الإستوغرافية الفرنسية حول تاريخ وجغرافية الأوراس مثل دراسات **بيار موريزو** (Pierre Morizot) الذي قام بالعديد من الدراسات تخص مختلف مناطق الأوراس، فضلا عن العمل الميداني

[1] Augustin Bernard E, Ficheur, «Les régions naturelles de l'Algérie». *Annales de géographie*. 11 60. (1902), p. 430. Jean-Louis Ballais. « Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie) » *thèse de doctorat, Université Paris1,* (1981). Jean-Louis Ballais. *Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie)*, thèse présenté a l'université, Paris1. « Aurès ». Encyclopédie berbère, Aix-en-Provence, Edi sud. 7 ,(1989) 2016. « Les grandes phases de modification de l'environnement dans les Aurès (Algérie) au cours de la période historique », *Bulletin de l'Association de géographes français* (61) (499) (1984). « Des oueds mythiques aux rivières artificielles : l'hydrographie. du bas-Sahara algérien ». *Physio-géo - géographie physique et environnement.* iv. (2010),

[2] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. (ive-VIIe siècle). Publications de l'école française de Rome. Rome. 2003. Id. « mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique : à propos d'un texte d'ibn Khaldûn », *revue historique* . 2 (n° 618). 2001. p. 319.

وأعمال التحري بالمنطقة. ويشرف على إصدار مجلة سنوية **Aoures** تختص بتاريخ وآثار الأوراس تصدر من السوربون أصدر منها العديد من الأعداد. فيما بعد ظهرت دراسات غابريال **كامبس** (**Gabriel Camps**) الذي قام بالعديد من الدراسات حول تاريخ البربر وبنياتهم القبلية، وعاداتهم، ولغاتهم.

إميل ماسكوري[1] (**Emile Masqueray**) تتوزع أعماله بين الاكتشافات الأثرية والدراسات التاريخية والاثنوغرافية الخاصة بمجتمع الأوراس. وما يهمنا هو اكتشافه لنقيشة لماصبا الهامة المتعلقة بنظم السقي بسهل بلزمة في القديم والتي اعتبرت الوحيدة في بلاد المغرب في هذا الجانب، وقام بالعديد من الدراسات في مناطق مختلفة من الأوراس ومدنه، كما درس المجتمع الأوراسي انطلاقا من خلفيته الأثنروبولوجية، ومشاهداته العيانية للمنطقة، حيث قام بإعداد الكثير من التقارير نشرت في المجلة الإفريقية.

أما في المرحلة المتقدمة من العصر الوسيط فقد كرّس **محمد الطالبي**[2] عمله للتحولات الاقتصادية والاجتماعية في الفترة الأغلبية، والتي بدأها بتقديم خلاصة عن البدايات الأولى للتوطين من خلال تقديم خلاصة حول عدد الجند الذين ذكرهم المصادر التاريخية المبكرة في إطار حملات الفتح بعدما نجحت الدعاية القائمة لفائدة الهجرة نجاحا تاما، لأنها ازدوجت بضرورات الحرب التي غالبا ما تفرض نفسها، وقدم الباحث جردا بأعداد وأصول الجند الذين دخلوا إفريقية والمغرب آواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني، هذه الحملات التي ستتشكل منها أولى الحاميات التي ستتخذ من الكثير من الحصون والحواضر مستقرا لها في بعض أقاليم الأوراس، ويشير الطالبي إلى أن هؤلاء كانوا بمثابة النخبة ومن عناصر الرقي، لا صلة لهم بالجماعات الهلالية الذين قدموا بعد عدة قرون.

[1] Emile Masqueray , Le Djebel Chechar, *Revue africaine.*, XXII, 1878, Id « Seriana, le bellezma, negaous, tobna, tolga. Rapport archéologique ». *Revue africaine.* 21. (1877). «Ruines anciennes de Khenchela Mascula à Besseriani (Ad Majores)», *Revue africaine,* XXIII, (1879).

[2] الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي. 184-296هـ/ 800-909م. تعريب المنجي الصيادي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1995.
في نفس السياق قدم **هشام جعيط** دراسة يرى فيها أن شعوب البربر، وإثنياته (Ethnies)، وقبائله كانت تكون شبكة معقدة ومتحركة خاصة زمن الفتح الإسلامي وما بعده، لذلك كانت تعرف بعدم استقرار، فانتقلت بعض القبائل إلى المغربين الأوسط والأقصى. وتفتت أخرى فاندمجت بقاياها في تجمعات قبلية أكثر استقرارا مساهمة بذلك في تغييرها. كما قام بتحليل عمليات الفتح العربي الإسلامي للمنطقة المغاربية، وسيطرة النخب العربية التي فرضت نظاما إداريا وجبائيا همش البربر الذين كانوا أكثر عددا وبمختلف مكوناتهم سواء كانوا مترومنين أو مرتبطين بالمسيحية بشكل ما، وهي حالة بعض الفصائل من البرانس المستقرين، أو يعيشون مستقلين، فقد حافظ العنصر البربري على تركيبته القبلية، بل وازداد تمسكا بها مع الإسلام. هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة بيروت، 2004. ص 156.

والدراسة مهمة لمجالنا الذي يشمل الكثير من التغيرات التي حصلت على حدود الأوراس والزاب، وعلاقاتها بالسلطة الأغلبية، وآليات السيطرة والثورة على أطراف الإمارة الأغلبية الغربية التي بدأت تتأرجح بين التبعية والانفصال، حيث تستمر هذه العلاقات المتشنجة حتى أواخر القرن الثالث الهجري وبداية أفول السلطة الأغلبية أمام التهديدات التي طرقتها على حدودها الغربية بالأوراس، بعد إضعاف الأغالبة لأهم الحاميات وأدت سياستهم لسرعة سقوط هذا المحور أمام المد الكتامي الذي سيشكل حركة انتشار سريعة ويعيد بناء جغرافيا سياسية جديدة بالمنطقة.

تاديوش لفيتسكي Tadeusz Lewicki

تسمح لنا دراساته[1] بالوقوف على جغرافية الإمامة الرستمية بتيهرت، وحدود سيطرتها بالمنطقة، وفضلا عن المجالات الشرقية لهذه الإمامة التي كانت تشمل في مطلع القرن الثالث/القرن التاسع، كامل البلاد التونسية، أي قفصة حاليا، وبلاد الساحل (الساحل حاليا)، وبلاد الجريد، وأعماله قسطيلية وقنطرارة ونفزاوة، وجبال الجنوب الشرقي التونسي. فكانت مجالات الإمامة الرستمية تطوق دولة الأغالبة من الناحيتين الجنوبية والغربية. وكانت سلطة هذه الدولة مقتصرة في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، على شمال البلاد التونسية وعلى الشمال الشرقي من الجزائر الحالية، كما تسمح لنا دراساته بمعرفة المكون القبلي لهذه الإمامة وعلاقات هذه القبائل بتيهرت.

محمد حسن. الجغرافيا التاريخية لإفريقية. من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 6– 15م:

يعد هذا الكتاب مدخلا وإطارا عاما للجغرافيا التاريخية لإفريقية؛ قدم فيه الكاتب دعوة للاهتمام بالجغرافيا التاريخية عبر البحث في أقسامها المختلفة، وقد أعطى نماذج عن خصوصيات أسماء المواقع للمنطقة، ثم قدم قراءة لخارطة العمارة الريفية بإفريقية ومكوناتها التي تشمل القرى والقصور، وهنا أشار إلى نماذج من عمارة القصور ببلاد الزاب والأوراس في القرن الثامن الهجري/ 14م، معتمدا على وصف ابن الحاج النميري في رحلته "فيض العباب"[2].

[1] Tadeusz Lewicki. « Les ibadites en Tunisie au moyen-âge. La répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen-âge ». Rocznik oriontalist , xxx, 1957.

[2] محمد حسن. الجغرافيا التاريخية لإفريقية. من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 6– 15م. دار الكتب الوطنية. بنغازي. 2004. ص 13– 42.

أما في دراسته للمسالك وجغرافية التوطين، فبعد تقديمه قراءة لمسالك القيروان وجغرافية التوطين ببلاد الساحل التونسي، تطرق إلى إشكالية الفلاحة ونظم المياه انطلاقا من الوثائق والمصنفات الفلاحية بالمكتبة التونسية وكتب النوازل[1]، خاصة كتاب أبي العباس الفرسطائي، "القسمة وأصول الأرضين"[2] وكتاب الونشريسي، "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب"[3]. أما مؤلفه "**المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**"[4]، فقد تناول تشكل المجالات المختلفة بإفريقية بدءا بالمجال القبلي وحركة القبائل الهلالية عبر مدن وأرياف المنطقة[5]، وأهم العلاقات التي تربط بين عالم البادية والمدن، من خلال الإنتاج الحرفي ولأهم المبادلات بين المجالين، والتي ستحدد نمط عيش هذه القبائل.

علاوة عمارة:

تنوعت دراساته بين التحولات المذهبية وخاصة المتعلقة بالجماعات الإباضية الوهبية والنكارية، ومرحلة الحضور الإسماعيلي على أطراف الأوراس الغربي وتوسعاتهم بالزاب جنوبا، ثم الانقلاب الذي أحدثته الأسرة الباديسية بالمنطقة، بالإضافة إلى أسلمة هذه المجالات والقبائل وتطورها.

واستخدم علاوة عمارة مقاربات حديثة من خلال النصوص القديمة والمصادر الوسيطية، واعتمادا على قاعدة هامة وواسعة من الدراسات الاستشراقية، وقدم نموذجا للدراسة السوسيو مجالية لكتامة القبيلة والمجال وعلاقاتها بالمذهب الإسماعيلي، وانطلاقا من النصوص الإسماعيلية، تتبع أصول الإسم ووضع القبيلة بعد تحالفها مع الدعوة الإسماعيلية بإقليم كتامة. ثم تفرعاتها وبطونها المنتشرة بإفريقية والمغرب الأوسط[6].

---

[1] محمد حسن. المرجع نفسه. ص 251.

[2] القسمة وأصول الأرضين. كتاب في فقه العمارة الإسلامية. تحقيق. محمد صالح ناصر، والشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج. مكتبة الضامري. سلطنة عمان. 1993.

[3] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1981.

[4] المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. 1999. ج1 و2.

[5] في كتابه حول "**القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط**" قدم قراءة في مفاهيم "القبيلة" المغربية انطلاقا من الموروث التاريخي القديم، ثم حاول الربط بين القبيلة ومجال الريف من خلال أنماط الإنتاج الفلاحي وأعطى تفاسير للصراع بين القبيلة وسلطة الخلافة مبرزا دور هذه القبائل في المجالات الطرفية على أساس علاقاتها بمذهب الخوارج الإباضية ثم خصص قبيلة نفوسة كنموذج في علاقاتها مع السلطة الفاطمية والزيرية. القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط. المطبعة العربية التونسية. تونس. 1986. ص 7 23 99.

[6] Allaoua Amara. Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutāma. ALBORÁN. *Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb*. Granada. (2018).

هذه الجماعات التي تداخلت مكوناتها مع حدود الأوراس الشمالي والشمالي الغربي، وهي منطقة تشكل منبسط طبيعي يربطها بإقليم الأوراس عبر سهل بلزمة وتلال قسنطينة، وكانت أغلب هذه المجالات قد تشكلت فيها قابلية للثورة على الواقع الجديد، واستمرت في خط المقاومة ورفض هيمنة الآخر التي لا زالت متقدة لدى الكثير من الجماعات الإباضية النكارية بالأوراس. وأدت هذه الأوضاع إلى هشاشة الحدود التي كانت عليها بسبب السعي لفرض الهيمنة على الأوراس[1]، فقد تسبب الخلاف بين الوهبية والنكار في تناحر عسكري، وهو الصراع الذي فشلت الجماعة الإباضية في حله بالطرق السلمية.

ثانيا:

إشكاليات الموضوع:

بعد الفصل في تحديد مجال الأوراس، تبقى إشكالية تحديد ومعرفة الفاعلين الرئيسيين من خلال تتبع سيرورة تشكل المجال الأوراسي، ومع هذه السيرورة لا شك أن الحدود تبقى في حالة تغير مستمر ودائم، وهذا تماشيا مع أدوار كل عنصر من عناصر هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمكون السوسيوتاريخي والذي ثبت أنه يتنافى وحالات الاستقرار منذ الفتوح الإسلامية واستقرار الحاميات العربية في بعض حواضر الأوراس، أو حالة الاضطراب التي نتجت عن أحداث القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، والتي أدت إلى ظهور هجرات مستمرة للجماعات والقبائل في إطار الصراع المذهبي وتقلب الولاءات التي نتجت عنها، وكان من نتائج هذا الصراع ظهور تشكلات متنوعة في الأوراس أشبه ما تكون بالفسيفساء المذهبية داخل هذا المجال أو على أطرافه حيث مجالات الأطلس الصحراوي ومناطق الواحات.

لقد كان لتداخل مجموعة هذه العوالم في مجال محدود جغرافيا ولكنه ممتد زمانا، يفرض علينا القيام بعمليات تفكيك لمكوناته وهذا حتما سيؤدي دائما إلى العودة إلى الماضي وتاريخ المنطقة لمعرفة أصول وأسباب التغيرات الكبرى الحاصلة فيه.

إننا أمام إشكالية قلة حضور الأوراس في العصر الوسيط من المدونة التاريخية العربية، سواء ما تعلق بالروايات التاريخية، أو المصنفات الجغرافية المبكرة للرحالة الجغرافيين التي أعرضت عن ذكر هذا الإقليم الذي لم يرد فيها إلا عرضا، لذلك نرى من الضروري تنويع المصادر التي يمكن أن تسمح لنا بسد الثغرات من أجل الإحاطة بتاريخ جغرافيته في العصر الوسيط.

[1] Allaoua Amara, « Les Fatimides et le Maghreb central, littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée,* 139, (2016).

فإشكالية الموضوع بصورة مبدئية تتعلق بكيفية تشكل المجالات السياسية وتداخل حدودها في هـــذه البلاد، ومدى توافقها مع الواقع الجغرافي بعد انتهاء عمليات الفتح الإسلامي ودور الظروف الطبيعية في ذلك؟، وكيف أصبحت في الفترات المختلفة اللاحقة؟، وهو ما يعطينا فرصة لقراءة وفهم دور المكان بصورة أكثـــر، ومدى تأثير العوامل الطبيعية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى السياسية أيضا؛ وهل يمكننـــا الحـــديث عـــن وحدات سياسية تتلاءم إلى حد بعيد مع معطيات جغرافية متجانسة تحكمت فيها التضاريس والثروة والطـــرق والمسالك ؟ وبذلك أثرت في الواقع السياسي تأثيرا لا يمكن إنكاره.

ثالثا:

الصعوبات:

ليس من السهل أمام ندرة المصادر على مختلف أنواعها، الإلمام بكافة جوانب الحياة لفترة معينة من التاريخ، والأمر يكون أعقد إذا كانت هذه الفترة تتعلق بمراحل الانتقال الهامة والمفصلية مثل التي شهدتها بلاد المغرب في القرن السادس الميلادي عقب أفول القوة البيزنطية وبروز قوى جديدة تتمثل أساسا في التوسع الأموي غربا، والذي استمر في الانتشار والزحف محملا بمكونات حضارية جديدة ستغير من طبيعة المنطقة بصورة مصيرية ونهائية.

ولذلك تبقى **مشكلة القرن الأول** تتعلق بالتأريخ لأحداث مجال الأوراس، إذ نجد أنفسنا أمام انقطاع الروايات التاريخية الخاصة بالكثير من الأحداث والظواهر التي قد تصل إلى ما يقرب من قرن أو يزيد من الزمان، خاصة ما تعلق بأحداث الفتح الإسلامي وما صاحبها من نتائج، ليس أقلها التغيير في جغرافيا المنطقة، فكانت أكبر عقبة أمام استكمال الفجوة التي تطرح في مرحلة الانتقال من العهد البيزنطي إلى مرحلة الانخراط في منظومة جديدة، هي منظومة الخلافة الأموية بعد انتهاء العمليات العسكرية للفتوح.

وسيطرح هذا السؤال (انعدام المصادر الخاصة بالأوراس في العصر الوسيط) إشكالية أكبر تتعلق بالبحث في تاريخ المنطقة في حد ذاته؛ فهل أن غياب المصادر تعفينا من السؤال وتمنعنا من البحث، بدل المحاولة على إيجاد بدائل خاصة بالمنهج، وبتنويع المداخل المعرفية لتجاوز هذه العقبة.

أما الصعوبة الثانية والتي ترتبط بالعنصر السابق، فتتمثل في **اتساع الفوارق إلى حد التناقض بين الروايات المتأخرة**؛ هذا ما نجده في المصادر الإخبارية، والنصوص الجغرافية المشرقية المبكرة حول المنطقة. إذ أننا نمتلك عشرات النصوص في هذا الخصوص والتي تركها لنا المؤرخون والرحالة الجغرافيون حول مختلف الجوانب المتعلقة بمسألة المدن والعمران والاقتصاد والجماعات، كتبت في سياقات وظروف مختلفة، ولكن نكون

مخطئين عند انسياقنا وراء هذه النصوص الجغرافية أو إعادة قراءتها والاطناب فيها، إلا أن الرغبة في الوصول إلى الحقيقة تحتم علينا تجنب مثل هذه النقاشات التي يمكن أن تطرحها هذه الإسطوغرافيا وخاصة المشرقية منها.

المشكلة الثالثة تتعلق بمسألة الزمن والتحقيب والتي تطرح بإلحاح في هذه الدراسة نظرا لتشعب فصولها ومباحثها والتي تحتاج إلى مسارات خاصة بها؛ تتعلق بالإجابة على الإشكاليات المطروحة في ثناياها والمتعلقة بالمجال الواحد في الأزمنة المختلفة، وهذا ما يحتم علينا الابتعاد وتجاوز التحقيب المعروف والمألوف في الدراسات الكلاسيكية، ويظهر هذا الإشكال خاصة فيما المتعلق بالجغرافيا المذهبية، إذ نجد أن هناك سياقات مختلفة بين الأحداث السياسية من جهة وبين مسار تطور المذهب من جهة أخرى، وهذا ما حصل مثلا بين المذهب الإباضي (الوهبي والنكاري) والمذهب الإسماعيلي. ونفس هذا الإشكال يصادفنا عند دراسة التوطين بمجال الأوراس، وظهور وتراجع الإثنيات في مختلف المراحل.

وإذا كانت مشكلة الزمن في الدراسة تطرح بحدة، فإن الجغرافيا بتشعبات مجالاتها تبقى هي الوحيدة التي يمكن أن توقف سرعة تعاقب الأحداث، والتحكم في الزمن، وتجعل الأحداث تتفرع إلى جواب مختلفة بعيدا عن السرد التاريخي–الحدثي، واعتماد الدراسة الشاملة المبنية على الجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والعمران والقليل من السياسة.

فلا بد من الإشارة في البداية إلى إشكالية المداخل المعرفية المناسبة لدراسة مجال الأوراس منذ القرن الأول الهجري. وهل من المناسب، والحال يقول بعدم الأخذ بالتحقيب في دراسة تاريخ المجالات مثلما سنرى، أن نضع حدودا زمانية في هذه الفترة المخصصة لدراسة مجال الأوراس في العصر الوسيط.

رابعا:

المقاربات المنهجية:

اعتمدنا على مستويات ثلاث لتحليل الموضوع باعتماد المقاربات التالية:

من الطبيعي ألا تعتمد دراسة بمثل هذا الطرح على منهج تاريخي واحد، لأن طبيعة الإشكاليات المطروحة تقتضي الاعتماد على تنوع المناهج تبعا للقضايا المطروحة؛ فمن خلال الفصول المطروحة يقتضي الأمر الاعتماد على المنهج التحليلي والمقارن، والذي نراه ضروري ومسألة حتمية لدراسة مجال الأوراس كوحدة مجالية متصلة قد تكون مطابقة لبعض المجالات الأخرى بإفريقية أو المغرب الأقصى، التي تتشابه عناصرها الطبيعية والتاريخية، لذلك يكون المنهج المقارن مفيدا في الوقوف على بعض القضايا المتصلة على سبيل

المثال بأسلمة المجالات الريفية والجبلية خصوصا، أو ما تعلق بآليات التعريب وطرق التوطين واستقرار الحاميات العربية انطلاقا من القرن الثاني الهجري/8م.

أما المنهج الغالب فهو **المقاربة الجغرافية في الدراسة**؛ انطلاقا من الاعتماد على دراسة المناطق، والأقاليم، والمجالات، ودور المكان في التأثير على الأحداث أكثر من الاعتماد على تتبع الأحداث التاريخية نفسها في سياق زماني متصل، لأن هذا قد يؤدي إلى تجاوز الكثير من المعطيات التي كان لها دور كبير في التأثير في الأحداث أو توجيهها.

لذلك تصبح المقاربة الجغرافية كحتمية للدراسة تسمح لنا على الأقل بضبط مفاهيم المجال الجغرافي، وتحديد معالم الجغرافيا الإقليمية للأوراس قديما وفي العصر الوسيط تحديدا، وفقا لقوانين ضبط المجال وتنظيم المكان، رغم أن الحدود في العصر الوسيط لم تكن من القضايا المطروحة.[1]

أما المقاربة التاريخية فتكون مبنية على الأمد الطويل، لأن تغيير المجال لا يمكن الوقوف عليه إلا من خلال أسبابه وتفاعلاته والعناصر الفاعلة فيه، ثم بعد ذلك إمكانية تحديد طبيعته ونتائجه؛ هذه النتائج التي لا يمكن حدوثها في فترات آنية، مثل التغيرات السياسية والعسكرية، والحروب، بل تحتاج إلى فترات زمانية كافية لتتشكل وتتبلور حتى تظهر بكامل ابعادها. لذلك كان علينا تتبع الظاهرة الواحدة عبر قرون عديدة وفي نفس المجال الذي حدثت فيه، ويطابق هذا المغزى الأساس من العمل البرودلي والتاريخ الشمولي؛ وهو إدراك التاريخ في تعددية أزمنته من خلال الثالوث (زمن طويل، زمن الظرفية، زمن قصير) لبلوغ تاريخ شمولي، يبحث في تاريخ المجتمعات الكوني الكلي، وليس في التاريخ السردي الحدثي فقط، ومن ثمة القدرة على الإحاطة بالمجتمع في بنياته وجغرافيته واقتصاده وذهنيته وعقليته وحضارته، ومن خلال احتكاك أكبر بين التاريخ وباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.[2]

[1] للمزيد حول مفاهيم المجال، والمشد الجغرافي، والأقاليم، ينظر: محمد بلفقيه. الجغرافيا القول عنها والقول فيها. المقومات الإبستيمولوجية. دار نشر المعرفة. الرباط. 2002. ص 316. الإحالة رقم 179.

[2] خصص بروديل أمثلة متعددة من خلال وصف الجبال والسهول والأنهار والعادات والثقافات والبحار والرياح والتيارات والملاحة والجزر والمناخ والحدود والسكان، وكان هذا الزمن الشديد البطء هو واحد من أهم وأكبر إضافات بروديل في التاريخ المعاصر. فقد ارتسمت خلف التاريخ الذي يعج بالحكومات والحروب والمجاعات تواريخ يكاد النظر اليها لا يسبين حركتها، تواريخ بطيئة الحركة، كتاريخ الطرق البحرية وتاريخ القمح ومناجم الذهب وتاريخ الجفاف والري والأراضي، تناسلت الأبحاث خلال هذه الحقبة من نماذج مشابهة من مواضيع مثل النمو الاقتصادي للمجتمعات، والتحليل الكمي لسيل التبادلات، ومنحى التغيرات الديموغرافية، ودراسة المناخ وتقلباته، ورصد الثوابت السوسيولوجية. خالد طحطح. الكتابة التاريخية. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 2012. ص 97- 98.

وفي هذا الخصوص فإن إيقاع الحدث السياسي والعسكري سيكون بطيئا ومنخفضا بالنسبة للزمن، وهذا لصالح إعطاء هامش واسع لمختلف العناصر الجغرافية التي تتشكل منها مجالات الأوراس[1]، لتكشف عن مكنوناتها ومتغيراتها المختلفة التي لا يمكن القفز عنها أو تجاهلها في إثراء مختلف الأحداث التاريخية والتي نادرا ما نلتفت إليها أو نعطيها حقها من الدراسة والتحليل.

لقد حدثت تطورات كبرى منذ أوائل القرن التاسع عشر، بعد التحول الكبير الذي طرأ على الإبستيمية الغربي، وأصبحت هناك تاريخية خاصة بالطبيعة، والبيئة، وتم البرهان على أن نشاطات إنسانية متميزة جدا كالعمل، واللغة، تتطور هي الأخرى في ذاتها على تاريخية خاصة بها، فللإنتاج أنماط تطور، ولرأس المال أنماط تثمير، وللأسعار قوانين تأرجح وتبدل ليس بالإمكان قياسها على القوانين الطبيعية، وكذلك الأمر بالنسبة للغة، التي لا تتغير كثيرا بعوامل الهجرة والتجارب والحروب، تبعا لما يحل بالإنسان أو لما يستنبطه مزاجه، بل تتغير حسب شروط متعلقة حصرا بالأشكال الصوتية والنحوية التي تتكون فيها اللغة؛ وإن أمكن القول أن اللغات تولد وتعيش، وتفقد طاقتها حين تهرم، وثم تنتهي إلى الموت[2].

ولارتباط الكثير من الدراسات الخاصة بالأوراس بالدراسات الأجنبية وخاصة الفرنسية منها، فإن هذا ما يدعونا إلى خلق مسافات كافية بين التاريخ المحلي للأوراس في العصر الوسيط ومختلف الدراسات الأنثروبولوجية، التي قد تضعه في قوالب خاصة مسبقا، وضرورة الاعتماد على تنويع المصادر كاللسانيات وتاريخ اللغة، والجغرافيا البشرية، والتراجم، وغيرها كثير من المصادر المختلفة، وهذا من منطلق أن الأنثروبولوجي الغربي حين يدرس الإنسان الآخر، فإن ذلك ليس من أجل أن يكتشفه في اختلافه الحقيقي، في

[1] يقول ميشال فوكو في كتابه "حفريات المعرفة" : "أن المؤرخين يتوفرون على أدوات صاغوها بأنفسهم في جانب منها، وتلقوها في جانب آخر: كنماذج النمو الاقتصادي، والتحليل الكمي لسيل التبادلات، ومنحى التغيرات الديموغرافية، ودراسة المناخ وتقلباته، ورصد الثوابت السوسيولوجية. ووصف التكيفات التقنية وانتشارها واستمرارها. لقد مكنتهم تلك الأدوات من أن يتبينوا، داخل حقل التاريخ، طبقات رسوبية متباينة، فحلت مكان التعاقبات الخطية، التي كانت حتى تلك الآونة تشكل موضوع البحث التاريخي، عمليات سبر الأغوار بدءا من الحركية التي تطبع السياسة حتى التباطؤ الذي يميز الحضارة المادية". حفريات المعرفة، ص 5.

ويضيف أن الأسئلة التقليدية التي كان التحليل التاريخي يطرحها على نحو السؤال عن الرابطة التي تجمع بين أحداث مشتتة؟ كيف نوجد بينها تسلسلا ضروريا من الاتصال الذي يسري فيها، أو الدلالة العامة التي تنتهي بتشكيلها؟ هل بالإمكان إدخالها في كل موحد، أم لا بد من الاقتصار على مجرد الربط بينها؟) قد أحلت السبيل لتساؤلات من نوع جديد: ما المراتب التي ينبغي عزل بعضها عن الآخر؟ ما أنواع الروابط التي تجب إقامتها؟ ما مقاييس التحقيق التي يلزم اتخاذها إزاء كل واحدة منها؟ ما منظومة العلاقات (تدرج أو هيمنة أو تراتب أو تحديد وحيد الجانب أو عملية دائرية) التي ينبغي اثباتها بين هذه السلسلة وتلك؟ وما هي الروابط التي ينبغي إقامتها؟ وداخل أي جدول زماني رحب، يمكننا أن نعين مجموعات متمايزة من الأحداث؟ ميشيل فوكو. المرجع نفسه. ص 5–6. الكلمات والأشياء. ترجمة مطاع الصفدي وآخرون. مركز الإنماء القومي. بيروت. 1989– 1990. ص 300.

[2] ميشيل فوكو. الكلمات والأشياء. ص 300.

مغايرته الخام، في انزياحه الخاص، وإنما يدرسه ليؤكد فيه كل ما يثبت ويعيد إنتاج مركزيته، مقابل إعادة إنتاج هامشية الآخر[1].

جانب آخر لا يقل أهمية وهو المشاهدة والمعاينة الميدانية للكثير من المواقع والوقوف على حالة بعض المناطق الأثرية وهي كثيرة بالأوراس، وهو ما حاولنا السعي إليه بقدر استطاعتنا وامكانياتنا المحدودة، وتبقى بعض المناطق التي لم يتطرق إليها الدارسون غامضة نتيجة لطبيعة تضاريسها الصعبة والمعقدة والتي تحتاج من أجل معاينتها إلى إمكانيات لا نحوزها. بالإضافة إلى مقارنة النصوص المصدرية بالواقع خاصة ما تعلق بالمسالك والطرق، أما الخرائط والأشكال التوضيحية فقد حاولت ابراز مختلف المناطق المعنية بالدراسة بخرائط وأشكال توضيحية، واستخدمت مجموعة من الخرائط موزعة على مختلف المباحث في فصول الأطروحة، تبين التضاريس والمواقع واتجاهات حركة هجرات الجماعات والقبائل، وجغرافية الجماعات المذهبية.

حدود البحث الزمانية والمكانية:

اختيارنا لأن تكون الفترة الزمانية للأطروحة ممتدة طيلة العصر الوسيط لأسباب منهجية بالدرجة الأولى وتتعلق أساسا بالإشكاليات التي يمكن أن تطرحها بعض المتغيرات الخاصة بإقليم الأوراس، والعناصر الفاعلة في هذا المجال، خاصة تلك المتعلقة بالجانب البشري والتعمير التي تتغير من فترة إلى أخرى، ونفس الشيء ينطبق على التغيرات الطوبونيمية التي تحتاج دراستها إلى العودة إلى تاريخ وأصول المفردات والأسماء وهو ما يتطلب فترات كافية للإلمام بها.

ومن هذا المنطلق فإن الأطروحة تسعى إلى إعادة تشكيل صورة المشهد الجغرافي التاريخي للأوراس، اعتمادا على الجهود المفيدة المبذولة من الدراسات السابقة والمصادر المشتتة، ومن أجل الإحاطة بكل هذه العناصر كان اختيارنا لعنوان الأطروحة ب:

الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط. (من ق2–10 هـ /7–16م): الأوراس نموذجا. دراسة في المجال والعمران والمسالك

إذا كان من غير الممكن على المستوين الإجرائي والعلمي الإحاطة بكافة جوانب الجغرافيا التاريخية للأوراس في العصر الوسيط، فإنني اقتصرت على دراسة بعض العناصر فقط آملا في أن تسمح لي بالإحاطة بالقدر الكافي لهذا المجدال. ومن أجل ذلك فإن هيكلة الدراسة فصلت على خمسة فصول على الشكل الآتي:

[1] ميشيل فوكو. المرجع نفسه. ص 7.

في البداية كان لا بد من تحديد مجال الدراسة الخاصة بحدود الأوراس وجغرافيته الطبيعية، ووقفنا على مدى ارتباط هذا المجال بنطاقين هامين: نطاق التل في الشمال، ونطاق الواحات والصحراء جنوبا، فيما تبقى حدوده الشرقية والغربية ممتدة وغير ثابتة ولا مستقرة، ويشكل هذا المجال وحدة تضاريسية متجانسة ومتميزة.

ولارتباط التضاريس بالمياه ونظم السقي وما تحمله من دلالات تاريخية حول استمرارية النظم الخاصة بهذا الجانب منذ القديم، خصصت القسم الثاني من هذا الفصل للشبكة الهيدروغرافية في أرياف وحواضر الأوراس اعتمادا على المخلفات الأثرية والنصوص الجغرافية وأوصاف الرحالة.

ومن أجل الحفاظ على وحدة العناصر التي تشكل هذه الدراسة فإنني استثنيت في الفصل الثاني عنصر الزمان الخاص بالتاريخ المحلي لمجال الأوراس، وأردت أن أضع هذا المجال في سياق تاريخي دون الالتفات إلى باقي التحولات الأخرى المتعلقة بجغرافية الإقليم، فقمت بسرد كرونولوجي لأهم أحداث الأوراس التاريخية طيلة العصر الوسيط، محاولا تجنب المبالغة في التطرق إلى حيثيات التطورات السياسية ويومياتها، مع التركيز أكثر على تطور المجال بالدرجة الأولى والمؤثرات التي كانت وراء أهم الأحداث التي شهدها هذا الإقليم، من أجل الوقوف على التغيرات التي طرأت عليه طيلة الفترة المدروسة.

وفي خلال ذلك يكون لزاما علي تفكيك مكونات هذا الإقليم عبر مسالكه والطرق المنتشرة فيه، وهي التي كانت معبرا لجيوش الفاتحين، ولتحركات وهجرات الجماعات والقبائل، والدعاة والمذاهب. وقد تتبعت هذه الشبكة منذ القديم اعتمادا على المصادر القديمة ومقارنتها بالمصادر الوسيطية من كتب الجغرافيا والرحلة والمصنفات التاريخية وغيرها، وهي العملية التي تسمح بالوقوف على فهم أهم التحولات التي جرت بالأوراس.

في القسم الثاني وعبر هذه المسالك، أقف على أهم المتغيرات الطوبونيمية المتعلقة باللغة والأسماء والطوبونيميات المختلفة التي حرصت على أن أحيط بأهم خصائصها في العصر الوسيط. وفي هذا الجانب استعنت باللغة واللسانيات ومجموع الدراسات القليلة التي تطرقت إلى هذا الجانب.

في الفصل الرابع أقف على إظهار المكون الاجتماعي للمجال الأوراسي من خلال دراسة عناصر التوطين الأساسية البربرية والعربية، هذا المجال الذي لم تكن فيه الخارطة الإثنية ثابتة طيلة العصر الوسيط، حيث كان منطقة هجرات واستقرار لبعض القبائل. وستتغير بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي الميلادي. بعد التواجد الهلالي بالمنطقة. وشاركت الكثير من الجماعات في أهم أحداثه السياسية.

أما مسألة التوطين العربي بالأوراس فيمكن أن نميز بين تيارين للهجرة في الأوراس؛ تيار الفاتحين الأوائل الذين توطنوا في شكل حاميات في بعض حصون وحواضر الأوراس؛ منذ القرن الهجري الأول/7 م.

ثم الموجة الثانية التي شكلتها الهجرات الهلالية، وكان الأوراس أحد هذه الأقاليم التي ستشهد انتشارا وتوطنا لبعض القبائل الهلالية والسليمية خاصة على أطرافه الشرقية والجنوبية، وساهمت بشكل أو بآخر في رسم معالم تاريخه، وقد حصلت تغيرات جذرية في تركيبة سكان الإقليم، لنجد المنطقة أمام تغيرات أخرى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وطيلة القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي في العهد الحفصي، وتستمر إلى غاية القرن العاشر/ السادس عشر الميلادي، نتيجة تداخل العديد من العوامل الخاصة بنمط العيش، أو ما تعلق بتأثير الحياة العقدية كظاهرة التصوف، التي ستؤثر في طبيعة التركيبة القبلية للكثير من الجماعات.

وفي الأخير بالنسبة للجغرافيا المذهبية، وبالتوازي مع انتشار المذاهب، كانت عملية الأسلمة تتم وفق عملية معقدة ومتشعبة لارتباطها بالعديد من العوامل الأخرى. لكنها بقيت مستمرة طيلة العصر الوسيط الأعلى.

لذلك فقد شكل الأوراس نقطة تجمع للعديد من المذاهب ودعاتها منذ القرن الثاني الهجري/8 م. ونجح الكثير من هؤلاء الدعاة في الاستفادة من جغرافية المنطقة وتأسيس الملك بعد ذلك. غير أن تطورات الأحداث بعد ذلك أثبتت أن نقطة البداية وتأسيس الملك قد تتحول فيما بعد إلى مركز عداء للسلطة الجديدة. وهذا ما نجده خاصة في أحداث ومواقف الجماعات الإباضية والنكارية.

خامسا. المصادر والمراجع:

1– الوثائق:

تتمثل بالدرجة الأولى في الوثائق التي حفظتها لنا النصوص الشيعية، ومنها مؤلفات

العزيزي الجوذري. "سيرة الأستاذ جوذر":

مؤلف السيرة (منصور الكاتب) من الشخصيات التي تولت مناصب مهمة في البلاط الفاطمي، وكان كاتبا لجوذر في سنة (350هـ/ 957م)، والذي كان وسيطا بين الخليفة وخدمه وموظفيه في الأقاليم والمقاطعات الفاطمية. أما عن الكاتب فلا نعرف عليه الكثير، وقد كتب على نفسه توليه خدمة جوذر والكتابة له.

والسيرة تشكل صورة عن الوثائق السلطانية في ذلك العهد، وهي توقيعات (كتب ومشافهات) كانت ترسل من جوذر إلى الخليفة الفاطمي، وبحكم هذه الوظيفة فإن الكاتب اطلع على أسرار مهمة في إدارة الدولة الفاطمية، أما عن أهميتها لموضوعنا فهي توضح طبيعة تعامل الخلافة الفاطمية مع الإقطاعات وكيفية تنظيمها للمجال والتحكم فيه، سواء بالمصادرة أو بتوزيعها على حلفائها ورجال إدارتها[1]، وكان جوذر أحد المستفيدين منها.

كما نجد في ثنايا هذا المؤلف طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين الخلافة الفاطمية وبعض أطرافها (تيفاش) التي تولاها عمال من الصقالبة، ويقدم جوذر تفصيلا عن المعركة التي قتل فيها أبو يزيد، وفي هذه الفترة منح الخليفة المنصور سلطة الخلافة لجوذر وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال، كما يشير إلى ثورة أبي خزر بباغاية[2].

القاضي النعمان (ت363هـ/ 974م). **"المجالس والمسايرات والمواقف والاعتبارات":**

هذا المؤلف (كان معاصرا للمعز لدين الله الفاطمي)، هو عبارة عن وثائق إدارية وجهها المعز لدين الله الفاطمي للقاضي النعمان عندما كان قاضي القضاة، وهي وثائق تخص رجال الدولة الفاطمية الذين خدموا الدعوة الإسماعيلية، وقد سجل فيها الكاتب كل ما سمعه من المعز أو تلقاه منه من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة، وكثيرا ما نجد في ثناياها هذا المصدر بعض المواقف بين المركز وأطراف المجالات الخاضعة للفاطميين. وخاصة الجانب المالي والجباية، حيث خصصت الخلافة الفاطمية جهازا إداريا خاصا بجمع الأموال ومراقبة كل نشاط اقتصادي يجري على الأراضي الخاضعة لسلطانها. وكان الدعاة أعضاء في هذا الجهاز يقومون بجمع الأموال للإمام في مختلف الأقاليم، ويبعثون بها إليه منذ أيام الدعوة وقبل ظهور الدولة[3].

أما كتابه "افتتاح الدعوة وابتداء الدولة" ألفه سنة 346هـ/ 958م، وهي سنة موافقة للكثير من التغيرات والتحولات الخاصة بإقليم الأوراس، تتعلق بالخصوص في الاتجاه نحو القضاء على الجماعات الإباضية النكارية وما صاحبها من تأثيرات مختلفة على هذا المجال.

---

[1] سيرة الأستاذ جوذر. تح محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر. ص 94، 99.

[2] جوذر. سيرة الأستاذ جوذر. ص 48- 49 .

[3] القاضي النعمان. المجالس والمسايرات. تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر. بيروت. 1996. ص 103. بوبة مجاني. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية. في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي. 296- 362هـ/ 909. 973م. دار بهاء الدين. الجزائر. 2009.ص 283 284.

كما أنه كان معاصرا لمرحلة دقيقة شهدها الأوراس في العديد من النواحي؛ مرحلة الانتقال من أواخر الحكم الأغلبي والبدايات الأولى لدعوة أبي عبد الله الداعي بالمنطقة، ثم مرحلة الدعوة السرية على أطراف الأوراس الغربي، وبداية تشكل أولى التحالفات القبلية والزحف على المنطقة عبر الحصون الأغلبية، كما يعتبر مصدرا مهما للأحداث التي كانت تجري ببلاد كتامة على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للأوراس في نهاية ق3هـ/ 7م، وبداية ق4هـ/ 9م، حيث كانت جماعات كتامة تشكل حزاما إثنيا من مجموعات من السكان الذين سيشكلون القاعدة العسكرية للإمامة الناشئة والتي ستقوض أركان أغلب الدول ببلاد المغرب، وقد فصل القاضي النعمان في المرحلة الدقيقة الخاصة "بمرحلة الدعوة" في إقليم كتامة، مستعرضا أهم التغيرات التي أحدثها بها الداعي في تنظيم أتباعه من الكتاميين.

أما عن وثائق الجنيزة كمصدر للتأريخ للجغرافيا التاريخية للأوراس في العصر الوسيط فهي نادرة جدا ولا تخدمنا إلا من خلال بعض المقارنات التي تتعلق بمراحل التعريب وحالات الأسلمة التي سبقت وحصلت بمنطقة مصر؛ أي قبيل حدوثها ببلاد المغرب، وتشكل هذه "الوثائق البردية" مساهمة ثمينة لارتباط معظمها بالحياة اليومية والإدارية والتجارية والمراسلات الخاصة. وقد وفرت المواقع الأثرية في وادي النيل والفيوم كما هائلا من البرديات اليونانية التي يرجع تاريخها إلى العصر البطلمي، والروماني، والبيزنطي، والإسلامي أيضا.

2- الوثائق المنقوشة:

بدأت الاستكشافات الأثرية في منطقة الأوراس بعد الحملة الفرنسية التي انتهت باحتلالها عام 1875م، وكان يشرف على هذه العمليات في البداية قادة الجيوش تتبعها حملات علمية يقوم بها الباحثون كل في اختصاصه، ولهذه المصادر أهمية كبيرة للموضوع لأنها تخدمه من حيث ماضي المنطقة والأصول التاريخية للكثير من المفردات والأعلام والحواضر والنظم.

أما عن مساهمة البحث الأركيولوجي في البحث عن تاريخ التحولات العقدية بالأوراس يمكن الاستعانة بأعمال ستيفان قزال[1] (**Stéphane Gsell 1864-1932**) الذي قام بعمل كبير يخص جرد المواقع الأثرية اعتمادا على مصلحة الطبوغرافية التابعة للعسكريين التي أعدت خرائط لمنطقة الأوراس. إلا أن عمله

[1] Stéphane Gsell, *Les monuments antiques de l'Algérie*. Paris, (1901). *Inscriptions latines de l'Algérie*. Tome premier inscriptions de la proconsulaire », librairie ancienne Honoré champion Edouard champion, (1922). *Atlas archéologique de l'Algérie*, tome1. Texte, 2e édition. Algérie. (1997). *"Recherche archéologique en Algérie"*. Ernest Leroux édition. Paris. (1893).

ورغم شموليته يبقى بحاجة إلى استكمال بعض المناطق التي لم يتطرق اليها في أطلسه الأثري من أجل معرفة جغرافية العمارة العسكرية والدينية للفترة السابقة عن الفتوح الإسلامية، من خلال البقايا الكثيرة والمنتشرة للكنيسة المسيحية التي كانت مزدهرة من قبل، والتي كانت لا تزال باقية في إفريقية في نهاية القرن السابع، فمعظم قرى نوميديا عرفت انتشارا كثيفا للكنائس ووجد مجتمع كنسي للأساقفة عبر هذا السهل في كل من جنوب غاديوفالا (قصر الصبيحي)، تيجيس (عين البرج)، وسيقوس. حيث تكثر الكتابات الأثرية المتعلقة بالحياة الكنسية للمسيحيين، فضلا عن طبيعة تضاريس بعض المناطق الصعبة التي لم يشملها أطلس ستيفان قزال.

كما أن غنى المنطقة بالمخلفات الأثرية لدلالة على ثرائها؛ فعلى سبيل المثال كانت أنقاض مدينة تبسة حسب قزال على مسافة واسعة تصل إلى سبعة عشر (17) هكتار، أما بيار موريزو فيحصي أكثر من 175 معصرة قديمة للزيتون بالأوراس، ولا تكاد منطقة بالأوراس تخلو من هذه الآثار، فقد كانت مناطقه عامرة بالحصون والقلاع والكنائس ومراكز البريد، والمنشآت الهيدروغرافية[1]، وكانت الكثير من هذه الحصون منتشرة عبر الطرق والتلال، ومداخل السهول.

[1] بالإضافة إلى أعمال ستيفان قزال، كانت هناك العديد من الدراسات والأعمال التي قام بها مؤرخون وأركيولوجيون وأنثروبولوجيون، مثل إميل ماسكوري (Emile Masqueray) الذي قادته استكشافاته في بداية عام 1877 إلى العثور بسهل بلزمة شمال غرب باتنة، وسط أنقاض المدينة الرومانية القديمة من لاماصبا، على حطام من نقش طويل يتعلق بنظام الري، حيث كان في رحلة إلى المنطقة، ثم عثر بعد ذلك على جزء من الديباجة التي ربطت بين الشطيتين من قبل ديساو، وقام ستيفان قزال في أبحاثه الأثرية في الجزائر بإجراء تصحيحات جديدة تخص الشطيتين اللتان اكتشفهما ماسكوري، كما قام بأبحاث أثرية عديدة بمنطقة الأوراس حيث مكث بالمنطقة لمدة عامين.

Emile Masqueray. « seriana, le bellezma, negaous, tobna, tolga. Rapport archéologique ». *Revue africaine*. 21. (1877). Emile Masqueray , le djebel chechar, *rev. af.*, xxii, 1878,

كما قدم كريستوف موري (Christophe Meuret) قراءة لهذه النقيشة الممثلة في الديباجة التي توضح قائمة المستفيدين من حصص السقي وأوقات الاستفادة وهو عمل تنظيمي دقيق للري قد يكشف عن سبب اللجوء إليه هو وضع حل لشكل من أشكال الصراع على ملكية الماء في ذلك الوقت بين المزارعين، ويكون اللجوء إلى مثل هذا التنظيم حل عملي يوفق بين حجم الملكية والساعات أو الحصص التي تستفيد منها كل ملكية أو كل مالك للأرض طيلة أيام السنة، لذلك استجابت هذه الطريقة بمرونة في التنظيم في توزيع المياه بين الليل والنهار، أو بين الاختلافات التي يمكن أن تحصل نتيجة اختلاف الفصول بين الشتاء المطير والصيف الجاف، حيث تقل المياه ويتم اللجوء إلى التحكم في منسوب الخزان وحصص التوزيع، وفقا لحسابات لا توضع إلا من طرف متخصصين في المساحة وحجم المياه ومنسوبها والتضاريس وغيرها.

Christophe Meuret. « Le règlement de Lamasba: des tables de conversion appliquées à l'irrigation ». *Antiquités africaines*,32, (1996) .p. 88.

وكان شو برانت (Shaw Brent) قد قدم تفسيرا لمضمونها أيضا؛ ويقول بأن معظم الملاك كانوا من المحاربين القدامى. لكن يبقى السؤال يتعلق بأصول هذا التنظيم وطريقة تحول وإعادة تنظيم هؤلاء إلى طبقة منتجة في الزراعة، ثم مدى قدرتهم على التحكم في دقة التقنيات المتعلقة بتوزيع المياه وتقسيم الملكيات، لكن المهم هو أن أنظمة االري في الريف في العالم القديم يمكن معرفتها عن طريق المصادر الأدبية والأثرية، والتي يمكن أن تتيح لنا

3– النصوص الإخبارية:

بالنسبة للمصادر اليونانية واللاتينية في بلاد المغرب فإنها تقل في القرن السادس، في حين أن المصادر العربية تبدأ في الاهتمام بالمنطقة فقط بداية من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومن النادر جدا أن نجد اهتمام هذه المصادر بالفترة السابقة الخاصة بالتاريخ القديم للمنطقة، خاصة بالنسبة للتطورات السياسية والعسكرية. لذلك نجد عزوف المدونة العربية الإسلامية الأولى عن التأريخ لبلاد المغرب بصفة عامة فضلا عن أقاليمه، وانعكس ذلك على طبيعة معرفتهم القليلة جدا الخاصة بطبيعة النظم الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المغربية، والمرتبطة بخلفياتهم وبالتاريخ الأسطوري، ووجود اشارات قليلة جدا حول المصادر اليونانية أو اللاتينية التي تترجم إلى اللغة العربية. ومع ذلك، منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تظهر كتابات (تاريخية وجغرافية) من قبل مجموعة من المؤلفين ذات قيمة كبيرة للمنطقة.

1–كتب التاريخ العام والحوليات:

رغم العوائق التي يمكن أن تطرحها إشكالية المصادر المشرقية المتأخرة زمانا عن الأحداث المتعلقة بالمغرب الإسلامي، فإنها تبقى تشكل المصدر الذي لا يمكن تجاوزه في ايجاد التفسيرات المختلفة لتاريخ بلاد المغرب، رغم أنها كتبت قرنين من الزمان بعد الفتوحات، ولذلك لا بد من أخذ هذا المعطى بعين الاعتبار.

أما أنواع المصادر المشرقية فهي تجمع بين التواريخ الحولية والتواريخ المحلية والجغرافيا والرحلات والأنساب والمغازي والسير والفتوح والتراجم والطبقات والفهارس والخطط والموسوعات والحديث والتصوف، وغيرها، وإذ يبدو هذا التنوع مفيد ومهم إلا أن استفادتنا منه قليل جدا، وذلك بسبب طبيعة مضامينها ومادتها التي تحول دون ذلك.

ابن عبد الحكم (ت257هـ/ 870م):

كتاب "فتوح المغرب والأندلس" من أقدم النصوص التاريخية الخاصة بالفتوح، رغم أنه متأخر وبعيد عن الأحداث التي أرخ لها وقد استفاد من أخبار المغاربة بمصر حول تاريخ المنطقة. أشار إلى أغلب حملات

معرفة الكيفية التي تعمل بها هذه الأنظمة حتى من الناحيتين التقنية وأبعادها الاجتماعية، وحجم الحيازات والممتلكات، والمحاصيل المزروعة، وأساليب تقسيم المياه، وغيرها.

Brent d Shaw, « Lamasba: An Ancient irrigation Community ». *Antiquités Africaines*, 18,(1982). « Water and Society in the Ancient Maghrib: Technology, Property and Development ». *Antiquités Africaines*, 20 ,(1984).

الفتح الإسلامي، وخاصة حملة أبي المهاجر دينار (55هـ/ 674م)، ثم ذكر أن "أن حسّان بن النعمان هو الذي أنشأ الدواوين، وفرض الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر"[1].

في مجال الأوراس فإن ابن عبد الحكم يشير إلى انخراط الأوراس في التحولات المذهبية نتيجة ثورات الصفرية الأولى بإفريقية تحت قيادة خالد بن حميد الزناتى، والانتصارات التي حققها. ثم ثورات عبد الواحد بن يزيد الهوّارى الصفري، وقتاله حنظلة بن صفوان فى سنة أربع وعشرين ومائة.

ومن أهم هذه المصادر أيضا نجد **ابن سلام اللواتي (ت بعد 274هـ)** كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين[2]. يعتبر من أقدم المصنفات الإباضية ببلاد المغرب. وهو الذي يعطي للمذهب بعدا تاريخيا يعيده إلى المنابع الأولى لإسلام الصحابة والتابعين في خلال تتبعه للأصول التاريخية للأئمة الإباضيين، كما أشار فيه إلى فضائل البربر، وسلسلة أئمة الإباضية بطرابلس والقيروان حتى قيام الإمامة الرستمية التي لم يتطرق إلى تاريخها.

كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" **لابن الصغير المالكي** (ت بعد 290هـ/ 903م)، عاش أيام حكم الإمام الرابع أبي اليقضان (241هـ-281هـ)، وابنه أبي حاتم (281هـ- 294هـ). وقد كتب مؤلفه في نهاية القرن الثالث الهجري في حدود عام 290هـ/ 902م، وابن الصغير المالكي يظهر تعاطفا مع الأسرة الرستمية، وقراءة هذا المصنف يعطي انطباعا بخصوص طابعه المنقبي، وتم تصوير الأوراس كأحد الفاعلين في التاريخ الرستمي من خلال مساهمة بعض أعلام المنطقة في وظائف الإمامة كالقضاء، نقل عنه بعض المؤرخين وكتاب الطبقات مثل أبي القاسم **البرادي وأبي العباس الشماخي**[3].

أما كتاب سير الأئمة وأخبارهم. **لأبي زكريا** يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت 474هـ/ 1081م)، الذي كتبه نهاية ق5هـ أصوله ترجع إلى ورجلان، وأخذ عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (471هـ/ 1078- 1079م)، فهو يقدم لنا معطيات هامة عن بدايات تطور المذهب الإباضي ببلاد المغرب، والتاريخ السياسي للإباضية، وعلاقة الإباضية بالفاطميين بعد سقوط تيهرت، ثم الانشقاقات التي ظهرت بداية من القرن الثاني إلى الخامس الهجري، مستعرضا الصراع الإباضي الفاطمي في هذه الفترة[4]، وأخبار ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد بالأوراس، رغم أنه كان مدافعا عن مذهبه الإباضي الوهبي، وكان موقفه المعادي لأبي يزيد

[1] فتوح مصر وأخبارها. تحقيق. محمد الحجيري. دار الفكر. 1996. ص 338- 340.

[2] تحقيق فيرنر شفارتس والشيخ سالم يعقوب. دار النشر فرانز شتاينر فيسبايدن. 1406- 1986.

[3] تادايوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ترجمة أحمد بومزقو. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2005. ص 91- 92.

[4] المرجع نفسه. ص 63.

واضحا في توصيفه إياه، ثم يفصل في أحداث ثورة باغاية عام 385هـ/ 968م، ودور كل من أبي خزر والقبائل المتحالفة التي كانت تتأهب للدخول في تلك المعركة.

الرقيق القيرواني (ت418هـ/ 1027. 1028):

اشتغل بكتابة الدولة لمدة 25 سنة، ومؤلفه " تاريخ إفريقية والمغرب" غني بأخبار إفريقية والمغرب للفترة التي تلت الفتح الإسلامي وإلى غاية بداية القرن الخامس الهجري[1]. وهو كتاب مفقود، وصلتنا قطعة منه، وقد أشار إلى جغرافية الجماعات الإباضية بالأوراس، حيث يشير الرقيق إلى أحداث كثيرة ترتبط بالتطورات المذهبية ببلاد والمغرب ومنه بالأوراس، ويفصل في ثورة الصفرية بالأوراس وزحفها على القيروان بقيادة عاصم بن جميل، ثم يورد اتحاد الخوارج الصفرية والإباضية على قتال الجيش العباسي تحت لواء أبي قرة الصفري المغيلى الذى أعلن نفسه إماما وحاصروا القائد العباسي عمر بن حفص الذى استطاع أن يكسر حصارهم عام 151هـ، كما اعتبر الرقيق مصدرا مهما لثورة عمر بن حفص[2]، كما نجد **الرقيق القيرواني** يعتبر كتابه معين هام لأغلب المصادر المتأخرة؛ مثل ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233)، **وابن عذارى** (ت بعد 712هـ/ 1312). **وشهاب الدين النويري** (ت 732هـ/ 1331. 1332). **وابن خلدون** (ت 808هـ/ 1406)، وابن الحاج النميري (ق8هـ)، على أن تأخر هذه المصادر لا يعني بالضرورة أنها بلا قيمة لهذا الموضوع.

ابن حماد الصنهاجي (ت 628هـ/ 1231م):

نشأ بقرية "حمزة" قرب قلعة بني حماد، في عهد الناصر بن علناس في القرن السادس الهجري، وطاف الكثير من المدن ببلاد المغرب والأندلس،ـ ويعتبر مصنفه "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" مهم في أحداث القرن الرابع الهجري بالأوراس/ 10م، إذ ينفرد هذا المصنف بمعلومات دقيقة طوبونومية وإخبارية تخص المجال

[1] قال عنه ابن خلون: "وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بها، ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد". المقدمة. ص 4.

[2] الرقيق القيرواني. تاريخ إفريقية والمغرب. ص 13 ،81. وقد أشار علاوة عمارة في دراسة له حول هذا المؤرخ إلى الاختلاف الذي حدث حول الدارسين خاصة بين محمد الطالبي والهادي روجي ادريس حول التوجه المذهبي الشيعي للرقيق. وكانت نهايته الإعدام. ويطرح هذا الأمر إشكالية أخرى تتعلق بالتاريخ السني الذي يكتب من طرف خصومه الشيعة الذين أضفوا الشرعية على الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب وحلفاؤهم من بعدهم الزيريين. علاوة عمارة. الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب. التاريخ العربي. ع 25. (2003) ص 116.
Abdelhamid Fenina. « Réflexions sur la révolte des Berbères kharijites au Maghreb sous le gouvernement de ʿUmar b. Hafs (151-154/768-771) ». Une relecture des sources textuelles à la lumière des sources numismatiques », *Revue Tunisienne de Sciences Sociales*, 138, (2009), p. 134- 135.

الأوراسي، يوردها في سياق حديثه عن أحداث القرن الرابع الهجري للمنطقة، حيث شهد الأوراس أحداث ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

عز الدين ابن الأثير الجزري (ت630هـ/ 1233م):

كان محدثا ومؤرخا، اهتم بالتاريخ السياسي والعسكري التي غلبت على مصنفه، ومن النادر جدا العثور على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمنطقة، رغم أنه ذكر فترات الفتح الإسلامي التي نقلها عن سابقيه، كما قدم ابن الأثير أخبار الخلافة الفاطمية ونشأتها ببلاد المغرب، إلى غاية سقوطها.

اعتمد في كتابة الكامل في التاريخ على مصادر مغربية، ويعتبر أول من نقل عن ابن شداد الصنهاجي الذي كتب في مصنفه الجمع والبيان عن تاريخ بلاد المغرب للجمهور المشرقي، والذي حظي باهتمام أصحاب التواريخ المشارقة واعتمدوا عليه كلية في نقل كل ما تعلق بأخبار المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية ثورة الميورقيين[1].

ابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م):

من أهم المصادر الموضوعية للتاريخ السياسي لبلاد المغرب، لأنه اعتمد على مصادر متنوعة ومنها ما هو مفقود مثل المؤرخ القيرواني الوراق وغيره[2]، وترتبط الروايات التاريخية لابن عذارى كثيرا بموضوعنا في الكثير من فصوله خاصة ما تعلق بتحالف زعيم قبيلة "أوربة" كسيلة مع أبي المهاجر دينار، كما يشير إلى بعض الأحداث الاجتماعية والتغيرات الاقتصادية التي تكون قد مهدت لظروف الإنهيار الأغلبي مثل مجاعات عام 260هـ/ 873م ثم في عام 266هـ/ 879م، وما صاحبها من القحط، والوباء والطاعون. لتقع المنطقة تحت الحكم المستبد للأمير إبراهيم بن أحمد عام 268هـ/ 881م، لكنه لم يفصل كثيرا في أخبار الدعوة الشيعية وما عرفته منطقة الأوراس من أحداث. [1]

[1] علاوة عمارة. الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط. التاريخ العربي. 32. 2004. ص 350- 351.

[2] يشير ابن عذاري إلى مصادره ومنها: تاريخ الطبري، والبكري، والرقيق، والقضاعي، ومن كتاب الذيل لابن شرف، ومن كتاب ابن أبي الصلت، ومن المجموع المفترق، ومن كتاب بهجة النفس وروضة الأنس، ومن كتاب المقباس، والمقتبس، والقبس، ومن مختصري عريب وابن حبيب، ومن درر القلائد وغرر الفوائد، ومن القلائد، والمطمح لابن خاقان، ومن كتاب ابن حزم، وذخيرة ابن بسام، ومن أخبار الدولة العامرية لابن حيان، ومن كتاب تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء، ومن كتاب الأنوار الجلية في الدولة المرابطية، ومن نظم الجمان في أخبار الزمان لابن القطان، ومن كتابي الأشيري والبيذق، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحب الصلاة أبي مروان، ومن كتاب ابن رشيق، ومن كتاب وجدته أو تعليق، ومن شيوخ أخذت الأخبار الوقتية عنهم بتحقيق. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق. ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. دار الكتب العلمية. بيروت. 2009. ج1. ص 2 3.

النويري (ت733هـ/ 1332م):

يهمنا من هذا المؤلف "نهاية الأرب في فنون الأدب" الجزئين 24 و28 الأول يخص الفترة ما بعد الفتوح الاسلامية إلى حدود القرن الثامن؛ خاصة الأوراس في العصر الأغلبي، حيث قام محمد الثاني (أبو الغرانيق) 250هـ261هـ/ 864م 875م) بمجموعة حملات عسكرية حتى تظهر قوة الأمير ويحافظ على نفوذه خاصة في المناطق النائية، وكانت هذه العمليات التي اعتبرت جزءا من الطرق العادية للحكم والسيطرة قد خلقت الأرضية التي ستتشكل منها بداية سقوط هذه الإمارة[1].

أما الثاني فنجد ما يتعلق بفترة الوجود الإسماعيلي (الدعوة والدولة) ببلاد المغرب. وينقل عن الرقيق القيرواني الذي وصلنا قطعة من تاريخه حول إفريقية، ولا تخفى قيمة هذا المؤلف الذي اشتغل في البلاط الزيري في ديوان الإنشاء وهو ما يسمح له بالاطلاع على الوثائق، وبأن يكون شاهد عيان على الكثير من الأحداث الخاصة ببلاد المغرب.

ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م):

قلما نجد دارسا للبربر دراسة شاملة مثلما فعل ابن خلدون الذي كان على مسافة قريبة جدا من الكثير من الجماعات البربرية في القرن الثامن الهجري/14م. ونتيجة اعتماده على مصادر مختلفة تخص تاريخ وأنساب البربر. ذكر ابن خلدون أهم علماء الأنساب البربر الذين نقل عنهم ومنهم: ابن حزم الذي نقل عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار، وهو الذي نقل عن يوسف الوراق. إضافة إلى سابق بن سليمان المطماطي، وهاني بن مسرور، والكومي، وكهلان بن أبي لؤي[2].

أما الحضور الإباضي والصفري في المغرب، فإنه لا يتناوله في إطار دولة خاصة بهم: الصفرية والاباضية كما في هو الواقع التاريخي، بل وزعه وشتته في تاريخه لقبائل البربر المختلفة، كأخبار هوارة، ولماية، ونفزة، ومغيلة، وبني يفرن، كما أدرجها أيضا مع أخبار العرب، وليس على أساس مذهبي. وقد يعود ذلك إلى مخالفة هذه المذاهب المعايير السنية التي يقرها ابن خلدون.

[1] النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق مصطفى أبو الضيف أحمد. دار النشر المغربية. المغرب. 1985. ص 273. محمد الطالبي. الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي. 184-296هـ/ 800-909م. تعريب. المنجي الصيادي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1995. ص 293.

[2] ديوان العبر. ج6. ص 117- 118.

لذلك يطرح سؤال حول إقصاء ابن خلدون أخبار دول الصفرية والاباضية التي شتتها في أخبار القبائل، أما تأريخه للفاطميين أو غيرها من المعارضة فيدافع عنها نظرا لنسبها الشريف إلى بيت النبوة، وهي الأسس التي يؤمن بها ابن خلدون ونظرته للفرق الخارجة عن الجماعة.

تحفل المقدمة بأسس العمران البشري وهي من قواعد الجغرافيا التاريخية في جانبها الديموغرافي، ولو أن استفادتنا من هذا القسم محدودا رغم أنه أصّلَ لقواعد وأسس الكثير من الجوانب التي لها علاقة بموضوعنا؛ فقدم مفاهيم لمفردات كثيرة لها صلة بإشكالية "العصبية القبلية" و "العمران البدوي" و"الدولة"، والعلاقات المجالية بين البدو والحضر بين الصراع والتحالف والمجاورة والمنافسة، واختلاف نمط العيش بينهما؛ بين استغراق الجبليين في البداوة والتوحش والانعزال، وبين أحوال الحضر في سكن القصور ورقة الحضارة، وهي المراحل التي تفصل البدو عن تخطيط الأمصار وتأسيس الدول، فضلال عن آرائه في اللسان واللغة، وأصول وأنساب البربر والعرب وغيرها من الكثير من القضايا التي اعتبرت كقوانين للعمران البشري.

الداعي إدريس عماد الدين القرشي (ت872هـ/ 1468م). **عيون الأخبار وفنون الآثار:**

أهمية الكتاب في التأريخ للمرحلة السياسية الفاطمية ببلاد المغرب. اعتمد على مصادر مفقودة مثل كتاب **الحسن بن زولاق** (ت386هـ/ 997م). "**سيرة جوهر**". و**كتاب حيدرة الكتامي "سيرة كتامة"**. يفصل الداعي عماد الدين القرشي في حيثيات الدعوة الإسماعيلية بإقليم كتامة، ويشير إلى مختلف الإثنيات التي كانت لها علاقة بهذا المجال المحاذي للأوراس الغربي، ثم بداية توسع وانتشار الدعوة في إقليم الأوراس.

ولذلك فإن قيمته مهمة بالنسبة للأوراس في هذه الفترة، تكمن في ما يتعلق بالمجالات التي شهدها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، فهو يذكر بعض هذه المجالات التي لا نجدها في مصادر أخرى، مثل "فحص طاقة" و"فحص باتنة" حيث مكان المعركة التي خسر فيها أبو يزيد عشرة آلاف من أتباعه معظمهم من بني كملان[1].

الشماخي يلخص حوليات أبي زكريا، والدرجيني ويكملها بمقتطفات مهمة من باقي المؤلفات الاباضية غير المعروفة، ومن أهمها: كتاب السير لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ/ 1074-79م) وكتاب السؤالات لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي، القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، وكتاب سير مشائخ نفوسة لمقرين بن محمد البغطوري (كتبه سنة 599هـ- 1202م).

[1] ابن حماد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تح جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ص 41.

عموما فإن كتب السير الإباضية تعكس التطور الفكري وتؤكد هوية المجتمعات المحلية للخلافة الإسلامية، وتدرج ضمن كتب الفضائل والمناقب للعلماء والأولياء الخاصة بالنخب الإباضية الوهبية. وهي نصوص تسلط الضوء على حياة النخب وعلاقاتها بالجماعة الإباضية، جمعت في أوقات مختلفة، واستطاعت الحفاظ على الذاكرة الجماعية للنخب السائدة والحاكمة للإباضية الوهبية[1].

4- النصوص الوصفية:

كانت مساهمة الأدب الجغرافي والرحلة المشرقية في معرفة المغرب قليلة؛ فأغلب الأعمال المتقدمة تكشف بوضوح على محدودية مساهمة الأدب الجغرافي العربي الإسلامي في معرفة بلاد ومجتمع المغرب العربي القديم[2]، لذلك لا بد من إعادة التحقق من بعض الفرضيات المتقدمة من تفسير البيانات المتعلقة بجغرافية المنطقة خاصة في فترة القرون الأولى من الإسلام.

ورغم أن الأمر يختلف في العصور الوسطى، من حيث الكم الهائل من المصنفات الجغرافية وكتب الرحلة العربية، وما دون حول هذا الجانب الذي يعطي مادة غزيرة للجغرافيا التاريخية، إلا أن استفادتنا منها تبقى محدودة لقلتها بمجال الأوراس، بل لبلاد المغرب بصفة عامة. ويمكن أن يعزى ذلك إلى طبيعة هذا الصنف من التأليف المرتبط بالكتابة لأغراض الإدارة والبريد والخراج، والمتعلقة بالسلطان أكثر.

وقد اعتمدت على ثمانية مصادر في هذا الجانب، وأنا على يقين من أن هذا النوع من المصادر مفيدة لمجالنا، إذ نجد معلومات متفرقة تخص معطيات هامة بالغرب الإسلامي، خاصة ما تعلق بالعمارة، والمسالك والطرق، والجماعات والتوزيع القبلي، **كما** ركزت **المصنفات الجغرافية وكتب الرحلة** على وصف الشبكة المائية ببلاد المغرب وإبراز خصائصها الطبيعية والتقنية وتباين صبيبها خلال السنوات الرطبة والجافة، كالأنهار

[1] Allaoua amara. *op.cit*, 15 (2008).

[2] على سبيل المثال، فإن ما يميز المدونة الجغرافية العربية رغم ما يمكن أن نجد فيها من التجديد، فمن أهم خصائصها هو التقليد و التكرار والنقول عند الرحالة والجغرافيين المشارقة، ولكن هذا لا يعني أننا لا نجد أصنافا أخرى تتميز بالتجديد والتقليد في الشكل أو المضمون رغم شيوع ظاهرة التكرار لدى أغلب النصوص المشرقية.

أما عن مساهمة هذه النصوص حول التاريخ القديم لبلاد المغرب فهو نادر جدا، مثلما يرى أحمد سراج الذي يقول بأن الجغرافي رغم أنه كان كرجل ميداني، أفضل وضعا للنظر في الحقائق الأثرية. هذه الحقائق التي تشهد على الماضي والحضارات البعيدة المتتالية في المنطقة، إلا أن هذا الماضي لم يستوعب جيدا من قبل هؤلاء الجغرافيين. لقد لاحظنا ذلك، عموما، بين الجغرافيين العرب، أن الموقع القديم لبلاد المغرب ليس فكرة تاريخية، ولكن وهو معلم طوبوغرافي. ومع ذلك، تبقى هذه المصادر قادرة على تقديم البيانات المتعلقة بالجغرافيا التاريخية للمنطقة خاصة في الفترات المتأخرة.
Ahmed Siraj. *L'image de la Tingitane. L'historiographie arabe médiévale et l'Antiquité nord-africaine*. Rome : École Française de Rome, 1995. p. 618.

والجداول والسواقي المتفرعة منها، والآبار، والعيون، والحمامات وغيرها، ويبقى مدى الاستفادة منها يختلف من مؤلف إلى آخر.

اليعقوبي (ت نحو 284هـ/ 897م):

أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب اليعقوبي العباسي، جده كان مولى المنصور العباسي، تولى مناصب إدارية كبيرة، وعين واليا على أرمينية وأذربيجان، ثم واليا على مصر عهد الخليفة المهدي، وأصبح يتولى بريد مصر، وكان يتشيع سرا، وكانت أسرته تتوارث العمل في الدواوين، إذ كان أبوه إسحاق يشتغل في منصب عامل البريد.

سمحت تنشئة اليعقوبي في البلاط الطاهري والطولوني، والعمل الإداري، من الاطلاع على الوثائق الإدارية المتعلقة بالخراج والبريد، كان شغوفا بالجغرافيا والسفر، وزار العديد من البلدان، ويذكر ياقوت الحموي أربعة كتب لليعقوبي[1]، وهي: كتاب التاريخ الكبير، كتاب أسماء البلدان، كتاب في أسماء الأمم السالفة، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم. وإذا كان كتاب "أسماء الأمم السالفة" مفقود، فإن "مشاكلة الناس لزمانهم" فهي محققة، ويذكر اليعقوبي كتاب آخر في قوله: "وقد ذكرنا كتاب فتح إفريقية وأخبارها في كتاب أفردناه"[2]. أما كتاب "البلدان" الذي اكتمل تأليفه بمصر عام (278هـ/ 891م)، فيقول الكاتب أنه اعتمد فيه على السؤال والإحاطة بكل ما يتعلق به من الأوضاع[3].

يعتبر من المصادر المبكرة الخاصة بالوضعية العقدية وتوطين الإباضية بجنوب الأوراس والزاب، من انجاز الرحالة الشيعي اليعقوبي الذي زار بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/9م، أي فترة قليلة قبل تأسيس الخلافة الفاطمية. في كتابه "البلدان"[4]، ذكر التجمعات الحضرية والريفية بالزاب خاصة الأفارقة والروم المستقرين في المراكز الحضرية الكبرى مثل طبنة، باغاي، بسكرة وواحاتها. لكن بالنسبة لأرياف الزاب فقد اتبعت اتجاها دينيا آخر، هو الذي أشار اليها بلفظة "شراة" أو يسميهم بدقة " الشراة الإباضية".

[1] إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1993. ج2. ص 557.

[2] البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. ص 191.

[3] عن الطريقة التي اعتمدها اليعقوبي في تأليف كتابه، يقول:" فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصر، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره، سألته عن بلده ذلك في .... لدته؟.. ما هي وزرعه ما هو؟ وساكنيه من هم من عرب أو عجم؟ ... شرب أهله. حتى أسأل عن لباسهم ... وديانتهم ومقالاتهم والغالبين عليه..." البلدان. ص 09.

[4] البلدان. ص 188.

الكثير من المدن والحواضر التي يذكرها اليعقوبي استمرت كحواضر للمور أو كمراكز لتوطن طلائع جند الفاتحين الأوائل، وقد انتعشت الكثير من هذه المراكز في القرون التالية ولعبت أدوارا هامة ليس فقط في الأوراس بل في كامل مجال إفريقية والمغرب، مثل لمباز، وبلزمة، وزانة، فيما انتعشت بقية الحواضر خاصة المدن الطرفية بالأوراس مثل باغاي نقاوس إلى حدود مدينة طبنة، وكل هذه الحواضر كنت تشكل محطات هامة في الطرق والمسالك القديمة بين حواضر الأوراس، وقد اتخذها السلطة الأغلبية كحصون متقدمة لحدودها الغربية التي ستتحمل أولى حملات التوسع التي سيقوم بها أبو عبد الله الشيعي في العشرية الأخيرة من القرن الثالث الهجري.

ابن حوقلت (977/380م):

هو أبو القاسم محمد بن علي النصيبي الموصلي البغدادي، المعروف بابن حوقل، نشأ في بغداد إلى أن غادرها عام (331هـ/ 934م)، اشتغل بالأسفار والتجارة، وكان اهتمامه بالجغرافيا دافعا للالتقاء "بالإصطخري" صاحب كتاب "المسالك والممالك" عام (340هـ/ 952م)، ويعتبر من جغرافيي المدرسة الجغرافية للقرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي[1]، وكان لهذا اللقاء أثره الكبير في مصنفه الجغرافي" صورة الأرض" الذي أكمل فيه عمل معاصره الأكبر منه سنا "الإصطخري"، وقدم المسودة الأولى من كتابه إلى "سيف الدولة الحمداني" (333هـ/ 356هـ/ 954- 967م) طاف الكثير من الأقطار واستمرت رحلته ما يزيد عن ثلاثين سنة، وتوفي في عام (380هـ/991م)

زار المنطقة وكان معاصرا لأيام الفاطميين بالمغرب، لذلك فإن مؤلفه "صورة الأرض" يعتبر شاهد عيان على أوضاع المنطقة في هذه الفترة الهامة؛ فيذكر **ابن حوقل** الكثير من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمدن وحواضر الأوراس، كما لم يغفل نظم المياه والفلاحة والأنهار والعيون، وكان اهتمامه بالمسالك والطرق، التي تربط مختلف مدن وحواضر الأوراس، وتقدير المسافات بينها. وقد أشار كذلك إلى علاقات مختلف هذه الحواضر بالمذاهب الإباضية وغيرها، مثل بادس وبسكرة وباغاية.

[1] عبد الرزاق أبو الصبر. تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤلفة قبل نهاية القرن الخامس للهجرة. دار الكتب العلمية. بيروت. 2013. المجلد الأول. ص 266- 272. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1957. ج 1، ص 201- 206.

المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم[1]:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي، المعروف بالبشاري. ولد بالقدس عام (335هـ/ 946م)، أبوه كان بناء عهد أحمد بن طولون، بعد حجه عام (356هـ/ 967م) طاف الكثير من البلدان في العراق والشام والجزيرة ومصر والمغرب واليمن، وبلاد فارس وخراسان والسند. وكان يتولى الوظائف والتجارة، ويتميز بالتدين والنزاهة، واعتبر من أكثر الجغرافيين الكلاسيكيين العرب وآخرهم، ومصنفه يتميز بمنهج علمي خاص وهو نموذج ممتاز للدراسة الجغرافية الإقليمية المنسقة ومعلوماته ذات الطابع الجغرافي العلمي. يختص لكل إقليم بخريطة، كما التزم بالعامل الطبيعي في تقسيماته الإقليمية، والتي كثيرا ما تتضارب والعامل السياسي والإداري. وقسم الأقاليم الرئيسية إلى أقسام إدارية، تحدث عن كل واحد على انفراد، فقسم الإقليم إلى كور والكور إلى رساتيق[2].

وقد جمع في مصنفه بين التنوع والشمولية والموسوعية والتبويب والتصنيف، يقدم المقدسي صورة عن أوضاع الأوراس من خلال أوضاع بعض حواضره في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ورغم اجتياح الجماعات الهلالية للمنطقة، فإن المقدسي يقول عن باغاية أنها" كبيرة مسورة تحت جبل يقال له أوراس يجري إليهم منه ماء كثير البساتين"[3]. كما يشير إلى المسالك والطرق بالمنطقة التي تربط بين المدن والحصون المتجاورة بمجال الأوراس، والمراحل والمسافات التي تقطعها هذه المسالك.

كما استفدنا من هذا المصدر في ارتباط حواضر الأوراس بشبكة من الطرق مع القيروان[4]، كالطريق الذي يمر عبر الجريد، تامديت، بادس، تهودة، وبسكرة. وأما الطريق الثاني الذي وصفه المقدسي يربط بين الأربس وتيجيس منذ العصور القديمة وأُنشأ طريقا جديدا بين تيجيس والحنة.، وطريق الذي وصفه وقال أنه الطريق الأكثر استخداما وأشهرها في الشرق.

---

[1] هناك اختلاف في تاريخ وفاة المقدسي بين تواريخ 377هـ، و تاريخ 387هـ. فيما يضع كراتشوفسكي تاريخ 390هـ. تاريخ الأدب الجغرافي. ج1. ص 209- 210.

[2] يقول المقدسي عن اعتماد مؤلفه على معرفة المجالات على أساس: "مساحة الأقاليم بالفراسخ، حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حررتها، وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها، وتدبري في الكور حتى فصلتها، وبحثي عن الأخرجة حتى أحصيتها، مع ذوق في الهواء، ووزن الماء، وشدة العناء، وبذل المال، وطلب الحلال..." أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ص 8 9. شاكر خصباك. الجغرافيا عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1986. ص 60.

[3] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ص 184 197.

[4] Claudette Vanacker. « Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle ». *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 28, 3, 1973. p. 664.

أبو عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م):

ولد أبو عبيد البكري في عام (432هـ/ 1041م) غربي اشبيلية في (شلطيش)، ثم انتقل إلى قرطبة، ومنها إلى المرية، له تصانيف عديدة شملت مختلف الميادين في التراجم واللغة وغيرها. أما كتابه "المسالك والممالك" فاعتمد فيه على جمع ما كتبه من قبله فيما يخص العادات وحياة الشعوب، وعلى الروايات التي ترده من التجار والمسافرين، حيث كان مقيما بقرطبة.

اعتبر "أكبر جغرافي أخرجته الأندلس قاطبة" تتلمذ على يد العذري وابن عبد البر[1]. ورغم أنه لم يغادر الأندلس إلا أن مؤلفه "المسالك والممالك" له أهمية كبيرة لدراسة بلاد المغرب، ولعل ذلك يعود إلى مصادره التي اعتمد عليها، وعلى رأسهم محمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/ 973م)[2] الذي ألف كتاب "المسالك والممالك" أهم مصدر نقل عنه فيما يتعلق ببلاد المغرب. فكان مؤلفه يجمع بين التاريخي والجغرافي في مضمونه، كما يربط البكري الرواية التاريخية بأحداث القرن الأول الهجري مع فتوحات عقبة بن نافع ومعركته مع جماعات البربر، ولقائه مع خصمه الذي كان محبوسا مع أبي المهاجر دينار كسيلة. هذا الأخير الذي قضى على عقبة بتهودة التي أصبحت موضوع كثير من الروايات التاريخية التي ترفع من شأن هؤلاء الذين ماتوا فيها[3]، والمصدر ثري بتاريخ عمران الكثير من الحواضر والمدن بالأوراس.

الإدرسي. (ت562هـ/ 1166م):

يوقفنا هذا المصنف على التغيرات التي طرأت على المنطقة بعد القرن الخامس، والتغيرات الحدودية التي ستقوم بها الأسرة الباديسية على المجالات انطلاقا من بجاية، التي سترتبط بالعديد من حواضر الأوراس في هذه الفترة، وقد حدد الإدريسي أهم هذه الحواضر والمسافات التي تفصلها عن العاصمة الحمادية بدقة المراحل[4]، وتتعلق بمدن باغاية، وقلعة بشر، وتيفاش، وقالمة، وتبسة، وطبنة سبع مراحل[5]. قد استطاعت بجاية احتواء هذه المناطق الطرفية بربطها بالتجارة بالدرجة الأولى.

---

[1] كراتشوفسكي.المرجع السابق. ج1. ص 274.

[2] هو المؤرخ الجغرافي المعاصر للخلافة الفاطمية، عاش بالقيروان وتوفي بقرطبة، ألف كتاب حول مسالك وممالك إفريقية، وهو كتاب مفقود، قد وردت نقول كثيرة منه تخص افريقية وبلاد المغرب من طرف المؤرخين والجغرافيين بعده، خاصة في كتاب "المسالك والممالك" للبكري الذي اعتمد عليه كثيرا.

[3] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 255.

[4] الإدريسي. نزهة المشتاق. ص 269 .

[5] المصدر نفسه ، ص 260.

وتظهر أهمية النصوص الجغرافية الحضرية بعد الإدريسي في نهاية العصر الحمادي حيث نجد أن جغرافيته شاهدة على التنمية الحضرية وتركيز معين من الأنشطة في جميع أنحاء المجتمعات الريفية بذكره الأسواق الأسبوعية. وقد عزز إنشاء هذه الأسواق إلى التقارير الداخلية حملات المجتمعات الريفية استقروا في المدن والحصون والاستفادة من الإنتاج الزراعي المحلي والتسويق. وأصبحت المجتمعات الريفية مقصدا للتجار في المدن[1]. فكانت مجانة في هذه الفترة " بلدة صغيرة"[2]، وهذا بسبب دور القبائل الهلالية التي كانت عاملا في تقييد الحياة الاقتصادية بالمنطقة والتي أحيطت كلها بالبدو. أما تبسة فتكاد لا تذكر في هذه الفترة كنقطة تستطيع أن تكون قادرة على استضافة حاكم معين من قبل السلطة المركزية وحامية صغيرة. كما لا يوجد أي مؤشر يوحي بتطور تبسة ومجانة تحت سلطة الموحدين، هذا يعود لسيطرة الهلاليين ونفوذ الجماعات الريفية خلال فترات ضعف السلطة المركزية فأدى إلى وقوع المنطقة على الهامش[3].

مؤلف مجهول. الاستبصار:

يعود تاريخ تأليف هذا الكتاب إلى عام (587هـ/ 1191م) وهذا من خلال ما قاله الكاتب[4]، ويظهر أن الكاتب اعتمد كثيرا على مؤلف البكري في مصنفه "المسالك والممالك" إلا أنه يصف بلاد المغرب كشاهد عيان. أما بالأوراس فتظهر أهميته في وصف الحواضر ومواقع المدن، خاصة وبنظم المياه فيها، والأنهار في الناحية الجنوبية للأوراس[5].

غير أن الكاتب لم يتطرق إلى تأثير الأحداث التي عرفها الأوراس في هذه الفترة من النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ ق12م، والتي تميزت بالاضطرابات التي أحدثتها حركة بني غانية، ومدى تأثيرها على العمران والجوانب الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. واكتفى فقط بالإشارة إلى حركة قراقوش شرق إفريقية ومساعدته لابن غانية الميورقي، ولكنه لم يتطرق إلى أعماله بغرب إفريقية[6].

[1] Allaoua Amara. « Communauté rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central », p. 193.

[2] الادريسي. المصدر نفسه. ص 138

[3] Yassir Benhima, Pierre Guichard, *op, cit*, p.109- 110.

[4] الاستبصار. ص 111 138.

[5] مجهول. الاستبصار. ص 174.

[6] المصدر نفسه. ص 110- 111.

وإذ نجد الكثير من معوقات البحث الجغرافي حتى القرن السابع الهجري/13م والمتمثلة في جهل الإخباريين والجغرافيين بأحوال المغرب الأوسط، وطغيان النقول من المصادر السابقة التي تعتمد على نقل الروايات الشفاهية المتداولة، وهذا ما يحد من الإلمام بتفاصيل الكثير من المجالات والأقاليم، وفي المرحلة التي تقل فيها المصادر التاريخية حول أوضاع مجال الأوراس.

كما تسهم النصوص الجغرافية في التأريخ للحياة المذهبية بالأوراس؛ ففي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يقدم لنا **ابن سعيد** (ت 685هـ/ 1286م) شهادته عن سكان جبل أوراس أنهم: "لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل، ولما عندهم من الخيل والرجالة والأسلحة. وهو كثير الخيرات، وأهله خوارج، ومعظمهم من لواتة"[1].

ابن الحاج النميري. (ت بعد 774هـ/ 1372م) "فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب":

يظهر ابن الحاج ليميط اللثام على الكثير من التغيرات التي حصلت في هذا الإقليم في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، خاصة ما تعلق بثلاثة جوانب هامة، ويتعلق الأمر بالعمران والمجتمع والبيئة؛ إذ يقدم لنا شهادة على جغرافية العمران في خط سير رحلته، والتي تميزت بانتشار "القصور" التي كانت تسيطر عليها القبائل المتمردة على السلطة. وهي القبائل التي كانت ترفض الانصياع للسلطة المركزية، كما يصف شتاء الأوراس وقساوته، وفيضان أنهاره.

أهمية هذه الرحلة لموضوعنا هو أنه جاء في مرحلة تكاد تنعدم فيها المصادر الخاصة بأحداث المجال الأوراسي، ولو أن الرحلة ارتبطت أكثر بشخص الأمير الحفصي أبي عنان المريني (729هـ- 759هـ/ 1327م- 1357م)، إلا أن صاحب الرحلة (النميري) الذي دخل الأوراس مرورا بقسنطية، القنطرة، نقاوس، طولقة، إلى حدود الزاب جنوبا، يقدم لنا صورة في مؤلفه بأسلوب أدبي راق جدا، غلب عليه وصف المنطقة وخصائصها المتعلقة بالبيئة، والعمران والقصور، والمعالم الأثرية، والمسالك والأوطان، وأهم القبائل، والعلاقات التي كانت تربطها بالسلطة.

[1] ابن سعيد. كتاب الجغرافيا. تحقيق. إسماعيل العربي. المكتب التجاري. بيروت. 1970. ص 145.

كما أن الرحلة تضع إقليم الأوراس في سياق عام مرتبط بمجالات بلاد المغرب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وصراع الحفصيين مع المرينيين على اكتساب المجال، فكان الأوراس أحد نقاط الصدام بينهما من خلال تركيبته القبلية المختلفة الولاءات.

ويختم **ليون الإفريقي** قائمة هذه المصادر، ويعطينا صورة متنوعة عن الأوراس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، تشمل الجوانب التاريخية، واللغة ونمط العيش للجماعات المستقرة في المناطق التلية والأطلسية والتي تحترف الزراعة والرعي[1].

مسألة هامة وشائكة تحتاج المتابعة الدقيقة مع الاستعانة بتخصصات أركيولوجية ولسانية وغيرها هي تلك التي طبقها **أحمد مشارك** حول استمرارية أسماء القبائل وتوطينها منذ العصور القديمة، وفي دراسة حول العديد من القبائل مثل صنهاجة وبعض بطونها مثل مسوفة والتي تنتمي إلى اتحاد قبلي يسيطر على المجالات الجنوبية لبلاد المغرب، وانخرطوا في تجارة القوافل واستغلال الملح وتتحكم في المسالك الصحراوية .وقد اعتمد مشارك على النصوص الجغرافية لكل من اليعقوبي، والاستبصار، لتحديد مجالات صنهاجة بالمغرب الأوسط والتي تقع غرب مجال الزاب في كل من "هاز" و"متيجة"[2]. وهي مجالات كانت تحت نفوذ موريطانيا القيصرية. أما بالنسبة لمسوفة التي توسعت نحو شمال المغرب وبلاد الأندلس فقد ظهرت على مسرح الأحداث منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وانتشرت في الكثير من المناطق مسببة اضطرابات كثيرة وقلاقل للدولة الموحدية خاصة بعدما تحالف بنو غانية مع بعض القبائل العربية بالمغرب الأوسط وإفريقية[3].

الدراسة التي تهمنا أكثر في هذا الجانب فهي تلك المتعلقة باستمرارية طوبونيميات "هوارة، وزناتة"[4] في الأوراس والمناطق التي تنتشر فيها هذه الجماعات، اعتمد فيها على المقاربة الطوبونيمية والبحث التاريخي

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي). وصف إفريقيا. ط 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983. ج1. ص 91. 425.

[2] Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours : le cas des Berbères Aurès (Hawāra)et Dianenses ou Zanenses (Zanāta) ». *Académie des inscriptions & belles-lettres comptes rendus des séances de l'année 2015*. janvier-mars. (2015).

Ahmed M'charek. « De tacite à ibn khaldûn. À la recherche de deux tribus berbères : *masofi* (masûfa) et *vsinazi* (banû sināg/anhadja) ». Actes du 7ème colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes : Sbeïtla, session 2010.p. 242 244.

[3] Ahmed M'charek. « De tacite à ibn khaldûn ». *ibid*. P. 241 242.

[4] Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours ».

والأثري متتبعا استمرارية هذا الطوبونيم "هوارة" في مختلف المراحل وعبر الكثير من المواقع التي عرفت استقرار هذه الجماعات وبطونها، والتي سنتطرق إليها في الفصول التالية بالتفصيل.

استفدنا من دراسات **جون بيار لابورت (Jean-Pierre Laporte)** حول تاريخ بعض المجالات بالأوراس والقبائل التي كانت تستقر بها، ومنه الشريط الذي يحتوي سهل بلزمة والذي يمتد إلى غاية حدود مدينة نقاوس (Nicivus) مثال على ذلك. يقابل هذا السهل في الطريق المنخفض الممتد من نقاوس إلى قلعة زراي (Zarai)، وموقعها يسمح لها بالإشراف على العديد من المعابر بالجهة، وتمتد جنوبها سلسلة مرتفعات عالية تغلق منخفض الحضنة وتشرف على سهل بلزمة.

كما قدم **لابورت (Laporte)** دراسة تتعلق بتاريخ المجال الذي سيصبح تحت سيطرة قبيلة هوارة[1]، وكان يشمل العديد من الحواضر القديمة، وفي هذا المجال أشار جون بيار لابورت إلى القبائل التي كانت تسيطر على المنطقة الأوراسية والمتمثلة في قبائل "الموسولامي"، وأصبح بعد ذلك خاضعا لمجال قبيلة "هوارة" وبعض فروعها مثل "بني كملان" بعد القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي.

ثم دراسته لمنطقة نقرين بجنوب الأوراس، مشيرا إلى موقع المدينة الذي يحتوي في الواقع ثلاثة مواقع متجاورة وهي اسم ليبي (NGRY) قبيلة من السكان الأصليين. لا زالت مزدهرة في العهد الإسلامي حسب البقايا الأثرية من السيراميك الوفيرة التي تعود إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. لتبدأ في التلاشي بعد ذلك، وبالمثل قدم كزافييه ديبوي (Xavier Dupuis) دراسات حول جغرافية حول الأوراس[2].

وتعتبر دراسة **بول لويس كامبوزا (Cambuzat Louis-Paul)**[3] من الدراسات المجالية المهمة للأوراس في العصر الوسيط، في فترة تقل فيها الدراسات الخاصة بالفترة الانتقالية من المرحلة البيزنطية إلى مرحلة استقرار السلطة الأموية، من القرن (2هـ- 5هـ/ 7م- 11م)، ويعطي صورة عن الاستمرارية في التعمير لمجال إفريقية قبل الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الخامس الهجري. و التحولات التي شهدها مجال التل غداة تراجع السلطة البيزنطية، وفي العهد الأغلبي والفاطمي، بالأوراس يمكن لنا الوقوف في الفصل الثالث من

[1] Jean- Pierre Laporte. « La limite entre les Maurétanie césarienne et sitifiènne ». *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique. Hommage à Pierre Salama*. Publications de la Sorbonne. Paris. 2000. Notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du dyr et des Nememcha).

[2] Xavier Dupuis. « L'épigraphie de la Numidie depuis 1892 ». *Antiquités africaines*, 30, (1994).

[3] Paul-Louis Cambuzat, *L'évolution* des cités du Tell en *Ifrikiya du VII.° au XI.° siècle*, Alger, Office des publications universitaires, tome. 1. 1986,

القسم الثاني من الكتاب[1]، على أوضاع الشريط الحدودي لجنوب غرب الأوراس، حيث يستعرض الكاتب تطور أدوار حواضر الزاب والحضنة، وفيه تعرض لأوضاع حواضر الأوراس، مثل "باغاية"، "بلزمة"، "نقاوس"، وعلاقاتها بالحواضر القريبة منها بالمنطقة.

الأخوين **روني باسي** ,**René Basset** و **أندري باسي André Basset**

قدم (**René Basset**) مجموعة من الدراسات الطوبونيمية الخاصة بالأوراس، وخاصة ما تعلق باللسانيات فيما يمكن أن يكون من تقارب بين الكثير من الأفعال والأسماء والأشياء. بين مختلف المناطق والمجالات البربرية، ووقف روني باسي عند مقارنته بين اللهجات في منطقة الحراكتة بالأوراس ولهجات منطقة الجريد التونسية، بحيث تكون الاختلافات بينها بسيطة جدا في أسماء الإشارة والضمائر وغيرها[2]. وهو ما قام به (**André Basset**) المتخصص في اللسانيات البربرية، والذي يعتبر أحد مؤسسيها.

وبالنسبة لتاريخ "الطوبونيميا بالأوراس" فإن الاهتمام بأسماء مناطقه وأعلامه وجغرافيته يعود إليه، فقد جمع أثناء رحلة إلى جبال الأوراس وبمنطقة "آيت فرح" حوالي 300 اسم. وهذا في إطار عمل مدربي مدرسة اللغات الشرقية الفرنسية بالجزائر. وتعتبر دراسة ميدانية للطبونيميا لأن أشكال الخطاب المحلي حسبما عاينه آنذاك يمكن أن يكون قديم جدا ويعكس واقعا ماضويا لا نملك زمانه بالتحديد[3].

ليونال غالان (**Lionel Galand**) يطرح أسئلة حول كيفية مساهمة المؤرخ وما هي القيمة التي يضيفها في بناء المعرفة التاريخية المتعلقة باللغة، والتي بإمكانها المساعدة إلى حد ما في إعادة تقييم الذاكرة والثقافة التي شيدت في اللغة البربرية، والصفات التي غالبا ما تستدعي النظر في غياب الأبحاث المتعلقة باللغات المستخدمة في بلاد المغرب في القرون الوسطى. وهي المادة التي تساعد المؤرخ على معرفة تاريخ جغرافية الجماعات والمتغيرات اللغوية من خلال هذه المصادر الوسيطية.

كما أشير إلى علاقة اللغة البربرية بالقبائل والمجالات الجغرافية في بلاد المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، فإذا كانت النصوص العربية قدمت قدرا كبيرا من المعلومات عن البربر، يجب أن نشير مرة أخرى إلى

[1] Paul-Louis Cambuzat. *op. cit.* p. 195- 202.

[2] René Basset, « Notice sur les dialectes berbères des Harakta et du Djérid tunisien », Deuxième congrès international des orientalistes, londres, (1891).

[3] André Basset, articles de dialectologie berbère, collection linguistique publiée par la société de linguistique de paris. Paris. (1959). p. 80- 81. Id. *Géographie linguistique de la Kabylie* (1929) et *Atlas linguistiques des parlers berbères (Algérie du nord)* (1936/1939),

وجود علاقة وثيقة بين الأسماء القبلية، والمتغيرات اللغوية والمساحات الجغرافية. ومع ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن النصوص المتداولة هي إنتاج للنخب الفكرية العربية لذلك فإننا نتساءل عن إمكانية عدم فهم لغة العامة، بالإضافة إلى إمكانية عدم معرفة الجماعات البربرية[1].

هنري توكسيه[2] (**Henri Tauxier**) يرى أنه ربما حدث تغير في الاسم بالنسبة لبعض القبائل أو استبدلت بقبائل أخرى منتصرة. ولكن استبعدت فكرة التغيير الأونوماستيكي لصالح فكرة هجرة هذه القبائل، وهذا خيار الكثير من الدارسين. لذلك ومن أجل تقريب الرؤية حول هذه النقطة لا بد من الوقوف على معاني المفردات ومدلولاتها والتي لها علاقة باللغة المستخدمة وأسماء المناطق المرتبطة بمختلف المتغيرات اللغوية عند البربر. فاللغة والأسماء القديمة يعتبران من أهم الدلالات التي توحي بتاريخ المكان والإقليم، والآثار المتبقية لهذه اللغة المفقودة نجدها في أسماء المدن، والمواقع، والأنهار، والجبال، وغيره.

[1] Lionel Galand, « état linguistique de l'Aurès antique ». *Aoures*. 1. 2003.

[2] Henri Tauxier, « Sur la et détermination le sens de plusieurs mots de l'ancienne longue Numidie », *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine*, Paris, 2e, (1866),

الفصل الأول:

حدود المجال الأوراسي وجغرافيته الطبيعية:

محاولة في تفسير طوبونيم الأوراس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: حدود المجال الأوراسي وجغرافيته الطبيعية:

يقع الأوراس عند تقاطع مجموعتين رئيسيتين تشكل الأطلس الصحراوي غرب السلسلة الأطلسية، وهي واحدة من أهم الجبال ببلاد المغرب، لها تضاريس تمتاز بانتظام هيكلها، وطياتها، حيث تنتشر القمم المستقيمة الطويلة الموجهة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ثم تتحول إلى الشرق[1].

هذه السلسلة الجبلية لها صلات مفتوحة وواسعة نحو الجنوب-الغربي، والشمال-الشرقي قريبا إلى نقرين[2]. ثم تنقسم عبر ممرات في الشرق والغرب، عبر الهضاب في الشمال، والصحراء في الجنوب. وهنا تقع اثنين من أكثر الأجزاء الصلبة من الأطلس الصحراوي؛ جبال الأوراس، والنمامشة، حيث يزيد حدة ارتفاعها كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق وتصل لذروتها عند جبل شليا (2382)م[3].

في البدء لا بد من ضبط حدود هذا المجال، وتحديد معالمه قديما وفي العصر الوسيط تحديدا، ولا بد من الإشارة إلى أن الحدود في العصر الوسيط تعتبر من الإشكالات المعقدة والتي ترتبط بالعديد من المجالات التي تحدد طبيعتها، والتي بإمكانها التمييز بين مجالين مختلفين، كما ارتبطت بمفردات ومفاهيم مختلفة؛ فقد نجد على سبيل المثال مصطلح التخوم الذي يدل على حدود الدولة ومجال نفوذها. كما يدل على المجال الذي تمتلكه الجماعة البشرية وتمارس نفوذها عليه. لأن مفاهيم الجغرافيا لم تعد تهتم فقط بتنظيم المكان بقدر ما تهتم "بما يربط الإنسان بالمجال من علائق، لهذا فالمجال ليس معطى ولكنه إنتاج"[4].

فلا يمكن إخضاع الأوراس لأحكام جاهزة وقوالب محددة في سياق معين دون الكشف عن العناصر المشكلة لهذا المجال والعلاقات التي تربط بين قطاعاته المختلفة، ويزداد انتشار هذه المفاهيم خاصة في زمن التحركات الكثيفة للجماعات وحالات عدم الاستقرار بين الكيانات السياسية؛ حيث يزداد الصراع من أجل التوسع، أو الدفاع عن المجال الخاص للدول، والإمارات، والقبائل.

---

[1] Augustin Bernard E, Ficheur, *op. cit,* p. 430.

[2] حول موقع وطبوغرافية مدينة نقرين ينظر:

Emile Masqueray. «Ruines anciennes de Khenchela (Mascula) à Besseriani (Ad Majores)», *Revue africaine,* xxiii, (1879), p.72 73. Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie.* Tome1. Feuille 50. n 128.

[3] Jean-Louis Ballais. et E.B. « Aurès ». *Encyclopédie berbère*, Edi sud v 7 , « 1989 » 2016.p 2. Jean-Louis Ballais. *Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie)*, thèse de doctorat université de Paris1, 1981.p. 10. 11.

[4] محمد بلفقيه. الجغرافيا القول عنها والقول فيها. المقومات الإبستيمولوجية. دار نشر المعرفة. الرباط. 2002. ص 316. هامش رقم 179.

كما نشير إلى أن عمليات التغيير الجيومورفولوجية للسطح تحتاج بشكل ملموس لآلاف السنين ليمكن الوقوف على أبرز التغيرات، ومعرفة الفوارق بصورة واضحة. لذلك فأوصاف المؤرخين الرومان والبيزنطيين لا تزال تشكل إحدى الحقائق التي تتميز بها الكثير من جغرافية الأوراس في العصر الوسيط. إضافة إلى ما تتميز به هذه المجالات من بطؤ في حركة التغيير لارتباطها بالاستقلال والانكفاء عن الذات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

موقع وتضاريس الأوراس

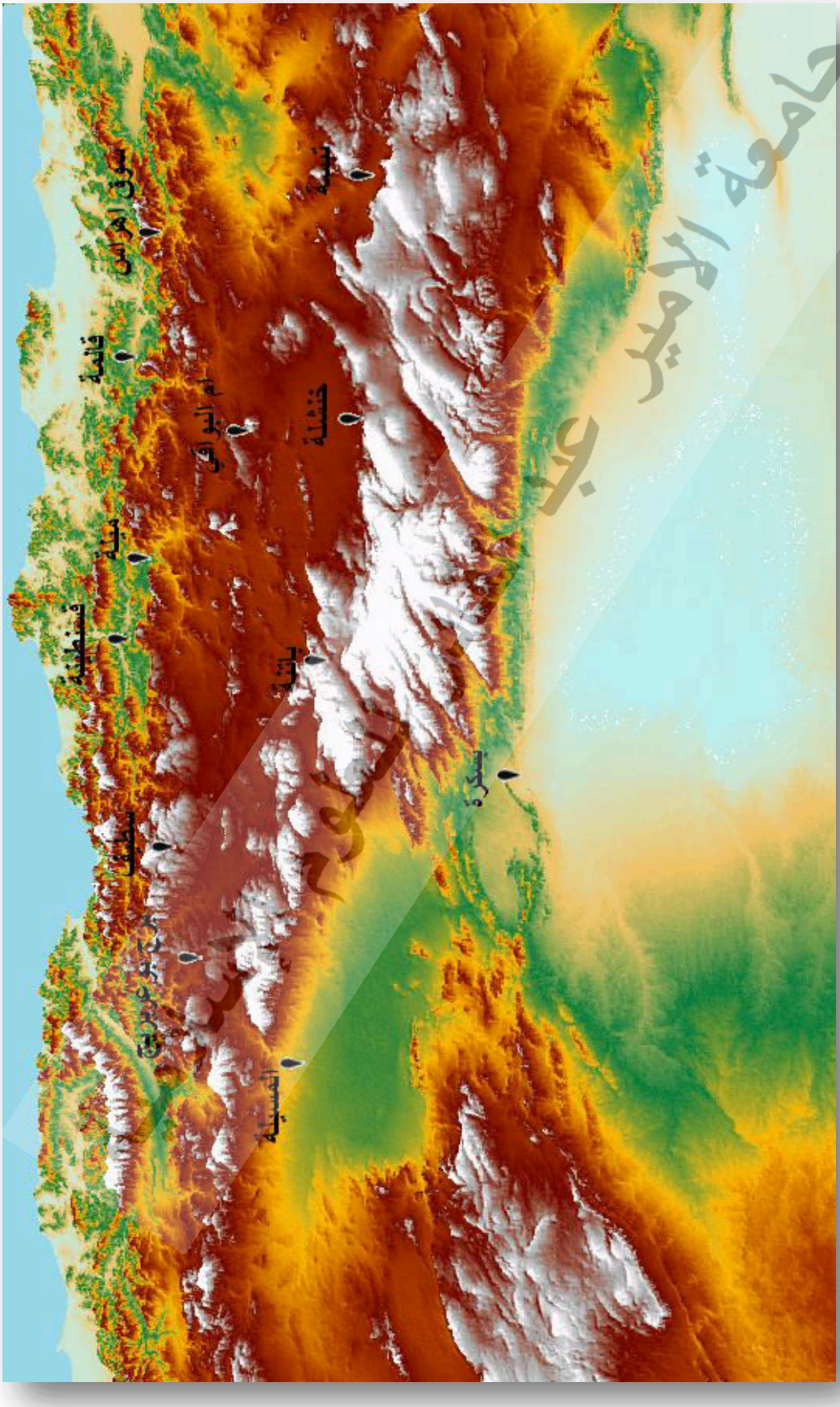

جامعة الأمير عبد القادر

1- التضاريس والمناخ:

تلعب التضاريس دورا هاما في توزيع نطاقات التساقط بمنطقة الأوراس، من خلال تموضعها واتجاهاتها، إضافة إلى تباين النطاق الشمالي المقابل لأقاليم التل والحزام الجنوبي المعرض أكثر لتأثيرات أقاليم المناخ الجاف الصحراوي لقلة أو لانعدام الحواجز الطبيعية أمامه. ولا يمكن عمليا أن نتتبع تاريخيا الأبحاث الخاصة بمنطقة الأوراس لانعدام البيانات من جهة ومن جهة أخرى التغيرات المناخية المستمرة من زمن إلى آخر.

وإذا كانت التضاريس تشهد استقرارا نسبيا، فإنها تؤثر نتيجة لموضعيتها وطبيعة تشكلها في البيئة بالأوراس، فنجد محور قمة شليا (2329م) وتهيمن على السهول الشاسعة الواقعة إلى الشمال على ارتفاع لا يتجاوز 1000- 1100م (سهول خنشلة). كما رتبت التضاريس بشكل متناظر على جانبين، وتتجه للطرف الشمالي في اتجاه جنوبي غربي في شكل طية مقعرة لجبل المحمل (وادي بوزينة) إلى الغرب. وجبل أحمر خدو (بوادي الأبيض) في الشرق. وتنتهي المرتفعات بالتدريج إلى انخفاض نحو القنطرة جنوبا بطية محدبة، وهي في الأصل تشكل حوض الحضنة المشرفة على الصحراء[1].

يظهر في الميدان التلي تنظيم وبعد جديدان يتخذهما الوسط الطبيعي، فهذا الوسط المجزأ والمفكك يجمع الجبال والسهول في شكل فسيفساء معقدة، فالجبال ذات الارتفاع القليل أو المتوسط تشرف على سهول متواضعة المساحة غالبا. لكن التباين بين الاثنين يظل دائما تباينا جليا تؤكده انقطاعات الانحدار المفاجئة وتغير طبيعة الصخور وأشكال التعرية في المرتفعات وطمر الأقسام المنخفضة. فتجاور السهول والجبال وتباينها في آن واحد هي العلامة المزدوجة لعملية إحياء الميدان التلي[2].

كما يتفاعل المناخ والغطاء النباتي مع مظاهر السطح، فتعرض السطح للصقيع يعطي مظهر الأحجار والحصى، وتعرض الجنوب والجنوب الشرقي للأوراس لمناخ حار يتسبب في تفتيت الحواف الحجرية والرملية للمنحدرات. ويؤدي لتشكل تفكك بسيط للسطح بين كتل جافة.

كما تنتشر المروج الموسمية والوديان والمنحدرات والمجاري غير المتكافئة المتشكلة في الحجر الجيري بفعل مياه ذوبان الثلوج، ويؤدي إلى تشكل سطح غير مستقر يؤثر في جذور النباتات وخاصة الأشجار[3].

---

[1] Augustin Bernard E. Ficheur, *op, cit*, p. 431.

[2] جيرار مورار. إحياء الوسط الطبيعي وتهيئته. المغرب العربي. الانسان والمجال. اشراف جان فرانسوا تراون. تعريب. علي التومي. كارم داسي. عبد الكريم سالم. دار الغرب الإسلامي. 1997. ص 108.

[3] Jean-Louis Ballais et E.B. *op, cit*, p. 5.

لقد كانت الجغرافيا عاملا مساعدا لهذا التميز الذي بدا يتضح مع مرور الوقت؛ فجبال النمامشة ذات جغرافية بشرية أقل ثراء نظرا للتعرية وانتشار القباب الصخرية، أما السهول المحيطة بها فهي خالية من الأشجار والغابات وفيها نقص شديد في الغطاء النباتي. مثل منخفضات الكويف قرب تبسة وجبل دكمة وبوكباش قرب سوق اهراس المكونة من الحجر الجيري. كما أن التركيبة المعدنية لطبقة الأرض وتوفير الأملاح بكثرة في الطمي جعلها غير مناسبة لزراعة الحبوب وتكونت بذلك الأراضي المالحة. وفي نفس الوقت شكلت هذه المساحات أراضي رعوية لجودة بعض النباتات العشبية وسط سهول قاحلة[1].

تتشكل داخل كتلة الأوراس الكثير من السهول الداخلية التي تقع على حواف الوديان الرئيسية، أو تلك التي تحيط بها السلاسل الجبلية، فنجد على سبيل المثال سهل أريس الذي يتميز بمزايا استثنائية؛ الأرض الجيدة، وزراعة الحبوب سهلة ومنتجة. حيث يقع على ارتفاع (ما يقرب من 1200 م). يضمن نضارة المناخ نسبيا. كما أن الحاجز الجبلي الذي يغلق الوادي جنوبا.، يعزله عن الصحراء، وحتى في فصل الصيف، يبقى محافظا على خصائصه في هذه الزاوية المميزة. إضافة إلى سهولة الاتصالات مع الشمال إلى حد ما. فالممرات يمكن أن تجعل من الممكن عبور السلاسل والوصول إلى حافة الأوراس[2]. إضافة إلى مجموعة من السهول الداخلية بمنطقة النمامشة، أو تلك التي تنتشر على حواف الحدود الجنوبية الممتدة بين مزيرعة إلى نقرين ثم تبسة[3]، كما نجد سهولا أخرى على حافة السلسلة الجبلية للأوراس ولعل أهمها سهل بلزمة المنفتح جنوبا على منطقة الحضنة.

بالنسبة للغطاء النباتي تبقى غابات الأرز الأطلسي الأشهر بالأوراس، تمتد شمال شرق الكتل الصخرية وسفوح الجبال الشمالية من جبل المحمل والجبل الأزرق، ولا تزال تقف أجمل الغابات بجبل شليا والجبال المجاورة له غابات الأرز العملاقة عبر عدة مئات من السنين الماضية، ويصل قطرها إلى 2م، بجوار شجيرات بسيطة للزعرور، وتتكون فوق طبقة عشبية من السرخس النادرة والبرسيم والاعشاب الوفيرة والكثير من زهور الربيع والبنفسج والبابونج، وشقائق النعمان. كما تنتشر النباتات الصحراوية الشائكة أسفل الجبل بين ارتفاعات 600م، و 700م، ويبدو البلوط الأخضر والعرعار الشربيني (ثاقة) والديس الأخضر والأرز يكاد يختفي هنا. لكن بجبل الأزرق وشمال جبل المحمل يكون الحد الأدنى لها هو 650م[4].

---

[1] Joseph Blayac, «le pays des Nememchas: a l'est des monts Aurès (Algérie)». *Annales de géographie*, 8e Année, No. 38 (15 mars 1899), p.156- 157.

[2] Maurice Besnier. «Notes sur l'Aurès la plaine d'Arris». *Annales de géographie*, 8e année, no. 40 (15 juillet 1899), p. 367.

[3] Joseph Blayac , «le pays des Nememchas. p. 150- 151,153.

[4] Jean-Louis Ballais et. E.B. Aurès. *op, cit*, p. 16- 17.

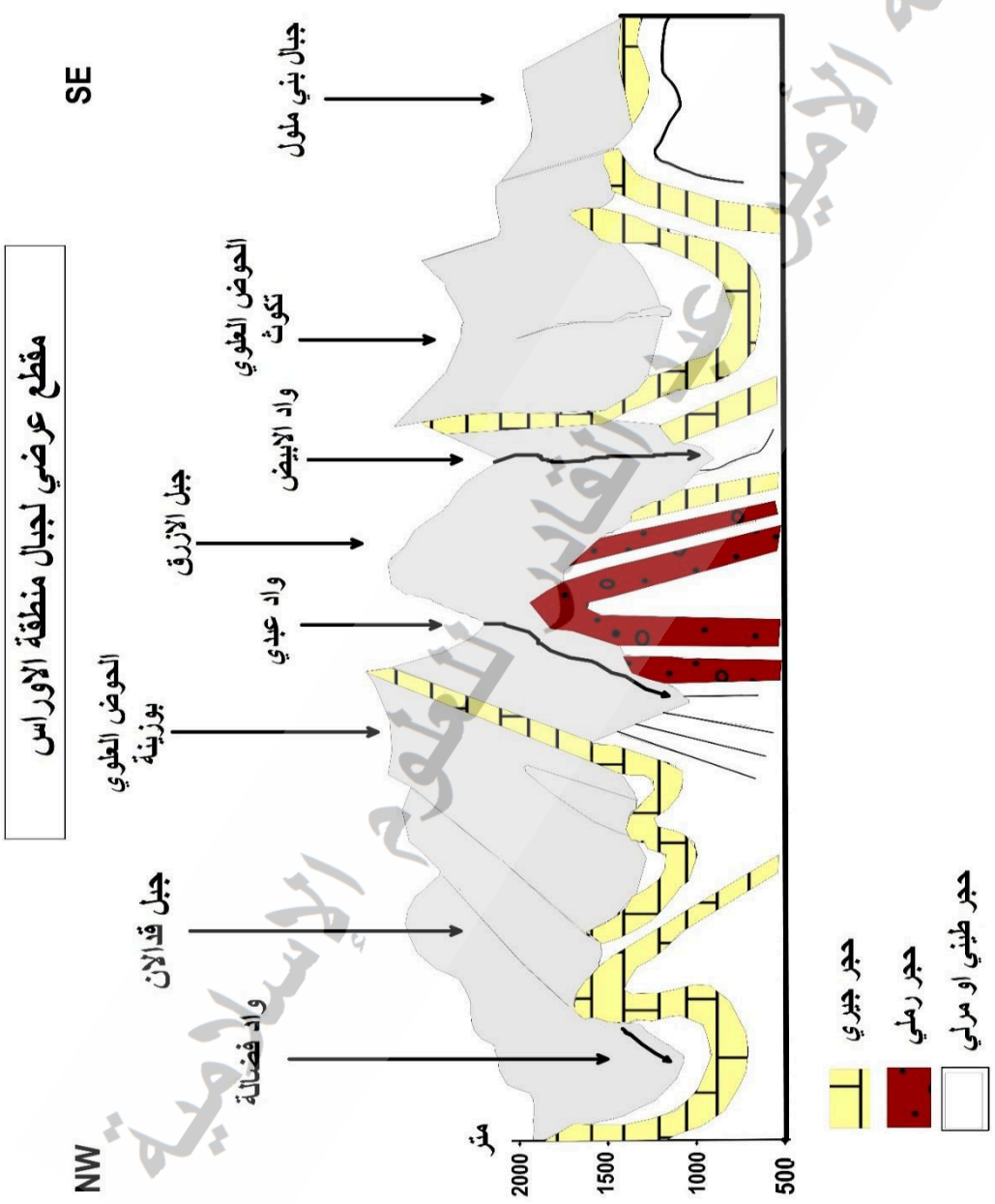

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحد الأدنى لشجرة الأرز يمكن أن يتضح من محطة عين ميمون إلى الشرق (757مم في السنة) وإلى الغرب منها حيث الارتفاع يصل 1650م، وهي طوابق شبه رطبة وشبه قاحلة؛ فالجفاف في الصيف ينمو ما بين 3 إلى 4أشهر. لكن البرد يستمر من ديسمبر إلى شهر فبراير والثلوج تستمر 60 يوما. أما غابات الصنوبر الحلبي فلا تزال تحتل موقعا كبيرا خصوصا على الجانب الجنوبي الشرقي حيث كتلة غابات بني ملول واحدة من خيرة غابات الجزائر. ويشترك مع غابات السنديان الأخضر (نوع من البلوط) والعرعار وشجيرات من الحلفاء والزعتر[1].

وتنتشر الأرض الجيدة في المناخ البارد والغابات الجافة وهي سهلية، خاصة في المناطق التي تقل فيها الصخور التي تجنب أماكن تراكمات الطمي والمنخفضات والوديان حيث تتشكل المدرجات وتنتشر الزراعة فيها، وهي مهمة للرعي في فصل الصيف للأغنام حيث يرحب بعودة القطعان في السفوح الجنوبية[2].

ينتمي مناخ هذه المنطقة الجبلية المرتفعة للنطاق شبه الرطب للبحر الأبيض المتوسط الذي يتميز بأنه ممطر وشتاء بارد. إذ يمكن هطول الأمطار التي تصل إلى حوالي 1000ملم في السنة، ونسبة عالية من الثلوج قد تصل إلى ستين يوما في السنة وربما تصل إلى ثلاثة أشهر. ولكن الجفاف في الصيف يستمر إلى شهرين.

أما درجة الحرارة فتكون صفر (0) درجة مئوية من ديسمبر إلى فيفري، وهكذا يكون الوسط في الشتاء باردا تنمو أشجار تساعدها عوامل التربة والحجر الجيري الصلب قابلة للاختراق إلى مد كبير للجذور واستغلال المياه المخزنة عكس الحجر الجيري المختلف[3].

التوزيع المكاني لهطول الأمطار يتأثر بعاملين هما:

ـ توزيع نطاق الارتفاع وتشمل السفوح العليا.

ـ توجه التضاريس شمالية شرقية إلى جنوبية غربية بشكل عمودي.

وقد أدى ذلك إلى تشكل ثلاث نطاقات للأمطار:

[1] Jean–Louis Ballais et. E.B. Aurès. *op, cit,*. p. 19.

[2] *Ibid.* p. 12.

[3] *Ibid.* p. 4.

1- المنطقة الرطبة: تشمل المرتفعات وقمم الجبال لأكثر من 1800م، مثل جبل المحمل، جبل شليا، جبل إيشمول. وهي كتلة صخرية شمالية، يستقبل هطول الأمطار بمعدل يتراوح ما بين 900ملم إلى 1200ملم في السنة.

2- قطاع متوسط الأمطار: ينتشر هذا الإقليم المعتدل في الأمطار من خنشلة إلى فم القيس وفم الطوب، ويستمر غربا إلى أن ينظم بجبل إيش علي وكل الغابات المجاورة، يتراوح معدل التساقط هنا ما بين 400ملم إلى 800ملم في السنة. كما يمكن أن ندرج بهذا النطاق جبال بلزمة المتواجدة في نفس النطاق بمعدل يصل إلى 450ملم في السنة.

3- القطاع الجاف: وينتشر في الغرب والجنوب من الكتلة الصخرية للأوراس بمعدل تساقط يتراوح ما بين 200ملم إلى 400 ملم في السنة. وهنا نرى شدة التباين في النطاقات الجغرافية وتنوعها[1].

المنطقة شبه القاحلة يسمح مناخها بنمو أشجار البلوط دائم الخضرة حيث البرودة أين يمكن أن تنزل درجة الحرارة إلى-6 درجة في الفترة ما بين ديسمبر إلى شهر مارس، والصقيع الأبيض دائم التكرار، وقد يدوم أربعين (40) يوما في السنة مع البرد ونسبة كبيرة من الثلوج وهطول الأمطار في فصل الشتاء.

أما الجريان الناتج عن الأمطار الغزيرة أو ذوبان الثلوج فتكون مركزة على المنحدرات الشديدة ويصعب تحويلها واستغلالها للري في هذه المناطق[2].

بجنوب الأوراس نجد منطقة اتصال بين نطاقين مختلفين تتمثل في بلاد النمامشة، تقع بين جبل الأوراس والحدود التونسية. وقد وصفها جون بلياك (Jean Blayac)[3] بوضوح؛ تأخذ اتجاه جنوبية غربية، إلى شمالية شرقية، وهي سلسلة تقع على الحدود من هضبة سوف جنوب النمامشة، وتؤدي إلى الشمال. وتبدأ من نقرين حتى بداية سلاسل نواحي منطقة قفصة التونسية. ويمكن للمرء أن يميز منطقتين متميزتين؛ هضاب في منطقة الجنوب، وقباب ومنخفضات في الشمال، وهي تحاذي حافة الصحراء. ولانعدام أي أهمية اقتصادية للسكان بهذه المنطقة ينتشر سكانها على الحدود الجبلية حيث الينابيع[4].

[1] Mohammed Kamel Meharzi. « Le rôle de l'orographie dans la répartition spatiale des précipitations dans le massif de l'Aurès ». *Méditerranée*, T 80, 3-4-(1994). Géographie physique de l'Algérie orientale. p. 75.

[2] E.B. et Jean-Louis Ballais. *op, cit.* p. 8.

[3] Joseph Blayac, « le pays des Nememchas. p. 155.

[4] Augustin Bernard E. Ficheur. *op. cit*, p. 433.

والمنطقة تصل بين مناخي حوض البحر الأبيض المتوسط الشبه الصحراوية والصحراء. أما تضاريسها فنجد أن ارتفاعاتها تتراوح ما بين 1000م و1700م كحد أقصى في الشمال. أما في الجنوب فتكون على ارتفاع ما بين 200 م و1300م كحد أقصى[1]. وأسفل هذه السلسلة نجد نقرين[2] التي تقع ما بين جبال النمامشة والسهول المنحدرة جنوبا، عبر الأودية المنحوتة في المنحدرات التي تشكل تلال تتوسطها برك وواحات حيث تتوزع المياه في الأراضي القاحلة[3].

على أن انتقال الجفاف إلى الشمال يمكن أن يؤثر على الحدود السياسية والمناخية؛ فكثيرا ما نجد انحسار وجود السلطة في الشمال لتأثرها بتغير التضاريس والمناخ الذي يتميز بالجفاف وهو ما يدفع السكان إلى البحث عن مجالات الظعن والانتجاع[4] ما حتم على السلطة التراجع مع انحسار الإمكانيات.

على مستوى الاقتصاد فإن عائق الجفاف قد تمت مقاومته بفضل تقنيات مناسبة قد ميزت هذه الحدود المناخية كما كانت هناك سهولة استعمال الوسط الذي تعسف فيه الإنسان في فترة ما من خلال الإفراط في استغلاله، فمنطقة التصحر الأساسية انتقلت إلى السهوب نصف جافة أين يكون معدل التساقط للأمطار محصورا بين 250ملم إلى 350 ملم في المتوسط أي أكثر إلى الشمال مقارنة بالمناطق التي عبرتها الحدود الرومانية[5].

والجدير بالذكر هو عدم تناسب المناخ داخل مجال الأوراس مع الوقت الراهن، حيث تغطي الغابات أعلى القمم، وربما تم تطهيرها للسماح بتمديد المراعي، والمروج الخضراء بمثابة المراعي الصيفية للماعز والأغنام خصوصا مناطق الشاوية ببوزينة وجبل المحمل والجانب المشمس المقابل على سفوح احمر خدو. فضلا عن الماشية والخيول في الشمال الشرقي من الكتلة الصخرية لجبل شليا حيث تربية الماعز والأغنام، وتربية الخيول

---

[1] J.P Chain Jean Pierre. Laporte. « Aridification et désertification des Nemamcha, de l'Antiquité à nos jours. Changements climatiques et pression anthropique sur la nature. Peuplement, territoire et culture matérielle dans l'espace méditerranéen ». *Colloque international, Kairouan 15, 16, 17, avril 2014. Université de Kairouan , faculté des lettres et des sciences humaines département d'archéologie.* Tunis. 2016. p. 117- 118.

[2] Jean- Pierre Laporte, Xavier Dupuis. « De Negrenes Maiores a Négrine ». *Antiquités africaines* 45. (2009). Cnrs éditions. Paris. (2011). p. 51- 52

[3] Jean- Pierre Laport, Xavier Dupuis. *Ibid.* p. 52.

[4] النجعة تعني الترحال في فصل الخريف من منازل البدو في المعمورة إلى البادية. ويقال عنه: التشريق (نحو الشرق). حيث يقيمون في البادية في فصل الشتاء. أما الظعن أو الضعن في اللغة العامية. وهو القبيلة أو العشيرة أو أكثر في لحظة النجعة أو الترحال. فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. العشيرة بين التقليدي والحديث. منتدى المعارف. بيروت. 2015. ص 66- 67.

[5] Pol Trosset. « De la montagne au désert. Limes et maitrises de l'eau ». *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée.* 41. (1986). p. 99- 100.

المعروفة منذ على الأقل القرن الحادي عشر، كما لا ننسى دور جماعات الرعاة في تهيئة بعض المناطق لقطعانهم ولأسرهم للاستقرار[1].

وإذا كنا لا نملك المعطيات الكافية ولا الدقيقة حول التغيرات المناخية للإقليم في العصور السابقة، فإننا نجد بعض الإشارات حولها في بعض المتون الإخبارية النادرة. فقد كشفت المؤشرات المورفومناخية عن وجود رطوبة خلال المرحلة الرومانية تفوق معدل الرطوبة الحالية بالأوراس والنمامشة. وعرفت المنطقة ما بين 300 ق.م و300م على وجه التقريب "مناخا مثاليا"، مرحلة كانت أقل جفافا نسبيا باليوم، وهذا ما سهل انتشار الزراعة والغراسة[2]. وترك الرومان مجموعة من الآثار الدالة على استيطانهم بهذا المجال. حيث أثروا في الغطاء النباتي الطبيعي والأتربة عبر اجتثاث الغابات لاستغلالها زراعيا، كما أثروا في المجاري المائية من خلال المنشآت الموجهة للري[3]، فأمست بعد نهاية المرحلة الرومانية، نتيجة (للجفاف) المناخي المتزايد أيضا، خاضعة للنظام المطري، باستثناء تلك التي كانت تستفيد من ذوبان الثلوج أو من المياه الجوفية[4] الكاريستية[5].

هذا الجبل الذي يبعد عن قرطاج حوالي ثلاثة عشر يوما، ويمتاز بتنوع شديد في تضاريسه بين المرتفعات والأراضي المستوية والسهول والينابيع المنتشرة بين الأنهار حيث تتوزع المزارع والحدائق بينها.

أما عن أهم المحاصيل التي تنتجه هذه المناطق فتتمثل في القمح بالدرجة الأولى، وتنتشر في هذه الجبال الحصون التي أهملت، فمنذ الاحتلال الوندالي لم يعد هناك عدو يخشون مهاجمته. فنجد مدينة تيمقاد الواقعة على سطح الجبل وتشرف على سهول واسعة، كانت مأهولة بالسكان. لكن يبدو أنها تعرضت للتخريب من قبل المور لمنع أعدائهم إقامة قاعدة لهم هناك أو الاقتراب من جبلهم. لذلك توسعت القبائل المورية في تلك المناطق[6].

---

[1] E.B. et Jean-Louis Ballais. *op, cit.* p. 5- 6.

[2] Jean Baptiste Chabin et Jean Pierre Laporte, « Aridification et désertification des Nememcha, de l'Antiquité à nos jours. *op. citp.* p.115.

[3] Jean-Louis Ballais et Mohamed T. Benazzouz, « Données nouvelles sur la morphogenèse et les paléo-environnements tardiglaciaires et holocènes dans la vallée de l'oued Chéria-Mezeraa (Nememcha, Algérie orientale)», *Méditerranée* (80) (3-4) (1994), p. 69.

[4] سمير آيت أومغار. مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية. مقاربات جديدة. هسبريس تمودة. 2017. LII (1) . ص66.

[5] Jean-Louis Ballais, « Les grandes phases de modification de l'environnement dans les Aurès (Algérie) au cours de la période historique », *Bulletin de l'Association de géographes français* (61) (499) 1984. p. 73-75.

[6] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine* . p. 258, 320- 321.

في العصر الوسيط تعطينا النصوص الجغرافية مجموعة من أوصاف المناخ والتضاريس لبعض المجالات والمدن بالأوراس فقد كانت نقاوس "باردة بلد الجوز والثمار الجبلية"[1].

في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي لدينا مصدر يعطي لنا مؤشرات التقلبات المناخية من خلال وصفه لمختلف مراحل الرحلة التي قام بها في الأوراس، وتتمثل في حركة "أبي عنان المريني" التي وصفها "ابن الحاج النميري" وقد وصف شتاء الأوراس وقساوته في وصف أدبيا بليغا "فقلوب السحب جميعا لا شتى، والثلوج تسقي الأرض كافورها لتنقطع ولادتها، والبروق تلفح الآفاق بنيرانها فلا تنفع عيادتها، والرياح قد أبدت عصوفا دائمة، وأتت بجنودها فكأنما ظنت كل قائم قائما"[2]. وكان مسير الركب بين قسنطينة وباتنة في يوم عاصف ومطير "لم يملك الغيث فيه دمعه، ولا تارك قوس البروق الرامي بسهام المحب نزعه. فقناع غيمه مثقل، وتاج أفقه بدرر الحيا مكلل. ولما كان وقت العصر ملأ الله بهيادب الغمام مجاجا، وأنزل من المعصرات ماء ثجاجا. وتتابع سقوط الأمطار، وتناوحت الرياح بتلك الأقطار، حتى شربت الأرض بكل جود همار، وسل البرق على المزن كل سيف بتار، فسال من كلومها كل بيار، وعلا الماء حتى كاد يلحق أنجادا بأغوار. وما راع أهل المحلة إلا مدود السيول، هائجا عبابها هيجان الفحول. كاشفة عن أصول الشجر كأنما أرادت خطبتها، مدخلة عليها القواطع ولا غرو فقد عرفت نصبتها، خارقة الأحجار، ماحية لما خطته أيدي الأزهار في جنبات الأنهار"[3].

ونتيجة للعواصف والرياح التي كانت بالقنطرة بالجنوب الغربي للأوراس، وكانت مصحوبة بأمطار إلى تشكل سيول أدت إلى فيضان وادي القنطرة "فلم تقدر الخيل السابحة على النفوذ، وعد الوصول إليه ضربا من المستحيل المنبوذ..."[4].

أما في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، فإن ليون الإفريقي يعطينا صورة عن حاجة الزراعة بالمنطقة للأمطار كمصدر أساسي للسقي والمواسم التي يحتاجها الفلاحون لزراعاتهم "تحتاج كل أراضي نوميديا للري لكي يتم بذرها، فإذا انحبس المطر في جبل الأطلس وجفت بالتالي أودية نوميديا، فإن ذلك يؤدي إلى استحالة ري الأراضي، وإذا لم يهطل المطر في أكتوبر فمن العبث توقع إمكانية بذر الأرض في ذلك العام،

[1] المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تح محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 186.

[2] ابن الحاج النميري. فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الرحلة السعيدة إلى قسنطينة والزاب. دار الغرب الإسلامي. 1990. ص 477.

[3] المصدر نفسه. ص 412.

[4] المصدر نفسه. ص 422.

وإذا لم يهطل مطر أبريل يصبح محصول القمح منعدما في الأرياف، ولكن إذا انقطع المطر فهناك محصول طيب من التمور"[1].

2- الحدود: مفردات مختلفة لمدلول واحد:

تميزت الحدود ببلاد المغرب القديم بالمرونة، وكان يغلب عليها الطابع الجيومورفولوجي والثقافي أكثر مما كانت تحتكم إلى العوامل السياسية والعسكرية بين مختلف المناطق، وهذا ما سهل قديما حركة الأفراد والجماعات[2].

و لم تكن التخوم ترتبط فقط بالحدود، فقد تعبر هي الأخرى عن مجالات أو أقاليم قائمة بذاتها، وقد تكون مرادفة لعلاقات الجوار بين مجالين أو أكثر. ففي تعريفه لإقليم ليبيا يقول الحسن الوزان أنه: "يبتدئ شرقا بتخوم الواحات... أما القسم الرابع "وهو أرض السودان، فيبتدئ شرقا بمملكة كاوكة ويمتد غربا إلى مملكة ولاتة، ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا"[3]. فتكون التخوم في هذه الحالة مستقلة بذاتها.

لم يكن من السهل تحديد معالم هذه المجالات قديما. والسبب يعود لارتباطها بعناصر جغرافية غير مستقلة بذاتها، بل إنها مرتبطة بمجالات مجاورة لها، هي التي تشكل المحيط الذي يجاوره، هذه العناصر تكون "ذات سمات واضحة، لها علاقة بمعطيات طبيعية قائمة كحدود الجبال والغابات والصحاري والبحار والوديان والمستنقعات والمفازات الخالية من العمران البشري أو المعرقلة لتنقل السكان"[4].

أما تلك المرتبطة بالجانب التضاريسي والتي تتعلق بظواهر الجبال والأنهار والغابات لذاتها، كموضوعات خاصة، وبذلك تفصح بالتدريج عن كنهها، وهي في أغلب الأحوال حدود لا شك فيها، كما أنها أيضا عوائق طبيعية ولكنها أيضا معابر ومراكز للتجمع والانتشار، عوالم صغيرة لها قيمها الخاصة تجذب إليها الناس وتربط بينهم وبين الأقاليم التي تقع على جوانبها. وعلى أية حال فهي ليست حدودا بالضرورة[5]. فالتاريخ في ثوبه الجديد، يصادف عددا من القضايا المنهجية التي لا شك أن أغلبها طرح من قبل، لكن ميزتها

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي). وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 02. 1983 ج1. ص 91.

[2] Mohamed Meouak. « Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie» . *Rocznik orientalistyczny*, t. lxvi, z. 1, (2013). p. 59- 60.

[3] لا ندري هل عبر الحسن الوزان بمفردة "التخوم" في مؤلفه، خاصة وأن الكتاب ألف بالإيطالية وترجم إلى الفرنسية، ومنه إلى العربية. الحسن بن محمد الوزان. المصدر السابق. ج1. ص 29.

[4] محمد تضغوت. نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي، مقاربات منهجية. رؤية. القاهرة، 2004 ص 83.

[5] لوسيان فيفر. الأرض والتطور البشري. ترجمة. محمد السيد غلاب. المركز القومي للترجمة. القاهرة. 2015. ج02. ص 154.

حاليا هو أنها تطرح مجتمعة من بينها، تكوين مجموعات منسقة ومنسجمة من الوثائق، مجموعات يمكن أن تكون مفتوحة أو منغلقة، محدودة أو لا محدودة، وتوضيح مبدأ الاختيار بينها (حسب ما إذا كنا نرغب في الاستيعاب الكلي للمادة الوثائقية، أو كنا نكتفي بعينات نختبرها لنستخلص منها نماذج حسب التقنيات الإحصائية، أو كنا نحاول أن نحدد مقدما العناصر الأكثر تمثيلية). وتحديد مستوى التحليل والعناصر التي تتخذ أهميتها من منظوره[1].

لذلك لا يمكن فصل المجال الجغرافي عن مكوناته المادية التي يحتويها وتكونه، كما لا يمكن أيضا فصله عن العقل البشري والأفكار التي تجري فيه، وهذا ما يسمح لنا بالوقوف على درجة نسبية الموضوعية في تحديد المجال، ووجوب الإيمان بالمعطيات التي تشكل المشهد[2] الاجتماعي والآراء الخاصة المتعلقة بأي مجال معين[3].

وهذا يطرح إشكال جغرافي آخر يتعلق بضبط المفردات الخاصة بالإقليم والمجال في حد ذاته. إذ يرى محمد بلفقيه أن مشكلة تحديد الإقليم تختلف بين الجغرافيا التقليدية والحديثة "فالجغرافيا الإقليمية التقليدية تعتبر الإقليم كجزء من المكان وكمسلمة" أما "الجغرافيا الإقليمية الحديثة فترى فيه شكلا من أشكال تنظيم المكان، أو مرحلة من مراحله؛ أي أن المفهوم أصبح وظيفيا بعد أن كان مشهديا، وهذا الأمر يكون قد طرح إشكالا آخرا يعقد من مسألة تحديد الإقليم الذي أصبحت له دلالات كثيرة مثل: "المجالات الهامشية، أو المحايدة، أو المفككة"[4]. وقد يرتبط مفهوم الحدود بالكيانات السياسية إذا لم يكن له معنى حقيقي، فيصبح التحدث عن المراكز السياسية ذات إشعاع تحده منافسة هذه المراكز لبعضها البعض، وقوى متنابذة تلازم طبيعة هذه المراكز.

---

[1] ميشال فوكو. حفريات المعرفة. ترجمة سالم يفوت. المركز الثقافي العربي. بيروت. الدار البيضاء. ط02. 1987. ص 17.

[2] حول مفهوم المشهد فإن البعض يزعم أن الجغرافيا هي "علم المشاهد" نظرا لأهمية المشهد الذي يمنح الجغرافيا موضوعا، وهو مفهوم يوحدها، ويستجيب لمعنى التأليف والتركيب الذي هو ديدن الجغرافيين، كما يستجيب لاهتمام الجغرافيا بالمسائل العينية والملموسة وإغنائها بالملاحظة الميدانية وإدراك الواقع الجغرافي إدراكا مباشرا، فضلا عن أن المشهد يجسد الأشكال، أشكال= =التضاريس والتشكلات النباتية. وفيه من يرى أن "المشهد" هو الموضوع الأساسي للبحوث الجغرافية. محمد بلفقيه. الجغرافيا القول عنها والقول فيها. المقومات الإبستيمولوجية. دار نشر المعرفة. الرباط. 2002. ص 50- 59.

[3] Di Méo Guy. « De l'espace aux territoires : éléments pour une archéologie des concepts fondamentaux de la géographie ». *L'information géographique*, 62, n°3, (1998). p. 100.

[4] محمد بلفقيه. المرجع السابق. ص 212. و يقدم بلفقيه ثلاثة معاني لكلمة "إقليم" وهي: الأولى: خاص بالجغرافيا الكلاسيكية التي تعطي أهمية كبرى لوصف خصائص الإقليم والاختلافات الموجودة بين المناطق داخل البلد الواحد أو عبر العالم. أما الثاني: فيهتم أكثر بالتنظير، ويعتبر الإقليم نتاج افرازات السياق السياسي الاقتصادي والبناء الاجتماعي. فالمجال هنا هو الموضع الذي فيه يتم التفاعل الاجتماعي أو الإنتاج الاقتصادي، أو هو الذي اتحد فيه ميول الناس ووجدانهم واعتباراتهم الخاصة. أما الثالث فهو ذو طبيعة تقنية-منهجية، يوظف الإقليم، سواء المتجانس أو الأقاليم الوظيفية التي تقوم على وجود شبكة من العلاقات المجالية ترتبط المدن بهوامشها وظهائرها، كأداة لرسم الخرائط وتقويم نتيجة العمل السياسي- الاقتصادي وحركة الاستقطاب السكاني والتهميش. المرجع نفسه. ص 141- 142.

أما المدلول اللغوي فلا نجد في الحقل الدلالي للغة العربية، معنى أو معان محددة ل "المكان" كل ما هنالك تصورات لا تتجاوز مستوى الحدس الحسي الابتدائي الذي يربط المكان بالمتمكن فيه، وعليه، فالمكان والموضع والمحل كلها وردت بمعنى واحد[1].

إن هذا المفهوم للحدود يبرز الأهمية التاريخية لدراسة المجال والتي تكون ظاهرة تاريخية وسياسية لن يحصل فهمها بمعزل عن الميكانيزمات الفاعلة في علاقة السلطة بالمجال الحيوي[2]. وتمتلك النصوص الجغرافية وكتب الرحلة إمكانية التعبير الدقيق عن هذه المفاهيم[3]، والسبب يعود إلى أن " النص الرحلي أساسا عبارة عن نص فضاء ومجال؛ لأنه يقوم على التنقلات بين الأمكنة، وما تحدثه هذه الأمكنة من آثار في نفس الرحالة. وما تولده في ذهنه من أسئلة[4]. فلا يمكن عزل المكان وتجريده عن التأثيرات الذاتية للجغرافي أو المؤرخ أو غيرهما؛ فالمكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا. ذا أبعاد هندسية وحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز[5].

بالنسبة للمفاهيم الأجنبية حول المجال فإن أغلب القواميس الأجنبية تذهب إلى كون الفضاء هو "المكان الواسع الذي يجمع الأشياء، ويحضن حركة الكائنات"[6]. فنجد مثلا في الفرنسية تنويعات وتسميات مختلفة لهذه المقولة؛ فهناك مثلا"[7] ...le décor, le milieu, l'espace, le lien, le territoire. كما يرتبط المجال

---

[1] إبراهيم الحجري. شعرية الفضاء في الرحلة الاندلسية. نموذج القلصادي. دار النايا. دار محاكاة. دمشق. 2012. ص 34– 35.

[2] محمد تضغوت. المرجع السابق. ص97

[3] أشار الجغرافي اليعقوبي إلى جبل أوراس عند حديثه عن الزاب "كبلد واسع" ومنها مدينة باغاية "حولها قوم من البربر من هوارة، بجبل جليل يقال له: أوراس". البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. ص 190. أما ابن حوقل فقد أشار إلى أبعاد جبل أوراس وجعل "طوله نحو اثنا عشر يوما...". صورة الأرض. دار صادر، بيروت، ط 02. 1938. ص 85. وحول علاقة الأوراس بباقي المجالات يقول البكري "جبل أوراس وهو المتصل بالسوس". المسالك والممالك، تحقيق. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003. ج2. ص 227. أما صاحب كتاب الاستبصار فإنه يبالغ في تقدير أبعاد جبل أوراس الذي يقول عنه أنه "يشق بلاد المغرب وإفريقية: فطرفه من البحر الغربي .... وطرفه الثاني في البحر الشرقي بقرب الإسكندرية..." مجهول. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب. تحقيق. سعد زغلول عبد الحميد. دار النشر المغربي. الدار البيضاء. 1985. ص 162– 163. ولعل الكاتب يوسع مجال هذا الجبل ليشمل كامل سلسلة الأطلس الصحراوي التي تمتد إلى بلاد المغرب الأقصى.

[4] إبراهيم الحجري. المرجع نفسه. ص 149.

[5] غاستون باشلار. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت. ط2. 1984. 1404. ص 31.

[6] *Dictionnaire Hachette encyclopédique*. Atlas mondial. 1994. p. 555.

[7] إبراهيم الحجري. المرجع السابق. ص 35.

بالجانب الاقتصادي أو السياسي؛ ويبدو أن أي تأثير أو انحسار لهذا القطاع الرئيسي في الاقتصاد القائم كان يؤدي إلى تآكل المجال وتدهور المراكز وتراجع هيبة السلطة ونفوذها[1].

في التاريخ الإسلامي الوسيط، وبالإضافة إلى تداوله في مجال الشرع، كان للفظ الحد مدلول ترابي وبشري وسياسي. وخلافا لما قد يتبادر إلى الذهن لم يكن لهذا اللفظ معنى خطي بل كان له امتداد ترابي. كما يستخدم اللفظ للإشارة إلى الفضاء الذي يصل إليه نفوذ الحاكم. يربط ابن خلدون حدود المجال بالعصبية، فيقول عند تعرضه إلى نشأة الدولة " فإذا توزعت العصائب على الثغور والممالك فلا بد من نفاذ عددها وقد بلغت الممالك إلى حد يكون ثغرا للدولة وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها"[2]. يتضح أن لفظ الحد يتضمن عدة معان، فهو يتماهى مع مفردات التخم والثغر والنطاق. كما يرتبط بالعصبية أي بالروابط الدموية والأيديولوجية، فالقبائل هي التي تشرف على المجال وتراقب الحدود. لكن معنى "الحد" لا يقف عند هذا المعنى، إذ يمكن أن يكون دالا على المناطق الفاصلة بين الوحدات الإدارية والسياسية[3].

وإذا كان المؤرخ العربي الإسلامي يجد صعوبة في معرفة ملامح التاريخ القديم للمغرب العربي من خلال الجهل أو بسبب عدم الاهتمام؛ فقد كان الجغرافي، كرجل ميداني، أفضل وضعا للنظر في الحقائق الأثرية. هذه الحقائق التي تشهد على الماضي والحضارات البعيدة المتتالية في المنطقة، إلا أن هذا الماضي لم يستوعب جيدا من قبل هؤلاء الجغرافيين؛ لقد لاحظنا ذلك، عموما، بين الجغرافيين العرب، أن الموقع القديم لبلاد المغرب ليس فكرة تاريخية، ولكن وهو معلم طوبوغرافي. ومع ذلك، تبقى هذه المصادر قادرة على تقديم البيانات المتعلقة بالجغرافيا التاريخية للمنطقة خاصة في الفترات المتأخرة[4].

ومن هذا المنطلق، نجد أنفسنا أمام مجال خاضع لسلطة دار الإسلام تشكل فيه النصوص الجغرافية والرحلات جزء كبير من اهتماماتها، ويصبح المجال مرتبطا بالأمصار، هذه الأخيرة التي يعرفها المقدسي أنها: "كل بلد جامع يقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه ..."[5]. ويضيف المقدسي إلى ذلك علاقة المجال بالسلطة فيكون المصر "كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال

[1] محمد تضغوت. نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي، مقاربات منهجية. رؤية. القاهرة، 2004 ص97.

[2] المقدمة. بيروت دار إحياء التراث. د .ت. ص177.

[3] فاطمة بن سليمان. الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574– 1881. جامعة تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. ديسمبر 2009. ص 84– 85.

[4] Ahmed Siraj. *op. cit*, p. 618.

[5] المقدسي. المصدر السابق. ص 44.

وأضيف إليه مدن الأقاليم..."[1]. والجدير بالذكر أن قضية الحدود لم تجد مكانة معتبرة في المصادر، لأنها وبكل بساطة لم تكن من هواجس الكتاب بمن فيهم الجغرافيين والرحالة الذين كانوا متشبثين كثيرا بفكرة وحدة دار الإسلام[2].

أما بالنسبة للإقليم ونتيجة لتأثر الرومان قديما بالفكر والثقافة اليونانية، فقد أخذوا كلمة (klima) أيضا، ونقلها عنهم العرب، ولا يخفى على أحد ما بين الكلمتين من تضارب في النطق، ويؤكد هذه الحقيقة ما ذكره حمزة الأصفهاني؛ فحينما نتلمس معنى لفظ "الإقليم" نجد تباينا كبيرا بين مفهوم هذا اللفظ وأصل اشتقاقه عند الجغرافيين المسلمين؛ فياقوت الحموي يقول: "وأما اشتقاق الأقاليم فذهبوا إلى أنها كلمة عربية، واحدها إقليم، وجمعها أقاليم... فكأنه سمي اقليما، لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه، أي مقطوع..."[3]، غير أن هذا التنظيم يمكن أن يفقد معناه إذا درست مجالات القبائل وتوطنها في مختلف الأقاليم فيكون حينها المجتمع هو الناظم للمجال، ويكون "حركي ذو حدود، تتداخل فيه العناصر الطبيعية، والبشرية، وتتفاعل فيما بينها، فالمعنى إذن يقتضي وجود تنظيم اجتماعي وسياسي واقتصادي يشرف على المكان فينظمه ويهيئه"[4].

أما التخوم فهي مفردة تتعلق هي الأخرى بالحدود، ولها معنى الهامش، والحد، وترتبط التخوم خاصة بمعاني عمرانية أخرى هي الرباط، حيث يتواجد المتطوعون أو الجنود للوقوف في وجه التوغلات المحتملة من قبل العدو، والثغر، لذلك هناك الحدود الثانية وتليها الثغور، وهي سلسلة ثانية من نقاط القوة والحماية لمواجهة خطوط العدو[5].

ويفصل عبد القادر جغلول إشكالية العلاقة بين السلطة والحدود ويربطها بمدى استجابة القبائل لسيادة معينة. على أن السلطة تكون بيد القبيلة، وتكون مرونة الحدود وتبرز حركة الاتصال والمسالك. ولذلك من الأفضل أن نتحدث في أغلب الأوقات عن مناطق التأثير الديني، والعسكري، والضريبي، التي لم تنقطع كليا، عن التحدث عن إقليم متجانس، بعض القبائل تعترف بالسلطة الدينية للملك لكنها ترفض الإذعان لدفع

---

[1] المقدسي. أحسن التقاسيم. ص 46.

[2] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2008. ص 104. أحمد الباهي. سوسة والساحل في العصر الوسيط القرن 1هـ 5هـ/ 6م 11م محاولة في الجغرافيا التاريخية. مركز النشر الجامعي. تونس. 2004. ص 21.

[3] معجم البلدان. دار صادر بيروت 1977. ج 1 ص 25.

[4] محمد بلفقيه. المرجع السابق. ص 388.

Antonio Cunha. « Systèmes et territoire. Valeurs, concepts et indicateurs pour un autre développement ». *Espace géographique*, 17. N3. (1988). p. 181-198.

[5] André Miquel. « La perception de la frontière aux approches de l'an mil de notre ère » .*Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, Le monde musulman à l'épreuve de la frontière. n°48-49, (1988). p. 23.

ضريبة الخضوع، فهي تستطيع أن تقبل الخدمة العسكرية. أو عكس ذلك يمكن أن تكون في حالة عصيان. فلا يكون معنى حقيقي للحدود، والأصح هو التحدث عن المراكز السياسية التي يكون اشعاعها محدودا معا بالمنافسة التي يقومون بها وبالقوى المبعدة الملتحمة بطبيعة المراكز السياسية نفسها[1].

ولذلك نرى كثرة المفردات الدالة على المناطق الحدودية لمختلف أنواع المجالات، هذه المصطلحات الدالة على الحد وتتداخل معانيها في تصور الفئات العالمة وهي في مجملها عبارة عن عمق جغرافي وبشري متغير الأبعاد. ويرتبط بقاءها واستمرارها بالقوة الحربية للسلطة السياسية[2]. وفي بلاد المغرب الأوسط حيث القسم الكبير من الأوراس لم تبرز الأقاليم في العهد الحفصي بصورة مميزة إلا ببعض المناطق القليلة، ولكن بدون حدود مضبوطة وحول بعض المراكز الحضرية التي كانت تستعمل لتسميتها، فنجد مثلا "منطقة قسنطينة" ومناطق بونة. كما تذكر أيضا لكل مدينة من تلك المدن متبوعة بعبارة "وأعمالها" أو بعبارة "ومنطقتها". ويبدو أن العمل جمع أعمال" كان يمثل الدائرة الترابية الأساسية التي تكتسب في آن واحد صبغة عسكرية وجبائية. وكانت "الأعمال" تنقسم بدورها إلى "أوطان" و "أحواز". ولا شك أن هذا التقسيم كان يكتسب أساسا طبيعة جبائية.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أنه بالنسبة للحدود الفاصلة بين الأقاليم الداخلية وكذلك بالنسبة للحدود مع البلاد الأجنبية، لم يكن الأمر يتعلق عادة بخطوط ثابتة مرسومة من طرف البلاد إلى الطرف الآخر. بل كان يتعلق بحدود متغيرة ومتقطعة تفصل بين القبائل[3]. ولا يمكن إغفال ما يمكن أن يساهم به البحث الأركيولوجي لرسم صورة تاريخية عن امتدادات القوى والإمبراطوريات التي استقرت بالمنطقة[4].

المناطق الشمالية لبلاد المغرب تأثرت بالجغرافيا، والتضاريس، والمناخ أيضا، وخاصة ما تعلق بنمط العيش الخاص بالقبائل التي تعتمد على الظعن والارتحال. فتتداخل جغرافيا التضاريس بحركة السكان وتلعب دورا كبيرا في رسم الحدود بين مختلف المجالات، والسبب يعود حسب بول تروسيه (Pol Trosset) إلى أن

---

[1] عبد القادر جغلول. الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون. دار الحداثة. بيروت. ط4. 1987. ص 207- 208.

[2] فاطمة بن سليمان. المرجع السابق. ص 87.

[3] روبار برونشفيك. تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1988. ج 2 ص 112- 113.

[4] يمكن للبحوث الأثرية أن تساعد على دراسة تاريخ المجال في بلاد المغرب في الفترة القديمة والوسيطة. فإذا كانت المصادر الكلاسيكية لا تسمح بإعطاء شكل واف عن تاريخ المجال، فإن البحث الأثري له أهمية كبيرة في معرفة جغرافيا الإمبراطوريات القديمة (البونية والرومانية والوندالية والبيزنطية ...) أو معرفة القوى الهامشية ومناطق انتشارها. ينظر:

Ahmed Siraj. *op,* cit, p. 16.

الجبال تنتهي بمنخفضات تشكل مجال الهضاب. بينما الصحراء تغزو التل، وتتداخل هذه التضاريس عادة بمنخفضات تشكلها الأودية أو المنحدرات الجبلية. وترتبط هذه المجالات بأنماط العيش حسب المواسم عن طريق اللعبة المتناوبة لتنقل الرحل الموسميين باتجاه المناطق الصحراوية في الشتاء[1]، فيكون المجال حينها معلما جغرافيا وسياسيا، خاضعا للشروط التاريخية المتحكمة في تشكيله وتمطيطه أو تقليصه، تبعا لاختلاف القوى السياسية والاجتماعية[2].

بالنسبة لحدود مجال الأوراس، فإن الجغرافي جون لوي بالي (Jean-Louis, Ballais)[3] يقترح مجموعة معايير لتحديد هذا المجال بدءا بالجانب الجيولوجي المعتمد على عملية ملزمة لمتطلبات رسم الخرائط؛ إذ ينبغي الإحاطة بهذا المجال في حدوده مع حوض الحضنة حيث جبال بلزمة في السهول العليا، ومع النمامشة أو الصحراء السفلى لإظهار التمايز. وبهذا يكون مجال هذه المنطقة متميزا عن باقي المجالات الأخرى، نظرا لثباته وقدرته على الاحتفاظ بهذا التميز الذي يتصف به، والذي يسمح له بإعادة تشكله على مر التاريخ.

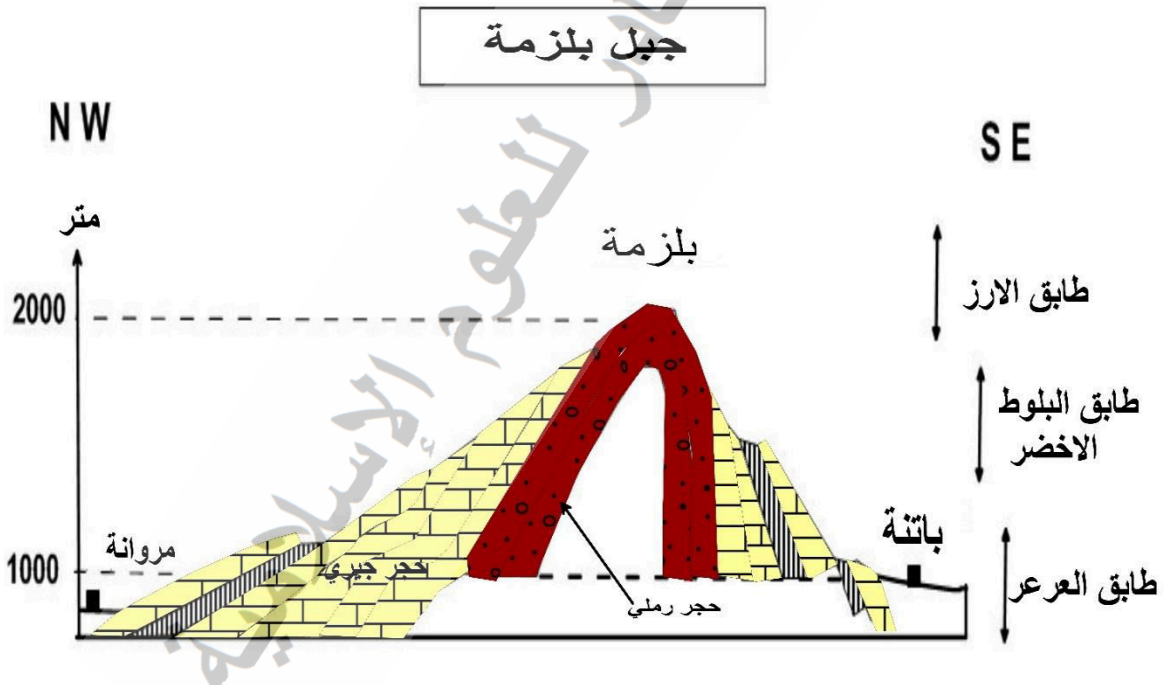

[1] Pol Trosset. *op. cit.* p.96

[2] محمد تضغوت. المرجع السابق. ص 94

[3] Jean-Louis Ballais. « Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie) ». P.10.

الأوراس كمجال يمتد في منطقة التل، والذي يتميز بالعديد من الخصائص الجغرافية المتناسقة والتي تجعله فريدا ومتميزا عن باقي الأقاليم القريبة منه على الأقل. إذ يمكن تقسيم الأوراس إلى خمسة نطاقات رئيسية: حسب المناخ، الغطاء النباتي، التضاريس، التشكل ووسائط تدخل المجتمعات البشرية. كما تختلف تضاريسه من منطقة لأخرى. فبين الارتفاع الشديد والانبساط تخترقه مجموعة من الأودية، والتي تقوم بدورها بالإحاطة بمجموعة من السهول والمنخفضات التي تستغل في الزراعة والرعي. ففي المناطق المرتفعة نجد أعلى القمم تتراوح بين 1700م، و2000م، نجدها في جبل المحمل وهي غير متجانسة مع جبل أحمر خدو، وفروع مرتفعات إيشمول المنتظمة مع جبل شليا[1]. أما في الشرق حيث نجد نطاقات الحدود التقليدية لوادي العرب حيث تبدأ منطقة النمامشة، أين تكون الارتفاعات الشاهقة حيث يصل العلو إلى ما بين 2300م، و2200م بجبل المحمل وجبل شليا. أما في الشمال فينخفض الارتفاع إلى حدود 900م ما بين باتنة وخنشلة، وفي الشمال الغربي نجد مرتفعات بلزمة، حيث الارتفاع يكون 2170م. وفي الجنوب فنجد منخفض يتصل بالحدود مع الصحراء حيث يكون الارتفاع في حدود 100م. وتكون الأجزاء الجنوبية منبسطة بل إنها كثيرا ما تنتهي بتضاريس تتحد مع الصحراء، ومناطق الواحات.

في هذه المنطقة الجنوبية تتدرج كتلة الأوراس لتُكوِن مع الصحراء نهايات للتضاريس المعقدة، تتمثل خاصة في مصبات الأنهار على المنحدرات الجبلية التي تصب في الصحراء. وتخلق واحات لتفصل بين الزيبان وجبال الأوراس، ثم تتوجه الحدود الغربية إلى الجنوب–الغربي والشمال–الشرقي بالتوازي مع منخفضات منطقة سقانة الموجهة نحو الشرق والغرب، والمنخفضات الصدعية بجبال عين التوتة بالقرب من باتنة، وهي السلسلة التي تفصل جبل أوراس وجبل بلزمة. أما الحافة الشمالية فهي ثابتة، حيث تهيمن كتل صخرية إلى كتل النمامشة الحد الأقصى الأكثر حدة وشدة. إلى الشرق تتوجه خطوط رئيسية لانحناءات الجنوب–الغربي، لكن تقل الارتفاعات عن 2000م حيث نجد وادي العرب الذي يفصل بين كتلتين ضخمتين[2].

المصادر القديمة التي حددت مجال الأوراس أهمها "بروكوبيوس" (Procopius) في كتابه حروب الوندال يصف الأوراس (الذي يحدد موقعه على نحو ثلاثة عشر (13) مرحلة)، بأنه يتميز بثلاث مواصفات

[1] E.B. et Jean-Louis Ballais. *op, cit.*p. 4.

[2] E.B. et Jean-Louis Ballais. *op, cit.* p. 3.أشار موديران إلى الاختلاف حول مجال الأوراس في النصوص القديمة
بين بروكوب أن محيط الأوراس حوالي ثلاثة أيام رحلة للمسافر (حوالي 171)، لذلك فإن محيط أوراس سيكون حوالي 110 أو 120 كم، والتي من الواضح أنها لا تناسب كامل الكتلة الأوراسية العظمى كما هو معرف اليوم. وهي الفكرة التي تعرض لها كل من كورتوا وديسانج. ينظر:
Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 317. Christian Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, p. 341 note 8. Jehan Desanges, « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine », *Byzantion*, 33, (1963), p. 68.

أساسية ومتكاملة في نفس الوقت، فهي مرتفعات مناهضة لمن يباشرها لأول مرة، وهي النعيم لمن يعيش بها أو يعبرها مسالما، إلا أنها ضد العدو الذي يهاجمها. توفر لسكانها مناطق محصنة ومواقع دفاعية متعددة. مضيفا أن محيط هذه السلسلة يستغرق مسافة حوالي ثلاثة أيام لمسافر غير مثقل بالبضائع[1]. إلا أن هناك تساؤلا حول هذا التحديد الذي يقصده بروكوبيوس، والتي تعكس انطباع المسافر الذي يعبر هذا الجبل لأول مرة[2]. إذ لا بد من التساؤل عن مقدار الصواب في وصفه للمنطقة؟ وهنا نجد أن بالي (Ballais) وهو من المختصين في جغرافية الأوراس[3] يرى أنه لا يمكن الوثوق في الوصف الذي تقدمه الكتابات والنصوص القديمة مثل بروكوبيوس، والطبوغرافيا التي كانوا يتحدثون عنها ويصفونها.

وتطرح العلاقة بين القبائل والسلطة السياسية خاصة الفترة السابقة للفتح الإسلامي تساؤلا عن المجال الذي كان يسيطر عليه الوندال بالأوراس، بين الحدود الشمالية للأوراس التي كانت تشكل الحدود الجنوبية لمقاطعة نوميديا، والحدود الجنوبية له، حيث انتشرت القبائل والممالك المورية المستقلة، وكانت كتلة الأوراس تقع بين هذين المجالين. ولذلك فإن هذه النصوص القديمة تحدد الأوراس لمرجعيات سياسية عسكرية[4].

الأوراس يمتلك ارتباطا قويا بالماضي حيث لا زال يحتفظ باسمه منذ التواجد الروماني على الأقل، ولا يزال سكانه الشاوية يرتبطون بهذه الكتلة وبالجزء الغربي منه بسهل بلزمة المهم في المنطقة. لذا يجب علينا وضع حدود هذه الدراسة ويجب الاعتماد على معايير لتحديد المنطقة الجيومورفولوجية مع كل الماضي الثقيل.

ورغم محدودية وصعوبة التأثير البشري في رسم الحدود بالأوراس. إلا أن دور السكان يظهر من خلال حركة القبائل ومنتجاتهم المادية، التي تؤثر في تغيير هذه الحدود[5]. فيتغير شكل الحدود ومحتواها حسب الفترات

---

[1] يوسف عيبش. الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي . مجلة الآداب والعلوم الإنسانية .02. (2003) ص 103. Procope p. 13 . 23

[2] Michel Janon. « L'Aurès au 11e siècle. Note sur le récit de Procope ». Antiquités africaines 15, (1980). p. 347.

[3] Jean-Louis Ballais, « L'Aurès ou les Aurès. Réflexions d'un géographe sur un pluriel singulier ». *Aouras*,7, 2012. p. 97.

[4] ويعزز هذا التفسير بركوب الذي أكد أن قبائل المور قبل 535م، سيطروا أيضا على الأرض غرب أوراس، وهي أرض شاسعة وخصبة، وهو تعريف يشمل جبال غرب أوراس. ينظر:

Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine* . p. 318.

[5] محمد مزين فاس وباديتها. مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549– 1637 1986/ 1406 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –مطبعة المعارف الجديدة. الرباط، ج 01. ص 39. وحول علاقات الجغرافيا بالنظم الإيكولوجية والأسس البيولوجية للجغرافيا البشرية وأثرها على حركة السكان وتغير الحدود والمجالات. ينظر:

Maximilien Sorre, «Les fondements biologiques de la géographie humaine», *Ecologie. Politique*. N°26, 2002/3. p. 189-199.

والفصول، وحسب اشعاعات المدن وغيرها. لذلك نجد أن بعض المناطق والأقاليم بالأوراس مؤهلة أكثر من غيرها للعب أدوار هامة عبر تاريخ هذا الإقليم كأرض حدودية أو كثغر كبير[1]، سواء في جنوبه في مراحل ما قبل الفتح الإسلامي أو في المرحلة اللاحقة. وقد كانت بعض هذه المناطق مؤهلة أيضا لتكوين الممالك لأنها تجمع بين كثافة القوة ودور الحماية الطبيعية للبلاد وقسط من الاستقلالية. وهذا ما تدعمه البقايا الأثرية المتعلقة بالمقابر المكتشفة في منطقة التل[2]، فالكثير منها تعود إلى الفترة السابقة للإسلام التي تدل على حركية مستمرة نحو الشمال، وقد كانت منتشرة بكثرة قرب الآثار الرومانية وهي مدافن بسيطة قرب المسيلة ونقرين وزانا.

من هنا لا بد من دراسة هذا المجال كإقليم واحد، إذ نجد أن هناك المعنى الذي يحمله أو يعبر عنه يشير إلى سلطة اجتماعية أو ينظمها. ولكن المعنى والسلطة ليس أحدهما بمعزل عن الآخر؛ إذ نجد أن المعنى الذي يحمله هذا المفهوم أو يعبر عنه، يمكن أن تكون له دلالات ترتبط بالسلطة الاجتماعية أو التنظيمية، دون إغفال ما للمعنى والسلطة من ارتباط وثيق، ويمكن لهذه المدلولات أن تعطي معني مختلفة على مساحة معينة، أو على الحدود الفاصلة بينها، وبالتالي يكون للعقل سلطة ابداع وتعيين المعني بالدرجة الأولى[3].

ولتباين جهاته ومناطقه ارتأينا أن نفصل حدوده الأربعة نتيجة ارتباطه جغرافيا وتاريخيا بالمناطق المحيطة به التي أثرت فيه وتأثرت به أيضا، فكانت هناك عوامل تاريخية وبشرية وجغرافية وتضاريسية ومناخية أثرت في هذا المجال نبرزها فيما يلي:

ثانيا. شرق الأوراس:

ارتبطت الحدود الشرقية للأوراس بإقليم نوميديا، ويؤكد ديهل (Diehl) أن مدينة تبسة (Teveste) تمثل أولى المواقع الحدودية الشرقية لنوميديا[4]. لا سيما وأنها كانت تسمح بمراقبة الطرق الرئيسية التي تربط تيليبت (Thelept) وقفصة (Capsa) في الجنوب الشرقي، فضلا عن الطريق الرابط بين سبيطلة (Sufutula) وسهول وادي الحطب، والطرق القادمة من قرطاجة (Carthage) باتجاه قسنطينة، وباغاية (Baghaï) .

[1] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة بيروت، 2004. ص 184.

[2] Elizabeth Fentress. Andrew Wilson, « The Saharan Berber Diaspora and the Southern Frontiers of Byzantine North Africa», *North Africa under Byzantium and early Islam*, edited by Susan T. Stevens and Jonathan P. Conant. Library of Congress. p. 44 -45.

[3] ديفيد ديلاني. الإقليم. مقدمة قصيرة. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. 2017. ص 32.

[4] Charles Diehl. *L'Afrique Byzantine, Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord (533-709)*, Paris. 1896. P. 237.

موقع المدينة يشكل حزاما حدوديا هاما، فهي حلقة وصل بين التل والصحراء وبين إفريقية ومنطقة الزاب[1]. إضافة إلى اشرافها على الطرق المتجهة جنوبا نحو الصحراء عبر وادي ثليجان[2].

كما تستمد تبسة أهميتها من تموقعها بشرق الأوراس وإشرافها على الطريق المؤدي إلى تيمقاد (Thamugadi) ولامبيسيس (Lambaesis) من جهة، ومن جهة أخرى على المسلك الجنوبي من خلال وادي هلال ووادي ثليجان. وقد وجدت على طول هذه المسالك سلسلة من الحصون، مثل هنشير عين سبع بالقرب من وادي الماء، وقلعة عين بودريس، وهنشير الحمام...[3].

تدخل تبسة ضمن سياسة رسم الخطوط الحدودية لتأمين شرق الأوراس وتحصينه، وهي سياسة تعود إلى القرن الثالث الميلادي حيث تتجسد في بروز منشآت عسكرية لا ترتبط بحدود تضاريسية ومناخية وحيدة. بل تظهر من الغرب إلى الشرق بحدود ذات مدلول اعترفت به الأدبيات الجغرافية كتقسيمات طبيعية حاسمة للمغرب[4]. وقد امتدت هذه المنشآت في الشرق لتشمل شرق الحضنة إلى الجنوب التونسي، فقد كان رسم الحدود النوميدية يتبع الحاشية الشمالية لما قبل الصحراء، على خط تساقط يتراوح ما بين (150 إلى 100ملم)، وهذا واضح من خلال ظهور أولى الواحات من القنطرة[5].

ويبرر دييل خريطة البيزنطيين السياسية آنذاك قائلا بأنه رغم احتفاظهم بالحصون القوية التي أنشأوها أيام قوتهم بشمالي الأوراس كبغاية، وتيمقاد، ولمباز، إلا أنهم فقدوا سيطرتهم على الأوراس والحضنة، كما تقلص نفوذهم السياسي على المجتمع المسيحي في تلك الجهات[6].

لقد عملت روما على التحكم في نوميديا وموريطانيا السطايفية، واستأنف البيزنطيون عمل الرومان بتوسيع السيادة والاعتماد على إنشاء خط الحصون، عبر قالمة وقسنطينة، ومداوروش، وقصر الصبيحي Gadiofala، وتيجيس.

---

[1] Paul-Louis Cambuzat, *L'évolution des cités du Tell en Ifrîkiya du VII.° au XI.° siècle*, Alger, Office des publications universitaires, 1986, p. 216 - 218.

يوسف عيبش. الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي. ص 455 – 457.

[2] Rachid Bourouiba. *L'architecture militaire de l'Algérie médiévale*. Alger, Office des publications universitaires. 1983. p. 6.

[3] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. ص 99.

[4] Pol Trosset. *op. cit.* p. 93.

[5] Pol Trosset. *Ibid.*, p. 93

[6] Charles Diehl. *op, cit*, p. 536 . محمد البشير شنيتي . الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة المور. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1999. ص 500.

وفي عام 539م غزا صولومون (Salomon) الأوراس والحضنة وبلاد سطيف، وبنى العديد من الحصون بالمنطقة، والتي ستتحول فيما بعد إلى بؤر للاستيطان. إلا أن البيزنطيين قد تخلوا في وقت مبكر عن هذه المنطقة وبدأوا يواجهون سلسلة من الأعمال الدفاعية التي تجعل من الأوراس هذه المنطقة الشاسعة معسكرا ثابتا.

هذه الحدود الممتدة عبر تلال غرب تبسة، وخنشلة (Mascula)، بنيت فيها حصون للدفاع وايواء الحاميات وأخرى للبريد، وهي حصون بسيطة تحرس من قبل بعض الجنود. وكانت بعض هذه الحصون نقاط دعم لمقاومة الغزو، ومناطق لتركيز القوات ومستودعات للأسلحة والغذاء.

كانت الكثير من هذه الحصون منتشرة عبر الطرق والتلال، ومداخل السهول. وتراوحت أنواع هذه الحصون بين:

- مدن محصنة محاطة بسور كامل مثل تبسة وباغاية وقاساس وزانة شمال الأوراس.
- مراكز صغيرة على شكل مربعات أو مستطيلات وعادة تكون بدون أبراج مثل زراي (Zarai) وبلزمة[1].

[1] Stéphane Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie ». p. 345 – 347.

مجـــال شـــرق الأوراس

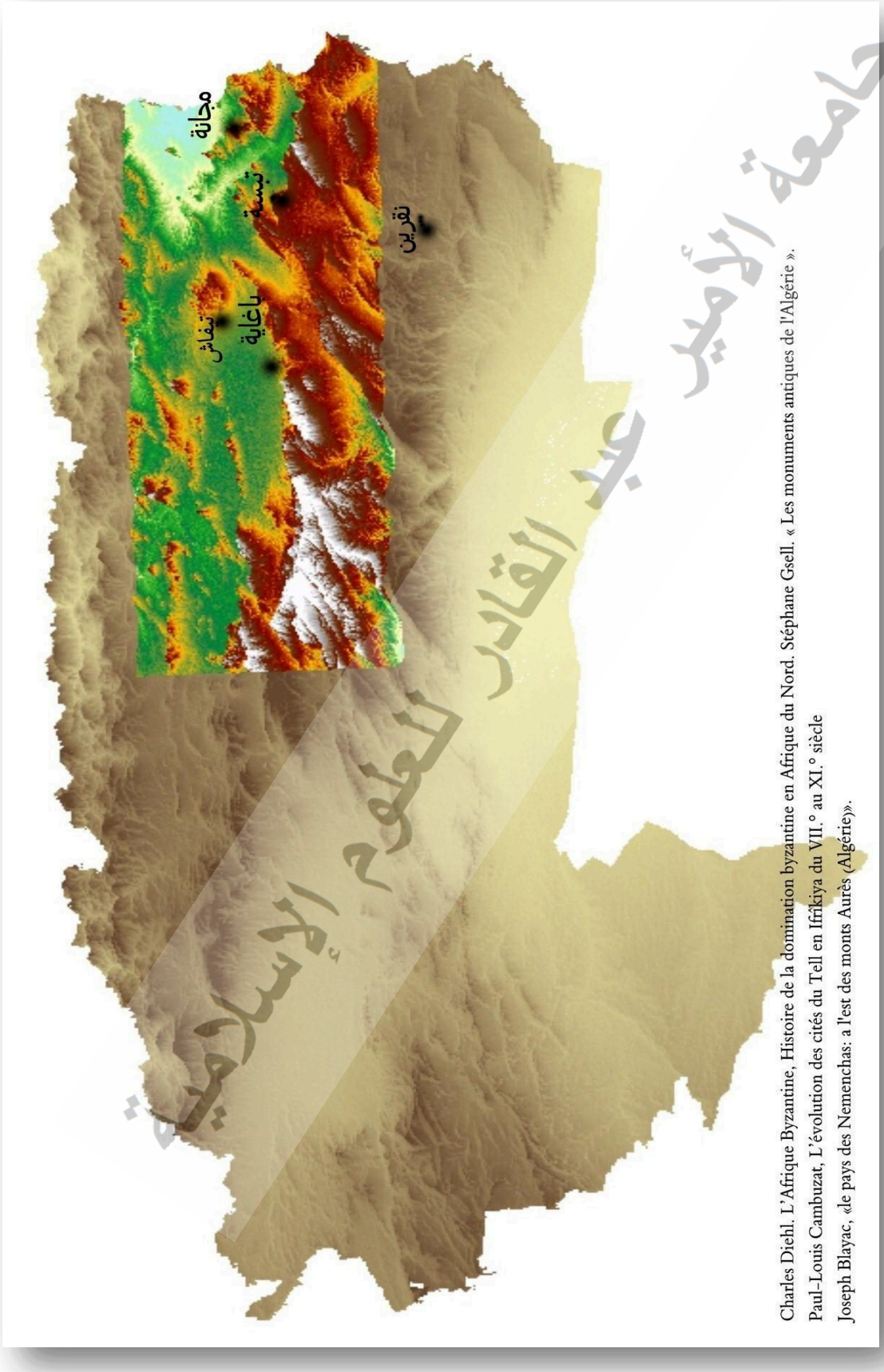

Charles Diehl. L'Afrique Byzantine, Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord. Stéphane Gsell. « Les monuments antiques de l'Algérie ».
Paul-Louis Cambuzat, L'évolution des cités du Tell en Ifrîkiya du VII.° au XI.° siècle
Joseph Blayac, «de pays des Nemenchas: a l'est des monts Aurès (Algérie)».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الوقوف على المناطق التي أخضعها البيزنطيون بشمال إفريقيا تركزت على شمال الأوراس لكنها لم تتجاوز مرتفعات الحضنة غربا وذلك في أيام عز البيزنطيين. لكن ابتداء من أواخر القرن السادس الميلادي بدأت تتراجع تلك الحدود وتقلص نفوذ السلطة البيزنطية التي كانت محاطة بالتحصينات[1]. لقد كان هذا التراجع في المنطقة لصالح بروز قوة الشريط الشرقي للأوراس الذي سيشكل في مرحلة تالية حاجزا ومركزا هاما لمختلف المقاومات التي ستظهر خلال القرون التالية. فهنا ستبرز ردات الفعل عندما يدخل الفاتحون في عمل عسكري من الجانب الغربي الخاص بإفريقية المورية؛ إفريقية الحدود الصحراوية والمرتفعات الجبلية مثل جبال الأوراس وما يجاورها التي ستعبر عن مقاومتها الشديدة[2]، وهذا ما يفسر ولا شك استقلال الأوراس عن السلطة البيزنطية. وإصرار الفاتحين المسلمين على اختراق هذا المجال الذي تضمن السيطرة عليه التحكم في باقي المجالات القريبة منه.

ففي مرحلة الفتح الإسلامي، ومن أجل إحكام السيطرة على شبكة من الحصون التي أحاطت بالأوراس الشرقي، استمر التوسع بمنطقة الزاب، وامتدت هذه الحصون من تبسة، إلى تيفاش[3]، ثم إلى مجانة، واستمرت إلى الجنوب الشرقي إلى حدود الدوسن بمنطقة الزاب[4]، وهذا المجال يمثل الهامش الجنوبي للأوراس، كما يرتبط به في الكثير من الخصائص الطبيعية والتضاريسية، وغيرها.

كما نشير الى أن الكثير من الحواضر المنتشرة بهذه المنطقة ستفقد أهميتها بعد مرحلة الفتح الإسلامي، وهذا ما ينطبق على مدينة تبسة التي بالإضافة إلى عدم ورود ذكرها في أغلب روايات الفتح الإسلامي، فإن الأمر ينطبق كذلك على الجغرافيين العرب الأوائل الذين كتبوا عن المنطقة.

أما مجانة فتشير المصادر التاريخية إلى أنها لا زالت لم تخضع لسلطة المسلمين في عهد حسان بن النعمان. فعندما قصد إلى الكاهنة في حملته الأولى "خرج إليها بجيوشه فلما بلغ مجانة نزل بها، وكانت قلعة لم تفتح.

---

[1] محمد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة المور. ص499.

[2] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي ص 21.

[3] من أهم المدن الأثرية تقع بمدينة مداوروش على بعد 33 كلم من سوق اهراس.

[4] الزاب مجال جغرافي بإقليم نوميديا. يقع على حواف الأوراس الجنوبي عند تقاطع الحضنة وجبل بوطالب، كانت عاصمته زابي التي أخذت اسمها من الإمبراطور جوستنيان.

مارمول كربخال. افريقيا. ترجمة. محمد حاجي ، محمد زنيبر .Xavier Dupuis. « L'épigraphie de la Numidie depuis 1892 ». p. 229 وآخرون. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1989. ج 2 ص 140.

فتحصن بها الروم، فمضى وتركهم. وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل أوراس في عدد لا يعلمه الا الله عز وجل"[1].

لم تتم السيطرة على شرق الأوراس بعد ثلاث حملات توجه إليه؛ فقد فشلت حملة أبو المهاجر دينار، و انتهت حملة عقبة بن نافع إلى مقتله على يد كسيلة، وكانت حملة زهير بن قيس في عام 69هـــ/ 688م "فضرب الله في وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابه، وقتلوا قتلا ذريعا، وقتل كسيلة بممس وتمادت العرب في طلبهم حتى سقوا خيلهم من ملوية وادي طنجة. وفتح شقنبارية وقلاعا أخر، ورجع إلى المشرق وقتل..."[2].

لقد احتوت هذه المنطقة مجموعة من القبائل المورية الكبرى المتجمعة حول أمراء أقوياء. ونجد أن هذه القبائل قد تركزت على طرفي الأوراس:

- حركة في غرب جبال الأوراس أوجدها البرانس وهم قبائل مستقرة.
- حركة في شرق الأوراس طورها البتر، وهم عبارة عن جماعات من الرحل وأشباه الرحل.

ومن الطبيعي ألا تعرف هذه الجهة الاستقرار، ولا يمكن أن نجد اتفاقا حول رسم حدود هذا الجزء من إقليم الأوراس، إذ نجد أن صاحب الاستبصار (أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، يجعل من شقنبارية (Sicca Veneria)[3] ، حدا للأوراس شرقا بقوله أنها: "مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة وهي على طرف هذا الجبل أوراس، وكانت فيما يقال من أعظم مدن إفريقية"[4]. وبالإضافة إلى العوامل الجغرافية فحتما أن هذا الإمتداد كان محكوما إلى عوامل سياسية ناتجة عن القوة المسيطرة على هذا المجال.

[1] المالكي. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية. تحقيق بشير البكوش. دار الغرب الإسلامي. ط2. بيروت. 1994. ج1. ص 50.
[2] المالكي. المصدر نفسه. ج1. ص 47.
[3] مدينة الكاف بتونس حاليا.
[4] مجهول. كتاب الاستبصار. تحقيق. سعد زغلول عبد الحميد. دار النشر المغربي. الدار البيضاء. 1985. ص 164.

ثالثا: غرب الأوراس. أثر الجبل في رسم الحدود النوميدية:

منطقة غرب الأوراس تختلف تضاريسيا وبيئيا عن شرقه. فهنا يجمع الإقليم بين السهول والجبال والمنخفضات الواسعة؛ حيث تشكل السلسلة الجبلية لبلزمة ومنطقة الحضنة والسهول الممتدة في سفوحها الجنوبية وامتداداتها بحوض الحضنة الفسيح، مجالا حيويا بارز الأهمية بالنسبة لمن يريد السيطرة على المعابر المؤدية إلى السهول العليا الشرقية. ولها أهمية كبيرة في التحكم في مختلف الطرق والمعابر نحو الشمال[1]. وتسمح لنا الظواهر الجغرافية بغرب الأوراس من ملاحظة تأثير المياه والأنهار والسهول بوضوح في رسم حدود جبل الأوراس الغربية، فهنا يبدأ تلاشي الطابع الجبلي المعقد باستثناء منطقة الجنوب الغربي، كما تنتهي الكثير من الجبال بتلال متوسطة الارتفاع.

ونتيجة لذلك فإن الانطباع السائد هو أن جنوب نوميديا كان منطقة عسكرية، معارضة في أغلب الأحيان للجزء الآخر من مقاطعة نوميديا خاصة في بداية القرن الرابع الميلادي، وهي جد غنية بالمخلفات الأثرية والعمرانية، تمتد على حوالي 250 كيلومترا من الشرق إلى الغرب، و150 كيلومترا من الشمال إلى الجنوب[2].

كما تتخذ هذه الحدود من مظهر الهيدروغرافيا[3] مستندا لها، حيث غالبا ما تساير مجاري المياه والمسطحات المائية (شطوط، سبخات...) بالإضافة إلى المنخفضات المتميزة. هذه المعالم الطبيعية من أبرز الثوابت وأكثرها وضوحا بحيث تسهل متابعتها وتيسير التحكم فيها[4]. ولعل الشريط الذي يحتوي سهل بلزمة والذي يمتد إلى غاية حدود مدينة نقاوس (Nicivus)[5] مثال على ذلك. يقابل هذا السهل في الطريق المنخفض الممتد من نقاوس إلى قلعة زراي (Zarai)، وموقعها يسمح لها بالإشراف على العديد من المعابر بالجهة، وتمتد جنوبها سلسلة مرتفعات عالية تغلق منخفض الحضنة وتشرف على سهل بلزمة.

ترتبط حدود الأوراس الغربية بمجال استطاع ستيفان قزال (Stéphane Gsell) أن يحدده كشريط من المدن والحصون تمتد بين موريطانيا القيصرية والسطيفية. حيث طرح في عام 1902 مسألة الحدود بين الموريطانتين، عبر شبكة من المدن تمتد عبر بجاية (Saldae)، تكلات (Tiklat)، والغدير، و راس الوادي

[1] محمد البشير شنيتي . الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج 02 ص 459– 460.

[2] Xavier Dupuis. *op, cit*.. p. 229 230.

[3] سنتطرق الى دور الماء والانهار في رسم الحدود المجالية في حديثنا عن الحدود الجنوبية للأوراس في المباحث التالية.

[4] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. ص 20.

[5] Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie*. Feuille 26 161.

(Thamallula) ووادي القصب وزابي (Bechilga- Zabi). وقد عثر على نقيشة بمنطقة عين الروى[1] تؤكد هذه المعلومة، والتي وضحها أكثر بيار سلامة في خارطته المتعلقة بشبكة الطرق في إفريقيا الرومانية عام 1949[2].

[1] Stéphane Gsell. *ibid.* Tome1. Feuille 16. n 78.

[2] Jean- Pierre Laporte. « La limite entre les Maurétanie césarienne et sitifiènne ». p. 213.

مجـــال غرب الأوراس

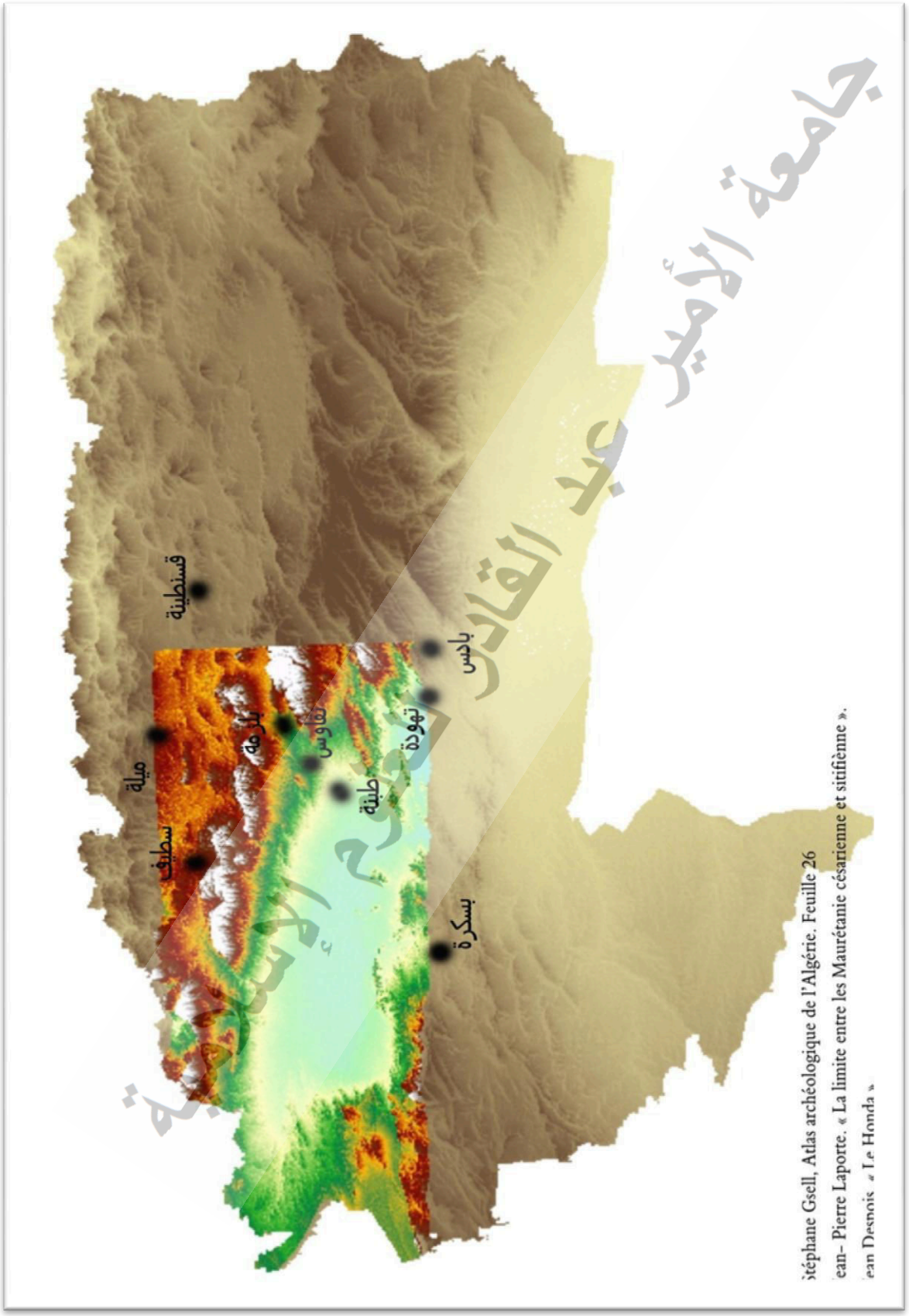

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما عن دور حصون وحواضر غرب الأوراس الحدودية فنجد أن أهمية قلعة زراي[1] كونها تفصل بين نطاقين بيزنطيين هما: نوميديا وموريطانيا. وبذلك فهي تشكل نقطة حدودية مفصلية في الحدود الغربية للأوراس وترتبط بحصون كثيرة، فهي في مفترق الطرق نحو كل من طبنة، بسكرة، ونقاوس. إلى جانب عين زانة (Diana Veteranorum)، لامبيسيس، وقسنطينة، من الناحية الغربية، وشمالا إلى سطيف (Sitifis)، وكويكول (Cuicul)[2]. ولذلك فإن موقع هذه القلعة له دلالته الأمنية وهو ما يعني حتمية الحضور العسكري البيزنطي نتيجة انعدام الأمن الناتج عن العداء المستحكم بين البيزنطيين وأهل البلاد الذين رفضوا الانصياع للوضع الجديد[3]. ومن أجل ضمان السيطرة على الطرق والمسالك كان لا بد على مختلف القوى أن تضمن السيطرة على هذا الجزء من الأوراس وعلى الخصوص معابر منطقة بلزمة الجنوبية، والتي تشكل الحد الغربي للأوراس، وهو المجال المغيب في أغلب الدراسات الكلاسيكية وخاصة الدراسات الفرنسية، والتي تقصر الأوراس على حافتي نهري وادي القنطرة ووادي الأبيض في معظمها.

أما الحدود مع منطقة الحضنة فهي تتقاطع مع جبال الأوراس عند جبل بوطالب، هذا الأخير الذي تتخلله مجموعة من الأودية تصب معظمها في شط الحضنة. وفي الشرق بين جبل بوطالب وسفوح جبال الأوراس نجد الدلتاوات التي يشكلها جبل قطيان والتي تتحكم في الممرات وتوجهها إلى شرق الجنوب الشرقي، وغرب الشمال الغربي. والرابطة بين الحضنة والهضاب العليا[4]. ولذلك تكون علاقة الحضنة بجبل الأوراس جيولوجية؛ فهذا الحوض يعود في أصله إلى الانهيار بسبب طيات العصر الجوراسي والطباشيري فوقف فجأة عند أطرافها إلى الغرب والجنوب، ويستمر شمالا حتى جبال بوطالب[5].

---

[1] زرايا (Zarai) . إلى الجنوب الغربي من سطيف. كانت بلدية تحت سلطة سيبتيميوس سيفيروس، اكشف بها أطلال لاثنين من البازيليكا بغربها، وبقايا أثرية يعتقد انها لكنيسة من 60م /14 م إلى الشمال، كبيرة البازيليكا من m25 X 17m1040. وقد سبق هذا الأخير الرواق وتحتوي على العديد من القبور، وبقايا التوابيت المدفونة. في إلى جانب ذلك، وكانت محاطة بمجموعة من الأديرة، مما يساعد على تفسير انتشار الدوناتية ومعارضيها الذين لجأوا لهذه المدينة نهاية القرن الخامس الميلادي عهد هنريك في 484م. ينظر:

Le chanoine Jaubert. « Anciens evêchés et ruines chrétiennes de la Numidie & de la sétifienne ». *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*. 1912. 3e volume. p. 104.

[2] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*. Tome1. Feuille 26. n 69. *Recherches archéologiques en Algérie*. p. 142

[3] محمد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. ص 414.

[4] Jean Despois. « Le Honda ». Presses universitaires de France. 108. Paris. 1953. p. 46.

[5] Augustin Bernard E. Ficheur , *op. cit*, p, 430.

مصطلح "نوميديا" جغرافيا واثنيا صاغ من الاسم الإثني "نوميد"، وهو ما يعني بعض السكان الرحل الذين يعيشون في هذه المناطق قبل وصول الرومان بفترة طويلة. وإنشاء هذه المقاطعة ربما يعود إلى سيبتيميوس سيفيروس. منذ إعادة تنظيم المحافظات من الإمبراطورية تحت ديوقليتيان، لذلك فإن مصطلح نوميديا يتوافق مع كيانين إداريين. ومع ذلك، فإن مخطط تدفق جوستنيان لا تثير مقاطعة واحدة فقط من نوميديا. للمزيد ينظر:

في هذه الحدود مع الحضنة نجد الممر الجنوبي الشرقي بمنطقة هنشير باجرو (Badjeur)، وتقع على الطريق الروماني الجنوبي المحاذي لجبل بوطالب. إلى المدخل الجنوبي الشرقي في الرواق الجبلي نحو جبال أولاد علي ومواسة. وهي قلعة من النوع البيزنطي[1]. وغير بعيد عنه، دائما بجبل بوطالب نجد عين معفر. تمتد إلى الشرق من كاف معفر، قريب من مصدر للماء، وهو بناء منخفض، على بعد 400 م من الجنوب الغربي من بقايا كنيسة، وتوجد بجانب آثار كنيسة أخرى على بعد 150 م جنوبا. كما تحتوي المنطقة العديد من بقايا معاصر الزيتون[2].

وتحاذي هذه المنطقة إقليم مدينة نقاوس في أقصى الجهة الشمالية الشرقية في منطقة الحضنة، وهي مدينة كبيرة سيكون لها دور هام في القرون التالية كمركز للسلطة في القرن الخامس الهجري/ 11م[3]، أما مدينة طبنة، جنوب شرقي الحضنة بين شط الحضنة وجبال باتنة، فتشكل الحدود الفاصلة بين الحضنة والأوراس، أين تتداخل الحضنة مع سلاسل جبال الأوراس التي تنتهي بمنخفضات لتشكل الحضنة. وفيها يصب أهم أنهار الجبل، التي تنتهي مصباتها في هذه الجهة[4].

رابعا. جنوب الأوراس. الانتجاع والسيطرة على الماء:

نجد أنفسنا في هذا النطاق أمام جغرافيا تختلف تماما عن باقي النطاقات التي عرفناها سابقا بالأوراس. فهنا بالتخوم الجنوبية للأوراس تلتقي تضاريس الجبال بالصحراء، عبر منحدرات الوديان، حيث تنتهي سلسلة جبال الأوراس الجنوبية بشبكة من مصبات الأنهار التي تصب معظمها في الشطوط، وتستغل مياهها في السقي، كما تعرف المنطقة بطابع الانتجاع والترحال بين المجالين الصحراوي ومجال التل في الشمال، إذ أن أغلب الاكتشافات الأثرية تدل على أن الحدود الجنوبية لنوميديا تبين الوجه الخفي لزراعة إفريقيا القديمة على هامش حدود الإمبراطورية. وقد أعاد ديسبوا (Despois) تقييم شامل لهذه الحضارة الريفية التي يربطها الجغرافي دوبلانول (Xavier de Planhol) بالجبال المحيطة بالمنطقة الجافة للعالم القديم[5].

Xavier Dupuis. *op, cit.* p. 5. 6.

[1] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*, tome.1, feuille 26, p, 09.

[2] Stéphane Gsell, *ibid.* Feuille 26, p, 4.

[3] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. تاريخ إفريقية في عهد بني زيري. من القرن 10 إلى القرن 12م ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. 1990. ج2. ص 89- 90.

[4] الهادي روجي إدريس. المرجع نفسه. ج2. ص 90.

[5] Pol Trosset. *op. cit.* p. 90 91.

حدد شو منطقة "مدوكال" التي تحيط بها الجبال بجنوب غرب طبنة كحد طبيعي لبداية انتشار مزارع النخيل الأولى وشطوط الملح، حيث تنتشر سهول مغطاة بالملح أو المغمورة.

إن كثرة الآثار الرومانية بالجنوب والجنوب الشرقي لسلسلة الأوراس تدل على غناها بالعمارة الفلاحية، كما عثر على نقائش الكتابات بحواف الأوراس الجنوبي تدعم انتعاش المنطقة[1]؛ فقد تمكن فلاحو المنطقة استغلالهم لهذا المجال باختيارهم الزراعات التي تتطلب القليل جدا من الماء. وأنهم استعملوا بأشد الحصافة والتبصر كل الإمكانيات التي قد تقدمها لهم الأنهار النازلة من الجبال. وكذلك الأمطار والمياه الباطنية[2]. ولعل تتبع المراحل اللاحقة تبين لنا طبيعة الخريطة الأثرية الخاصة بالمنشآت الزراعية بجنوب الأوراس، ومن هنا تبدو لنا قيمة التضاريس ومدى تحكمها في ضبط وتحديد المجال الجنوبي للأوراس، فالاهتمام بالريف والرغبة في توسيع الحدود جنوبا يتفق مع التفسير الجغرافي لديسبوا الذي ربط حدود التوسع في الشرق الجزائري بإمكانيات الزراعة على تخوم الصحراء بفضل التحكم في الماء.

فبالنسبة إليه فإن شكل التواء التضاريس وتخوم المنطقة بين حدود التل في غرب الحضنة وحافة جنوب الأطلس الصحراوي سمح له أن يكون في وضع مقابل لاتجاه سريان المياه، في جنوب الأوراس، حيث تصطدم كتلة الجبل بالمنطقة ما قبل الصحراء وتستفيد من المياه المنحدرة من الجبل. إنها جزء من ثروات التل التي تلتحق بالصحراء، بتأثيره على الهيدروغرافيا والتي يكون لها أهمية كبيرة في تحديد المساحات القابلة للاستعمال في الزراعة. حيث منحنيات تهاطل الأمطار تشير إلى 400ملم بالنسبة للحبوب و200 ملم بالنسبة لأشجار الزيتون[3]. وقد تمت العديد من الاكتشافات بجنوب الأوراس اعتمادا على الصور الجوية في مجال يمتد على طول 15كلم وبعرض 10كلم، من جنوب القنطرة إلى جنوب لوطاية. وتصل إلى عشرات الكيلومترات شمال بسكرة[4]، ورغم الأبحاث المنجزة حول هذه المنطقة لكنها لازالت تحتوي الكثير من الآثار التي لا تزال غير مكتشفة وغير مستغلة في الأبحاث الأركيولوجية للأوراس رغم أهميتها.

وإذا كان الصراع من أجل السيطرة على المناطق الغنية والخصبة، فإن السيطرة على المياه والاقتراب من الأنهار لضمان التزود بالماء هو الذي سيحدد المدى الذي ستسيطر عليه القبائل التي تقطن جنوب الأوراس. فسكان الجبال الواقعة شمال الصحراء قد التحقوا بحدود غامضة وواسعة وقد نجحوا جزئيا في الاستحواذ على

Shaw Thomas. *Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographique, physique, philologique,* etc. de cet Etat. Traduit de l'anglais. Par Mac Marthy. Paris. 1830. P. 391.

[1] Pierre Morizot. « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ». *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 123, 2, 1979, p. 336.

[2] ستيفان قزال. تاريخ شمال افريقيا القديم. ترجمة محمد التازي مسعود. الرباط 2007 مطبعة المعرف الجديدة. ج01 ص81.

[3] Pol Trosset. *op, cit.* p. 93.

[4] Louis Leschi. « Nouvelles recherches aériennes sur le « limes » d'Afrique ». *Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 91e année, N. 3, (1947). p. 513.

نقاط مياه وأراضي قابلة للري، لكنهم دخلوا في منافسة من أجل التحكم في هذه الموارد مع البدو أو الرحل للصحراء السفلية سواء تعلق الأمر بمراعي أو آبار أو بأراضي زراعية مسقية منتجة للحبوب[1].

إضافة إلى الصراع على الماء السيطرة والبحث عن امتلاكها من طرف القبائل التي لا يخفى دورها في رسم معالم حدود الأوراس الجنوبية، فإن هناك عنصرا لا يقل أهمية عنها يتمثل في مجموعة الحواضر التي تحيط بحدود الأوراس الجنوبية وتعتبر نقاط التقاء بين مجالين مختلفين؛ مجال الجبل، ومجال الحدود الشمالية للصحراء، وقد استغلت كتحصينات رومانية مثل التي أنشأت على طول نهر القنطرة، والتي أجري حولها لوي ليشي (Louis Leschi) مسحا أثريا جويا سمح باكتشاف العديد من الأبراج والتحصينات المنتشرة عبر مجال الشمال الغربي مسايرا لوادي القنطرة على الضفة اليمنى على طول عشرات الكيلومترات[2].

من أهم الحصون المشيدة بهذه المنطقة الحدودية نجد تهودة (Thauda) القلعة التي أسسها الرومان وحصنها البيزنطيون والمبنية بالحجارة[3]. اعتمدها البيزنطيون كقلعة وهي التي تدعم الرأي القائل بامتداد النفوذ البيزنطي لجنوب أوراس، وهي تقع على خط يمتد من طبنة إلى الجريد بإفريقية الجنوبية. وتكون بادس (Badias) مرتبطة بتهودة كحزام اعتمده الرومان لمحاصرة الأطراف الجنوبية للأوراس. كما أن المدينة تعطينا إشارة إلى امتداد النفوذ البيزنطي إلى جنوب الأواس، إضافة إلى تهودة وباقي المدن التي تقع على هذا الممتد من بسكرة إلى تبسة، ويشمل حوض مصب نهر العرب[4].

[1] Pol Trosset. *op, cit.* p. 97.

[2] Louis Leschi.. *op, cit*, p. 513.

[3] Rachid Bourouiba. *op, cit.* p. 3.

[4] Paul-Louis Cambuzat, *op, cit*, p. 24 - 26.

مجـــال جنـــوب الأوراس

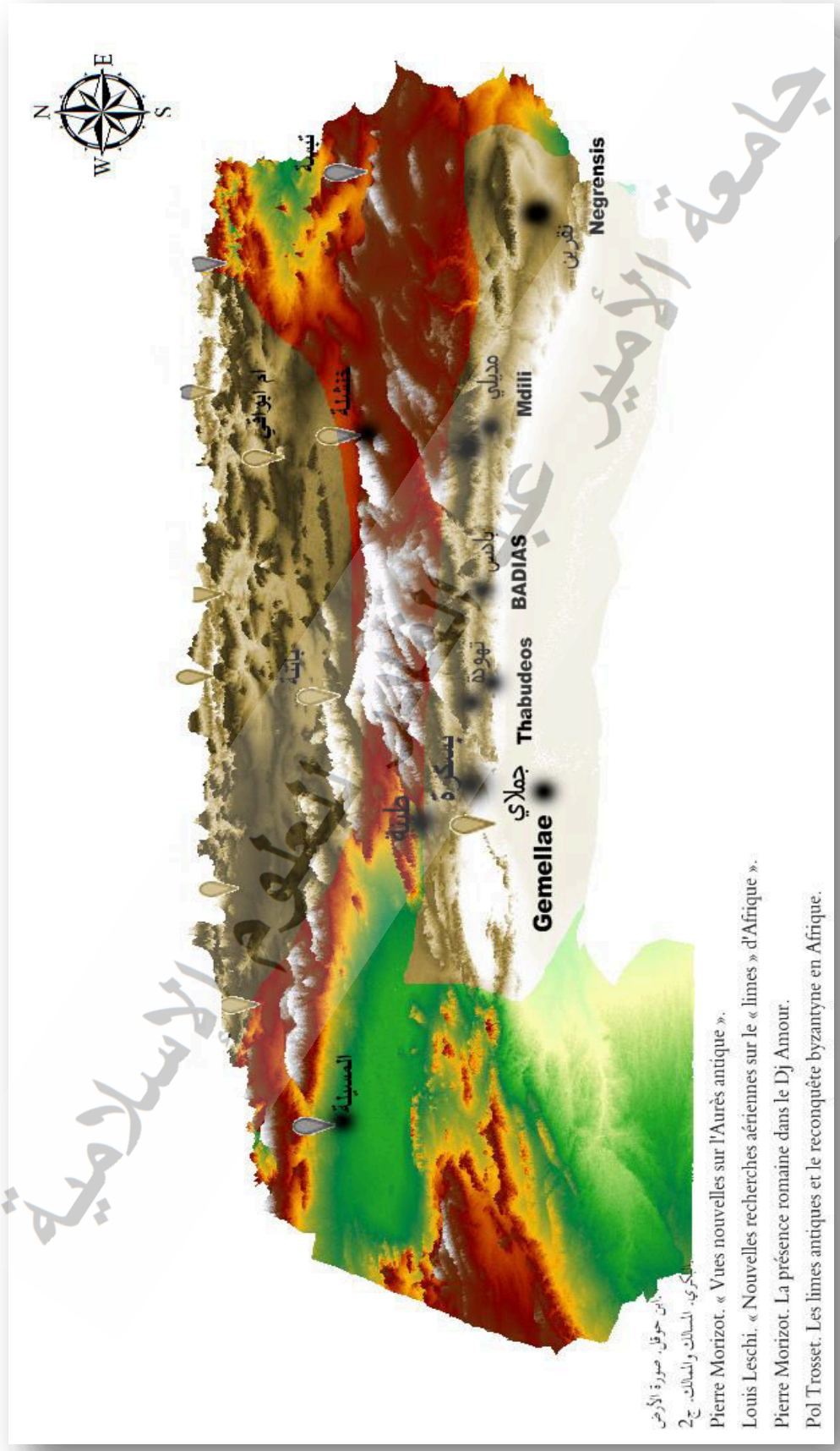

جون حوقل. صورة الأرض
...كري. المسالك والممالك. ج2
Pierre Morizot. « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ».
Louis Leschi. « Nouvelles recherches aériennes sur le « limes » d'Afrique ».
Pierre Morizot. La présence romaine dans le Dj Amour.
Pol Trosset. Les limes antiques et le reconquête byzantyne en Afrique.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ورغم أننا نجد آراء أخرى تقول باستحالة امتداد النفوذ البيزنطي إلى جنوب الأوراس، فإن هذه المدينة تبقى تشكل حدا طبيعيا يفصل منطقة التل بالصحراء، وتدرج ضمن المواقع جنوبية الأوراس1. وهذا ما سنتطرق إليه فيما بعد حول مسألة طبيعة المجال الأوراسي في هذه الجهة.

وإذا كانت هذه المدينة غير خاضعة للبيزنطيين في مرحلة ما فإنها كانت تحت سلطة قبائل المور مثلما يرى موريزو[2] الذي يصر على استحالة مرور مسالك بيزنطية بالمنطقة لمراقبة المواقع الجنوبية للأوراس[3]. وقد عثر على سور قلعة تهودة بأبعاد 118م و100م وجدران جانبية ب 65م. وقد شهدت هذه المدينة نقطة التقاء الجيش الأموي بقيادة عقبة بن نافع وجيش كسيلة. ويذكر البكري أنها "مدينة أولية، بنيانها بالحجر، ولها أموال كثيرة، وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة..."[4].

يمتد خط الحدود الجنوبية للأوراس إلى بادس حيث كان البيزنطيون يراقبون الطريق الرابط بين قفصة وطبنة مرورا ببادس[5]، كما كانوا أيضا يشرفون على الطريق الرابط بين منطقة الجريد التونسي وطبنة[6]. وفي المقابل هناك خط يربط بين نقرين وتبسة ويستمر دون انقطاع حتى المتلوي بتونس، وتشهد هذه التحصينات على حرص الرومان أوائل القرن الرابع عهد هونوريوس (Flavius Augustus Honorius 393– 423) وثيودوسيوس (Theodosius 347)[7]. على ربط المنطقة بالحصون.

الحصنان بادس مع تهودة يشكلان حزام أمني يراقب السهول الممتدة جنوب أوراس والمناطق الممتدة حول وادي العرب. وترتبط بعدة طرق مع كل من تبسة ولامبيسيس وبغاي إلى جانب تهودة[8]، واعتبرها بروكوبيوس من بين المدن التي حصنها جستنيانوس وأشار إليها الشاعر كورييوس (Flavius Cresconius Corippus) خلال القرن السادس ميلادي متحدثا عن المور المقيمين بإقليم بادس وممارستهم لزراعة محصولين في السنة الواحدة. كما أشار ستيفان قزال [9] إلى بقايا قنوات الري التي تعود إلى العهد الروماني، والتي تقع على

---

[1] Paul-Louis Cambuzat, *ibid*, p. 202 - 204. عيبش يوسف. الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي . ص 382.

[2] Pierre Morizot. « La présence romaine dans le Dj Amour. Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique ». *Hommage à Pierre Salama. Actes de la table ronde réunie à Paris* les 2 et 3 mai 1997. p. 185.

[3] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. ص 382 – 384.

[4] المسالك والممالك. ج 2 . ص 255.

[5] Pierre Morizot. La présence romaine dans le Dj Amour. p. 212.

[6] Pol Trosset. Les limes antiques et le reconquête byzantyne en Afrique. 2em colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'afrique du nord. 1983. p. 361- 375.

[7] Louis Leschi. *op, cit.* p. 516.

[8] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ص 386– 387.

[9] Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie*, T1. f 49 n 51.

يسار وادي العرب، في المنخفض الصحراوي. فيما تعرف موريزو[1] على قصر بادس من خلال الصور الجوية. الجوية. فهي قريبة من تهودا بمرحلة، ولا تبعد كثيرا عن بسكرة إلا بمرحلة واحدة هي الآخرى[2]. وستستمر هذه الآثار المعمارية في العهد الإسلامي لما بعد القرن الخامس الهجري، إلى عهد البكري الذي يشير إلى أنه لا يزال ببادس حصنان؛ "فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة..."[3].

إن امتداد العمارة إلى هذا المجال بجنوب الأوراس يدل على فاعلية المور مع جغرافيتهم، ويبرزهم ليس كقبائل مرتحلة محاربة ولا تنتمي لجغرافية تساعدهم على الاستقرار. بل أنهم كانوا يتحكمون في تقنيات الري والإنتاج الفلاحي بطريقة جعلتهم يقومون بتوظيفها في صراعهم الحربي[4]. ويوفرون لنا أدلة على أصالة العمران العمران المحلي غير الروماني أو البيزنطي.

أما عن الحدود الجنوبية الغربية للأوراس فتمتد على طول شمال سهل الحضنة الشرقية والتي تمر جنوب سلسلة جبلية تتكون من "جبال تاشريرت" و"جبل بوطالب" و"المعاضيد" و"جبل ونوغة"، حيث تنتشر العديد من المراكز الدفاعية ومخازن الحبوب شمال سهل الحضنة الشرقي وهذه الجبال، مشكلة ممر يخترق الأوراس الجنوبي الغربي نحو الشمال، وتستخدم هذه المراكز لمنع سكان الجبال من التوجه إلى السهول الجنوبية، وكذلك منع سكان المناطق الصحراوية من الالتحاق بالسهول العليا[5]. وستصبح هذه الممرات معابر وطرق للقوافل في الفترات اللاحقة بعد الفتح الإسلامي للمنطقة.

ومعروف أن الرومان قد اخترقوا هذه الجبال منذ القرن الثاني الميلادي بتأسيس العديد من المعسكرات بعمق الأوراس وأطرافه[6]، من أجل تسهيل مهمة تطويق تلك المرتفعات بالجنوب النوميدي وأحكموا الثغور في في وجه أهل الصحراء لمنعهم من التنقل إلى الشمال.

تلك السياسة التي دعمت بخط الليمس لمراقبة تحركات الأهالي، وفتح طرقات مدعمة بوسائل دفاع مناسبة في النقاط الحساسة، حيث أسس الرومان قلعة عين سلطان (Castellum Citofactense) لمراقبة

[1] Pierre Morizot, « A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine ». *Antiquités africaines*. 35 , (1999). (1999). p.160 162.

[2] ابن حوقل. المصدر السابق. ص 88. البكري . المصدر السابق. ص 257.

[3] البكري. المصدر السابق. ج2 ص 257. مجهول. الاستبصار. ص 175.

[4] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ص 387.

[5] محمد الحبيب بشاري. "السياسة الأمنية الرومانية في شرق موريطانيا القيصرية. بحوث ودراسات في التاريخ والاثار القديمة"، أعمال مهداة للأستاذ محمد البشير شنيتي. منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية. المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. 2013 . ص 163

[6] محمد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. ج 01. ص 123.

تحركات الأهالي من السكان المقيمين بالجبال ومنع تسرب سكان الجنوب نحو السهول العليا وحماية طريق سطيف هاز (Auzia).

عثر جنوب هذا المركز على آثار حصن روماني ببلدة عين أزال، وإلى الجنوب منها بحوالي أربعة كيلومترات أقيم حصن يتوسط جبلي بوطالب وبلزمة، وآخر بعد كيلومترين منه يعتقد أنه مركز عين قيقبة (Ad Capsum Juliani) هذين الأخيرين يقعان في طريق القوافل وسط الممر الواقع بين جبلي تاشريرت وبوطالب. كما أقام الرومان مركز هنشير جريات لدعم خط فرعون المحاصر لجبل بوطالب، ومنع قوافل الجنوب من التوجه نحو الشمال عبر وادي سوبلة، وعلى بعد 4.5 كلم جنوبه أقامت مركز هنشير باجرو[1].

كل هذه المراكز الدفاعية والحصون المنتشرة بهذا المجال بشمال شرق الحضنة وفي شمال طبنة ونواحي بوطالب، كانت تعمل على ربط هذه المنطقة بين حدود نوميديا وموريطانيا السطيفية[2]. غير أن الرومان ومن بعدهم البيزنطيين فشلوا في الاحتفاظ بهذه الجغرافيا لتركيبتها التضاريسية المعقدة، وأجبرت على الانحسار في المرحلة الأولى في السهول والمناطق المنبسطة ثم التخلي عنها نهائيا بعد ازدياد ثورات المور بجنوب الأوراس.

خامسا. شمال أوراس:

تبرز في هذا الجزء بوضوح حدود نوميديا، حيث يشكل الأوراس جزءا من مجال نوميديا، وهو المجال الذي كان تسيطر عليه قبائل جيتوليا (Getulia) الذي حدد مجالها بالسهول والهضاب الواقعة إلى الشمال من الأوراس والنمامشة[3].

وتمتد هذه السلسلة إلى حدود منطقة عين مليلة الحالية حيث تتوزع إلى عدة كتل صغيرة منفصلة بوضوح عن بعضها البعض، وتشكل تقريبا نصف مساحة السهول من المنطقة. هذه الجبال يتراوح ارتفاعها بين 1000م و 1800م، تحيط بها سهول بعلو حوالي 900م[4]. هذه المنطقة أخضعت للنفوذ الروماني الذي استطاع التوغل إلى عمق الأوراس كان عسكريا بمنطقة منعة (Tfilzi) وقد عثر هنري ديفارنيي (Herni Duveyrier) على آثار تدل على ذلك عام 1860. و1880. وأكدها ماسكوري (Masqueray)[5].

---

[1] Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie*, T1. f 26 n 102.

[2] Louis Leschi, *op, cit.* p. 516.

[3] Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours. p. 446. Marge 4.

[4] Armand Frémont, « la région d'Ain M'Lila dans les hautes plaines constantinoises ». *Méditerranée 3e année n 2*, (1962). p. 31.

[5] Pierre Morizot. « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ». *op, cit.* , p. 337.

وبالنسبة للوجود الوندالي بالأوراس فقد انتشر في فترات استثنائية على منطقة النمامشة، وعلى جنوب الأوراس في الشريط الممتد ما بين تبسة وشط ملغيغ، أما المجال الثاني فينتشر إلى الغرب ما بين طبنة ووادي العرب، أي جنوب الأوراس.

في نهاية القرن الخامس الميلادي وتحديدا في عام 484م مثلما يخبرنا بروكوبيوسيوس دمر المور بالأوراس تيمقاد لكي لا يتخذها العدو الوندالي قاعدة يمكن من خلالها الاقتراب من جبال الأوراس، فيما أعلنت المناطق الجنوبية استقلالها[1]. وتبعا لذلك عرفت هذه المناطق الطرفية ضغطا من طرف القبائل المحلية؛ فنجد على سبيل المثال مدينة نقرين ونتيجة لعوامل بشرية وطبيعية قد أصبحت محطة هشة لانعدام الأمن الذي ساهم في تراجعها وتدهورها التدريجي، إضافة إلى بطء أو حتى توقف صيانة هياكل المدينة مثل مرافق جمع وتوزيع المياه الذي سيؤدي إلى تقلص المساحة المزروعة. فبدأ التراجع فيها بشكل سريع[2].

[1] Elizabeth Fentress. Andrew Wilson, *op. cit.* p. 41.

[2] Jean- Pierre Laporte, Xavier Dupuis. « De Negrenses Maiores a Négrine ». p. 63- 64.

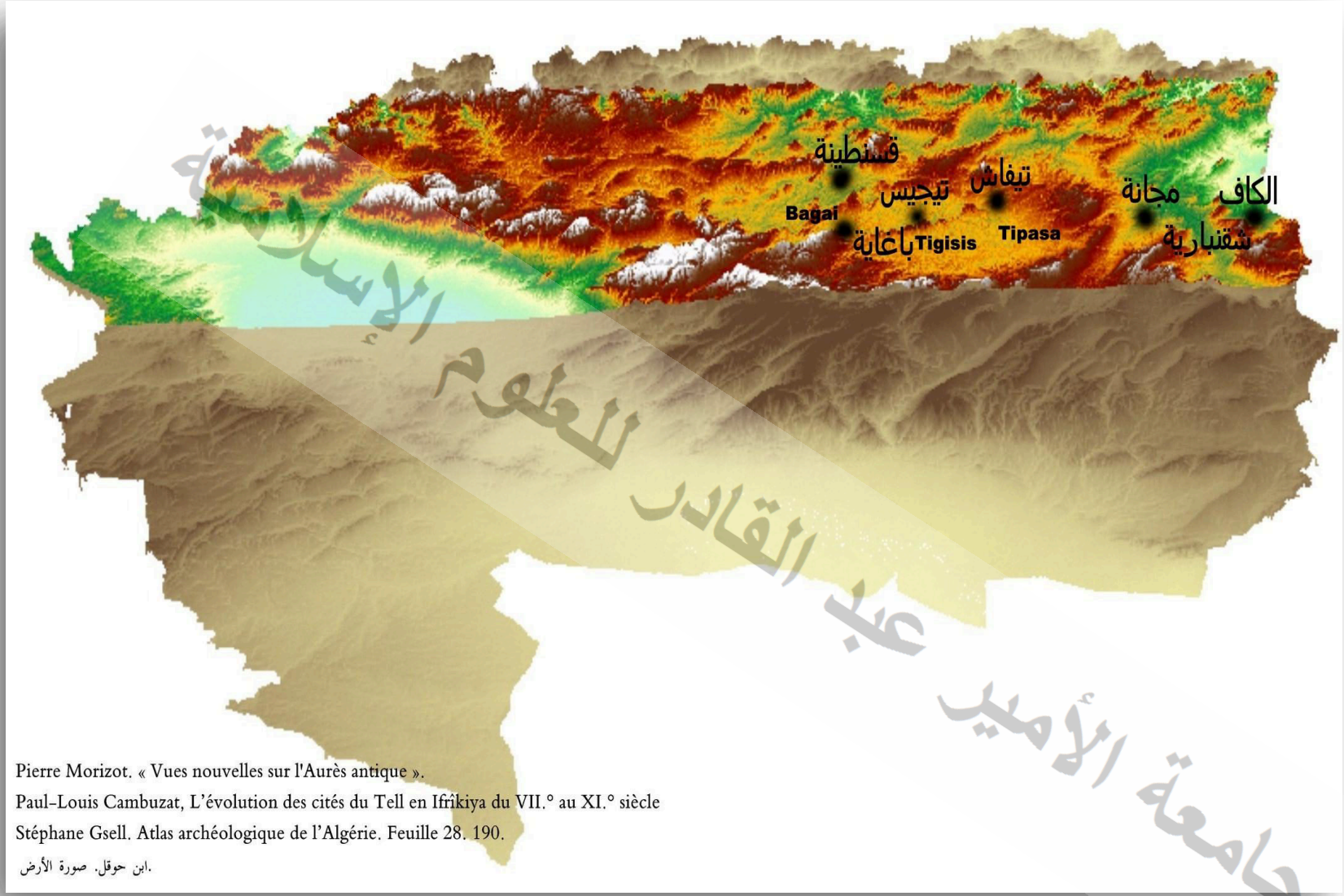

Pierre Morizot. « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ».

Paul-Louis Cambuzat, L'évolution des cités du Tell en Ifrîkiya du VII.° au XI.° siècle

Stéphane Gsell. Atlas archéologique de l'Algérie. Feuille 28. 190.

ابن حوقل. صورة الأرض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولعل قراءة سريعة في جغرافية هذه الحصون والقلاع وانتشارها الكثيف في منطقة الأوراس في الفترة السابقة للفتح الإسلامي، سيسمح لنا بإيجاد مبررات المسالك التي سارت عليها جيوش الفاتحين بالمنطقة. ومثل باقي المناطق بالأوراس فقد انتشرت التحصينات وبكثافة بهذه الجهة التي كانت تشرف على الكثير من الممرات من إفريقية وتأخذ في معظمها اتجاهات شرقية- غربية، أو جنوبية – شمالية نحو الموانئ.

وسنعود الى هذا المجال تحديدا في فصل التوطين لنرى كيف تطور من العصر القديم حيث كانت تستوطنه قبائل الموسولامي ثم استمر وأصبح مجال لقبائل وجماعات هوارة ثم الحنانشة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، أما أهم هذه المدن والحصون فيمكن الإشارة إلى بعضها:

1- مجانة:

في حديثه عن الطريق من إفريقية إلى تاهرت وفاس ذكر ابن حوقل ت (977/380م) كل من سبيبة ومرماجنة ثم "مجانة ذات سور من طابية مرحلة وهي كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب..."[1]. ولشهرة مجانة بالحديد والمطاحن فهي "تعرف بمدينة المطاحن لأن بها معدنا لقطع حجر الارحاء ليس على الأرض مثله؛ وهي مدينة قديمة أزلية ذات مياه وعيون"[2].

تتوسط مجانة الطريق بين القيروان والزاب، بعد سبيبة وقبل الوصول إلى تبسة، لها موقع يربط الكثير من الحصون والحواضر؛ فهي على أربع مراحل من القيروان إلى الشرق. وأكثر من يوم من مسكيانة باتجاه الغرب، وعلى خمسة أيام من تيجيس، ويوم من تبسة ومرماجنة[3].

2- مسكيانة:

تقع هذه المدينة على الطريق بين باغاية والقيروان، حيث تشكل محطة هامة للعبور إلى تبسة وتفادي وادي ملاق ثم الوصول إلى سبيبة. تقع مسكيانة على شمال وادي مسكيانة ويضيف الجغرافيون أنها مدينة قديمة[4].

---

[1] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84.

[2] مجهول. الاستبصار. ص 161.

[3] Paul-Louis Cambuzat, *op, cit*, p. 137_ 139.

[4] Paul-Louis Cambuzat, *ibid*, p. 164 _166. Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*. Feuille 28. 190. ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84.

3- باغاية. (Baghaï):

كانت حصنا رومانيا، وهي محصنة بسورين اثنين؛ إذ كانت قبيل الفتح الإسلامي ضمن الخط الدفاعي الكبير الذي أقامه البيزنطيون بالإضافة لتحصينات تمقاد وقاساس[1].

وهي "مدينة جليلة أولية ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح على مقربة منها جبل أوراس"[2]. ولعل موقعها هذا ساعدها في السابق أن تراقب السكان المحليين في هذه الجبال. كانت هذه المدينة، محاطة بأسوار خاصة وأنها أنشأت لغرض دفاعي بالأساس، تربط بين مجالين هامين يحيطان بالأوراس هما إفريقية والزاب. وكانت من أولى الحصون التي قابلت جيوش الفاتحين المسلمين في حملات الفتح بشمال الأوراس. نتيجة ارتباطها بشبكة الحصون والمدن المجاورة لها والتي ترتبط بباغاية بطرق "من مجانة إلى تبسة، أو إلى باغاية، أودوفانة، أوعين العصافير، أو دارملول، أوطبنة، أو مقرة، أو المسيلة مرحلة وبين كل واحدة والأخرى على الترتيب مرحلة"[3].

4- قساس

غير بعيدة عن باغاية، نجد قساس بشمال الأوراس قرب تيمقاد. وكانت حصنا بيزنطيا، وهي"مدينة قديمة على نهر، وفي غربيها جبل شامخ، ومنها إلى قبر مادغوس"[4]، يسمح موقعه بالإشراف على معبر منخفض وادي الشمرة، وطريق فم قسنطينة، لكن دوره كان قليل الذكر في المصادر التاريخية[5].ويرتبط هذا الحصن بحصن مجاور له هو قصر اللوز (لمبيريدي حاليا). الذي يشكل مدخلا نحو الاتجاه إلى غرب الأوراس عبر طريقين يربط أحدهما بقصر اللوز وبلزمة، ونقاوس، عبر الجبل. والآخر إلى الزاب عبر طبنة، يقع في خربة أولاد عريف مثلما يحدده ستيفان قزال[6].

إن الوقوف على الخريطة الأثرية للأوراس في العصور السابقة للتواجد الإسلامي تسمح لنا من أول وهلة الوقوف على الغنى الشديد لهذا المجال الجبلي بمختلف الشواهد التي تتوزع على مختلف الميادين، والتي لا تستثني الطرق المعبدة، معاصر الزيتون، عمارة عسكرية، عمارة دينية، المساكن، العملات والنقود، الكتابات،

---

[1] Paul-Louis Cambuzat, *op ,cit*, 2 , p.37 - 39

[2] البكري. المصدر السابق ، ج 02 ، ص 227 .

[3] المقدسي. المصدر السابق ، ص197 .

[4] البكري. المصدر نفسه. ص 227.

[5] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. ص 378 379. Rachid Bourouiba. *op, cit*, p. 10.

[6] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*. T1. f27 n 120.

فهذه الشواهد لا تستثني أي جانب من جوانب الحياة بالأوراس. إلا أن السؤال الرئيس هو الغياب الملحوظ للنصوص المكتوبة حول هذه الفترة.

من جانب آخر فإن الانسياق وراء الأحكام التي تضع هذا المجال على الهامش، أو أنه لم يكن فاعلا إلا أيام الثورة والاضطراب ورفض الآخر، فإن هذا الحكم ولا شك دقيق، والسبب يعود إلى ارتباط الأحداث التاريخية في القديم بالتاريخ العسكري والسياسي، دون الالتفات إلى كتابة وتسجيل الجوانب المختلفة المتعلقة بحراك الجماعات.

فالأوراس ورث شبكة كثيفة من المدن الكثير منها ارتبط بالفترة الرومانية والبيزنطية وعلى اتصال وثيق مع مراكز السلطة، إلا أن هناك نقاش حول دور وعلاقة هذا المجال بالمركز فنجد كريستيان كورتوا (Christian Courtois)[1] يعتبر أن الأوراس منطقة مغلقة لم تتسرب إليها المؤثرات الرومانية قط. مما جعلها خزانا بربريا خالصا. أما بيار موريزو (Pierre Morizot) [2] فيرى أن الأوراس منفتح على التأثيرات الرومانية مستدلا على ذلك بزراعة الزيتون خاصة، وبالمنشآت العمرانية المكتشفة[3].

وعلى الرغم من أنها أصبحت منطقة حدود مهمشة، فإن مجال المغرب الأوسط على الخصوص، كان توزع المدن الرئيسية يرسم شبكة متماسكة من المدن في مختلف أنحاء سهول قسنطينة والتي يحدها شرقا باغاية، ومن الشمال نهر ملاق، ومن الغرب سطيف، ثم تضاف نقاوس، ومقرة، وبلزمة، وطبنة. وهي مدن متجاورة تتحكم في مراقبة منطقة الحضنة التي تشكل إقليم مفتوح نسبيا، مما يتيح سهولة الحركة. أما جبال الأوراس فتشكل إلى حد كبير أحد الركائز الرئيسة لمقاومة الفتح الإسلامي، فكانت طبنة مفتاحا للاختراق والاتجاه غربا[4].

خلاصة:

يبدو أن مشكلة الحدود قد اتخذت شكلا آخر، واكتسبت أهمية خاصة؛ فهي لم تعد مسألة البحث عن خطوط ما بأي وسيلة، بل الحد الطبيعي هو الذي يميز بيئة عن أخرى تختلف كل منهما عن الأخرى، المظهر

[1] Christian Courtois. *op. cit.* p. 223. 233.

[2] Pierre Morizot, «Vues nouvelles sur l'Aurès antique», p. 309, 337.

[3] يوسف عيبش. الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي. ص 97.

[4] Dominique Valérian, « contrôle et domination politique de l'espace dans le Maghreb central (VIIe XIe siècle) » Annliese Nef et Élise Voguet (éd.), *La légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval,* Madrid, 2011, p. 137.

الطبيعي والنشاط البشري، فليس الحد هو المهم، بل ما هو داخل الحد نفسه[1]. لأن الحدود كانت قيمتها كانت ظرفية أو نسبية، والمهم لنا هو مسألة الفواصل الطبيعية، بكل ما تحمله كلمة طبيعية من معان.

إنه من الصعب الحديث دوما عن الحدود بالنسبة للعصر الوسيط، لأن هذه الكلمة تطرح مشكلا نظريا، لا يمكن وجود حدود الدولة داخل دار الإسلام وهناك مبدئيا عدم شرعية عميقة لكل فصل مجالي قد يكون قاعدة لانفصال محتمل ومخيف للأمة. لكن الواقع السياسي كان طبعا شيئا آخر. تبقى المسألة في معرفة كيف تحدد فضاء ممارسة الحكم. إن الفهم المحض الذي تحدده حدود ثابتة ومعترف بها هو بداية مرفوضة. في العصر الوسيط بالغرب المسيحي كما في العالم الإسلامي، لم يتبلور بعد مبدأ السيادة المجالية المحددة بحدود المحيط الخارجي لأمة مدركة لنفسها بشكل كامل[2].

ليس من المنطقي أن نقسم المجال الأوراسي إلى الجهات الأربعة المعروفة ونضبط معالمه من الشرق والغرب والشمال والجنوب، إنما القصد هو الإحاطة بهذا المجال وتتبعه عبر تطور الزمن ومن خلال التغيرات التي تطرأ في هذه التخوم التي لم تكن أبدا خطوطا ثابتة.

وإذ لا ننفي أثر الوضع التضاريسي للأوراس على التحولات السياسية للمنطقة فإن هناك عوامل أخرى كثيرة قد تجعل منه مجالا تابعا وهامشي، ولكنه في الوقت نفسه مغري لكل أشكال الانتفاضة والثورة على السلطة المركزية التي لم يشهدها هذا الإقليم في العصر الوسيط؛ إذ الواقع الطبوغرافي للأوراس بامتداده العرضي الشمالي الشرقي إلى الجنوبي الغربي جنوب البحر المتوسط، والتنافر الإقليمي، يعتبر كعملية تحصيل حاصل لشكل التضاريس بين مختلف جهاته، فهل يمكن لكل هذه العوامل أن تعيق تطور هذا الإقليم؟ تلك هي إشكالية المحاور التالية التي نطرحها وفق مقاربة جغرافية- تاريخية للوقوف على مدى تأثير مختلف هذه العوامل على الأوراس.

[1] لوسيان فيفر. الأرض والتطور البشري. ج02 ص 162.

[2] دومنيك فاليريون. بجاية ميناء مغاربي. ترجمة عمارة علاوة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربي. الجزائر 2014. ص 71- 72.

ثانيا. الشبكة الهيدروغرافية:

أولا: المصادر التاريخية والمياه بالأوراس:

تشكل طبوغرافية مجال الأوراس حتمية لحضور قضية الماء كعنصر ثابت في جغرافية المنطقة، ببواديها وحواضرها وأنهارها ونظم السقي فيها، وطرق توزيع هذه المياه في مختلف مناطقها، خاصة إذا علمنا ان المنطقة تتوزع على نطاقين مختلفين؛ منطقة تمتاز بغزارة الأمطار وكثافة الأنهار وروافدها، ونطاق آخر جنوبي يتجه تضاريسيا نحو نطاق الصحراء، حيث قلة الأمطار وجفاف الأنهار أدى لندرة في المياه. ولذلك يصبح من الضروري الاستعانة بالأبحاث الأثرية من أجل معرفة التطورات الحاصلة في هذا المجال.

إن البحث في مسألة الماء في الأوراس في العصر الوسيط يعتبر من الإشكالات الصعبة نتيجة ارتباط طبيعة الموضوع بمصادر خاصة لا نملك منها إلا القليل جدا في الفترة التي تخص مجال دراستنا، إضافة إلى الدراسات القليلة المتعلقة بالموضوع، وقلة المعطيات التاريخية والجغرافية. أما المشكلة الثابتة في تاريخ المنطقة والتي تبقى عائقا أمام معرفة تاريخ النظم الهيدروليكية بالأوراس فتتلعق بغياب التاريخ المكتوب لدى البربر، فضلا عن أن تاريخ المنطقة لا يعرف إلا من تاريخ الخارج أو التاريخ الذي كتبه خصومهم من خلال النصوص الصادرة عن الحكام المتعاقبين والأجانب، لذلك فمن الصعوبة معرفة كيف تطورت أشكال الري وطرق استغلال الماء لديهم[1].

وعلى قلة هذه المصادر في العصر الوسيط فإن القليل منها فصلت في التقلبات المناخية وآثارها العمرانية والبيئية والصحية، كما ربطت ذلك بالسلطان حتى تعطي الشرعية لعمل الخلفاء وتدخلهم للحد من الكوارث الطبيعية وإقامة التجهيزات السقوية[2]، كما أن البعض منها يفيدنا بأهمية الماء ودوره في التخطيط العمراني أو توسيع الحواضر التي اختيرت لها مواقع مناسبة من أجل التزود بالماء، أو الاستفادة من خدمات بعض الأنهار في صد الهجمات عن بعض الحواضر بالأوراس، مثلما نجده في موقع تهودة[3].

---

[1] Jean Despois. « La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord ». *Annales. Economies, sociétés, civilisations*. 11e année, 1, (1956). p. 50.

[2] ابن أبي زرع الفاسي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط 02، 1990. ص 30، 100، 114، 413. ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج 4. 99.

[3] مجهول. الاستبصار. ص 174.

ارتبطت الكثير من الأنهار بالأوراس تاريخيا بمسارات جيوش الفاتحين في القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي، وكانت العديد من المعارك الفاصلة قد جرت قرب أو على ضفاف الأنهار، فلذلك يمثل الجبل والنهر والماء عناصر هامة في معارك الفتوح الإسلامية ببلاد المغرب، وبالضبط بالأوراس وما جاوره من أقاليم مرتبطة به تضاريسيا؛ فنجد أن عقبة بن نافع في أثناء قتاله الروم بالزاب اختار النزول بوادي المسيلة[1]. في حين تحصن الروم بالجبال ثم لقوه في المساء، ولكن عقبة كره منازلتهم ليلا، وسهر الجيشان إلى طلوع النهار وسمي ذلك الوادي "وادي سهر". وانتهت المعركة في آخر الأمر بانتصار عقبة[2].

وكانت المواجهة بين حسان بن النعمان والكاهنة قد جرت "بوادي مسكيانة"؛ فرحلت الكاهنة حتى نزلت على الوادي المذكور، فكان هو يشرب من أعلى الوادي، وهي من أسفله، فلما توافت الخيل، دنا بعضهم من بعض؛ فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار..."[3]. انتهت هذه المعركة بانهزام حسان وأسر مجموعة من أصحابه "وسمي ذلك الوادي وادي العذاري"[4]. وسمي أيضا "نهر البلاء" وبينه وبين باغاية ثمانية عشر ميلا"[5]، وبقي نهر نيني مرتبطا بهزيمة الجيش الأموي وهو أحد روافد وادي مسكيانة[6].

وكانت المياه منذ القديم محل اهتمام الجماعات والقبائل والجيوش في فترات السلم والحرب للاستخدامات الاقتصادية وفي الحروب والنزاعات؛ فلم تغفل الجيوش وأطراف النزاعات أهمية الأنهار والمياه كوسيلة من وسائل المعارك والحروب بين المتصارعين، وكان الغرض بالدرجة الأولى هو اختيار المواقع المناسبة للمقاتلين، وتأمين التزود بالماء أثناء الحرب، وفي نفس الوقت قطع سبل الاستفادة منها على العدو، وقطع سبل

[1] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج 1. ص 24.

[2] عبد الحميد سلامة. قضايا الماء عند العرب قديما. من الجاهلية القرن 6م الى القرن 11هـ/ 17م. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2004. ص 109.

[3] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. ص 75.

[4] ابن عذاري المراكشي. المصدر نفسه. ج1. ص 36. بوبة مجاني. بوبة مجاني. أثر العربية اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. منشورات جامعة قسنطينة. 2003 . ص 30- 31.

[5] الرقيق القيرواني. تاريخ افريقية والمغرب. تحقيق المنجي الكعبي. الدار العربية للكتاب. تونس. ط2. 2005. ص 76. معلمة المغرب. الجمعية المغربية للتأليف والنشر. الرباط. 2000. 1421. ج 12. ص 39.45.

[6] يبعد على مسافة 16 كلم من مدينة عين البيضاء الحالية. الرقيق القيرواني. المصدر السابق. هامش 2 ص 75. النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق. مصطفى أبو الضيف أحمد. دار النشر المغربية. المغرب. 1985. ص 197. هامش 2.

الوصول لمصادر الماء. أما في الحواضر فكان اللجوء إلى قطع المياه عنها، ومحاصرتها بغرض دفعها للاستسلام، أو باللجوء إلى تخريب الآبار خاصة تلك الواقعة على المسالك والطرق الرئيسة[1].

ورغم حيوية هذا الجانب، وغنى الجبل بالسهول والأنهار، إلا أننا لا نحوز على مصادر خاصة بالأوراس في العصر الوسيط، باستثناء بعض الإشارات القليلة ولكنها هامة تتعلق بالفترة القديمة تخص تنظيمات مياه السقي، وطرق توزيعها على الملاك في سهول الأوراس (سهل بلزمة)[2]

أما **كتب النوازل** فإن علاقتها بالماء تكون باعتماد المقاربة الفقهية لكل ما يتعلق بقانون المياه بالدرجة الأولى على العادة ولا حقا على الاتفاق الجماعي بأن هذا القانون يعتبر أن الموروث الذي يصل بتفاصيل دقيقة إلى المجموعة البشرية من تهيئة مائية ومن تقاليد التصرف فيما لم تقمه الأجيال السابقة بصفة اعتباطية، وانما كان نتيجة تجارب امتدت على عدة قرون. فكان للزمن دوره في انتقاء الأصلح للمجموعة والتخلي عما هو تجاوز للحقوق العامة[3]. ولعل المصادر التي تعتبر الأقرب لمعرفة مسائل الماء ما يتعلق بها، تتمثل في كتب الأحكام والنوازل التي تعتبر مرآة صادقة وشاهدة عيان على جميع القضايا المرتبطة بمشكلة الماء. هذه المصادر التي تندرج في إطار سعي الفقهاء لحل الخلافات الدينية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة عنها، لذا فمن البديهي أن يسقط

---

[1] عبد الحميد سلامة. قضايا الماء عند العرب قديما. من الجاهلية القرن 6م الى القرن 11هـ/ 17م. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2004. ص 106 -108.

[2] عكس مجال الأوراس نجد اهتمام المصادر الخاصة **بكتب التقاويم والفلاحة** التي تناولت نظم المياه وطرق استغلالها والكشف عنها في بلاد الأندلس؛ فقد أشار أبو الخير إلى طرق معرفة قرب الماء من بعده وحلوه من مره. أبو الخير الأندلسي. كتاب الفلاحة. المطبعة الجديدة. فاس. 1357. ص 5. 19. فيما أشار ابن البصال إلى مزايا الماء وقيمته للنبات والثمار والخضر. ابن بصال. كتاب الفلاحة. 39- 40 ابن العوام. كتاب الفلاحة. 135. وكتب التقاويم والفلاحة في معظمها تركزت على دور كل صنف مائي في تخصيب المشهد الفلاحي بالبوادي، وصلة ذلك بتقنيات إنباط المياه الجوفية. ترتبط الأنظمة الهيدروليكية بمجالين= =هما: المجال الحضري في المدن والحواضر، والمجال الريفي حيث نجد أنظمة السقي والري، هذه التي لها علاقة باستغلال الأرض والفلاحة. وقد ألفت كتب في هذا المجال نذكر منها مثلا: واران الذي كتب قرابة ثلاثة وخمسين كتابا، فقد أغلبها، ولم تصلنا إلا مجموعة صغيرة من بينها كتاب "تدبير الأرياف". اعتمد على مصادر يونانية ولاتينية، وقد يكون اطلع على موسوعة "ماجون". أما قولوملا (خلال القرن الأول بعد المسيح)، فلم يصلنا من كتبه غير "تدبير الأرياف والشجر" حاول قولوملا من خلال كتبه تقديم حلول للأزمة التي أصابت الأرياف الرومانية. بوراوي الطرابلسي. نشأة علم الفلاحة العربي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. دار الجنوب. تونس. 2005. ص 42- 43..

[3] الهادي بن وزو محمد حسن. قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب افريقية في العصر الوسيط. من خلال كتاب القسمة وأصول الارضين لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي. ت504هـ/ 1110م. مركز النشر الجامعي. تونس. 1999. ص 170. محمد حسن. المدينة والبادية. ج1. ص 384- 385.

منها هي الأخرى التأطير التاريخي والمكاني للجائحة المائية[1]. وهنا يكون التطبيق العملي للنصوص الفقهية، ومدى مسايرته للواقع المعاش بين الناس، بما يشكله من سعي لفرض الأعراف واستمرار بعض التقاليد بغض النظر عن ملاءمتها للشرع، وتكون هذه المصادر الفقهية بديلا جيدا لتاريخ الماء بالحواضر والبادية، خاصة هذه الأخيرة التي لم تكن من اهتمامات الكتابات الحضرية.

لعل الأوراس أحد هذه المجالات التي تنعدم فيها هذه النصوص الفقهية. ولا يمكن بالتالي إسقاط الكثير من النوازل التي تخص مجالات بإفريقية أو بالمغرب الأقصى وبالأندلس عليه، باستثناء القليل منها، كعلاقة الفتوى بإشكالات طبوغرافية وتضاريسية مثلما هو الشأن في مسألة الصراع بين الجماعات الجبلية في اقتسام مياه الأعالي والأسافل.

ونجد الكثير من الحالات والأمثلة المتعلقة بمسألة توزيع واستغلال المياه بالتضاريس عند الونشريسي، ومن بين هذه المسائل أنه "سئل عن ساقية ترفع من الوادي كما هي سائر القرى، ولكن جرت عادتهم في السقي ينظرون ما في القرية من أرض مزروعة في وقت الصيف وفي وقت الخريف، ويقسم ماء الساقية على جميع المزدرعة..."[2]. كما نجد أيضا نزاع على قسمة الماء الهابط من الوادي[3]. ولارتباط الماء بالاستغلال الجماعي، فقد اشترك في مياه الأنهار والسواقي حيث طرحت مشكلة "عين ماء مشتركة بين أناس يسقون منها جناتهم، فمنهم من حظه نهارا، ومنهم من حظه ليلا، ومنهم من حظه في غدوة إلى الزوال، ومنهم من حظه من الزوال إلى العصر، واستمرت العادة فيما ينيف على الخمسين عاما..."[4].

أما القضايا المطروحة بين الجماعات المستغلة للمياه في المناطق العليا والسفلى فإن "الأعلون إذا سقوا أرسلوا الماء لمن تحتهم لم يظهر الماء في بطن الوادي وتغور بعد أيام في سواني الأسفلين ويرفعون منها الماء في السواني للسقي، إذا كان الماء لا يصل إليكم في وجهه..."[5]. وكان استغلال الماء يتم بطريقة القسمة واعتماد العرف في ذلك فقد كان "أهل قرية لهم عين ماء يقتسمون ماءها على دول معلومة بينهم، فجرت عادتهم

[1] سعيد بنحمادة. الماء والانسان في الأندلس خلال القرنين 7و8 هـــ/ 13 و14م. اسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات. دار الطليعة بيروت. 2007. ص 165.

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية- دار الغرب الإسلامي. الرباط- بيروت. 1981. ج 5 . ص 12.

[3] الونشريسي. المصدر نفسه. ج 5. ص 12.

[4] المصدر نفسه. ج 5. 111- 112.

[5] المصدر نفسه. ج 8. ص 392- 393.

بالسلف بعضهم من بعض، كان بعضهم يأخذ ماء صاحبه يوما كاملا وطول الليل على أن يعطيه مثل ما يأخذ أربعة أيام أو خمسة أو ما عسى أن يعق الاتفاق عليه، ويعين له يوما معلوما يصرف عليه الماء...[1]. ولذلك فقد طرحت مشاكل السواقي ومدها في أراضي الغير، وهل يكون لذلك ثمن أو يكون بغير ثمن[2]، كما نتج عن ذلك مشاكل تتعلق بتحويل ماء السواقي، وتجاورها مع بعضها البعض وتجمع الأوساخ في بعضها أو انسدادها وتسرب المياه إلى سواقي مجاورة للساقية الأصل[3].

ونتيجة لفقر الأوراس للمصادر الفقهية فإن مصنف "أبي العباس أحمد الفرسطائي" (ت 504هـ/1111م)، بما يمثله أجزاء كتابه[4]، والذي يشكل أقدم قانون للمياه مكتوب بإفريقية، فقد احتوى في مختلف أجزائه على مجموعة هامة من الأحكام الفقهية التي تمثل قانون المياه الذي صاغه أبو العباس أحمد والسائد في القرن الخامس الهجري. وفي الفترات السابق له، ويمكن اعتبار هذا القانون أقدم قانون للمياه مكتوب بإفريقية[5]. بإفريقية[5].

في بلاد المغرب اعتمد الفقهاء حق الانتفاع بالماء (شربا ومنفعة) باحترام الأولوية، وهذه الأولوية عندهم هي القرب من الماء فقالوا: "أولى الناس بالماء أقربهم من عنصره[6]. لكن هذا القرب كان يطرح عدة مشاكل على الأراضي التي تمتد على طول الأنهار والأودية أو تتوزع من الناحية الطبيعية بين العلو والانخفاض والارتفاع والانحدار. سواء كانت قرب أنهار أو أودية دائمة الجريان أو كائنة على ممر السيول التي تأتي من ماء المطر. ومنح الفقهاء الأولوية في جل الحالات لصاحب الأرض العليا ثم لمن يليه. والأعلى هو الذي يكون أقرب من غيره إلى ماء النهر أو ماء السيل فيحبس عقب ذلك من يليه، وهكذا دواليك إلى أن يكون آخرهم أرضا آخرهم حبسا[7].

---

[1] الونشريسي. المصدر نفسه. ج 8. ص 394- 395.

[2] المصدر نفسه. ج 8. ص 398.

[3] المصدر نفسه. ج8. ص 62.

[4] القسمة وأصول الأرضين. كتاب في فقه العمارة الإسلامية. تحقيق. محمد صالح ناصر، والشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج. مكتبة الضامري. سلطنة عمان. 1414. 1993. وقيمته بالنسبة لنا أنه يشمل مجالات متنوعة ومعقدة غالبا ما تتميز بطابع الجفاف، وبعضها تتشابه عناصرها التضاريسية بطابع الأوراس مثل فرسطاء، والقيروان، قسطيلية، واحة ورجلان، أريغ، وتين يسلس، وبادية بني مصعب، وتمولست (بالجنوب التونسي) المصدر نفسه. المصدر السابق. ص 24- 25.

[5] الهادي بن وزو محمد حسن. المرجع السابق. ص 19- 20.

[6] حول مسألة الأحكام الخاصة بالآبار والسواقي، والعيون، والزروع، وحفر الآبار، وسيول الأنهار والأدوية، والأرحية التي على الأنهار وكيف تقسم بينها المياه. ابن أبي زيد القيرواني. النوادر والزيادات. تحقيق. محمد عبد العزيز الدباغ. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1999. 11. ص 11، 26، 29، 78.

[7] عبد الحميد سلامة. قضايا الماء عند العرب قديما. من الجاهلية القرن 6م الى القرن 11هـ/ 17م. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2004. ص 273.

تعكس المصنفات الفقهية حجم المجهودات التي بذلت للتوفيق بين الشرع والأعراف والعادات والقبلية؛ فعبارات "العادة والعرف" و"جرى العمل" وغيرها، تكاد لا تخلو منها أحكام القضاة وفتاوى الفقهاء في إطار تفاعلهم مع صيرورة المجتمع. وكان من أثر ذلك أن اصطبغ الشرع بالخصوصيات القبلية المحلية، أما اجتماعيا فيتجلى أثر البنية القبلية في تدبير النزاعات على الماء بالمغرب والأندلس، وفي نفس الوقت قامت الأعراف والعادات بدور في توفير مناخ تشريعي مرن ومتكيف مع البنى الاجتماعية والاقتصادية والنظم الإدارية والتدابير التقنية للمسألة المائية. وهو ما يعني تجذر "فقه الواقع" وانفتاحه على المجتمع، خاصة وأن ملكية الماء لم تكن جامدة الهياكل بل تأثرت بالتحولات البنيوية والظرفية المتعاقبة مما ولد تداخلا بين القواعد الشرعية النظرية والأحكام العرفية العملية[1].

كما يشير سعيد بنحمادة إلى مسألة هامة تتمثل في وجود معظم مصادر المياه خارج المدار الحضري، وطول المسافات التي تقطعها القنوات قبل ان تصل إلى المدن، جعل الحاجات المائية للحضريين تخضع لنفوذ القرويين الذين سهل عليهم التحكم في توجيهها، وخاصة في الظروف المناخية الاستثنائية مثل الصيف أو خلال فترات الجفاف حيث يقل الماء ويكثر الطلب للسقي، والطحن، والشرب، وباقي الاستعمالات. علما أن سكان الحواضر لا يشعرون بعواقب الخصاص المائي إلا عندما يتعلق الأمر بالمياه الشروبة، مقارنة بالقرويين الذين يعانون من الآثار الوخيمة التي تطال الإنسان والدواب والأرض[2].

1- كتب الجغرافيا والرحلات وأنهار الأوراس:

ركزت المصنفات الجغرافية وكتب الرحلة على وصف الشبكة المائية بالمغرب والاندلس وإبراز خصائصها الطبيعية والتقنية وتباين صبيبها خلال السنوات الرطبة والجافة، كالأنهار والجداول والسواقي المتفرعة منها، والآبار، والعيون، والحمامات[3].

وتبقى مشكلة هذه النصوص الوسيطية أنها قليلة و لم تفرد للأوراس ما يلبي حاجة الدارس، إضافة إلى أنها كتابات وصفية وعامة. فهذه المصادر ترى جبل الأوراس أنه مجال "فيه المياه الغزيرة والمراعي الكثيرة

[1] سعيد بنحمادة. أثر البنية القبلية في تدبير النزاعات على الماء بالمغرب والأندلس "المحددات والتجليات". هسبريس تمودا. 44. (2009). ص 41.

[2] سعيد بنحمادة. المرجع السابق. ص 90.

[3] ومن هذه المصادر يمكن ذكر: ابن حوقل. صورة الأرض. 87، 88، 105، 111. البكري. المسالك والممالك. ج2. مواضع مختلفة. مجهول. الاستبصار. 209. سعيد بنحمادة الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية. رؤية. القاهرة. 2013. ص94.

والعمارة الدائمة..."[1]، فيما ربط الإدريسي اتصال عمارته نتيجة "لكثرة مياهه"[2]. أما العيون التي يستفاد منها بتغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلا عنها في الزراعة والشرب، سواء في منطقة الأمطار أو الأنهار أو الواحات. وقد كان للعيون هذه الأهمية في جبال تل أطلس الشرقية[3] حيث "وتتولد في جبال الأطلس كل أنهار إفريقيا تقريبا، والعيون التي تقع فيه شديدة البرودة في قلب الصيف.... ولا تكون كل أجزاء الجبل بالتالي قاحلة"[4]. وتنتشر بالأوراس العيون التي "ينساح ماؤها في السهل وتتكون منها بعض المستنقعات، وعندما يصبح الطقس حارا تتحول هذه المستنقعات إلى ملاحات"[5].

2- الآثار وحيوية المجال الهيدروغرافي بالأوراس:

الأنظمة الهيدروليكية في الريف في العالم القديم يمكن معرفتها عن طريق المصادر الأدبية والأثرية، والتي يمكن أن تتيح لنا معرفة الكيفية التي تعمل بها هذه الأنظمة حتى من الناحيتين التقنية وأبعادها الاجتماعية، وحجم الحيازات والممتلكات، والمحاصيل المزروعة، وأساليب تقسيم المياه، وغيرها، .... ولكن في الوقت نفسه من الصعب للغاية الحصول على بيانات تخص وظيفة محددة لمشاريع الري الفردية في العصور القديمة[6]. فهذه المعطيات الأثرية التي تدعم الدراسات الجيولوجية تشمل جميع البقايا الأثرية بمختلف مناطق الأوراس الدالة على حيوية المجال الهيدروغرافي منتشرة بكثرة في كل أرجائه. فضلا عن أنماط الاستغلال الزراعي في المناطق الجبلية التي تعتمد أسلوب المدرجات على السفوح الجبلية وضفاف الأنهار[7].

---

[1] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84- 85.

[2] الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب. بيروت. 1989. ج1. ص 264.

[3] عز الدين أحمد موسى. النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. دار الشروق. بيروت. 1983. ص 59.

[4] ليون الافريقي. وضف إفريقيا. ص 83.

[5] ليون الإفريقي. المصدر نفسه. ص 475.

[6] Brent d Shaw, « Lamasba: An Ancient irrigation Community » . p. 61.

[7] لا تقتصر هذه الأنماط الزراعية الجبلية على منطقة بعينها بل نجد انتشار هذا النوع في الكثير من مناطق العالم القديم، حيث تسود زراعة الشرفات أو المدرجات، وهي نظم تتناسب مع التضاريس الطبيعية للمناطق الأكثر تنوعا في العالم. فنجدها على نطاق واسع في بلدان الشرق الأقصى في شمال الصين على سفوح الأرض الصفراء، وفي جميع أنحاء آسيا الاستوائية، حيث يتم إنشاء مجمعات لري الأرز فوق السهول الرسوبية على المنحدرات المنخفضة. ولا تزال مرتفعات المكسيك والبيرو والأنديز تحمل آثار المدرجات، وقد وجدت هذه الدرجات كوسيلة قديمة للاستخدام في حوض البحر الأبيض المتوسط. ينظر:

Jean Despois. *op. cit.* p. 42.

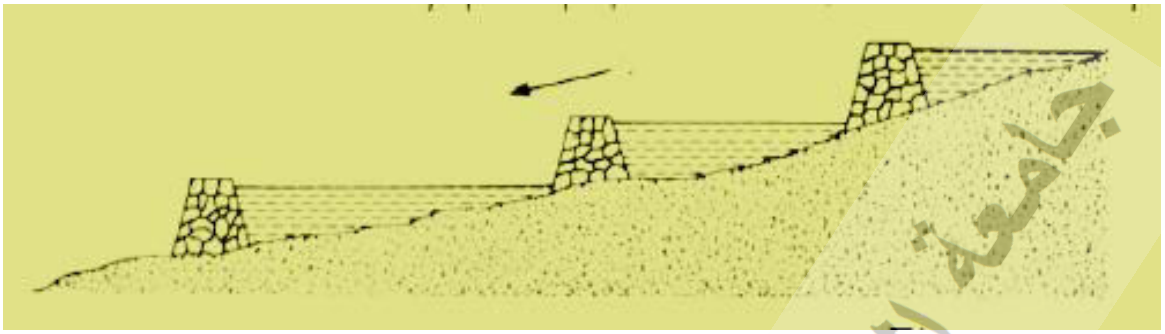

شكل المدرجات للزراعة على السفوح الجبلية

تنتشر بمرتفعات جبل الأوراس هذه البقايا الأثرية انطلاقا من منخفض القنطرة الاستراتيجي الذي يكاد يفوق غيره من حيث بقايا التجهيزات الزراعية المتمثلة في السدود والقنوات وأعمال السقاية، وتنظيم الحقول في شكل زراعة بستانية كثيفة احتفظت ببعض اشكالها القديمة إلى الآن[1]. وأسفل هذا النطاق إلى الجنوب فإن المياه تجاوزت استخدامها من السقي إلى مد التوزيع في داخل الحواضر في العهد الروماني. لأن البقايا الأثرية تبين التعارض بين أنظمة الري الحضرية الكبيرة وأنظمة الري الريفية الصغيرة، فمثلا جر المياه الباطنية للواحات في بادس[2] على مسافة 100كلم إلى غاية واد ملاقو يثبت لنا بأن هذه المياه كانت مخصصة للاستهلاك الحضري بدلا من سقي الزراعة[3].

وإذا كان تاريخ الرومان وعلاقتهم بالماء معروفة، فقد عرفوا بتقدمهم في تقنيات الاستغلال والتوزيع، ويظهر ذلك من خلال الآثار التي يمكن مشاهدتها في كل الحصون التي تتوزع فيها الأحواض، أو في بعض القناطر والسواقي التي تستخدم لصرف المياه أو للري، فإن الكثير من الباحثين أشاروا إلى أن الاحتلال الروماني وجد في بلاد المغرب منظومة زراعية وري وأن الرومان قاموا بتوسيع تلك المنظومة وتطويرها، وأن أغلب المنشآت كانت ذات أصل محلي، فقد درج عدد من الباحثين على نسب كل الشواهد للأعمال الفلاحية التي عرفتها المنطقة إلى مخلفات الحضارة الرومانية. وتشهد على العمل الفلاحي الذي قام به النوميد و لم يكن عملا

[1] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. بحوث ودراسات. دار الحكمة. الجزائر. 2003. ص 112.

[2] بادس أيضا تستفيد من مياه وادي الأبيض المنحدر من الأوراس حيث تتوضع بقايا آثارها، وكانت مدينة زراعية هامة استمدت شهرتها من مواردها الزراعية الوفيرة ومن كونها مركزا زراعيا هاما على الطريق الروماني الجنوبي. ولا تزال بقايا السدود والقنوات ماثلة للعيان شمال المدينة عند خنقة سيدي ناجي خاصة، وتشهد بقايا معاصر الزيتون والمطاحن الكثيرة التنوع الزراعي الذي كان قائما في ذلك الإقليم. محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. ص113.

[3] Pol Trosset, *op. cit.* p. 101- 102.

فرديا بل كان في إطار اجتماعي– اقتصادي يمكن أنه استمر كنمط انتاج في المناطق الجبلية[1]، خاصة ما تعلق بزراعة المدرجات (culture en terrasses)[2].

بالأوراس يتحدث بروكوبيوس عن واقع استغلال الأرض ويقول أن نهر "الأبيقاس" ينبع من مرتفعات الأوراس وعند وصوله إلى السهول يسمح بري الأراضي حسب ما يريد الأهالي، لأنهم يحولون المجرى المائي بالطريقة التي يعتبرونها أكثر فائدة لهم، فقد حفروا عددا كبيرا من القنوات، وزعت من خلالها مياه "الأبيقاس": تسير تحت الأرض ثم تظهر ثانية لتلتقي هذه المياه من جديد. وهكذا أصبحت في أغلب جهات السهول، تتواجد مياه هذا النهر في متناول السكان الذين يغلقون القنوات بمغاليق أو يفتحونها فيما بعد، بالشكل الذي يسمح لهم بالتحكم في المياه كما يشاؤون[3].

كما بنيت الكثير من المنشآت المائية الكبيرة والتي ساهم في بنائها الفيلق الثالث الأوغسطي الذي بنى قناة ومعلمة مائية (Nymphé) وأحواض في مدينة لمباز، هاته الأعمال التي استغرقت حسب النص المنقوش ثمانية شهور. وبعين شرشار بالأوراس عثر على نقيشة تفيد أن الفيلق الثالث ساهم في وضع الحجر الأساس لبناء القناة، وما يثبت ذلك هو الإشارة إلى مهندس متدرب (Discens libratorum) كلف بمهمة تسيير عمال بناء القناة[4].

ولعل معالجة مسألة طبيعة النظم الهيدروليكية والحكم الروماني في الشمال الإفريقي تتفاقم أكثر من خلال الطابع التاريخي للبحوث الحديثة المتعلقة بالري في المغرب القديم والتي سيطرت عليها الأفكار المسبقة الخاصة بدور الري وأنظمة التحكم في المياه في تطوير الاقتصاد الريفي خلال الفترة الرومانية. إذ نجد أنه غالبا ما يكون الدافع وراء المسح الهيدروليكي "الروماني" هو الاعتقاد الشائع أن الريف في الشمال الإفريقي ازدهر

[1] عقون محمد العربي. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. دار الهدى عين مليلة. الجزائر. 2008. ص 26.

[2] Gabriel Camps. « Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri d'après une note de Latapie », *libyca. Anthropologie préhistoire ethnographie*, t. 6-7, (1958 -1959). p. 229.

[3] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي. ص 184.

[4] Janon Michel. Recherches à Lambèse : La ville et les camps. Aquae Lambaesitanae. *Antiquités africaines*,7,1973. p. 248.

=عبد العزيز بل الفايدة. "الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال افريقيا ما قبل الإسلامية على ضوء النقائش". الماء في تاريخ المغرب. جامعة الحسن الثاني. منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية. عين الشق. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1999. ص 40– 41.

في الفترة الرومانية متجاهلين دور العوامل المناخية بالإضافة إلى العامل التاريخي[1]، فضلا عن دور السكان الأصليين الذين طوروا من وسائل الاستغلال لهذه الثروة بما يتوافق وطبيعة تضاريس المجالات بالأوراس، ولا شك أن أهم منشأة هيدروليكية في بلاد المغرب تتمثل في تلك التي نجدها بسهل بلزمة.

3- آثار لماصبا. نظام سقي محلي قديم بسهل بلزمة.

في بداية العام 1877 تم العثور بمروانة بسهل بلزمة شمال غرب باتنة، وسط أنقاض المدينة الرومانية القديمة من لماصبا، على حطام من نقش طويل يتعلق بتسويات تخص الري، من طرف ماسكوري Masqueray[2] الذي كان في رحلة إلى المنطقة. ثم عثر بعد ذلك على جزء من الديباجة التي ربطت بين الشظيتين من قبل ديساو. وقام ستيفان قزال في أبحاثه الأثرية في الجزائر بإجراء تصحيحات جديدة تخص الشظيتين اللتين اكتشفهما ماسكوري[3].

[1] Jean Despois. *op,cit,* p. 124.

[2] Emile Masqueray. « Seriana, le Bellezma, Negaous, Tobna, Tolga. Rapport archéologique ». *op. cit.* p. 33, 37, 48.

حول اكتشاف الوثيقة والدراسات التي أجريت حولها فيما بعد ينظر: محمد العربي عقون. الاقتصاد المجتمع في الشمال الإفريقي. ص 109. هامش 235.

[3] Felix- Georges de Pachteref. g, « le règlement d'irrigation de Lamasba », mélanges d'archéologie et d'histoire, tome. 298, (1908), p. 373.

الوثيقة (جزء من الديباجة) الخاصة بنظام الري بلماصبا. عن:

p .Lamasba an ancient irrigation community .Shaw Brent D. 3,6.

ديباجة هذه النقيشة تتعلق بقواعد إقامة نظام جديد للري، ويرد في الأعمدة في كل منها الحقول مع اسم صاحبها، ومساحتها، ووقت الري الذي يتحدد بتاريخ ووقت من اليوم أو الليل ومتى يبدأ وينتهي مدتها بالساعات. وعلى الرغم من عدم اكتمال نص الوثيقة فإنه يمكن أن يقدم لنا بعض المعلومات حول كيفية عمل القناة ومساحة الحقول، ونسبة المياه التي تستفيد منها كل ملكية[1]. أما بالنسبة للمساحات المسقية فإنها تختلف

[1] Felix- Georges de Pachteref. g. *op. cit.* p. 374.

يقدم (Christophe Meuret) قراءة للديباجة التي توضح قائمة المستفيدين من حصص السقي وأوقات الاستفادة وهو عمل تنظيمي دقيق للري قد يكشف عن سبب اللجوء إليه هو وضع حل لشكل من أشكال الصراع على ملكية الماء في ذلك الوقت بين المزارعين، ويكون اللجوء إلى مثل هذا التنظيم حل عملي يتوافق بين حجم الملكية والساعات أو الحصص التي تستفيد منها كل ملكية أو كل مالك للأرض طيلة أيام السنة، لذلك

حسب تضاريسها، فالوثيقة تبين طريقة نظام السقي في حالات انحدار الماء وبذلك يكون مقياس وحدات السقي حسب الساعة أو اليوم أو اليوم والليلة. وتكون في شكل جداول لكل المستفيدين[1].

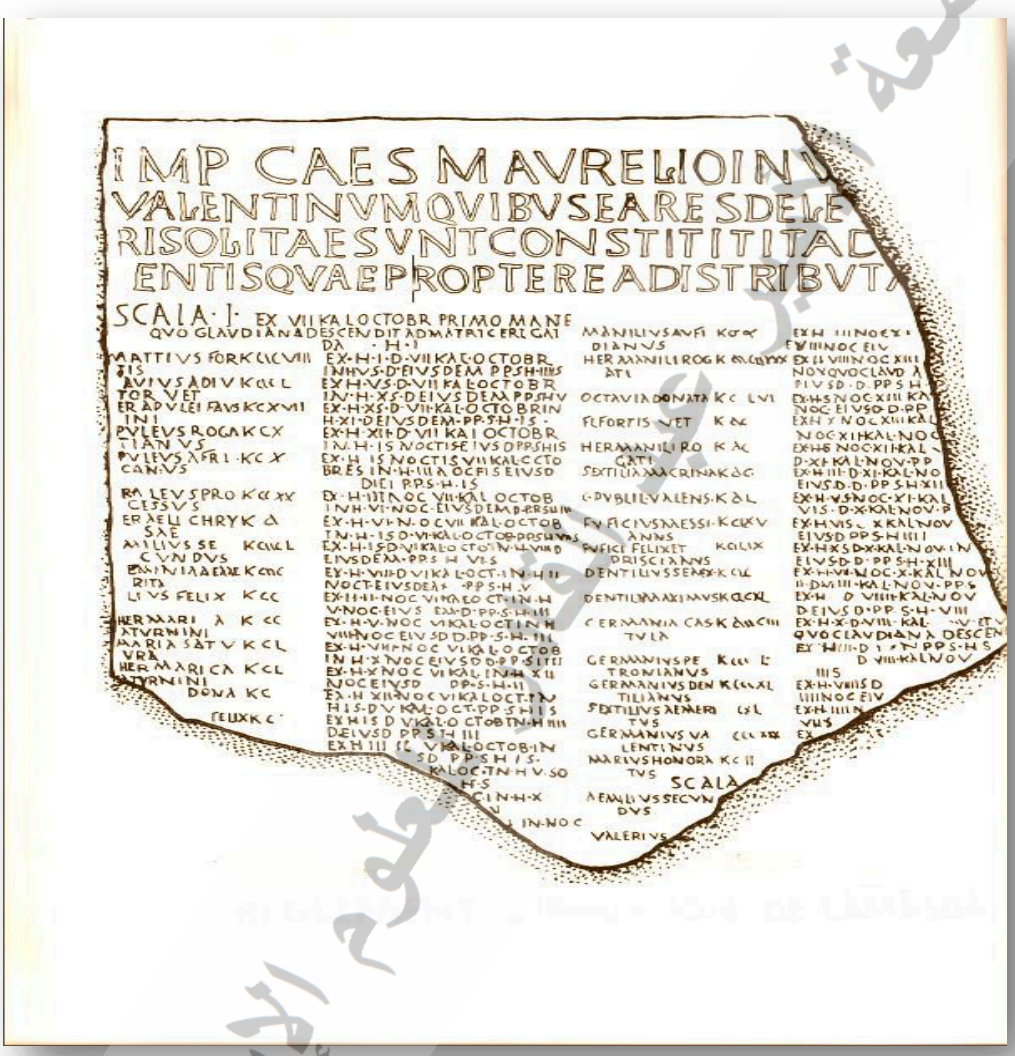

قائمة المستفيدين من حصص الماء، مع المقدار وحجم الأرض حسب وثيقة لماصبا.

استجابت هذه الطريقة بمرونة في التنظيم في توزيع المياه بين الليل والنهار أو بين الاختلافات التي يمكن أن تحصل نتيجة اختلاف الفصول بين الشتاء المطير والصيف الجاف حيث تقل المياه ويتم اللجوء إلى التحكم في منسوب الخزان وحصص التوزيع وفقا لحسابات لا توضع إلا من طرف متخصصين في المساحة وحجم المياه ومنسوبها والتضاريس وغيرها.

Christophe Meuret. « Le règlement de Lamasba: des tables de conversion appliquées à l'irrigation ». *Antiquités africaines*,32,(1996). p. 87- 88.

[1] Felix- Georges de Pachteref. g. *op. cit.* p. 389- 398. Christophe Meuret. *Ibid.* p. 91- 92.

تقنية السقي تكون انطلاقا من حوض أو سد لتجميع مياه السقي، وهذا السد كانت له وظائف عديدة؛ فيستخدم لتنظيم السقي كما يستخدم أيضا كوحدة لقياس المياه من خلال المستوى الأدنى المطلوب لملأ السد، الذي يتحكم فيه من خلال هندسة تسمح بفتح الصمام للسيطرة على منسوب المياه في القنوات والسواقي، أو في حالات إفراغه بالكامل، أو سده من أجل الاستفادة من مياه الأمطار خاصة في فصل الصيف حيث مواسم الأمطار الموسمية[1].

أما بالنسبة للري الذي يكون عن طريق الغمر أو الفيضان في فصول الجفاف والأمطار، حيث نسبة التساقط تختلف في المدة التي تستمر ما بين أكتوبر إلى غاية شهر أفريل وفصل الأمطار يكون أكثر وفرة في فصل الشتاء وأوائل الربيع. وفي حالات الجفاف فيكون الري باعتماد الاحتياطات المخزنة لتوفير ما يكفي من الماء للزراعة. ومن هنا تتضح لنا أهمية النقيشة ومهارة النظام الهيدروليكي للماصبا الفريد ببلاد المغرب هذا التنظيم في الهيدروليكية الزراعية، يقدم أيضا قراءة أخرى أركيولوجية لنموذج الملكية وطبيعتها إذ تمكن أصحاب الأراضي الصغيرة من اتخاذ إجراءات مشتركة؛ فلا شك أن هناك تكليف لحرفيين من أجل تطوير هذا التنظيم الخاص بالمياه فيما يتعلق بالعمل المشترك للمالكين وتظافر جهودهم من أجل للقيام بتطوير تنظيم جديد للري للوصول إلى توزيع متساو للمياه[2].

فالقائمة التي تحتوي على أسماء المالكين للأرض[3] يبدو من خلال النقش أنها وضعت حسب الترتيب وتتابع أسماء لأعضاء من نفس العائلة، وفق المناطق المجزأة عن طريق الميراث أو عن طريق الشراء، ويكون هؤلاء الأشخاص منطقيا بالقرب من بعضهم البعض وفقا لتطور الملكية[4].

كما أجريت أبحاث أخرى بجنوب الأوراس في عام 1976، حيث تنتشر مناطق السهول الفيضية للأنهار المملوءة بالطمي والمشكلة من العديد من الروافد التابعة للأنهار التي تصب جنوب حواف الأوراس؛ فقد قام فريق من الخبراء متعددي الاختصاصات بدراسة جغرافية لنهر مزيرعة- الشريعة منذ العصور القديمة في إطار

---

[1] نفس التقنية تستخدم في عمليات التوزيع التي تعتمد على هذه الصمامات التي تسمح بالتحكم في حجم المياه؛ سواء بتوزيعها ببطء شديد أو تسريع إفراغه. أما خلال فترة الري فيكون التدفق ضعيف للغاية وحسب المساحات المسقية والمدة المخصصة لها وطبيعة تضاريسها المنبسطة أو المنحدرة. Christophe Meuret. *Ibid.* p. 100- 101.

[2] Felix- Georges de Pachteref. Gop. *op. cit.* p. 398- 400.

[3] معظم الملاك كانوا من المحاربين القدامى. لكن يبقى السؤال يتعلق بأصول هذا التنظيم وطريقة تحول وإعادة تنظيم هؤلاء إلى طبقة منتجة في الزراعة، ثم مدى قدرتهم على التحكم في دقة التقنيات المتعلقة بتوزيع المياه وتقسيم الملكيات. لذلك يبقى= =الغموض على جوهر التغيير الذي أحدثه الرومان في هذه الأراضي، وهل كانت مساهمتهم امتدادا لتنظيمات وممارسات زراعية كانت موجودة من قبل. ينظر:
Shaw Brent D. « Water and society in the Ancient Maghrib. P. 122.

[4] Christophe Meuret . *op.cit*,1996. P.89.

دراسة تهتم ببلاد المغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط عام 1976. المنطقة تعرف بمناخ شبه جاف للبحر الأبيض المتوسط. وتتصل بمرتفعات النمامشة، وجبال شرق تبسة. وهي وديان واسعة نشأت في العصور الجيولوجية القديمة. يتشكل قاعدة النهر فيها من حوالي مترين (2م) من رمال البني المصفر مع الحصى. وهو حجر جيري. درس الفريق مكونات النهر وحجمه والمقاطع التي يتشكل منها منذ العصر الطباشيري والعصر الجليدي[1].

والملاحظ على هذه الدراسات الجيولوجية أنها تتقاطع مع المعطيات التاريخية القديمة فيما يخص وفرة المنطقة الجنوبية للأوراس على الماء؛ إذ تؤكد هذه الدراسات أن الأنهار بالمنطقة الجنوبية للأوراس شهدت قديما توازنا في وفرة الماء، وهذا بعد دراسة مراحل تطور وادي مزيرعة- شريعة، الذي تشكل أواخر العصر الجليدي لتراكم الطبقات الغرينية. أما مرحلة الهولوسين فهي غير ممثلة تمثيلا جيدا. وتوقفنا الدراسة على نتيجة هامة تتمثل في وجود فترة من التوازن للمياه، وهذا بعد اجراء التحاليل الكيميائية والمعدنية لحجم جسيمات خاصة بالمنطقة[2]. وهذا الاستنتاج يتوافق والمعطيات الأثرية الهيدروغرفية التي تنتشر في الأوراس.

وإذا كانت الأقاليم الجنوبية للأوراس قد شهدت وفرة المياه في العهد الروماني، فإنها بدأت في التقلص مع مرور الوقت، وسينعكس هذا حتما على الاستيطان البشري بالمنطقة، إذ لا يخفى الدور الذي تلعبه مصادر المياه في التوطين واستقرار الجماعات حولها وانتشارها في المناطق الجافة القليلة المياه. إلا أن هذا الدور غير واضح في المناطق الرطبة الكثيرة الأمطار والتي يستطيع السكان فيها خزن المياه في خزانات خاصة لوقت الحاجة، فتؤدي قلة المياه في المناطق الجافة إلى التجمع والتكتل حول مواردها. ولعل أوضح مثال على ذلك هو الواحات في الصحراء[3].

وتعتبر منطقة التل بالمغرب الأوسط من أغنى المناطق بشبكة الأنهار، تتخللها سهول ذات مراعي تنتشر على ضفافها، كما تنتشر بين السلاسل الجبلية، ولذلك فهي مناطق تخدم كثيرا الرعاة لرعي قطعانهم نتيجة توفر الماء والعشب بالسهول، والغابات الجبلية. حيث تلجأ جماعات الشاوية في هذه المناطق لزراعة السهول الضيقة

[1] Jean-Louis Ballais, Benazzouz Mohamed T. Données nouvelles sur la morphogenèse et les paléo-environnements tardiglaciaires et holocènes dans la vallée de l'oued Chéria-Mezeraa (Nememcha, Algérie orientale). *Méditerranée*, 80, 3-4. (1994). *Géographie physique de l'Algérie orientale*. P. 59- 60, 65.

[2] Jean-Louis Ballais, Mohamed Benazzouz T, *op. cit.* p. 70.

[3] عبد الفتاح وهيبة. في جغرافية العمران. دار النهضة العربية. بيروت .1980. ص 16.

بين الوديان الضيقة، وري حقولهم، وهو ما سمح باستمرار قراهم على طابعها القديم، وتوزع المياه عبر قنوات وسواقي صخرية عبر المجاري المائية نحو المناطق المسقية، وتتفرع عنها قنوات فرعية للسقي أو لتصريف بقايا المياه في النهر[1]. لذلك فإن نظم المياه لا يمكن فصلها عن أنماط معيشة السكان.

أما عن استخدامات مياه الأنهار بالأوراس فهي متنوعة تشمل مجالات الري والسقي في المناطق التي جذبت اهتماما مبكرا من مختلف الشعوب التي غزت واحتلت المنطقة. وقد عثر على طول وادي الأبيض على بعض آثار قنوات الري[2]. وهي نفسها المياه التي تستمر مع مجرى الوادي إلى السهول الفيضية عبر تهودة وتمر إلى منطقة الزاب. والتي تشكلت في الصحراء قرب بلاد النمامشة، حيث نجد بعض الواحات التي وجدت فيها آثار، في مديلة هناك عدد كبير من بقايا الإنشاءات الرومانية، قرب نقرين[3]. كما أن البقايا الأثرية تنتشر في كل المجال الأوراسي حيث تظهر القنوات والسواقي الحجرية والأحواض، فنجد في زانة، بقايا الأحواض والسواقي التي تنتشر حتى إلى غرب المدينة وجنوبها في السهول الرقيبة منها[4].

بشمال شرق الأوراس المنطقة غنية بالمواقع الأثرية الريفية، والتي يمكن تحديدها بشكل جزئي وجردها، وهي منشآت تدعم تعزيز الاقتصاد الذي رافق مدينة تبسة على مراحل، وهو ما تشهد عليه البقايا الأثرية، كمطاحن الزيتون بالقرب من جنوب تبسة، وشبكات من قنوات المياه المنتشرة والأحواض والمواجن[5].

كما أن غنى المنطقة بالمخلفات الأثرية لدلالة على ثرائها، حيث تنتشر أنقاض مدينة تبسة حسب ستيفان قزال على مسافة واسعة تصل إلى 17 هكتار[6].ولا تشكل منطقة تبسة استثناءا في كثرة البقايا الأثرية الهيدروليكية، إذ نجد أن بيار موريزو يحصي أكثر من 175 معصرة قديمة للزيتون بالأوراس، وقد ارفقها بخريطة لتوزيع هذه المعاصر. لكننا نشير دائما إلى عدم شمولية المخلفات لجغرافيا واسعة من مساحة الأوراس والتي لم يشملها هذا الإحصاء. خاصة القسم الغربي الذي يفوق هذا الجزء في إمكانيات الزراعة خاصة الري[7].

---

[1] Hilton Simpson. « The influence of its geography on the people of the Aurès massif, Algeria », *the geographical journal*, Jun (1925), p. 26.

[2] Maurice Besnier, « Notes sur l'Aurès: la plaine d'Arris », *Annales de géographie, 8e année*, 40, (1899), p. 367.

[3] Joseph Blayac. *op. cit.* p. 158-159.

[4] Mohamed el Mostafa Filah, *op. cit,* p. 62, 64- 65.

[5] Yassir Benhima, Pierre guichard, « De la tribu à la ville: un essai d'approche régressive», de l'histoire du peuplement de la région de Tébessa». *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126. p.100.

[6] Stéphane Gsell, *Inscriptions latines de l'Algérie*. Tome premier, (1922), p. 286.

[7] Pierre Morizot. « L'Aurès et l'olivier », *antiquités africaines*. 29. (1993), p. 201.

4- نظم استغلال وتوزيع المياه بالأوراس: البربر والماء:

ترتبط الأنهار بالسكن الريفي، وبالجبال أكثر من السهول؛ ونتيجة لضرورات الأمن والأعراف القبلية، فإننا كثيرا ما نجد قرى مندمجة في المناطق الجبلية وهو الطابع السائد في جبال حوض البحر الأبيض المتوسط، وعادة ما تكون هذه القرى منتصبة على منحدرات بعيدة عن الأراضي المزروعة[1]. وهذا ما نجده في بالأوراس حيث تنتشر مظاهر عمرانية تتمثل في "القلاع" أو "ثاقليعث" التي تعتبر منشأة عمرانية تخدم العديد من الأغراض، مثل الحماية والتعاون والاتحاد بين عناصر القبيلة الواحدة.

وانطلاقا من هذا الواقع الجغرافي لهذه القلاع، فقد تولت المجموعات الريفية الجبلية والواحية تنظيم شؤونها الداخلية بنفسها، فكانت تسهر على توزيع المياه بحسب أعرافها وتقاليدها، وانجزت المنشآت المائية بصفة جماعية، وفق ترتيب دقيق[2]، وكان من هذه الأعمال إقامة السدود وحفر السواقي وتوزيع الماء وغيرها. واستعملت السدود في المرتفعات لتجمع المياه السائلة من المرتفع إلى المنحدر وصبها في الأودية حتى تحصل الاستفادة من الرشوحات المتسربة وتوزيعها على أصحابها بالأراضي[3].

وقد قام المهندسون المائيون العرب الذين كثيرا ما نسبت منشآتهم خطأ إلى الرومان، بتزويد المراكز العمرانية بالماء، وتلبية حاجات الصناعات الرعوية باستعمال المياه الجارية، استعمالا محكما، وقد كانت هذه المياه مخزونة في خزانات كبرى مزودة هي أيضا، كل ما أمكن ذلك، بقنوات مياه العيون والطبقات المائية، كما توفقوا إلى حل مشكلة قلة الأمطار وعدم انتظامها، ونفوذية الأرض، والتبخير، وتوصيل منشآت تجميع المياه. وكان الجهاز المائي يشتمل عموما على مجموعة من الأحواض، وحوض لتصفية الماء، والخزان، بالإضافة في أغلب الأحيان إلى حوض الاغتراف، وكان النوع الأكثر شيوعا هو الحوض المستدير في القرن العاشر ميلادي، والحوض المربع الزوايا في العصر الفاطمي والصنهاجي[4].

---

[1] عبد الفتاح وهيبة. في جغرافية العمران. ص 17.

[2] يورد التجاني نموذجا لطريقة استغلال الجماعات الجبلية للمياه عن طريق حفر الآبار التي يعانون من حفرها من شدة الأرض وصلابتها حتى أن الرجل ليمكث في حفر البئر العام والعامين بحسب كبر البئر وصغرها. وقوة اعتمادهم في ري الأرض إنما هو على ما ينحدر من سيول تلك الجبال في وقت الأمطار. رحلة التجاني . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. الدار العربية للكتاب. ليبيا- تونس. 1981. ص 186.

[3] محمد حسن. المدينة والبادية. ج1. ص 385.

[4] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج2 ص 237- 238.

الماء والجبل ببوزينة بالأوراس.

تاريخيا نشير إلى استمرار الكثير من هذه النظم المتعلقة بالماء، والصراع على مصادرها نتيجة ندرتها أحيانا، إلى غاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بجنوب مجال الأوراس، حيث تنتهي أغلب الأنهار بمصباتها في منطقة الزاب الشرقي والغربي، و يذكر ليون الإفريقي المزارعين في منطقة "البرج"، التي تبعد عن غرب بسكرة مسافة أربعة وعشرين ميلا، أنهم "يشكلون فيها الأغلبية، وتؤدي ندرة المياه فيها إلى أن كل مزارع يجلب الماء إلى حقله خلال ساعة أو إثنين، حسب مساحة أرضه، وذلك عندما يريد سقايتها بماء القناة التي تمر من جوار حقله، ولكل مزارع منهم ساعات معينة يسقي أرضه في أثنائها، وعندما تفرغ يكون وقت الري الذي يحق له قد انتهى، والذي يكون الماء تحت تصرفه لا يحق له الاحتفاظ بعد انتهاء مدته، وينتج عن ذلك أن تحدث في أغلب الأحيان مشاجرات ويقع بعض القتلى"[1].

[1] ليون الإفريقي. وصف إفريقيا. ص 510.

5- الحواضر والأنهار:

بالنسبة للمجال الحضري بالأوراس وعلاقته بالمياه، فيتعلق مبدئيا بمواقع المدن والحصون التي بنيت قرب الأنهار أو على ضفافها؛ يقول البكري أن "قرية مسكيانة وهي على نهر"[1]. أما مدينة قاساس "هي مدينة قديمة على نهر"[2]. وفي الجنوب فإن أغلب الوديان التي تنبع من جبال الأوراس وتشق ممراتها بلاد الزاب فإنها تعبر مدن وحواضر هذه المنطقة مثل بسكرة "وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة، منها في الجامع بئر لا تترف وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر"[3]. أما مدينة تبسة فهي "على نهر كبير كثير الفواكه والأشجار"[4].

أما داخل هذه الحواضر فقد كانت كلها تحتوي على كل العناصر اللازمة للمدينة من أحواض، وقنوات، وغيرها ولا تزال بعض بقايا هذه المنشآت منتشرة بالكثير من المدن كتيمقاد وباغاية وبلزمة.

ولم يستثن الجغرافيون والرحالة هذا الجانب، فيذكر ابن حوقل أن مدينة مسكيانة "كثيرة المياه والزروع ولها سوق وماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص"[5]. وعن مصدر مياه باغاية يقول ابن حوقل "لها ماء جار من وادٍ يأتيهم من القبلة ومنه شربهم مع آبار لهم عذبة ولهم من البساتين الكثير"[6].

مدينة نقاوس كانت بها الحدائق والأجنة العظيمة وجميع الفواكه، وغزارة في الزراعات نتيجة المياه الكثير التي تغذي المدينة ومحيطها في عهد ابن حوقل[7]، وهي نفس الخصائص التي حافظت عليها هذه المدينة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[8]، واستمرت المدينة في تطورها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وبقيت "أنيقة جدا، وبهيجة المنظر، لأن لكل بيت منها حديقته المليئة بالزهور المتنوعة، لا سيما من ورود دمشق والريحان والبنفسج والحبق والقرنفل وأزهار أخرى لا تقل عنها بهاء، ولجميع المنازل تقريبا عيون ماء تسقى منها"[9].

---

[1] البكري. المسالك والممالك . ج2. ص 227.

[2] المصدر نفسه. ج2 . ص 227

[3] المصدر نفسه. ج2 . ص 230.

[4] المصدر نفسه. ج2 . ص 330.

[5] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84.

[6] المصدر نفسه. ص84.

[7] المصدر نفسه. ص 93.

[8] ابن الحاج النميري. المصدر السابق. ص 470- 471.

[9] ليون الإفريقي. المصدر السابق. ص 425.

وتشترك الكثير من مدن الأوراس في توافر المياه مثل بلزمة[1]، وتيفاش[2]. وبادس[3]. لكن المعلومات التي التي تقدمها لنا المصادر نادرة جدا حول وضع المياه في مدن وحواضر الأوراس في العصر الوسيط. فقط يذكر البكري بعض مرافق باغاية مثل الفنادق والحمامات والجامع، وهي المنشآت التي تتطلب الوفرة الكثيرة من المياه[4]. وبالإضافة إلى الأنهار التي تشكل المغذي الرئيسي لمياه هذه المدن، نجد مدن أخرى مصدرها العيون مثل باغاي[5]، وتيفاش التي "بها عين ماء جارية ولها بساتين"[6].

6- مياه الشرب بالحواضر والمدن:

تتوزع المياه المعدنية في الجبال والتلال، ونجدها في عين سفيان. بومقر، نقاوس، وتنيباوين، وحمام أولاد سي سليمان[7]، أما عن مصادر مياه الشرب لسكان الأوراس نوضحها في الجدول التالي:

	الوديان	العيون	الآبار
مجانة	لهم واد غزير الماء[8]	ذات مياه وعيون[9]	
باغاية	لها ماء جار من واد[10]		لهم شرب من آبار عذبة[11].
قصر الافريقي	تحتها واد يجري[12]		
بسكرة	نهر كبير يجري في جوفها[13]		
تهودة	نهر يصب في جوفها[14]		بئر لا تترح، وآبار كثيرة طيبة[15]
نقاوس	يمر بجوارها نهر[1]		

[1] ابن حوقل. المصدر السابق. ص 93.
[2] البكري. المصدر السابق. ج2 . ص 231.
[3] البكري. المصدر نفسه. ج2 . ص 257. مجهول. الاستبصار. ص 175.
[4] البكري. المصدر نفسه. ج2 . ص 328.
[5] مجهول. الاستبصار. 163.
[6] الإدريسي . المصدر السابق. ج1 . ص 295.
[7] Jean Despois. Le Hodna. Presses universitaires de France. Paris. 1953. P.85- 86.
[8] ابن حوقل. المصدر السابق. ص 84
[9] مجهول. الاستبصار. 161.
[10] ابن حوقل. المصدر نفسه. ص 84
[11] الإدريسي. نزهة المشتاق. ص 276.
[12] ابن حوقل. المصدر نفسه. 87
[13] البكري. المصدر السابق. ج2. ص 231.
[14] البكري. المصدر نفسه. ج2. ص 174. مجهول. الاستبصار. ص 172.
[15] البكري. المصدر نفسه. ج2. ص 174.

بلزمة			بها آبار طيبة[2]
دار ملول		شربهم من عين بها[3]	
تيفاش		بها عين ماء جارية[4]	
تيجس		ماء جار من عين[5]	
بادس		لها مياه وعيون كثيرة[6]	
مداوروش		عين مداوروش[7]	

7- أركيولوجيا المياه :

عكس نظام الري ببلزمة، فإن نظم السقي الجبلية بداخل الأوراس لا تزال محافظة على طبيعتها العتيقة وموغلة في القدم، وتكشف عن ذلك الدراسات الاستقصائية المكثفة للمخططات الهيدروليكية الرومانية في المنطقة والتي أنجزت في الفترة الاستعمارية وكان الدافع وراء ذلك هو الاهتمام بإعادة إحياء المجد الروماني، حيث أنجزت أبحاث تفصيلية لمخططات المياه الرومانية في تونس، أما المسح الذي كان يهدف إلى تحقيق نفس التغطية بالجزائر فيتمثل في العمل الذي قام به ستيفان قزال تحت عنوان sur les travaux hydrauliques Enquête anciens en Algérie بتوجيه صادر عن الحاكم العام للجزائر[8].

ستيفان قزال وبيار موريزو قاما بمسح ومعاينة الكثير من المناطق وقد ركز قزال على مناطق جنوب سهل بلزمة وزانة، فيما أفادنا موريزو بمعاينات ميدانية في مناطق وادي شليا ووادي الأبيض ووادي عبدي. ومن هذه الشواهد الأثرية نقف على تنوع مصادر المياه بالأوراس ومعها يتنوع الري والسقي بين مختلف مناطقه نتيجة اختلاف التضاريس المرتبطة بتنظيم المجال الزراعي، والذي لا يمكن فصله عن البيئة الطبيعية ونمط العيش المعتمد على الانتجاع. فارتفاع الجبال الواقعة بالمنطقة الشمالية والشمالية الشرقية والتي تتراوح بين 1600م و2300م نجدها مغطاة بالثلوج لعدة أشهر من السنة مما يعطي قوة لتغذية الأودية والأنهار بالمياه الجارية، ولذلك يمتنع الفلاحون عادة من سقي محاصيلهم في هذه الأشهر، ويعتمد الري في هذه المناطق على سواقي

[1] مجهول. الاستبصار. ص 172. ليون الإفريقي. المصدر السابق. ص 425.

[2] الإدريسي. المصدر السابق. ص 270.

[3] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 85. الإدريسي. المصدر نفسه. ج1. ص 264.

[44] ابن حوقل. المصدر نفسه. ص 61.

[5] المصدر نفسه. ص 87.

[6] مجهول. الاستبصار. ص 175.

[7] Stéphane Gsell. *Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie*, p. 64-65.

[8] Shaw Brent D. *op.cit.* p. 125.

بسيطة والعديد منها يعود بالتأكيد إلى فترات قديمة جدا مثلما نجده على ضفاف وادي الأبيض ووادي عبدي[1].

تحتوي منطقة خنشلة على العديد من الآثار الرومانية التي تنتشر خاصة في المزارع والقرى وهي مرافق خاصة بعالم الريف، وأما معالم السقي والري فهي قليلة باستثناء بعض الآثار الموجودة على منحدرات الأنهار كالحواجز الحجرية للسماح لمياه الأمطار بالنفاذ للأراضي الزراعية أو للحفاظ على مزارع الأشجار والأراضي الفلاحية، خاصة وأن المنطقة يخترقها أنهار المنحدر الشمالي للأوراس[2].

أما بمنطقة باينو وبوالزوامل فقد قام موريزو بمعاينة ميدانية للموقع انطلاقا من أريس وقدم وصفا لمواقع الوادي حيث تنتشر تضاريس قليلة الانحدار ما سمح بإقامة مدرجات على سفوحها والسماح بالتالي بري منحدرات وادي شليا[3].

جنوب سهل بلزمة الذي ينتهي بسلسلة جبلية معقدة أحيطت بينها مستوطنات رومانية في شكل حزام حول الوديان العميقة التي عملت الأمطار على تعريتها، وفي نفس الوقت تشكيل سهول بينها، وتشمل هذه الأنهار: وادي رأس العيون، وادي كندة، وادي القصبات، ووادي الحجاج. وعادة ما يكون بعض هذه الأودية دائمة الجريان في السنوات الممطرة، وبجانب هذه الأنهار تنتشر أنهار بوطالب التي لا تزال الحواجز الرومانية تشكل بقايا أثرية إلى اليوم، بالإضافة إلى قنوات الري وآثار بعض السدود[4]، هذه الأخيرة التي لجأ إليها السكان السكان منذ القديم من أجل تخزين المياه في شكل أحواض تقام في خوانق الأودية أو في أسفل السفح الجبلي في نقطة التقاء الجبل بالسهل، وتنتشر آثار هذه السدود في الكتلة الأوراسية من ناحية قفصة إلى غاية الحضنة[5].

بمداوروش عاين الدكتور شو مجموعة آثار أهمها "عين مداوروش" ذات الجدران الحجرية قرب بئر بقطر 1م، استخدمت كمخزن للمياه أو كقنوات للتوزيع وإمداد المياه للمدينة، بالإضافة إلى منشآت الحمامات والأحواض التي أقامها الرومان[6].

---

[1] Stéphane Gsell, *op. cit. p. 98.*

[2] *Ibid. p. 103- 104.*

[3] Pierre Morizot, Abdelmalek Nasraoui, « A propos des ruines de la vallée de Mellagou (Aurès, Algérie). Les vestiges chrétiens de baïnou et la mosaïque découverte à bouzouamel », *comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres, 145e année*, n. 2, (2001). p. 877- 880.

[4] Stéphane Gsell, *op. cit,* p. 394.

[5] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. ص 106.

[6] Stéphane Gsell. *op. cit,* p. 64- 65.

أما بسهول زانة المحاذية لشرق سهل بلزمة فإن المنطقة لا تزال تزخر ببقايا هيدروليكية كثيرة تمتد على مسافة خمسة عشر كلم (15كلم)، وهي شاهدة على ازدهار نظم الري بالمنطقة في العهد الروماني، وهي الآثار التي وقف عليها ستيفان قزال من أجل استكشاف منشآت الري القديمة ونجحت في اكتشاف قنوات للمياه أنشأت لتزويد المدينة بالمياه والتي تؤدي إلى خزان كبير، عبر هذه القنوات، كما عثر على قنوات تنتشر خارج المدينة نحو السهول مخصصة للري تنتشر على مساحة تقدر ب 3كلم، وقد وجدت على مسافات عميقة مدفونة في باطن الأرض، ويمكن متابعة مسارات هذه القنوات المتعرجة في ضواحي زانة التي يبلغ طولها الإجمالي 15 كلم على الأقل[1].

جنوب الأوراس وبين خنقة سيدي ناجي وبادس أجريت معاينات وأبحاث لمعرفة الطريقة التي اعتمدها الرومان لجلب مياه وادي العرب نحو بادس، وإمكانية استخدام هذه المياه من أجل الري وتغذية مدن ليانة وبادس بالماء عن طريق قنوات مدفونة في الأرض، وبعضها لا تزال مكشوفة في ليانة وخنقة سيدي ناجي، ومصدر هذه المياه هو وادي العرب الذي يقل تدفقه في فصل الصيف وهو ما يفرض حفر خنادق وأحواض لتخزين المياه وملئها في فترة فيضانات الأنهار القريبة منها[2].

وحسب الأبحاث التي قام بها ستيفان قزال في شهر أكتوبر 1899، بمنطقة "بادس" و"خنقة سيدي ناجي" و"ليانة"، فإن البقايا الأثرية بمنطقة "بادس" لا تزال قائمة، تخص بقايا للقنوات وجدرانها وقسم منها مبني بالطوب على الضفة اليسرى لوادي العرب، أما على الضفة اليمنى لهذا النهر فلا تزال الحطام المتعلقة بأنابيب المياه والتي درج يعزوها السكان إلى الرومان.

أما بين خنقة سيدي ناجي وليانة، فقد عثر على ثلاث مواقع مختلفة، وفي هذه المنطقة عملت الظروف الطبيعية، ومياه الأمطار على طمس معالم هذه القنوات، وكسر المنشآت الهيدروليكية التي دفنت في باطن الأرض، و لم يعد الكثير منها صالحا للاستعمال[3].

وإلى الشمال من هذا المجال وبتبسة تحديدا، كانت هناك العديد من الأبحاث قام بها الضباط العسكريين، والمكتب العربي بتبسة، وحسب هذه الأبحاث فإن الأدلة الأثرية للأعمال المائية القديمة قليلة، وتتمثل في أطلال السدود أو السدود، وشظايا من قنوات البناء المنتشرة في منفذ بعض سهول الوديان، وهي عموما نادرة جدا، وبعيدة جدا عن بعضها البعض، بحيث يمكن بالتأكيد إعادة تشكيل النظام التركيب الهيدروليكي الذي ينتمون إليه. وقد صمدت أعمال اثنين فقط من عوامل وتغيرات الظروف الطبيعية؛ الأولى

[1] Stéphane Gsell. *op. cit,. p. 70- 71.*

[2] *Ibid. p. 106-107.*

[3] *ibid. p. 107.*

تقع على الطريق من تبسة وقفصة، وقد يعود إلى عمل يخص الصرف الصحي، والذي يشبه بناؤه مع فوقارات مزاب. وكان موضوع تحقيق نشره نائب مدير المكتب العربي في تبسة، التابع للجمعية الأثرية بقسطنينة.

أما الآخر، الذي يقع في طريق خنقة الصفصاف، فإن وظيفته مهمة، تتمثل في السدود، والقنوات المائية وقنوات الري. وخنقة الصفصاف مجال واسع يمتد من الغرب إلى الشرق، بين الطريق من تبسة إلى نقرين، وفي الطريق من تبسة إلى قفصة، قبل فريانة، وتخطيطه متعرج بدوره، كما تنتشر في المنطقة بعض الينابيع الصغيرة التي تأتي من سرير النهر [1].

كما أن هناك دلائل كثيرة على قدم نظم استصلاح الأراضي الزراعية ونظم السقي سابقة على العهد الروماني؛ إذ يشير غابريال كامبس مثلا إلى موقع تازبنت[2] الذي يكشف عن نظام زراعي جبلي قديم يتنافى تماما مع المنشآت الرومانية التي أقامتها في تلك المناطق الجبلية، حيث بنى الرومان سدود صغيرة تقطع السفوح طوليا بخطوط متوازية، ولكنها لم تقم بتهيئة رقعة من القطع الرباعية كما فعل من سبقوهم، والمرجح أن يكونوا من السكان الأصليين للمنطقة[3]. وأما ما فعله الرومان من بعدهم في موقع تازبنت بعدما وجدوا منظومة زراعية ورعي زراعي متين، فلم يتجاوز عملية التوسيع للمنطقة واستغلاله لا أكثر، ولأن الكثير من الآثار القديمة المتعلقة بأعمال هيدروليكية التي تنتشر تكشف عن وجود تنظيم اجتماعي يسمح بقيام زراعة مسقية قائمة على المدرجات على ضفاف الأودية الجبلية حيث تمارس الزراعات المروية[4]. وهذا ما نجده في الكثير من مناطق الأوراس.

[1] Stéphane Gsell. *op. cit. p. 114- 115.*

[2] دوار (قرية) يقع على بعد كيلومترات جنوب غرب تبسة على قمم جبل بوزيان أجريت فيها أبحاث في عام 1946 من طرف مهندسو مصلحة الخرائط أين اكتشفوا رقعة ذات شكل هندسي خاص ومقسمة إلى متناسقة مع طبوغرافية المنطقة كانت في شكل مستطيلات و دوائر مسورة بجدران دائرية. غابريال كامبس. المرجع السابق. ص 139- 140.

[3] غابريا كامبس. المرجع نفسه. ص 141- 142.

[4] Jean Despois. la culture en terrasses en Afrique du nord. p. 5, 42 .

ثانيا– الأنهار بالأوراس.

1- الأنهار بشرق الأوراس:

الأوراس الشرقي بين تيغانيمين وواد باجر المنطقة غنية بالبقايا الأركيولوجية، ولكنها فقيرة فيما يخص الوثائق والنقوش. والمؤكد أنه منذ أواسط القرن الثالث ثم الغزو الوندالي، يبدو أنه حصلت تنمية بين جبل احمر خدو وجبل ششار خصوصا تلك التي مست شجرة الزيتون. ومما لا شك فيه أن ذلك يعود إلى التحكم في شبكة توزيع المياه على نطاق واسع والذي شمل حدود الصحراء المجاورة له[1].

وتضاريس هذه المنطقة تتميز بالانتقال من جغرافية السطح التي هي عبارة عن فسيفساء معقدة على جبال الحجر الرملي إلى الشمال الشرقي حيث الكتلة الصخرية عبر غابة من "العرعار" بجبل المحمل وأحمر خدو وهو الأكثر جفافا في الجنوب والجنوب الشرقي، لذلك نجد أن عدم التوازن هو المهيمن على السطح[2].

2- أنهار جنوب الأوراس تغذي الواحات.

قدم بلين دراسة وافية عن مجموع أنهار الأطلس الصحراوي والأنهار المنحدرة جنوب الأوراس تتعلق بكل من وادي الأبيض والقنطرة، مبرزا منسوب مياهها وطبيعتها وحتى تركيبتها[3].

في هذه المناطق تغذي منحدرات جبل النمامشة جنوب الأوراس مجموعة من الأنهار، وأكثر هذه الأودية المتجهة جنوبا هي وادي الأبيض ووادي القنطرة ووادي عبدي عند تفرعاته بجمورة شمال بسكرة[4].

[1] Pierre Morizot. « L'Aurès et l'olivier ». *op.cit.* p.198.

[2] Jean-Louis Ballais E.B. et. Aurès. *op. cit.* p. 6.

[3] Jean-Louis Ballais. « Des oueds mythiques aux rivières artificielles : l'hydrographie. Du bas-Sahara algérien ». *Physio-géo - géographie physique et environnement.* iv. (2010), p. 66.

[4] Jean-Louis Ballais. *op. cit.* p. 114.

نهر القنطرة

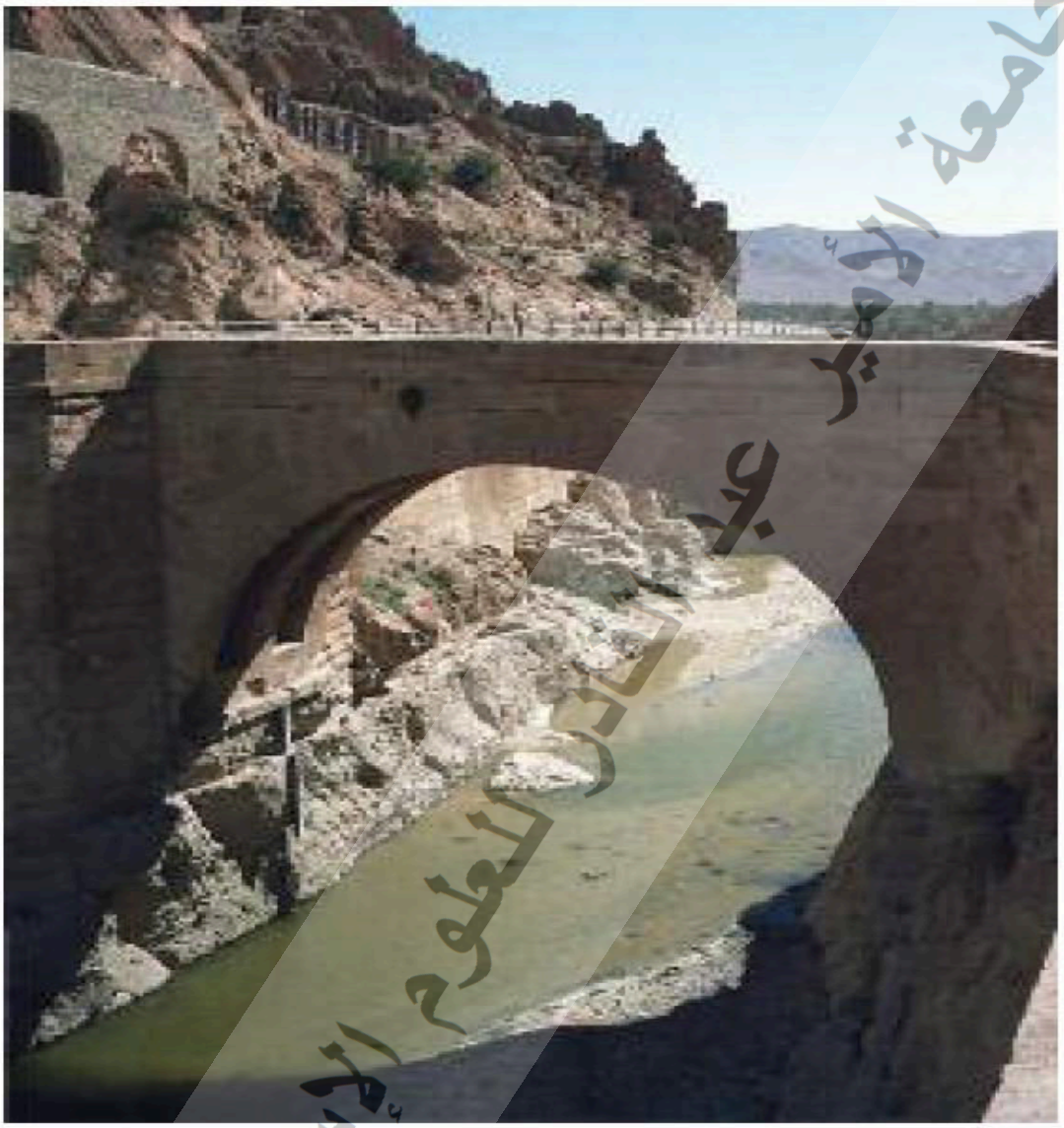

وعن تشكل الأنهار بالنمامشة فإن أغلبها ملتوية حيث تتشكل السهول الشاسعة كخزانات للماء. أما التربة فتتكون من الكمي السميك المتشكل من حطام من الصخور المحيطة بها ومن الغرين، التي تملأ الأحواض الضيقة. والمنطقة في معظمها تتكون من كتلة جيرية[1].

كما تزخر منطقة النمامشة بالمياه، فهي منطقة من حوض جبال الأوراس، كما أنها جافة تقريبا خلال معظم أيام السنة، لكن في موسم الأمطار تكون غزيرة وتؤثر في تشكيل القباب واتجاهات للطي باتجاه الشمالي الشرقي إلى الجنوبي الغربي. كما تتشكل الثنيات بنهر قنتيس[1].

[1] Joseph Blayac, *op. cit.* p. 151.

أما أهم الأنهار بالأوراس فيمكن أن نذكر:

وادي العرب

ينبع هذا النهر جنوب غرب خنشلة عند جبل تافرنت، ويمر عبر مرتفع يبلغ 1719م وينتهي بمنبسط من الكتلة الصخري، الكثير من فروع هذا النهر تكون جافة لنصف العام. ويمر نحو نقرين عبر بابار. جبل ششار يهيمن على الجزء السفلي من الوادي، ويتميز في هذه المنطقة بجدران حجرية جافة، ومنحدرات شديدة خالية من التربة السطحية، لذلك فالزراعة تكون محدودة وتتركز في مصب الوادي حيث واحات النخيل ومزارع الزيتون وأشجار الفواكه[2].

يمر واد العرب على مجموعة واحات وعمائر، فنجد أهمها خيران حيث نجد واحة النخيل وزراعة الحبوب[3]. أما زريبة الوادي فتسقى من مصب نهر العرب، وهي على عتبة الصحراء في المصب الأخير للنهر[4].

مقطع تضاريسي لمجرى وادي العرب

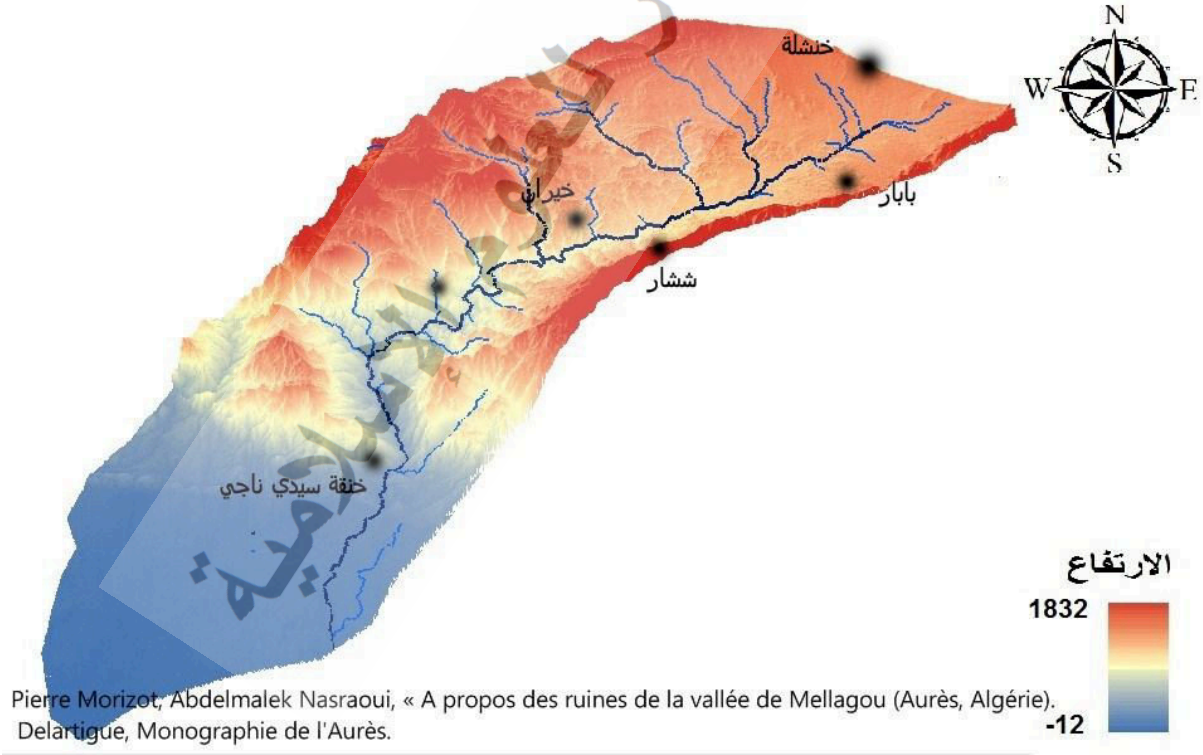

Pierre Morizot, Abdelmalek Nasraoui, « A propos des ruines de la vallée de Mellagou (Aurès, Algérie). Delartigue, Monographie de l'Aurès.

[1] *Ibid.* p. 149- 150.

[2] Colonel Delartigue, Monographie de l'Aurès. Constantine 19o4. p. 21/ 285.

[3] *ibid.* p. 22/285

[4] *ibid.* p. 23/ 285.

وادي ملاق:

واد ملاق هو أحد روافد نهر العرب على الجهة اليمنى، والذي ينبع من جبل شليا، وخلافا لمعظم وديان جبل أوراس الرئيسية التي تتدفق من الشرق إلى الغرب، فإن هذا النهر يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. ويبدو المنظر من أعلى قمة جبل شليا نحو مسار واد ملاق أنه يفتح بوابة جميلة إلى الصحراء. ثم يصادف الكثير من التعرجات ليتقاطع مع وديان أخرى بالجهة[1].

يعتبر وادي ملاق أحد روافد وادي العرب، والذي ينبع من جبل شيليا، الذي تبلغ قمته (2328) متر. وخلافا لمعظم الأودية الأوراسية الكبيرة التي تتدفق من الشرق إلى الغرب، فإنه يفتح ل من خلال سفوح من الكتلة ممر الموجهة من الشمال إلى الجنوب، ويبدو أنه يوفر طريقا مهما للوصول إلى الصحراء[2].

وادي الأبيض:

ينحدر واد الأبيض من جبل شليا عند قمة رأس كلثوم بعلو يقدر 2328م، يمر عبر العديد من القرى والمناطق قبل أن يأخذ اسم واد الأبيض. استغل الرومان الكثير من الممرات بهذا النهر وأنشأوا سواقي وقنوات طويلة لتجميع المياه وتوجيهها من القاعدة إلى القمة بمنطقة تيغانيمين وأولاد داود. ومنبعه بين جبل شيليا إلى الشرق وإشمول إلى الغرب، وتتدفق مياهه نحو الصحراء عبر وادي عبدي. ويعبر قبل ذلك مجموعة من السهول، ثم يتخطى إشمول، ثم يضيق مساره، وسرعان ما ينتشر ويصبح مرة أخرى، بالقرب من اريس، وبعدما يعبر سفح إشمول في الشرق يتفرع ثم يعبر عبر ممر تيغانيمين[3].

مياه واد الأبيض تمر عبر القناة الطبيعية التي تتشكل من غسيرة إلى مشونش. ويشكل ممر غوفي احتياطي كبير للري خاصة لمناطق تهودة[4]. ويتحول في حدوده الجنوبية مع المنحدرات الجنوبية لجبل أحمر خدو

---

[1] Pierre Morizot, Abdelmalek Nasraoui. *op. cit.* p. 877.

[2] *Ibid.* p. 877- 880.

[3] Maurice Besnier. « Notes sur l'Aurès : la plaine d'Arris ». *Annales de géographie*, 8e année, no. 40. 15 (1899). p.367.

[4] Pierre Morizot. L'Aurès et l'olivier. *op,cit,* 29. 1993. p. 196.

ليخترق منطقة الزاب عند مدينة سيدي عقبة ويروي تلك السهول بمصب النهر. لتشمل كل من واحة شتمة وسيدي خليل وعن طريق السواقي توجه المياه إلى سريانة وتهودة[1].

مقطع لمجرى وادي الأبيض

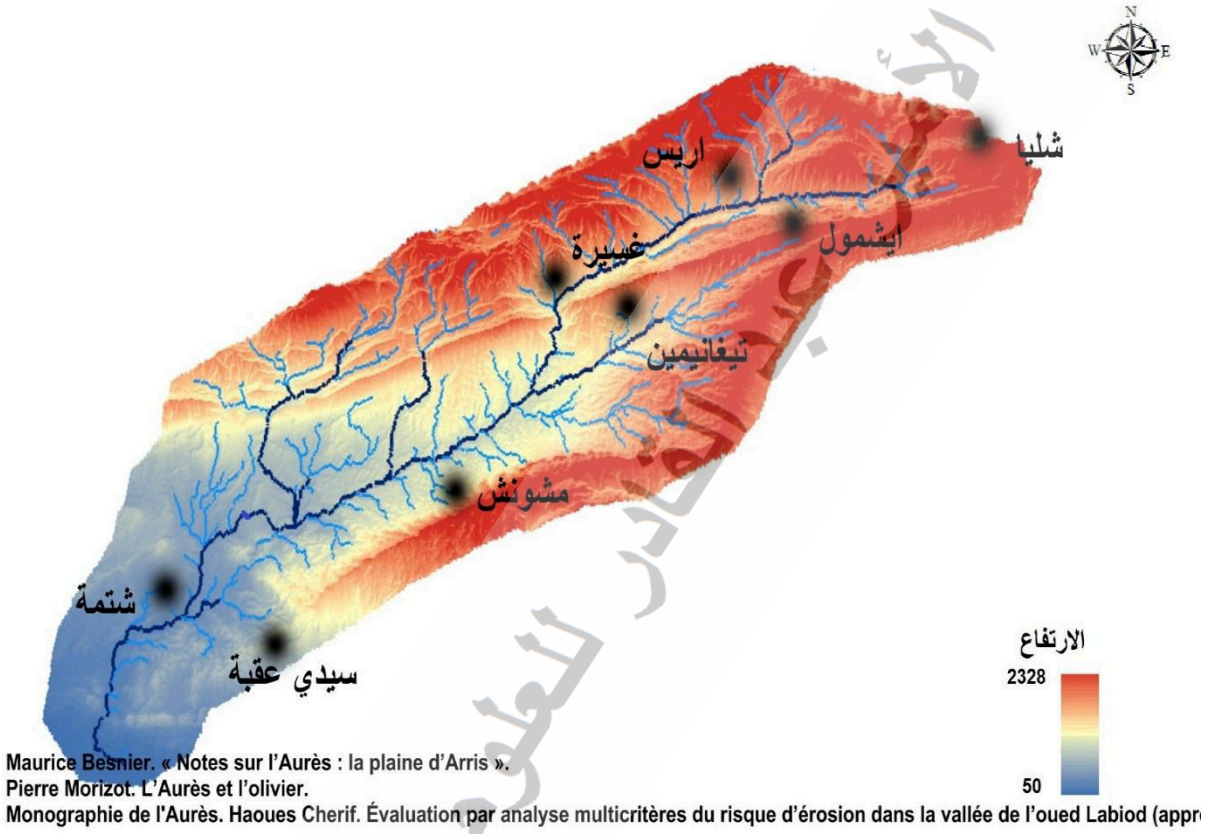

Maurice Besnier. « Notes sur l'Aurès : la plaine d'Arris ».
Pierre Morizot. L'Aurès et l'olivier.
Monographie de l'Aurès. Haoues Cherif. Évaluation par analyse multicritères du risque d'érosion dans la vallée de l'oued Labiod (appr

أما عن حوض وادي الأبيض؛ فهو نتاج لتضاريس جغرافية لمستجمعات المياه التي تشكل الوادي في كتلة الأوراس. وهو يتألف من ثلاثة أنهار هامة.

الوادي الرئيسي: وهو وادي الأبيض، وادي شيناورة ووادي تكوت، ويتشكيل الوادي الرئيسي من خلال الالتقاء بهم، لإضافة إلى وادي غسيرة. كل هذه الوديان تذهب جنوبا وتتدفق إلى الجنوب حيث الشطوط. ويتشكل وادي الأبيض من خلال تجمع السيول تنازليا من المنحدرات الشديدة من مرتفعات شيليا (2326 م) ومرتفعات إيشمول (2100 م). وبعد عبوره لضيق تيغانيمين، يدخل وادي غوفي والممرات الضيقة

[1] Monographie de l'Aurès. p. 19- 285.

بمنطقة مشونش، ثم يفسح أمامه المجال إلى السهل الصحراوي عبر "فم الغرزة"[1]. ويحتفظ وادي الأبيض بمعدلات تعد عالية بعد تساقط الثلوج من شهر ديسمبر إلى شهر فبراير، إذ يزيد المعدل من مارس إلى يونيو بسبب ذوبان الثلوج[2]. ولهذا الوادي أهمية كبيرة في التعمير واستقرار بعض الجماعات على ضفافه وعلى سفوح الجبال المقابلة له.

أما مصبات وادي ملاق ووادي الأبيض فعلى بعد مئات الكيلومترات التي يشملها مصباهما على الحدود مع الصحراء، نجد مساحات كبيرة يرويها هذان النهران كما يشكلان مساحات واسعة من الطمي الذي ينتشر على حاشية الصحراء والأوراس، والتي تمتد حتى حدود مدينة بادس. هذه المياه لا تكون ضرورية لبعض الزراعات، مثل زراعة الزيتون التي تنتشر على حواف النهرين، إلا أنها تكفي لكثير من الزراعات المعاشية للسكان الذين اكتسبوا ثقافة آلية استغلال هذه المياه من مصباها وحتى إلى منابعها. خاصة إذا عرفنا اختلاف الأرض الجبلية عن الأراضي المنبسطة الصحراوية[3].

على مخرج الوادي الأبيض، وشمالي سيدي عقبة، أقيمت منشآت ري لتغذية منطقة سيدي عقبة بالمياه، مما سمح بقيام زراعة هامة ومراكز استقرار، أشهرها مدينة تهودة الواقعة شمالي مدينة سيدي عقبة الحالية ببعض الكيلومترات. وهي مدينة هامة كان ينتشر حولها العديد من الزارع والمستعمرات على امتداد الأراضي المحاذية للوادي[4].

وادي عبدي:

واد عبدي يرتبط بالسلسلة المتوازية لجبال الأوراس. ويقابل انحدار جبل الأزرق في الشرق، حيث يتعرض الوادي لمكونات جيرية. ويؤثر انحدار الجبل الشديد على تخصيب الأرض؛ ففي الجزء الجنوبي من الوادي تقل نسبة التساقط إلى ما دون 200ملم/السنة وتترك الأرض كلها للجفاف، حيث يزداد نطاق الصحراء وحقول الصخور والحجارة مشكلة واحة جبلية مهجورة بسبب التفاف التضاريس. في الشمال البرانس تكون محصنة بالأخاديد وتُكوِن جمورة مع مجموعة من القرى الضفة اليسرى للوادي. وتكون مياه النهر

[1] Haoues Cherif. Évaluation par analyse multicritères du risque d'érosion dans la vallée de l'oued Labiod (approche systémique. Université colonel el Hadj Lakhdar de Batna. 2007-2008. p.10.

[2] Jean-Louis Ballais. *op,cit,* p. 115- 116.

[3] Pierre Morizot. L'Aurès et l'olivier. *op,cit,* 29. 1993. p. 196.

[4] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. ص 113.

مصدرا لري أشجار الفواكه والزيتون وواحات النخيل قرب بسكرة، حيث يضيق ويلتوي مجرى النهر وينخفظ مستوى الوادي. والنهر يسقي أشجار منعة للفواكه، وكانت تشكل في السابق واحات عند "إمنتان" وتقدم منعة كأنها واحة من السهوب. ويكون الطريق مسدود في شير، حيث ترتفع نسبة تساقط الأمطار والثلوج بجبل المحمل وجاره جبل شليا، مع كثافة الغابات الشاهقة، وحيث تنبسط سهول بالي ووادي الطاقة. هذا المنحدر يعطي نموذجا آخر للمناخ المتوسطي[1].

مجرى وادي عبدي وفروعه

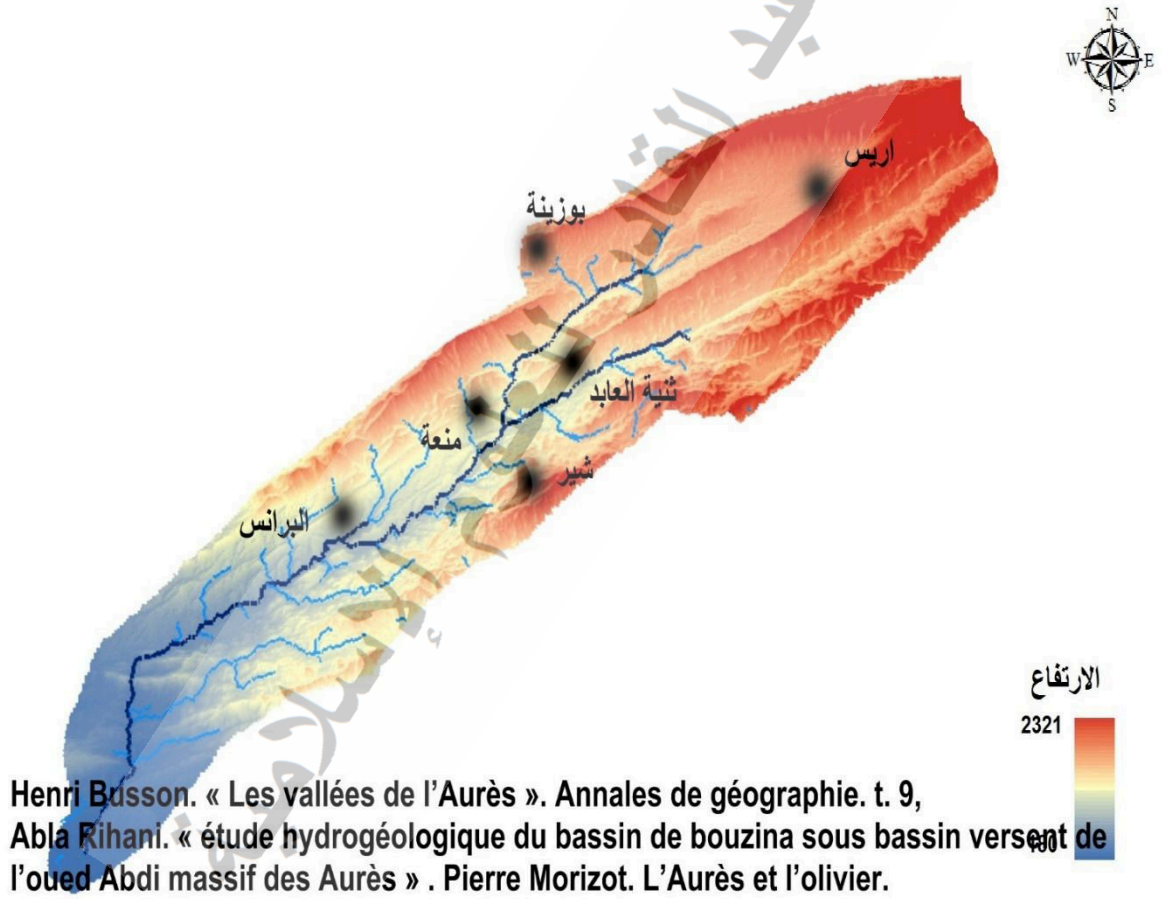

Henri Busson. « Les vallées de l'Aurès ». Annales de géographie. t. 9,
Abla Rihani. « étude hydrogéologique du bassin de bouzina sous bassin versant de l'oued Abdi massif des Aurès » . Pierre Morizot. L'Aurès et l'olivier.

[1] Henri Busson. « Les vallées de l'Aurès ». *Annales de géographie*. t. 9, n°43. (1900), p. 42, 47.

فوادي عبدي يساير مباشرة طريق بسكرة وباتنة ولمباز. تعبره قطعان الماشية في الصيف من طرف القبائل الرعوية. كما استقرت بها قبائل عربية غزت بعض أجزاء الجبل واحتفظت به بعد ما اتخذته مراعي صيفية كأولاد زيان. ويقطن على ضفاف الوادي قبائل بربرية شبه رحل. ويشكل واد عبدي منطقة خصبة لقضاء فترات الانتجاع، وقضاء شهور للتخييم. حيث أنشأت قرى محصنة في مواقع قوية جدا على التلال المطلة على الوادي، كما أسست مواقع للمراقبة ورصد العدو على نفس الجانب من الجبل، مع وجود العديد من الكهوف[1].

يمر على واحة جمورة ويسقي قديلة على 5 كلم من جمورة. هذا الوادي يكون ضيقا في الجبال ويبدأ في الاتساع عند واحة البرانس جنوبا، كما تتجه منه روافد نحو سهول لوطاية جنوبا[2].

[1] Henri Busson. *op. cit.* p. 48- 49.

[2] Monographie de l'Aurès. p. 13/ 285.

عن فروع وادي عبدي تتمثل خاصة في:

1 وادي بوزينة. يبدأ النهر من هضبة نيردي إلى تافوست، في مجال يحده من الشرق ثنية العابد، ومن الشمال الشرقي وادي الطاقة ومنطقة لارباع. ومن الغرب معافة، أما من الجنوب فنجد منعة وشير. أما تضاريسيا فنجد واد بوزينة يحده من الشرق والجنوب الشرقي جبل المحمل ومن الجنوب الغربي وادي عبدي وتتدفق مياهه السطحية على طول حوض وادي عبدي، من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. ثم تصب مياهه في وادي جمورة.

Abla Rihani. « étude hydrogéologique du bassin de bouzina sous bassin versent de l'oued Abdi massif des Aurès » . *Mémoire en vue de l'obtention du diplôme de magister spécialité* : géologie du géni civil et des milieux aquifères. Université : el Hadj Lakhdar –Batna. 2008. P. 3, 48, 50.

2 وادي تاغيت من الشرق ويربط شير بواد عبدي

3 وادي النارة يقع على واد عميق على سفح شمال شرق جبل الأزرق، وينتشر على سفح جبل الأزرق غابة الصنوبر الحلبي الذي يرتفع إلى 1600م، وقاعدته تتشكل من غابة الأرز ممزوجة بسنديان أخضر وعرعار وإكليل الجبل والشيح.

Jean-Louis ballais et E.B. *op,cit,* p. 9. Monographie de l'Aurès. p. 13/ 285.

مضيق منعه

بالنسبة للوادي المنخفض واد عبدي فإن هناك فرص وافرة لتوزيع الماء وخاصة تلك التي نجدها في أحواض جمورة وقديلة، وجميعها تستغل مياه هذا الوادي قبل أن تصب في مجالات الصحراء[1]، أما عن مصبات واد عبدي ووادي الأبيض فإنها تنتهي بمصبات واسعة وتخلق جزر مهجورة فوق الأرض، وتحيط ببعض الواحات مثل ما هو الشأن في البرانس[2].

واد مستاوة يتكون من فرعان يفصل بينهما جبل ويختلف اسم الوادي حسب المناطق التي يمر بها وحسب روافده، ينتهي جنوب قرية تاجمونت ويسمى بوادي جمينا، ثم بعده نجد مجالا آخر للوادي يسمى

[1] Pierre Morizot. L'Aurès et l'olivier. *op,cit,*. p. 196.

[2] Henri Busson. *op,cit,* p. 46.

رمانة (يكون الوادي رابطا بين أم الحبال جيمينة ورمان). وادي مستاوة يصب في الصحراء. وقبل ذلك يلتقي الوادي الرئيسي مع وادي مزيرعة[1].

وادي القنطرة ورافده:

وادي القنطرة ينبع من جبل شليا على بعد بضعة كيلومترات من غرب باتنة وعلى ارتفاع يصل إلى 2094م. ثم ينحني إلى الشمال متجها إلى بسكرة، ويدخل أراضي الصحراء مخترقا ممر القنطرة. وقد أنشأت على ضفافه المصاطب والبساتين، وينتهي هذا النهر بواحة لوطاية[2].

كل الوديان الجنوبية لجبال الأوراس، تقدم موارد للسكان الذين يقطنون على ضفافها، ويختلف حجم تلبية السكان للماء من هذه المصادر من فترة إلى أخرى[3]، عموما فإن هناك مراكز لتجمع السكان بمنطقة ششار وقرب وادي جلال في وسط صخري وهي قاحلة تماما، حيث تنتشر أنقاض متناثرة، كما نجد أيضا بناءات قديمة[4] على حواف هذا النهر، لذلك يطرح تساؤلا في منطقة جبل ششار حول طرق نقل المياه واستغلالها على طول حوش وادي جلال الذي كانت تنتشر حوله مراكز عمرانية[5].

[1] Monographie de l'Aurès. p. 29/ 285

[2] *Ibid.*. p. 286.

[3] Henri Busson. *op,cit,* p. 55.

[4] يرجح ماسكوري أن هذه البناءات تعود للعهد الروماني. وهو تقليد عام نجده عند أغلب الدارسين الفرنسيين في نسب كل العمران القديم للفترة الرومانية دون سواها من الفترات التي تسبقها، ويترتب عن هذا الطرح إلغاء كل إنجازات الفترات والمراحل التي مهدت للرومان، أو ما وجدوه من منشآت ثم استغلوها.

[5] Emile Masqueray , « Le Djebel chechar », *Revue africaine.*, xxii, (1878), p. 36.

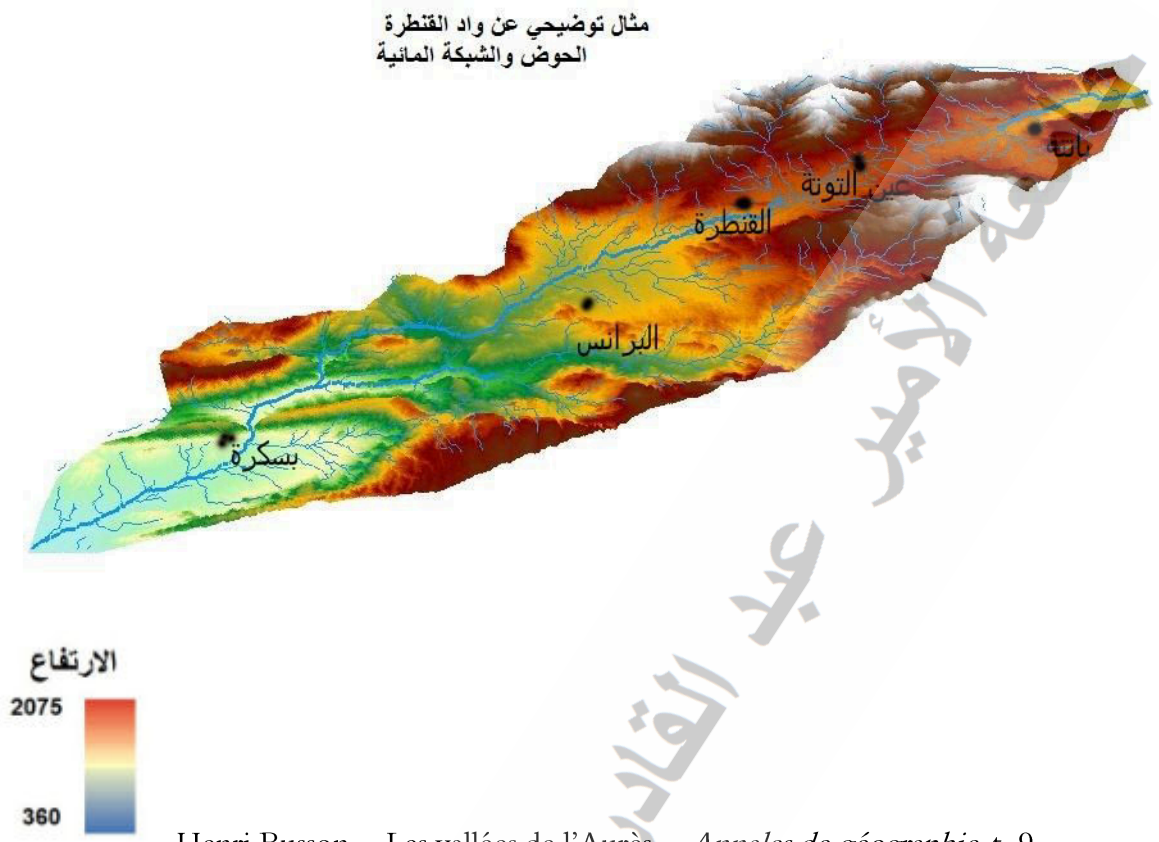

Henri Busson. « Les vallées de l'Aurès ». *Annales de géographie*. t. 9,

Jean Despois. « Le Honda ». Monographie de l'Aurès.

أما مجموعة الأنهار التي تنتشر بالنمامشة، فهي جافة طول أيام السنة تقريبا، لكن خلال مواسم الأمطار تكون مياهها غزيرة وتترك آثار واضحة على شكل قباب صخرية تأخذ اتجاهات شمالية شرقية – جنوبية غربية، حيث نجد أنهار "وادي غنتيس" الذي ينبع من الشمال ويقطع المرتفعات التي تحده جنوبا إلى غاية "فم الغنتيس" ويقطع هضبة النمامشة. ثم نجد "وادي الشريعة" الذي ينبع هو الآخر شمالا ويقطع المضائق الجيرية الضيقة قبل الوصول إلى الهضبة ثم نجد "وادي ثليجا". هذه الأنهار تكون عادة شبه جافة[1].

إضافة إلى أنهار بالجنوب الغربي للأوراس حيث مسار "وادي بيطام" و "وادي بريكة" أين تقع مرتفعات نقاوس وراس العيون التي تصب في بريكة في الحضنة همشها[2]. وكان لهذه الوديان أنظمة خاصة للتوزيع بين القبائل التي تستقر على ضفافها. وكثيرا ما أثيرت نزاعات بينها لاقتسام مياه هذه الأنهار بوادي

[1] Joseph Blayac. *op,cit,* p. 149- 150.

[2] Jean Despois. *op,cit,*. P. 81- 82.

بريكة، ووادي بيطام استمر حتى العهد الفرنسي حسب حون ديبوا[1]، وتبقى المشكلة في غياب النصوص المعاصرة للفترة الوسيطية فيما يخص هذا المجال، باستثناء شهادة النميري في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[2].

مجرى وادي بلزمة وسط السهل

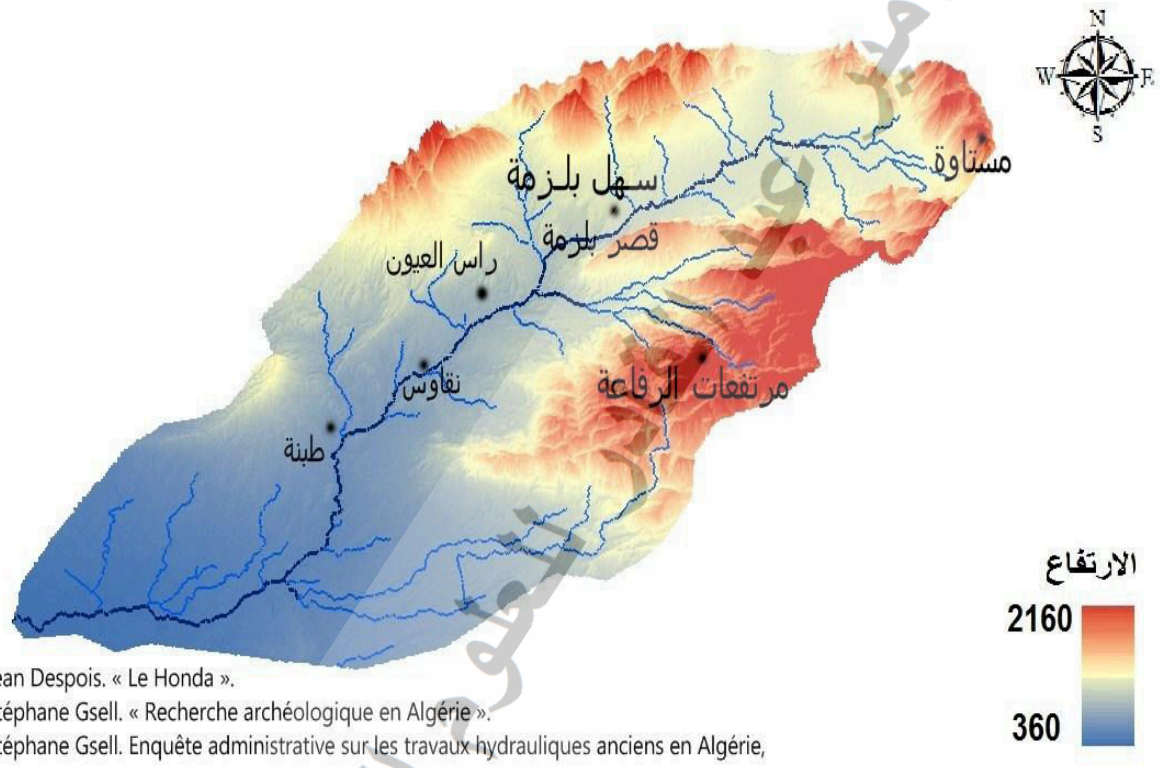

Jean Despois. « Le Honda ».
Stéphane Gsell. « Recherche archéologique en Algérie ».
Stéphane Gsell. Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie,

وقد سبقت الإشارة إلى أن قانون المياه في مختلف أحكامه التطبيقية، يستند إلى ما كانت عليه العادة في التعامل سواء عند التصرف في المياه أو في قسمتها أو في إقامة عناصر التهيئة المائية واصلاحها أو عند الشروع في تعمير الأرض، وعند عدم توفر العادة للقياس أو استحالة التعرف عليها، يتم الاعتماد على الاتفاق الجماعي. أما إذا لم يحصل الاتفاق الجماعي فيقع اللجوء إلى القضاء أو "جماعة المسلمين" لاستصدار ما يلزم من الأحكام[3]، أما في مسألة تقسيم المياه فيؤكد أبو العباس الفرسطائي، وهو الذي ينتمي إلى مجال يتميز

[1] حاولت فرنسا في العهد الاستعماري إحياء القوانين المحلية فيما يخص توزيع مياه نهر بريكة. وأصدرت لوائح وقوانين في عام 1882، لتنظيم العملية. Jean Despois. *op. cit.* p. 193.

[2] Jean Despois. *ibid.* p. 185-189.

[3] الهادي بن وزو محمد حسن. المرجع السابق. ص 168.

بالتضاريس القاحلة والجافة، على ضرورة تطبيق القسمة والعادة إن وجدتا، وأما إذا أراد الشركاء ابتداء القسمة، فيمكنهم ذلك بالاتفاق أو بالتقاضي ولا يمكن لأحد نقض تلك القسمة فيما بعد[1].

إن الدراسات التفصيلية للجغرافيا التاريخية يمكن لها أن تحدد لنا النشاط الزراعي والرعوي الذي كان منتشرا في هذه الأقاليم، كما تبرز مظاهر التحضر بالمنطقة خاصة في تلك المجالات التي كانت خاضعة للهيمنة الرومانية، وهذا انطلاقا من الشواهد الأثرية التي لا يزال بعضها قائما إلى يومنا هذا، والتي تشكل شواهد مادية على حيوية الريف الذي تنتشر فيه الكثير من البقايا المتعلقة بمنشآت الري لوقوع بعض أقاليم الأوراس الجنوبية خاصة في منطقة قليلة الأمطار، فكان لزاما على المنتجين اللجوء إلى الري واستخدام السدود والأحواض، وجلب المياه إلى المساحات المسقية في هذه المناطق وهذه المجالات، والتي كما نعرف كانت أخضعتها الجيوش الأموية في القرن الأول الهجري، وحولت الكثير من المراكز إلى حواضر لحامياتها.

لذلك فمساهمة البحث الأركيولوجي في دراسة نظام الري بالأوراس يسمح لنا بمعرفة قدم هذا النظام الذي يتجاوز بكثير مرحلة الوجود الروماني بالمنطقة، رغم أن أغلب الأثريين يرجعون أهم هذه الآثار إلى هذا العهد متجاهلين كل الفترة السابقة له، حيث قام السكان باستغلال المدرجات، والمساحات المسقية على ضفاف الأنهار داخل كتلة جبل الأوراس، وقد استمرت هذه النظم في المنطقة في الفترة الوسيطية لنها تتعلق بتقاليد قديمة في الإنتاج واستغلال الأرض، كما أنها لم تكن تتعارض مع التغييرات الجديدة التي حدثت بعد القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

[1] لا بد من الإشارة في هذا الجانب إلى أن استعانتنا بمؤلف أبو العباس الفرسطائي الذي ترجم له الوسياني والدرجيني والشماخي، ويعتبر من علماء القرن الخامس الهجري بجنوب إفريقية، (عاش فيما بين 420هـ و 504هـ) إنما يعود إلى كونه من منطقة تنتمي إلى مجموعة الجبال الممتدة من جبال مطماطة شمالا إلى جبال نفوسة جنوبا، وهي المنطقة التي تتميز بتضاريس وعرة، كثيرة الشعاب والمرتفعات، ومناخها جاف قليلة الأمطار. لذلك فإن التحكم في الموارد المائية يكاد ينحصر في مياه الأمطار وسيولها. فكانت الحاجة للتحكم في هذا المورد ضرورية جدا بالنسبة للمجموعات البشرية التي تقطن المنطقة، والتي قد ينجم عنها الكثير من الاختلافات والصراعات بينها. وهذا ما ينطبق على الكثير من المجالات في بعض مجالات الأوراس الجنوبية خاصة، خاصة فيما يتعلق بمحدودية المساحة مقابل ندرة الموارد المائية، فضلا عن تشابه التضاريس الجبلية. الهادي بن وزو محمد حسن. المرجع السابق. ص 14. 15. 169.

الفصل الثاني :

تاريخ جغرافية الأوراس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تاريخ جغرافية الأوراس .

أولا: – حدود التوطين وامتلاك المجال

قبيل الفتح الإسلامي بفترة قصيرة بدأت مرحلة جديدة ببلاد المغرب هي مرحلة الاستقلال عن الحكم البيزنطي، حيث بدأت المناطق الطرفية والهامشية في الانفصال والابتعاد أكثر عن السلطة المركزية، وكانت العديد من المناطق شبه مستقلة، هذه المرحلة ستكون مليئة بالأحداث والتغيرات الحاسمة في تاريخ البلاد، وكان المجال الأوراسي أحد هذه المناطق التي بدأت تشهد ميلاد الكثير من الإمارات المستقلة وبدأ يتشكل كمجال منفصل عن قرطاجة، وهذا ما سأحاول إبرازه في المباحث التالية.

في البداية لا بد من التوضيح أن تركيزي سيكون على إبراز المراحل التي شهدتها جغرافية إقليم الأوراس طيلة العصر الوسيط، من خلال تتبع مراحل تطور المجال ذاته، وقد يتطلب الأمر أن نستعين بالعوامل المؤثرة خارج الإقليم، لأن الأوراس مثلما كان مؤثرا في الأحداث فقد كان أيضا خاضعا للكثير من القوى المجاورة له طيلة هذه المرحلة. ومن هنا يصبح من الواجب القيام بإجراء تحقيب خاص للمجال يتجاوز التوقف عند الحدث السياسي أو العسكري إلى طرح الموضوع بشمولية أكثر وفق النظرة البرودلية[1] للتاريخ المعتمدة على أساس تفسير الظواهر على أساس الأمد الطويل (la longue durée) للمجال.

[1] يتناول منظور برودال للتاريخ الوقائع التي تستمر حقبا طويلة الأمد. وفي هذا المستوى يوسع حقله وقياسه حتى اقصى الحدود، فيظهر حركات وتراكمات استمرت قرونا ويبرز الأسس الصلبة التي يبنى عليها التاريخ في جملته ويقومه، وهذا التاريخ هو ما يسميه برودال" بتاريخ الحقبات الطويلة الأمد" أو" تاريخ البنى" ... والبنى في مفهوم برودال عبارة عن "واقع يصعب على تقادم الزمن من اتلافه او استهلاكه" واقع يحمله الزمن وينقله معه على حقبات طويلة الأمد. وبعض البنى في استمرارها زمنا طويلا، تصبح عناصر ثابتة لعدد لا نهائي من الأجيال، فتربك التاريخ وتحكم انسيابه، في حين ان بعضها الاخر أكثر عرضة للتفكك والتفتت.

لكن البنى تبرز في جملتها كأسس وكمعطيات شديدة الصلابة الامر الذي يجعلها تقف كحدود لا يقوى الانسان ولا تقوى تجاربه على الانعتاق منها والخروج عليها. فرناند برودال. المتوسط والعالم المتوسطي. تعريب مروان أبي سمرا. دار المنتخب العربي. بيروت. 1993. ص 15. من مقدمة المترجم. والزمن الجغرافي الذي خصص له الجزء من الاطروحة، وهو زمن بطيء الإيقاع الى درجة يبدو وكأنه على حافة السكون وهو زمن شبه ثابت، يوافق تاريخ الإنسان في علاقته بوسطه ومحيطه. فإذا كان التاريخ هو أفعال= =الرجال في الماضي كما يرى المؤرخ الإنجليزي ر ج كولنغوود، فإن برودال قد أضاف بشكل فعال الأثار البطيئة غير المحسوسة في كثير من الأحيان للمكان والمناخ والتقنية على أفعال البشر في الماضي. خالد طحطح. الكتابة التاريخي. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. 2012. ص 97.

كما نضيف عاملا آخرا لا يقل أهمية ويرتبط بتتبع تاريخ حدود مجال الأوراس، هو عنصر الزمن لأنه مهم جدا، ولا ينبغي مطلقا أن تناقش الحدود على أنها ظواهر ثابتة لها صفة الدوام، فبعضها أملته الظروف الجغرافية إملاء على الإنسان في بادئ الأمر، ثم تعددت الحدود الإدارية الإقليمية، بفعل تعاقب الكيانات السياسية المختلفة، كل كيان يضيف جديدا ويمحو قديما[1].

وقبل التطرق لهذا المجال، نشير إلى أن الرومان عرفوا منذ القديم أهمية جبال الأوراس ضمن سياستهم التوسعية، وهذا ما دفعهم إلى إحاطة هذا الإقليم بتحصينات هائلة لتشكل نظام تطويق سكان الجبال المحلية؛ وقد شملت هذه التحصينات بالأوراس شريطا مكونا من العديد من الحصون والقلاع مثل لمبيسيس (Lambaesis) [2]، تيمقاد (Thamugadi)[3]، بادس (badis)، تهودة (Thauda)، وهذا لمراقبة ممرات سهول قسنطينة ووادي الطاقة وداخل الأوراس عبر طرق وأودية وادي الأبيض حيث نجد مضيق تيغانيمين[4] الذي يتوسط هذه السلاسل الجبلية للمرور إلى داخل مجالها.

---

[1] لوسيان فيفر. الأرض والتطور البشري. ج2، ص 162.

[2] لم تذكر لامبيز (لامبيزيس) كلية في المصادر الأدبية البيزنطية، رغم اعتناء بروكوبيوس بإعطاء صورة عن الأوراس في مرحلة الصراع مع البيزنطيين في القرن السابع، إلا أنه لم يذكر المدينة نهائيا، أما المصادر العربية فقد أوردها النويري تحت اسم "لميش"مباشرة بعد بغاي، وأشار اليها ابن خلدون باسم "مامس" و" لميس"، كما اعتبرها الواقدي بمثابة قصر، وبلدة محصنة على بعد يوم ونصف غرب قسنطينة. .Stéphane gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie*., f. 27, 222- 224، النويري. نهاية الأرب في فنون الأدب . ج 24 تح حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983. ص191 ،
ابن خلدون، ديوان العبر، دار الفكر، بيروت، 2000. ج6. ص10 .

[3] ذكرت المصادر الأدبية البيزنطية أن تيمقاد كانت مدينة مهجورة من سكانها المور، الذين يتزعمهم يابداس، خلال الفترة الوندالية، حسب بروكوبيوس، كما حطمت أسوارها خشية استغلالها من طرف الوندال. واعتبر أن تحصينها وإعادة الحياة لها كان في زمن جستنيانوس. وهناك نصوص أخرى حول الصراع البيزنطي الموري في الأوراس. أما المصادر العربية فلم تتعرض لهذا الموقع رغم أهميته. وأما النصوص الأثرية البيزنطية فقد اكتشفت ثلاثة نصوص بيزنطية، حيث تشير إلى مسؤولية سولومون في تشييد المدينة خلال السنة الثالثة عشر من حكم جستنيان، أي في حوالي 539م –540م، ويجب الإشارة إلى أن نصوص تيمقاد هي الوحيدة التي أمكن تأريخها بدقة، مما يعطيها أهمية أكبر.

Albert Ballu, *les ruines de Timgad (Antique Thamugadi),* Paris, 1897, p.236-238 ; Gaston Boissier, *l'Afrique romaine, Promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1901, p. 208-209; René.Cagnat, *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afrique sous les Empereurs*, 2 Vol., Paris, 1909, =p.139; Christian Courtois, *Timgad, Antique Thamugadi*, Alger, 1951, p. 60-67 ; Stéphane Gsell., Monuments, t. II, p. 370- 373 ; Id, *Atlas archéologique de l'Algérie*, f. 27, 255.

4 Delphine Acolat, « La stratégie des Romains en montagne », *Stratégique* 1, n° 88, (2007), p. 42.

منظر جوي لمدينة تيمقاد الأثرية

لقد كان لانتشار هذا الطابع العمراني الذي غلبت عليه الحصون والقلاع، أثر في تشكل انطباع عند بروكوبيوسيوس الذي يجعل من الأوراس "معاد لمن يعيش هنا. وسكان الحصون يوفرون الموارد. والأوراسيون قوميات هي في اتفاق تام مع الجبليين ببلاد المغرب، وهم يشعرون بالقلق لذلك قاموا بتدمير المدن لكيلا يعطوا لأي أحد ذريعة للاستقرار هناك"[1]. وكان من الطبيعي أن يكون لهذا النسيج العمراني تأثير في تراجع الحياة الحضرية بالأوراس، إذ نجد أن المنطقة تتراجع منذ القرن الخامس والسادس ميلادي، حيث انخفض التحضر في جنوب نوميديا وفي مدن مثل تيمقاد ولمبيسيس وباغاي التي فقدت الكثير من مجدها السابق. ويرجع بروكوبيوسيوس السبب إلى المور الذين كانوا وراء ذلك التخريب. ونتيجة لذلك يصبح المجال غير منيع في مثل هذه الظروف ويمكن أن يخترق بسهولة، من خلال الغزو عبر الوديان وقطع الأشجار وحرق المحاصيل وتدمير شبكات الري[2].

1 Joseph Blayac, *op. cit.* p. 348.

2 *ibid*, p. 348 -349.

ولعل ما يؤيد هذا هو الشواهد والأدلة الأثرية، إذ يرى العلماء أن التراجع مس المجال الريفي والحضري وبدأ في معظم المناطق في أواخر القرن السادس واستمر حتى القرن السابع الميلادي، من خلال محدودية سيطرة الدولة البيزنطية على المناطق الحضرية وأيضا الكثير من المواقع الريفية. وهكذا فإن القرنين السابع والثامن الميلاديين ينظر إليهما عادة على أنهما لحظة الأزمة في بلاد المغرب[1].

فكانت السلطة المركزية في حالة ترقب دائم لأن يثور السكان عليها، لذلك عملت على الحد من تحركات هذه القبائل عن طريق حصرها وتطويقها بسياج من القلاع للتحكم فيها. وهذا ما أدى الى انتقال الحدود إلى ما وراء المرتفعات من أجل التحكم في الطرق والمعابر الرابطة بين الصحراء والتل، حتى يتمكن الرومان من إتمام عملية الحجز البشري؛ فالتوزيع الجغرافي للقلاع الرومانية وأبراج الحراسة ومختلف التحصينات كالخنادق مثلا نجدها منتشرة على مخارج الوديان المنحدرة من المرتفعات، وعلى المحاور الرئيسية للمسالك الجبلية، أي على مخانق الطرق التقليدية بين الصحراء والتل[2].

ونتيجة لسياسة الحصار هذه بدأت تظهر قوى جديدة – ممالك – شكلت اتحادات كبيرة من القبائل التي استقرت بالأوراس الغربي، وخاصة منهم البدو والمتنقلين على الجمال الذين يأتون من الجنوب للدخول إلى الأوراس والحضنة[3].

فمنذ أواخر القرن الخامس الميلادي لم تتردد قبائل الأوراس الجبلية في النزول إلى السهول الخصبة المحاذية للمرتفعات ومطاردة المزارعين الرومان. فدمرت المدن التي اعترضتها وحاول أهلها أن يقاوموا زحف أولئك الجبليين الشداد، فسقطت لمبيسيس التي كانت معسكرا رومانيا هاما، وزانة[4](ديانا فتيرانوروم Diana

1 Corisande Fenwick, « From Africa to ifrı̄qiya: settlement and society in early médiéval North Afriqua, (650–800) », *Al-masāq*, 25, n°. 1, (2013), p.10. Jehan Desanges, « Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle », *Antiquités africaines.*, 15, (1980). p.81.

2 محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم. بحوث ودراسات. دار الحكمة. الجزائر. 2003، ص 105.

3 Emile Félix Gautier, *Le passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscurs du Maghreb*, Paris, 1942, p. 215.

4 تقع مدينة زانة على بعد 40 كلم شمال غرب مدينة لامبيز وعلى بعد 85 كلم جنوب غرب مدينة قسنطينة وكذا على بعد 70 كلم جنوب شرق مدينة كويكول Cuicul (جميلة)، ذكرت مدينة ديانا فيت ا رنوروم من طرف ثلاثة مصادر قديمة وهي :مسلك انطونان ، طاولة بوتنقر ، ومنشورات أعمال مؤتمر قرطاجة في 411م أين مثل المدينة قديس دوناتي، كما ذكرها الرحالة والمؤرخين العرب Procope de Césarée, *La guerre contre les vandales, guerre de Justinien*, livre 3 et 4, Paris, 1990 ; Itinéraire D'antonin, Berolini Nicolaï, (1828), p. 14 ; Lancel (S.), Actes de la conférence de Carthage en 411, éditions du cerf, Paris. Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie.*, f. 27, 62.

Veteranorum) وتيمقاد، وبغاي (Bagai)[1] وتبسة (Theveste)[2] وكانت كلها مراكز هامة تعج بأحفاد المستوطنين الرومان. وانتشرت تلك القبائل في بلاد التل الشمالية دون أن يوقفها عائق[3]. وستكون هذه المراكز فيما بعد محطات لمقاومة الحملات العسكرية للفاتحين المسلمين.

وإذا كان الاختلاف بين الباحثين حول الحدود التي كان يشملها النفوذ البيزنطي بالمنطقة، فإن هناك إجماعا على التراجع البيزنطي الذي حصل في منطقة الأوراس، والذي لم يحدث فجأة بل أخذ وقتا، إذ لا يبدو أن هناك تخلً عن الأقاليم وتراجع إلى الشمال قبل منتصف القرن السابع الميلادي. ففي بداية هذا القرن كان وجود وحضور للبيزنطيين بالأوراس وحواضره مثل تيمقاد، وتكاد لا تخلو أغلب الروايات[4] المبكرة للفتوحات الإسلامية من ذكر الروم المقاومين لحركة الفتوحات الإسلامية، والقاطنين بالحواضر والحصون التي استولى عليها المسلمون.

لقد توافرت الكثير من الظروف التي ستمهد لبداية التراجع وتلاشي السلطة البيزنطية من المنطقة أمام إصرار القبائل المحلية على الاستقلال والمشاركة في كسب المجال الجغرافي. فقد سارت الأحداث في بلاد المغرب إلى ظهور قبائل مستقلة عن السلطة البيزنطية، كما ظهر زعماء وقادة لقبائل تمتعت بالقوة مثل القائد

---

[1] يشير بروكوبيوس أن مدينة بغاي كانت مهجورة، أثناء الحملة البيزنطية سنة 539م، وقد سارع البيزنطيون إلى تحصينها، وإعادة الحياة العمرانية لها. واعتبرها من بين الخمسة مدن التي تحيط بالأوراس، كما اكتشفت بها بول ألبير فيفري سنة 1967 نقيشة تؤكد إشراف سولومون شخصيا على انجازها.

Procope, ii, 19,7 ; Paul-Albert Février, Recherche archéologique en Algérie (1964-1966) *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,* paris, (1967), p.92-109 ; Stéphane gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie.*, f. 28, 68.

[2] تشكل تبسة امتدادا لسلسلة الأوراس الشرقية، وبذلك فهي نقطة الربط بين بلاد الزاب وإفريقيا، فمن خلالها يمكن العبور إلى مسكيانة وبغاي غربا، مثلما يسهل العبور إلى تيجيسيس Tigisis (عين البرج) وقسنطينة في الشمال الغربي، ووردت الإشارة إليها في المصادر البيزنطية في نصوص بروكوبيوس، في قائمة مدنه، في حدود سنة 600م.كما ذكرت في أغلبية المصادر العربية باعتبارها محطة أساسية في المواصلات، منها البكري وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، والحسن الوزان، وياقوت الحموي.

Charles Diehl, *l'Afrique Byzantine, Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord* (533-709), Paris, p. 186, 238, 530.

أبو عبيد البكري. المسالك والممالك. ص 49، 145.

3 محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. ج 2، ص 411.

[4] Khaled Belkhoudja, « L'Afrique byzantine de la fin du 5e au début du 6e siècle ». Revue des *mondes musulmans et de la Méditerranée*, . 8, n° 01, (1970), p. 62.

يبداس[1](Iabdas) زعيم قبائل المور[2]، فقد أكدت نقيشة آريس التي اكتشفت بالمنطقة عام 1941 والتي درسها جيروم كاركوبينو (Jérôme Carcopino)[3]، اتجاه منطقة الأوراس للاستقلال والانفصال في عهد الملك جنسريك[4] (428-477م)، وبروز ممالك جبلية مارست ضغطا على السهول وتسببت في تخريب رخاء إفريقيا الرومانية[5].

ويحدد ايف موديران أنه منذ تاريخ 484م (وفاة هونوريك) [6] كانت بداية استقلال جماعات البربر بالأوراس، واستمر ذلك حتى انهيار قوة الوندال 533م، وهذا اعتمادا على الأدلة الأثرية التي عثر عليها بمنطقة

---

[1] يبداس (Iabdas)، هو سيد الأوراس حسب بروكوب وأن أتباعه كانوا من الكتلة الأوراسية، كان يوداس يسيطر على الأوراس في حوالي 530م وشارك في ثورة سنة 535م، وقد وجه القائد البيزنطي سولومون (Solomon) حملة ضده في سنة 539م، ولما انهزم يوداس وجرح في المعركة لجأ الى موريطانيا. ثم ظهر فجأة في سنة 546م لما استولى القائد غونتاريث Guntarith على الحكم.

Procope, *Guerre vandale*, II, 10, 21 ; Jehan Desanges. *Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil,* Dakar, 1962, p. 80-81.

بالنسبة لاسم "يبداس" فقد استعمل كل من كاركوبينو (Jérôme Carcopino) و ش. ديل (Charles Diehl) نفس الشكل (Iabdas)، أما النص اليوناني وكوريبوس (Corippus) فيذكران "يوداس- Iaudas "، وأما موريزو (Morizot) فقد استنتج من خلال شاهدة قبر (épitaphe) عثر عليها في الأوراس الشكل "ايبدو " (Iubdau) الذي يمكن أن يقرأ (يابداس- Iabdas). A.E., - 1976, 729,

Pierre Morizot, « Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Masties », *Antiquités africaines*., 25,1989. (p. 263-284), p. 266.

[2] Pierre Morizot, « Recherches sur les campagnes de Solomon en Numidie méridionale (535-589) », p.83.

[3] *Revue des études anciennes*, 1944, p. 120. نشرها في مجلة

[4] جنسريق Genséric، ملك الوندال (428-477م)، إبن الملك "غودجيزيل" Godégisile، انتقل من إسبانيا إلى إفريقيا في سنة 429م بطلب من الحاكم الروماني "بونيفاس" الذي تمرد على الإمبراطور "فالنتنيانوس" Valentinianus فاستولى على موريطانيا وقرطاجة في سنة 439م واتخذها عاصمة لمملكته، وبعد مقتل الإمبراطور من طرف "بترون ماكسيم" P. Maxime استدعت أرملته "أودوكسي" Eudoxie "جنسريق" إلى إيطاليا لينتقم لزوجها المغتال فاحتل روما سنة 455م ونهبها مدة 14 يوما، ثم ترك الأقاليم التي احتلها في أوروبا لابنه "هونوريك" Hunéric سنة 477م. Modéran, (Y.), *les Maures et l'Afrique romaine*, P.348. عولمي الربيع، "المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة باتنة، 2015-2016، ج 2، ص 481.

[5] Jérôme Carcopino, « Un empereur maure inconnu d'après une inscription Latine récemment découverte dans l'Aurès ». Rev.E. A., 1944. P. 94, 120. عن الوثيقة أنظر :

[6] هونوريك Hunéric، ثاني ملك وندالي بإفريقيا (477-484م)، خلف والده "جنسريق" الذي توفي سنة 477م، لم يكن عهـــده عهـــده سوى استمرارا لعهد والده المتسم بالجرائم، فقد ذبح أخاه "تيودوريك" Théodoric وزوجته وابنه، وقتل كل وزراء وأصدقاء جنسريق، كان أريوسيا، اضطهد الكاثوليك، ويحتمل أنه قام بتعذيب وقتل العديد منهم. حكم لمدة سبع (7) سنوات

أريس التي تشير الى تنصيب أحد زعماء البربر وهو ماستياس (Masties) نفسه (امبراطور) على المنطقة. وقد وضع نصبا لذلك يصرح فيه بذلك.

تحمل نقيشة "آريس" Arris[1] في عمق الأوراس اسم قائد موري يدعى "ماستياس" (Masties) الذي لقب نفسه "إمبراطورا" (Imperator) في حوالي 476-477م، وذكرت النقيشة أنه حكم لمدة 40 سنة.[2] ويبدو أنه احتفظ بهذا اللقب ولم ينازعه فيه أحد طيلة هذه المدة.

وعشرة (10) أشهر، ومات موتـــة شنيعة سنة 484م، فقد ذكر "فيكتور دي فيتا" أن هامة (حشرة طفيلية) نخرت جسده حتى تعفن ودفنت جثته كأشلاء. عولمي الربيع، المرجع السابق، ج 2، ص 484. Victor de Vita, *Histoire de la persécution des Vandales en Afrique,* Trad. S.Lancel, Belles lettres, Paris, (2002), V, 1, 2.

[1] اكتشفت النقيشة سنة 1942م غرب مدينة آريس بالأوراس ونشرها "جيروم كاركوبينو" في نفس السنة ثم درسها بعمق في مجلة الدراسات القديمة في سنة 1944م.

Jérôme Carcopino, Un «empereur» maure inconnu d'après une inscription latine. *Revue des Études Anciennes*, t. 46, 1944, p. 94- 120. Modéran, (Y.), *les Maures et l'Afrique romaine*, P. 348- 349.

واستغل "كورتوا" هذه النقيشة في أطروحته عن الوندال وإفريقيا أورد فيها افتراضات مغايرة لرأي "كاركوبينو" الذي رد عليه مدققا ومؤكدا رأيه في المجلة الإفريقية.

Christian Courtois, les Vandales, 1955; Jérôme Carcopino, Encore Masties, l'empereur maure inconnu. *Revue Africaine*, t. 100, 1956, p. 339-348.

[2] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج2 ،ص 452- 466.

Pierre Morizot, « pour une nouvelle lecture de l'elogium de Masties », *Antiquités africaines.*, 25,(1989), p. 263-284..

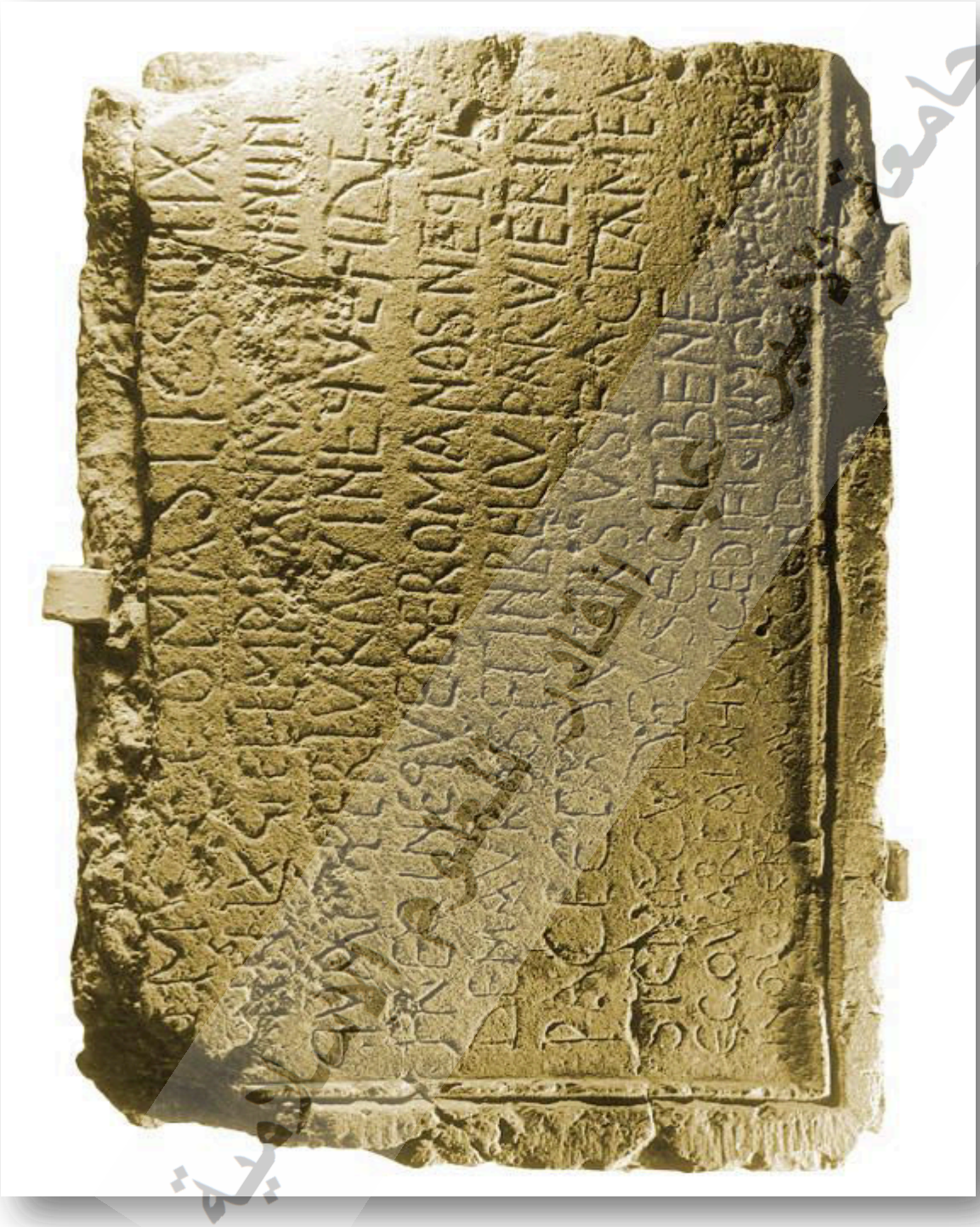

نقيشة (نصب) آريس (بالمتحف الوطني للآثار القديمة–الجزائر) وهي عبارة عن شاهد قبر الملك "ماستياس" Masties

(صورة: Centre Camille Julian)

يستفاد من ترجمة جيروم كاركوبينو للنقيشة أن "ماستيس" عين قائدا من طرف الإمبراطور فالنتنيانوس الثالث،[1] إلا أنه بادر إلى إعلان نفسه إمبراطورا سنة 476م مستغلا حالة الشغور في الإمبراطورية. ويكون قد توفي 40 سنة بعد ذلك. إذن في سنة 516م أو خلال الفترة 516-535م وهي الفترة التي سيطر فيها البيزنطيون على بلا المغرب وقام "وارتايا" (Vartaia) وهو قائد موري الذي يماثله "بروكوبيوسيوس" (Procopius) بـــ"أورتاياس" (Ortaias) بنحت نقيشة ماستيس.[2]

وانتشر عدد من الأمراء، يبدو أنهم كانوا في حالة تنافس أو نزاع بين بعضهم البعض. فكانت شخصية يابداس أهم هؤلاء الأمراء في القرن السادس، حيث كان جيشه يقدر بحوالي 30.000 رجل في عام 535م، أثناء استقباله كوتزيناس[3] بعد هزيمته. وقد ذكر بروكوبيوسيوس أنه كان مواليا للقائد البيزنطي المنفصل ستوتزاس. رفقة فارتايا(Vartaia)، وأورتاياس (Ortaias) المعروف في الجهة الغربية لمملكة يابداس. رغم أن هذا الأخير قد برز في تحالف قبل ذلك مع البيزنطيين في حملة سولومون الأولى على الأوراس الأمر الذي يبدو أنه قد أثار شكوك البيزنطيين لأن رجاله قد لعبوا دورا هاما في إفشال هذا الهجوم.

وقد شملت حركة يبداس نطاق السهول النوميدية، حتى منطقة تيجيسيس[4] (Tigisis) على بعد 40 كلم جنوب شرق قسنطينة. ونفترض أن نفوذه تجاوز السفوح الشمالية للأوراس. ليصل إلى التلال الشمالية. أما من

---

[1] فالنتنيانوس ، Valentinianus III، (419-455م) إمبراطور الغرب (425-455م) ابن الجنرال "قنسطانس" ولد في رافين Ravenne"إيطاليا" التي كانت مركز إمبراطورية الغرب منذ عهد "هونوريوس" 402م، وأصبحت في 493م عاصمة "ثيودوريك" ملك القوط الشرقيين Ostrogoths، ثم استولت عليها بيزنطة في 584م، وجعلتها مقرا للممتلكات البيزنطية في إيطاليا. نصبه الجيش على العرش في 425م وعمره ست سنوات، فتولت أمه "بلاسيديا" الحكم التي خسرت إفريقيا التي سلمها الكونت "بونيفاس"(Boniface) للوندال، قتله بترون ماكسيم في 455م.

Bouillet Marie-Nicolas, *Dictionnaire universel d'histoire et géographie*, Paris, (1878), p. 1935.

[2] Pierre Morizot, *ibid.* p. 263, 284, 265.

[3] كوتزيناس، ظهر بكوتزيناس لأول مرة في المصادر البيزنطية عندما ذكره بروكوب في حوالي 534م في رواية أول مواجهة بين البيزنطيين والمور في حوالي 534م -535م، وكان أحد القادة الأربعة الذين واجهوا البيزنطيين في بيزاكينا (Byzacène). وبرى ك. كورتوا أن كوتزيناس جاء من إقليم طرابلس لأنه ينتمي الى قبائل الجمالة. وحسب موديران فان كوتزيناس ليست له أي علاقة بقبائل الأغواطن (Laguatan). وبعد هزيمته في معركة بورغاوون (Burgaon) في 535م لجأ القائد الموري إلى نوميديا إلى جانب يبداس قائد الأوراس.

Modéran (Y.), *Les Maures et l'Afrique romaine*, *op.cit.*, p. 386 ; Christian Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, p. 349-350.

[4] تيجيسيس (Tigisis)، عين البرج حاليا بولاية أم البواقي، وذكرها العديد من المصادر العربية مثل اليعقوبي، وابن حوقل والبكري. Procope, Bell.Vandal., II, 10,21-22 ; اليعقوبي، البلدان، ص 190، ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87، البكري، المسالك و الممالك، ص 53.

الناحية الغربية فإشارة بروكوبيوس من أن يابداس قد تحالف مع الأمير ماستيناس[1] Mastinas أمير المور بمقاطعة موريطانيا. وذلك للقضاء على إمارة أورتياس[2] الذي يبدو أنه مستقر بمواقعه منذ زمن بعيد.

تجعلنا نستخلص إمكانية المجاورة والصراع على أطراف نفس المساحة الجغرافية، مما يجعل مملكة الأمير يابداس تمتد بالضرورة إلى الجانب الشرقي من نفس السلسلة. في حين أن ماستيناس يكون أميرا على موريطانيا السطايفية والحضنة[3]. فيما يقترح كورتوا[4] أن ممتلكات الأمير يبداس قد تكون شرق الأوراس لتمتد إلى منطقة النمامشة، مدعما في ذلك فيما بعد من طرف كامبس[5].

لقد أدت هذه الظروف إلى دفع الكثير من القبائل الأوراسية للعمل من أجل الاستقلال وتشكيل ممالك محلية، إذ ظهرت ممالك مستقلة في الجنوب النوميدي، وهذه المنطقة هي التي ستشكل البيئة التي سيظهر فيها فيما بعد كسيلة والكاهنة[6]، حيث اصطدمت جماعات أوربة وجراوة بالجيوش الأموية. فقد وجد عديد الباحثين في شخصية الكاهنة أثناء الفتوحات الإسلامية، امتدادا طبيعيا لهذه المملكة الأوراسية[7].

إن متابعة هذه الحركات المقاومة للوجود الأجنبي بالمنطقة يسمح لنا بملاحظة مجالين للمقاومة مثلتها مجالات المنطقة الشرقية والغربية للأوراس طيلة هذه الفترة سيجد لها صدى وآثار في القرون التالية، حيث يتشكل خط للمانعة يظهر خاصة في المعارك التي شهدها الأوراس طيلة الفتح الإسلامي. ثم تستمر بعدها حركة المقاومة هذه في استقطاب دعاة الثورة على السلطة، حيث أغرت الكثير من الجماعات بشعاراتها التي كسبت بها تأييدها.

---

[1] ماستيناس، إذا كان جيروم كاركوبينو يرى أن "ماسوناس" قد يكون في منطقة النمامشة جنوبي الأوراس. فإن كورتوا يعتقد أن القائدين الموريين "ماستيغاس" (Mastigas) و"ماستيناس" (Mastinas) اللذين ذكرهما "بروكوبيوس" لا يمثلان إلا شخصا واحدا بسبب تشابه الأسماء. لذلك لم يتأخر كاركوبينو ليرد على كورتوا ويفند مزاعمه في مقال نشره بالمجلة الإفريقية.

Christian Courtois, *les Vandales et l'Afrique*, *op.cit.*, (1955) p. 336 ; Jérôme Carcopino, Encore Masties, l'empereur maure inconnu, *Revue Africaine*, t. 100, p. 339-348.

[2] أورتياس، (Ortaias) وهو قائد موري يماثله "بروكوبيوس" (Procopius) بفارتايا" (Vartaia) وهو الذي قام بنحت نقيشة ماستيس.

Pierre Morizot, « Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Masties », *Antiquités africaines.* p.265 -284. ; Procope, Guerre vandale, II, 13, 28.

[3] Dureau de la Malle, l'Algérie, « *Histoire des guerres des Romains, des Byzantins, et des Vandales* », Firmin Didot, Paris, 1852, p. 285.

[4] Christian Courtois., *Les Vandales et l'Afrique*, p. 343.

[5] Gabriel Camps, « Rex Gentium Maurorum et Romanorum, recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIè et VIIè siècles », *Antiquités africaines*, t. 20, (1984), p. 183, 218, 198.

[6] Belkhoudja (K.), *op.cit.*, p. 61.

[7] Gabriel Camps, Rex Gentium Maurorum, *op.cit.*, p. 199.

إن بداية تأهب هذه الأقاليم للانفصال عن السلطة المركزية سيجعل الأوراس قلعة جبلية يسهل الدفاع عنها لأن عبورها شاق. فالمنطقة تتميز بمناخها الخاص. وهي معروفة بسهولها ذات الجو الجاف الغنية بالمراعي على نحو مختلف على مرتفعات الهضاب نفسها، وهي غنية بمصادر المياه، وتجتذب التجمعات البشرية المتطلعة لحياة الاستقرار. إنه إقليم نوميديا الذي سار في طريق يصعب تتبع مساراته[1].

2- مجال الأوراس والسير نحو الاستقلال عن قرطاجة:

يمثل الأوراس نموذجا للمواطن الانعزالية والتي يرى حميد تيتاو[2] أنها تمنح الاستقلالية المحلية للقبائل. فالموطن يمنح بحق إحتياطي الإمكانيات المادية للجماعة القبلية. ويمنحها محليتها، على أن إستخدام هذا المجال، والتفرد به، يتضمن في جانبه الثاني إستبعادا للآخر[3]، الذي لا تجري أحكامهم وأحوالهم عليه. كما أن هذه العلاقة التي تنشأ بين تماسك الجماعة والمجال الذي تعيش فيه ينشأ عنه خاصية التعلق بالأرض والارتباط بها، مثل صفة العدوانية، من الظواهر والمؤشرات المميزة للحياة، وليس للإنسان نفسه أي مناص من الخضوع لها، فهو كما يرى جان روستان[4] حيوان إقليمي متعلق بأرضه. تلك هي خصائص القبائل الجبلية، والمجال الجبلي، الذي يكون من الصعب على الأحداث الطارئة أن تؤثر وتغير في طبيعتها، وذلك بسبب العلاقة الناشئة بين السكان ومحيطهم التي شهدتها طيلة قرون من الزمن.

ولذلك لم تنجح السلطة البيزنطية في إحكام السيطرة على مجال الأوراس رغم السياسة التي طبقتها واعتمدتها في تحصين المواقع وتدعيم التوسع لمواجهة البربر والسيطرة على الطرق الرئيسة والمناطق الزراعية الغنية ونجد الكثير من المناطق بالأوراس والنمامشة وتبسة قد تمردت على قرطاجة في هذه الفترة[5].

أ.ف. غوتييه. ماضي شمال افريقيا. ترجمة هاشم الحسيني. مؤسسة توالت الثقافية. 2010. ص 133.

[2] الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني. 609-869هـ 1212-1465م. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية. منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز. الدار البيضاء. 2009.ص 122.

[3] ابن خلدون. المقدمة. ص 104

[4] هيلدبرت أزنار، الحيز الجغرافي، تر. محمد إسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص21.

[5] طرحت فكرة "القطيعة". في العديد من النواحي ببلاد المغرب ويبدو أن المسلمين لم يربطوا أي اتصال مع أي مصدر من المصادر اليونانية اللاتينية. فالتحولات التي جرت في القرن السابع لم تكن تغيير بسيط خص الجوانب السياسية والعسكرية ولكن كانت فترة كبيرة من التفاعل بين والشرق البدوي، ومغرب الحضارات المتوسطية. وقد أثار غوتييه هذا النقاش الذي يتلخص في نتائج الفتح العربي على التطور التاريخي للمنطقة. ويرى أحمد سراج أن هذا العمل يتجاوز مبادئ مهنة المؤرخ. كونه فكريا يحاول من خلال البحث عن الوثائق والمصادر من الماضي لتقديم وقائعه وأحداثه. للمزيد ينظر: Ahmed Siraj , *op. cit,* p. 10.

وبالنسبة لامتداد الأوراس الشرقي الذي سيكون مواجها للجيوش الأموية، فإنه يتسم بالتشعب وتداخل مجموعة من الحواضر والحصون والتي وردت بصورة ملتبسة في النصوص الإخبارية، وحتى في النصوص الجغرافية. حيث نجد صعوبة في الفصل بينها وتحديدها بوضوح وهذا يعود إلى الخلط الموجود في هذه المصادر بين الأسماء مثل: قلعة سنان، ومرماجنة[1]، وارتباطها أيضا بمجانة وضواحيها[2]. ولكن تبقى الأدلة الأركيولوجية تشير إلى كثافة المخلفات الأثرية بمختلف أنواعها والانتشار الكبير للمراكز الحضرية في الجزء الغربي من السهول العليا الممتدة من القيروان إلى الأوراس. ولا بد أن هذه المناطق قد شهدت في وقت ما حملات تنمية واسعة[3].

لقد كان النشاط الزراعي في منطقة النمامشة وتحديدا بناحية تبسة في نهاية العصر القديم يعتمد خصوصا على زراعة أشجار الزيتون التي كانت منتشرة بالحدود الشمالية للأوراس، حيث نعثر على العديد من الآثار التي تخص هذا المنتوج مثل المعاصر، والتي تمارس في مساحات واسعة مقسمة على المزارعين مجانا أو باستخدام الرقيق[4].

إلا أن هذا الرخاء لم يستمر طويلا، فمع أواخر القرن الخامس الميلادي، نجد الكثير من الفلاحين الفقراء. ويعتقد إيف موديرون أن سبب هذه الازمة الاجتماعية والاقتصادية يرجع إلى العوامل الجيومورفولوجية التي حدثت بمنطقة النمامشة بالأوراس والمتعلقة بالجفاف الذي حدث بها. وحال دون تطور الزراعة وجفاف السهوب وندرة الموارد المائية واستفحال عمليات تآكل الأراضي الزراعية التي قوضت شروط الحفاظ على المحاصيل المروية. وتطوير اقتصاد قائم على رعي الرحل وشبه الرحل. أما السبب الثاني حسب موديران[5] فيعود إلى الآثار المدمرة للحروب والثورات مثل ثورة 484م، كل هذه العوامل وغيرها هي التي ستؤهل المنطقة للانفصال والاستقلال عن قرطاج، حيث بدأ نفوذها يتقلص كلما اتجهنا غربا.

---

[1] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 329 330.

[2] Ahmed Mechrek. « Kalaat Senane Kalaat Senane "Bulla Mensa" : une forteresse – refuge de l'Antiquité aux temps modernes ». p. 83.

[3] Yassir Benhima, Pierre guichard, « De la tribu à la ville: un essai d'approche régressive», de l'histoire du peuplement de la région de Tébessa». *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126, P. 101.

[4], *Ibid.*, p.101.

[5] *Ibid.*, P. 102.

3- جغرافية الفتح الإسلامي بالأوراس:

دون الخوض في حيثيات وتفاصيل روايات الفتح الإسلامي وأهم الحملات التي عرفتها بلاد المغرب طيلة القرن الأول الهجري، أو إعادة مقولات سابقة حول هذه القضية. فإن الأمر يتطلب بداية معرفة الإقليم مجال الدراسة؛ فدراسة إقليم الأوراس في العصر الوسيط يقتضي إيجاد المبررات الموضوعية التي يشترك فيها هذا المجال، وقبل ذلك يجب الإشارة إلى أن بلاد المغرب لم تكن محل اهتمام المصادر المشرقية؛ فقد كانت أغلب المصادر ترى أن المغرب منعزلا على حدة، ومعرفتها به محدودة لوقوعه على هامش دار الإسلام، فهو "كم الثوب"[1]. وإذا كانت هذه الجهات طرفية وبعيدة عن اهتمام الجغرافيين والمؤرخين، فما يعسر على المؤرخ هو تغييب النصوص للجهات والمدن التي لا تقع على المسالك الرئيسية والتي لم تشارك بطريقة أو بأخرى في الأحداث الهامة التي عرفتها البلاد أو تلك التي لا ينتمي إليها أحد المشاهير، بحيث أننا نتحصل في نهاية الأمر على جهات "محظوظة" تاريخيا وأخرى مغيبة أو مجهولة[2].

وإذا كان الجانب الطبيعي الخاص بالأوراس كإقليم جبلي كفيل بأن يبرز بوضوح تام التماسك والوحدة التي تربط بين مكوناته، فإن النزعة الطبيعية التي بلورت فكرة التمايز المكاني المؤسسة للجغرافيا الإقليمية، ظلت تخفي حقيقة في غاية الأهمية تتلخص في أن الإقليم بناء تاريخي وسياسي أكثر مما هو معطى طبيعي، فكل مجتمع بشري يتأثر بالمحيط البيئي الذي يعيش فيه. وبموجب هذه القاعدة الأساسية تكون الظروف الطبيعية عاملا حاسما في التمييز بين المشاهد المؤنسنة... وهذا ما جعل الجماعات الضعيفة إلى الاكتفاء بإقليم طبيعي واحد، ويرى بعض الجغرافيين[3] أن الاحتباس الجغرافي، المتميز للحضارات البدائية هو المسؤول عن التفتت السياسي وذلك بسبب خضوع الكيانات السياسية لظروف الطبيعة ومعوقاتها يؤدي بها إلى التراجع والتعدد والانعزال.

تبقى مشكلة المرحلة الانتقالية في العصر الوسيط في المواد والمصادر الخام المستخدمة من قبل المؤرخ، وعدم وجود وثائق تتعلق بنهاية العصور القديمة وبداية من العصور الوسطى في بلاد المغرب يسبب انقطاعا

---

[1] الأصطخري. المسالك والممالك. تح محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة، 1961 . ص 19. ابن حوقل. صورة الأرض. ط2 ، دار صادر، بيروت، 1938. ص 17. المقدسي. أحسن التقاسيم، 216.

[2] أحمد الباهي. سوسة والساحل في العصر الوسيط القرن1هـ 5هـ/ 6م 11م محاولة في الجغرافيا التاريخية. مركز النشر الجامعي. تونس. 2004. ص 22.

[3] محمد بلفقيه. الجغرافيا القول عنها والقول فيها، ص 148.

لدى الدارسين[1]. فالملاحظ على تاريخ الأوراس قبيل الفتح الإسلامي هو نقص أخباره خصوصا في أواخر العهد البيزنطي وبداية دخول الطلائع الأولى لجيش الفاتحين المسلمين، وهذا ما يعقد من مسألة البحث حول حقيقة الأحداث المبكرة للفتوح الإسلامية لهذا المجال. ويبقى الأمر متعلقا بالاستعانة بمصادر دفينة غير روايات الفتوح؛ مثل النقائش والعملة، والآثار[2] المتعلقة بشكل البناء، والزخرفة، والفسيفساء، والزجاج، وغيرها من الشواهد الأثرية.

انطلاقا من هذه القواعد نجد أن الأوراس وبمكوناته يصبح مجاله كوحدة شكلت جدارا للوقوف في وجه الآخر عبر مختلف مراحل تطوره التاريخي، حيث لعبت تضاريسه وطبيعة تشكلها إمكانية لتشكل الممرات التي تحاذيه أو تلك التي تخترقه، فشكلت معابر لأكبر حملات الفتح الإسلامي التي شهدها الغرب الإسلامي. لقد أشار فرناند بروداﻝ[3] إلى موقف إفريقية البيزنطية إزاء حملات الفتوح الإسلامية، حيث تفادت قوافل الجمال عند دخولها المنطقة المرتفعات الجبلية التي كان يسكنها الفلاحون من المور، وإنزاح بها سائقوها من الأعراب إلى البوابات الطبيعية التي تفتحها لهم الطرق الشمالية المؤدية خاصة إلى إفريقية (تونس)، وإلى جهة وهران.

فالجبل يبقى دوما ونتيجة لطبيعة نمط عيش ساكنته المشتتة والموزعة، والتي تفرض عليهم العيش منغلقين على أنفسهم وينتجون معظم ما يحتاجون إليه بالرغم من العوائق والصعوبات. لذلك يكون الجبل "عالما يظل مقيما على هامش الحضارات التي هي صنيعة المدن والمناطق المنخفضة"[4]. فهل سيكون جبل الأوراس وفق منظور بروداﻝ منغلقا أمام حملات الفتوح الإسلامية؟ وإذا كانت هذه الحملات قد نجحت في التوجه غربا نحو المغرب الأقصى فإنها حتما قد استطاعت الالتفاف على جوانب هذا الإقليم تمهيدا لتجاوزه كمرحلة أولى ثم السعي إلى السيطرة عليه في مرحلة ثانية.

لقد كان الأوراس أواخر أيام البيزنطيين ببلاد المغرب شبه مستقل فكانت به الإمارات والممالك وهي التي أوردها كتب الاخباريين كما ظهرت به زعامات قبلية ستستمر إلى غاية النصف الثاني من القرن الأول الهجري. ولعل أهم القوى التي برزت في هذه الفترة تتمثل في جماعات جراوة وأوربة، ورغم قلة المصادر

---

[1] Ahmed Siraj. *op. cit.* p. 12- 13.

[2] أدى التركيز التقليدي على الآثار الرومانية إلى تدمير الطبقات العتيقة وطبقات القرون الوسطى المتأخرة، وغالبا تدون ويجري تسجيلها حتى وقت قريب نسبيا. وقد يكون حجم الدمار ربما لا مثيل لها في كل منطقة البحر الأبيض المتوسط. ينظر:
Corisande Fenwick. From Africa to ifrı̄qiya: settlement and society in early. p. 11.

[3] فرناند بروداﻝ. البحر المتوسط. ترجمة عمر بن سالم. منشورات البحر المتوسط. المطبعة العربية. تونس. 1990. ص 29.

[4] بروداﻝ. المرجع السابق . ص 25 26.

والأخبار المتعلقة بالمنطقة طيلة القرنين السادس والسابع ميلادي، فإن ما يصل بينهما وبين أسلافهما الذين ذكرهم بروكوبيوسيوس وكورييوس ما ينيف عن القرن[1].

قبيل بداية أولى حملات الفتوح الإسلامية على بلاد المغرب، كانت هناك العديد من الظروف التي خدمت الجيوش العربية الإسلامية بالمنطقة، حيث اندلعت صراعات على تولي عرش الإمبراطورية ببيزنطة بعد مقتل قسطنطين الثاني، واندلعت ثورة بصقلية تطلبت نقل الكثير من القوات إليها من إفريقية. كما أن فتح مصر يكون مهد الطريق للاتجاه غربا لتأمين المناطق المفتوحة. فقد استأذن عمرو بن العاص من عمر بن الخطاب للاتجاه نحو إفريقية بعد سيطرته على طرابلس. لكن الخليفة عمر بن الخطاب آثر تأجيل العملية. وكان جوابه وفق رواية ابن عبد الحكم أن "لا يغزوها أحد ما بقيت"[2].

إفريقية ستكون مجالا للعمليات العسكرية الأموية والتي بدأت حوالي 27هـ/ 647م، وبعد النصف الثاني من القرن الأول الهجري ومنذ تأسيس القيروان 50هـ/ 670م تنتقل الحملات إلى مرحلة أخرى هي مرحلة التفكير في الاستقرار بالمنطقة بدل العودة بعد كل حملة والاكتفاء بالغنائم فقط.

مع بداية القرن الأول الهجري أصبح الممر المحاذي للزاب هاما لما يحتويه من مضائق ومسالك تربط بين الحواضر المنتشرة بالمنطقة، كما أن وصول حملات الفتح إلى الزاب تعتبر بداية مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة، فهنا ستظهر ردات الفعل لقبائل المنطقة حول تصرفات الفاتحين وأساليبهم في التوسع والانتشار، كما أن محاذاة الزاب للأوراس وسير حركة الفتوح على تلك المسالك ستضطر سكان الأوراس بشقيه الغربي والشرقي الوقوف في وجه الفاتحين. كما تتجلى في هذا المجال كل مفاهيم الاستمرارية التي تشكلها المجالات الطرفية، هذه الأطر التي تكون أشد البنى صلابة وأقواها على الاستمرار والديمومة وأبطئها تحولا، كما أنها لا تستجيب إلى الأحداث السريعة وردات الفعل القصيرة الأمد. إنها ما يسميها برودال "بالسجون طويلة الأمد" كأنها تقيم لأزمنة لا متناهية حدودا صارمة بين الممكن والمستحيل... فالأطر الجغرافية على الرغم من تميزها بثباتها وباستمراريتها قبل أي شيء آخر فهي من وجه آخر ليست واقعا أبدى الثبات أو غير زمني، إنها تعاقب حركات متكررة تلابسها تغيرات واستعارات وتراكمات كمية بطيئة تؤدي في بعض الأحيان إلى انقطاعات كبرى[3]. إن هذا الوصف يقدم لنا الصورة التي كانت عليها أغلب أقاليم المغرب الإسلامي ومنه إقليم الأوراس

[1] ا. ف. غوتييه. ماضي شمال افريقيا، ص 139.

[2] ابن عبد الحكم. فتوح مصر وأخبارها. تحقيق. محمد الحجيري. دار الفكر. 1996. ص 297.

[3] فرناند برودال. المتوسط والعالم المتوسطي، ص 15.

في المرحلة الانتقالية من الحكم البيزنطي إلى مرحلة الفتوح الإسلامي. حيث استمر الأوراس في لعب دور الرفض والمقاومة والممانعة التي ستتجلى في ردات الفعل اتجاه حملات الفتح الإسلامي.

الفتوحات بإفريقية الغربية والمغرب الأوسط تبدأ مع قدوم عقبة بن نافع 50هـ/ 669م، فقد كانت حملته بداية للعمل على التأسيس لاستقرار جند الفاتحين بالمنطقة وذلك بتأسيس القيروان والأمر لا يتعلق بتمصير المنطقة بقدر ما يتعلق بإيجاد حاضرة تستوعب هؤلاء الجند[1].

أما ابن عبد الحكم فأشار إلى أبي المهاجر (55هـ/ 674م)، هو أول من أقام بها فقد كان "الناس قبل أبي المهاجر يغزون إفريقية ثم يقفلون إلى الفسطاط، وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار، أقام بها الشتاء والصيف، واتخذها منزلا.."[2].وقد اعتمد أبو المهاجر دينار على سياسة التقرب للسكان وشيوخ القبال المورية، إذ "صالح بربر إفريقية، وفيهم كسيلة الأوربي، وأحسن اليه، وصالح عجم إفريقية، وخرج بجيوشه نحو المغرب، ففتح كل ما مر عليه حتى انتهى إلى العيون المعروفة "بأبي المهاجر" نحو تلمس ان[3]. وكانت هذه الأعمال فتحا حقيقيا واستيطان للفاتحين بإفريقية، وهو ما يعارض السياسة التي سيطبقها عقبة بن نافع اتجاه السكان. فسياسة اللين واللباقة نجحت في استقطاب أوربة وزعيمها كسيلة[4]. وهي الجماعة التي ستقاوم عقبة بن نافع بل سيتكون نهايته على يد زعيمها[5].

تأتي حملة عقبة الثانية عام 62هـ/681م ليكمل عملية التوغل داخل الأوراس بالسيطرة على الأقل على ثلاثة حصون، كانت تتخذ ملاذا للروم؛ تتمثل في حصن باغاية، ولمبيسيس، وأذنة، هذه الأخيرة التي تبوأت موقعا هاما بالزاب؛ فبالإضافة إلى أنها كانت عاصمة الزاب، كانت الكثير من الحواضر تحيط بها، ولو أن الرواة

---

[1] بعدما كانت الجيوش تقوم بحملات ثم تعود إلى الفسطاط، فكر عقبة بن نافع و"رأى أن يتخذ مدينة يكون فيها عسكر المسلمين، وأهلهم، وأموالهم، ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلد"[1]. ابن الأثير. الكامل في التاريخ. المكتبة التوفيقية. القاهرة. ج 3. ص299.

[2] فتوح مصر وأخبارها. ص 334.

[3] المالكي. رياض النفوس. ج1 ص 33.

[4] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة بيروت، 2004، ص 20 21.

[5] مع أن ولاية أبي المهاجر للمغرب طالت إلى ما تقارب 7سنوات (55-62هـ/ 647م -681م) إلى حين عودة عقبة إلى المغرب مرة ثانية، فإن الرواة يمرون بأعماله الانشائية مرا سريعا ولا يصرون الا على فعله بعقبة. فهل مرد ذلك مثلما فسره البعض من أن الفهريين من أقارب عقبة الذين كان لهم مركز ممتاز في مصر والمغرب والأندلس، وكان منهم رواة وأخباريون، وذلك رغم أن بني ابي المهاجر كان لهم مركزهم في المغرب وكان منهم أخباريون أيضا ولكنهم لا يرقون إلى مرتبة الفهريين. (سعد زغلول عبد الحميد. تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الأغالبة ص 150 151). أم أن الأمر يعود إلى كون ابي المهاجر من الموالي وليس من أصل عربي صريح؟ فقط المالكي يذكر بعض اعماله. ولذلك نجد تغيرا واضحا في النظرة لأعمال هذا الفاتح الذي أصبحت اعماله تفوق معارك وحروب عقبة بن نافع بكثير بفضل سياسته اتجاه البربر. هشام جعيط تأسيس الغرب الإسلامي. ص 20.

يبالغون في عدد هذه الحواضر التي يجعلونها "ثلاثمائة وستون قرية[1] كلها عامرة"[2]. عند وصول عقبة بن نافع لإفريقية وبعد أن وصى أبناءه واستخلف أمر إفريقية لزهير بن قيس، قاد حملته نحو الغرب حيث ستكون باغاي أولى محطاته الصدامية مع البيزنطيين وحلفائهم من المور، ولما وصلها "حاصرها وقد اجتمعوا بها، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم انهزم العدو فقتلهم قتلا ذريعا وقسم أموالهم"[3]. كما تذكر المصادر أن جيش المسلمين غنموا "من سبيهم وخيلهم شيئا كثيرا. وكانت من نتاج خيل جبل أوراس المطل عليها"[4].

ونتيجة تحصن البيزنطيين بهذا الحصن (باغاية). استمر عقبة بن نافع في طريقه نحو لميس[5]. وقد لجأ الروم إلى داخل حصنهم واكتفى عقبة بما "أصاب الناس منهم غنائم كثيرة"[6]. وارتحل إلى الزاب. وكانت المعركة بمدينة أذنة على وادي سهر بالمسيلة. "وانهزم الروم وقتل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم، واستولت الهزيمة على بقيتهم، وفي هذه الغزوة ذهب عز الروم من الزاب وذلوا، وتحصنوا فكره عقبة المقام عليهم وقد تحصنوا. ورحل منها يريد المغرب حتى نزل تاهرت"[7].

كان الأوراس معبرا إجباريا لهذا القائد في حملته للمرور والتوسع غربا إلى حيث تيهرت وتلمسان والمغرب الأقصى، ونجح عقبة بن نافع التوسع غربا متبعا الطريق الرابط بين القيروان والزاب مرورا بباغاية[8]. ونتيجة للجوء البيزنطيين والمور المعارضين لتوسعات عقبة إلى التحصن بالقلاع والمدن. ورغبة عقبة في تمديد خطوط الفتح نحو الغرب. ظهر نقاش حول مدى قدرته على السيطرة على مجال يمتد إلى حدود السوس الأقصى، وفي محيط عدائي وهو مثقل بحملة عسكرية وجيش يتنقل في مسالك قد لا تكون معروفة لديه.[9]

---

[1] حول مفهوم القرية. أحمد الباي، سوسة والساحل. ص 337- 341.

[2] المالكي. رياض النفوس. ج 1 ص 36.

[3] المالكي. رياض النفوس. ج1 ص 35، ابن الأثير . الكامل في التاريخ. ج 3 ص 422، 423.

[4] ابن عذاري. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق. ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. دار الكتب العلمية. بيروت. 2009. ج1، ص 24.

[5] (أقرب القلاع إلى باغاية بالمنطقة تكون لمبيس. وهذا عكس ما جاء في المصادر التي تخطئ في تسمية المواقع. على سبيل المثال يمكن الاطلاع على هامش 48 من ص 35 ج 1. من كتاب رياض النفوس للمالكي تحقيق بشير البكوش.

[6] المالكي. رياض النفوس، ج 1 ص 35 36.

[7] المالكي رياض النفوس. ج1 ص 37. ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب، ج 1 ص 24. ابن الأثير. الكامل في التاريخ. ج 3 ص 423.

[8] Pierre Salama. Les voies romaines de l'Afrique du Nord. Gouvernement général de l'Algérie, 1951. p. 103.

[9] وهذا ما جعل روبار برونشفيك يقول: "أن سلامة الحس تحدونا إلى أن نقصرها على بلاد الجزائر الوسطى، وربما جاز لنا أن نقول أنها بلغت على أكثر تقدير منطقة وهران الحالية ووادي شلف حتى نعثر على ما يدحض ذلك الفرض. ليفي بروفنصال. نص جديد عن فتح العرب للمغرب، المعهد المصري بمدريد 1954، ص 197.

وقد تطرق مرسيي (Mercier) إلى الفتح الإسلامي وركز كما فعل سابقه فيرو على عقبة بن نافع وخصص فصل تحدث فيه عن " الغزوة العربية". لقد عمل عقبة حسب رأي مرسيي على الحاق إفريقية بدمشق مستغلا استراتيجية غياب دفاعية بيزنطية. ووصف هذا المؤلف الفرنسي مؤسس القيروان بالمجبر للسكان على اعتناق الإسلام والخضوع التام. ثم تحدث عن حملته الكبرى التي ذكر فيها فشله في اختراق القلاع البيزنطية في الأوراس وسيره بعد ذلك نحو الغرب وصولا إلى طنجة. وهذا بعد أن أجبر الناس على اعتناق الدين الجديد. وواصل سيره بعد حديثه مع جوليان إلى بلاد السوس الأدنى ثم إلى ساحل بحر الظلمات (المحيط)، ليعود بعدها إلى إفريقية مقاتلا في طريقه كل من وقف في وجهه ووصف مقتل عقبة بأنه عمل منظم من طرف الأهالي ضده ونتج عن ذلك سقوط القيروان في يد كسيلة الأوربي. وقد استسقى مرسيي كل معلوماته عن ابن خلدون مع بعض الإضافات المعبرة عن آرائه اتجاه "الغزوة العربية"[1].

بنزعة أكثر تاريخية تطرق مترجم الجيش الفرنسي في الجزائر ورئيس المؤسسة التاريخية الجزائرية، لورون شارل فيرو (Laurent Charles Féraud) إلى الفتوحات الإسلامية مركزا على عقبة بن نافع وعلى المقاومة المحلية له، فقد اعتبر الفتح الإسلامي للمنطقة بالمنطقي نظرا لعدم قدرة إفريقية على مجابهة الوافد من الخارج واحتلالها كما كان عليه الشأن بالنسبة للوندال والبيزنطيين. وانتقد الرواية العربية للوقائع واتهمها بتضخيم حجم العدو الذي واجه الجيوش الإسلامية مركزا على عدم مقدرة المجتمعات الريفية البربرية على المجابهة.

غوتييه أصدر سنة 1927. كتابا حول الماضي المجهول لإفريقيا الشمالية بعد الأسلمة[2]. وبنظرة معادية للعرب، تطرق غوتييه لما أسماها بحملات القرصنة العربية الأولى في بلاد المغرب قبل أن يصل إلى حملة عقبة الكبرى ووصوله إلى المحيط. وركز على ما أسماها بالهزائم الساحقة للعرب وطردهم نهائيا بالمنطقة عدة مرات. وإلى القضاء على عقبة وأتباعه في تهودة. كما اعتبر هزيمة المسلمين قرب سيدي عقبة بمثابة انتصار بيزنطي وليس بربري، معطيا في الوقت ذاته صورة قاتمة عن عقبة من خلال تناول بعض الروايات حول كيفية تعامله مع كسيلة[3].

وركز فيرو على عقبة بن نافع وبنائه لمعسكر القيروان ثم قيادته للحملة الكبرى التي وصل بها إلى البحر المحيط مرددا المقولة المنسوبة حول اخلاصه في الجهاد. وفسر فيرو انتفاضة كسيلة عليه بشعور المجتمعات البربرية

---

[1] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2008. ص 49 50.

[2] L'Islamisation de l'Afrique du Nord: les siècles obscurs du Maghreb. Paris. (1927). Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs. Paris (1937).

[3] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي.. ص 50.

باستبداد عقبة وحاشيته، والتي فسرها برفض البربر لضلالة أتباع محمد. فكانت الثورة التي كان عقبة أحد ضحاياها[1].

لقد كانت نهاية عقبة بن نافع ناتجة عن السياسة التي اتبعها اتجاه قبائل البربر وتحديدا ضد كسيلة، من جهة، ومن جهة أخرى تركت السياسة التوسعة لعقبة الكثير من جيوب المقاومة التي لا يزال الروم يتحصنون فيها ويستخدمونها ضدهم مثل مدينة تهودة وبادس، واللتان كانتا "من أعظم مدائن المغرب"[2]. فبعدما أرسل عقبة جيشه إلى القيروان وهو لا يزال بطبنة. وعندما اقترب من تهودة "أغلق الروم باب حصنهم ورموه بالحجارة وشتموه"[3]. فكانت الظروف مواتية لتدخل كسيلة الذي جمع قبيله وتحالف مع الروم وألحق الهزيمة بعقبة يتهودة. المدينة التي لا زالت حصنا منيعا للروم. على تخوم مصب نهر الأبيض وعلى الحدود الجنوبية الشرقية لجبل الأوراس.

بقيت صورة القائد عقبة بن نافع أسطورية، فهو مبشر بالعقيدة ومجسد للجهاد الإسلامي. وتجاوزت أفعاله المعجزة بفضل حماسه الشديد وعزيمته، وهذه الصفات تشكل شخصية ميثولوجية[4] تداولتها الروايات العربية الخاصة بالفتوح الإسلامية بالمغرب. هذه الصورة جعلت جورج مارسي ينتقد الروايات المقدسة لعقبة الذي اعتبره ضحية لثأر كسيلة عندما قتل رفقة أتباعه بتهودة. وعلى العكس من غوتييه، فقد اعتبر انتصار كسيلة بتهودة بمثابة انتصار بربري وليس بيزنطي. كما انتقد مارسي في الأخير الروايات المقدسة لعقبة واعتبر أيامه آخر الأيام الجميلة للمقاطعة الإفريقية[5].

جورج مارسي[6] يعتبر "الغزو العربي" انتصارا للإسلام القتالي، حيث اعتبر نجاح الغزوة العربية بمثابة انتصار عقيدة متعطشة للاستشهاد والتي من بين رموزها عقبة بن نافع التي فبركت حوله مجموعة من الحكايات الأسطورية جعلت منه " رمز الإسلام القتالي". وأنها استمرار "حلقة عمليات النهب". مركزا على شخصية عقبة بن نافع ودورها في الفتوحات. فقد اعتبره بمثابة صانع استراتيجية عسكرية في عملية الفتح مستغلا الظروف التي عرفتها بيزنطة بمقتل امبراطورها كونستون الثاني (Constant II) وتعويضه بقسطنطين بوغونا

[1] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2008. ص 48- 49.

[2] ابن عبد الحليم. كتاب الأنساب، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، ص90. ابن عبد الحكم. فتوح مصر وأخبارها. ص 335- 336. البكري. المسالك والممالك. ج2 ص 256.

[3] المالكي. رياض النفوس. ج1 ص 39- 40.

[4] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص25.

[5] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص 51- 52.

[6] Marcais Georges. *La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen Age*, Aubier, Paris. (1946).

(Constantin Pogonat) ، الذي سحب قواته من إفريقية لمواجهة حركة تمرد في صقلية، وقد تمكن عقبة بسرعة مذهلة من السيطرة على المدن والقلاع البيزنطية و"نهب الممتلكات وقتل قسم من السكان وسبي البقية، ما عدا من بادر بإعلان اسلامه، وختم هذه العمليات ببناء القيروان عام 670م.

إلى غاية 81هـــ/ 700م.701م لا تزال معارك الفتوح تجري في النطاق المحصور في الممر الذي يقع الجزء الأول منه بصفة عامة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي جنوبا. وينطبق تقريبا على منطقة توزيع المياه بين المجاري المائية المتجهة نحو الشمال والتي تنحو نحو الجنوب. ويضم جزءا لا بأس به من منطقة السهوب – ما قبل المدارية –... ويشمل مجالا يحتل في قسمه الشرقي الممتد غربا حتى منطقة الحضنة المنطقة الواقعة بين الليمس الروماني جنوبا والليمس البيزنطي شمالا[1].

4– الكاهنة توقف توسع جيوش الفتح

سيكون الأوراس الشرقي محطة أخرى للصدام بين جراوة وجيوش الخلافة الأموية بقيادة حسان بن النعمان. المصادر في معظمها (بحسب الرواية الإسلامية المتأخرة) تتفق على قوة هذه الملكة؛ والظرف يتطلب من الخلافة الحفاظ على إفريقية كمجال خاضع لها لذلك فقد جهز عبد الملك بن مروان "جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى إفريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها ...فلم يدخل إفريقية قط جيش مثله"[2]. لقد كانت القوة التي خصصها عبد الملك بن مروان لاستكمال السيطرة على إفريقية والمغرب، خاصة وقد نجحت القبائل المورية في إيجاد تحالفات فيما بينها، لعل أهمها تلك الاستمرارية في المقاومة التي اعتمدتها جراوة حيث استطاعت الملكة الكاهنة أن تجمع حولها المور بعد القضاء على قائد أوربة كسيلة، وشكلت حلف بمنطقة الأوراس، وأصبحت ملكة. لتصطدم بالفاتحين بعد سيطرتهم على قرطاجنة.

بعد أن تمت السيطرة على إفريقية ووضع حد لقوة البيزنطيين بالقضاء على قرطاجنة. فسأل حسان: "من أعظم ملوك إفريقية؟ وعمن إذا قتل أو قهر دانت له إفريقية لقاتله ويئس الروم والبربر من أنفسهم. فقيل له امرأة يقال لها الكاهنة، وهي بجبل أوراس، وجميع من بإفريقية خائفون منها، والروم سامعون لها مطيعون، فإن قتلتها يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ"[3].

[1] علي صدقي أزايكو. تاريخ المغرب. أو التأويلات الممكنة. إصدارات مركز طارق بن زياد. الرباط. 2002. ص 57.

[2] ابن عبد الحكم. فتوح مصر وأخبارها. ص338. ابن الأثير. المصدر السابق. ج 4 ص 140.

[3] المالكي. رياض النفوس. ج 1 ص49– 50.

بدأ الاستعداد لحرب الكاهنة، وسيكون للجغرافيا وتضاريس المجال دور مهم في تحديد المنتصر في المعركة؛ فقد كانت الكاهنة تريد الاقتراب من جبل الأوراس الذي يشكل لها دعامة في حربها ضد حسان بن النعمان. كما أن النهر (نهر مسكيانة) "الذي يسمى بلسان البربر "نهر نني"[1] سيبقى متداولا في المصادر التاريخية باسمه الجديد بعد الهزيمة حيث يصبح (نهر البلاء) فهو رمز البلاء والهزيمة التي ستلحق بالجيش الأموي على ضفاف نهر مسكيانة.

بعد تحرك جيش حسان بن النعمان لغزو الكاهنة 73هـ/ 694م، لجأت هذه الأخيرة إلى تخريب باغاية لمنع جيش حسان من استغلال هذا الحصن. لذلك سيطرت الكاهنة على الجانب المقابل لجبل أوراس. فيما كان حسان يبحث عن موضع ماء يستغله لجيشه. "فمالوا به إلى نهر، فنزل عليه، وزحفت اليه الكاهنة حتى أتت أسفل النهر فنزلت عليه، فكان يشرب هو وأصحابه من أعلاه وتشرب هي وأصحابها من أسفل النهر"[2]. انتهت المعركة بهزيمة جيش حسان " وقتل من العرب خلق كثير، فسمي ذلك النهر"نهر البلاء"[3]. وانسحب حسان بن النعمان إلى ما وراء قابس حيث أرض برقة، في انتظار الأوامر التي تأتيه من الخلافة.

وبعد أن سيطرت الكاهنة وأصبحت سيدة إفريقية لمدة خمس سنوات. تذكر المصادر أنها خربت العمران والمزارع والغابات، لكن أثير نقاش حول مدى قدرة الكاهنة على التخريب في مجال واسع؛ إذ يرى هشام جعيط أنه لا يمكن أن يتجاوز بلاد مزاق وأن الخراب النسبي في هذه المنطقة لا يمكن إسناده إلى عمل الكاهنة وحده"، ويعلل هشام جعيط ذلك" أن أشباه الرحل الذين اتبعوا الكاهنة قد استفادوا من انتصاراتهم على العرب ومن غياب أية سلطة في سهول الوسط والجنوب لينهمكوا في النهب كما شاءوا. وهو ما أقلق سكان المدن والأرياف المستقرين وأثارهم... فالملكة البربرية رأت وضعيتها تتدهور بعداء السكان المستقرين لها، وبردات الفعل المتعددة التي أثرت في صفوفها..."[4]. ولعل غياب المصادر التاريخية المعاصرة للفترة سيترك فجوة وأثرا في مصداقية الأحداث. فقد دونت مجريات الحملات العسكرية الإسلامية في بلاد المغرب وفق رؤية أيديولوجية شعبوية كرستها روايات مشرقية بعيدة زمانيا ومكانيا عن الحدث. ورواية مغربية تمتد بأصولها إلى الوسط القصاصي القيرواني والبربري، الذي تبلور خلال الأربعة قرون الأولى للهجرة[5].

---

[1] الرقيق القيرواني. تاريخ افريقية والمغرب. تحقيق المنجي الكعبي. ط2. 2005. الدار العربية للكتاب. تونس. ص 75.

[2] المالكي. رياض النفوس. ج 1. ص 50-51.

[3] المالكي. المصدر السابق. ج1. ص 51. ابن عبد الحكم . المصدر السابق. ص 338. ابن الأثير. المصدر السابق. ج4. ص 140- 141.

[4] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي، ص 32.

[5] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص 47.

وصلت إمدادات الخليفة عبد الملك لحسان بن النعمان الذي قاد حملة للسيطرة على إفريقية، انتهت بقتل الكاهنة، ومثلما شهد الأوراس انتصارها على الجيش الأموي، ستعود أدراجها مرة أخرى إليه لتذيقها الهزيمة. ويورد المالكي أن حسان بن النعمان "لما وصل قابس لقيته الكاهنة في جيوش عظيمة، فقاتلهم حسان، وهزمهم الله عز وجل، وهربت الكاهنة تريد قلعة بسر لتتحصن بها، فأصبحت القلعة لاصقة بالأرض، فهربت تريد جبال أوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده يحمل بين يديها على جمل، فتتبعها حسان حتى قرب من موضعها"... وإنهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر، فسماه المسلمون "بئر الكاهنة"[1]. ويعود الجنوب الغربي للأوراس مرة أخرى ليطبع نهاية أخرى لمقاومة جراوة. فغير بعيد عن تهودة فشلت الكاهنة هذه المرة في التحصن بمرتفعات الأوراس. بعد ان لاحقتها الجيوش الأموية من قابس إلى قلعة مجانة ثم كانت نهايتها بمقتلها بالمكان الذي سيعرف باسمها بئر الكاهنة.

انطلاقا من هذه المقدمات نستطيع أن نقيم الدور الذي قامت به الفتوحات الإسلامية في دمج الأقاليم المفتوحة التي شملت آنذاك الأقاليم الأكثر أهمية من الناحية الاقتصادية، ووضعتها في دورات تجارية واسعة وانشطة اقتصادية مزدهرة[2]. فهل يمكن لرسم خرائطي أن يعطينا دلالة على أهمية جبل الأوراس في التاريخ الوسيط بمكوناته الخاصة بمجال الحركة والتنقل والاستقرار والتبادل، واتساع وتقلص مجاله؟

5- جنوب الأوراس: نهايات قادة الفتح والمقاومة

هل كان لجغرافية التضاريس دور في جعل الأوراس يبدو كقلعة طبيعية وملجأ للثائرين، إذ نجد أن جنوبي المنطقة شكل دوما خطا للنهايات التراجيدية للكثير من قادة معارك الفتوحات الإسلامية وأيضا لحركات المقاومة لها. ففي هذه المنطقة ستكون نهاية الكاهنة، وأسرعت هي نفسها وقد تعقبها حسان للجوء للأوراس، ودارت المعركة الأخيرة. وقد كانت "ملكت إفريقية خمس سنين وهزمت حسان"[3] وشمل ملكها إفريقية كلها وتجاوز الأوراس بكثير، كانت مملكتها مستقلة، اعتمدت فيها على جماعات محلية.

---

[1] المالكي. المصدر السابق. ص 54- 55. ابن عبد الحكم. المصدر السابق. ص 339. الرقيق القيرواني. تاريخ إفريقية والمغرب. ص 84. ابن الأثير. المصدر السابق. ج 4. ص 141.

[2] زهير هواري. السلطة والمعارضة في الإسلام. بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11 هـ- 132هـ/ 612- 750م. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت. 2003. ص 321.

[3] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. ص 81.

وكان الموضع على الأرجح في مخرج جبل ششار على بعد ما يقارب 50 كلم شمالي طبنة[1]. وقبل ذلك التاريخ عرف هذا الجزء من الأوراس نهاية مأساوية للقائد عقبة بن نافع بتهودة، وهي التي لا تبعد كثيرا عن مخرج ششار، بل هي جزء طبيعي من تضاريسه. حيث يمكن اعتبار جبل ششار وهضبة النمامشة كملحقات لمرتفعات الأوراس لأنها امتدادها الشرقي، غير أنه يمكن رسم بعض الحدود العامة التي يشكلها واد العرب، وهو عادة الحد الفاصل بين الأوراس وششار ويفصل واد بني بربر، ويسمى أيضا "وادي بدجر" بين أوراس والنمامشة. كما يعتبر واد ششار الذي تحده من الشمال الإرتفاعات المحدبة لجبل المحمل 1500مـــ منطقة وعرة حفرتها السيول الجارفة[2].

[1] محمد طالبي. في تاريخ افريقية. أعلام- مواقع- قضايا. دائرة المعارف التونسية. الكراس 4. 1994 عدد خاص. ترجمة محمد العربي عبد الرزاق ورياض المرزوقي. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. بيت الحكمة. قرطاج تونس. ص 58.

[2] عبد الحميد زوزو. الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837- 1939. .ط2 دار هومة. الجزائر. 2011. ج 1. ص 36.

بقايا آثار مدينة تهودة أسفل جبل الأوراس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد كان هناك توافق تضاريسي مع مسارات الجيوش العربية عبر مسالك الأوراس التي تجنبت التضاريس الصعبة، فالتنوع التضاريسي لأقاليم الأوراس يشكل خاصية أضافت له موارد وإمكانات مختلفة، فإلى جانب المخرج الجنوبي الغربي المتميز بالطابع الجبلي المعقد، فإن سهل بلزمة المحاذي للسلسلة الجبلية الغربي يشكل منبسط يقع بين منطقة جبلية صخرية ذات أخاديد بجنوب شرق الهضاب العليا والسبخات[1]، ويتكون من عدة أقسام وصالح للزراعة والرعي. تحاصر هذا السهل المرتفعات من جميع جهاته إلا الناحية الغربية حيث ينتهي بممر طبيعي تسمح بمرور الطرق والمسالك التي تربطه بباقي المدن كنقاوس وطبنة.

إن هذه المكونات الطبيعية للأوراس مجتمعة تشكل جغرافيا خاصة أثرت في العلاقة بين الإقليم كمعطى طبيعي وبين القبائل المستقرة فيه، وهو ما تهتم به الجغرافيا الاجتماعية من خلال دراسة تنظيمه المكاني وتفاعل الناس فيه ومعه. أي استيعاب المكان لنشاطات المجموعات البشرية في بيئاتها المحلية. وتأثير هذه الجغرافيا على سلوكياتها، ونمط حركتها المكانية[2].

لقد كان للأوراس طيلة فترة الفتح حضور قوي وشكل مجالا عصيا على الفاتحين، وكان مفتاحا لأغلب العمليات العسكرية طيلة القرن الأول الهجري؛ فالتحكم والسيطرة عليه يعني إحكام القبضة على معظم المجال الجغرافي لبلاد المغرب، كما عرف هذا المجال الجبلي أغلب الأحداث السياسية المرتبطة خاصة بتلك المتعلقة بمعارك الفتوح الإسلامية وسير الحملات العسكرية لأغلب قادة الفتوح ببلاد المغرب، كان حاضرا طيلة الفترة الانتقالية ما بين الانهيار البيزنطي وفترة التمدد الإسلامي ببلاد المغرب. ولم يستثن في أغلب الأحداث الرئيسة للمنطقة، إن لم يكن في قلب الأحداث والكثير من التغيرات التي ستحدد مصير المنطقة برمتها. فقد كان شرق وشمال الأوراس ممرا إجباريا لحملات الفتوح الإسلامية طيلة القرن الأول الهجري. ثم سيصبح هذا الجبل في القرن الثاني الهجري نقطة التقاء الكثير من العناصر والقوى المعارضة لسلطة الولاة الأمويين بإفريقية.

6- نهاية المقاومة والتحكم في المجال:

انتهت العمليات العسكرية الإسلامية، وتحملت أغلب قبائل الأوراس أعباء عسكرية كبيرة من خلال المعارك التي شهدها هذا الإقليم، غير أن الدور الذي سيقوم به هذا الإقليم في القرون التالية للفتح لا يتوافق وهذا الدور والأهمية التي نالها سابقا.

---

[1] عبد الحميد زوزو. المرجع نفسه. ص 28- 29.

[2] ليلى بنت صالح محمد زعزوع. مقدمة في الجغرافية الاجتماعية. الدار العربية للعلوم. بيروت. 2001. ط2. ص 91.

يبدو أن الفاتحين استولوا على أغلب القصور والحصون والتي زادت في تحصينها في وقت لاحق مثلما هو الشأن في زانة، وتيجيس، وقصر بلزمة، وباغاي، وطبنة، وحافظت أسوار هذه القلاع التي بقيت على حالة جيدة[1].

بعد الفتح الإسلامي أصبح ريف إفريقية مزدحما نسبيا بالعقارات والمزارع والقرى المحصنة خاصة في القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي الذي يشهد على ثورة زراعية. وإذا عدنا للنصوص العربية نجد ابن عبد الحكم وغيره يعطينا أرقاما مذهلة حول قيمة الفدية الضخمة التي كان المور يدفعونها والعملات الذهبية وغيرها[2]. للقادة الفاتحين. كما ظهرت بعد ذلك مفاهيم جديدة تتعلق بالعمران وعلاقته بالكيانات والجماعات والقوى الجديدة، هذه المفاهيم ستربط الكثير من الحواضر المنشأة بأريافها وفق علاقات تحتكم إلى نمط إنتاج خاص.

مع بداية استقرار الفاتحين بإفريقية، كان انتشارهم في الحواضر والحصون، كما استولوا على أراضي الإمبراطور والكنيسة وكبار الملاكين، ولا يخفى أن الكثير من الملاك الكبار قد إنخرطوا مع الفاتحين في الدين الإسلامي. فهل كان ذلك من أجل الحفاظ على أملاكهم ومكتسباتهم. أم رغبة منهم في التحالف مع البورجوازية الحاكمة الجديدة؟ فقد كثير من العجم _ الموالي المالكين لضيعات في القرن الثالث هـــ/ التاسع ميلادي. أما الأراضي المصادرة، فلا شك أن قسما منها قد حول ملكا للدولة أي للخلافة. أما القسم الآخر فقد قسم ووزع في شكل إقطاعات على المشاركين في الفتح ثم على من وفد على البلاد من بعدهم[3].

ولذلك فقد طرحت مشكلة ملكية الأرض بإفريقية والمغرب؛ إذ لم تشهد نظاما مماثلا للذي ساد في المشرق أو بلاد العراق والشام بعد الفتح الإسلامي. أجاب سحنون بإفريقية عن هذه المسألة بقوله "وأما أرض إفريقية، فكشفت عن أصلها، فلم أقع منها على حقيقة أو صلح، وكاشفت عنها علي بن زياد، فلم يصح عنده أمرها، ولكن يقال أن العرب لما فتحوا البلاد قيل للوالي أظنه موسى بن نصير اختر أن تأخذ الخمس من حيث شئت فأخذ هذه الصوافي"[4]. كما أننا لا نملك نصوصا تخص وضعية أراضي الجبل، والتي لا يمكن أن تنطبق عليها الأحكام التي كانت سائدة في باقي أراضي إفريقية والمغرب، فيشير الونشريسي إلى "التفصيل بين السهل

---

[1] Corisande Fenwick. "From Africa to Ifrīqiya. p. 26.

[2]. *ibid*, p. 19.

[3] أحمد الباهي. سوسة والساحل في العصر الوسيط القرن 1هـــ 5هـــ/ 6م 11م محاولة في الجغرافيا التاريخية. مركز النشر الجامعي. تونس. 2004. ص. 328.

[4] الداودي. الأموال. دار الحداثة. بيروت. 1988. ص 79، 177.

والجبل"[1]، في مسألة الاختلاف حول فتح أرض المغرب. وتبقى الأراضي التي فتحت عنوة وبالقوة، تحت تصرف سلطة الدولة وتدفع الضرائب والخراج، وتمنح هذه الأراضي كإقطاع. إضافة إلى الأراضي الموات التي تمنح للخدم. حيث يمكن أن تتنازل عنها الدولة[2].

ومهما كان من اختلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة فإنه من الخطأ التعميم بين كل أجزاء بلاد المغرب حول طبيعة الفتح. بل أن الاختلاف قد يكون حتى في المجال الواحد. ينقل أبو عبد الله العقباني (ت871هـ/1466م)، عن تقييد أبي الحسن الزرويلي على المدونة حول الاختلاف على أرض المغرب "قيل: إنها عنوية، وقيل إنها صلحية، وقيل إن فحوصها عنوية، وجبالها صلحية. لأن الجبال مظنة الامتناع"[3].

فمن المؤكد أن هناك توزيعا للأراضي طبقها الفاتحون على المناطق المفتوحة. وأن هناك سيطرة للحاميات العربية على أغلب الحواضر. أما فيما تعلق بكيفية الاستيلاء على الأرض فإننا نجد إصرارا على اعتبار كامل المغرب بلادا عنوية. فينقل ابن سلام عن عبد الله بن صالح، قال "المغرب كله عنوة"[4] وهو ما ينقله عنه البلاذري[5]، والذي ينسب رواية لعمر بن عبد العزيز مفادها أن العرب لم يفتحوا من المغرب صلحا إلا ثلاث قرى توجد كلها بمصر"[6]؟ ولعل ذلك مرده إلى علاقة السياسي بالفقيه وحاجة بيت المال إلى تنويع مواردها.

أما ببلاد المغرب فقد كان الاختلاف حول أصل ملكية الأرض بها هو السمة البارزة، "فقيل إنها فتحت صلحا، وقيل عنوة، وقيل أسلم عليها أهلها"[7]. وهذا ما سينعكس على معاملة السلطة مع الملاكين حول إيرادات هذه الأراضي، فقد أورد الداودي مسألة استئثار الأمراء بازدراع أرض الخراج، واتخاذهم مال الله دولا[8]. إلا أن سياسة الولاة والعمال الأمويين ببلاد المغرب قد تجاوزت جميع النصوص الفقهية فيما يتعلق

---

[1] الونشريسي. المعيار. ج6. ص 133- 134.

[2] Mohamed Hassen.« Genèse et évolution du système foncier en Ifriqiya du VIIIe au Xe siècle: les concessions foncières (*qaṭī'a*),les terres réservées (*hima*–)et les terres *habous*,les dynamiques de l'islamisation en méditerranée centrale et en Sicile : nouvelles propositions et découvertes récentes ». a cura di Annliese Nef, Fabiola Ardizzone es trat to .Roma-Bari (2014). p. 309- 310.

[3] محمد العقباني. تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر. تحقيق. علي الشنوفي. 1967. ص 153.

[4] الداودي. كتاب الأموال. ص 113.

[5] البلدان وفتوحها وأحكامها. تحقيق سهيل زكار. دار الفكر. بيروت. 1992. ص 254.

[6] المصدر نفسه. ص 312.

[7] الداودي. المصدر نفسه. ص 79. الونشريسي. المعيار ج6. ص 134. محمد حسن. المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. جامعة تونس الأولى. تونس. 1999. ج1. ص 305.

[8] الداودي. المصدر نفسه . ص 63.

بجمع الأموال واستخلاصها من السكان بشتى الطرق دون مراعاة أحكام الأرض وما يترتب عنها. وهو ما أدى إلى ظهور النقاش الفقهي الذي طرح حول هذه المسألة.

إن هذه الوضعية المعقدة للأرض، نتجت أساسا من تأثرها بالتحولات السياسية والاجتماعية والمذهبية بالمنطقة وعدم الحسم فقهيا وسياسيا في الوضع الشرعي للأراضي في زمن الفتوحات الإسلامية يجعل التطورات التاريخية المتوالية تؤثر بشكل قوي ومباشر على الأرض وعلاقتها بالدولة والقبائل[1]. وما يزيد الأمر تعقيدا أكثر هو انتشار الغصب والتعدي والمصادرة، وازدياد نشاط تحركات القبائل. هذه الظروف ينتج عنها دائما إما فقدان الملكية، أو الاستيلاء والسيطرة على أملاك الغير[2]، وهذا ما يخلق الصراعات بين القبائل. أو بينها وبين السلطة.

أما بالنسبة لمراحل الاستقرار وآلياته بمنطقة الأوراس فإننا لا نملك نصوصا تخص هذه المنطقة. لكننا يمكن تتبع نقاط التوسع الأولى التي اتبعها الجند الفاتحون، ومن خلال المعارك التي سجلتها المصادر التاريخية، في الكثير من الحصون والحواضر. لأننا نجد أن تلك الحصون والحواضر قد اتخذتها القبائل العربية كمسقر لها في شكل حاميات لها، إما للاستقرار أو أنها اتخذتها بعض الدول كمواطن لقبائل موالية لها تمثل سلطتها بالمنطقة مثلما كان الأمر لقبيلة بني مالك التميمية ببلزمة. وسيكون هذا مفصلا في فصل الجماعات بالنسبة لتوزع هذه الحاميات بمنطقة الأوراس وحواضره. على أننا في هذه المرحلة نستطيع أن نتبين أهم المجالات التي بدأت تتشكل، والتي يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

ثانيا: الاستقرار وتشكل المجال.

1. شمال شرق الأوراس معبرا ومستقرا للفاتحين.

شهدت هذه المنطقة تعميرا لافتا خلال العصور القديمة شمل المدن والأرياف، وبعد الفتح الإسلامي ستتغير الروابط المجالية بين القيروان والمناطق الغربية القريبة منها، حيث كان شمال وشرق الأوراس أكثر ارتباطا بالقيروان، لما يشكله هذا الحزام من أهمية كبيرة للعاصمة الجديدة لإفريقية. كرابطة بينها وبين الأقاليم الغربية وبلاد الأندلس.

[1] سعيد بنحمادة. الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية. رؤية. القاهرة. 2013. ص 22. عمر بنميرة. النوازل والمجتمع. مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 2012 . ص 149.

[2] عمر بنميرة. النوازل والمجتمع. المرجع نفسه. ص 180– 181.

وفيما يخص حواضر هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن أغلبها وردت بصورة مضطربة وغير واضحة في الروايات التاريخية المبكرة[1] رغم أنها لعبت أدوارا كبيرة في تاريخ المنطقة طيلة القرون الإسلامية الثلاث الأولى، حيث كانت في معظمها حصونا وقلاعا بيزنطية وشهدت الكثير من معارك الفتح، وأصبحت مستقرا للقبائل والحاميات الأموية ومختلف قبائل الفتح الأخرى.

لقد أشرنا إلى أهمية موقع تبسة قبيل الفتح الإسلامي، والذي يسمح بربط الاتصال مع الشمال الشرقي والشمال الغربي والجنوب الشرقي، فهي نقطة اتصال طبيعي بين التل والجنوب[2]. لكن منطقة النمامشة ستبقى فيها بعض الجيوب التي لجأت إليها الأقليات المقاومة لعمليات الفتح. والتي ستفتح بعد السيطرة على قلعة بشر، في عهد موسى بن النصير.

2. باغاية (Baghaï)

كانت من الحواضر التي سجلت حضورا مستمرا في المدونة التاريخية الوسيطية منذ الفترة المبكرة للفتح الإسلامي. حيث استخدمها البيزنطيون ملجأ لهم لوقوعها في خط سير جيوش الفاتحين المسلمين، وشكلت قلعة دفاعية في وجه الفتوحات الإسلامية، وقفت في وجه عقبة بن نافع عام 62هـ/ 683م. بعد ذلك تحصنت فيها الكاهنة ضد حسان بن النعمان، الذي هزمته عند وادي مسكيانة.

---

[1] تطرح مشاكل علم الآثار في العصور الوسطى المبكرة في بلاد المغرب أحد التحديات الكبيرة في فهم التحول الذي طرأ في المشهد الخاص بالمدينة في العصور الوسطى، وترتبط بالدرجة الأولى بفقر الأدلة النصية المعاصرة التي يمكن أن توفر سياقًا تاريخيًا. وإذ توفر مصادر الحقبة البيزنطية مثل بروكوبيوس (Procopius) وكوريبوس (Corippus) والمؤلفين الكنسيين المعاصرين معلومات مهمة عن القرن السادس، إلا أن الأمر ليس كذلك في القرنين السابع والثامن؛ حيث توجد مصادر نصية تخص القرى وبعض الحواضر في القرنين السابع والثامن ، لكنها مكتوبة في سياق اجتماعي متغير، ومتأخرة كثيرا، إضافة إلى كونها مكتوبة اعتمادا على مصادر سابقة، وبعضها مفقودا أو بعيدا عن المنطقة من مصر تحديدا. أما التحدي الآخر فيتعلق بالسجل الأثري في العصر الوسيط المبكر؛ فالمنطقة غنية بالمخلفات الأثرية، لكنها لا تزال غير مدروسة ولا مفهومة بالقدر الكافي، لأن سياقات القرون الوسطى المبكرة نادرا ما كانت محور العمل الميداني الأثري والحفريات في بلاد المغرب.

كما أن هناك قضية أخرى هامة تتعلق بتراجع المدن أواخر العصر القديم وبداية العصر الوسيط المبكر، حيث فقدت معظم المدن وظائفها الحضرية تماما، وفي نفس الوقت لا نجد حفريات تخص المواقع الأثرية للمناطق الريفية والتي كانت مزدهرة في المجتمعات المسيحية بالمنطقة، وعرفت ظهور نخبة محلية من سكان الريف، تمتعت بحياة مزدهرة وثرية بفضل ممتلكاتها الواسعة والغنية، فكان المجال الريفي متقدما وكثيفا بفضل ربطه بشبكة من المسالك والطرق والجسور وقنوات المياه، والمزارع ومعاصر الزيتون والفيلات والكنائس ومخازن الحبوب والمحاجر، وغيرها من المرافق الأخرى. لكنها مغيبة في الدراسات الأثرية، والقليل من هذه الدراسات أجريت في الحواضر والمدن الكبيرة وأهملت الحواضر الصغرى الهامشية.
Philipp Von Rummel. The Transformation of Ancient Land- and cityscapes in early Médiéval North Africa. North Africa under Byzantium and Early islam, washington. 2016. p. 105- 106, 108.

[2] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*. p. 4, feuille, 29.

ترتبط هذه المدينة بشبكة من الحصون القريبة منها، إلا أن أغلبها لا تذكرها المصادر نتيجة تراجعها في فترة الفتوح الإسلامية[1]. أما حصن زانة عند الفتح فقد عثر على آثار تعود إلى عهد الإمبراطور جوستينيانوس، في فترة الفتح الإسلامي كانت زانة تمتلك موقعا هاما، فقد كانت المدينة الأكثر تحصينا بالمنطقة يسكنها مسيحيون حيث كانت تتواجد كنيسة قرب الحصن. موقعها يكون قد سمح لها بالوقوف في وجه حملة عقبة بن نافع. إضافة إلى موقف سكان هذا الحصن اتجاه الحملة[2]. ففي منطقة الأوراس لا زالت الحصون والقلاع الرومانية تؤدي أدوارها في القرن الثاني الهجري/ السابع ميلادي استغل الأغالبة مجموعة منها في الحدود الغربية لإمارتهم.

3. مجال بلزمة Belezma

في عام 1891 زار ستيفان قزال منطقة بلزمة، وطاف بالمناطق الأثرية الممتدة ما بين سطيف وزانة ونقاوس، قدم وصفا لسهل بلزمة الذي تحيط به الجبال من كل الجهات والتي كانت كثيفة السكان في العهد الروماني. هذه المنطقة تعتبر نقطة تقاطع بين إقليمين هما: نوميديا وموريطانيا السطيفية والتي يفصل بينهما طريق سطيف وأوزيا Auzia(سور الغزلان) عبر مجال الحضنة.

في نوميديا وفي القسم الجنوبي نجد موقعين هامين هما: بلزمة وديانا (زانة) حدود الأولى تمتد من مدينة بلزمة وتبعد عن زانة ب25 كلم. وهذا المجال يحده كل من زراية ونقاوس، حيث نجد شبكة من الطرق أغلبها يعود إلى القرنين الثالث والخامس الميلاديين[3].

تشكل هذه المدن سلسة من الحصون القديمة التي يحيط بها حزام من القبائل الجبلية، إلا أنها ستتراجع في القرون التالية للفتح باستثناء بلزمة إلى غاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وقد يعود السبب إلى طابع السكان الريفي؛ يذكر ابن الفقيه الهمذاني عدم رغبة هوارة وزناتة وضريسة وورفجومة، والجماعات الريفية البربرية بالمغرب الاستقرار في المدن وتفضل الجبال[4]، المنطقة كانت ممرا يربط القيروان بالزاب عبر باغاي وطبنة، واستقرت فيها الكثير من الحاميات.

---

[1] Mohamed El Mostafa Filah. *op. cit.* p. 14- 15.

[2] Charles Diehl. Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord. (1892- 1893). Ernest leroux éditeur. Paris (1894), p. 18.

[3] Stéphane Gsell. « *Recherche archéologique en Algérie* ». Ernest Leroux édition. Paris. (1893). p. 78 79.

[4] Allaoua Amara. « Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (vii-XIVe siècles) ». *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126. novembre (2009). p. 191.

بقايا أثرية لمدينة زانة (Diana Veteranorum)

4. مجانة واستكمال السيطرة على المجالات الغربية لإفريقية.

مجانة من المدن الإفريقية التي لا يعرف عنها الكثير واخبارها نادرة إستقيناها من مصادر عربية مختصرة. وقوعها بشرق الأوراس الذي كان مواجها للفتح وتطور أحداث الفتح الإسلامي جعلها أول قلعة ببلاد للمغرب الأوسط في فترة الفتح (قلعة بشر). بل في بلاد المغرب الإسلامي. ثم إن هذا المجال سيشهد توترات متلاحقة للثوار على القيروان. وتصبح مجانة معبرا هاما بين القيروان عاصمة الأغالبة وأقاليمهم الغربية، خاصة بعدما أصبحت الحاميات في المنطقة تثير قلق الأمراء الأغالبة. لذلك نعتبر أن الحدود الشرقية للأوراس لم يتوقف دورها العسكري والسياسي حتى أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

تقع مجانة على بعد 50 كلم شمال شرق تبسة، والتي لجأ اليها البيزنطيون لكن حملة بشر بن أرطأة ربما تلقت الدعم للسيطرة على هذا الحصن لحماية خط العبور القديم من قرطاجنة إلى تبسة بأمر من موسى بن نصير[1]. فلما عاد موسى بن نصير من حملته من المغرب الأقصى "مر بقلعة مجانة وانحصر صاحبها منه، فرأى موسى بن نصير قدر ما يكفيه من الرجال فلم يعرض له، فلما نزل القيروان دعا بشر بن أرطأة فعقد له على أعنة الخيل، وأمره أن يمضي إلى صاحب قلعة مجانة. فلما أناخ عليه عظم عليهم أمر القتال. ونظر الروم من العرب صبرا لم ير مثله قط، فملأت ذلك رعبا، فألقوا بأيديهم، فدخلها، فقتل المقاتلة وسبي الذرية وغنم منها أموالا كثيرة، فكانت تسمى باسمه "قلعة بشر" لا تعرف إلا به، لأنه هو الذي افتتحها.."[2].

يقول اليعقوبي: "من القيروان إلى مدينة يقال لها مجانة أربع مراحل، وبهذه المدينة معادن الفضة والكحل والحديد [والمرتك] والرصاص، بين جبال وشعاب وأهلها قوم يقال لهم السناجرة يقال إن أولهم من سنجار من ديار ربيعة، وهم جند للسلطان وبها أصناف من العجم من البربر وغيره"[3].

كان للفتح الإسلامي دور في نشر جماعات موالية للأمويين ثم للعباسيين في المدن الغربية لإفريقية، وشهادة اليعقوبي حول مجانة التي يسكنها سناجرة من عرب ربيعة ووجود أقلية يهودية بحسب وثائق الجنيزة والتي تذكر هذه الأقلية في نطاق طريق تجاري يمر عبر المنطقة كشفتها وثائق الجنيزة بالقاهرة[4].

ترتبط مجانة في المقام الأول بموقعها الجغرافي على طرق القوافل، كما نجد اضطراب في هذه النصوص في تحديد مكان هذه المدينة بين مجانة وبعض البلدات والمدن بالمنطقة مثل مرماجنة وقلعة سنان، هذه الأخيرة التي تقع في سهل يعرف في العصر الوسيط سهل"بل" ثم قلعة سنان. تحيط بها الكثير من الجبال، وقد لعبت دورا هاما واستراتيجيا في منطقة الحدود ومفترق الطرق بين إفريقية البروقنصلية ونوميديا[5]. ونظرا لموقعها كمعبر للطرق الهامة نحو الزاب والمغرب الأوسط، فالمدينة لها أهمية كبيرة وتهيمن على منطقة لها أهمية اقتصادية. كانت تسمى قلعة بشر.

---

[1] Yassir Benhima. Pierre Guichard.*op. cit.* p. 103.

[2] الرقيق القيرواني. تاريخ افريقية والمغرب. تحقيق المنجي الكعبي. الدار العربية للكتاب. تونس. ط2. 2005. ص 93- 94.

[3] اليعقوبي. البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت. ص 188.

[4] أبو عبد الله محمد الأنصاري. فهرست الرصاع. تحقيق محمد العنابي. المكتبة العتيقة. تونس. 1967. ص 45- 46.

Yassir Benhima. Pierre Guichard. *op, cit.* p. 107- 109.

[5] Ahmed Mechrek. « Kalaat senane. "Bulla Mensa". p. 83

وبجانب القلعة توجد مدينة مجانة التي تشتمل على دار السكة[1]، وقد عثر على عملة فضية ضربت بها في تواريخ تعود إلى 207هـ، 209هـ، و210هـ[2]، ولذلك فهي تتزامن مع حركة منصور الطنبذي[3]، حيث كاد هذا التمرد الذي كاد يؤدي بالإمارة إلى السقوط.

صورة لدراهم دار السكة بمجانة تعود لبداية القرن الثالث الهجري.

Abdelhamid Fenina. La ville de Maggāna sous Ziyādat Allāh. p. 226.

5- غرب الأوراس وضياع النفوذ الأغلبي على محور (باغاي –بلزمة –طبنة).

إلى غاية القرن الخامس الهجري لم يكن هناك قطيعة مع الموروث القديم للمنطقة، خاصة إذا تكلمنا على المناطق الانعزالية البعيدة عن التحولات الاقتصادية والتجاذبات السياسية بين مختلف الأطراف والقبائل، تلك التي شهدتها الحواضر الكبرى على سبيل المثال. فلقد أحيط الأوراس بحزام من القبائل التي انقسمت إلى مجموعات مشتتة الولاء السياسي والولاء المذهبي. فقد اعتنقت هذه القبائل المذهب الإباضي خاصة فرقة النكار منهم.

[1] Abdelhamid Fenina. « La ville de Maggāna sous Ziyādat Allāh I : un atelier monétaire peu connu et une principauté éphémère à l'époque aglabide ». *Arabica* 55 (2008). p. 204- 205, 217, 226. Jean-Pierre Laporte, « Notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du Dyr et des nemencha) ». *Actes de 7e colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes. Sbeitla session 2010.* Institut national du patrimoine. Tunis. (2014). p. 101- 102.

[2] Abdelhamid Fenina, *ibid*, p. 206- 207.

[3] حول ثورة منصور الطنبذي بتونس ينظر. ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج1. ص 98 – 101.

ولعل اعتناق القبائل المورية تحت مسمى جديد وهو "البربر" لهذه المذاهب قد توافق مع بروز معارضة للإدارة الأموية ببلاد المغرب. فالتوازن الاجتماعي ارتكز منذ الفتح على تفوق العنصر العربي على حساب الجماعات المحلية الذين أنزلوا منزلة دنيا بعدما تم التغلب عليهم وإخضاعهم وإدماجهم تدريجيا، أو إجلائهم إلى المناطق البعيدة عن المركز في غرب وجنوب البلاد تحت حراسة حاميات المدن المحصنة[1]. ونجحت بعض هذه المذاهب والفرق في تأسيس ملك سياسي وتحقيق طموحاتها. وكان مجال الصراع الذي استقطب هذه الفرق هو المجالات الطرفية والبعيدة عن المركز، حيث استغلت الظروف المناسبة لتحقيق أغراضها في الملك.

لكن بعد سقوط هذه الامارات التي أثرت كثيرا في طبيعة المجال ببلاد المغرب[2]، أصبح من الصعب تحديد السلطة التي تمارس في إفريقية وبلاد المغرب الأوسط في القرن العاشر، حيث من المعروف أن الإباضية كانت منقسمة على نفسها، وانتشرت في الأوراس والهضاب، ثم في الواحات[3]، ولجأت الجماعات الإباضية بتيهرت وتفرقت بنواحي ورجلان، والكثير منها لجأت إلى بلاد الجريد وجربة. وهي التي كانت تشكل مجالات إباضية سابقا. وأصبحت الأقلية الإباضية هشة أمام قوة الفاطميين، لذلك لجأت إلى المناطق البعيدة وإلى الجبال أيضا[4].

في الجنوب على طول سفوح جبال الأطلس التلي، تشكل محور يربط بين المناطق التي تنتمي للمذهبين الصفري والإباضي يخرج من سجلماسة إلى جبل نفوسة. وظهرت شبكات تجارية لهذه الجماعات، التي تموقعت على طول محور من الشرق إلى الغرب يربط المجتمعات الاباضية الذين يعيشون على حافة التل والصحراء[5]. وبتواجدهم في الصحراء لأغراض الدعوة الدينية أو بغرض التجارة، تمكن الإباضية من السيطرة على مجال واسع، والتنقل بحرية في ممارسة التجارة عبر الصحراء، والتحكم في طرق القوافل. وهذا ما مكنهم

[1] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. التاريخ السياسي والمؤسسات. 296هـ- 365هـ / 909م 975م. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1994. ص45.

[2] Mohamed Benabbès. « Des provinces byzantines à l'Ifriqiya: continuités et changements dans les découpages administratifs ». *Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine,* Publications du CRAHM. 2011. p.16.

[3] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis ». p. 129.

[4] Virginie Prevost. « La renaissance des ibadites wahbites a Djerba au X siècle ». *Folia orientalia,* 40, (2004), p. 174.

[5] Dominique Valérian, « Contrôle et domination politique de l'espace dans le Maghreb central, p. 139.

من الحفاظ على الاتصال الدائم بينهم[1]، أما شمال الأوراس فإن هذا المجال بقيت فيه جماعات إباضية على طول الطريق الرابط بين القيروان وفاس[2].

وكان بنوكملان ومستاوة يستقرون بتخوم الجبل المشرف على سهول بلزمة إضافة إلى سريانة والتي كانت موطنا ضمن جماعات النكارية بغرب الأوراس[3]. وتستمر النكارية في هذه المناطق بالأوراس رغم جلاء الكثير من القبائل عنها أثناء الزحف الهلالي.

وبجانب الإباضية لازالت جماعات مسيحية في بعض مدن الأوراس في القرن الرابع الهجري. بكل من طبنة وبنطيوس ودوفانة ومولدين وأفارقة[4]. هذه الأقليات كانت تقطن خاصة في المواقع الدفاعية التي أسسها البيزنطيون وتكون الدولة الأغلبية قد استفادت منها[5]. يفصل اليعقوبي الذي زار إفريقية خلال إحدى رحلاته العديدة، والتي تكون على الأرجح فيما بين 276هـ- 296هـ/ 876م-896م وجمع معلوماته في حدود سنة 278هـ/891م، طبيعة الحدود الهشة الغربية للإمارة الأغلبية، والعلاقات المتوترة بين السلطة وجماعات هذه المدن والحصون قبل أن تكتسحها قوات الداعي أبي عبد الله الشيعي، ويذكر نماذج من هذه المدن الحدودية التي كانت في خلاف دائم مع الأغالبة، فسكان مدينة باجة "قوم من البربر يقال لهم وزداجة ممتنعين لا يؤدون إلى ابن الأغلب طاعة"[6]. أما عن سكان بلزمة من بني تميم ومواليهم "قد خالفوا على ابن الأغلب في هذا الوقت"[7]. الوقت"[7]. وبالقرب من مدينة مقرة توجد مجموعة من الحصون المجاورة "بها قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة خالفوا على ابن الأغلب، وظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم"[8].

الحدود الأغلبية كانت مهيأة قبل قدوم اليعقوبي للانهيار أمام الزحف الإسماعيلي بسهولة ودون مقاومة تذكر من طرف الإمارة الأغلبية، هذا التراجع الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

---

[1] Virginie Prevost. « La formation des réseaux ibadites nord-africains (VIII-XII siècle) » .dans *Espaces et réseaux en Méditerranée 5e -15e siècle volume2*la formation des réseaux. Bouchane. Paris. 2010. p. 186.

[2] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIII^{e}-XIV^{e} siècle) », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 132, (2012), p.118. 128.

[3] Allaoua Amara, *ibid*, p. 119, 123.

[4] حول مجموع هذه الحواضر والأدوار التي قامت بها في العصر الوسيط المبكر ينظر. الطاهر طويل. المدينة الإسلامية في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس. دار المنتصدر. الجزائر. 2011. ص 100- 123.

[5] Allaoua Amara. « L'islamisation du Maghreb central 7e 11^{e} siècle », (2001). p. 115.

[6] اليعقوبي. البلدان. ص 188.

[7] المصدر نفسه. ص 190.

[8] المصدر نفسه. ص 191.

فقد قام محمد الثاني (أبو الغرانيق) 250هـــ261هـــ/ 864م 875م) بعدة حملات عسكرية حتى تظهر قوة الأمير ويحافظ على نفوذه خاصة في المناطق النائية، ولا شك أن هذه العمليات كانت جزءا من الطرق العادية للحكم[1]. وشهدت المنطقة في أقل من ستة سنوات مجاعتين متتاليتين؛ "ففي عام 260هـــ/ 873م كانت المجاعة العامة بالمشرق والمغرب، والوباء والطاعون"[2]. وبعد ستة سنوات في 266هـــ/ 879م، "كان القحط العظيم والغلاء المفرط بإفريقية"[3]. وبعد عامين في سنة 268هـــ/ 881م تعرضت منطقة الزاب لنوع من أنواع الحكم الرهيب الذي تميز به الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد (261هـــ- 289هـــ/ 874م- 902م)، الذي فتك بهم "فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحفر، فألقوا فيها"[4]. لقد تملكت هذا الأمير شهوة القتل والتي لم تسلم منها حتى بناته وأقرب الناس إليه، من الخدم والحجاب والفتيان. غير أن أخطر أعمال هذا القتل والذي سيعجل بزواله هو ذلك الذي تعرضت له حامية بني تميم عام 280هـــ/ 893م، التي كان يتوجس منها الأخطار. ويورد ابن عذاري المراكشي هذه العملية، ويقول أن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب "كان قد حاربهم واستقدم منهم إلى مدينة رقادة نحوا من سبعمائة رجل[5] من أبطالهم، فأنزلهم، ووسع عليهم، وبنى لهم دارا كبيرة تشتمل على دور ترجع إلى باب واحد، وأسكنهم فيها. فلما سكنوا واطمأنوا، جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم، ثم أمرهم بمصاحبة ابنه عبد الله لما أمره به، فلما اجتمعوا اليه، ركب إلى دار البلزميين في الجند، فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم إلى وقت العصر"[6].

تعود هذه السياسة إلى حرص الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني، من خلال قتل أبناء قبيلته التميميين (ينتمي فرع بني مالك التميميين إلى بطن[7] من بطون تميم)، على إبادة آخر من تبقى من الجند العربي الذي حافظ على

---

[1] النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق. مصطفى أبو الضيف أحمد. دار النشر المغربية. المغرب. 1985. ص 273. محمد الطالبي. الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي. 184-296هـــ/ 800-909م. تعريب. المنجي الصيادي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط02. 1995. ص 293.

[2] ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج 1 ص 116.

[3] المصدر نفسه. ج .1 ص117.

[4] المصدر نفسه. ص 119.

[5] تختلف المصادر في تقدير عدد المتوفين؛ فنجد عند ابن عذاري هو 700. لكن باقي المصادر تقول أنهم 1000. محمد الطالبي. الدولة الأغلبية. هامش رقم 2 ص 328.

[6] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 123.

[7] البطن هو شكل مجتمعي يحيل إلى الطبقة الرابعة من طبقات الأنساب على المشهور. وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة. والبطن تجمع أفخاذ. أما تعريف الفخذ: فهو الطبقة الخامسة من طبقات الأنساب على المشهور وهو ما انقسم فيه أنساب البطن. فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. العشيرة بين التقليدي والحديث. منتدى المعارف. بيروت. 2015 ص 24.

على سلامة خصاله الحربية، وكثرة رجاله، واعتزازه بقبيلته والتحامه بها... فمقتل جند حصن بلزمة الذي كان أصحابه العرب يسيطرون على كتامة من البربر، وكان يشرف على بلادهم، قد فتح في الناحية الغربية من إفريقية ثغرة واسعة في الجهاز الدفاعي الأغلبي[1]. حتى أن ابن عذاري يرى أن ذلك "من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب؛ إذ كان أهل بلزمة في نحو من ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كتامة، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعي على بني الأغلب"[2].

لم تتوقف آثار هذه المجزرة في حق الجند التميمي التي قام بها إبراهيم وابنه على تراجع حصن بلزمة وإغرائه الكتاميين على التوسع شرقا. بل كان لها آثار على كامل إفريقية، خاصة "أهل تونس والجزيرة والأربس وباجة وقمودة" الذين تمردوا على سلطة إبراهيم بن الأغلب لأنه "أخذ عبيدهم وخيلهم، وجار عليهم، فصارت إفريقية عليه نارا موقدة، و لم يبق بيده من أعمالها إلا الساحل والشرق إلى طرابلس"[3]. وفي عام عام 286هـ/ 899م ثار بنو بلطيط[4] لأسباب لم يوضحها أي مصدر ولربما كانت ثورة ذات صبغة جبائية، اكتست هذه الحركة أهمية ما لأن الأمير عجل بإرسال ابنه العباس إلى عين المكان[5].

إن تطابق هذه المعلومات تساعد على التأكيد على ضعف النظام الدفاعي في غربي المملكة. وعلى تفسير سقوطه السريع[6]. وسمحت للسلطة الفاطمية السيطرة على أغلب حواضر الأوراس، وهذا في الوقت الذي كانت المنطقة تتهيأ للثورة على الواقع الجديد، إذ لا ننسى أن خط المقاومة ورفض هيمنة الآخر لا زالت متقدة لدى الكثير من الجماعات النكارية التي ستعمل على استمرارية مسالك الدين عند الجماعات الإباضية المنتشرة في مناطق كثيرة من الأوراس خاصة القسم الشرقي الممتد إلى مجال بلاد الجريد شرقا والممتد إلى مناطق الواحات بالجنوب.

---

[1] فرحات الدشراوي . الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 35- 36.

[2] ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج1. ص 123.

[3] المصدر نفسه. ج1. ص 123.

[4] المصدر نفسه. ج1. 131.

[5] محمد الطالبي. التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 333- 334.

[6] فرحات الدشراوي. المرجع السابق. ص 27.

لقد كانت هذه المنطقة على تخوم إقليم الزاب الذي يشرف على مساحات واسعة من جبل الأوراس، وسيصبح هذا الإقليم من أهم المقاطعات الفاطمية، حيث موقعه يسمح بالمراقبة ما بين القيروان وجبال الأوراس، هذا الأخير الذي سيصبح ملاذا لحركات التمرد[1].

وكانت قد لعبت بالفعل دورا هاما في تاريخ المغرب الإسلامي في ظل الفاطميين، حتى قبل تأسيس الخلافة الفاطمية، حيث كان دعاة المذهب قد استقروا شرق كتلة جبال الأوراس في تجمعات الاباضية لهوارة ومزاتة.

6- شرق الأوراس:

أ- بذور التشيع وفشل سياسة احتواء الفاطميين للجبل.

يرى محمد الطالبي أن الحدود الغربي للدولة الأغلبية كانت مائعة ومسامية؛ إذ كانت قائمة لصد الهجمات والتعديات، فلم تكن تعترض على المرور ولا حتى على التسلل، فكانت تهتم بالبضائع أكثر من اهتمامها بالأشخاص، ويبدو أنه حتى الأفراد المراقبين والملاحقين، مثل الذي اشتهر باسم عبيد الله المهدي كانوا يتنقلون فعلا بلا موانع ولا إزعاج، خاصة إذا ظهروا بمظهر التجار الوديعين أو المسافرين المسالمين[2]. فقد استغلت الدعوة الإسماعيلية هشاشة الحدود التي كانت عليها وأرسل الامام جعفر الصادق إثنين من الدعاة لبلاد المغرب، أبا سفيان والحلواني، اللذين استقرا في شرق الأوراس 145هـ/ 762م، تحديدا في مرماجنة والأربس، وبعد قرن ظهر أبو عبد الله الداعي[3].

نجح قدوم أبي عبد الله الداعي في استغلال جغرافية المنطقة كمجال جغرافي مهيأ للدعوة وأيضا كمجال قبلي كان مستعدا لتبني دعوته التي تسمح لكتامة أن تفوز بالملك الذي لطالما حلمت به، وسعت إليه من أجل التخلص من هيمنة قبيلة بني تميم عليها. فكان إقليم كتامة الهامشي تحيط به سلسلة الأوراس الغربية،

---

[1] Allaoua Amara, « Les Fatimides et le Maghreb central, littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée,* 139, (2016). p. 116 117.

[2] محمد الطالبي. التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 148.

[3] Allaoua Amara. « Les Fatimides et le Maghreb central. p. 108.

الحلواني وأبي سفيان كانا ممهدين للداعي فقد أورد القاضي النعمان بن حيون مؤرخ البلاط الفاطميين الاحداث في كتابه المؤلف سنة (ت 346هـ/ 957م) ونقلها ابن الأثير (ت630هـ/ 1234) كما هو محتمل عن الرقيق (ت بعد 418هـ/ 1027م). وابن شداد (ت بعد 600هـ). والنويري (ت732هـ/ 1332م) وابن خلدون (ت808هـ/ 1406م) والمقريزي (ت846هـ/ 1442. في كتابه اتعاظ الحنفا وخلافا لذلك لم يذكر ابن عذاري الحلواني ولا أبا سفيان قط. و لم يذكرهما ابن حماد (ت628هـ/ 1231م.) كذلك في أخبار ملوك بني عبيد. محمد الطالبي. التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 652 653.

فضلا عن كونه يتمتع بتضاريس معقدة هو الآخر، وموقعه الطرفي المجاور للهضاب الشرقية والتل الأعلى الذي اتخذه ممرا له إلى إفريقية. يقع هذا الإقليم على الحدود الغربية والشمالية للأوراس، وكانت جماعات كتامة تشكل حزاما إثنيا من مجموعات من السكان الذين سيشكلون القاعدة العسكرية للدولة الناشئة والتي ستقوض أركان أغلب الدول ببلاد المغرب؛ هي كتامة جماعات ذات المجال الطرفي والجبلي أيضا، وكانت هذه الجماعات على استعداد لاحتضان الدعوة والتجنيد من أجل للدفاع عنها ونشرها.

فالتنظيم الدعوي الفاطمي توجه إلى المجالات الريفية والبعيدة عن المراكز الحيوية مثل منطقة كتامة ليتخذ من الوضع الاجتماعي سببا للاحتجاج على السلطة العباسية، قدم التنظيم الدعوي البرنامج البديل المتمثل في المشروع الإسماعيلي، وكانت كتامة الأرض والجماعات هي التي حقق بها التنظيم الدعوي برنامجه[1].

وهذا بعدما ساعدته السياسة الأغلبية على حدودها الغربية؛ حيث عملت على إضعاف أغلب الحواضر والحصون بغرب وجنوب غرب الأوراس والتي كانت بها حاميات أغلبية متمركزة بها. وكان من أبرز هذه الأعمال تلك التي شهدتها حامية بلزمة عام 280هـ/ 893م.

كما ينجح في استغلال انتشار الاختلافات وتنوع الولاءات بين القبائل البربرية، هذا الاختلاف الذي كان منتشرا حتى بين القبيلة الواحدة؛ إذ يسأل الداعي الشيعي شيوخ كتامة "فأنتم قبيل واحد؟ قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثم نفترق قبائل وأفخاذا وبيوتات. قال: فبعضكم ناء من بعض؟ قالوا: ما بيننا كثير تباعد. قال: فأمركم متفق؟ قالوا لا. فنحن نحن نحارب بعضنا ثم نصطلح بعد القتل ويصالح القوم منا قوما ويحاربون آخرين. كذا دأبنا"[2]. وفي نفس السياق سيستغل عبد الله الداعي علاقة الكتاميين مع الأمراء الأغالبة المتردية، سعيا منه للاطمئنان لجانبهم فكان ردهم عندما سألهم: طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم؟ فقالوا: ما له علينا من طاعة ولا حكم أكثر من أنا نقول له سلطان"[3].

ب- كيف يمكن أن نسجل التحولات التي طرأت على المنطقة من خلال مدينة باغاي؟

طيلة القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي، لا يزال قسم كبير من الأوراس تحت سلطة الأغالبة بالقيروان، حيث كانت هذه المنطقة غنية بالحصون والقلاع التي ورثتها عن الفترة القديمة والتي لا تزال تؤدي

[1] بوبة مجاني. "الاتجاهات الفكرية للمدرسة الإسماعيلية في مرحلتها المغربية. 260- 362هـ. 973. 909م". حوليات التاريخ الوسيط. (2001). ص 11.

[2] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة. تحقيق. وداد القاضي. دار الثقافة. بيروت. 1970. ص 65- 66.

[3] المصدر نفسه. ص64.

أدوارا دفاعية. فقد بقيت باغاية كحصن هام لمراقبة الزاب وحماية الطرق نحو إفريقية، بعد ذلك نجد ابن حوقل يتحدث عن باغاي كمدينة مزدهرة في الغلات الزراعية، فهي "كبيرة عليها سور أزلي من حجارة ولها ربض عليه سور... ولهم من البساتين الكثير... وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير"[1]. ولا يزال حصن بلزمة يراقب أهم مجال سيكون سببا في انهيار الإمارة الأغلبية؛ مجال تسيطر عليه جماعات كتامة والتي ستقلب الأوضاع جذريا بعد تمكنها من الملك. وستكون هذه الجهة هي نقطة الضعف الأغلبية التي يستطيع عبد الله الشيعي من السيطرة عليها، و عبرها سيتوسع أنصاره نحو "رقادة".

ج- محور التغلغل الإسماعيلي.

شكل أنصار عبد الله الداعي حركة انتشار سريعة على أطراف الأوراس الذي كانت تحيط به مجموعة من الحصون الأغلبية، والتي كانت تتحين الفرص للتخلص من السلطة التي ما لبثت تفتك بالحاميات التي كانت تتوجس منها كل الأخطار. وقد إعتمدت الجماعات الموالية لأبي عبد الله، على الإطاحة بهذه الحاميات بتهديم الحصون وتخريب المدن، وقتل المعارضين، وحرق المزارع والمحاصيل في مواسم الحصاد. والملاحظ على هذه الحركة أنها إستغلت حالة التململ الحاصل بين العاصمة رقادة وأطرافها، هذا التشنج سهل من سرعة سقوط هذه الحصون الغربية للإمارة الأغلبية بدءا بميلة التي تعرضت لإغارة أنصار الداعي إنطلاقا من قاعدة تازروت؛ فقد انظم إلى أبي عبد الله رؤساء القبائل وعامة لطاية، وتغلب على أرباضها ودخل إلى الحصن، "وبعد أن طلبوا الأمان أمنهم أبو عبد الله، وولى عليها أبا يوسف ماكنون بن ضبارة الأجاني وهو عم أبي زاكي وانصرف إلى تازروت بالعساكر"[2].

وكانت الخطوة التالية هي السيطرة على الحصن القريب من ميلة وهو سطيف، فجمع قواته وبعد حصاره أربعين يوما، نجح بعد ذلك في السيطرة على الحصن وتغلب على علي بن عسلوجة الذي تغلب عليه "وإحتصر في الحصن فمات هو وأخوه أبو حبيب جميعا في أيام قليلة، فلما ماتا إنحل أمر سطيف.... ففتحوا أبوابها ودخل الأولياء إليها، وقتل من استحق القتل بها وهدم سورها... وانصرف أبو عبد الله إلى إيكجان"[3].

---

[1] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84.

[2] القاضي النعمان. افتتاح الدعوة. ص 134 135. ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج1. ص 147. عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار. تحقيق. محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1985. ص 108.

[3] القاضي النعمان. المصدر نفسه. ص 145 – 147. إدريس عماد الدين. المصدر نفسه. ص 115.

إن نجاح الداعي في السيطرة على حصنين قريبين لدار الهجرة بإيكجان شجعه على المزيد من التوسع إلى طبنة والتي حاصر سكانها، وهدم سورها، و لم يقاتل الطبنيون وفضلوا الإستسلام "واستعمل أبو عبد الله يحي بن سليمان على طبنة وانصرف بالعساكر إلى إيكجان، ومضى معه بأبي المقارع وأصحابه وأنزلهم بإيكجان[1].

لم يكن الانتصار التالي سهلا للداعي على بلزمة التي كان "يخرج إليهم العساكر في أوان زراعتهم فتأتي عليها، فعل ذلك بهم ثلاث سنين حتى انقطع الطعام من أيديهم"، وبعد الحصار لجأ أصحاب الداعي "فأحرقوها و لم يصل إليهم إلا من شدة الجهد وغلبة الجوع عليهم، فإنه قد أقام عليهم حتى نفذ ما كان بأيديهم وأكلوا كل ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها، ثم لما نفذ ذلك كله عادوا إلى درقهم فكانوا يقطعونها ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها إلى أن غلب عليهم الجوع فاستأسروا. وافتتحها أبو عبد الله عنوة فقتل من بقي بها من المقاتلة.. وغنم العسكر ما وجدوا بها من الأثاث والأمتعة وغير ذلك، وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهدم، وإنصرف إلى إيكجان"[2].

غير بعيد عن بلزمة كانت دار ملول قد دخلت في طاعة أبي عبد الله، فقام هارون بن الطبني الذي أرسله زيادة الله على رأس جيش من اثني عشر ألفا بين فارس وراجل، "فخرج إليهم بجميع من كان معه فقتلهم وهدم حصنهم وانصرف. فلما صار بفحص الرماح أشرف غزوية من جبل بلزمة، وكان أبو عبد الله قد بعثه في ألف فارس إلى ناحية بلزمة لما اتصلت به أخبار هارون بباغاية، و لم يكن عند غزوية وأصحابه علم من خروج هارون إلى دار ملول، فلما رأوا العساكر في فحص الرماح وقفوا وصفوا على الخيل، ونظر إليهم هارون وأصحابه، فوقعت فيهم نفرة وتصايحوا: الجبل الجبل يعنون أوراس نجعله خلف ظهورنا فإن كان علينا أمر تحصنا به وإن كان لنا اتبعنا العدو بطول الفحص... انتهت المعركة و.... فما يحصى ما قتل منهم، ... وانصرفوا إلى أبي عبد الله بفتح لم ير مثله، ومن الغنائم والأموال ما لا يحصى عدده، و لم يصل إلى باغاية من أهل إفريقية إلا أقلهم، وقتل أكثرهم، ولحق من كان من أهل القبائل بقبائلهم[3].

لقد استطاع أبو عبد الله الداعي بفضل هذه المكاسب أن يبث الخوف في نفس الأغالبة والسكان الذين أصبحوا يترقبون وصول جيوشه إليهم، لذلك استطاع أتباع الداعي دخول تيجس "صلحا فلم يعرضوا

[1] القاضي النعمان. المصدر نفسه. ص 160، 161، 163. إدريس عماد الدين. المصدر نفسه. ص 118.

[2] القاضي النعمان. المصدر نفسه. ص 164- 165. إدريس عماد الدين. المصدر نفسه. ص119.

[3] القاضي النعمان. المصدر السابق. ص 166- 167. إدريس عماد الدين. المصدر السابق. ص 120.

لأحد من أهلها بمكروه وانصرفوا[1]. وتوالت عمليات اختراق الحصون الأغلبية الغربية، التي لم تصمد طويلا أمام هذا الزحف.

أما باغاية فقد اتصلت جماعة منهم بأبي عبد الله "وكاتبوا أهلها وحركوا أبا عبد الله على المسير إليها، وأتوه بكتب من كاتبوه من أصحابهم فيها أنهم يريدون مجيئه وإن جاء سلموا لأمره، فزحف في عساكر كثيرة، فلما قرب منها اتصل بالعامل مكاتبة من فيها من أصحابهم، وخاف أن يقبضوا عليه، فهرب إلى الأربس، وخرج جماعة من وجوه أهل باغاية فتلقوا أبا عبد الله وسألوه الأمان فآمنهم، ونزل عليها ودخل عسكره فتسوقوا بها وأقاموا أياما. واستعل عليها ماكنون بن ضبارة الأجاني عم أبي زاكي، وترك معه بها رابطة، وانصرف أبو عبد الله إلى إيكجان، وأقام أبو يوسف بباغاية ومعه بها خمسمائة فارس، وإتصل الخبر بزيادة الله واغتم، وخاض أهل إفريقية فيه وكثرت الأشانيع[2].

في مرحلة السيطرة الإسماعيلية على المنطقة وبعد افتتاح باغاية، تعرضت مجانة إلى حملتين متتاليتين لجيش أبي عبد الله الداعي الذي انتهب المدينة وقتل الجند والسكان. فقد "أرسل أبو عبد الله جيشا إلى مجانة التي كان عليها "خفاجة العبشي" عاملا لزيادة الله. "فأخرج أبو عبد الله خيلا مجردة تنقاها نحو ألف فارس، وقدم عليهم أبا مديني، وأمرهم بالوصول إلى مجانة، فأخذوا على باغاية وخرجوا منها يريدون مجانة، فلما قربوا منها خرج عليهم خفاجة فيمن معه من الرابطة مع اهل مجانة فقاتلهم بقرب المدينة إلى أن حجز بينهم الليل، فدخل المدينة ونزل الأولياء على وادي مجانة فباتوا، فلما أصبحوا أتوا المدينة ... فساروا إلى ناحية قلعة مجانة فانتهبوا تلك المنازل وانصرفوا إلى أبي عبد الله بايكجان"[3].

استعادت مجانة في الربع الثالث من القرن 10م/ 4هـ بعض الإزدهار، ويقول عنها ابن حوقل "مجانة ذات سور من طابية، وهي كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب، ولهم واد غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحة"[4]. تستمر مجانة في الإزدهار رغم وقوعها في

---

[1] القاضي النعمان. افتتاح الدعوة.. ص 168 – 170. إدريس عماد الدين. تاريخ الخلافة الفاطمية. ص 120.

[2] القاضي النعمان. المصدر السابق. ص 181– 182.

[3] القاضي النعمان. المصدر نفسه 185 186. وتبعت هذه الحملة الأولى حملة ثانية مباشرة حيث كلف عبد الله الشيعي نفس القائد أبا مديني "وأمره أن يقصد مجانة. فلما انتهوا إلى باغاية اتصل بهم أن أهل مجانة تقلعوا إلى قلعة بسر فأخذ أبو مديني بالعسكر إلى [تبسى] ثم إلى ناحية مجانة، وكان خفاجة بمجانة في الخيل التي معه بمجانة، ورجال مجانة على خيولهم، ورفعوا الأموال والعيالات والضعفاء إلى القلعة، .... فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل خفاجة العبسي وجماعة معه ولجأ الباقون إلى القلعة وقتل منهم دونها بشر كثير واجتزت رؤوسهم مع رأس خفاجة، وانصرف العسكر إلى ابي عبد الله فوصلوا إلى ايكجان" افتتاح الدعوة ص 186– 187.

[4] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 84.

مجال مضطرب شهد الكثير من التراعات والتوترات. ونجد البكري يقدم لنا شهادة عن ذلك إذ يقول أنها " كبيرة عليها سور طوب، وبها جامع وحمامات ومعادن كثيرة"[1]. وقد إستمر التاريخ الاقتصادي لموقع مجانة ومجالها الذي لا يزال معروفا إلى اليوم بأهميته في التعدين، حيث تتكون الجبال المحيطة بها مثل: جبل الكويف، جبل بوجابر، جبل الونزة، وهي مطابقة لهذه الأوصاف الجغرافية[2].

- **تيفاش (Tipasa)**

من الحواضر التي لا نجد لها ذكرا في المصادر المبكرة لمرحلة الفتوح الإسلامية[3]. وكانت في العهد الأغلبي تشكل واحدة من الكور، وكان عليها إسحاق بن أبي سلاسل عاملا لزيادة الله. يظهر دور تيفاش مع وصول الطلائع الإسماعيلية لغرب إفريقية. بعد توالي سقوط الحاميات الأغلبية في يد قوات أبي عبد الله الداعي الذي وصل تيفاش التي لم تقاومه وإنظم إليه إسحاق بن أبي سلاسل لما رأى أن الأغالبة لم ينجدوه، "واتصل الخبر بزيادة الله، فندب إلى الخروج إليها جماعة ليوليهم إياها فتعافوا، وذكر له رجل من أهلها يقال له حبيب بن ليفة، فكتب إليه بالولاية وبعث إليه بصلة وخلعة فقبل وتولى أمر تيفاش"[4].

أرسل أبو عبد الله الداعي حملة ثانية لتستولي على تيفاش بقيادة صولات بن القاسم السكتاني "وكان من الدعاة وكان عدة من خرج معه خمسمائة فارس فاتصل الخبر بحبيب بن ليفة فخرج هاربا إلى الأربس إلى ابن الأغلب، ووصل صولات إلى تيفاش فتلقاه أهلها واستأمنوا اليه فآمنهم ودخلها وأقام بها"[5].

وهنا ستلتحق قالمة بالمدن التي أصبحت بيد الجماعة الإسماعيلية، فبينما هذا القائد صولات بن القاسم بتيفاش "أتاه خلفون بن مهدي من أهل قالمة فسأله الدعوة فدعاه وكان مقدم قالمة وسأله الأمان لأهلها فآمنهم"[6].

ازدادت القبائل الخاضعة والمدن والحصون التي أصبحت تحت سلطة الجماعة الإسماعيلية بشمال الأوراس، ومن أجل التحكم في هؤلاء لجأ عامل تيفاش صولات بن القاسم إلى تجميع شيوخ القبائل وزعمائها

---

[1] البكري. المسالك والممالك ج2. ص 229.

[2] Paul-Louis Cambuzat, *op, cit*, p. 139 140 141 142. Yassir Benhima. Pierre Guichard *op, cit*. p.105.

[3] Stéphane Gsell, *Atlas archéologique de l'Algérie*, f18. 391.

[4] القاضي النعمان. المصدر السابق. ص 188.

[5] المصدر نفسه. ص 188– 189.

[6] المصدر نفسه. ص 189.

"وأمر جميعهم برفع بيوتاهم إلى إيكجان، واستقام له أمر الناحية"[1]. هذه السياسة التي سيتبناها بعد ذلك المهدي اتجاه العديد من القبائل التي كانت يخشى أن تشكل خطرا على المهدية. غير أن الأغالبة استطاعوا بعد ذلك السيطرة على تيفاش التي زحفوا عليها ب 12000 فارس وأمر أبو عبد الله الشيعي صولات ومن معه بالعودة إلى إيكجان.

لم يجد سكان الكثير من المدن غير الهروب أمام الجيش الغازي ولجأوا إلى التحصن بحيدران فرارا بجلودهم بعدما بدأت حملة قادها أبو عبد الله الداعي نفسه، حيث خرج "في احتفال من العساكر فوصل إلى باغاية وسار حتى أتى مسكيانة، ثم مال إلى تبسة وخرج منها فأتى [حيدرة] وهي حصن حصين، فأصاب بها بقايا أهل قصر الافريقي وأهل مجانة والقلعة وتبسة ومرماجنة، وأخلاطا من الناس قد أووا اليها وتحصنوا بها ... فأحاط بهم العساكر من كل جانب يسألون الأمان، فأعطاهم الأمان بعض العساكر من قبل نفسه، ففتحوا لهم الباب، فلما دخلوا عليهم وتوسطوا المدينة وضعوا السيوف على من فيها وانتهبوها.."[2]. واستكمل الحملة "فنزل على قصرين من قمودة واحتصر أهلها وسألوه الأمان فأمنهم. يمكن أن هذه الأحداث كلها بين 293 إلى 295هـ/ 905- 907م. ثم العودة مرة أخرى للسيطرة على باغاية في عام 296 هـ/ 908م مسكيانة، وادي مجانة مرماجنة شقبنارية الأربس رقادة جمادي الثاني 296هـ/ 908م[3].

نجح الداعي في كسب المزيد من المؤيدين واعتمد على نظام استخباراتي على كل إفريقية، حيث "كان يرسل إلى إفريقية قوما يأتونه بالأخبار لا يقطع ذلك عنه، فقيل كان لا يمر يوم إلا وعنده منها خبر"[4] وأصبحت الجماعات المناصرة له تشكل جيشا وكانت المدن والحصون القريبة من باغاية تتساقط الواحدة بعد الأخرى أمام ضعف الأمير الأغلبي الذي لم يجد غير اللجوء لندمائه حيث أشار عليه ابن الشنيم بأن يريح نفسه من هذا الغم بالمزيد من اللهو والشراب والعزف، وكان ذلك يستعمل عند كل حادث يطرأ عليهم من أبي عبد الله[5].

وقبل الوصول إلى القيروان، استولى الداعي على تيفاش ثم حيدرة التي آوى إليها الكثير من سكان المدن المدن المجاورة لها، فمن "باغاية سار حتى أتى مسكيانة، ثم مال إلى تبسة وخرج منها فأتى حيدرة، وهي

[1] القاضي النعمان. افتتاح الدعوة.. ص 190.
[2] المصدر نفسه. ص 191- 192.
[3] المصدر نفسه. ص 201- 202.
[4] المصدر نفسه. ص 140.
[5] المصدر نفسه. ص 184- 185.

حصن حصين، فأصاب بها بقايا أهل قصر الإفريقي وأهل مجانة والقلعة وتبسة ومرماجنة وأخلاطا من الناس قد أووا إليها وتحصنوا بها فنزل عليها واصابته علة شديدة من الحصاة التي كانت تعتريه، فاشتغل بنفسه، وأغلق أهل حيدرة أبوابهم ووقفوا على السور، فأحاط بهم العساكر من كل جانب يسألون الأمان، فأعطاهم الأمان بعض العسكر من قبل نفسه، ففتحوا لهم الباب، فلما دخلوا عليهم وتوسطوا المدينة وضعوا السيوف على من فيها وانتهبوها، فبلغ ذلك أبا عبد الله فاغتم ..[1].

د- فشل الفاطميين في السيطرة واحتواء الأوراس.

توجت هذه التوسعات بإعلان قيام الخلافة الفاطمية وسقوط الأغالبة رسميا، وكان نصيب الأوراس من هذه التغييرات واضحا، فقد لجأت الخلافة الفاطمية إلى إعادة تنظيم المجال بإعادة توزيع الأرض، وكان الهدف هو إرضاء المهدي لعسكره من كتامة؛ فصادر الإقطاعات المملوكة للأسر الحاكمة ورجال إداراتها، وكذا ضياع الفقهاء وأراضي الحبوس. وقسم شريحة منها – عرفت بالسواقي- على رجالات الدولة وقواد العسكر الصقلبي[2]. وهم الذين أعانوه في فتوحاته بالمغربين الأوسط والأقصى كي يحد من نفوذ كتامة، كما استعانت السلطة الفاطمية بالعبيد من السودان والصقالبة، ووزعتهم على العمال، وأصحاب الخراج[3].

ومن أجل القضاء على بقايا المعارضة في بعض الجهات، حرص الخلفاء الأوائل على استتباب الأمن والهدوء في كامل البلاد وإصلاح الوضع المتردي الناتج عن تفكك الدولة الأغلبية[4]، وكان همهم الأكبر هو فرض سلطتهم على الإباضية بجبال الأوراس، ووقف تهديدات القبائل، قبائل غربي المغرب خاصة متمردي زناتة بقيادة زعيمهم محمد بن خزر[5]. ونتيجة اضطراب المغرب الأوسط عام 315هـ/ 927م التي أحدثتها زناتة "أمر

---

[1] االقاضي النعمان. افتتاح الدعوة. ص 191- 192.

[2] ابن الأثير المصدر السابق .ج8 ص 8، 18، 24.

[3] أعطيت لجوذر ضيعة من إقطاع المهدي، واعترض عليه عامل المنطقة (حمزة بن صلوك) واشتكى منه للخليفة الذي أمر العامل بالإحسان له أن لا يعترض لمنازل جوذر بسبب من الأسباب. الجوذري، أبوعلي منصور: سيرة الأستاذ جوذر. تح محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر. ص 99. ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 238- 139. محمود إسماعيل سوسيولوجيا الفكر الإسلامي. طور الازدهار 01. الخلفية السوسيو- تاريخية. سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي. بيروت. ط03. 2000. ص 119.

[4] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 184.

[5] ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج1. ص 161- 162. عماد الدين القرشي. عيون الأخبار. ص 180. أبو عبد الله محمد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تحقيق. جلول أحمد البدوي. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984. ص 23- 24. في شهر ذي القعدة سنة 297هـ وصلت قوات أبي عبد الله إلى طبنة حيث لقي أبا خزر الزناتي وانظم اليه الكثير من القبائل الرافضة للسلطة الفاطمية. ولم يستطيع الفاطميون القضاء على هذا القائد الذي فر هاربا مع جماعته الذين تفرقوا بالمنطقة. عماد الدين القرشي. المصدر نفسه. ص 178- 179.

"أمر أمير المؤمنين بالإستعداد وحشد كتامة وجنود إفريقية والعبيد وغيرهم، وخرج القائم بأمر الله في جيوش عظيمة... وسار حتى انتهى إلى الأربس فوافاه خليل بن إسحاق التميمي بعساكر إفريقية، وكان قد جمعهم إلى الأربس فبلغت عدتهم أربعين ألفا، وأتاه كتاب عامل تاهرت بذكر انهزام خزر حين سمع بخروجه وأنه ولى على وجهه، فشكر الله كثيرا...[1].

ولضمان السيطرة على الثروات لجأت السلطة الجديدة إلى نشر المراصد بمختلف المناطق، لمراقبة طرق التجارة الفاطمية واستخلاص الضرائب، وكان بإقليم الأوراس دار ملول التي كانت "مدينة قديمة فرزحت أحوالها وصارت مترلا[2] يترله المجتازون وفيها مرصد قديم على جميع ما يجتاز بها"[3]. وقد حرصت السلطة الجديدة على توسيع نفوذها غرب الأوراس لتشمل أغلب المغرب الأوسط، لذلك نجد أن المهدي لم يقدم على قتل الأخوين غزوية وحباسة إلا بعد أن أخضع له غزوية بلاد المغرب بحملة قادها على القبائل الزناتية التي تدين بالمذهب الخارجي وحملها على الخضوع للمذهب الشيعي، وهذه القبائل هي: لواتة، مكناسة، ازداجة، مطماطة[4]. وبهذه التصفية لبعض القيادات الكتامية يبدأ عهد القيادة الصقلبية في الجيش الفاطمي[5].

بعد المعارك التي شهدتها معظم مدن وحصون الأوراس في مرحلة الدعوة الفاطمية، والتخريب الذي لحقها، فشلت السلطة الجديدة في إعادة التوازن لهذا المجال الذي أصبح مدعوا في ظرف زماني قصير للدخول في مرحلة جديدة من الرفض والثورة على الوضع الجديد، فالخلافة الفاطمية ومن أجل التحكم أكثر في مجالها لجأت إلى تقسيمه لأقاليم أسندتها إلى رجال كتامة الأوفياء لها اعتمادا على قاعدة "الإستكفاء" في إدارة الاعمال، أي تمكين العمال من التمتع بسلطات مطلقة، فباعتبارهم الممثلين الشخصيين للخليفة كانوا يمارسون باسمه السلطة المطلقة في الأقاليم الموكلة إليهم، ويتصرفون بكامل الحرية ... بصلاحيات عسكرية وقضائية ومالية ودينية واسعة النطاق، وتتلخص عموما في حفظ النظام وجمع الضرائب[6]. وقد أثرت هذه السياسة في حدود الخلافة، خاصة الغربية منها؛ إذ لم تكن أغلب حملاتها تستهدف التوسع المجالي للسيطرة على الأرض بقدر ما كانت تعمل على تدعيم النفوذ السياسي، والسيطرة على مراكز حساسة تقع على مسالك تجارة

[1] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلافة الفاطمة. ص 215 216.

[2] حول تعريف المترل. أحمد الباهي سوسة والساحل. ص 330 – 337.

[3] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 85. ابن خلدون. ديوان العبر. ج7. ص 87. عماد الدين القرشي. المصدر نفسه. ص 265.

[4] ابن خلدون. ديوان العبر. ج7 ص 79. ابن الأثير. الكامل في التاريخ . ج6. ص 149.

[5] بوبة مجاني. دراسات إسماعيلية. مطبوعات جامعة قسنطينة. (2002)– 2003. ص 161– 162.

[6] فرحات الدشراوي. المرجع السابق. ص 470– 471.

الذهب والرقيق[1]. كما تركزت السياسة الجبائية الفاطمية على الريف بالدرجة الأولى فأرهقوا السكان بالضرائب، وتحصيل المال بشتى الطرق، وهي السياسة التي خلقت تذمرا واسعا بين مختلف القبائل سيكون لها مفعولها في نجاح أبي يزيد خلق جبهة واسعة من الثوار ضد الفاطميين في ثورته عليهم.

لذلك أصبح الأوراس محاطا بمجال يتحكم فيه الجباة الذين يفرضون الضرائب التي أصبحت تلاحق التجار أينما توجهوا في بلاد المغرب، تلك هي السياسة التي أدت إلى ردود أفعال كان بعضها قد هدد بوجود الخلافة في حد ذاتها، فالباحث في أسباب الإنتفاضات والثورات في العهد الفاطمي لا يمكنه تجاهل العامل الاقتصادي كسبب للكثير منها؛ فعندما خرج أبو يزيد النكاري حاجا كان يطالب بالضرائب في كل موضع يمر به مما جعله يقول: "ليس لله علينا أن نشتري حجة"[2]. وقبل ذلك عمل الفاطميون على تحصين المجال جنوب الأوراس (غرب إفريقية) حيث أقدم الخليفة أبو القاسم إسماعيل بعد ذلك على اتخاذ إجراءات تحصينية بتأسيس قاعدة عسكرية متقدمة في بلاد زناتة لتحميها من خطرها ومحاصرة المجالات المعادية، فأسس مدينة المحمدية "المسيلة" في سنة 315هـ/ 927م، وهي مدينة محدثة استحدثها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي أحد خدم آل عبيد الله وعبيدهم"[3]. والمدينة أسست على أرض قبيلة بني كملان إحدى فروع قبيلة هوارة التي تدين بالمذهب الإباضي النكاري، وقام بنقل بني كملان إلى فحص القيروان ليسهل مراقبتهم[4].

إن هذه الضرائب التي مست المجتمع لا شك أنها قد أثرت في أبي يزيد، وقد تكون قد مست أباه كذلك الذي كان تاجرا يختلف إلى بلاد السودان[5] بالتجارة على الرغم من عدم افصاح أبي يزيد عن ذلك لهذا لهذا أعلن ثورته على السلطة التي مسته جورها وشططها الضريبي فقام ليلغي هذه الضرائب عن الرعية[6].

ولذلك سيتحول الأوراس في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الهجري ميدانا لصراع وحروب أبي يزيد مخلد بن كيداد. والمقام ليس بصدد الحديث عن مجريات أحداث ثورة أبي يزيد[7] إنما نشير

---

[1] الحبيب الجنحاني. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1980. ص 160.

[2] أبو زكريا. سير الأئمة وأخبارهم. ص 116. عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 264- 267. فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 247- 249.

[3] ابن حوقل. المصدر السابق. ص 85 .

[4] بوبة مجاني. دراسات إسماعيلية. ص 162.

[5] المقريزي. المقفى الكبير . تحقيق محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1987. ص 220.

[6] بوبة مجاني. المرجع نفسه. ص 131.

[7] سنعود إلى هذه الثورة وانعكاساتها في فصل الجغرافيا المذهبية بالأوراس.

إليها في السياق العام لدور الأوراس في تلك الفترة؛ فقد شكلت هذه الثورة عاملا مهما أثر في مجال الأوراس العهد الفاطمي؛ فبعد تراجع أنصاره في المهدية، بدأت ملاحقة الخليفة المنصور بالله له، وقد سلكت هذه الجيوش مجال الأوراس الذي كان فيه الكثير من مؤيديه، حيث عبرت جيوش الفاطميين شرق جبل مستاوة في 334هـ/ 945م، بعد أن رحلت من بلاد سبيبة، ومرماجنة، ثم باغاية التي منها "سار إسماعيل فنزل بموضع يقال له "أبو جميل" ومنه إلى فحص طاقة، ومنه إلى مدينة بلزمة، ومنه إلى مدينة نقاوس، وإلى طبنة، فأقام بها أيايما كثيرة ..."[1]. ولا شك أن هذا المسار الذي يتكون من العديد من الحصون والحواضر قديم وقد إتخذته جيوش الفتح كأحد المسالك للعبور للمناطق الداخلية والغربية لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

أما المجال الثاني الذي عرف مواجهة حقيقية بين الخصمين فيتمثل في "فحص باتنة" فقد شهد "معركة الرؤوس" بين إسماعيل والخوارج النكارية. غير أن المشكلة التي تصادفنا أمام هذا الطوبونيم الذي يستخدم لأول مرة من المصادر الشيعية أو غيرها (في حدود إطلاعنا نجد أن هذا الطوبونيم "باتنة" يذكر لأول مرة في المصادر. وهذا إذا صحت كتابة الإسم، و لم يكن القصد هو مدينة "أذنة" التي أثيرت حولها نقاشات في موقعها) إذ أن موقعها القريب من المسيلة بمسافة 12 ميلا ينفي ذلك. ثم إن عظمة المدينة هذه يطرح سؤالا حول عدم ذكرها في مختلف المصادر الأخرى السابقة لا التاريخية ولا الجغرافية فقط.

المعركة جرت بين أبي يزيد بعدما أمر إسماعيل زناتة بالإغارة على سدراتة ليمنع مد أبي يزيد بالطعام والمؤونة التي كانت تأتيه من سدراتة وبنطيوس، "فتتوقف الناس عن المسير إلى أبي يزيد بالأطعمة، وكانت بين أبي يزيد وإسماعيل وقعة "بفحص باتنة" وباتنة هذه مدينة عظيمة خربت. بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا، قتل فيها من أصحاب أبي يزيد نحو عشرة آلاف بين راجل وراكب أكثرهم من بني كملان ومزاتة، ويعرف يوم هذه الواقعة بيوم الرؤوس، وانهزم أبو يزيد وعقر فرسه، وسقط على الأرض..."[2].

كل هذه الثورات التي صاحبتها حركات مستمرة للجماعات المؤيدة والمعارضة لطرف من الطرفين في الصراع سينتج عنها اضطراب في وضعية الأرض بإفريقية كلها وليس فقط في مجال الأوراس. وسينعكس هذا

[1] ابن حماد الصنهاجي. أخبار بني عبيد. ص 35- 36.

[2] جوذر. سيرة جوذر. ص 48- 49، ابن حماد الصنهاجي. المصدر السابق. ص 41- 42.

الاضطراب على النقاش الفقهي، وظهور الشقاق بين فقهاء المالكية والسلطة[1]، بعدما سعى الفاطميون إلى تغيير جغرافية التوطين بالنسبة للقبائل الموالية لهم أو تلك التي يخشى على خضوعها لسلطة الخليفة.

فقد شمل الترحيل الكثير من القبائل الثائرة أو تلك التي تخشى على ولائها للخليفة فكانت سياسة احتجاز الرهائن التي استخدمها الفاطميون مثلما حدث في عام 309هـ/ 921م، عندما قاد حملة لفرض الهيمنة على الأوراس واحتجزوا عشرات الرهائن من الأسر وكانت هذه السياسة نفسها التي طبقها أبو القاسم ابن الخليفة المهدي في 315هـ 927م، ضد هوارة الأوراس[2].

ففي عام 314هـ/ 926م ارتحل القائم ابن المهدي إلى باغاية سادس عشر من شهر ربيع الأول، فأقام بها بقية ذلك الشهر وشهر ربيع الاخر. ووافته هناك مزاتة وقبائل هوارة وصدينة وعجيسة وأكمل تيجس وقصر الافريقي وزناتة وغيرهم بحشودهم وأمرهم بمسير وجوه رجالهم بعيالهم إلى المهدي بالله وأن يسكنوا المهدية وانفذ الكتب إلى القبائل بالترغيب والترهيب، والتحذير لمن عصاه من بعيد وقريب... ثم رحل من باغاية يوم الخميس ... فنزل في أشراف مسيلة بني عيسى وانتهى إلى سطيف[3].

[1] Allaoua Amara . « L'organisation foncière du Maghreb central (VIIe -XIVe siècle) », *al Mawaqif, revue d'études et de recherches sur la société et l'histoire*. 5. (2010). p. 61- 62.

[2] Allaoua Amara. Les Fatimides et le Maghreb central. p. 117.

[3] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 216.

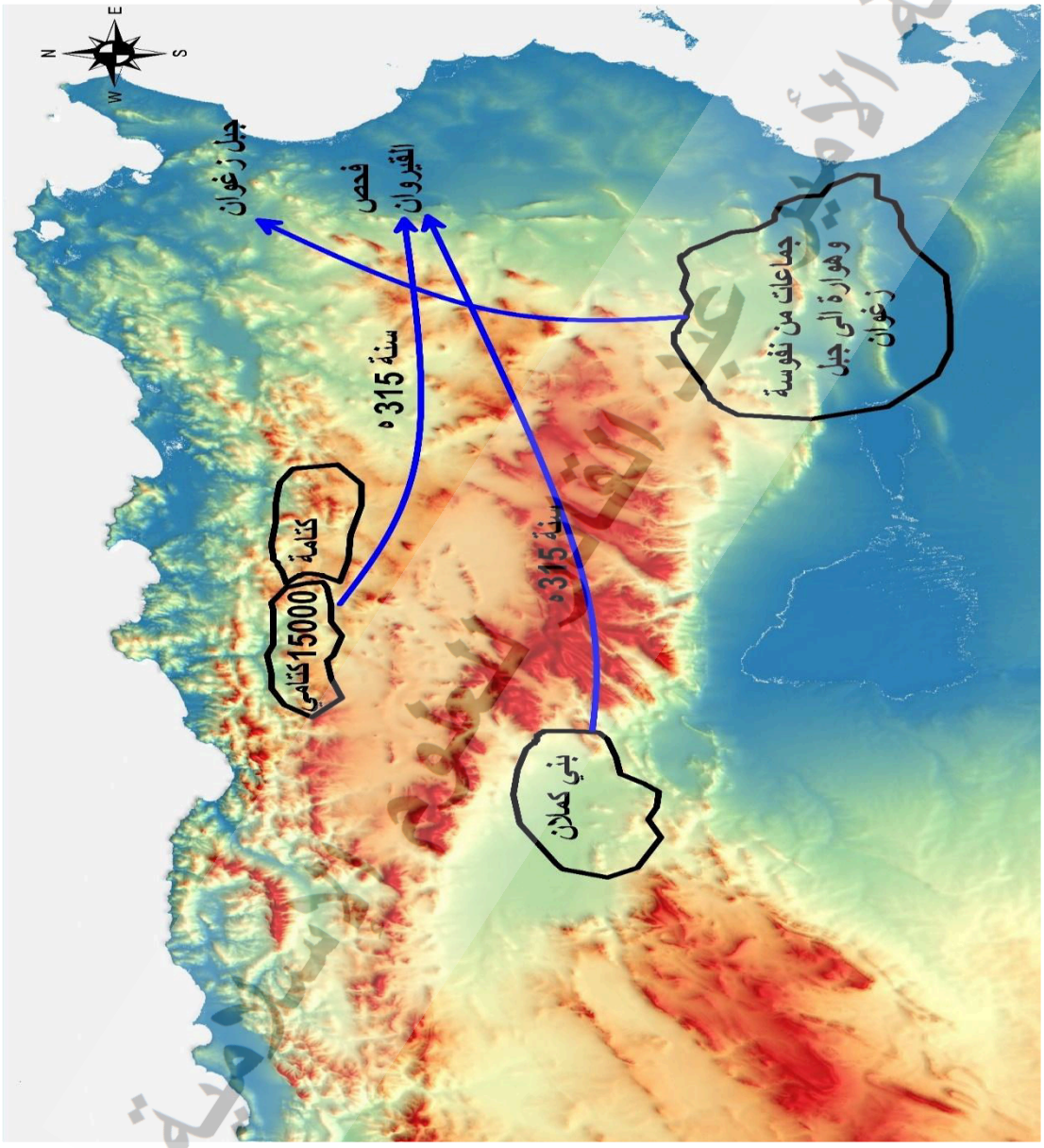

اتجاهات ترحيل القبائل في العهد الفاطمي

لقد أفرغ المهدي الأرض من سكانها وأعطى حكم هذه القاعدة إلى أبي عبد الله الأندلسي أحد كبار الدعاة الأوائل في بلاد المغرب، وسوف تعزز بقاعدة في أرض قبيلة صنهاجة وهي مدينة أشير وهذا في سنة 324هـ/ 935 936م. وعندما أسست قال القائم بأمر الله "مجاورة العرب لنا أفضل من مجاورة البربر.."[1]. (لأن الفاطميين اعتمدوا النسب العربي لزناتة..) إلا أن هذا التهجير لم يسمح للفاطميين من مواجهة صعوبات كبيرة للسيطرة على مساحة كبيرة كانت معادية لهم. فكان أن لجأ المهدي إلى أخذ رهائن من هوارة ومزاتة إلى المهدية، لكنه فشل في الأخير[2].

كانت شبكة الاتصال بين مختلف هذه الشبكات عبر ولاتها وعمالها المخلصين، فضلا عن القبائل الموالية لهم، والتي أنقذت نظام الخلافة من السقوط أمام أعدائها وخاصة التهديدات المتتالية من طرف أبي يزيد مخلد بن كيداد. و لم تكن الجوانب الجغرافية الطبيعية مستثناة من تلك العوامل؛ إذ أن إخضاع الأقاليم المتمردة يشكل أولوية قصوى للخلفاء الفاطميين فأسسوا الكثير من المدن لحماية هدا المجال.

وإذا كان الفاطميون قد فشلوا في السيطرة على الأوراس فإن أول خروج للمعز كان إلى جبل أوراس 342هـ/ 953م، من أجل الإطمئنان على استمرار السيطرة الفاطمية على المنطقة وفي نفس الوقت اقتحام معاقل القبائل المتمردة على السلطة الفاطمية.

فقد كانت جماعة هوارة هي التي قامت بنصرة أبي يزيد، و"لم يزالوا قائلين بأبي عبيد مقيمين على حربهم والخلاف ... فخرج المعز في جيش عظيم إلى جبل أوراس مقرهم، فلما سمعوا بخروجه جمعوا له الجموع بسفح غزالة على مقربة من مدينة باغاية، فلما وصل الأربس جهز بلكين بن زيري بن مناد جيشا ووجهه إليهم ورجع هو إلى القيروان، فهزمهم بلكين وفرق جموعهم وشتتهم فتمزقوا أيادي سبأ وتبددوا في بلاد الزاب وغيرها، ومنهم من وصل إلى بلاد السودان فأقام بها"[3].

ومن أجل التحكم في الجبهة الغربية للمجال الفاطمي قصد المعز جبل أوراس، على حصانته ومنعته وكثر أهله، والناس بعقب فتنة، وأطراف المملكة على سبيل المعصية، والسبل خائفة، ولهب نار الفتنة لم يخمد، وحرها لم يبرد، ورؤساء القبائل الذين هاجوا الحرب وعتوا واستكبروا وتمادوا في إثارة الفتنة والشغب ممتنون

[1] بوبة مجاني. دراسات إسماعيلية. ص 162.

[2] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis » .p. 122.

[3] ابن حماد الصنهاجي. المصدر السابق. ص 48- 49.

في معاقلهم في الجبال والأطراف[1]، لكن يبدو أن مدة إخضاع هذا المجال لم تستمر طويلا لأن المعز سيبدأ في التحضير للانتقال إلى مصر.

ثالثا: صراع السهول والجبل وأزمات القرن الخامس الهجري:

كان من الطبيعي أن تكون العلاقات والروابط بين مختلف الكور والأقاليم مهددة من أخطار عديدة، وخاصة الأقاليم الطرفية حيث تنتشر شبكات لمراكز المدن والحصون، ومراكز الإنتاج الاقتصادي، وكانت بعض هذه الأقاليم خارجة بصورة تزيد أو تنقص عن السلطة المركزية[2].

لقد كانت هذه الأقاليم تتمتع بنظم اجتماعية قبلية لها أحكامها الخاصة وأعرافها، وهي التي جعلتها تعيش بعيدا عن ضوابط سلطة الدولة وقوانينها. وكانت لها مواردها، إلا أن إكراهات الطبيعة والمناخ تدفعها حتما نحو البحث عن أسلوب جديد للعيش غير مصدر الأرض الذي ألفته من قبل؛ إنه العيش من الحرب.

إن إكراهات الطبيعة والمناخ تدفع الجماعات للإعتماد على مصدر للعيش لا يقل أهمية من المصدر الطبيعي ويتمثل في الغزو، أو فيما يمكن أن يسمى "حروب العوز"... حيث يصبح الغزو والحرب مكسبا لثروة جاهزة لم يعمل صاحبها على إنتاجها بقدر ما أعد لها قوة عظيمة لا تقهر وعتادا لا يرحم[3]. غير أن هذا النمط من العيش يؤدي بلا شك إلى خلق حالات الاضطراب وعدم الاستقرار، فقد كان من أسباب لجوء أبا يزيد مخلد بن كيداد لأوراس و تجييش جماعات من المنطقة، هو ترغيبهم في الغنائم والسلب، وكانت ثورته تتأرجح بين التنظيم الثوري والفوضى التي أدت إلى مقتله فلي الأخير وافتراق مؤيديه عنه.

فضلا عن المشكلة المتعلقة بملكية الأرض الناتجة عن تغيير القبائل المستمر لمجالات تحركها وتغيير السلطة كذلك، فالأرض التي لا تزال قيد التشكل يكون مجالها دائم التغير، نتيجة عدم استقرار مجتمعها الذي لا يثبت ويستقر في مجال معين بفعل تنقلاته المستمرة، أو بفعل صراعات وتحالفات تكون عادة حول الماء أو الأرض، أو ارتباط المسألة بظهور الشخصية الفعلية للدولة في إطار تنظيم السلطة المركزية للمجال الفلاحي

[1] إدريس عماد الدين. المصدر نفسه. ص 458- 459. هذه الحملة ذكرها المقريزي اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . تح جمال الدين الشيال ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1996. ص 134. أما ابن حماد فيذكر أن المعز جهز الحملة ولكن أوكل الدخول للأوراس لزيري بن مناد.

[2] توجد الكثير من الفتاوى للداودي يقول فيها بوجود الكثير من الناطق بلا سلطان ولا قاضي. الونشريسي. ج 10. ص 6. الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج 02. ص 127 .

[3] حميد تيتاو. الحرب والمجتمع. ص 115- 116.

وتدبيره[1]. إلا أن هذا الأمر سيصطدم برغبة جماعات متنقلة تتناقض مع كافة مفاهيم السيادة والارتباط بالأرض. تلك هي الصورة التي كان عليها القسم الغربي من إفريقية طيلة النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. حيث تغيرت ملكية الدولة وبدأت تتوسع أكثر من الملكية الخاصة، لكنها لا تزال النوع الرئيسي من الأراضي في المغرب العربي. فقد مارس الأمراء الحماديون سياسة الاقتطاع من خلال منح أراضي الدولة إلى الهلاليين خاصة، مقابل الخدمات المقدمة خاصة في مناطق قسنطينة وبونة وأوراس، لصالح قبائل كرفة ورياح[2].

1- الحماديون يتحكمون في الأوراس

يعطي دومنيك فالريون صورة عن هذا المجال الجنوبي للأوراس الذي يشمل الزاب والحضنة، وأثر مختلف القوى السياسية والقبلية في تشكله، فقد بقي تحت سيطرة القبائل البربرية الإباضية، التي أسست ممالك مستقلة، وتحكمت في محور الطريق شرق- غرب، الذي يمر بمحاذاة المنحدر الجنوبي للتل، وعلى الخصوص منافذ الطرق الصحراوية. وسمح الفتح الفاطمي وفشل الثورات الخارجية للستار الذي أنشأته هذه الامارات بتنشيط التجارة الصحراوية. لكن إخضاع المناطق الجنوبية لا يشير إلى عودة الطاعة الكاملة للحكم المركزي بهذا الحد. وبداية من تاريخ بجاية الحمادية، ندرك أن التحكم بهذا القفل كان هدفا للتنافس والصراع المستمرين. ففيما مضى وجب على الناصر الحمادي الكفاح ضد زناتة التي عارضت حكمه في الجنوب، ووصول القبائل العربية عقد نوعا ما الرهان. وظهرت الأهمية الاستراتيجية لهذه الجهة بطريقة جلية في وقت مغامرة بني غانية الذين استولوا على الجهة وجعلوها واحدة من قواعدهم الخلفية. وأظهر الحكم في كل مرة أهمية كبيرة يوليها لها في التحكم بهذه المنطقة الجنوبية[3].

كان بنو زيري من أوائل الأسر الحاكمة من أصول محلية[4]، وستعمل هذه الأسرة الحاكمة على ترسيم مفاهيم حدودية لمجالها، وسيأخذ المغرب الأوسط معالمه مع حدود التوسع الحمادي، وهنا يمتد الأوراس ليس

---

[1] سعيد بنحمادة. الغرب الإسلامي. مباحث في العلوم التجريبية. رؤية. القاهرة. 2013. ص 27.

[2] Allaoua Amara . L'organisation foncière du Maghreb central (VIIe -XIVe siècle), p. 60- 61.

[3] دومنيك فاليريون. بجاية ميناء مغاربي. ترجمة عمارة علاوة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربي. الجزائر 2014. ص 180- 181.

[4] كان قبلهم بنو مدرار بسجلماسة. أما بالمجال الذي سيشكل المغرب الأوسط فيما بعد، فإنهم دشنوا تلك الفترة من تاريخ المغرب التي آلت فيها السلطة السياسية في المنطقة لأسر حاكمة من البربر فقط (المرابطين، والموحدين، وبني زيان، وبني مرين، والحفصيين). إيفان هربك. بروز الدولة الفاطمية. تاريخ افريقيا العام، إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر. إشراف م. الفاسي. وإيفان هربك. اليونسكو. ط2. 1997. ج3 . ص 364.

كمجال طرفي خاضع للسلطة الحمادية، بل إن قدرة بجاية على ربط هذه الأطراف بشبكة طرق وانتعاش حركية الإنتقال والتنقل بين مختلف حواضر المنطقة؛ حيث كانت مرتبطة بسطيف التي تبعد عنها بمرحلتان، وبين سطيف وقسنطينة أربع مراحل[1]،كما تبعد عنها القلعة مسافة أربع مراحل[2]، من بجاية إلى ايكجان يوم وبعض اليوم، أما من بجاية إلى بلزمة فالمسافة تقدر بمرحلتين وبعض.

وبين بجاية وباغاية ثمانية أيام وبين بجاية وقلعة بشر خمسة أيام، أما بين بجاية وتيفاش ست مراحل، وقالمة ثماني مراحل وبين بجاية وتبسة ستة مراحل، وبين بجاية وطبنة سبع مراحل[3]. ولئن فشل الفاطميون في التوسع غربا[4]، حيث أهدافهم في السيطرة على الثروة وزيادة تحصيل الضرائب ومختلف الجبايات، فقد إستطاعت بجاية إحتواء المناطق الطرفية بربطها بتجارة القوافل، خاصة التجارة الصحراوية بعيدة المسافات[5].

إن قرب الأوراس من العاصمة الحمادية جعلته يتراجع عن محليته، وتصبح نقاوس الكورة الحمادية التي يتحكم منها بالمنطقة. فقد كانت حدود الأوراس وحوافه التي تنتهي غالبا بسهول ضيقة محصورة بين الجبال والصحاري أو الهضاب المتوسطة الارتفاع. هذه المناطق شهدت الإنتشار البدوي الذي شكل عاملا آخر ساهم في سرعة إندثار الهياكل الحضرية التقليدية وتطورها نحو نمط جديد. فقد انتشرت القبائل المتنقلة أساسا في المناطق شبه الصحراوية والسباسبية، ومثلت بذلك ضغطا متواصلا على المدن التلية التي اعتمدت في حماية نفسها على مواقعها المتميزة ... ولم توقف هذه القبائل إلا الجبال الممتنعة[6]. أما بالنسبة لخضوع المنطقة للسلطة، فإن دومنيك فالريون يقول بفكرة التنوع في طبيعة ودرجة الخضوع للحكم. ومن الواضح أنه كلما ابتعدنا عن بجاية تنحصر سلطة الدولة أكثر. ففي الجنوب حيث أكثرية السكان رحل، تصبح حدود تطبيق

[1] الإدريسي. نزهة المشتاق، ج1 ، ص 269 .

[2] عبد الواحد المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تح خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية لبنان : 1998، ص 256.

[3] الإدريسي. المصدر السابق، ص 260

[4] تعددت الأسباب حول هذه المسألة وهي عموما تتراوح بين رغبتهم في الرحيل لمصر والتي ظهرت مبكرا بعد نجاحهم في تأسيس الخلافة، وقيامهم بالعديد من المحاولات في هذا الخصوص. أو نتيجة المقاومة التي وجدوها من طرف مختلف القوى التي كانت تتلقى الدعم من طرف الأمويين بالأندلس.

[5] صالح بعيزيق. بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية. منشورات جامعة تونس. 2006. ص 149.

[6] محمد حسن. المدينة والبادية. ج01. ص 36- 37.

القانون وممارسة الحكم في الفضاء وعلى الرجال الذين يشغلونه ويقطعونه غامضة. و لم يصبح التحكم فعالا حقيقيا إلا عن طريق روابط مبايعة شيوخ القبائل الشخصية للحكم المركزي.[1]

والجدير بالذكر هو أن السكان المحليين لم ينسحبوا نهائيا من مواطنهم ومجالاتهم بعدما أصبح القادمون الجدد أسياد السهول والهضاب. ولكن في الجبال الوعرة بقيت السيطرة للجماعات البربرية على الأرض مثل هوارة جبال الأوراس[2]. فنجد على سبيل المثال مدينة باغاية في العهد الزيري يتم تحويل أسواقها إلى الربض لكن بعد غزوة الهلاليين إنحر عن غارات الأعراب إخلاء الربض ونقل الأسواق إلى داخل المدينة وقد تضررت من تلك الغارات البوادي التي كانت بها عدة قرى في سالف الزمان.

أما مجموعة عجيسة في الجبال المطلة على المسيلة، فقد استبدلت بعياض وبالنسبة لزناتة والفروع الرئيسية الخاصة بهم أي بني يفرن وسلالة المغراويين وبني برزال هجر معظمهم الزاب إلى جنوب تلمسان والمغرب الأقصى وإلى واحات الصحراء[3].

ويمكن اتخاذ بعض الحواضر نموذجا لاستمرار التطور خلال القرن الخامس هجري؛ فقد لعبت باغاية دورا هاما بمنطقة التل بالأوراس منذ عهد الولاة والتطورات التي حصلت مع الوهبية والنكارية ثم ثورات البربر ضد الفاطميين وخاصة ثورة أبي يزيد مخلد[4]. أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ورغم اجتياح الجماعات الهلالية للمنطقة، فإن المقدسي يقول أنها" كبيرة مسورة تحت جبل يقال له أوراس يجري إليهم منه ماء كثير البساتين"[5].

لقد أدت التحركات المستمرة للقبائل الغازية، أو تلك القبائل الباحثة عن الاستقرار إلى خلق اضطرابات في حركة القبائل وتوطينها. وأصبح عدم الاستقرار هو السمة البارزة التي صاحبت تحرك القبائل الهلالية على الخصوص. وسنعود إلى توطين هذه القبائل والمجالات التي استقرت بها في الأوراس في المباحث التالية. ولو أن هذه الهجرات في بداياتها قد استهدفت السهول وأجلت سكان الريف إلى أعالي الجبال، لم تؤثر

[1] دومنيك فاليريون. بجاية ميناء مغاربي. ص 166.

[2] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis », p. 125.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 192.

[4] Serge Lancel, « Baghaï. Une cité a redécouvrir dans le piémont nord de l'Aurès », *L'Aurès antique. Actes des journées d'études sur l'Aurès antique juin* 2005, centre universitaire Abbès Laghrour Khenchla, (2009), p. 133-134.

[5] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 184.

فيهما و لم تتسرب إلى الجبال التي ظلت إلى يومنا هذا بربرية اللسان... ولا سيما الأوراس معقل الجماعات الإباضية[1].

الكثير من قبائل الأوراس كانت تعتمد على الإنتجاع والذي يكون مرتين في السنة، في موسمين، ويكون في شكل تدفق خارجي حيث تعبر القبائل من خلال الممرات التي يسلكها البدو في أوائل الصيف بعد فصل الأغنام في مجموعات صغيرة من الزاب الشرقي وتنتظم للسهول الشرقية عبر وادي العرب الذي يسلكه العابرون من بسكرة وشرق الحضنة للوصول إلى شمال الأوراس نحو تلال قسنطينة وسطيف أو عبر نقاوس ووادي ريغ، وفي هذه الحركة الإنتقالية يحدث التبادل الخاص بالجنوب من الملح والفواكه[2].

أما التدفق الداخلي، فيتمثل في الإنتجاع الداخلي الخاص بأنصاف الرحل، ينتشر في المنطق الجنوبية، يتكون أساسا من قطعان ويعتمد على مغادرة الأسرة كلها مع بداية الثلوج الأولى، وعادة يكون في نهاية فصل الصيف، وتكون العودة مع منتصف فصل الربيع بمرافقة الرعاة[3].

اقتصاديا فقد ارتبطت الجماعات التي استوطنت هذا المجال بأشكال الحياة القديمة؛ من وجهة نظر الاقتصاد الريفي، فإن المعلومات المتناثرة من النصوص العربية تشير إلى أن الزراعة لا تزال مزدهرة نسبيا. على الرغم من اختلافها الكبير عن العصور القديمة والتخلي عن الإنتاج الكثيف خاصة الزيتون. فمع وصول الهلاليين الذين سوف يسيطرون على هذه المنطقة سينشرون أنماط حياة تميل بوضوح للبداوة[4] عما كانت عليه في السابق[5]، ولذلك تصبح عملية استحضار الجغرافيا لتفكيك هذه التحولات والهجرات بين مختلف الشبكات والمجالات الجغرافية ضرورية، فالتمييز بين الأوساط البيئية حسب مؤهلات كل منها والذي لا يتحقق إلا

---

[1] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج 02. ص 08.

[2] Jean-Louis Ballais. et E.B. « Aurès ». *Encyclopédie berbère*. p. 19- 20

[3]. *Ibid*, p. 17.

[4] البداوة: لغويا، قيل للبادية بادية لبروزها وظهورها، وللبرية بادية لأنها ظاهرة وبارزة. وكل شيئ أظهرته فقد أبديته. وتبدى الرجل أقام في البادية أو سكن فيها. وتبادى تشبه بأهل البادية. ابن منظور. لسان العرب. مج1. ص 178- 179.

والبدو يعبرون أنفسهم جزءا من العرب، بل أن البدوي ليفخر عندما يقول عن نفسه عربي. كما أنهم يستخدمون كلمة عرب للإشارة إلى البدو بالإضافة إلى المعاني الأخرى المتعلقة بالجوانب الوظيفية والعسكرية والعددية والتنظيمية والهيكلية لدى البدو.

وقد تدل الكلمة على مجموعة بيوت الشعر، الحي أو الفريق، وكلمة عرب على مجموعة الرجال البدو الموجودين في بيوت الشعر أو الناس بوجه عام، كما على البدو الذين يتميزون ببداوتهم، وبخاصة إذا ما قورنوا بالفلاحين من حولهم. وقد تستخدم كلمة عرب للدلالة على مجموعة عشائر أو على عشيرة كبيرة ضمن مجموعة العشائر، أو على عشيرة عندما تكون مخيمة معا في مضرب واحد. فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. العشيرة بين التقليدي والحديث. منتدى المعارف. بيروت. 2015. ص 46- 47.

[5] Yassir Benhima, Pierre Guichard, *op, cit.* p. 112.

بتقسيم المنطقة إلى وحدات متجاورة لكشف الإيصال والتنقل بين الوحدات الجغرافية من خوانق وأودية وممرات طبيعية ومسالك وتيارات تنقلية يخترقها الرعاة بقطعانهم[1].

إن الكثير من القبائل التي استقرت بمنطقة الأوراس تعطينا دلائل على تأثير كل هذه العوامل السابقة الذكر؛ فقبيلة كرفة من الأثبج كانت لهم جموع وقوة أثناء الزحف الكبير، وسكنوا في البداية جبال الأوراس مما يلي شرقه، ونقل منهم الموحدون بطونا إلى المغرب الأقصى، والحفصيين بطون أخرى إلى تونس، وربما يصلون في النجعة إلى تخوم الزاب[2]. وأصبح الإنتجاع هو نمط عيش السكان، وكانت مجالات الجبال تشارك بواسطتها والمدن السفلى التراعات والمغانم في نفس الوقت. هذا الذهاب والإياب لقطعان الضأن والماعز بين المراعي الصيفية في الهضاب العالية ومراعي السهول التي تظل معشوشبة حتى فصل الشتاء[3]. كما توضحت جغرافية المنطقة، وأصبح بالإمكان تفسير تاريخ الأوراس على أساس ثنائية الصراع بين السهل والجبل أو بين المناطق الجذبة والخصبة. على أن مراقبة المجال التي رافقت تنقل القبائل لم تكن بالعملية السهلة، كما قد يتبادر إلى الذهن. بل فرضت على القبائل الانخراط في تحالفات مع قبائل مجاورة أو مع السلطة الحاكمة أو معهما معا، وهذا ما أشار إليه محمد القبلي حول تفسيره لعلاقة قبائل المغرب الإسلامي بالأرض والمجال من جهة، وعلاقاتها فيما بينها من جهة ثانية، في مختلف صور التحالفات والصراعات وأيضا في علاقات هذه القبائل مع السلطة[4]، وهذا ما أشار إليه محمد القبلي حول تفسيره لعلاقة قبائل المغرب الإسلامي بالأرض والمجال من جهة، وعلاقاتها فيما بينها وبين السلطة من جهة ثانية، والتي تتجسد في مختلف صور التحالفات أو الصراعات.

وفيما يخص هذه النقطة فإن تأثير هذه القبائل كان يمس أكثر التجارة وتراجع الزراعة بفعل اللصوصية وقطع الطرق على القوافل التجارية وخاصة بإفريقية وشرق المغرب الأوسط. هذا بالإضافة إلى إضعاف القبائل البربرية الرحالة بفعل التروح وترك مناطقها، وباغتصابهم لبعض الأراضي باقتطاع جزء من الحقول وأخذ الخمس على بعض الفلاحين لحماية مزارعهم وحقولهم بعد عقد عهود بين الحامي والمحمي[5]. وتظهر أهمية

---

[1] عبد اللطيف الصاوي. الخطاب الجغرافي الفرنسي حول الأرياف المغربية – دراسة تحليلية نقدية. دبلوم الدراسات العليا. جامعة محمد الخامس. الرباط.2000. ص 129.

[2] عبد الوهاب بن منصور. قبائل المغرب. المطبعة الملكية. الرباط. 1968. ج01. ص 418.

[3] فرناند برودال. البحر المتوسط. ترجمة عمر بن سالم. منشورات البحر المتوسط. تونس. 1990. ص 26.

[4] محمد القبلي. تاريخ المغرب. تحيين وتركيب. منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. الرباط. 2011. ص 215.

[5] كريم بوترعة. المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية. 1830 1930. مذكرة ماجستير . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. – قسنطينة. 2009. ص 97– 98.

النصوص الجغرافية الحضرية بعد الإدريسي في نهاية العصر الحمادي حيث نجد أن جغرافيته شاهدة على التنمية الحضرية وتركيز معين من الأنشطة في جميع أنحاء المجتمعات الريفية بذكره الأسواق الأسبوعية. وقد عزز إنشاء هذه الأسواق إلى التقارير الداخلية حملات المجتمعات الريفية استقروا في المدن والحصون والاستفادة من الإنتاج الزراعي المحلي والتسويق. وأصبحت المجتمعات الريفية مقصدا للتجار في المدن[1]. فكانت مجانة في هذه الفترة "بلدة صغيرة"[2]، وهذا بسبب دور القبائل الهلالية التي كانت عاملا في تقييد الحياة الاقتصادية بالمنطقة والتي أحيطت كلها بالبدو. أما تبسة فتكاد لا تذكر في هذه الفترة كنقطة تستطيع أن تكون قادرة على استضافة حاكم معين من قبل السلطة المركزية وحامية صغيرة. كما لا يوجد أي مؤشر يوحي بتطور تبسة ومجانة تحت سلطة الموحدين، هذا يعود لسيطرة الهلاليين ونفوذ الجماعات الريفية خلال فترات ضعف السلطة المركزية فأدى إلى وقوع المنطقة على الهامش[3].

ومجمل القول حول أوراس القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ودوره من خلال بعض حواضره فإننا مجبرون على معرفة الظروف المحيطة به، فمسألة نهاية الدور التاريخي لعدد من مدن الأوراس لا يمكن إخراجه عن نهاية الطريق التجاري الداخلي الرابط بين فاس والقيروان بسبب انتقال مركز ثقل الحياة المغربية إلى الواجهة الساحلية بسبب الفوضى والجفاف وتراجع نمط الدولة المركزية لفائدة سلطات قبلية موازية أثقلت الانسان المغربي بالضرائب وصادرت أمواله وتجارته، ومارست النهب المنظم، في وسط لا يعرف إلا السيف[4]. وأصبح من الواضح أكثر أن كثيرا من المدن العتيقة قد اندثرت في العصر الوسيط، كما أن التراجع الجغرافي للحياة الحضرية واضح فيما بين العصر القديم وأوائل العصر الوسيط، وبين العصر الأخير والفترة التي ندرسها (الحفصية)[5].

أما عن دور الجغرافيا في توجيه حركة الجماعات الهلالية والسليمية، فإن منطقة الشمال الشرقي للأوراس كانت مفتوحة أمام الزحف الهلالي المتجه غربا، بعدما شهدت لسلسة أحداث ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، ولذلك فإن حواضر المنطقة تكون معرضة لكل أصناف التخريب؛ ففي عام 587هـ/ 1191م يقول

George Marçais. Les arabes en berbérie du XIe au XIVe siècle. Constantine, 1913. p. 193- 198.

[1] Allaoua Amara. « Communauté rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central », p. 193.

[2] الإدريسي. نزهة المشتاق. ص 138

[3] Yassir Benhima, Pierre Guichard, *op, cit*, p.109- 110.

[4] علاوة عمارة. الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. العدد 10. (2009). ص25.

[5] روبار برونشفيك. تاريخ إفريقية في العهد الحفصي. ج1. ص 265.

صاحب الاستبصار "لم يبق في تبسة معمورا سوى القصر المحصن، الذي يحيط به سور من حجر"[1]. على أن مجال التراجع يشمل النطاق الممتد من غربي تبسة إلى باغاي، ثم مجانة، ومسكيانة. وظهرت علاقات العداء بين مختلف المجالات الحضرية والريفية، لتستمر هذه العلاقات فيما بعد إلى علاقة صدام مع السلطة الحفصية بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي.

2- **الأوراس مجال لصدام الموحدين ببني غانية الميورقيين.**

استمر الصراع من أجل كسب المجال والتوسع بين الكيانات السياسية وعبر القبائل الموالية لها، وكان منطق الجماعة وقوة العصبية هي المتحكمة في الصراع، وقد غذت القبائل العربية هذه الصراعات. ولا يمكن فهم التطورات الحاصلة بمجالنا إلا بمعرفة أهم الأحداث التي كانت تجري عل أطرافه بإفريقية وبلاد المغرب الأوسط، وبعيدا عن الأوراس وبغرب المغرب الأوسط فقد اشتكى الأمراء المرابطين من سياسة الحماديين في استخدام القبائل الهلالية في صراعهم ضدهم.. واحتج يوسف بن تاشفين لصاحب قلعة بني حماد في رسالة قائلا له "تقوم بحمية وتقعد، وتبرق غضبا وترعد، وتستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا، وتنفق عليهم ما كتره أوائلك إسرافا، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافا، كل ذلك تعتضد بهم، وتعتمد على تعصبهم لك وتألبهم..."[2].

أما الموحدون الذين ورثوا عن اللمتونيين ملكيات عامة، عملوا على توسيعها... معتبرين ما فتحوه من المناطق أراضي عنوية يسوغ لهم فرض الخراج عليه[3]. أو ملكا للدولة[4]، ومصادرة الثوار والعمال الخارجين عن النظام السياسي[5]، واستولت الدولة للأراضي التي لم يكن لها مالك.

الأوراس في العهد الموحدي يرتبط بالتسويات التي قام بها عبد المؤمن بن علي على المستوى الإداري حيث لم تغير الكثير في تنظيم ولاياتها مثلما فعل النظم السياسية السابقة، فقد أخضعت مختلف المناطق إلى

---

[1] مجهول. الاستبصار. ص 162.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش. أضواء جديدة على المرابطين. دار الغرب الإسلامي. 1991. ص 79.

[3] ابن أبي زرع الفاسي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط 02، 1990. ص 188. عز الدين عمر موسى. النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. دار الغرب الإسلامي ط2 2003. ص 136.

[4] ابن صاحب الصلاة. المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي. دار الغرب الإسلامي. بيروت ط3. 1987. ص 117، 201، 203، 204.

[5] عبد الواحد المراكشي. المصدر السابق. 198، 244. عز الدين موسى. المرجع نفسه. 138- 139. محمد حسن المدينة والبادية. ج 1. ص 308.

موروثها السابق، فكانت الإدارة الإقليمية وريثة نظم الولايات المفتوحة التي تفاوتت باختلاف المناطق، فإدارة المرابطين في المغرب الأقصى والصنهاجيين في المغربين الأوسط والأدنى كانت بسيطة في شكلها[1]، وذلك حسب ما ألفته هذه المناطق من نظم. إنما الموحدون غيروا كثيرا في البنية السكانية للمغرب الأوسط، وكان لذلك أثر في التركيبة الاجتماعية للأوراس، من خلال إجلاء بعض القبائل للمغرب الأقصى، وتوجيه بعض القبائل للحروب. وسيكون لذلك أثر في تغيير التوطين من جهة، ومن جهة ثانية خلو المجال لصالح قبائل أخرى. (وهذا ما سنبينه في جغرافية التوطين لمختلف القبائل المستقرة والوافدة على الأوراس)، كما سيفتح المجال على مصراعيه لقوى معادية للموحدين من التوغل في المنطقة. فعندما ثار بنو غانية على الموحدين بإفريقية أيدهم العاصم ومقدم وقرة فنقلهم الموحدون إلى المغرب فاستقروا بتامسنا فازدادت قوة جيرانهم من رياح واستولوا على ضواحي قسنطينة[2].

كانت حركة بني غانية ومسارها الذي كان الأوراس أحد محطاتها التي حدثت فيها صدامات مع الجيش الموحدي أهم حدث سيشهده الأوراس في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد استولى بنو غانية على بجاية 581هـ/ 1185م "... وركبوا في اثنين وثلاثين قطعة من أساطيلهم وأسطوله...، فطرقوها على حين غفلة من أهلها، وعليها السيد أبو الربيع بن عبد الله المؤمن، وكان بإيملول من خارجها في بعض مذاهبه، فلم تمانعه أهل البلد واستولوا عليها في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ..."[3]. لقد اختار علي بن إسحاق بن غانية عام 580هـ/ نوفمبر 1184م المرور على بجاية ثم مروره بمجال دولة بني حماد. لم تعمر طويلا حيث فشل أمام قسنطينة. ولكن عليا دفع نحو الجنوب عبر منطقة الزاب ثم عرج على جبال الأوراس وواصل طريقه إلى أن بلغ منطقة الجريد التونسي فاستقر بتوزر ودخل مدينة قفصة. وسيستعمل بنو غانية تلك المنطقة طوال عدة سنوات كقاعدة لغاراتهم، معرضين وحدة الخلافة المؤمنية للخطر[4].

وقد تتبع عمار بعاج مسار هذه الحركة وعلاقاتها المتشعبة مع القوى المختلفة، وأبرز آثارها المدمرة على المنطقة. وقبل ذلك أشار إلى بقاء المجالات شبه الصحراوية خارج السيطرة الموحدية في القرن 7هـ/ 13م،

[1] عز الدين أحمد موسى. الموحدون في الغرب الإسلامي. تنظيماتهم ونظمهم. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1991. ص 153.

[2] مصطفى أبو الضيف. أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين. 524-876هـ/ 1130-1472م. مطبعة دار النشر المغربية. الدار البيضاء. 1982. ص 197.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج .6 ص 254-255، 327-328. محمد العروسي المطوي. السلطنة الحفصية. تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1986. ص 22 - 24.

[4] روبار برونشفيك. المرجع السابق. ج1. ص 37.

ولم يتمكن الموحدون من العودة للسيطرة على السهوب الداخلية حول القلعة والمناطق شبه الصحراوية مثل الجريد ونفزاوة من أجل تنمية هذه المناطق[1]، فيما يرى محمد حسن أن حركة بني غانية الميورقيين كان هدفها إحداث شرخ في جسم الدولة الموحدية، والسيطرة على محور عمودي يمتد من بجاية إلى قسنطينة إلى الزاب (بسكرة) وواحات الزاب والجريد[2].

لقد تحول مجال الأوراس مجال صدام واحتكاك بين الموحدين وبنو غانية، فبعد السيطرة على بجاية أصبح بنو غانية على مشارف الأوراس بفرضهم حصار على مدينة قسنطينة والذي فشل في الأخير، فعبر ابن غانية إلى مقرة ونقاوس متوغلا في الأطلس الصحراوي عبر منخفض الحضنة ليصل إلى الواحات الواقعة جنوب الأوراس التي قام بنهبها قبل أن ينتقل إلى الجريد 1185م/ 581هـ[3].

وخلال هذه الفترة التي نجح فيها حاكم بجاية الموحدي أبو الحسن بن أبي حفص إلى الشرق لطرد بني غانية إلى خارج قسنطينة، اتجه بنو غانية جنوبا واستولوا على واحة بسكرة على حافة الصحراء الجزائرية، حيث أعطى أوامر للسيطرة على السكان بعد هذا العمل الشنيع استولى على عنابة وتبسة[4]. وقد أدت هذه الحركة إلى تخريب بني غانية واحات جنوب أوراس وتحالفه مع جشم ورياح 582هـ/ 1186م، فقد قام علي بن غانية بنهب الواحات الواقعة جنوب الأوراس، كما نجح في استمالة عرب رياح وجشم بعد أن أغدق عليهم العطاء[5].

فقد تركت هذه الحركة آثارا سلبية وأدت إلى تراجع الاقتصاد خاصة في الزاب وجنوب قسنطينة، أي على مجالات الأوراس الشمالية والجنوبية الغربية.[6]. وهذا نتيجة استيلاء بني غانية على بسكرة بعد توالي تراجع

---

[1] Amar Salem Baadj. Saladin, The Almohads and the Banu Ghaniya: the Contest for North Africa (12th and 13th centuries). Leiden, E, Brill, 2015, p. 182.

[2] محمد حسن. المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. ج1. ص 45.

[3] إمبروسيو هويثي ميراندا. التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية. ترجمة عبد الواحد أكمير. منشورات الزمن. الدار البيضاء. 2004. ص 316-317.

[4] Amar Salem Baadj, *op. cit*, p. 157- 158.

[5] عند وصوله إلى منطقة الجريد حاصر توزر التي قطع نخيلها ولم ينجح في احتلالها ثم توجه إلى قفصة التي استسلمت له دون مقاومة ومنها إلى طرابلس حيث وجد في الأرميني قراقوش حليفا جديدا ضد السلطة الموحدية. هويثي ميراندا. المرجع السابق. ص 320.

[6] Amar Salem Baadj, *op. cit*, p. 181- 183.

تراجع الموحدين بإفريقية "...وقطع أيدي أهلها وتقبض على حافظها أبي الحسن بن أبي يعلى، وتملك بعدها تبسة، والقيروان وبايعه أهل بونة...."[1].

ولذلك نجد أن عمار بعاج يرى أن هناك استمرارية لعوامل عدم الاستقرار بالمنطقة ممثلة خاصة في تشابه أعمال بني غانية وبني هلال وبني سليم في الآثار السلبية؛ إذ يرى أنه من المستحيل معالجة مسيرة هجرة الهلاليين في منتصف القرن الحادي عشر، وتمرد بني غانية في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر كما لو كانوا حدثين منفصلين مع عدم وجود سلسلة من الاستمرارية بينهما[2]. فكان هناك حضور دائم لعوامل التشتت والفشل في تأسيس الدولة واستمرار الانقسامات نتيجة حالات الانتشار الدائمة والحركة المستمرة للجماعات.

وقد أدى هذا الصدام بين الموحدين وبني غانية بالأوراس إلى نشوب معركة بتبسة (معركة شبرو) في ربيع الأول 604هـ/ أكتوبر 1207م، بين عامل إفريقية عبد الواحد الحفصي ويحي الميورقي. وفي هذه المواجهة تحالفت الدواودة مع بني غانية ضد الموحدين أما بنو عوف من بني سليم فكانوا مع الموحدين. وقعت المواجهة على ضفة شبرو وهو أحد روافد نهر المجردة، حيث جرى قتال عنيف استمر حسب ابن خلدون[3] طيلة النهار، ولم ينسحب يحي ورجاله إلا بعد نزول الظلام، في تعقبهم الموحدون الذين لم يتراجعوا إلا بعدما أخذوا منهم أمتعتهم. ورغم إصابة يحي بجروح أثناء القتال فإنه تمكن من النجاة بنفسه والالتجاء إلى الصحراء[4]. لكنه يعود إلى المواجهة من جديد عام 619هـ/ 1222م.

وهكذا فإن الكثير من الأحداث التي تسببت في هذه الحركة قد عاشها جبل الأوراس، إما داخل مجاله أو على أطرافه وبالقرب منه. وهنا تكون مفاهيم التخوم التي ترتبط بمفهوم الدفاع ومنع التعدي مثلما أشرنا إليه في السابق أكثر وضوحا وحضورا في نهاية القرن السابع وطيلة القرن الثامن الهجري، حيث ترد في المصادر

[1] ابن خلدون. ديوان العبر ج6 ص 259. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر. القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1982. ص 85- 86.

[2] Amar Salem Baadj, *op. cit,* p. 186.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6. ص 260- 261. الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق احسان عباس. مكتبة لبنان. بيروت. ط2. 1984. ص 65. محمد حسن المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج 1. ص 50.

[4] امبروسيو هويثي ميراندا. المرجع السابق. ص 404. محمد العروسي المطوي. المرجع السابق. ص 78.

الحفصية للإشارة إلى المناطق الفاصلة بين المخزن الحفصي والمخزن الزياني[1]. وتتماهى أحيانا مع معنى الثغور القاصية، تلك المناطق التي كانت تتأرجح بين التبعية والاستقلال عن السلطتين المتنافستين في تونس وتلمسان. لكن التخوم لم تستعمل للدلالة على حدود إفريقية الحفصية فحسب بل كذلك كلفظ دال على الحدود الفاصلة بين العمالات أو المقاطعات المكونة لفضاء البلاد الداخلي[2].

أما أكثر المصطلحات تواردا في المؤلفات الحفصية فتتمثل في "الثغور" و"الأطراف". وانحصر استعمالها للدلالة على المناطق التي تمثل "حدود" إفريقية الحفصية. وقد جعل ابن خلدون من حماية الثغور إحدى الركائز الأساسية التي يقوم عليها مفهوم الملك أو ما يمكن أن نسميه بلغة عصرنا السيادة حيث يقول "وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو بعث البعوث فهو ملك[3] ناقص"[4]. أما الأطراف فهي إحدى مكونات المجال الحدودي الذي يسميه ابن خلدون ب"النطاق". يتحدد معنى الأطراف بالنسبة إلى السلطة الحفصية بالمسافة الجغرافية؛ فهي المناطق البعيدة عن مركز الحكم أي تونس، المتاخمة للصحراء وتسمى في المصادر كذلك ب"أهل القصية" عبارة تحتمل على الأقل مدلولان، أحدهما جغرافي. والثاني سياسي، فهي المجالات التي يصعب على المخزن الحفصي تحقيق مراقبة فعلية ومستديمة بها. كانت مناطق الأطراف، مثلها في ذلك مثل المجموعات الداخلية، نابذة سلطة المخزن، تهفو باستمرار إلى الاستقلال بالنفوذ فكانت بؤرة لتكون دويلات محلية بقيادة زعامات منبثقة عن الأسر المتنفذة تبرز إلى الوجود كلما تقلص عنها حسب تعبير ابن خلدون "ظل الدولة" أي نفوذها[5].

ومع ازدياد ضعف الدولة تزداد حركات الانفصال ويتقلص المجال المراقب، كما تزداد الفئات الاجتماعية التي تحتويها هذه الأقاليم الطرفية وتقل القدرة على مراقبتها او التحكم فيها؛ تلك هي الصورة التي

---

[1] يشير الزركشي إلى أن السلطان أبو عصيدة "نهض في شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمائة بمحلته من حضرة تونس فسار وتجاوز تخوم عمله إلى أعمال قسنطينة وجفلت قدامه الرعايا والقبائل وانتهى إلى ميلة، ومنها كان تقلبه" تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تحقيق. محمد ماضور. المكتبة العتيقة. تونس. ط2. 1966. ص 54. وفي عام 752هـ حدثت مواجهات بين صاحب قسنطينة أبو زيد عبد الرحمن وابن تافراجين الذي سرح جيشا للقائهم، والتقى الجمعان **ببلاد هوارة** .. ثم بلغهم أن ملك المغرب الأقصى السلطان أبي عنان بعد إستيلائه على على المغرب الأوسط زحف إلى **التخوم الشرقية** وإنتهى إلى المدية ..." الزركشي. المصدر نفسه. ص 93 94. ص 93.

[2] فاطمة بن سليمان. الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574- 1881. منشورات جامعة تونس. 2009. ص 87.

[3] فاطمة بن سليمان. المرجع السابق. ص 85.

[4] ابن خلدون. المقدمة. ص 188.

[5] المصدر نفسه. ص 378.

كانت عليه بلاد المغرب ما بعد الموحدين[1]. وفي مثل تلك البيئات تزدهر الاختلافات وتتسع الفروق بين الأقاليم. بل إننا نجد في الإقليم الواحد تباين بين مكوناته الريفية والحضرية؛ فنجد المدن الضعيفة العاجزة عن بسط السيطرة على كامل نواحيها، يحيط بها ريف متخلف ... وينجم عن ذلك بروز مظاهر التوتر بينهما[2]. وتؤدي هذه الأوضاع إلى بروز انعكاسات اجتماعية واقتصادية لهذه العلاقة غير متكاملة بين الريف والمدن؛ فقد تميز القرن السابع والثامن الهجريين بتراجع ديموغرافي كبير يعتبر من نتائج الطاعون الأسود، الذي كان له دور في ذلك[3].

وفي نفس الوقت وتماشيا مع ظروف التراجع والضعف، ازداد نفوذ القبائل العربية حيث بسطوا نفوذهم على جل البلاد الداخلية. وأدى ذلك إلى تضييق الخناق على المراكز والحواضر الكبيرة، فكانت على سبيل المثال دائرة النفوذ الفعلي للسلطة الحفصية لم تتجاوز حواضر تونس وأعمالها، وبجاية وقسنطينة، وبعض مدن الساحل، فيما كانت المجالات الواقعة جنوبا حيث الهضاب الداخلية ومدن الواحات تحت سيطرة القبائل العربية من بني هلال وسليم[4]. تلك هي الظروف التي جعلت إقليم الأوراس في هذه الفترة يعيش تحت ضغط القبائل والجماعات التي كانت تبحث عن السيطرة وتمتهن النهب والإغارة ما خلق اضطراب بلغ صداه إلى قصور المرينيين وجعل أبا عنان المريني (749هـ/ 759هـ- 1348/ 1357م)[5] يفكر في وضع حد لهذه الفوضى الفوضى التي قد تقوض ملكه.

[1] لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي. من القرن 10م إلى القرن 17م. منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة – 9افريل- تونس. 2005. ص 203.

[2] محمد حسن . المدينة والبادية. ج01. ص 44

[3] نللي سلامة العامري. الولاية والمجتمع. مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. 2001. ص 60.

[4] نللي العامري. المرجع نفسه. ص 66.

[5] هو ابن أبا الحسن المريني، هذا الأخير وإن إنتصب من جديد في تونس ونجا من الهلاك وتصالح مع أغلب زعماء الأعراب، فإن كل ذلك لم يحل بينه وبين سقوط هيبته، وتفكك سلطته الواسعة الأطراف. فما إن شاعت هزيمته وأشيع موته سواء في واقعة القيروان 749هـ/ أفريل 1348م، أو بالطاعون الذي إجتاح كافة أقطار المغرب الإسلامي إذ ذاك، ما إن حصل ذلك حتى طلعت رؤوس الطامعين بالإستيلاء على الحكم في أغلب جهات تلك السلطنة الواسعة، وكان في مقدمة أولئك الطامعين من آل بيته من أبنائه وأحفاده. محمد العروسي المطوي. المرجع السابق. ص 399-400.

رابعا: أوراس القرن الثامن الهجري، ابن الحاج النميري شاهد عيان.

أوضح ابن الحاج النميري أسباب الحركة إلى قسنطينة في 758هـ/ 1356م ثم التوجه إلى الزاب، ويقول أن ذلك كان: "لتمهيد أوطانها التي نجمت بها الفتن، وتسكين رعاياها التي طالما فجعتها المحن، وألقى عليهم أصرة الزمن. حتى أعطت قبائلها المشهورة المراهين على حكم الإذعان، وربطناهم لأحكام السياسة التي بها قوام البلدان. فصلحت أمورها بعد الفساد[1]. وكانت هذه القلاقل والاضطرابات قد اتخذت من مجال إقليم الأوراس مركزا لها، وشكل حلقة وصل بين بؤر التوتر في الزاب جنوبا ومناطق التل في الشمال، عبر التلال التي تربط بين قسنطينة إلى تونس.

وإذا كان الرحالة قد امتازوا بمعرفة الطرق معرفة شاملة بما تشتمل عليه من ظواهر طبيعية واجتماعية وارتباطات سياسية، فدونوا مراحلها تدوينا مستقلا أحيانا وجعلوه جزءا من الرحلة غير منفصل عنها، واجتهدوا حسب استطاعتهم على ربطها بالمعطيات الجغرافية والاجتماعية وصياغتها صياغة أدبية، فإن "فيض العباب" تقدم لنا صورة عن مجال ارتبط ارتباطا شديدا بشخص السلطان أبي عنان المريني (729هـ- 759هـ/ 1327م- 1357م) لذلك قلما يخرج النميري عن سياق شخص أبي عنان الذي اتخذ مسلكا محاذيا للأوراس فيما بعد 758 هـ/ 1356م مرحلة تميزت بسيطرة قبيلة رياح وكرفة وأولاد سباع على المجالات المحلية للأوراس، فاعتبر الأمير ذلك تمردا وعصيانا وفسادا لسلطته وجب إصلاحه عن طريق تأديب هذه القبائل. لكنه اصطدم بتقلبات مواقفها إزاءه. فقبيلة رياح التي قدمت بقسنطينة ولاءها للمرينيين نجدها تتمرد وترفض التنازل عن مكاسبها بعدما منعها الأمير أبو عنان من جباية وطن سدويكش وخفارة طرقها. كما أن غرب وجنوب الأوراس لم يكن بأحسن حال من المناطق الأخرى. وهذا ما جعل الأمير المريني يقرر تهديم حصونها وحرق جنانها لمنعها من استخدام هذه الحصون في الإغارة وقطع الطرق. ويمكن قراءة هذه الرحلة من خلال ثلاثة عناصر أساسية شكلت الإطار الجغرافي العام لمجال الأوراس:

1-مجال مضطرب

كان القضاء على حركات التمرد التي تسببها الجماعات المنتشرة على حواف جبل الأوراس السبب الرئيس في تجييش أبي عنان حملة عسكرية لتسكين الأوضاع وبسط سيطرته على هذا المجال الذي يتاخم

[1] ابن الحاج النميري. فيض العباب. ص 482. الرصاع. فهرست. ص 30.

السلطنة الحفصية[1]؛ ففي باتنة حيث كان قصر عثمان الرياحي اجتمع "أفاريق من الناس ينقادون لحكمه في الظاهر، ويأمنون بجواره من معرة الجيوش والعساكر، ويغيرون من موضعهم تلك على الضعفاء، ويكتسحون أموالهم تحت أذيال الظلماء. حتى إذا ركب عثمان دخلوا في مصاف المرابطين، وكانوا في أمرهم من المغالطين[2]. وكانت هذه الجماعات بباتنة تشكل تهديدا للمناطق القريبة منها لأن عثمان الرياحي "ترك قصره مقرا لأهل العناد، وملجأ لعصائب الفساد. وتحقق أن بقاؤه أعظم ضرر لقسنطينة وأحوازها وإغفال أمره فات لا شك في صدورها وإعجازها. مع أنه موضع كما ذكرنا مخصوب، ومكان به الظلم والجور معصوب[3].

وبالقرب من باتنة تجمعت جماعات النهب بلمبيسيس وبنت قصورا والتي "بنوها ضرارا بالأوطان التي في اقتحامها يجهدون، ولتخريب عمارتها يصعدون، ولشن الغارات على صعفائها ينهدون. كأبي دينار سليمان بن علي بن أحمد الذي عدم عزا، و لم يجد لشفرته محزا..."[4].

أما في جنوب غرب الأوراس فقد كانت تنتشر بالقرب من نقاوس جماعات من رياح اتخذت من سفيان مركزا لها لتهديدها وكانت" من المواضع التي تضر بنقاوس أعظم الضرر، ويخطر عليها المفسدون فيتأتى لهم منها ارتكاب الخطر، فمهما أغاروا بقصده أغاروا، وإن جلوا في الفترات بدياره أعملوا حيلهم وأداروا حتى أنسوا وصول الجيوش المرينية، وأشرفت عليهم الجحافل بالسيوف المشرفية. أجفلوا مصحرين، وولوا لمكرهم مظهرين، ونجوا بأنفسهم الذميمة الدنية، وخلوا سفيان غير السري مباحا للسرية[5].

وامتد نفوذ جماعات رياح لتسيطر على الجنوب الغربي للأوراس ومعظم الزاب الغربي، حيث كان بطولقة حصن "ليعقوب بن علي وجماهر أولاد محمد الذخر الأعظم، والملجأ الأكرم، والعتاد الأفخر الأفخم. والمعقل الذي لا عقل لجنايته، والمعتصر الذي لا معتصر لابايته. معدن أحسابهم، ومجمع منتفعاتهم، ومأمن مسترضعاتهم، وملاذهم إذا أملحت البلاد، وركنهم الشديد إذا اقشعرت التلاد، وأوعزت أحلامهم الجلاد،

[1] سبقت هذه الحملة هزيمة السلطان أبي الحسن المريني الذي قاد حملة لإفريقية عام 748هـ/1347م. وترك إبنه أبو عنان بتلمسان. واستطاعت قبيلة سليم من تأليب العرب عليه. وانهزم ابو الحسن بالقيروان في عام 749هـ/1348م. وهنا وصل خبر خلع السلطان أبي عنان بيعة أبيه ودعائه لنفسه. أبو زكريا يحيى بن خلدون. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. تحقيق. عبد الحميد حاجيات. المكتبة الوطنية. الجزائر. 1400. 1980. ص 235- 236.

[2] النميري. المصدر السابق. ص 415.

[3] النميري. المصدر نفسه. ص 415- 416. ابن خلدون. ديوان العبر. ج6 ص 532، 533، 539.

[4] النميري. المصدر نفسه. ص 418.

[5] المصدر نفسه. ص 461.

وافتقروا إلى الأزواد. ومقرهم إذا أخلفت النجوم وضنت بحل عقود عزاليهم الغيوم. ومأواهم إذا نابت النوائب...[1].

وزادت قوة طولقة إلى أن أصبح صاحبها عبد الرحمن الطولقي يتطاول على صاحب بسكرة والزاب أبي يعقوب الذي طلب من أبي عنان مساعدته على القضاء عليه "فلما أعملت الجيوش المرينية إلى الزاب نهضتها، وأطفأت نار الفتن التي أكل بعضها بعضا، ونبهت عيون الاغماض التي تملأت غمضا.[.....] خاف عبد الرحمن الطولقي من قاصم ظهره، وإقامة الرعب الذي جثم أي جثوم بصدره، ووقف به الروع على غايته الموذنة بانحلال أمره، وأثقله الرهب بتداعي ركن عزائه وصبره[2]. وكان مصير عبد الرحمن الطولقي الهزيمة وتم نقله إلى فاس حيث مات هناك "فقرت عين ابن مزني بالنظر إليه. وكان ذلك من أكبر آماله التي نالها، وأعظم أمانيه التي جلت السعادة أحوالها. ولم يزل عبد الرحمن المذكور مطالبا بالمال موصدا عليه في أطباق النكال. ونقل إلى حضرة فاس فلبث في سجنها، وأخرج وأهله من طولقة الممكنة من حصنها. ورجع أمرها إلى ابن مزني حكما وجباية[3].

أما بالشمال الشرقي للأوراس في هذه الفترة فقد لجأت رياح إلى التحالف مع أولاد أبي الليل، وكانت تغير على تبسة، وقد ترك لنا النميري وصفا تفصيليا إلى حد ما من هذه الحملة بأسلوب أدبي يوصف فيه مدينة تبسة كمكان يجتمع فيه العرب المتمردون وهم أولاد أبي الليل[4] ورياح الذين تدفقوا على المدينة. لكن هاتين القبيلتين تتجنبان مواجهة الجيش المريني مفضلتين التراجع إلى الجنوب حيث الصحراء، ويذكر ابن خلدون قبيلة هوارة التي تسيطر على مجالات تبسة إلى حدود مرماجنة والأربس وحتى إلى باجة والتي تعربت[5].

[1] النميري. فيض العباب. ص 446.

[2] المصدر نفسه. ص 435- 436

[3] المصدر نفسه. ص 436- 437.

[4] في نهاية القرن الثامن ستظهر حركة سنية في هذه القبيلة يتزعمها أحد تلامذة الدهماني وهو قاسم بن مرا. ينظر حول هذه الحركة عند العبر. ج6. ص 106.. وسنعود إلى هذه الحركة والقبيلة في فصل الجغرافيا المذهبية.

[5] Yassir Benhima. Pierre Guichard, *op, cit*, p. 110 -111..146 الحميري. الروض المعطار. ص

ينقل لنا النميري أن أبا عنان رأى "أن أتباعهم في البيد التي لا ماء فيها ولا ظل، والصحاري المتوغلة التي لا مهيب بها ولا مهل. ضائر بالجيوش التي كثر كراعها، وملأ الأرض اتباعها، وكلت عن الاستقلال بهم أبصار الآفاق وأسماعها[1].

لم تمنع قوة الجيش الذي قاده أبو عنان إلى الزاب من إقدام القبائل على السطو على جيشه وهو في طريق عودته إلى قسنطينة، وكانت هذه القبائل تنتشر بمدوكال التي وصلها أبو عنان في يوم 30 رمضان 758هـ/ 1356م، بالقرب من طبنة حيث "ظهر سراق من بوادي رياح المفسدين ممن عول على سبق جواده، وباع نفسه هواه في إظهار فساده. وبارى الطير في سرعة هربه، والثعلب في تراوغه مع شدة رهبه. وحمل هؤلاء الاوباش على ما ارتكبوه الجهل، وخاطروا المخاطرة التي لا يطاق لها الحمل، فأرصد لهم مولانا الخليفة أيده الله فرسانا تربوا في حجور الحروب... ولم ينج من نجا منهم إلا لمعرفته بتلك الشعاب الثنايا، واستتاره بجنح الليل الذي اسود كوجوه المنايا[2].

2 – القصور. عمارة قبائل الرحل.

تتميز فترة نهاية القرن السابع الهجري بفقر المصادر المحلية لمجال الأوراس ورغم أن ثلاثة رحالة زاروا تونس في فترة القرن أواخر المائة السابعة الهجرية؛ هم ابن رشيد السبتي الذي بدأ رحلته أوائل عام 683هـ/ 1284م، انطلاقا من مرسى المرية، مؤلفه "ملء العيبة، بما جمع في طول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين الشريفين: مكة وطيبة". أما الرحالة الثاني فهو العبدري الذي بدأ رحلته من حاحة أواخر 688هـ/ 1289م[3]. أما الرحالة الثالث فهو أبو القاسم التجيبي الذي بدأ الرحلة عام 696هـ/ 1296م والمسماة مستفاد الرحلة والاغتراب[4]، إلا أنهم لم يدونوا الكثير عن المناطق الداخلية وبلاد التل للمغرب الأوسط.

في العهد الحفصي اتخذ التعمير شكل قرى صغيرة محصنة، أشبه ما تكون بضيعات زراعية، أطلق عليها اسم "قصر"[5]. فكان على سبيل المثال عدد القصور التابعة ل"أبة"[1] في بداية القرن الثامن الهجري مائة وخمسين.

---

[1] النميري. فيض العباب. ص 476– 477.

[2] المصدر نفسه. ص 455.

[3] العبدري. الرحلة المغربية. ص 5.

[4] محمد المنوني. ورقات عن حضارة المرينيين. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. ط3. 2000. ص 443.

[5] وردت روايات شفهية وتفسيرات عديدة في شأن كلمة قصور، منها ما معناه آثار لخرائب، أو قصور خاصة بالأمراء، أو قلاع وحصون ذات موضع استراتيجي ووظيفة دفاعية، أو رباط على غرار قصر المنستير وقصر سوسة وغيرهما.

وخمسين. وهو رقم قريب لما قدمته الوثائق سنة 1535م[2]. وتظهر أهمية رحلة النميري بالأوراس في القرن الثامن الهجري فيما يخص عمران المنطقة لبعض الجماعات التي احترفت النهب والسطو وكانت تنتشر في المنطقة في تجمعات متفرقة تستقر في "القصور" وهو نمط عمراني يتوافق وحالة الجماعات التي تعتمد على الحركة والانتشار المستمر ولا تعرف الاستقرار الذي يتطلب نمطا معيشيا يرتبط باستغلال الأرض أو ممارسة حرف مختلفة؛ وكانت هذه القصور متناثرة وشكلت أماكن للعدو يلجأ إليها للقيام بأعماله العدوانية[3].

لذلك فإن أبا عنان كان يريد تجريد القبائل العربية من كل حصونها وقلاعها. ولا يتوانى في تهديم وحرق كل هذه الحصون بكل من باتنة ولمباز وسفيان وطولقة. واللافت في فيض العباب هو انتشار هذه القصور الخاضعة لسلطة القبائل بجبال الأوراس، وقد يكون بعض هذه القصور من المدن القديمة واتخذتها هذه الجماعات مستقرا لها. وهذا ما نجده بقصر "تيجمامين"[4]، ولما وصلها الجيش المريني "انتشرت العساكر ذات اليمين وذات الشمال، واستباحت ما كان للمفسدين من القلاع بتلك الجبال، وعظم نيلها من أهل السفه والضلال[5]. كما أشار النميري إلى "قصر باتنة" لموسى بن أحمد الرياحي، "وهذا القصر بناه سعيد بن موسى بن أحمد الرياحي حرصا على الادخار، واعتمالا في الضرر والإصرار. وكان سعيد هذا ممن وصل سبب الفساد بسببه.... فأمر مولانا أيده الله أن يلحق قصره بقصر ابن عمه، ويتناول بالهدم المسيئ لأهل ثمه ورمه. فاقتحمت القبائل مسافاته، ونهدت معتملة في محو سماته[6]. وقريب من باتنة نجد قصر لمباز حيث لا زالت الآثار القديمة ماثلة للعيان وشاهدة على حجمها "التي هي من أعظم ما يرى في المغرب والمشرق..."[7]. تنتشر هذه

على أن هذه التفاسير تبدو مخطئة، والحقيقة أن ظاهرة القصور تتنزل في إطار تاريخي عام، متميز باختلال الأمن نتيجة الأزمة التي عرفتها البلاد إثر قدوم الهلالية ومن جراء هجومات النورمان على السواحل. كما جاءت نشأة القصور وتعددها كرد فعل على انتشار ظاهرة البداوة والترحال التي أصبحت تهدد التجمعات السكنية المستقرة[5]. محمد حسن. القبائل والأرياف. ص 185- 186.

وحول مفاهيم ووظائف عمارة القصور ومستلزمات إنشائها والعناصر التي تتشكل منها ينظر: محمد حسن. الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 6- 15م. دار الكتب الوطنية. بنغازي. 2004. ص 45- 59.

[1] أبة: مدينة تبعد عن القيروان مسافة ثلاثة أيام، وهي دينة أولية يكون فيها الزعفران الجيد، وعلى ستة أميال منها مدينة لربس ومدينة أبة قريبة من نهر ملاق. البكري. المصدر السابق. ج2. ص 231.

[2] الإدريسي. المصدر السابق. ص 117. العمري مسالك الابصار ص 84. محمد حسن. المدينة والبادية. ج1. ص 207- 208.

[3] النميري. المصدر السابق. ص 96- 97.

[4] لم نستطيع تحديد موقع هذه المدينة بالضبط وهذا حسب المصادر التي اطلعنا عليها

[5] النميري. المصدر نفسه. 416.

[6] المصدر نفسه. 97، 416، 417.

[7] المصدر نفسه. ص 97، 417.

القصور على طول خط الطريق الرابط بين لمباز وبسكرة، ونجد القنطرة التي اتخذها يعقوب بن علي كملجأ ومستودع للذخائر "وأسكن به صهره عليا بن الحكيم وكرم به مثواه. وأمر بتشييده على ربة حجابه، وأقر جنب أماله على جنابه. وجعله مستودع ذخائره، وأحله من الغبطة محل السر من خواطره.

فلما نزع يده من طاعة الخليفة وحظر عليه الوصول إلى الحظرة العالية المنيفة. ظن أن ذلك القصر ينجيه من جيوش بني مرين، وأنهم لن تصل أسدهم منه إلى عرين. فترك ما عز عليه واستنام إلى كفاية صهره المذكور واستند إليه[1]. ومن القنطرة يستمر الركب في الإتجاه إلى الجنوب حيث قصر لوطاية الذي كان "قرة عين ليعقوب بن علي، وأعظم ذخر لوال له وولي، ومنه كانت أقواته المرغدة، ومراقده المسعفة المسعدة. ومرافقه المنتخبة المنجدة، وبجراية مياهه عظمت جرايته، وبرعي حميمه كرمت رعايته. وقرب لوطاية يصف النميري قصر طولقة التي "وجدها (أبو عنان) على ما وصف له من التمنع القديم عهده، والتصعب المبرم عقده، والاتقان المنتظم عقده[2]. وبجنوب غرب الأوراس دائما كانت تنتشر قبائل ريغة التي امتلكت هي الأخرى مجموعة من القصور، وكانت لهم "قلاع رسخت بتلك الجبال مفارعها، وكادت تلمس الشمس مطالعها. وحصون تمنطقت بالسحاب، وأجذبت ذيول الغمام أحسن الاجتذاب. ومدت أنامل شرفاتها لتناول كؤوس النجوم، وكشفت عن مناكب ابراجها لتحمل أثقال الغيوم... وكانت هذه القلاع قد أبدت لأهل الأمر نزاعا وللفتن نزوعا، وارتفعت بحيث الأهوال بحور فخلناها قلوعا"[3]. وكان هدف الجيش المريني بالمنطقة هو عدم السماح بتطاول القبائل من خلال نشر السلم بينها.

[1] النميري. فيض العباب. 422- 423.

[2] المصدر نفسه. ص 426- 427، 443، 447.

[3] المصدر نفسه. ص 463، 464.

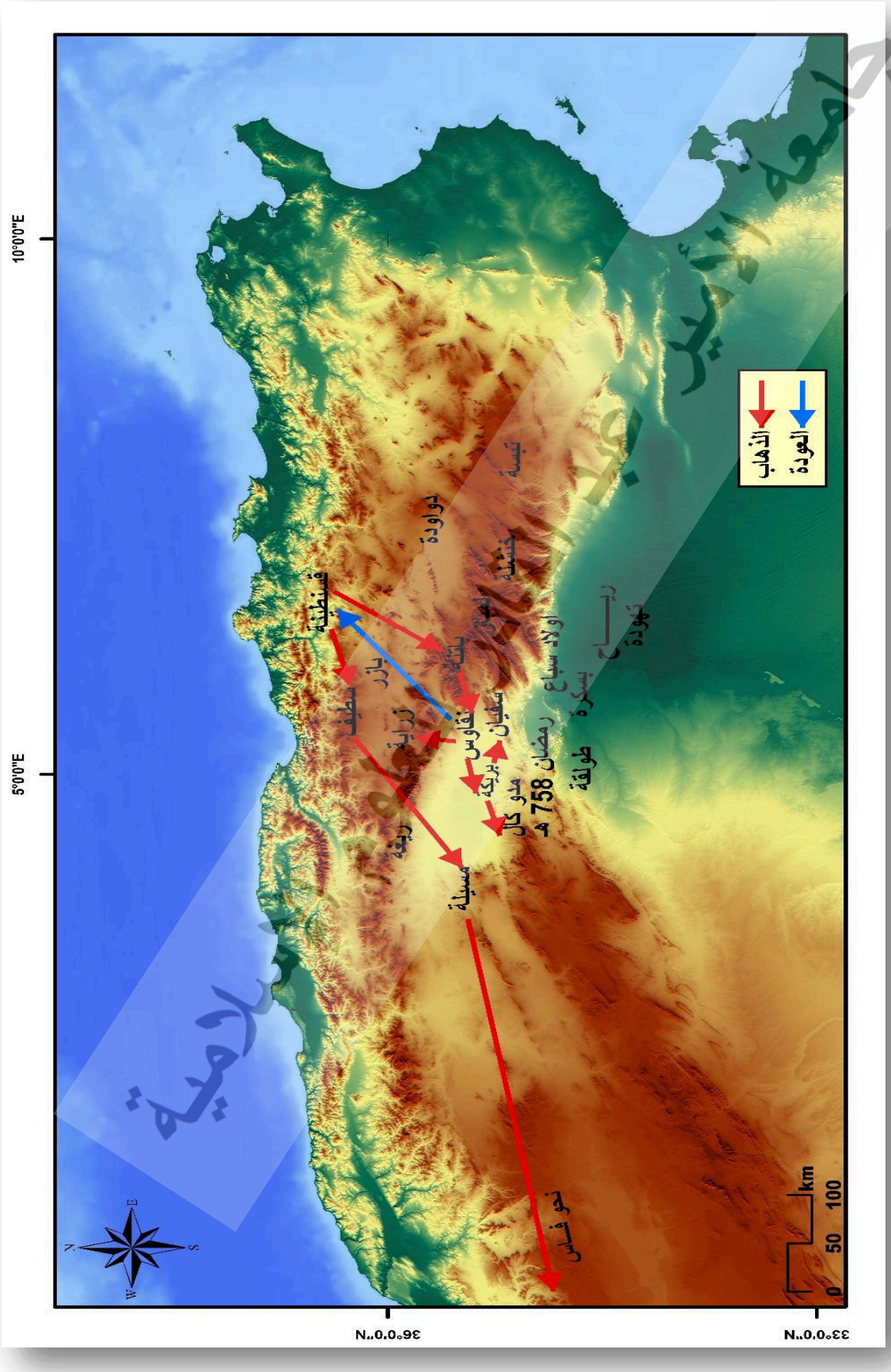

مسار حركة أبي عنان المريني بالأوراس حسب النميري.

3–الهدم من أجل السيطرة

يعتبر تجريد القبائل والجماعات التي كانت لا تعترف بسلطة المرنيين وتهدد أمن مجالهم الهدف الأول لحركة أبي عنان المريني ومن ثمة بسط سيطرته وتوسيع مجال نفوذه شرقا، ولعل العقبة الأساسية أمام هذا الهدف يتمثل في توزع الحصون والقصور القلاع التي كان على الأمير المريني أن يهدمها من أجل تحقيق أهدافه. فكان هدم هذه القلاع والقصور وحرق بساتينها وواحاتها أولوية قصوى في هذه الحركة (السعيدة). فكان أول هذه القصور التي أعمل فيها الهدم هو قصر عثمان بن علي، وقسم آثاره على القبائل، إذ يقول النميري أن أبا عنان أمر "بهدمه، وصدر عهده الكريم بإذهاب رسمه. وركب حتى قسمت مسافاته على القبائل، وأسلمت مصانعه البديعة إلى الغوائل، فتحكمت في تحليل تركيبه المعاول، ولم يعجب من مبنيه إن غيرته العوامل... ثم عمد الجموع المعروفون بأبادين إلى الجنات فعموا شجرها قطعا، وأعدموها أصلا وفرعا، وقرعوا كبد أرضها قرعا[1]. وبعد أن يسرد النميري كيفية إحراق قصر لمباز يعود إلى باتنة حيث "أمر أيده الله على ذلك القصر فعفيت آثاره، وبشرت من مهرق المعمور أسطاره وكأنما كانت أسسه أسوارا ففضحت أسراره. وأضحى برجه وليس بوتد لكن مقرا للأوتاد... هذا وكم سر به الداني من سكانه والقاصي، وأعجبهم عصيان سعيد الذي أشبه أباه الذميم النواصي[2].

وامتد الهدم والحرق إلى القصر المجاور لباتنة بلمباز "وسرعان ما صدر الأمر الكريم بإضرام تلك القصور والقلاع نارا، واستئصالها بالانتساف جهارا، وجمع الأيدي على هدمها امتعاضا للدين وانتصارا وما سار الركاب العلي عن تلك الأقطار، حتى تبوأ كل قصر مقعده من النار. وحسرت لأهله الحسرة عن ذراعها، وكشفت لهم الخطوب المقنعة عن قناعها. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، وتلك ربوعهم دارسة بما اجترحوا واجترموا... وبات مولانا أيده الله بباتنة مكتمل السعود [.....] وأمر بتعفية ما بقي من رسوم القصور اللميسية، والقلاع التي عطفت عليها وجوه الخيول الوجيهية. فتحكمت الفؤوس في أساسها، ومحيت محو الخطوط من اطراسها. وجد في استئصالها اليوم والامس، وميز من حدودها الرسم والجنس، وسلط على أهلها الطرد وعلى آمالهم العكس[3].

---

[1] النميري. فيض العباب. ص 415– 416.

[2] المصدر نفسه. ص 419–420.

[3] المصدر نفسه. ص 419.

لم يكن قصر القنطرة ليختلف عن سابقيه بباتنة ولمباز "فقطعت أواصر أسواره، وتناهت القبائل في محو آثاره. وتنولت بالتخريب مائلات دياره. وصرعت جدرانه صرع الأقران، وكتبت حيطانه إلى الأذان. وتردد الاستئصال لسواده، واستوسع الفتك بأغواره وأنجاده... وشيع مثل الإنقعار على نخيله، وتحكم القطع الذي قعد الشقي بسبيله، وأحيط بثمره، وشجر الاصطلام بين شجره. وبسته جبال أبراجه أعظم البس[1]. ونفس المصير كان ينتظر قصر لوطاية والطولقة، إذ أمر بتهديم قصر لوطاية، "وأحاطت النيران بخشب السقف فضمتها ضما، وأكلتها أكلا لما، ورمت بدخانها فألبست جوها حدادا"[2].

أما طولقة التي وصلها في رمضان 758هـ/ 1356م "فأوعز في الحين بهدمها، وإذهاب وسامتها ووسمها، وإسقاط ثناياها التي أباحت الظلم ارتشاف ظلمها[3]. ولم يكن إلا أن أمر مولانا الخليفة بإذهاب مينه، وإزالة زينه، وإشهاد انطفائه على عينه. فشدت القبائل لاستئصاله الأزر، وتقسموا مسافاته تقسم ساكنيه الجزر. واتصل العمل في ذلك هدما وحرقا، واجتمعت عليه الأيدي محوا ومحقا"[4]. وفي يوم 23 رمضان 758هـ/ 1356م، ستمتد آلة الهدم والحرق إلى واحات الزاب بفرفار، إذ أمر أبو عنان بقطع نخيلها وأشجارها وبساتينها "فانتهضت الجيوش كلها بمن تبعها من الخدمة على اختلافهم، وتباين أصنافهم. ومن انضاف إليهم من أهل بلاد الزاب، مستقدمين لدهم العمل المواصل الاستتباب. مبتدرين للامتثال الظاهر النفع، منتدبين بآلاتهم التي عرف حكمها لكن بالقطع .... وأصبحت فرفر أوحش من الرمس، وأكره من الجسم بعد فراق النفس، كأن لم تغن بالأمس، ولا طلعت زهر أزهارها على رغم أنف الشمس[5].

في طريق عودة الجيش المريني ونتيجة لما كانت تسببه جماعات سفيان من مشاكل لمدينة نقاوس، أمر أبو عنان في ثاني أيام عيد الفطر الوزير الشيخ أبا علي الحسن بن عمر الفودودي بهدمها "فاستولى في ذلك اليوم تعفية آثار سفيان، وصيره كأنه ما كان، ولم يترك به بحر الأهوال إلا الغربان. وعاد ذلك الحصن كعظام حصن أبي عيينة. ..[6]. ومن أجل استكمال القضاء على مواطن التهديد للحواضر التي اذعت لسلطان المرينيين كان لا بد لأبي عنان أن يقضي على قوة ريغة المجاورة لنقاوس، واستقر الرأي على أن الهدم سداد وصلاح للسياسة

[1] النميري. فيض العباب . ص 423

[2] المصدر نفسه. ص 426- 427.

[3] المصدر نفسه. ص 443، 447.

[4] المصدر نفسه. ص 447.

[5] المصدر نفسه. 448- 449.

[6] المصدر نفسه. ص 462.

المرينية، وأن "انتسافها من أمارات الفلاح والنجاح. فتوجه الحاجب ثقة الخلافة الشيخ أبو عثمان سعيد بن موسى بجموع من الخيل والرجال، والآلات الكفيلة بتلك الأعمال. فعفى آثار قلعتين في يوم واحد، وكذب صاعد أسوارهما فيما ادعاه من الاستعصاء فلم ينكر كذب صاعد، ولم يعتصم منه مراقيها التي نزل بها العصم... وتولى غير أبي عثمان من الخواص هدم ما سوى تينك القلعتين. فلا أثر لجميعها بعد العين، ولا خلف لأبدها غير الأين. ولا إياب لغمارها أو تباح إياب القارضين، ولا ارفاد لأهلها أو تنضب مياه الرافدين[1].

تلك هي خلاصة أعمال حملة أبي عنان المريني التي كان مجالها يشمل أقاليم واسعة من منطقة الأوراس، والذي سيطرت عليه جماعات هددت مصالح المرينيين، ويوجز لنا النميري هذه الحركة في الرسالة التاي كتبها بالمسيلة، والتي لا تخلو من المدلولات العمرانية والسوسيو مجالية؛ إذ يقول فيها بأن القصد من الرحلة إلى الزاب هو القضاء على "مقار الأشقياء الذين استحقبوا نكرا، ومواطنهم التي يذكرونها كذكرهم آبائهم أو أشد ذكرا. فلما علموا بذلك هربوا إلى الصحاري والقفار... ولم يكن بأسرع من وصولنا إلى بلاد الزاب، وإنحاف الخيل لها كما ترضاه الركاب. فتتبعنا بالمنازل شتى أقطارها، وحسنا بجيوشنا المظفرة خلال ديارها، وهدمنا ما كان للأشقياء من حصون وخربنا ما كان لهم من أوطان، وقطعنا نخيلهم الذي كان بحدائقه الملتفة"[2].

وبعدما استقر أبو عنان بفاس لم يطمئن للوضع بإفريقية وما كانت تقوم به قبيلة الدواودة فقام بإرسال سليمان بن داود على رأس جيش عام 759هـ/ 1357م، واستطاع السيطرة على "وطن قسنطينة" وطلب مساعدة من يوسف بن مزني للقضاء على هيمنة الدواودة ودارت المواجهة "بجبل أوراس، واقتضوا جبايته ومغارمه. وشردوا المخالفين من الدواودة عن العبث في الوطن، فتم غرضهم من ذلك. وانتهى الوزير وعساكر السلطان إلى أول أوطان إفريقية من آخر مجالات رياح"[3].

وهنا تنتشر هوارة في بلاد مضطربة في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، إذ يقدم ابن خلدون شهادة حية عن وضع المنطقة في رحلته بعدما خرج من تونس[4]، "نزلنا بلاد هوارة، وزحفت العساكر، بعضها بعضها إلى بعض، بفحص مرماجنة، وانهزم صفنا، ونجوت انا إلى أبة، فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن

[1] النميري. فيض العباب. ص 464.

[2] النميري. المصدر نفسه. ص 482- 483. ابن خلدون. ديوان العبر ج6. ص534- 535. ج7. ص 394.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج7. ص 395.

[4] كان ذلك في عام 753هـ/ 1352م..

الوشتاتي، من كبراء المرابطين، ثم تحولت إلى تبسة، ونزلت بها على محمد بن عبدون، صاحبها فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق. وبذرق لي مع رفيق من العرب. وسافرت إلى قفصة"[1].

وأصبح هذا المجال تتقاسمه هوارة وأولاد أبي الليل، فيما حاولت السلطة المرينية التوسع غربا إلى حدود هذه الأقاليم بشمال الأوراس؛ ففي منتصف القرن الرابع عشر ميلادي/ الثامن ميلادي، كان فحص تبسة هو النقطة النهائية للحملة المرينية التي قام بها أبو عنان ضد إفريقية 758هـ/ 1356م. بعد الاستيلاء على قسنطينة، فوجه الجيش المريني إلى تبسة، ستستمر حالة التمرد والاضطراب في هذا المجال بتبسة التي تقع وسط بلاد التل بشمال الأوراس، وسيعبرها ابن خلدون في رحلته التي صادفت ثورة ابن يملول عام 783هـ/ 1381م على سلطان تونس فكانت هذه الحركة التي شارك فيها ابن خلدون وأعادت تبسة إلى حظيرة تونس، إذ يقول بأنه "انتهيت إلى تبسة، وسط تلول إفريقية، وكان منحدرا في عساكره وتواليفه من العرب إلى توزر"[2].

بقي سكان تبسة دوما في حالة تمرد ضد ملوك تونس. وكانوا يقتلون الحكام الموفدون من قبلهم. ففيما كان ملك فاس "أبو عبد الله محمد" مارا على تبسة عام 915هـ/ 1009م- 1010م، أصدر أمرا بالهجوم فدخل إلى تبسة عنوة وشنق فيها أكثر من مائة رجل، وذبح أكثر من مائة آخرين، ثم نهب المدينة حتى أصبحت خاوية تقريبا. وحدث هذا عام 915هـ[3].

كانت السلطة الفعلية والقانونية بيد زعماء القبائل التي يعترف لها السكان بذلك، وتشارك في إدارة الصراعات داخل الجماعات المقيمة على الأراضي، كما تبين الفتاوى وجود الكثير من المجالات خارجة تماما عن السلطة[4]. فالمجال الممتد من شمال إلى جنوب تبسة نجد أن كل القبائل التي تستقر هنا إما هي قبائل رحل أو

---

[1] ابن خلدون. رحلة ابن خلدون. ص 65.

[2] ابن خلدون. الرحلة ص 198.

[3] الحسن الوزان. المصدر السابق. ص 435- 436. مارمول كربخال . افريقيا. ج 3. ص 15. وعن حالة المجتمع الذي يعيش بمدينة تبسة يقدم الوزان وصفا له بقله "... سكان المدينة بخلاء غلاظ قساة، ولا يحبون رؤية أي غريب، حتى أن الدباغ وهو شاعر ذائع الصيت وأصله من مالقة التابعة لغرناطة، تلقى إهانة عند مروره بهذه المدينة، وكتب:

فيما عدا أشجار الجوز لا شيئ في تبسة مما يمكن إأعتباره ذا قيمة وجديرا بالإهتمام

لقد أخطأت: فيها كذلك الأسوار والماء النقي في النهر المجاور. هذه المدينة قد تجردت من الفضائل

وسأقول: ذلك هو الجحيم، مع كثير من الخنازير الذين يسكنون منازلها. المصدر نفسه. ص 436.

[4] Élise Voguet, « Islamisation de « l'intérieur du Maghreb»: les fuqahâ' et les communautés rurales ». *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 126, (novembre 2009), 141-152. p. 149.

شبه رحل (مستقرة) تنتشر على الحدود التونسية، وهي منظمة اجتماعيا وفقا لنظام اجتماعي مرتب؛ حيث نجد المناطق الريفية تصبح أكثر وضوحا. أما الرحل في جنوب تبسة تستقر فيها قبائل النمامشة، والتي تعتبر أيضا مواطن لمجموعة من القبائل العربية، والتي تعود أصولها إلى قبيلة رياح العربية والتي انتشرت بين الحدود الجنوبية لتبسة إلى غاية بسكرة[1]

خامسا: مجال هوارة: جماعات الحنانشة وإعادة ترتيب المجال.

القرن العاشر الهجري ينفي المؤلفان ليون الافريقي ومارمول كربخال بخصوص عمارة الجبل المزاعم القائلة بخلائها من السكان، مشددين على أن معظمها مأهول منذ القدم. فقد مثلت الجبال رغم قساوة مناخها مناطق معمورة ذات كثافة سكانية مرتفعة جاوزت أحيانا السهول المتاخمة لها، فضلا على انها مثلت مناطق محصنة وملاذا آمنا لتنظيم حركة المقاومة أو الممانعة ضد تعسف الحكام وتسلط القوى الغازية[2].

وحسب شهادة ليون الافريقي فإننا أمام زحف للريف على منطقة الأوراس، إضافة إلى اختفاء بعض المدن مثل مجانة التي لا نجد لها ذكر بعده، وحتى مجالها أخذ يتراجع في القرنين العاشر والحادي عشر هجري. وأصبحت المنطقة تختلف تماما على ما كانت عليه خلال العصور القديمة. مع التحول في الهياكل الريفية، والأنظمة التي رافقت اختفاء وحذف الكثير من المراكز الحضرية، بما فيها تلك التي كانت على أهمية كبيرة بالنسبة لبعض الفترات مثل مجانة التي كانت منتجة للمعادن[3].

وقد كانت الحنانشة ضمن المجموعات التي كانت لها رغبة في الاستقلال منذ عهد الموحدين والحرب ضد بني غانية، ولم تتوقف تلك الجماعات عن أن تكون عنصر اضطراب وإبداء الرغبة في الحكم الذاتي والاستقلال بمجالها[4]. إضافة إلى التغيرات المجالية التي مست المسالك والطرق بفعل النزاعات المتكررة التي شملت إقليم شمال الأوراس، والاضطرابات التي تسببت فيها على الخصوص حركة بني غانية، أدت إلى تغير جغرافية القبائل الرئيسية بالأوراس، وبروز قوى جديدة كانت أهمها الحنانشة، التي أصبحت منذ نهاية القرن الثامن الهجري تمتلك الأرض، ولديها مجالها الخاص بها بشمال الأوراس؛ ففي عام 797هـ انتصر الأمير أبو فارس

[1] Yassir Benhima. Pierre Guichard, *op, cit*, p. 97- 98.

[2] عادل النفاتي. المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب. حفريات في أدب الرحلة. القرن 16. في الهوية والتدين والثقافة. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. 2015. ص 17.

[3] Yassir Benhima. Pierre Guichard. *op, cit*, p. 111- 112.

[4] *ibid*, p. 111.

على الأمير عبد الله الذي فر إلى فاس، "التقى الجمعان في شهر رمضان المعظم عام سبع وتسعين فهزمه مولانا السلطان من تبسة الكائنة بأرض الحنانشة التي عندها أصل وادي مجردة إلى سيبوس ..."[1].

مع اقتراب نهاية العصر الوسيط يتجه مجالنا إلى أن يأخذ توزيعا آخر يختلف تماما عن جميع وضعياته السابقة؛ فقوى الجماعات الجديدة وعلى رأسها الحنانشة سترسم معالم جغرافية تتماشى مع طموحاتها، وستعطي هذه الجماعات دفعا لعودة الكثير من الحواضر التي تراجعت في السابق. فإذا كان مجال الأوراس في هذه الفترة كما بعض المصادر الجغرافية أنه مجال لقوم "غيورون على حريتهم، لذلك تجدهم لا يطيقون أن يروا الأجانب في أرضهم حتى لا يعرف أحد ممراتهم وطرقهم، فلا يرضون بالخضوع لأحد. وهذا هو السبب في حروبهم المستمرة مع العرب الذين يسكنون الجهات المجاورة لهم"[2]. وحركة انبعاث المدن القديمة لم ترتبط بتأسيس حواضر جديدة. إذ يبدو أن بعض المراكز أو القرى قد ظهرت للوجود آنذاك وستزداد أهميتها فيما بعد. ويمكن أن تكون مجرد نتيجة لتحول محدود للموقع لأسباب مختلفة ... ويمكن أن تكون ناتجة أيضا عن توسع حقيقي للسكن الحضري، خلال فترات أهدأ شيئا ما وأكثر أمانا، ولكن ليست لدينا معلومات مضبوطة حول الوقائع والتواريخ، لنتمكن من استخلاص إتجاه عام، حتى بالنسبة للمناطق التي لنا معلومات أوفر بشأنها، وذلك بخصوص خراب أو انبعاث بعض الأماكن الآهلة بالسكان[3]. فكانت الفترة ما بين القرن 7هـ/ 13م إلى القرن التاسع هـ/ 15م قد شهدت بروز أسماء بعض المدن مثل تبسة تيفاش نقاوس مجانة، وأصبحنا نجد أثرا واضحا لتحول الطرق والمسالك على العمران وانبعاث حواضر نتيجة قوة القبائل التي استقرت بأماكن معينة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن نقاوس في القرن العاشر الهجري مزدهرة ونالت إعجاب وثناء ليون الإفريقي حيث يقول أن "الذي يقصد نقاوس يود لو يبقى فيها حينا طويلا من الدهر ويأسف لاضطراره إلى مغادرتها، وذلك لما لقيه من أهلها المضيافة المحبين من حفاوة وترحاب"[4]. وكانت تحيط بها أسوار عالية من الحجر... يمر على مقربة منها نهر تغطي جوانبه أجنة وبساتين كثيرة... وثمار هذه الجهات أحسن ما في إفريقيا،

[1] الزركشي. تاريخ الدولتين، ص 118.
[2] كربخال. المصدر السابق. ج2. ص 390.
[3] برونشفيك. المرجع اللسابق. ج1، ص 365- 366.
[4] الحسن الوزان. وصف افريقية. ج2. ص53.

تجفف وتحمل قصد البيع إلى قسنطينة التي تبعد عن هذه الجهة بما يزيد عن خمسين فرسخا بين جهة المشرق وجهة الشمال[1].

أما تيفاش فكان لتراجع أهمية المسلك الرابط بين طريق الجبال بين المسيلة والقيروان من جهة، والنزاعات الدائرة بين قبائل بني هلال وبني سليم حول تملك هذا المسلك في القرن السابع هـــ/ 13م. قد أديا إلى تضرر المدينة، وإلى انتقالها في مرحلة لاحقة إلى سلطة قبيلة هوارة[2]. واستمرت هذه المدينة حتى بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ظلت في حوزة "قبيلة إفريقية لم تستخدمها إلا لتخزين حبوبها. تدعى هذه القبيلة "هوارة" ولها في أيامنا أمير يدعى "نسر". وبعد أن جمع هذا الأمير العديد من الفرسان راح يحارب لمصلحة قبيلته حتى بلغت به الشجاعة أن يوطد مركزه في الأرياف على الرغم من العرب. وهو الذي قتل أمير قسنطينة الذي يدعى الناصر، ابن ملك تونس[3].

خلاصة:

إن تتبع تطورات المجال بالأوراس العصر الوسيط تسمح لنا بتسجيل مجموعة ملاحظات:

في البداية استمرت قوى ما قبل الفتح في مواجهة الحملات العسكرية للفاتحين، وفي غرب الاوراس واجه الفاتحين عبر مجموعة حصون مجانة، باغاية، لمبيس، زانة، بلزمة، طبنة، ودار ملول، ونتيجة للدور الذي لعبه مجال الاوراس في مرحلة الفتوح طيلة القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي، يتراجع بعد ذلك لذهاب قوته خاصة جراوة وأوربة. حيث انهارت قوى الجماعات المحلية وفشلت الاتحادات القبلية في خلق قوة موازية لصد الفاتحين. بالموازاة مع ذلك نجحت بعض القبائل في نسج تحالفات مع ثوار خوارج.

ثم استقبل الدعاة في إطار النشاط المذهبي بالخلافة الإسلامية؛ فقد كان الأوراس أحد أهم المجالات التي تفاعلت مع هذه الحركة فكان بعد ذلك معقلا للنكار الخوارج كطرف معاض للإمامة الرستمية، ثم كقوة مقاومة و"دفاع" كمفهوم إباضي ضد الفاطميين.

[1] كربخال. المصدر السابق. ج2. ص 383.

[2] محمد حسن. المدينة والبادية. ج1. ص 209.

[3] الحسن الوزان. المرجع السابق. ص 434.

لم يلبث الأوراس أن انقسم مذهبيا تبعا لأزمة الإمامة الرستمية، ونجح النكار في السيطرة والاستحواذ على قسم كبير من الأوراس الذي استمر في الثورة ضد الفاطميين الذين شكلوا قوة من الأتباع الذين أطاحوا بالحصون الأغلبية، و لم تكن هذه القوة لتنجح لولا السياسة التي اتبعها أمراء الدولة الأغلبية في العمل على الحد من قوة هذه الحصون وحامياتها.

اختراق الشيعة للأوراس كان بالاعتماد على سياسة تخريبية تمثلت في حرق وهدم المدن والحصون وترهيب السكان الذين رفضوا الاستسلام ووقفوا ضد المبشر بظهور المهدي الذي لا يزال في حالة الاستتار.

استطاع الفاطميون من توسيع نفوذهم ببلاد المغرب الإسلامي، وضم مجالهم أقاليم مختلفة نظموها في ولايات وأعمال، فأحدثوا تغييرات كبيرة في بنية المجال سعيا منهم لربط مختلف الشبكات بالعاصمة المهدية. وكان للعوامل الاقتصادية (جمع الأموال، فرض الرسوم، جباية الضرائب...)، والجانب الأمني العسكري الذي كان حاضرا دوما من أجل تأمين الحدود الغربية، أثر كبير في رسم أبرز معالم تلك الحدود.

فشل هؤلاء في السيطرة على الأوراس الذي تحولت حركته الثورية بقيادة أبي يزيد أن تطيح بملكهم لولا تحالفات قبلية وارتدادات مؤيدي أبي يزيد. ولكنه يعود مرة أخرى ليقف في وجه الفاطميين بعد أن يتبنى النكارية التي قضت عليها الجماعات الموالية للفاطميين، ثم تعيد هذه القبائل انتشارها جنوبا نحو الصحراء والمناطق الواحية وتختفي أمام القبائل الهلالية التي تحكم القبضة على مجال الأوراس في العهد الحمادي.

مجال الأوراس أخضعه الحماديون، ليصبح بعد ذلك ممرا لحركة بني غانية الميورقيين ضد السلطة الموحدية. وفي هذا الإطار نتساءل: هل كانت بعض الحدود الجغرافية حدود طبيعية؟ وإلى أي مدى توافقت تضاريس المجال الأوراسي مع حدود الكيانات السياسية في العصر الوسيط؟ فالأوراس بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، يتراجع دوره في التأثير في الأحداث؛ فنجده في العهد المرابطي والموحدي يأخذ صفة "التخوم" أي بمعنى "المجال الحدودي"، وغالبا ما نجد هذه المناطق تشكل بيئة مناسبة للصراع والمواجهة ضد الآخر، بدءا بالمواجهة مع الهلاليين ثم الصراعات المستمرة بين هذه التشكيلات الإثنية وبينها وبين السلطة بعد ذلك.

وهذا ما ينطبق أيضا على هذا المجال الذي يصبح في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي ميدانا لحركة أبي عنان المريني، الذي لم يتوغل داخل عمق المجال الأوراسي بل اختار المرور على حدود المنطقة ملاحقا

لحركات التمرد التي كانت تقوم بها القبائل العربية. ليصبح العصر الوسيط بشمال وشمال شرق الأوراس بمنطقة النمامشة محددا بتأثيرات الجغرافيا الدينية، وظهور أدوار جديدة لقبائل بالمنطقة خاصة الجنوبية من خلال تحالفها مع حركات مرابطية، وانتشار الكثير من المنشآت المرابطية التابعة لعائلات تدعي النسب إلى الشرفاء[1].

وانطلاقا من هذه الخلاصات والنتائج، نجد أنفسنا أمام شبكة من مختلف العوالم والمجالات المرتبطة والمتداخلة مع قوى مختلفة، تقتضي وجود شبكة التواصل والمسالك بينها، إذ ينبغي الحديث عن عشرات الحدود في آن معا، تلك هي "الحدود التي ترسمها السياسة والحضارة والاقتصاد والتاريخ... أي الحدود المتحركة التي يرسمها انتقال البشر والمنتجات المادية وغير المادية"[2]. فلا شك أن كل هذه العناصر المتشابكة والمعقدة قد استفادت من شبكة مسالك توافقت مع طبيعة الجغرافية المحلية لمجال الأوراس طيلة العصر الوسيط.

[1] Yassir Benhima. Pierre Guichard, *op, cit*, p. 99.

[2] فرناند برودال. المتوسط والعالم المتوسطي، ص50.

الفصل الثالث

المســـالك وتشعبات الهـــوية

الطوبونيمية بالأوراس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: المسالك

إن إعطاء تركيز أكبر للعلاقة التاريخية بين الأقاليم والمقاربات الحديثة يسلط الضوء أيضا على ديناميكية التشكلات الإقليمية، أي تاريخيتها واستعدادها لإعادة التكوين المستمر، وإن كان على نحو متقطع؛ فثمة فكرة أخرى وثيقة الصلة ترتبط بالعلاقة بين الإقليم والأشكال المتنوعة للتنقل؛ بمعنى أن المجمعات الإقليمية ذاتها ليست وحدها التي تتحرك إن جاز التعبير، بل إن أفضل طريقة لرؤية جزء كبير من الكيفية التي تعمل بها الأقاليم أو تؤدي وظيفتها هي رؤيتها بالنسبة إلى الحركة عبر الحدود الفاصلة التي تحدد المساحات الإقليمية[1]. في بلاد المغرب استمرت شبكة المسالك والطرق بعد الفتح الإسلامي، وتتمثل في ممرات الجيوش وشبكات التنقل في العهد البيزنطي والتي ستتحول إلى طرق هامة تربط بين عدة مدن اكتسبت أهمية جديدة كمراكز إدارية أو عسكرية أو تجارية[2].

1- تقديم تاريخي لمسالك الأوراس

لم يكن الأوراس مجالا منغلقا في العصر الوسيط، وكانت للجغرافيا دور كبير في ذلك؛ حيث استخدمت ضفاف الأنهار والمنخفضات والخوانق كمعابر طبيعية وكمسالك سمحت بالربط بين مختلف مجالاته ككيان جغرافي متميز، كما سمحت بأن يكون له دور في تاريخ المنطقة، وكانت الممرات تنتشر في أغلب جهات الأوراس، واتخذت كمعابر لطرق القوافل، أو ممرات للجنود، وأغلب هذه المناطق تسمى تاغيت وهي كلمة زناتية معناها الممر الضيق.

فقد ارتبط الأوراس بالمجالات المحيطة به بشبكة من الطرق والمسالك التي تمتد على حوافه وتخترقه بعضها، وتنتشر هذه المسالك في مختلف الاتجاهات شرقا نحو قرطاجة حيث يربطه طريق يمر إلى لمبيسيس، هذا الطريق الذي يمر عبر تبسة، بدون شك يعتبر من أكثر الطرق الإفريقية شيوعا، ليس فقط بين مدينتين رومانيتين ولكن في نفس الوقت، ولما تمثله لمبيسيس من ثقل عسكري في منطقة نوميديا، وموقعها بالنسبة لقسنطينة وسطيف، فإن علاقات إفريقيا وسلطات نوميديا وموريطانيا السطيفية والقيصرية، هي محصلة تنظيمات هذه الطرق والمسالك[3].

[1] ديفيد ديلاني. الإقليم. مقدمة قصيرة. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. 2017. ص 43.

[2] Corisande Fenwick. *op. cit.*, p.15.

[3] Pierre Salama. *op. cit,* p. 39.

أما شمالا فإن هذه المسالك كانت مرتبطة بأكثر المرافئ النشطة بالمنطقة، وإلى الجنوب اجهت إلى مناطق الواحات والصحراء، أما غربا فاتجهت نحو بلاد المغرب. والقليل من هذه الطرق هي التي تعبر دواخله عبر ممرات وجسور ومعابر استطاعت اختراق تضاريسه المعقدة. من أجل الربط بين مختلف الحواضر والحصون الدفاعية التي كانت هي الأخرى مرتبطة ارتباطا عضويا بالطرق التي مثلت محاور رئيسية في شبكة الليمس قديما، والذي شكل أداة السيطرة والتحكم في الموارد المختلفة للمجالات التي تسيطر عليها السلطة. إذ كانت شبكة الطرق هذه جزءا من الترسانة الحربية الرومانية، وأداة أساسية للسيطرة وحفظ الأمن[1]، لذلك كان الاهتمام به يشكل أولوية ملحة، تقضي بمد الطرق والاعتناء بالجسور وبناء القلاع حولها لحمايتها.

[1] Pierre Salama. *op. cit,* p. 30

طرق قديمة بالاوراس

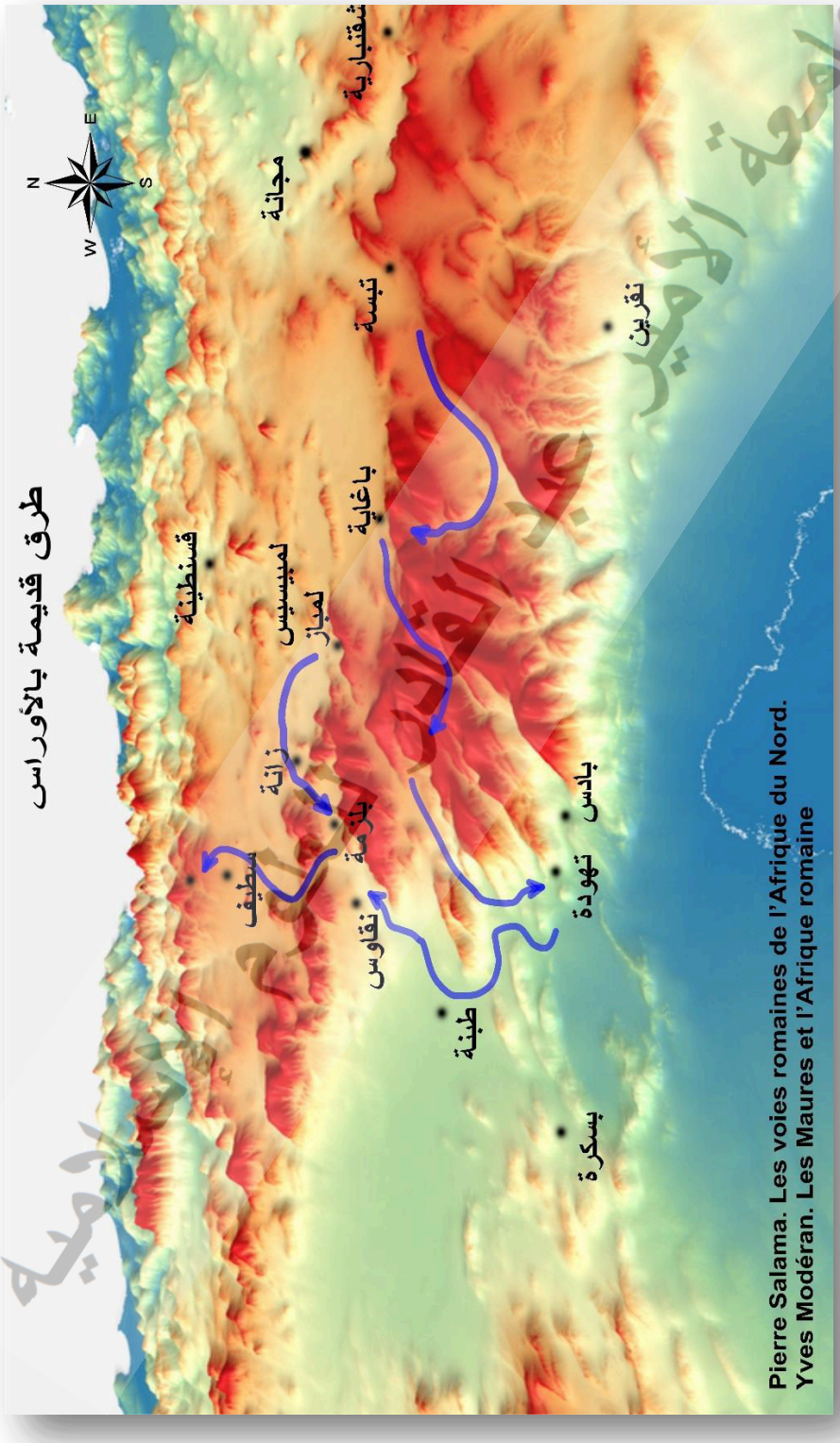

وإذا كانت الضرورة الأمنية سببا للاهتمام بعمارة وبناء الطرق بالمنطقة، فإن الاهتمام أيضا كان منصبا حول تجنب الوهاد والمنخفضات المتوارية عن الأنظار. فالهاجس العسكري جعل مخططي الطرق يبتعدون بها عما من شأنه أن يجعلها عرضة للهجومات المباغتة. وعند مرورها اضطراريا بالفجاج والثنايا كانوا يقيمون حواليها مراكز حراسة ونقاط مراقبة بحيث يبقى الطريق مكشوفا للحراس المرابطين هناك بصفة دائمة[1]. كما روعي الجانب المعماري في تأسيسها وإنجازها، حيث أدخلت فنون العمارة وخاصة في بناء الجسور وجدران الارتكاز، فضلا عن المرافق العديدة التي أنجزت على مسافات محددة لأن الطريق الرومانية عمل هندسي وتقني وفني، فالطريق تعبر الوديان والمستنقعات والمنحدرات الصخرية، ولذلك لا بد من تنفيذ أعمال هندسية متينة، وكان إنجاز الطريق من اختصاص حكام الأقاليم، وفي الطريق الاستراتيجية يتدخل الأباطرة بأنفسهم ولذلك تحمل بعض الطرق الهامة أسمائهم وتقتطع نفقات الإنجاز من الخزينة. أما الطرق الثانوية فكان إنشاؤها وصيانتها من اختصاص الهيئات الإدارية بالمدن البلدية[2].

والظاهر أن تضاريس الأوراس لم تكن عائقا أمام مد الطرق فيها، صحيح أن التجزئة الطبوغرافية لا تيسر المواصلات بين الأقاليم. فحركة التنقل حسب المناطق التضاريسية تستفيد من انتظام وحدات التضاريس من الشرق إلى الغرب تقريبا. مستعملة السهول والأحواض الداخلية التلية رغم عدم تواصلها ومستعملة طرقات الأحواض الممتدة على حواشي السهول العليا، وكذلك عند سفوح الأطلس الصحراوية[3]، لكننا نجد أن مجالنا قد انتشرت فيه الطرق المعبدة وشكلت أعدادا لا تحصى من المسارات والطرق الضيقة التي تقطع هذا الجبل وتعبره. أما الأراضي الصالحة للزراعة بالجبل فعادة ما تكون صغيرة المساحة، وهي مجالات انتشرت فيها المستوطنات الرومانية[4]، إذ كانت الطرق الرومانية تتميز بكونها طرق معدة لاستعمال العربات أي العجلة، أي أن الحيوانات في هذه الطرق ستتحول من الحمل إلى الجر. ولذلك اعتبر مؤرخو الفترة الاستعمارية الطريق ببلاد المغرب مرفقا وإنجازا رومانيا[5]، غير أن هناك دلائل على وجود طرق في إقليم قرطاجة وفي المملكة

[1] محمد البشير شنيتي. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. ج 2. ص 533.

[2] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. ص 132.

[3] جيرار مورار. إحياء الوسط الطبيعي وتهيئته. المغرب العربي. الانسان والمجال. اشراف جان فرانسوا تراون. تعريب. علي التومي. كارم داسي. عبد الكريم سالم. دار الغرب الإسلامي. 1997. ص 52.

[4] Pierre Morizot, « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ». p. 309.

[5] Pierre Salama. Les voies romaines de l'Afrique du Nord. p. 66- 69.

النوميدية على وجه الخصوص تربط بين المرافئ البونية وظهيرها، وبين المدن الرئيسية في المملكة، ولكن لم تكن في مستوى الطرق الرومانية التي تعد عملا فنيا هندسيا بارعا، فضلا عن دورها الاجتماعي والاقتصادي[1].

ارتبطت معظم طرق الأوراس بالشرق بشبكة خط الليمس، والتي تأتي معظمها من إفريقية، وتمر بمطقة الزاب عبر بسكرة وهو طريق يمر على لمبيسيس ثم القنطرة، وآخر يشق الحضنة ويمر إلى طبنة، مقرة، الزاب قرب المسيلة. وهذا الطريق كان متصلا بشبكة الهضاب العليا بطرق عرضية تخترق المنخفضات في السلسلة الجبلية بطرق أخرى[2].

وكانت هذه الطرق تستخدم كطوق للجبال، تعود إلى العهد الروماني في أغلبها نجدها على علاقة بالمرتفعات الجبلية تقريبا، وتشمل كل الأوراس والنمامشة[3]. وتتخللها تحصينات في المناطق الخطرة مثلما نجده في المخرج الجنوبي للأوراس، ونظرا للأهمية العسكرية التي كانت تمثلها منطقة القنطرة المسماة قديما كلكوليوس هيركليوس (Calcuvus Hirculus) فقد أقام الرومان مراكز عسكرية هامة وطرقا وخنادق وأبراج مراقبة على جوانب الأراضي الزراعية قصد حمايتها من الغزاة الجبليين، أو القوافل العابرة لطريق القنطرة العتيق[4]. إضافة إلى مد طرق عبر جنوب النمامشة الغربية حيث نجد ثلاثة طرق رئيسية: محور تبسة قرطاجة، وهو الطريق الأكثر أهمية في القرن الرابع الميلادي مع بناء تحصينات عبر هذا المحور يمتد عبر كل المدن والحصون بالمنطقة. أما المحور الشمالي فهو أقل وضوحا، وربط الحضنة وسطيف ويمتد إلى قسنطينة ثم إلى قرطاجة عبر نوميديا[5].

أما في شمال الأوراس فإن معظم هذه الشبكة ارتبطت بالمدن الساحلية بطرق توصلها بمناطق الإنتاج في الداخل، إذ يستقبل ميناء روسيكادا زيوت لمبيسيس[6] وتيمقاد[7] وقمح الهضاب العليا[8] ولمبريدي (قرب باتنة)[9]. رغم أن معظم الطرق كان إنشاؤها في البداية لأغراض عسكرية استراتيجية ولكن سرعان ما توسعت مجالات الانتفاع منها لتشمل مجالات إدارية وأمنية وعلى الخصوص اقتصادية؛ فقد تم ربط مناطق الإنتاج بمراكز التخزين والتسويق وهو ما سيفعل الحركة التجارية في بلاد تفتقر للملاحة النهرية. كما نجد علاقة وطيدة تجمع

[1] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. ص 129.

[2] Jean Despois. Le Hondna. p. 100- 102.

[3] Pierre Salama. *op. cit.* p. 33.

[4] محمد البشير شنيتي. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. ص 112.

[5] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine* . p. 577 marge 57.

[6] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*. Feuille. 27.255.

[7] pierre Salama . *op. cit.*. p. 25- 26.

[8] Stéphane Gsell, Recherche archéologique en Algérie. Ernest leroux édition. Paris. (1893). p. 158.

[9] Stéphane Gsell. *ibid.* Feuille . 27. 120.

الكثافة السكانية وتجمعات السكان بكثافة الطرق، وهذا ما يفسر كثرة الطرق بمناطق دون أخرى، خاصة المناطق الوعرة التضاريس[1].

بالشمال الشرقي للأوراس، حيث أهم المناطق التي كانت تشهد حركة نشيطة في مختلف مجالات الاتصال والتنقل، فالمنطقة كانت مجالا هاما للعبور لقربها من الساحل والمدن البيزنطية الهامة، نجد مدينة تبسة ولأهميتها فإنها من المناطق الكثيفة المسالك بشمال الأوراس وتتميز بكثرة الطرق التي تعبرها حيث تقطعها ثمانية طرق في جميع الاتجاهات؛ كما يعتبر طريق تبسة قرطاجة هاما بالمنطقة[2]، وقد بني عليه أول جسر الذي لا يزال محتفظا بأربعة أقواس، أقيم على أحد روافد نهر مسكيانة على بعد 2.5 كلم شمال شرقي تبسة. ومن هناك تمر إلى قصر قوراي (Ad Mercurian) وهي أول محطة في طريق قرطاجة عبر سهل تبسة، وفي آخر سفوح جبل الدير من الجنوب، ثم حيدرة ب 26 ميلا (38.5كلم) ولا تزال آثارها واضحة مثل العلامات الميلية المنجزة بعناية[3].

جسر قسطل شمال تبسة

[1] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي. ص 130.

[2] Charles Joseph Tissot,. Géographie comparée de la province romaine d'Afrique. Tome second. Chorographie. Réseau routier. Imprimerie nationale, Paris, 1888. p. 431.

[3] بيار كاستال. حوز تبسة. دراسة وضعية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة وأعراشه. تعريب. العربي عقون. مطبعة بغيجة حسام. 2010. ص 115.

لقد كانت الطريق الرومانية على هذا المحور قرطاجة تبسة، ماسكولة، لمبيسيس، بلزمة، زراي، وسيلة للسيطرة والتحكم والتوسع غربا وجنوبا للإحاطة بكتلة جبل الأوراس، فقد مدت طريق قرطاجة تيلبت (Thélepte) نحو تبسة[1]، وتم ربط هذه الأخيرة بالمدينة الساحلية هيبون (بونة) عبر المادور وتاقست. ومن تبسة أيضا ستمد الطريق غربا عبر خط يمر بيوكس (Aquae Caesaris) وعين زوي Vazaivi وماسكولة، وتوشين إلى تازولت ومنه إلى مروانة (Lamasba) وزراي (Zarai)، ومنها إلى مركز الليمس الموريطاني[2]. وتعود بداية الاهتمام بهذه الجهة بعدما نقل الجيش الأوغسطي الثالث إلى لمبيسيس التي أصبحت مرتبطة بقرطاجة شمالا وقابس (TacapeS) شرقا. وفي عهد ترايونوس 98م-117م سيتم تدعيم هذه الطريق بالمرافق والتحصينات، وخاصة بعد انشاء مستعمرة لقدماء الجند وهي مدينة "تيمقاد"[3]، هذه الأخيرة التي تتمتع بتهيئة حضرية داخل المدينة، إضافة إلى مجموعة من الطرق تربطها بكل الجهات القريبة لها والتي لا تزال آثارها قائمة. حيث نجد بالنسبة لطرق العربات طرقا عرضها ما بين 4 إلى 5 م. وهي كافية حددت وفقا لعمق رصيف تيمقاد، فيما بلغ التباعد بين المركبات الكبيرة 1.45م. ولعربتين يمكن أن تعبرا على الأقل في مساحة 2 م. و90 سم على الأقل. ويمكن أن نضيف على الأقل 20سم كقاعدة للعجلات من البنية الفوقية لكل عربة، وهامش لا غنى عنه لأمن الطريق[4].

بالنسبة لطرق تبسة ماسكولة على امتدادات شمالي الأوراس نجد ثلاثة طرق؛ أول هذه الطرق تمر على رفانا (Refana) حيث توجد أنقاض تعود إلى العهد الإمبراطوري الأول ثم طريق الكرتية نجد عينا وصهاريج، قصر بنيت المنبر لوجود أنقاض معصرة زيت في حصن أقيم خلال العهد الامبراطوري الأول ثم فج عين الصابون و هضبة تاسبنت ثم هنشير متكيدس يطابق مدينة قديمة هي تيمفاس، و تازوقاغت. طول الطريق 60 ميلا (88.8 كلم) وأشار إليها بيان رحلة انطونيوس باسم (Iter Theveste Per Lambassem Sitifi)، ونجد أن ماسكوري يوافق على أنها هي المقصودة في هذه العبارة، لكن هل فعلا كان الرومان يشقون طرقا صاعدة عبر

[1] هناك طريق آخر يمتد من تبسة إلى مدينة تلابت: طوله يقدر ب 54 ميلا، وأصله طريق روماني أنشئ بعد استقرار الفيلق الثالث في تبسة ، وهذا المسلك أهملته الدراسات، لولا الدراسات التي ظهرت في عام 1863 من طرف الجمعية الجغرافية الفرنسية، حيث قام العضو فكتور غويرن (Victor Guerin) الذي كان عضو بالجمعية بتقديم عرض مفصل حول مدينة تلابت القديمة المعروفة في العهد البيزنطي بكنائسها، والمسالك التي ترتبط بها.وكان هذا الطريق على أهمية كبيرة لارتباطه بحدود مجموعة من القبائل اللتي تستقر في هذا المجال. ويسمح بتدعيم نظام المراقبة والسيطرة على القبائل البدوية أو شبه البدوية. salah alouani. de theveste à thelepte : la voie romaine et le peuplement. p. 1, 4-9.

[2] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع. ص 129- 130.

[3] المرجع نفسه. ص 130.

[4] Charles Joseph Tissot,. *op. cit.* p. 465. Pierre Salama. *op. cit.* p. 39- 40.

الصخور حيث يتعذر على حيوانات الجر والركوب السير فيها خاصة وأنه لم يعثر على أي أثر لطريق رومانية في هذا الفج [1].

يتجه طريق آخر من تبسة إلى ماسكولة طولها حسب قائمة بونتغر (Table de Pentiger) 58 ميلا تمر على عين شبرو-يوكس الحمامات (Adaquas Casaris) – عين بوشقيف، مكيمن، هنشير الكلب، لتصل إلى ماسكولة.

أما الطريق الثالث بين تبسة وماسكولة تتفرع عن طريق تبسة قيرتا في أعلى عين شبرو، ومن هناك تتجه إلى هنشير باغاي شمالي خنشلة مرورا بيوكس وهنشير حماشة. وفي هذا الأخير توجد آثار طاحونة زيت ومبنى مستطيل لعله كان معبدا أو ضريحا كبيرا. وتواصل الطريق سيرها إلى ماسكولة[2].

وإلى الشمال منه نجد طريق تبسة تاقست (سوق اهراس)، يمر في البداية على قرية شمالي تبسة اسمها موفا (Mova) ثم قنيفيدة، ولا تزال بعض آثار هذه الطريق إلى اليوم، ثم تمر إلى وزميوس 30 كلم من تبسة. وتواصل عبر العوينات وفلافيا ماوسي والمادور من هناك تتفرع إلى طريق تاقست، وإلى هيبون، وأخرى إلى قيرتا عبر تيفاش، وأخرى باتجاه حيدرة عبر مرسط.

وطريق تبسة لمبيسيس أشارت إليها قائمة بوتنغر تمتد بموازاة السلسلة الجبلية الأوراسية شمالا من الشرق إلى الغرب. وقد نشرت فيها مراكز مراقبة تشكل خط الدفاع الأول المحيط بالأوراس التي تسكنه قبائل على استعداد دائم للعصيان. وتتوسط مرتفعات النمامشة خط الدفاع الأول والثاني. ونشير إلى أن الرومان في هذه المنطقة الشاسعة المحاطة بمدن وقرى أقاموا مزارع كبرى لاستغلال الأرض واستقبال المعمرين[3]. هذا إضافة إلى مجموعة من الطرق التي تصل تبسة بهنشير ثنية وتيسيدروم. وتبسة إلى هيبون.

أما غربا ونتيجة لكثرة القبائل المعادية للوجود الروماني قديما بالمنطقة، نجد الكثير من الطرق التي تربط مدن الأوراس الغربي بشبكة طرق تحيط بالأوراس انطلاقا من لمبيسيس، سطيف، القنطرة، طبنة، وبوطالب. فلم يكن من الصدفة ربط الاتصال بين لمبيسيس وسطيف بطرق في العهد الروماني، وكان الهدف من ذلك هو مراقبة قبائل البربر عن طريق مجموعة من الحاميات والمواقع العسكرية. كما دعم طريق القنطرة- طبنة-

---

[1] Charles Joseph Tissot,. *op. cit.* p. 465. بيار كاستال حوز تبسة . ص 122 – 154.

[2] بيار كاستال. حوز تبسة. ص 154.

[3] المرجع نفسه . ص 156.

بوطالب، وهي سياسة تدعيم الأمن سمحت بتركيز فرق وقوات لحماية هذه الخطوط، سطيف ولمبيسيس تحيط بمجال خطير للطرق والمسالك الطبيعية الواسعة بإفريقيا القديمة والتي تحيط أيضا بالحضنة[1].

كما أنشأت طرق ومسالك في عمق الجبل مثلما نجده في هذا الطريق الروماني الذي يخرج من لمبيسيس وبعد سهول باتنة يصبح طريق للراجلين عبر الجبل، ليمر إلى لمبريدي حيث تتواجد بعض الآثار على يمين وادي الشعبة. هذا الطريق الروماني عثر على آثاره وحددتا أبعاده ب 27كلم بين لمبيسيس ولمبريدي. ثم يمر إلى لماصبا (بمروانة)، ويكون طوله في حدود 75 كلم[2]. يمر صعودا عبر وادي تفرنت، ثم يمر بين المنحدرات الأخيرة "لجبل تيقلت"، ثم الوصول إلى لاماصبا. على مسافة تصل إلى ما يعادل 20 كيلومترا أو14 ميل[3].

صورة الطريق الروماني لمبيسيس. (لمباز)

[1] Pierre Salama. *op. cit.* p. 33- 34.

[2] W. Ragot. « Le Sahara de la province de Constantine ». *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine*, dixième volume, (1866), p. 233 - 235.

[3] Charles Joseph Tissot,. *op. cit.* p. 503.

أما الطرق التي تخرج من مدينة تيمقاد الرومانية فنجد ستة طرق، إثنان من لمبيسيس إلى سطيف، وثالث عبر ديانة "زانة"، وطريقان نحو تبسة عبر ماسكولا "خنشلة"، وطريق إلى قسنطينة[1]. والطريق الذي يمر إلى لماصبا يمر مباشرة اليها عبر ديانا "زانة" ومن هناك إلى سطيف[2].

أما مدينة لماصبا فيمكن أن تكون ذات أهمية كبيرة في العهد الروماني أو مركزا تجاريا حيث تنتج المنطقة موادا مختلفة وغنية ببلزمة والحضنة. ومنها تخرج الطرق إلى سطيف وزراية وعين قيقبة. وطريق أخرى إلى طبنة ونقاوس[3].

أما عن طبيعة بناء هذه الشبكة من الطرق فإن بيار سلامة يرى بأن هذه الطرق الفرعية الرومانية لها الكثير من السلبيات التي يمكن دراستها من خلال الآثار التي عثر عليها في بعض المناطق حيث لم يتجاوز عرضها 2.5م إلى 3م، وكانت بالطبع طرقا لحركة المشاة والحيوانات لأهميتها الاستراتيجية أو الاقتصادية محليا. أما خارطة طرق الجبال على الأرجح لم تكن أفضل من مسارات البغال وهي نفسها للأهالي. ويمكن للمعاينة الأثرية للطرق من العثور على مسالك جبلية والإشارة هنا إلى وسائل الاتصال والنقل بالبغال والحمير في الجبال خاصة لنقل البضائع أو الأخشاب والماء. إذ وجدت في النصوص التاريخية أو غيرها[4].

إن إحاطة الأوراس بهذه الشبكة الكثيفة من الطرق، والتي تغطي معظم أجزائه تعطي دلالة على أهمية المنطقة، كما أنها تدخل في إطار الأهمية الإدارية للطرق التي تهدف إلى مركزية الإمبراطورية الرومانية، والقضاء على الوسطاء بين المركز والنواحي والمجالات المحلية فيه ليكونوا على اتصال بالناس. كما تسمح للسلطة بسرعة المراقبة لجميع المواقع الخاصة بالتنظيمات المحلية. وضمان التجنيد في الجيش النظامي، وكذلك استخلاص الضرائب. فالعملية تخص العاصمة بأقاليمها[5]. كما أنه من المهم أن نقول أن هذه الممالك بالمغرب تركزت أساسا في المدن و لم تتعد سلطتها السهول غالبا. فكان تنظيم حكومي سيطرت بواسطته على الأقاليم الخاضعة لها. أما المناطق الجبلية والصحراوية، فكانت موطنا لجماعات لا تخضع للسلطة الرسمية. ولا غرو أن سكان هذه المناطق يشكلون خطرا مستمرا على سلطة الإمبراطورية[6].

---

[1] W. Ragot. *Ibid.* p. 199- 200.

[2] *Ibid.* p. 213.

[3] *Ibid.* p. 236- 237.

[4] Pierre Salama. *op. cit*, p. 68.

[5] *ibid.* p. 39.

[6] محمد ولد داداه. مفهوم الملك في المغرب. من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع. دراسة في التاريخ السياتسي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1977. ص 16.

بعد أن بيّنا أهم الطرق الرومانية وشبكة امتداداتها بالأوراس، ندرك أن المقاربة الجغرافية لمسالك المنطقة تساعدنا على معرفة طبيعة تحركات الجيوش الأموية التي كثيرا ما اتخذت اتجاهات شرقية – غربية، كما ندرك أيضا أسباب التفاف هذه الجيوش في غالب الأحيان على حواف كتلة الأوراس من أجل التوغل نحو البلاد الخلفية للمغرب.

2– مسالك الفتوح الإسلامية وتأسيس الدول: الأوراس معبرا نحو الغرب.

منذ بداية توسع الأمويين غرب مصر والوصول إلى إفريقية ركزت القوات الأموية هجماتها على نوميديا؛ إذ من المعروف أن مدن مثل طبنة، باغاية، بلزمة كانت حصونا هامة جدا في نظام الدفاع الذي وضعه البيزنطيون ثم اتخذت فيما بعد كمراكز للمقاومة. وإذ توجه المجهود الحربي في هذه المنطقة فذلك لأن هذا المجال كانت تتركز المناطق الحضرية وهياكل الإمبراطورية الهامة، ونعلم أنه عشية الفتوح الإسلامية كانت هناك بالأوراس إمارات مورية مستقلة[1].

وقبيل وصول طلائع جيوش الفاتحين لمنطقة الأوراس التي كانت شبه مستقلة عن إفريقية، لا تزال المنطقة تحتفظ بالكثير من الجماعات الرافضة لتوسع هذه الجيوش. وقد استقروا في المدن والحصون. أما الأرياف فكانت خاضعة للسلطة العسكرية البيزنطية، حيث كانت تنحصر تجمعاتها حول مناطق المواصلات، وتمتد بين كتل الجبال حيث البربر المقيمون يعززون استقلالهم فيها. إضافة إلى أن النفوذ البيزنطي لم يتوغل قط في الهضاب المرتفعة والمناطق الصحراوية حيث كانت القبائل الرحل تنتقل بكل حرية[2].

وهذا ما جعل موريس لومبار يرى أن جغرافية الفتوح الإسلامية اعتمدت على ممرات طبيعية، تمتد من الشرق إلى الغرب، وقد سلكت الطريق الممتدة في الهضاب المرتفعة مارة من الجريد وعبر الأوراس إلى الحضنة ثم إلى الشمال الغربي للمغرب الأقصى، فكانت السهولة في الفتح، مقارنة مع حملات أخرى لأنهم سلكوا هذه الأشرطة الطبيعية التي تمر بين الجبال وعند اقدامها[3].

لم تخترق الفتوحات الإسلامية الأوراس منذ البداية، بل أنها قامت بالالتفاف حوله متخذة العديد من المسالك لعل أبرزها هي:

---

[1] مثل الإمارة التي أدارها ماستيس (Masties) الذي أعلن نفسه حاكما في حدود عام 476م /477م، والذي حكم لمدة 40 عاما.

[2] موريس لومبار. . الإسلام في مجده الأول من القرن 02 إلى القرن 05هـ (8–11م). ترجمة إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب ، ط 3، 1990 . ص 87

[3] موريس لومبار. المرجع نفسه. ص 87– 88.

1- طريق السفوح الشمالية للأوراس، طريق روماني قديم سلكه عقبة في حملته الثانية، أتى من القيروان ويمر على كل من سبيبة ومجانة وتبسة ومسكيانة قبل أن يبلغ باغاي، ليصلها بدوفانة[1]. وبعدما تصدى عقبة بن نافع لمقاومة لمبيسيس، يمر بعد ذلك بأراضي الزاب (الحضنة) في طريقه نحو تلمسان وطنجة[2].

2- أما المسلك الثاني فيمر عبر طريق شمالية حول كتلة بلزمة الجبلية و يمر على سفوحها الشمالية الغربية، وقد يكون هذا المسلك معروفا لدى قادة الفتح الإسلامي، لأنه ممر قديم يمكن لجيوش الفتح الإسلامي أنها استخدمته في عبورها نحو الزاب أو إلى وسط بلاد المغرب الإسلامي في طريقها إلى المغرب الأقصى أو بلاد الأندلس.

[1] يستمر هذا الطريق في القرون التالية بعد الفتوح الإسلامية. وسيتدعم بعد تأسيس الكثير من الحواضر حيث ينتهي هذا الطريق عند كل من سوق حمزة وأشير بعد القرن الخامس الهجري.

[2] اليعقوبي. البلدان. ص 190- 191. البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 239، 247.

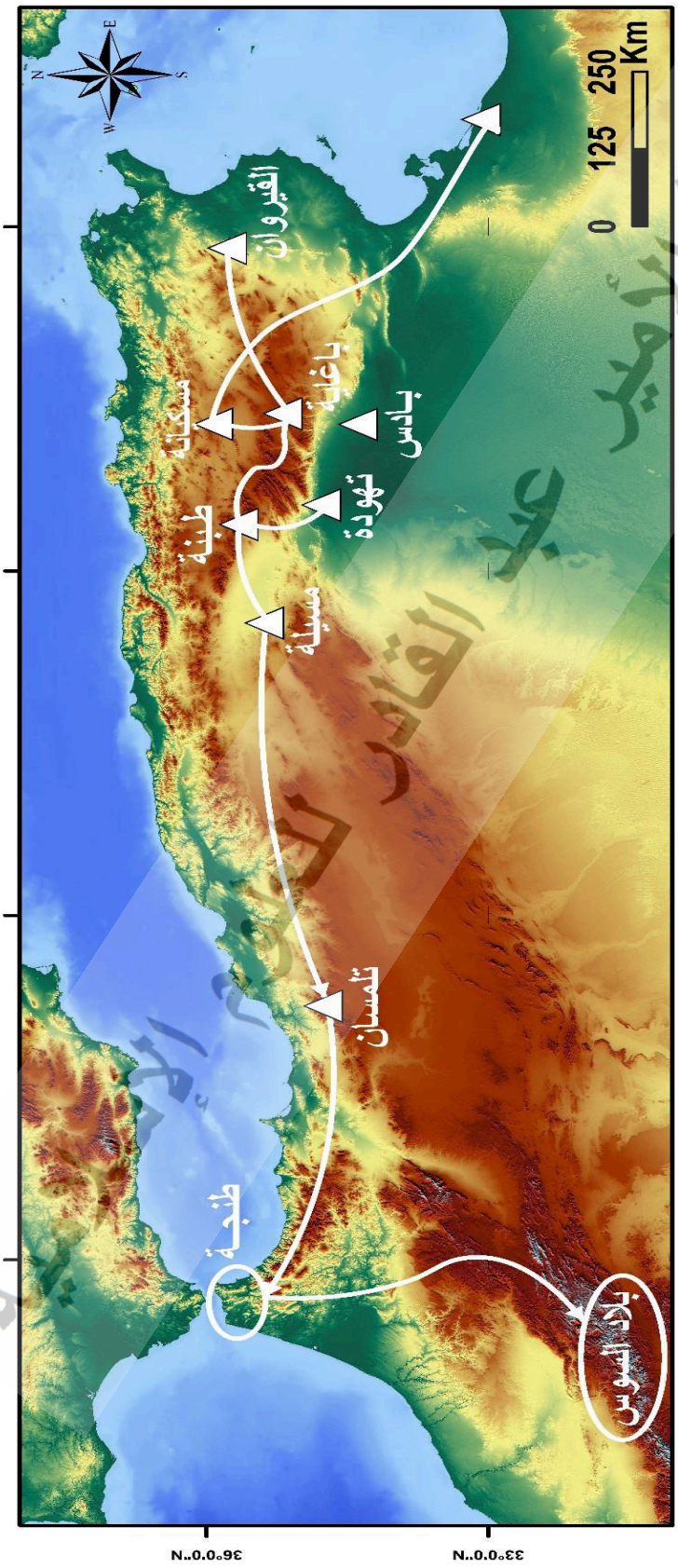

مسار حملة عقبة بن نافع الثانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- طريق جنوبية عبر الزاب الشرقي والغربي، وقد ورد ذكره في أغلب النصوص الجغرافية، و يربط هذا الطريق الجنوبي، معظم مدن وحواضر الزاب؛ طبنة وبسكرة وتهودة وبادس ويمتد غربا إلى الجنوب الغربي لإفريقية وبلاد الجريد.

أصبحت القيروان بعد الفتح الإسلامي القاعدة التي تنطلق منها الطريق المتجهة إلى الهضاب العليا، من الساحل الإفريقي مارة بشمال جبل أوراس إلى شط الحضنة، وتتفرع عنها طريق تتجه إلى بجاية وبسكرة وورجلة من جهة. وإلى الهضاب العليا الغربي مارة بمضيق تازا حتى الامتداد الثاني لسهول المغرب الأقصى[1].

لقد كان هذا النطاق الذي شملته حملات الفتوح الإسلامية، مرتبطا بمجالات ومسالك كانت لها علاقة باستراتيجية الفاتحين المبنية على أساس القضاء على مراكز المقاومة، والجماعات الرافضة لتوسع الجيوش الأموية. ويمكن حصر هذا المجال في الممر الذي يقع الجزء الأول منه بصفة عامة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي جنوبا. وينطلق تقريبا على منطقة توزيع المياه بين المجاري المائية المتجهة نحو الشمال والتي تنحو نحو الجنوب. ويضم جزءا من السهوب- ما قبل المدارية. وفي القسم الشرقي الذي يمتد حتى منطقة الحضنة والمنطقة الواقعة بين الليمس الروماني جنوبا والليمس البيزنطي شمالا[2].

وقف هذا المجال الذي كانت تسيطر عليه الكثير من الجماعات في وجه الفاتحين، مثل لواتة، زناتة، جراوة، بني يفرن، أوربة، ومدغرة، والتي كان موطنها بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، سيكون لهذا الموقع العامل الحاسم في لعب هذه القبائل الدور الكبير في عمليات الفتح الإسلامي إلى جانب الجيوش الإسلامية القادمة من الشرق. وهذا الممر يعتبر الطريق الملائم لتغلغل جيوش المسلمين في اتجاه الغرب[3].

اتخذ الفتح الإسلامي وجهته من الشرق إلى الغرب. وكان الشمال الشرقي للأوراس أول منطقة تشهد التوسع العربي الإسلامي. حيث استطاع عقبة بن نافع ومن بعده حسان بن النعمان من شق الطريق الرابط بين القيروان والمار على تبسة باتجاه طبنة. وكان هذا القسم يشكل إقليما نوميديا من قبل التابع لسلطة قرطاجة. كما تزايدت المصاعب التي اعترضت عقبة في بلاد الزاب، وهي بلاد موريه دون منازع. أحكمت أوربة

[1] موريس لومبار. المرجع السابق. ص 104.
[2] علي صدقي ازايكو. تاريخ المغرب. التأويلات الممكنة. ص 17.
[3] المرجع نفسه. ص 57.

قبضتها عليها، ونلاحظ هنا تواطؤا بين البيزنطيين والبربر الذي لا يمكن إلا أن يدعمه إنتماؤهم المشترك إلى المسيحية[1].

غير أن الفاتحين لم يسلكوا جميعهم نفس هذه المسالك والطرق؛ فحملة حسان بن النعمان إلى شمال الأوراس عبر القيروان نجد أن المدن التي مر بها حسان بن النعمان قبل أن يصل إلى وادي مسكيانة للقاء الكاهنة فإنه اتخذ الطريق الشمالي الرابط بين القيروان وجبل أوراس، أما في الحملة الثانية لحسان بن النعمان فقد تغير الطريق الذي اتخذه للوصول إلى الكاهنة، فلم يتخذ طريق القيروان الأوراس. بل لم يعرج نهائيا على القيروان، واتخذ طريق قابس الأوراس. غير أن الروايات كلها تتوقف عند نفزاوة و لم تذكر أي شيئ عن المدن والقرى التي مر بها حتى وصل من نفزاوة للأوراس حيث تم قتل الكاهنة[2].

بعد انتصار حسان بن النعمان على القبائل المقاومة للتوسع العربي الإسلامي، خاصة بمنطقة الأوراس بعد 82هـــ/7م. بدأت مرحلة تنظيم شؤون إفريقية، وتنظيم الخراج، وملكية الأرض. مع الإشارة إلى أن الاتصال المباشر بين السكان والفاتحين لم يشمل إلا مناطق قليلة من البلاد، وهي في الغالب الواقعة على الطرق الكبيرة. ولأن جل الفاتحين لم يستقروا في البلاد المفتوحة بعد ذلك إذا استثنينا بعض المدن في إفريقية كالقيروان مثلا[3].

فالفتوحات الإسلامية اتبعت خطا واحدا تمثل في محاولة السيطرة على المدن الكبرى ومراكز التجمع القبلية، ووقع تحاشي القبائل المورية الموغلة في الصحاري. ولذا لا يمكن اعتبار الخط الذي مر عبره الفاتحون خط انتشار الإسلام وإنما هو خط مرور الجيوش العربية الفاتحة. وظل ينظر إلى هذا الغزو على أنه إحتلال خارجي شأنه شأن الاحتلالات السابقة، ولا يمكن أن يؤدي إلى اعتناق الإسلام بصفة آلية والتخلص من موروث ثقافي قديم وأن السياسة المالية للفاتحين قد حدت في كثير من الأحيان من الانتشار الفعلي للإسلام[4].

ويرى غوتييه (Gautier) انطلاقا من ابن خلدون بأن التدخل العسكري في المنطقة أحدث اضطرابا في التوازن الجغرافي للسكان، حيث أدى إلى وقوع حراك بشري جماعي، سواء مع الجيش الإسلامي أو ضده أو هروبا منه، فوقع تدافع السكان بعضهم لبعض اتجاه الغرب أو نحو الجنوب. وأدى إلى انهيار بعض التحالفات

[1] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي ص 23.

[2] بوبة مجاني. أثر العربية اليمنية في تاريخ بلاد المغرب. ص 31.

[3] علي صدقي ازايكو. تاريخ المغرب التأويلات الممكنة. ص 50.

[4] المبروك المنصوري. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. تشكله وتطوره وانتشاره. الدار المتوسطية. تونس. ط1. 2011. . ص 162.

القديمة، وظهور تحالفات جديدة بين مختلف المجموعات السكانية. كما أدى إلى بروز العنصر الزناتي على مستوى الأحداث[1].

لقد أصبحت المسالك بعد الفتوح الإسلامية مرتبطة أكثر بالأهداف الإدارية والاقتصادية لجلب السيطرة على الموارد وتحصيلها من مختلف القبائل. كما أننا سنشهد مرحلة جديدة من التوطين وتوزيع القبائل التي اختارت الاستقرار ببلاد المغرب. وهذا يتطلب إخضاع مختلف الأقاليم وسهولة الاتصال للقضاء على الثورات ومراقبة المعارضة. ورغم أن الصعوبة تبقى قائمة بالمجالات الجبلية بالأوراس، فإن محمد الطالبي يرجح توغل أبا خفاجة في عمق الأوراس عبر طريق وادي الأبيض الروماني نحو تهودة؛ إذ يؤكد أن هذا المسلك هو الطريق التي سلكها أبو خفاجة[2]، لما وصل إلى باغاية لا شك أنه تعمق في جبل الأوراس لإعادة البربر الثائرين إلى الصواب، وتطهير الجبل من الثوار. وبعد انتهاء المرحلة الأولى من حملته، يرى بأنه التحق بتهودة عبر وادي الأبيض الذي يشكل منفذا طبيعيا نحو الصحراء، وقد ذكر البكري فعلا أن باغاية كانت تفصلها عن بسكرة عبر الأوراس مسيرة أربعة أيام. وأتاح لنا شارل تروسي ضبط هذه الطريق بدقة أكبر. ونعلم بدقة أنه طريق روماني عبدت سنة 145م ووصلت فعلا باغاية بتهودة عبر وادي الأبيض[3].

نشير إلى أن مسالك الفتوح والسياسة التي طبقها الولاة فيما بعد عملت على الربط بين مجالات مختلفة بشبكات الطرق وهو أمر يهم الجانب الجغرافي كثيرا، إذ يرى لوسيان فيفر أن مسألة الربط بين مجالات مختلفة هي "مسألة صنع أقوى الدروع لحماية عناصر معينة للتنظيم السياسي، ومثل هذا العمل صعب وليس من اليسير المحافظة عليه ولذلك يتطلب عملاء متخصصين لخدمته. وأكثر من هذا ليس هناك ضرورة معينة أو ضرورة جغرافية تحتم ترابط أو تكتل مقاطعات معينة لكي تكون دولة واحدة. فتكتل بعض المقاطعات يوازي غيرها دون أي استحالة أو خروج على حكم المنطق، بل أحيانا تهمل التسهيلات التي تقدمها الظروف الجغرافية في سبيل مصالحهم أو أطماع معينة[4].

---

[1] علي صدقي ازايكو. تاريخ المغرب التأويلات الممكنة. ص51.

[2] من أجل القضاء على ثورة في الزاب ضد الأمير الأغلبي وهو أبو خفاجة محمد بن إسماعيل أرسله محمد الثاني أبو الغرانيق. ابن عذاري. البيان المغرب. ج1. ص 114- 115.

[3] محمد الطالبي. الدولة الأغلبية. ص 296.

[4] لوسيان فيفر. الأرض والتطور البشري. ج2 ص 193.

3- مسالك المذاهب والدعاة:

انتهت حروب الفتح الإسلامي مع نهاية القرن الأول الهجري، وأصبحت المنطقة أمام الكثير من التغيرات الاجتماعية والعقدية، وبدأت عملية التواصل والاندماج التدريجي بالمشرق تتم على مستويات مختلفة، وفي القرون الثلاثة التالية للفتح الإسلامي أصبحت المسالك الكبرى البرية والبحرية تتحكم في النشاط الاقتصادي، وأثرت في اقتصاد الحواضر المنشأة من تجارة، وإنتاج حرفي، كما كان لها تأثير في المجتمع الريفي عامة، والزراعي خاصة، ويكفي أن نذكر هنا بالدور الفعال الذي قامت به القبائل في التجارة الصحراوية، وسيطرتها على أمن المسالك التي تعبر منها جنوبا شمالا، وجنوبا شرقا، البضاعتان الثمينتان في قائمة التبادل التجاري الدولي يومئذ: الذهب والرقيق[1].

كانت أهم نقطة ملفتة في هذه المرحلة هو استمرار هامشية المجالات الجبلية والصحراوية؛ فعصر الولاة أنتج واقعا مزريا بإزدياد الظلم بمختلف أشكاله، وتنامت المنافسة والصراعات بين القبائل العربية من أجل الملك، وأدى ذلك إلى ظهور أهمية المناطق الطرفية التي كانت مأهولة بجماعات خارجة عن نطاق التنظيمات الحكومية. فكان الريفيون يحسدون أهل الحضر على رغد عيشهم ويحاولون بجميع الوسائل الحصول على الأراضي الصالحة للزراعة. وكان كلما ضعفت سلطة الملوك اندفعوا إلى السهول، وانتزعوها من أيدي أهلها وأسقطوا الحكم وأسسوا حكما جديدا، فأخبرنا ابن خلدون أن تأريخ المغرب السياسي في الفترة من القرن الأول إلى السابع الهجري يتميز بالصراع المستمر بين أهل البدو وأهل الحضر، وأن تتابع الممالك ناتج دائما وأساسيا عن تضارب مصالح هذين العنصرين البدوي والحضري[2].

غير أن توالي الأحداث السياسية ببلاد المغرب جعلت الكثير من المجالات تتخلى عن عزلتها وحيادها أمام النزاعات التي نشبت بين مختلف القبائل العربية من جهة، ومن جهة أخرى بين الجماعات البربرية ومختلف الحاميات العربية التي اتخذت من الحواضر مستقرا لها. وإن اختلفت الأسباب حول هذه النزاعات، فإن الثابت هو قدرة دعاة المذاهب العقدية على التأثير في شرائح واسعة من المجتمع. وبقدر ما كان الصراع يشتد بين مختلف هذه القبائل التي استطاع الدعاة استقطابها، فإن أحد اشكال الصراع سيكون حول شبكة المسالك التي تمتد في الشرق والوسط والمغرب، فقد كانت هدفا أساسيا للسيطرة عليها في النزاع بين الأدارسة والرستميين والأغالبة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والنزاع بين الأدارسة والفاطميين في الرابع هجري/ القرن

---

[1] الحبيب الجنحاني. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. ص 210- 211.

[2] محمد ولد داداه. مفهوم الملك في المغرب. من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع. دراسة في التاريخ السياسي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1977. ص 16.

العاشر ميلادي. ثم النزاع بين الفاطميين والأمويين والصراع بين صنهاجة وزناتة في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، وأخيرا هجرة قبائل بني هلال ونزاعاتهم في شرق بني مزاب وفي المغرب الأوسط، ولسيطرة المرابطين في الغرب في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي [1].

لم تكن المسالك والطرق بالأوراس في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بنفس مستوى الأهمية بالنسبة للأرياف التي لم تقل أهمية عن الحواضر. فأغلب الدعاة كانوا يبحثون عن المجالات الطرفية، البعيدة عن المراقبة وأعين الولاة والحكام. وهذا ما نجده عند دعاة الإسماعيلية في المرحلة السرية، إذ كانت جغرافية الدعوة في مراحلها الأولى تبحث عن النجاح في الريف وسط القبائل المحلية، وتلك هي السياسة التي شكلت خطورة على السلطة القائمة؛ هذه الدعوة (الشيعية) التي تبحث عن السرية وتبتعد عن المناطق الحضرية والمراكز الإدارية حتى لا تطالها يد السلطة، ويتمركز في الأطراف في المناطق الريفية والجبلية التي تحكم العصبية القبلية مجتمعاتها وتنظم علاقاتها لتتمكن من تطويع هذه العصبية القبلية لأهداف الدعوة بتحويل العصبية القبلية والتنافس على الزعامة بين رجال القبيلة الواحدة إلى عصبية مذهبية وولاء سياسي [2].

تطرقنا في الفصل السابق إلى أهم المجالات التي أخضعها الداعي لسيطرته مستغلا قرب هذه الحصون والقلاع من بعضها البعض، وحالة الضعف التي كانت عليه، وتراجع السيادة الأغلبية عليها. وكان أهم توسع يحققه الداعي في هذه المرحلة هو الاستيلاء على المجال الغربي للأوراس في قسمه الجنوبي والذي سيهدد الحاميات العربية القريبة منها مثل باغاية وبلزمة [3]. وقبل أن يزحف إلى وسط البلاد ليتبارى مع خصمه في صراع يبدو أنه سيكون حاسما، بقي عليه أن يضمن لنفسه التحكم في باغاية، ومجانة، وتبسة، وغيرها من المدن المحصنة التي ما زالت تحول بينه وبين طرق المرور، انطلاقا من الهضاب العليا الشرقية في ناحية قسنطينة إلى منطقة التل الأعلى الجبلية. وقد كانت العملية الأولى التي قام بها في ربيع 295هـ/ 908م موجهة ضد باغاية [4]، التي "نزل عليها ودخل عسكره فسوقوا بها، وأقاموا أياما..." [5].

---

[1] موريس لومبار. المرجع السابق. ص 89.

[2] حتى أن المجالات الطرفية كانت ميدانا لصراع بين هؤلاء الدعاة ومخالفيهم. فكان عليهم الانتصار على الخصوم الأوائل قبل الانتقال إلى مرحلة الجهر بالدعوة. فسياسة الداعي مثلا أدت الى ظهور جناح معارض وتكون اتحاد قبلي لمواجهة الداعي تشكل من متوسة، لطاية، اجانة، لهيصة، مسالتة، بلزمة، سطيف وميلة. وبذلك تنخرط هذه المجالات في التحولات التي كانت تعيشها المنطقة، بل وستتحول الى بؤر ستهز كيان الكثير من الدول والامارات. ينظر عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 95. بوبة مجاني. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية.ص 79.

[3] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة ص 164- 165.

[4] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 142.

[5] القاضي النعمان . المصدر السابق. ص 181 – 183.

ثم خرج أبو عبد الله بنفسه في احتفال من العساكر فوصل إلى باغاية. وسار حتى أتى مسكيانة ثم أتى تبسة ثم حيدرة... وأمن أهل الحصن بعض أصحاب أبي عبد الله ففتحوا أبوابهم لأبي عبد الله فدخل عليهم العسكر فانتهبوهم 296هـ/ 909م[1].

وكانت باغاية مثل باقي المدن تتمتع بشبكة طرق ومسالك سهلت ولا شك من تحركات قوات الداعي الإسماعيلي

فمن باغاية كان هناك طريقان للوصول إلى المسيلة يبينها ابن حوقل وهما:

1- طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة ويتصل هذا الطريق بطريق مجانة إلى تيجس ... "ومن أحب فيه من تيجس إلى – القسطنطينية- إلى ميلة إلى سطيف إلى المسيلة وصل إليها، ومن أراد من سطيف إلى حائط حمزة إلى أشير بلد زيري كان أقصد له إن كان يريد المغرب" .

2- و"من باغاي إلى دوفانة قرية من جبل أوراس لها سكان من اللهان، وكان البلد لهم ولبني عمهم من اللهان مرحلة ومنها إلى دار ملول وكانت مدينة قديمة... ومنها إلى طبنة مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع"[2].

ثم سيطرت هذه القوات على إقليم الهضاب العليا الشرقية ومنطقة التل الأعلى الجبلية الغنية بالمدن والحصون التي شملت مسكيانة، مجانة، قصر الإفريقي، تيفاش[3]، ثم قالمة وبونة. وهكذا تنتهي غارات 295هـ/ 908، وكشفت أمامه رقادة و لم يبق أمامه سوى الأربس ليقوم بعدها بالسيطرة على إفريقية في عام 296هـ/ 908م[4]. وقد حدد شارل تيسو (Charles Tissot) أهم الحصون والحواضر بهذه المنطقة كما حدد المسافات والأبعاد التي تفصل بينها عبر قسنطينة، تيفاش قصر الصبيحي تبسة[5].

تماشيا مع هذه التحولات السياسية والمذهبية وظهور قوى جديدة مقابل تراجع الإمارات أمام قوة انتشار الجماعات المؤيدة للدعوة الإسماعيلية، ستشهد المنطقة مظاهر جديدة مست المغرب الإسلامي ابتداء من النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، ولا سيما القرنين الثالث والرابع، ويتعلق الأمر ببروز شبكة من المسالك التجارية، بعضها جديد، وبعضها قديم ولكنه اكتسب أهمية جديدة خلال عصر الازدهار العمراني في

[1] الداعي عماد الدين. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 126.

[2] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 64، 85.

[3] الداعي عماد الدين . المصدر السابق. ص125 126.

[4] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 143 – 145.

[5] Charles Joseph Tissot, *op. cit.* p. 429- 430.

العالم الإسلامي[1]. ولذلك كان سعي الخلفاء الفاطميين السيطرة على مدن وممرات التل لخطورة المسلك الشمالي والصحراوي، وهذا بعد السيطرة على إفريقية، ومن أجل ذلك أسست مدن جديدة مثل المسيلة التي سرعان ما أضحت عقدة الطريق المهم للطرق الثلاثة القادمة من القيروان التي تتجمع هناك. فقد أشار المقدسي إلى طريق يمر عبر الجريد، تامديت، بادس، تهودة، وبسكرة. وهو طريق قديم وصفه ابن حوقل[2]. وأما الطريق الثاني الذي وصفه المقدسي يربط بين الأربس وتيجيس منذ العصور القديمة وأنشأ طريقا جديدا بين تيجيس والحضنة. ويحدد ابن حوقل[3] أيضا طريق باغاية ويتطابق تماما مع أوصاف المقدسي له، وهو الطريق الأكثر استخداما وأشهرها في الشرق[4].

[1] الحبيب الجنحاني. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. ص 162.

[2] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 88.

[3] المصدر نفسه. ص 87.

[4] Claudette Vanacker. « Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle ». *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 28, 3, 1973. p. 664.

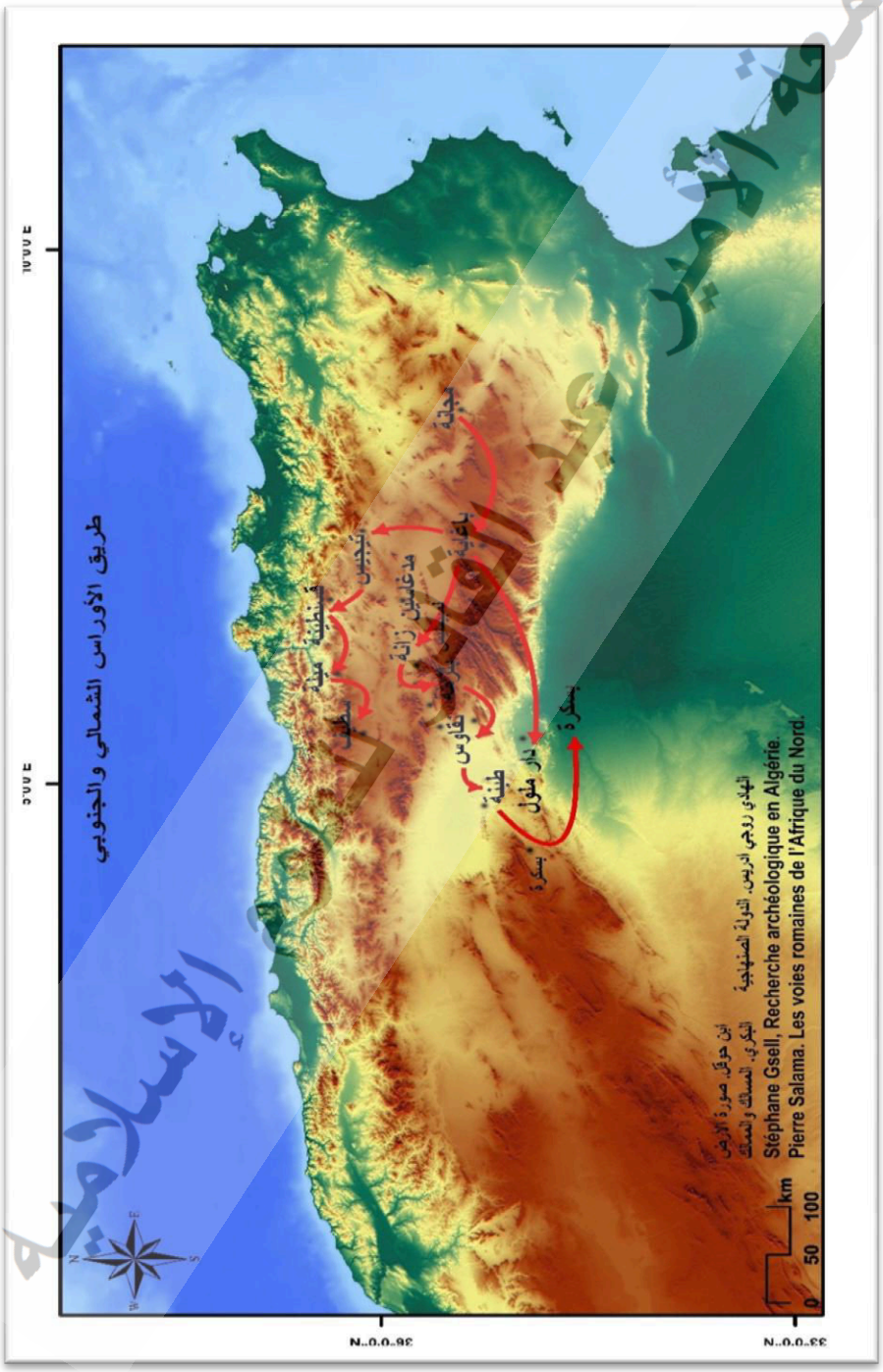
طريق الأوراس الشمالي والجنوبي
بجاية
باغاية
مدغاسن
زانة
تبسة
تقاوس
طبنة
دار ملول
بسكرة
سطيف
قسنطينة
تبجبس
Stéphane Gsell, Recherche archéologique en Algérie.
Pierre Salama. Les voies romaines de l'Afrique du Nord.
0 50 100 km

لم يعمر الاستقرار طويلا بالأوراس بعد سيطرة الجماعات الإسماعيلية على المنطقة، لتندلع ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد التي ستتسبب في سيادة الاضطراب العام سواء في أثناء حركة توسعاته أو في مرحلة التراجع والانهزام حيث كان ملاحقا من طرف الجند الفاطمي وحلفائهم. وفي كلتا المرحلتين كانت المسالك مضطربة وغير آمنة عبر كل الحصون والمدن التي تكون قد خربت نتيجة أفعال الثورة والمقاومة من الطرفين، وكانت جغرافية هذه الثورة في دورها الثاني حيث ارتدت قوات أبي يزيد انطلاقا من القيروان، سبيبة، وصولا إلى باغاية حيث وصل كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاء والاستعداد للمظاهر فكتب إليه بترصد أبا يزيد والقبض عليه ووعده في ذلك بعشرين حملا من المال. ثم رحل إلى طبنة فوافاه بها جعفر بن علي عامل المسيلة بالهدايا والأموال، وبلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة وأنه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة، فلم يجد عنه ما يرضيه فارتحل المنصور إلى بسكرة فتلقاه وأهلها، وفر أبو يزيد إلى بني برزال، بجبل سالات. ثم إلى جبل كيانة وهو جبل عياض لهذا العهد، وارتحل المنصور في أثره[1]، وتنتهي هذه المعركة بموته بداية عام 336هـ/ 947م، بعدما أحدثت هذه الثورة تغيرات هائلة في ولاءات الجماعات واضطرابات كبيرة في المسالك والطرق التي أصبحت مخوفة وغير آمنة بفعل الثورة.

أما جنوب الأوراس فإن الفاطميين قد فشلوا في السيطرة على مسلك الصحراء عبر ورجلان وذلك لأن الإباضية لا زالوا هم أسياد تلك المجالات الواحية جنوب الأوراس. فأدى ذلك إلى ضعف التجارة وتراجعها نتيجة الآثار المترتبة عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[2].

4-مجال السيطرة الفاطمية وثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد شملت المسالك التالية:

طرق باغاي.

مثلما شهد هذا المجال منطلق وبداية ثورة أبي يزيد، فإنه أيضا سيكون الطريق إلى نهاية وتلاشي قوته؛ المنطقة عرفت منذ القديم بشبكة كثيفة من المسالك التي كانت قد شهدت البدايات الأولى لزحف الجماعات المناصرة للداعي الإسماعيلي قبل أربعين سنة (296هـ/ 909م)، وفي باغاية كان وصول كتاب "محمد بن خزر" بالطاعة والولاية، بعدما وصل إليه المنصور الذي حل بباغاية قادما من سبيبة ثم تبسة، لترصد أبا يزيد والقبض عليه.

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 7. ص 22.

[2] الحبيب الجنحاني. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. ص 84.

لقد تعمد الخليفة الفاطمي تتبع أبي يزيد مخلد عبر هذه الحواضر من أجل كسب المؤيدين له، وتجنب الطريق التي تعبر مباشرة من إفريقية إلى المسيلة عبر الأوراس، وهي طريق ثالث "يأخذ من المسيلة إلى مقرة ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان ومن بسكرة تهوذا مرحلة ومنها إلى بادس مرحلة ومن بادس إلى تاموديت مرحلة ومن تاموديت إلى مدالة مرحلتان ومن مدالة إلى نفطة مرحلة ومن نفطة إلى قسطيلية بعض مرحلة ومنها إلى قفصة[1]. وهذا الطريق قديم وهو الذي وصفه اليعقوبي يربط بين القيروان والحضنة قبل تأسيس المسيلة "يؤدي إلى الإمارة الاباضية. يصفها اليعقوبي كطريق يعبر من القيروان إلى مقرة ومن هناك إلى تاهرت عبر مجانة باغاية نقاوس ودار ملول وطبنة. وأشار اليعقوبي إلى أنه استغرق يومين من السفر من القيروان إلى الأربس. ويذكر تيجيس"[2]. استمر هذا الطريق إلى عهد ابن حوقل الذي رسم قسم منه في خريطته يمتد "من باغاي طريق إلى مقرة عليه دار ملول وطبنة وطريق آخر إلى طبنة عليه بلزمة ونقاوس. وعلى الطريق الآخر من تيجيس إلى مقرة مدينة دكمة[3]. واستطاع الحماديين فيما بعد في القرن الخامس من توسيع سيطرتهم جنوب المسيلة إلى حدود ورجلان مع التحكم في أغلب مسالك الأوراس الداخلية.

ثانيا: طرق القوافل وتحرك القبائل:

إن تاريخ الهجرات ببلاد المغرب كما رأينا في سلسلة من النصوص اليونانية واللاتينية التي سوف نحلل بالتفصيل في وقت لاحق، فإن جذور هجرة البربر من الشرق قديمة جدا، وتعود إلى فترات تسبق هجرات أتباع الديانات اليهودية والمسيحية في الشرق، والتي يمكن أن تكون على علاقة بالمواد الإثنوغرافية الإفريقية المعروفة[4]، فحركات انتقال البربر من الشرق إلى الغرب كانت مستمرة منذ القرن الرابع الميلادي و لم تتوقف إلى غاية منتصف العصر الوسيط؛ هذه الهجرات التي شكلت حركة بطيئة من الشرق إلى الغرب من قبائل المور الصحراوية، وأجزاء من الصحاري الليبية المصرية، حتى قبل الفتوحات الإسلامية، وقد شملت أجزاء كبيرة من المغرب القديم بما فيه مجال الأوراس، و قسم كبير من إفريقية. ومن الأمثلة المؤكدة على هذه الحركة هي الكونفدرالية القبلية التي أنشاها "لواتة" (Laguatan)[5].

---

[1] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 87- 88

[2] البلدان. ص 190. Claudette Vanacker. *op. cit.* p. 664.

[3] ابن حوقل. المصدر السابق. ص 64

[4] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 123 - 126.

[5] Yves Modéran, « Mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique ». p. 111, 123, 317.

أما بالنسبة لمجال الأوراس فرغم ما يشكله من وحدة مجالية وتشابه في التضاريس إلا أننا نستطيع تمييز بعض الفروق المختلفة بين أجزائه، خاصة بين الشمال الشرقي والجنوب، والجنوب الغربي، الذي يميل أكثر للبيئة الصحراوية. أما الوسط فهو معقد التضاريس تتخلله بعض الهضاب والسهول الضيقة. ولعل هذا الاختلاف قد جعل غابريال كامبس يدعي أن مثل هذه الجغرافية والتضاريس لا تسمح بإيجاد المسالك والطرق التي تربط بين أجزائه، وأنها تكون سببا يعيق الوحدة؛ فالتنوع الإقليمي والمسافات الكبيرة التي تفصل بين الإقليمين المتميزين تقضي بالفشل على كل محاولة من أحدهما احتلال مجموع البلاد، بفعل بعد المسافات وإعاقتها لسبيل الإتصال، وبسبب من العقبات المتمثلة في الخصوصيات الإقليمية، ولن يكتب النجاح لتلك المحاولات إلا أن يكون قائما من الخارج[1]؟

ومن السهولة بمكان معرفة الدوافع السياسية والأيديولوجية لمثل هذا الرأي الذي يفند بما سبق الإشارة إليه من غنى المنطقة بالمسالك والطرق المختلفة. لكن تبقى المشكلة قائمة أمام إعاقة التعقد التضاريسي لسهولة حركة الجماعات والقبائل، فدراستنا لتحركات السكان والجماعات بهذه المنطقة تسمح لنا بالوقوف على الكثير من القبائل التي لم تكن تلتزم المقام في ناحية واحدة، بل إن الكثير منها كانت قبائل متنقلة من جهة لأخرى سواء فرارا من قبيلة عدوة غلبتها، وإما تنفيذا لتعليمات حكومية وصلتها، وكانت القبيلة عندما تنتقل ترحل تارة برمتها ويرتحل تارة أخرى بطن أو عدة بطون منها حاملين معهم اسم القبيلة الجامع بينهم وبين بقية بطونها[2]، ولم يكن الأوراس بمعزل عن التحركات القبلية الكبيرة حيث شهد حركة مستمرة لم تنقطع طيلة القرن الأول للفتح الإسلامي.

أما جماعات أوربة فكانت تنتشر إلى الشمال من إقليم الأوراس إلى حدود مجال "بونة"، وكانت على صلة مع قبيلة جراوة، ونشير إلى أن هذه الجماعات نفسها لم تتوقف عن لعب دور المقاومة الذي كانت تؤديه في مرحلة ما قبل القرن السابع ميلادي. لكن استمرارها في هذا الدور سيكلفها الكثير بعد مدة من الزمن حيث سيتراجع دورها تدريجيا خاصة مع إنهاك قواها في العمليات العسكرية الناتجة عن توغل جيوش الفاتحين في المنطقة. وقد توزعت على بلاد المغرب، وتعتبر هذه الحركة أول حركة انتقال وإجلاء لقبائل الأوراس عن مواطنها.

[1] غابريال كامبس. البربر ذاكرة وهوية. ترجمة. عبد الرحيم حزل. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. 2014. ص 115.

[2] عبد الوهاب بن منصور. قبائل المغرب. ج1. ص 341.

لذلك تتوزع القبيلة الواحدة على الكثير من المجالات والأقاليم. فإلى الغرب من مواطن نفزاوة كان موطن جماعات جراوة بجبال الأوراس، وهي قبيلة الكاهنة التي أعيت الأمويين لأول الفتح، وكانت مسيطرة على الأوراس الشرقي كما أنها من شعب زناتة الذين عمروا المغرب الأوسط فيما بعد حتى عرف بهم وسمي باسمهم ودعي وطن زناتة[1].

وكانت تحركات هذه القبائل ملائمة لطبيعة التضاريس وموقعها بين مجالات الصحراء والواحات المنتشرة على سفوحه الجنوبية، وبين المراكز العمرانية في المناطق الشمالية منه؛ فكانت أهم حركة انتقال لهذه الجماعات تتمثل في تلك التي عرفتها الجماعات الشرقية من لواتة، وهوارة، وزناتة، وجراوة، ومطماطة، وبني يفرن، ومطغرة.. منتشرة في أكثر من مكان على طول الممر الممتد بين الأطلس الصحراوي والأطلس التلي. ومعلوم أن هذه القبائل لعبت دورا كبيرا في حروب الفتوح بجانب الجيوش العربية الإسلامية الآتية من الشرق. هذا الممر إذن سواء من الناحية الطبيعية أو من الناحية البشرية أو من الناحية التاريخية[2] الطريق الملائم لتغلغل جيوش المسلمين في اتجاه الغرب. ويبدو أن القبائل المورية الشرقية عبدته قبل مجيء الإسلام بكثير[3].

غير أن أهم الهجرات التي يكون الأوراس قد شهدها، هي تلك المتعلقة بجماعات زناتة التي اتخذت بعض فروعها الوجهة الغربية نحو المغرب الأقصى وكان الجيل الثاني من زناتة آخر الواصلين إلى المناطق الواقعة شمال شرق درن بالمغرب الأقصى بعد استيطانها للمغرب الأوسط حتى عرف باسمها أي "وطن زناتة" وكان انتقال جموعها نحو الغرب على مرحلتين:

الأولى: قدم فيها الجيل الأول ممثلا في مغراوة وبني يفرن، تحت تأثير الهجمات الشرسة التي شنها عليهم قادة الفاطميين أثناء مطاردتهم لأبي يزيد مخلد بن كيداد، والثوار الخوارج في المغرب الأوسط.

ثم مع ازدياد الضغط الناتج عن الحرب المذهبية التي شنها عليهم الزيريون بلا هوادة، اندفعت أغلب جموعهم نحو الغرب، فانضافوا لسابقيهم من بني جلدتهم أي أوربة وكمكناسة، وتحالفوا مع خلفاء بني أمية بالأندلس وأسسوا إمارات بفاس، وأغمات، وسجلماسة. أما المرحلة الثانية فقدم فيها الجيل الثاني من زناتة ممثلا في بني مرين وفي بني عبد الواد..[4].

---

[1] عبد الوهاب بن منصور. قبائل المغرب. ج1. ص 339.

[2] تاريخيا كانت هذه المجالات تشكل الحد الجنوبي لمنطقة النفوذ الروماني ثم البيزنطي في نوميديا بصفة خاصة.

[3] صدقي ازايكو. تاريخ المغرب التأويلات الممكنة . ص 57 .

[4] محمد القبلي. تاريخ المغرب. تحيين وتركيب. ص 218.

لقد اتبعت هذه الجماعات في تحركاتها طرقا مختلفة، وكان أهمها هو طريق القوافل الواحات وجنوب الأوراس الذي أصبح فاعلا ابتداء من الحقبة التي أصبحت فيها ورجلان ذات أهمية في التجارة مع بلاد السودان، أي نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري/ نهاية الثامن والتاسع الميلادي. ومن المحطات الواقعة على هذا المسلك. أسوف، أريغ. وثمة طريق ثان رابط بين المدينتين ذكره البكري من تهودة إلى بادس ثم قيطون بياضة (لعلها زريبة الواد) ومنها تصل أسوف، وورجلان،[1] قبل السودان.

على أطراف الأوراس الغربية كانت تجري في القرن الرابع الهجري عمليات نقل قسرية للجماعات طبقتها السلطة الفاطمية؛ حيث باشروا منذ توليهم الحكم بسياسة تقضي بنقل بعض القبائل من مواطنتها أو تهجيرهم منها بغرض احتوائها أو تحييدها أو مكافأتها أو معاقبتها. ومن أهم هذه العمليات تلك التي شملت جماعات بمنطقة الأوراس أو قريبة منه؛ فقد عمل الإمام المهدي على توزيع لبعض عساكر كتامة على مدن إفريقية[2]. ونقله بني كملان الهواريين من موطنهم بجهة المسيلة إلى فحص القيروان سنة 315هـ/ 928م، وهم الذين انخرطوا لاحقا في ثورة صاحب الحمار[3]، أو نقل الإمام المنصور لأربعة عشر ألف بيت من كتامة إلى المنصورية[4]، أو توطين الفاطميين لعناصر من نفوسة وهوارة بقرية قلمنجة بجبل زغوان حيث كان "أبو القاسم بن عبيد الله شرع في بنيانها (قرية قلمنجة بزغوان واتخذها مدينة يسكنها الغريب السائل من هوارة ونفوسة"[5].

ثالثا: مسالك الأوراس بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي:

في نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر ميلادي، تشكلت الحركة المرابطية القوية في خضم هزات نهاية الاستيلاء الفاطمي والغزوات الهلالية والهجمة الشاملة للمالكية بالمغرب، حيث ولدت في جهات هامشية في العالم الإسلامي، غير أن هذه المسالك والطرق تعرضت لتغييرات جذرية، فبعد منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، اضطر التواجد الهلالي الإمارة البادسية في إفريقية إلى نقل العاصمة إلى المهدية، والإمارة الحمادية إلى تحويل عاصمتها إلى بجاية، وذلك في الوقت الذي كان المرابطون في المغرب يشيدون فيه إمارتهم التي تمتد من الصحراء إلى الأندلس. فيما كانت الجماعات الإباضية جنوبا قد شرعت منذ ذلك الوقت في ممارسة نشاطهم في تجارة التجزئة وأخذوا يستقرون في التل ويندمجون في تيار التجارة مع

[1] محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1 ص 290.

[2] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة. ص 302

[3] القاضي النعمان. المصدر نفسه. ص 292. ابن الاثير . الكامل في التاريخ. ج 5. ص 100. ابن خلدون. ديوان العبر. ج 4. ص 51.

[4] عماد الدين القرشي. المصدر السابق. ص 465- 466.

[5] البكري . المصدر السابق. ج 2. ص 222- 223. أحمد الباهي. حول ظهور قبائل دمر وزنزفة ومطماطة بجنوب شرق افريقية. بحث في التاريخ والجغرافيا والحضارة. اعمال مهداة الى الاستاذين منيرة الرمادي شابوطو وعبد الله الشريف. مركز النشر الجامعي. تونس. 2015. ص 54.

السودان[1]. وستصبح القبائل الهلالية مسيطرة على بعض الأرياف، ولذلك تكون أغلب الطرق تحت سيطرتها، وأصبحوا يشرفون على أمن الطرق، وهي خدمة أخرى خدمها الهلاليون مقابل تعويض باهض، ألا وهي السهر على أمن المسافرين، وكان وجودهم في المنطقة هو سبب هذه الحاجة وبدون إشراف القبيلة أصبح التنقل من مدينة إلى أخرى مهمة خطيرة. وعلى كل فالأسباب قليلة للتنقل بين المدن. فقد أصبح نادرا إن لم يكن معدوما بين المراكز الخربة أو التي تعيش على مواردها الخاصة[2].

وقد أدت هذه الأوضاع منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى بروز أهمية الجبل كملجأ للقبائل الفارة من التغلغل الهلالي والذي كان عاملا آخر ساهم في سرعة اندثار الهياكل الحضرية التقليدية وتطورها نحو نمط جديد. فقد انتشرت القبائل البدوية أساسا في المناطق شبه الصحراوية والسباسبية. ومثلت بذلك ضغطا متواصلا على المدن التلية التي اعتمدت في حماية نفسها على مواقعها المتميزة مثل بجاية وقسنطينة، والجبال المحدقة بها. ولم توقف هذه القبائل إلا الجبال الممتنعة مثل جبل ساو بابور (حاليا)، والباب (البيبان) وجرجرة والأوراس. فاقتصرت على الاستقرار بالسهول المحيطة بها موثقة الخناق على القبائل الجبلية التي استسلمت لها تارة، وقاومتها طورا آخر. وبالتالي فإن تحول الطريق الأفقي الرابط بين مدن المغرب من الوسط إلى التلول الشمالية بعد سيطرة البداوة على السباسب، يعتبر أهم نتيجة للانتشار الهلالي.

1- مسالك جنوب الأوراس:

اعتمادا على نصوص العبدري، والبلوي، وابن بطوطة، يرى محمد حسن أن المسلك الجديد الذي ورد ذكره في كتب الرحلة ابتداء من القرن الثالث عشر ميلادي/ السادس هجري. أصبح يمر بالمحطات التالية: فاس، تلمسان، بجاية، سطيف، قسنطينة، عنابة، باجة، تونس، سوسة، صفاقص، قابس، طرابلس، برقة، الاسكندرية[3].

---

[1] موريس لومبار . الإسلام في مجده الأول. ص 93.

[2] جورج مارسي. بلاد المغرب وعلقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى. ترجمة. محمد عبد الصمد هيكل. منشأة المعارف. الإسكندرية. مصر. 1991. ص 245.

[3] يقول العبدري "أوليس من الأمر الأمر الخارج عن كل قياس أن المسافر عندما يخرج عن أنظار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء وخبط عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه. ولا يؤمل راحة في غده إذ لم يرها في يومه وأمسه. يروح ويغدو ولحمه على ومض. يظلم ويخفى ويهتضم. تتعاطاه الأيدي الغاشمة وتتهاداه الأكف الظالمة. لا منجد له ولا معين. ولا ملجأ يعتصم به المسكين فيستنجد ويستغيث وأنى له بالمنجد المغيث". العبدري. الرحلة المغربية. مؤسسة بونة للبحوث والدراسات. الجزائر. 2007. ص 17- 18، 24- 29. محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1. ص 36- 37.

أما عن المسالك التي اتبعتها هذه القبائل الهلالية من أجل التوغل نحو الداخل حيث مجال الأوراس، نجد طريق القوافل عبر جنوب الأطلس الصحراوي وجنوب الأوراس. والذي يأخذ اتجاها من الغرب إلى الشرق، تمر من المسيلة ونقاوس وباغاية، وتفضي إلى تبسة وإلى مدن الوسط والجنوب التونسي. وقد انخفضت حركة المرور من تلك الطريق منذ الغزو الهلالي التي زادت في تفاقم انعدام الأمن بها. وكثيرا ما تحاذي القوافل ولا سيما منها القادمة من تافيلالت وتوات حافة الصحراء وجنوب الأطلس الصحراوي وجبل أوراس[1].

في حين نجد أن مجال جنوب غرب الأوراس كان يتحكم فيه في أغلب الأحيان طريق يربط الزاب بالشمال مرورا بنقاوس، ويتجه نحو الشمال إلى سطيف وبجاية من جهة زراية. وفي اتجاه قسنطينة من جهة أخرى عبر بلزمة التي يعلوها سورها المبني من الأحجار المنحتة وسط سهل خصيب. وبذلك يمكننا أن نتصور كيف شهدت نقاوس الواقعة في مفترق عدد من الطرقات الهامة ازدهارا حقيقيا عهدئذ (العهد الحفصي)[2].

2- مسالك شمال الأوراس:

بعد القرن السابع الهجري/ 13م، تعود إلى الظهور مجموعة من المدن والحواضر بالأوراس نتيجة قوة القبائل التي كانت تقطنها، والتي عجزت السلطة المركزية عن إخضاعها والسيطرة عليها، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال مدن مثل تبسة، تيفاش، نقاوس، ومجانة، وقد أدت هذه الحواضر دورا كبيرا في التأثير على تحول مسار الطرق والمسالك، الذي أصبح يشملها، وأصبحت بذلك تشكل محور هذه المسالك الشرقية والشمالية.

وكانت السلطة دائما بحاجة إلى احتواء المجالات الطرفية، وفرض السيطرة على القبائل الجبلية، إذ من الصعب تحديد مدى اتساع نطاق سلطة العمال التي كانت ضعيفة خارج المدن في بعض المناطق الخاضعة للقبائل[3]. وفي بعض المناطق الجبلية نرى العمال أو الأمراء يحاولون إخضاع السكان المتمردين بمنعهم من حرث أراضيهم ورعي مواشيهم، ثم السماح لهم بذلك فيما بعد مقابل تسليم عدد من الخيول بعنوان الجزية[4]، وقد كانت بعض القرى خالية من السكان بسبب الفقر وانعدام الأمن[5].

---

[1] روبار برونشفيك. تاريخ إفريقية في العهد الحفص. ج 2. ص 248.

[2] المرجع نفسه. ج1 ص 322- 323.

[3] يقدم الونشريسي فتوى ابن أبي زيد عمن اغتصب أرضا وزرعها وحصدها، كما يقدم فتوى أخرى لسحنون عن رفقة من بلد السودان، يؤخذ بمال في الطريق. المعيار المعرب. ج6. ص 149- 150.

[4] المصدر نفسه. ج 6. 143- 144.

[5] الونشريسي. المصدر نفسه. ج 9. ص 439. الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج 2. ص131.

هذه السيطرة التي كانت بحاجة هي الأخرى إلى إدارة وشبكة طرق تسمح لها بالتحكم في أقاليم الدولة؛ فشمال الأوراس كان مجالا يتعذر التحكم فيه في أوقات معينة، مثل فصل الشتاء حيث يتأثر هذا الطريق بالبيئة التي يمر فيها وعبر مختلف الفصول؛ فشبكة الطرق الشتوية لا تخترق الأوراس عبر تبسة التي تعتبر محطة للقوافل، فقد كانت الطريق الرابطة بين القيروان ومجانة والمحاذية لجبل الأوراس ومنطقة الشطوط القسنطينية، تمر في الشتاء عبر سبيبة، وتبسة، ومسكيانة. وفي الصيف يمر المسافرون من مرماجنة. وكانت تبسة التي تمثل مفترق طرق هام تشمل عدة أقباء مخصصة لاستقبال القوافل، يستطيع كل قبو إيواء ألفي دابة فما فوق في فصل الأمطار والثلوج[1].

وحسب الأبحاث التي أوضحها بالفعل ستيفان قزال Stéphane Gsell ، وتأكدت بوضوح أكثر بعد ذلك بمجموعة أبحاث أخرى، فإن الذهاب من سبيبة إلى مسكيانة، كان هناك طريقان، يمر الأول في فصل الصيف في الشمال على مدينة مجانة، وفي فصل الشتاء يمر الطريق الآخر على مدينة تبسة إلى الجنوب، لتجنب فيضان وادي ملاق، شمال شرق تبسة[2].

ونفس هذا المجال الممتد عبر السفوح الشمالية للأوراس مسكيانة تبسة نجده يتراجع، فالاتجاه الذي كان يتبعه السفح الشمالي لجبل أوراس في العصر الحفصي ثم يمتد شرقا نحو مسكيانة وتبسة لم يكن يعبر أية بلدة ذات أهمية باستثناء باغاية التي كانت معقل الدوناتية في العصر الروماني ثم أحاطها البيزنطيون فيما بعد بسور كبير، قد ظلت مركزا عمرانيا نشيطا خلال القرون الأولى من العصر الإسلامي. ثم يبدو أنها قد تدهورت بعد ذلك و لم تعد سوى مركزا ثانويا. كما تعتبر بلدة قصر باغاية في العصر الحديث تجمعا سكنيا لا قيمة له[3]، ولعل سكان المدن كانوا في تغير مستمر نتيجة لإثراء سكان المدن بعناصر جديدة، وتحول عناصر قديمة نحو مجالات ومدن وأخرى. وغالبا ما تأخذ الهجرة نحو المدن أو منها طابعا فرديا أو في شكل مجموعات صغيرة لكن هذا لم يمنع من وجود تحولات جماعية كبرى أو متوسطة الأهمية كان لها تأثير واضح على التركيب العرقي للسكان، وبالتالي تغير المسالك نتيجة هذه الحركة المستمرة[4].

[1] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 227– 230. الهادي روحي إدريس. المرجع السابق. ج 2. ص 82.

[2] Jean-Pierre Laporte, « notes sur les steppes de l'est algérien » *op. cit,.* p. 99- 100.

[3] روبار برونشفيك. تاريخ افريقية في العهد الحفصي. ج 1. ص 323.

[4] إبراهيم جدلة. المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي. مطبعة قطيف. قفصة. 2010. ص 41.

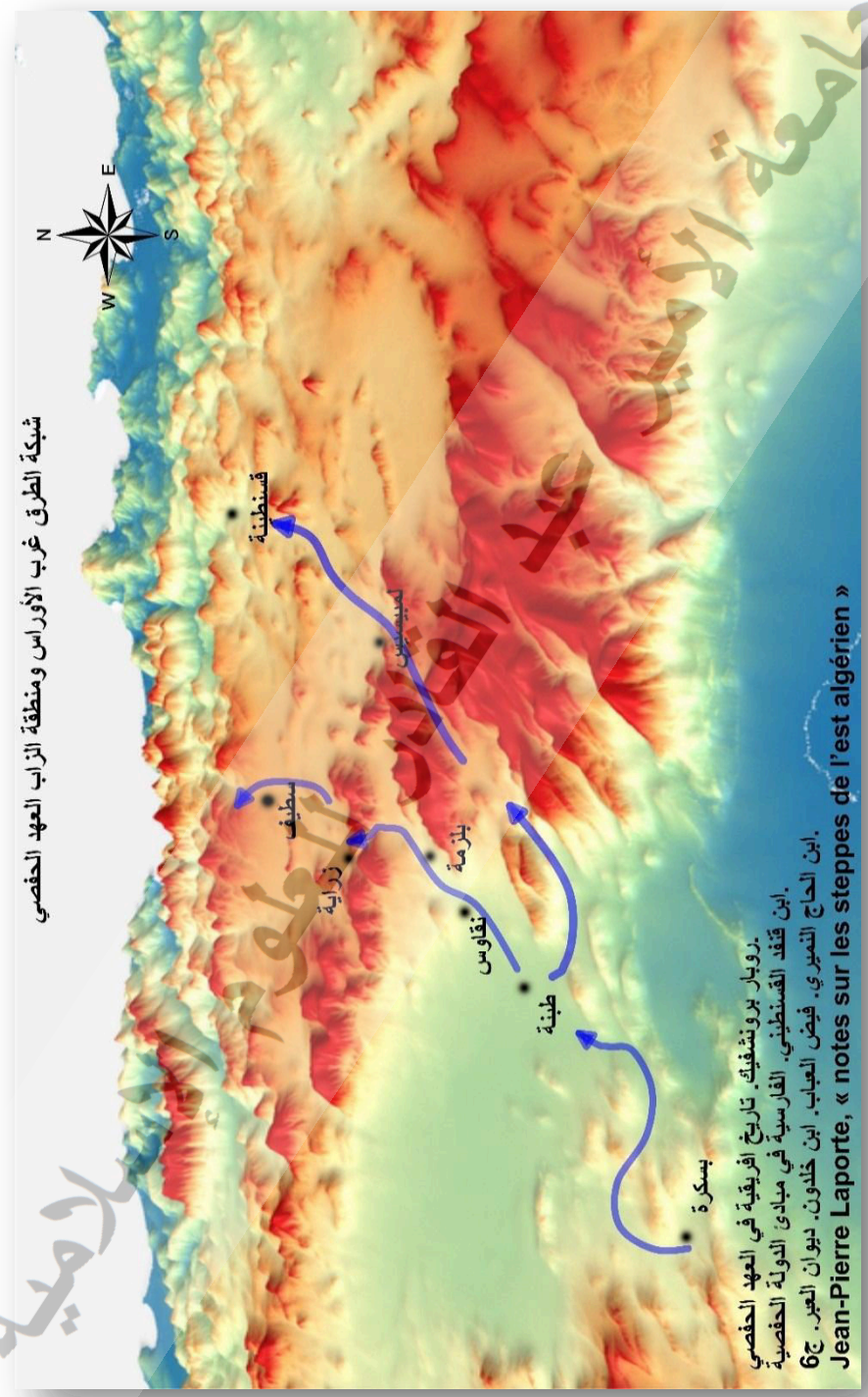
شبكة الطرق غرب الأوراس ومنطقة الزاب المهد الحفصي
N
S
E
W
قسنطينة
لمبيزيس
سطيف
زراية
بلزمة
نقاوس
طبنة
بسكرة
.رويار بروشفيك. تاريخ افريقية في العهد الحفصي
.ابن قنفذ القسنطيني. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية
.ابن الحاج النميري. فيض العباب. ابن خلدون. ديوان العبر. ج6
Jean-Pierre Laporte, « notes sur les steppes de l'est algérien »

رابعا: أخطار مسالك الأوراس القرن الثامن الهجري /14 م.

كان سعي مختلف الإمارات والدول على حماية المسالك والطرق الهدف الرئيس لولاتها وعمالها، ومنذ أواسط القرن السادس الهجري، كان هدف الدولة الموحدية هو ضمان السيطرة على مختلف أطرافها المترامية الأطراف، فقد عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن، بعد ما اشتدت عوامل الغصب والنهب، وإفساد السابلة، إلى كاتبه أبي جعفر بن عطية بكتابة رسالة شديدة اللهجة لولاته عام 551هـ/115م، يأمرهم بالكشف عن التلصص والحرابة... وعن الذين يغرمون الناس[1].

كما أصدر عبد المؤمن بن علي ظهيرين لقطع دابر اللصوص وقطاع الطرق فدائرة التلصص والحرابة قد استفحلت باتساع دائرة الضيق والشدة، الناجمتين عن الكوارث الطبيعية، وغدا العدوان على أموال الناس وعلى أمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الأزمات الصعبة. وإلا ما الداعي الذي حدا بالخليفة عبد المؤمن الموحدي إلى أن يصدر مرسوما ثانيا بشأن قطع دابر اللصوص وقطاع الطرق، لاستتباب الأمن في ظرف مدة زمنية لا تتجاوز ثمانية سنوات. وهي المدة الفاصلة بين الظهيرين الأول والثاني[2].

ومهما يكن فإن الموحدين يعود إليهم الفضل في الحد من ظاهرة الانتشار الهلالي أو على الأقل استطاعوا أن يتحكموا فيه، وتسييرها وفقا لإرادتهم، وضبط تحركات القبائل، وبالتالي قاموا بدفع جديد للحركة الحضرية بالبلاد، ووضعوا حدا لاستقلالية الريف الذين ألفوا وضعا سائبا طيلة قرن من الزمان[3]. لذلك لم يعد للطرق والمسالك الداخلية من أهمية تذكر في هذا العهد، واستمر تراجع القوافل زمن الموحدين، ولم يعد للمسلك الرابط بين القيروان وفاس شأن يذكر، رغم محاولة الدولة السيطرة على كامل المجال المغربي، حتى أن عديد المدن الواقعة على طول هذا الطريق وخاصة ببلاد الزاب والسباسب تلاشى ذكرها واندثرت نتيجة إيقاف تسويق البضائع الزراعية المنتجة بهذا الإقليم إلى المشرق[4].

وإذ تعوزنا أخبار قبائل الأوراس بالتحديد مما يصعب مسألة تتبع مساراتها واتجاهاتها في هذه الفترة، إلا أن ذلك لا يعفينا من البحث عن الظروف والسياقات العامة للحركة والهجرة؛ فبالإضافة إلى ما سبق من

---

[1] ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. قسم الموحدين. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون. دار الغرب الإسلامي. 1985. ص 53. عبد الهادي البياض. الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس. ق 6- 8هـ/ 12- 14م. دار الطليعة-. بيروت. 2008. ص 81

[2] عبد الهادي البياض. المرجع نفسه. ص 82.

[3] محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1 ص 40.

[4] المرجع نفسه. ج 1 ص 37.

عوامل فإنه لا يمكن إغفال دور الكوارث والأوبئة التي قد تكون سببا للتحركات والهجرات بحثا عن مجالات جديدة، تكون بديلة تقيه نوائب القحط والجوع والأمراض والموت البطيء". هذا التلازم بين الكوارث الطبيعية، والتحركات البشرية كانت أصداؤه تتردد تارة في المغرب وتارة أخرى في الأندلس[1].

أما النزاعات والثورات وعلاقتها بالتحركات البشرية لقبائل المنطقة، فإنها تخص تلك المتعلقة بتغيير الموطن وما ينجم عن ذلك من صراع عنيف بين التليد والطارئ بسبب تعارض المصالح الاقتصادية، فقد كانت أغلب التحركات اضطرارية نفعية مدفوعة بدوافع التوسع المجالي من أجل السيطرة على المراعي الخصبة الممتدة على مساحات شاسعة، وكان بعضها مدفوعا بدافع فرار الغالب من المغلوب، وبعضها موجها من قبل الدولة[2]. ويؤكد القبلي أن جوهر الصراع بين القبائل كان يتمثل بالدرجة الأولى في المجال وعناصره الحيوية؛ من طرق ومراعي ومياه وغيرها. فالانتقال من منطقة لأخرى يرافقه صراع حول نقط الماء والمراعي، وغصب الإبل والماشية والرغبة في التحكم في نقط المرور وما نجم عنه من نشوب فتن سفكت الدماء وهتكت الحرم، وصار لبعض القبائل ثأر على بعض، وانعكس ذلك على سائر أحوالهم في تقاضيهم فلم يجز القضاء شهادة بعضهم على بعض إلا بعد مرور قرن من الزمن على ما يقع بينهم فيه من القتل وسبي الأموال[3].

أما عن صعوبات حركة تنقل القوافل والجماعات فلا يمكن حصرها فقط في وعورة الأرض وعراقيلها الطبيعية وندرة الماء بها وانعدام الكلأ، بقدر ما تكمن في انعدام الجو المناسب للأسفار وتوفير الأمن، بل حتى في عدائية المجالات التي تسير فيها الجماعة أو القافلة مهما كانت طبيعتها، وهذا ما أدى إلى ارتباط أمن الطرق وتأمينها بظاهرة ترتبط ارتباط وثيقا بموضوع أمن الطرق، فهي تساعد على تفسير ظاهرة قطع الطرق، مثلما تساعد على تفسير صيغ تأمين الطريق.

إن تحرك المجموعات هو إما تحرك عصبيات تحاول أن تستولي على الحكم لتأسيس دولة جديدة، أو تحرك يدخل في نطاق سياسة الترحيل، أو تحرك ينتج عن أنماط العيش، أو عن الأزمات الاقتصادية وإكراهات البيئة وضرورات العيش. ومن الواضح أن التمييز بين هذه الأصناف لا يعني غياب التقاطع والتداخل فيما بينها[4]. وفي هذا الإطار لا يمكن إنكار أثر الأزمات المختلفة التي يمكن أن تؤثر في تغير المسالك مثل طاعون

[1] عبد الهادي البياض. الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس. ص 116.

[2] محمد القبلي. تاريخ المغرب. تحيين وتركيب. ص 218.

[3] محمد القبلي. المرجع نفسه. ص 221.

[4] عبد الأحد السبتي. قضية التحقيب وتاريخ المجال. التحقيب في الكتابة التاريخية المغاربية. أعمال ندوة مراكش وتونس. 2005. دراسات مغاربية. جامعة تونس. 2005. ص 40.

748هـــ/ 1347م، والذي لا يمكن أن يكون تأثيره على الجبل ومناطق الواحات بنفس درجة المدن الساحلية والتجمعات السهلية الموجودة على طول الطرق التجارية بإفريقية التي كانت أكثر تضررا من الجبال المنعزلة والواحات الصحراوية، ومجالات القبائل البدوية النائية التي ظلت خزانا بشريا هاما[1]، بمعنى أن الوباء يكون قد جرف أساسا المناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة إلى مجالات أخرى بعيدة.

بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، كانت تحركات القبائل وتنقلاتها عادة مرفوقة بالغصب والسطو وما يترتب عنهما من اضطراب الأمن وتزايد الشعور بالخوف، وكان لها بالغ الأثر في التفاف الأفراد حول الجماعة وارتباط أهل البوادي أكثر بالقبيلة، وما يتصل بها من تنظيمات مجتمعية وما يحكمها من ضوابط عرفي، وهكذا بنى أفراد القبيلة علاقاتهم على أساس سلالي يقوم على روابط الدم ولحمة العصبية. أو على أساس ترابي توحد بين أفراده روابط قوية تقوم من جهتها على وحدة الرقعة المسكونة وهم الدفاع عن الأرض أو الزيادة فيها[2].

استمرت الأخطار التي كانت تتهدد المسالك والطرق في القرون التالية للقرن السادس الهجري/12م، حيث أصبحت حركة انتقال الجماعات والسفر في المجالات المغاربية في عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن أي حوالي 571هـــ/ 1175. محكومة لشروط خاصة إذ يقدم مارمول كربخال شهادة حول طريقة تسيير القوافل وطبيعة الحركة بالطرق والانتقال بين مختلف الأمصار باعتماد الخفارة في الطرق والمسالك لتغلب الأعراب عليها، واعتمادهم على النهب والسلب كطريقة للعيش، إذ يقول أن: "السفر في تلك البلاد متعذرا دون توصية من مكان إلى آخر، وكان ذلك يتم على الصورة التي تبينها، عندما يصل المسافرون إلى مكان ما يكتب شيخ ذلك البلد سجلا بأسماء المسافرين ويرسل معهم رجلا يتقدمهم حاملا معه مزراقا وراية عليها شعار معلوم، حتى إذا بلغوا بلدا آخر تجدد خفرهم إلى تلك الصورة. وكان يؤدي عن كل رأس قدر معلوم وعن كل حمل قدر معلوم يستوي في ذلك اليهود والمسلمون. ومن لم يفعل ذلك يتعرض للقتل أو النهب، هذا ما كان يتعين فعله على من يريد أمن نفسه في هذه الأحياء التي كان يسكنها العرب"[3].

وزادت مشكلة قطاع الطرق أكثر تعقيدا في القرن الثامن الهجري/ 14م، وهذا لبقاء الأسباب التي تحدثها والمتمثلة في انتشار القبائل التي لا تخضع لسلطة الدولة؛ إذ يورد ابن الحاج النميري أخبار الكثير من

[1] محمد المواق ومحمد الرصاع. الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية. (886هـــ/ 1481م). تحقيق. محمد حسن. دار المدار الإسلامي. 2007. ص 56- 60، 68- 72.

[2] محمد القبلي. تاريخ المغرب، تحيين وتركيب. ص 221.

[3] مارمول كربخال . إفريقيا . ج1. ص 353.

القبائل التي تحترف السرقة وقطع السبيل على القوافل، و لم تسلم حتى تلك التي كانت مرفوقة بالجند. فقد كانت السرقة وقطع الطرق والإغارة منتشرة بين القبائل العربية عند فتح أبي عنان تونس (فتح العناب ثم قسنطينة ثم تونس) و"لم يكن بأسرع من إخافتهم للسبل، وقطعهم للطرق، وشنوا الغارة على الضعفاء، واختلسوا ما وجدوه في الخلاء، واستصرخوا قبائلهم على الرعايا، وضربوا في الأرض بالجموع والسرايا، وانتابت طائفة منهم ما قرب من المحلات المنصورة، والجيوش المتكاثرة غير المكثورة، ليحاولوا غرة في تعرية حاطب، وأخذ دابة ندت عن راكب"[1].

لقد شكل مجال الأوراس نقطة اضطراب لأبي عنان الذي نظم حملة للسيطرة عليه انطلاقا من قسنطينة، حيث إتجه الجيش المريني إلى لمبيسيس[2]، ومنها إلى باتنة، ثم المرور إلى القنطرة التي اعتبرت بوابة الزاب[3]، واستمرت الحملة إلى الوطاية. ومن بسكرة يقول ابن الحاج النميري "في يوم الأربعاء الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم المذكور، رحلنا من المترل الأسعد ما بين فرفر وطولقة ... إلى أن وصلنا إلى مدوكال فأشرفنا منها على أسوار...[4].

وفي هذه المنطقة بجنوب غرب الأوراس زمن المرينيين كانت بعض هذه القبائل تجوب أرياف مدوكال؛ فقد "حمل هؤلاء الأوباش على ما ارتكبوه الجهال، وخاطروا المخاطرة التي لا يطاق لها الحمل. فأصدر لهم مولانا الخليفة أيده الله فرسانا تربوا في جحور الحروب ... فلم ينج من نجا منهم إلا لمعرفته بتلك الشعاب والثنايا، واستتاره بجنح الليل الذي اسود كوجوه المنايا"، إضافة إلى سراق من بني مالك "فيهم دغار ابن عيسى قد تعرضوا لأخذ بقر بقيت في اعقاب الرحائل بالزائب، وطلبوا انتهاز فرصة وأخذ بعض الأسباب، وطمعوا في الانتهاء إلى الانتهاب، والصمد إلى الاحتراف بالاختراب"[5]. كما تعرضت محلة أبي عثمان لهجوم "قبائل رياح في طريقه لهدم قصر سفيان"[6].

---

[1] ابن الحاج النميري. فيض العباب. ص 388.

[2] المصدر نفسه. ص 417.

[3] المصدر نفسه. ص 426- 427.

[4] المصدر نفسه. ص 454- 455.

[5] المصدر نفسه. ص 455- 456.

[6] في جنوب الأوراس كانت قبيلة رياح تمارس النهب بالمنطقة وهذا ما لاحظه ابن الحاج النميري عند وصول أبي عنان المريني إلى مدوكال "وفي هذا اليوم (يوم وصوله لمدوكال) ظهر سراق من بوادي رياح المفسدين ممن عول على سيف جواده، وباع نفسه باتباع هواه في إظهار فساده". ولذلك ظهرت مواقف فقهية اتجاه هذه القبائل، من أجل وضع حد للصوصية وقطاع الطرق؛ إذ يرى الباجي أنه "يقاتل اللصوص إذا أتوا للقتال وطلبوا ما لا يجب أن يعطوه، وأن مالكا، وابن القاسم، واشهب، قالوا جهادهم جهاد.... وقال سحنون: يتبعون ولو بلغوا برك الغماد، ويقتلون مدبرين

أما عن حالة الطرق وكيفية تنظيمها فإننا نجد ابن مرزوق التلمساني (ت781هـــ/ 1372م) يقدم صورة عن علاقة السلطان بالطريق ببلاد المغرب القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وذلك بالاهتمام بتعميرها "بالرتب وهي خيام، يأمر بسكناها على مقدار اثنى عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوابا على سكنى المواقع المذكورة، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها، هم وبهائمهم، ويحرسونهم ويحوطون أمتعته، فإذا ضاع بينهم شيء تضمنوه فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبين أهله، في ذهابه وإيابه"[1].

في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ 14م، يقدم ابن الصباح وصفا عاما لواقع الأسفار والحركة في المجال الذي يمتد من المغرب الأقصى إلى غاية طرابلس زمن المرنيين، أنه "كثير المصايب من أجل تبديل ملوكه، يذيق بعضهم بأس بعض، وتضعف من ذلك المملكة والحكم. ويكون فيها قطع الطريق، وتنحصر الناس على الأسفار، ويضيق عليهم الحال والبر متسع ما يعرف الناس بعضهم بعضا. وكذلك جميع هذا البر العدوي المذكور كثير الحراميات، والقطاع في جميع الأقطار من هذا البر المذكور، فالخوف والخلاء وبعد العمائر من بلاد بني مرين إلى آخر مصور طرابلس إلى برقة سكان بيوت الشعر"[2]. لا يمكن أن تكون هناك مجلات مستثنية من هذه الأوضاع، عندما تعم الاضطرابات وينعدم الأمن؛ ففي الأوراس كادت حملة أبي فارس على الأوراس عام 800هـــ/ 1397م، أن تتحول إلى كارثة لجيشه؛ فبعدما نجح أبو فارس أن يعيد السيطرة على العديد من المناطق في إفريقية تحت سلطته المباشرة. حاول إخضاع الجماعات المتمردة في المناطق الوعرة أو القاحلة الواقعة في أقاصي مملكته، لكن حملته على الأوراس انتهت إلى أن "أخطأ المنصرفون من الجند طريق الخروج من الجبل فزاحمهم البربر في الشعراء، وفي بطن الوادي لولا أن أمير المؤمنين ثبت حتى انصرف أكثر

ومقبلين، ومنهزمين وليس هروبهم توبة. ابن الحاج =النميري فيض العباب. ص 455، 462– 463. المازوني . الدرر المكنونة دراسة وتحقيق في المسائل الجهاد والأيمان والنذور. مذكرة ماجيستير– جامعة قسنطينة ص 156– 157.

[1] محمد بن مرزوق التلمساني. المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن. تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981. ص 429.

[2] الحاج عبد الله بن الصباح. أنساب الاخبار وتذكرة الاخيار. دار أبي رقراق. الرباط. 2008. ص 96– 97.

الناس"[1]. ويرى برونشفيك أن مثل تلك الحملات لم تكن سوى محاولات قصيرة المدى لم تسفر دائما عن نتائج إيجابية[2].

وفي المجمل نستطيع القول أنه لا يمكن فصل مكونات الإقليم الجغرافي عن الطرق والمسالك؛ فقد كانت هناك الكثير من العلاقات المتداخلة بينهما، والإقليم قبل كل شيء هو مدلول اجتماعي، وثقافي، وسياسي، وتبقى أهمية المسالك والطرق تكمن في كونها أحد المعالم الثابتة للمجال، كما أنها تشكل أحد المداخل الرئيسية لمعرفة تطورات المجال على مختلف الحقب والفترات ويعود ذلك خاصة إلى استقرارها وثباتها على مر الزمن.

وعبر هذه الشبكة من الطرق بالأوراس كانت تجري تطورات أخرى تتعلق بالمجتمع الجبلي وترتبط أساسا بالاختلافات الموجودة بين مختلف مناطقه وأقاليمه، هذه الاختلافات كانت تحدث نتيجة تغير أساليب وأنماط العيش بين الجماعات والقبائل، ولعل أهم هذه الاختلافات تلك المتعلقة بأسماء المواقع والمعالم، و قد شهد الأوراس ظهور واختفاء لطوبونيميات عبر مراحله التاريخية، وإن لم تذكر في المصادر إلا نادرا، إلا أنها تشكل معطى لا يمكن بأية حال تجاوزه، وتعتبر أحد أوجه تطور المجتمع في العصر الوسيط.

ثانيا:

طوبونيميا الأوراس الوسيط.

1- كلمة حول الطوبونيميا:

تشكل الطوبونيميا، أو أسماء الأماكن أحد فروع علم اللسانيات الذي استفادت منه الجغرافيا التاريخية، ولا يمكن إهمال دورها الكبير في تفسير الكثير من القضايا المتعلقة بتاريخ المجالات والمواقع، بل حتى تلك المتعلقة بحياة المجتمع. من خلال معرفة الإطار التاريخي المتعلق بالأسماء ومدلول أسماء الأماكن. لذلك يمكن القول بأن الأسماء الجغرافية أو أسماء الأماكن، تمثل أقدم جانب من الجوانب الحية للتراث الثقافي الإنساني، من حيث أن الأجيال توارثتها شفاهة على مدى مئات السنين أو عدة آلاف من السنين[3].

---

[1] ابن قنفد القسنطيني. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي. الدار التونسية للكتاب. 1968. ص 195- 196.

[2] روبار برونشفيك. المرجع السابق. ج 1. ص 244.

[3] بوتولف هيليلاند. القيم الاجتماعية والثقافية للأسماء الجغرافية. منشورات إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة. 2007. ص 111.

الطوبونيميا يعرفها ألبار دوزا "Albert Dauzat" المتخصص في الطوبونيميا[1] أنها "علم نفس اجتماعي يمكننا من معرفة الأسباب التي جعلت المكان يحمل أسماء معينة تميزه عن سواه، فمن خلالها نفهم الروح الشعبية، واتجاهاتها الخيالية والواقعية، بالإضافة إلى النظام اللساني الذي تم به التعبير عن اسم المكان"[2]. وإذا كان من الصعب إعادة تمثل الواقع الثقافي لبلاد المغرب في العصر الوسيط، فإن الإحاطة بسياقات الأدب الشفوي وخلفياته، وتحليل روايات القصص المختلفة باتباع المنهج الأنثروبولوجي يسمح بإعطاء لمحة عامة عن بعض عناصر الإنتاج الخاصة بالأمازيغية من خلال مكوناتها ومعرفة فئاتها المشكلة لها.

صحيح أنه يصعب على الدارس الإحاطة بكافة العناصر المشكلة لشخصية المجتمع في زمن سابق، لذلك فإن المعاينة الميدانية وعن قرب لأنماط العيش وأسلوب الحياة تمكننا على الأقل من فهم المعالم الرئيسة لهذه المكونات، وهي الأخرى تحتاج إلى وقت كاف لذلك حتى تكون الدراسة محكمة وذات مصداقية وأسس معرفية أكثر.

2- أصول الطوبونيميا بالأوراس العصر الوسيط

سياسيا فالجماعات التي صنفتها الكتابة العربية في خانة البربر تظهر كمكون رئيسي لمختلف الحضارات التي شهدتها بلاد المغرب. لكن هذا لا ينطبق على لغاتهم الخاصة. فقد اعترف المؤرخون ومنذ فترة طويلة أن اللغات البربرية قد اقتصرت على لهجات كثيرا ما تواجه لغات مرموقة في الكتابة وتؤدي مختلف أدوار التواصل المختلفة.

ففي منطقة قرطاجنة والمناطق المجاورة لها بقيت اللغة الفينيقية جنبا إلى جنب مع اللاتينية، وقد ظلت هذه الحال حتى الفتح الإسلامي كما كانت اللغة النوميدية مستخدمة في منطقة قرطاجنة. ويمكن القول أن الأقطار التي كانت تتكلم لغة واحدة في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، تكون هي الاستثناء وليست القاعدة، ويعد الغزو السبب المألوف لفرض اللغة من الخارج، ولكن هذه الحالة قد تأتي أيضا من خلال التغلغل الذي يأتي عن طريق الاستيطان. أو قد تأخذ القبائل الرحل لهجاتها معها[3]. ومن هنا تكون دراستنا للبدايات الأولى لعلاقة البربر كمُكوِن سوسيوثقافي بالمتغيرات العميقة التي ستحدث في بدايات القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي وعلاقاتها بماضي المنطقة.

---

[1] Albert Dauzat. *Les noms de lieux : origine et évolution, villes et villages, pays, cours d'eau, montagnes, Lieu-dit.* Paris, 1963. p. 40.

[2] حبيب حاف محمد. أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان. رسالة دكتوراه. جامعة تلمسان. 2013. ص 22- 23.

[3] فرديناند دي سوسور. علم اللغة العام. ص 217.

ولا نعتقد أن النصوص الجغرافية والتاريخية التي بين أيدينا تتيح لنا الجزم بوجود اللغة من عدمها وهي التي تعبر عن ثقافة مجال معين خاص بالبربر سواء قبل أو بعد امتزاج حضارتهم المحلية بالثقافة الإسلامية الممزوجة بطابع العقيدة والتي كانت سمة العصر الوسيط في العالم، حيث كان الطابع العام للغة محوره الوعظ كما كانت تسير جنبا إلى جنب مع الأسلمة والتعريب، دون إغفال الأدوار التي قام دعاة المذاهب على مختلف مشاربهم وأهدافهم، ويرجح ليون الإفريقي سبب اندثار كتابة اللغة المحلية (البربرية) إلى أن "الرومان طمسوا العناوين والحروف القديمة التي وجدوها في إفريقيا عندما احتلوها، ووضعوا مكانها عناوينهم وحروفهم حتى يخلدوا وحدهم، وهو الأمر الذي يكون معهودا عند الفاتحين[1].

أما إذا تحدثنا عن الرابط الأول لعلاقة البربر باللغة الجديدة، فطبيعي أن نعود إلى المراحل الأولى للانتصارات التي حققتها جيوش الفتح الإسلامي تمهيدا لبسط السيطرة والانتقال إلى مرحلة جديدة من الاستقرار والتوطين (اختلفت أشكال التوطين بين الفاتحين في القرن الهجري الأول/ السادس الميلادي. ثم كانت الحاميات التي استقرت في الحواضر مع بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.) ولذلك فقد تنوعت أشكال التواصل بين السكان المحلين والفاتحين.

3- سياقات تشكل الطوبونيميا بالأوراس.

يتشكل الاسم الطوبونيمي وفقا للظروف الاجتماعية السكانية التي ستفرض أن تستخدم العربية باعتبارها لغة التواصل بين الشعوب مختلفة اللغات[2] التي دخلت في سياقات التواصل بعد الفتوحات في المدن العربية الجديدة، وفي الوقت نفسه فرضت تلك الظروف نفسها كيفية تعلم العربية باعتبارها لغة تواصل أجنبية فتعلمها الناس بشكل حر غير منظم. علاوة على ذلك فرضت تلك الظروف أيضا على العرب باعتبارهم أبناء للغة الهدف أن يقدموا للمتعلمين مدخلا لغويا مبسطا ومعدلا لتسهيل التواصل بين أبناء اللغة الهدف والأجانب من ناحية، ولتسهيل التعلم من ناحية أخرى[3].

كما يخضع الاسم الجغرافي لشروط عديدة وهو دوما واقع تحت ضغوط مختلفة ومستمرة تعرضه للتغير والتحريف والتعديل عن قصد أو عن غير قصد، كما تتعرض الأسماء الجغرافية للكثير من المؤثرات على جوانب

---

[1] Bilochi. m. s. *La conversion des berbères a l'islam*. Maison de l'édition ,Tunis. 1981. p. 35.

[2] يجب الإشارة إلى خطأ الربط في القول بأن الأسلمة مرادفة للتعريب وهذا غير صحيح. فالقراءة الأولية لمختلف المصادر وتحليلها بتأني، تتضح لنا العلاقة بين اللغة العربية واللهجات المختلفة في مجال واسع بمثل شمال إفريقيا غداة الفتح الإسلامي. واختلاف العلاقة أيضا مجاليا من منطقة إلى أخرى. وهذا جانب آخر تتحكم فيه مختلف العوامل مثل التوطين ومدى توفر العنصر العربي الذي بإمكانه ايجاد بيئة للغة الجديدة.

[3] محمد الشرقاوي. التعريب في القرن الأول الهجري. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2007. ص 193- 194.

اللغة والثقافة، هذا بوجه خاص في المناطق المتعددة اللغات[1]، ولا يخفى أن "الطوبونيميا" علم عملي إذ أن الوقوف على أصول الأسماء والإحاطة بجوانبها يمكن أن تكون مفتاحا وآلية نجد فيها مجالا واسعا لقراءات سوسيو تاريخية تتعلق بحياة المجتمع في الأوراس وأهم التيارات الثقافية التي عرفها عبر عدة قرون؛ فالطوبونيميا لا تستثني أي جانب محدد بعينه كما أنها توسع أفق البحث فضلا عن إلمامها بالأسماء وتاريخ وأصول المواقع والعقائد والمحيط البيئي وغيرها من المجالات التي لا تسمح المصادر الكلاسيكية بمعرفتها بدقة.

ولذلك فإن قراءة أولية للمصادر المبكرة الإخبارية والجغرافية تسمح لنا بالوقوف على التحريف الواقع في الكثير من الأسماء في النصوص العربية التاريخية والجغرافية التي تكون قد تصرفت في استعمال اللفظ الأمازيغي، وقد يكون ذلك تجاوزا لصعوبة النطق السليم للكلمات الأمازيغية؛ فنقل الأسماء من الرواية الشفوية البربرية إلى الكتابة العربية أفقدها الكثير من ملامحها[2]، فوقع رسمها في النصوص العربية على خلاف ما هو منطوق به، حيث أخضع المؤلفون والنساخ اللفظ البربري لطرق الصياغة، وللعادات النطقية العربية، ولم يمنع ذلك من استمرارية أسماء قديمة في العصر الوسيط، فعلى سبيل المثال اسم هوارة وزناتة استمر عبر بلاد المغرب[3]، وظهور المجالات المشتركة لهذه الاتحادات القبلية:

- الأول يدعى "بلاد زناتة" في زمن ابن خلدون يمتد بالمغرب الأوسط بما في ذلك الونشريس، نواحي تلمسان، ووادي الشلف.

- أما المجال الثاني، يسمى "أرض هوارة" في المصادر العربية ويوضح هذا الاسم اختفاء اسم قومي قديم هو"الجيتول"[4].

ولمعرفة التغيرات الطوبونيمية "بالأوراس" في العصر الوسيط لا بد من الرجوع إلى المدونة التاريخية والجغرافية المبكرة وكتب الأنساب العربية[1]، بالإضافة إلى المصادر القديمة لفترة ما قبل الفتح الإسلامي. أما

---

[1] عوني محمد الخصاونة. مقدمة عن الأسماء الجغرافية. مجلة الأسماء الجغرافية. تصدر عن الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية. 1. (2015) .ص 9.

[2] لم تكن إشكالية الخطأ في النقل أو النسخ وقفا على المصادر العربية، فقد ذكر المؤلفون القدامى، من اليونان والرومان، أسماء بربرية عديدة. لكن ما يجب التأكد عليه، وبكل إلحاح، هو أن هجاء تلك الأسماء غير محقق، وأن شكلها يشوه باستمرار عند النقل من الليبية إلى اليونانية ومن اليونانية إلى اللاتينية، زيادة على أننا نجهل مضمونها الاجتماعي وموقعها الجغرافي. عبد الله العروي. مجمل تاريخ المغرب. ج1. ص 93.

[3] قد ينتج عن انتقال القبيلة إلى مجالات أخرى جديدة تغيير أو تحريف في اسمها وهذا ما نجده لدى بعض فروع هوارة التي اتجهت جنوبا على سبيل المثل؛ وعن هذه الحالة نجد قول ابن خلدون عن هوارة: "وكانوا ظواعن وآهلين، ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا إلى لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي كوكو من السودان تجاه إفريقية. ويعرفون بنسبهم هكَارة، قلبت العجمة واوه كافا أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف". العبر. ج6. ص 185. وجاورت هذه الجماعات جماعات الطوارق والأهقار انجر، حيث نجد لهجات محلية جنوبي النيجر ومالي. تماشق، وأدرار ايفوقاس، والتي تختلف بين الشمال والجنوب. Salem Chaker. amaziγ, "(le/un) berbère". *Encyclopédie berbère* iv, 1987. p. 1.

[4] Ahmed M'charek. « continuité de l'ethnonymie », *op. cit,.* p. 471.

حديثا فإن هناك الكثير من الدراسات المتعلقة بالطوبونيميا بالجزائر الخاصة باللغة والمجتمع، وقد شكلت هذه الدراسات الأساس النظري لجميع الأعمال في هذا الميدان.

أما فيما يخص المدونة المتعلقة بالطوبونيميا المحلية الخاصة بالمجتمعات البربرية فنشير إلى توزعها على الكثير من المخطوطات التي لا تزال مجهولة. فقد قام عمر أفا ببحث حول جغرافية المخطوط الأمازيغي ومناطق انتشاره وأساليب الكتابة بالحرف العربي لهذه المخطوطات، وتطور أداء الكتابة الأمازيغية تاريخيا. وأكد أن الأرصدة الهائلة من المخطوطات والوثائق الامازيغية المكتوبة بالحرف العربي لم يتم الكشف عنها في مجملها بعد، سواء منها التي توجد في مكتبات رقعتها الجغرافية أو التي توجد في مكتبات أخرى أجنبية. فهذه الأرصدة تشكل دعامة كبرى لبناء فكر واعد لدى فئة واسعة من الباحثين[2]. وقد أدى هذا آليا إلى خلق قطيعة مرحلية تتعلق بطبيعة تعامل اللغة الجديدة مع الموروث المحلي القديم والذي سيؤدي فيما بعد إلى اختفاء الكثير من أسماء الأعلام والأماكن، غير أن ذلك كان مرحليا و لم يشمل كل المجال المغربي؛ فالاستمرارية ستطبع الكثير من الميادين الأخرى، (خاصة ما تعلق بالعمران وبعض التنظيمات الخاصة بنمط العيش، مثل أشكال استغلال الأرض، والري، وغيرها)، وفي نفس الوقت نجد الكثير من الأسماء وردت مشوهة وغير صحيحة خاصة في المصنفات الجغرافية.

بعد انتهاء مرحلة الفتوحات الإسلامية وبداية انتشار اللغة العربية، نجد أنفسنا أمام مرحلة تعتبر غنية إذا ما قورنت بسابقتها وهي مرحلة انتشار الجماعات الإباضية في بلاد المغرب والتي تميزت بثراء مدونتها المنقبية التي تعطينا أمثلة كثيرة على استخدام اللسان البربري في الكثير من الجوانب كالفقه والعبادات والشعر وغيرها كثير[3].

---

[1] التاريخ العربي الإسلامي يقودنا إلى الاعتقاد بأن الكثير من هذه المصطلحات كانت عرفت في وقت متأخر، تماما كما تم تشكيل قصة الفتح. إلا أن عنصر البربر يبقى ثابت وغير قابل للتغير. إذ أنهم ظلوا من العناصر الفاعلة الأساسية في العمليات الحاسمة والفعالة لتاريخ إفريقيا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط. ينظر: Soléna Cheny. Les Berbères chez les Arabes ». Étude sur la définition d'une catégorie ethnique *umr 8167, université de Panthéon-Sorbonne, paris / lacnad, inalco, paris.* 2013. P.241. Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine.* p. 3.

[2] عمر أفا. المخطوطات والوثائق الأمازيغية المكتوبة بالحرف العربي: أساليب الأداء وأنواع المخطوط. Paléographie des écritures arabes d'al-Andalus, du Maghreb et de l'Afrique subsaharienne. Journée d'étude tenue à rabat le 28 novembre 201 sous la direction de Mustapha jaouhari. Les rencontres du centre jacques-berque.n° 6 – (2015) (rabat – Maroc). p. 82- 83.

[3] من هؤلاء يمكن ذكر أبي عثمان المزاتي الذي يدرجه الدرجيني ضمن رجالات الطبقة الخامسة، وهو ما يعني أنه عاش حوالي الجزء الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ويقول عنه "كان اسمه مشهورا، باللغة النفوسية، فإذا ذكروه، قالوا: بالثمان. واستنادا إلى روايات إباضية مذكورة آنفا، فهذا الشخص معروف بمعجزاته وخوارقه، كما أن ابنته تنظم شعرا بالأمازيغية. وكان مصلاه أو زاويته من بين المصليات التي يزورها سكان

كما يجب الإشارة إلى أن توزع الحاميات العربية بإفريقية لم يكن يشمل جميع المجالات، فقد بقيت في المرحلة الأولى منحصرة في الحواضر الكبرى، مما يعني محدودية تأثرها في القرون الأولى للفتح، وقد مر علينا في هذه الفترة ظهور دور الجماعات الإباضية السياسي والعقدي وقد لحق هذه الفترة نشاط في الكتابات الإباضية التي كانت غنية بالموروث المحلي لمختلف الجماعات وبالتالي شكلت هذه الأسطوغرافية الإباضية مصدر مهم لمعرفة اللسان البربري لهذه الجماعات.

في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي مرحلة السيادة الفاطمية فقد أصبحت إفريقية والمغرب الأوسط مركز ثقل لغوي[1]. وساهمت الهجرات القبلية وانتقال الشعوب بنقل الكثير من المفردات وغيرها إلى مختلف المناطق ومن بينها بلاد الشام لتصبح من سمات اللهجات الطائفية.

ليس من السهل تتبع تطور استخدام اللسان المحلي في مختلف المستويات في المجتمع وفي مواقف متعددة لنجد أن العلاقة بين اللغة والسلطة قد اقترنت بالهيمنة السياسية في العهد الموحدي، فقد أدى الترويج للدولة إلى خلق لغة محلية وآليات لإضفاء الشرعية على السلطة، وهذا ما جعل من الممكن إعادة النظر في المسألة من الناحية الوظيفية الاجتماعية للغة وعلاقتها بهيمنة الدولة[2].

وإذا كنا لا نملك المصادر التي تسمح لنا بمعرفة الآلية التي تمت بها عمليات التعريب وطريقة كتابة المفردات اللاتينية أو المحلية البربرية إلى اللغة العربية وما هي الأسس التي اعتمدها الكتاب العرب في ذلك، فإننا نشير إلى أن الأسماء المحلية حدثت فيها تشوهات خاصة في أسماء المواقع الطوبونيمية التي وردت في المصادر العربية، والتي كتبت بطريقة غير دقيقة، إذ نقل الكتاب العرب عن مصادر أخرى قديمة، أو نقلوها بشكل غير صحيح عن طريق المشافهة، أو أنهم نقلوها حسب النطق الأصلي ووفق قربها من اللغة العربية ثم دونوها بعد ذلك.

فالمعروف أن الأسماء المحلية ترد في المصادر العربية بصورة غير مشكولة ولا مرقمة وهو ما يؤدي إلى تحريف في الكثير من الأسماء؛ فالمخطوطات وكتابات الكتاب العرب في العصور الوسطى غالبا ما تفتقر

=الجبل في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. الدرجيني. طبقات المشائخ بالمغرب. تحقيق إبراهيم طلاي. مطبعة البعث. قسنطينة. ج2. ص 308– 313. تادايوش ليفيتسكي. تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم. ترجمة عبد الله زارو. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2006. ص 106.

[1] انتشرت في هذه الفترة يقول الشرقاوي بعض المفردات ومن بينها سمة أداة النفي "مـا_ش" في الجناح الغربي من العالم العربي. التعريب في القرن الأول الهجري. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2007. 147

[2] Mehdi Ghouirgate. *op. cit.* p. 577– 578.

التشكيل ولذلك يمكن أن يحدث التحريف في أسماء الأماكن وخاصة الغير المألوفة والشائعة[1]. كما يمكن أن يعود ذلك لعدم معرفة الكتاب العرب على اختلاف تخصصاتهم معنى بعض الأسماء الجغرافية إلى الجهل باللغة التي أطلق بها الاسم على المعلم الجغرافي، وقد تكون هذه اللغة قد بادت أو تطورت بحيث لم يعد معنى الاسم معروفا. أو إلى التطورات والتغيرات التي طرأت وتطرأ على اللغات وعلى الأسماء الجغرافية نتيجة لتطور اللغة نفسها. أو لاتصالها بحضارات أخرى، أو لتعاقب حضارات مختلفة في المنطقة[2]. لذلك فإن فهم الطوبونيمية القديمة تسمح بمعرفة دوافع لجوء المصادر العربية إلى استبدال الأصوات اللاتينية إلى الأقرب للعربية.

إن إنتاج أسماء الأماكن ينطوي على خلفيات عديدة، خاصة القديمة جدا ما يستلزم حتما بغرض معرفة أصولها، الرجوع إلى التاريخ وعلم الآثار من أجل جرد ومعرفة أصولها البعيدة وكذلك نطاقاتها ومجال انتشارها المكاني، فضلا عن الجانب الجغرافي لمعرفة الأسماء المحلية، وأثر الطوبوغرافيا والتضاريس في ذلك[3].

لذلك فإن الدارس ومن أجل معرفة هذه التغيرات الطوبونيمية بالأوراس في العصر الوسيط لا بد له من العودة إلى معرفة التغيرات التي حدثت نتيجة حركة التعريب. ولعل أول ما يصادفنا في المواقع الإفريقية هو هذه المفردة في حد ذاتها "إفريقية"[4]، فقد وصلتنا بصيغتها اللاتينية أفريكا "Africa"، دون التسني من معرفة أصلها بدقة. فنجد هشام جعيط يرفض بل ويستنكر مثلما يقول كل الجهود الغبية واللاواعية للنسابين والإخباريين العرب الذين حاولوا الرجوع باللفظة لشخصية ملكية من الجنس العربي[5]. وهي تهيؤات "ذات النزعات العربية" تستند في الغالب لسلطة "ابن الكلبي" العلمية وبدون اختلاف تعتمد بصفة تقليدية، المنطلقات نفسها مصدرا

---

[1] Mohamed Benabbès. *op. cit.* p. 120- 121.

[2] إبراهيم موسى الزقرطي. أسس الأسماء الجغرافية. المركز الجغرافي الملكي الأردني. عمان. 1997. ص 39.

[3] Frédéric Giraut, Myriam Houssay-Holzschuch et sylvain Guyot, au nom des territoires. Enjeux géographiques de la toponymie, espace géographique (2008). 2, 37. p. 98.

[4] أثيرت نقاشات تاريخيةحول مفردة "إفريقيا"، فقد قدمت Mr Fruyt. قراءة لهذه المفردة مرجعة أصولها إلى الشرق على أساس الهجرات القديمة لسكان بلاد المغرب ذووا الأصول الشرقية الكنعانية، ولذلك فإن أصل الكلمة من جذر FRQ ، أما M. Vycichl ، فيرى أن اسم الكلمة مأخوذ من شعب "الأفري" Afri ، الذي استوطن هذه المنطقة. أما التفسير الثالث فيرجع أصول الكلمة إلى أصول هندو أروبية.-Lassère Jean-Marie. Onomastica africana V-VIII. Antiquités africaines, 18,1982. p. 169 170.

[5] يستعرض ابن خلدون مجمل الآراء الخاصة بهذه المسألة المتعلقة بالنسب العربي إلى إفريقش بن قيس من ملوك التبابعة عند غزوه لبلاد المغرب ومن ثمة تسميت المنطقة باسمه. وإلحاق الكثير من القبائل البربرية بهذا النسب الشرقي اعتمادا على أقوال الكلبي. وباقي النسابة البربر حول أصول القبائل. ديوان العبر. ج6. ص 117 –120. ابن عبد الحليم. كتاب الأنساب. تحقيق محمد يعلى. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي. مدريد. 1996. ص 40، 41، 62. عبد الوهاب بن= =منصور. كتاب الأنساب. تحقيق محمد يعلى. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي. مدريد. 1996. ص 262.

لها[1]، أما "إقليم الأوراس" فكان ينتمي إلى مقاطعة "إفريقية"، حيث نجد فيها الكثير من الأقاليم التي توطنت فيها الحاميات العربية واتخذت منها حواضرا ومدنا وعواصما؛ فإقليم الزاب على حدوده الجنوبية على سبيل المثال يدخل في إطار "تسميات جديدة تعبر عن قطيعة وتتجلى في بروز مدلولات جديدة... فتم التخلي كلية عن اسم "نوميديا" الذي حل محله لفظ "الزاب". فهذه التسمية الأخيرة ذات الجذور القديمة لكن لا يمكننا التأكد من معرفة أصلها بالتحديد[2].

فالتعريب ببلاد المغرب طرح مسألة تحويل أسماء المدن والحواضر والأقاليم والقبائل من اللغات المحلية إلى اللغة العربية، والكثير من المجالات وأسماء المواقع[3] غيرت أسماءها عبر التاريخ؛ وعلى سبيل المثال فقد عربت "Byzacin" إلى "المزاق" وهو أمر من قبيل الإسقاط إذ لم يكن للمزاق، الذي لا شك في كونه تهجئة عربية "للبيزافيوم". نفس المفهوم أو الحدود مع اسم المقاطعة في العهدين الروماني والبيزنطي.

وإذا كانت أخبار منطقة الأوراس كما أشرنا آنفا مغيبة في المصادر المبكرة للفتوح الإسلامية، والتي لا تزيد عن الجانب السياسي العسكري المتعلقة بأخبار الفاتحين، فإن المشكلة ستستمر لمرحلة تزيد عن القرنين من الزمان على الأقل، ورغم ذلك فإننا لا نشك في أقدمية جميع أسماء المواقع و الأقاليم، ويعود ذلك إلى أن أسماء مواقع المغرب أخضعت لمنطق "التدوين البعدي لأسماء الأماكن ضمن نصوص مختلفة جعلها تخضع لسياق زمان تدوينها، ولقدرة المؤلف على جمع فهم لفظها واستيعاب معناها دون تحريف أو تحويل لصيغتها الأصلية التي اختير لها"[4]. المتصفح لهذه المدونة قد لا يجد عناء كبيرا في معرفة ما تميزت به هذه المرحلة من التقدم الكبير الحاصل في استخدام المصادر القديمة للجغرافيا التاريخية المتعلقة بمنطقة شمال إفريقيا القديمة، وإفريقية البيزنطية بشكل خاص، في الوقت نفسه تتراجع أهمية المصادر العربية نتيجة لجهلها بالمنطقة[5].

---

[1] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي ص 50- 51

[2] لا نعرف لا الاسم الليبي ولا البوني الذي يقابل الاسم اللاتيني "نوميدا" (Numida) وليس هناك والحالة هذه أي مسوغ مقبول للقول بأنه مشتق من الاسم الإغريقي (Nomades) الذي يعني "رحّل"، وإذا كان الرومان قد أخذوا الإسم مباشرة من الإغريق فإنه ينبغي دمجه في نسق معرب بالحرف. غابريال كامبس. المرجع السابق. ص 283 – 285.

[3] شكلت أسماء المواقع الظاهرة على خريطة-علم أسماء الأماكن-أسئلة عديدة كانت هدف مؤتمرات للأمم المتحدة تتعلق بالترجمة: وتتعلق بمسألة إيجاد تعبير مرادف في لغة أخرى بالبحث عن التكافؤ الدلالي المعبر. بيار جورج. معجم المصطلحات الجغرافية. ترجمة. حمد الطفيلي. المؤسسة الجامعية. بيروت. ط2. 2002. ص 53.

[4] محمد البركة وآخرون. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي. أو ضبط الاعلام الجغرافية. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. 1012. ص25.

[5] Mohamed Benabbès. « The contribution of Medieval Arabic Sources to the Historical Geography of Byzantine Africa ». *North Africa Under Byzantium and Early islam*. Dumbarton oaks Research Library and collection Trustees for Harvard University, Washington, (2016). p. 119- 120.

أما بالنسبة لتاريخ "الطوبونيميا بالأوراس" فإن الاهتمام بأسماء مناطقه وأعلامه وجغرافيته يعود إلى أندري باسي "André Basset" الذي جمع أثناء رحلة إلى جبال الأوراس وبمنطقة "آيت فرح" حوالي 300 اسم. وهذا في إطار عمل مدربي مدرسة اللغات الشرقية الفرنسية بالجزائر[1]. وتعتبر دراسة ميدانية للطبونيميا لأن أشكال الخطاب المحلي حسبما عاينه آنذاك يمكن أن يكون قديم جدا ويعكس واقعا ماضويا لا نملك زمانه بالتحديد.

4- الأوراس. قراءة في الطوبونيم.

اسم الأوراس قديم أشار إليه كورييوس فعرفه ب"Aurasitana". فيما أشار فيكتور الفيتي " Victor de Vita"[2] في كتابه "تاريخ الاضطهادات الوندالية" الذي ألفه في نهاية القرن الخامس" (489م) طابقه بمصطلح أباريتانا "Avaritana/ Abaritana". حيث أشار في كتابه أن الملك الوندالي "جتريق" قد قسم أراضي مملكته سنة 442م، فسلم لجيشه أراضي البروقنصلية، محتفظا بكل من المزاق، الأباريتانا، جيتوليا، وكذلك قسم من نوميديا. وقد وجدت نقيشة بمدينة تيمقاد تحدثت عن مدينة أباريس "Abaris". ويرى "دايزابج"[3] أن تحديد "فيكتور الفيتي" لمنطقة "الأباريتانا" قد يكون تعميم انطلق أساسا من موقع يحمل نفس التسمية أو من مدينة[4]. أما المؤرخ البيزنطي بروكوب في القرن السادس فذكره بالإغريقية باسم "أوروس" Oŕos "أوراسيون" "Aurăsion" و "أوراسيوس" باللاتينية "Aurasius" [5].

وقد أطلق اسم الأوراس من طرف السكان على الجبل الذي يمتد في الشمال الشرقي من بوحمامة في الاتجاه إلى خنشلة. والذي يحدده بركوب على مسافة ثلاثة عشر (13) يوم من قرطاجة[6].

---

[1] André Basset, *Articles de dialectologie berbère*, collection linguistique publiée par la société de linguistique de Paris. Paris. 1959. p. 80- 81.

[2] Historia. p. 4.

زهير بخوش. التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني. دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية بالأوراس". رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر2. 2016 2017. ص 83- 89.

[3] Jehan. Desanges, « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine », 33, (1963), p. 47.

[4] يوسف عيبش الأوراس في مصادر القرن 6م. ص 102.

[5] Lionel Galland, « état linguistique de l'Aurès antique ». *Aoures*. 1. 2003. Paris. p. 33- 34.

[6] Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie*.. T1. p. 5, 6, feuille 38. Aurès.

جون لويس بالي "Jean-Louis Ballais" الباحث في جغرافية الأوراس فيطرح إشكالية طوبونيم الأوراس من زاوية الكتابة بالمفرد "جبل الأوراس" أو "جبال الأوراس" بصيغة الجمع؛ فالجغرافيين إميل فليكس غوتييه وبرنار، وجون ديبوا، ورايال ("A. Bernard"E.f.Gautier", J.Despois" ("R.Raynal", والجيولوجيين ("R. Laffit"E. Dalloni,) والسوسيولوجيان ("th. Revièr","M. Gaudry") والمؤرخين كاركوبينو،

وفي نفس السياق يدعم الباحث Jean-Louis Ballais الاسم المفرد للأوراس بدل الجمع انطلاقا من معطيات قام بجمعها من خلال 154 مرجع طيلة ستة سنوات منذ بدايات سنة 2000، وقد شملت هذه المعطيات مراجع لعلماء الآثار والمؤرخين والجغرافيين والجيولوجيين إضافة إلى علماء النبات والاجتماع والأنثروبولوجيا والأطباء والاقتصاد وعلماء السياسة والمناخ والرعاة. وتوصل إلى جدول إحصائي نورده فيما يأتي[1]:

التطور الزمني	الأوراس بالمفرد l'Aurès	الأوراس بالجمع Les Aurès
القرن 6م	1	-
القرن 11م	1	-
القرن 12	-	1
القرن 16	1	-
القرن 18	2	-
القرن 19	19	2
القرن 20	69	33
القرن 21.	19	11

لا شك أن الاطلاع على الطوبونيميات القديمة كفيلة بتفسير الاسم على مر التاريخ منذ العهد اللوبي القديم والإغريقي واللاتيني والعربي وغيره. كما لا يغفل الاعتماد على المخلفات الأثرية؛ خاصة إذا عرفنا غنى منطقة الأوراس الداخلي بالكتابات الأثرية التي توجد في أغلب الآثار القديمة لحواضر المنطقة، مثل تيمقاد

وشارل أندري جوليان، وستيفان قزال ("J.Carcopino", "ch. A. Julien", "S.Gsell") يكتبون الأوراس دائما بصيغة المفرد "l'Aurès"، وبالمثل يعتقد ماسكوري بصيغة المفرد للأوراس؛ أوراس "Aoures" و الأوراس "l'Aurès". Jean-Louis Ballais et E.B. Aurès. *Encyclopédie berbère*. p. 1.

أما السكان المحليون فيستخدمون الجمع "جبال الأوراس"، وقد يكون ذلك ناتج عن محاذاة سلسة جبال "النمامشة" "Némancha" المجاورة والتي أعطت اسمها للمرتفعات التي تمتد شرقا إلى الحدود التونسية.

Encyclopédie berbère. Conseil international de la Philosophie et des Sciences humaines (UNESCO). Aix-en-Provence, France, 1989.p 1066. Jean-Louis Ballais et E.B. *op. cit*. p. 2.

[1] Jean-Louis Ballais, « L'Aurès ou les Aurès ». Réflexions d'un géographe sur un pluriel singulier. *Aouras*, Société d'études et de recherches sur l'Aurès antique). n°7, (2012). p. 95, 96, 103.

ونواحيها، لمبيسيس وغيرها. فقد تم العثور على العديد من النقوش الليبية[1]، التي يمكن استغلالها في دلالة المفردة "أوراس" بكل من القنطرة والمتمثلة في صخرة معصرة، وبسريانة عثر على نقيشة بها خمسة أسطر عمودية وفيها إشارات غير مكتملة وأسماء محلية. إلا أن أغلب هذه النقوش الكتابية تبقى مبهمة وغير واضحة، رغم إشاراتها إلى بعض القبائل أو المدن[2]، ومعنى اسم الأوراس "Aurès" أو الأوراس "Aoures" لم يتحدد بعد، والراجح أنه من أصل محلي، والبعض يطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى شجرة الأرز، وهي الغابات الضخمة التي تغطي مساحات شاسعة من المنطقة[3].

بالنسبة للمصادر العربية التاريخية والجغرافية وكتب التراجم نجد على سبيل المثال في حديث أبي عبد الله الصنهاجي عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد بالمنطقة، يتحدث عن "موقع يعرف ب"الناظرو"، وهو موضع معروف "بأروسن.."[4]. أما "البكري" وفي حديثه عن المدن القريبة من المسيلة يذكر مدينة قديمة خالية "تسمى بالبربرية تاورست تفسيره الحمراء، وهي مبنية بالصخر على نهر عذب"[5]، وهو الاسم الذي يمكن أن يشتق منه الأوراس كاسم للمجال.

تأتي هذه التغيرات بعد مرحلة الفتح الإسلامي الذي يعتبر فاصل بين مرحلتين مختلفتين تماما في تاريخ المنطقة، وبدأت المنطقة تكتسب هوية شرقية جديدة، وستصبح إفريقية تشكل الجزء الغربي للخلافة الإسلامية "الغرب الإسلامي" في مرحلة انتقالية لم تتخل فيها بلاد المغرب عن كل ماضيها وتراثها القديم[6]. ورغم هذا التحول فإنه لم يمنع من استمرارية بعض أسماء القبائل والمجالات والحواضر التي سنتطرق إليها عبر أربعة مداخل رئيسية: على مستوى الجماعات والسكان ونقف فيها على مسألة استمرارية أو تغير أسماء الكثير من الجماعات، وعلى مستوى المدن والحواضر، ثم الإشارة إلى التغيرات الطوبونيمية على المستوى البيئي وتاريخ تطور المحيط بالمجتمع، ثم يكون المستوى الأخير المتعلق بالمتغيرات اللغوية وإشكالية اللهجات واللسان المحلي

---

[1] طوبونيميا ليبيا ثري جدا، لدينا المئات من أسماء الأماكن والأعلام وهي مصادر كتابية أدبية، وأسماء للتجمعات السكانية، الكثير منها يعود تاريخها إلى اللغة الليبية القديمة، وأخرى إلى اليونانية اللاتينية، وبعض الأسماء الجغرافية بونيقية، لا زالت تحتفظ بها النقوش الليبية والألواح الجنائزية، كما تحتوي النقوش اللاتينية على عدد كبير من الأسماء الليبية خاصة العملات المعدنية

Mansour Ghaki. Toponymie et Onomastique libyques. L'apport de l'écriture punique/néopunique. p. 65.

[2] Lionel Galland, *op.cit.* p. 37 – 40.

[3] Colonel de Lartigue, *Monographie de l'Aurès.* du 3° zouaves. Constantine (1904). p. 4 285.

[4] ابن حماد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد. ص 41.

[5] البكري. المسالك والممالك. ج 2 . ص 327.

[6] Mohamed Benabbès. «Des provinces byzantines à l'Ifriqiya »: continuités et changements dans les découpages administratifs. Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, publications du crahm. 2011. p.1.

واللغة العربية بالأوراس وآلية تغير الأسماء، ولو أن الأمر يتطلب تخصصا دقيقا فإننا نحاول الإشارة إلى ذلك من باب تاريخي.

ثانيا: طوبونيميا اللغة والأسماء القديمة:

يحيل مصطلح "الأونوماسيولوجي" على مفهوم "علم الأسماء العامة"، وذلك بالبحث عن تطور دلالات الألفاظ من خلال نظام يهتم بالدلالات المعكوسة، أي انطلاقا من العالم وانتهاء بالعبارة اللسانية، ومن الأشياء والمفاهيم إلى الاشكال. ويتفرع عن الأونوماسيولوجي مصطلح آخر يعرف بالأونوماستيك Onomastique الذي يواصل اشتغاله على أسماء الاعلام بصفة عامة كالأشخاص والقبائل والعشائر والجبال والامصار والأنهار. أما الأنثروبونومي Anthroponomie يختص بدراسة أسماء الأشخاص والطوبونومي Toponymie يهتم بدراسة أسماء الأماكن[1].

ومسألة رسم أسماء الاعلام تطرح إشكالات عديدة؛ حيث يرسم اسم المكان أو العلم الواحد بطرق مختلفة حسب طريقة النطق والعادة الدارجة في الكتابة التي تمثل حصيلة تراكمات تاريخية متعاقبة عبر قرون عديدة، مثل إثبات "ال" في بداية الكلمة من عدمها أو رسم الألف في الكلمة أو اسقاطها[2]، وإثبات تاء التأنيث في نهاية الكلمة والتي تتشر كثيرا في المناطق التي تتخاطب باللسان البربري، ورسم الحروف القابلة للإبدال لتقارب مخارج حروفها: ت/ ط، س/ ص/ز. كل هذا نجده منتشرا بشكل كبير في مجال الأوراس والذي يرتبط في معظمه بتاريخ المفردات المستخدمة وأصولها القديمة.

---

[1] عبد الإله لغزاوي. مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس. مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آلية اشتغال الكتابة.ج1. ط1. دار أبي رقراق. الرباط. المغرب. 2010. ص168- 169.

Onomastics: هو مجال دراسة الأسماء الصحيحة مشكلة الاسم الصحيح Onomastic أو علم الأسماء الصحيحة، هو فرع من علم التأليف ، وهو يأتي من اليونانية onomastickos، ويحدد تشارلز Camproux بالمعنى الواسع للمصطلح هو علم الإسم الصحيح ، مهما كانت طبيعة الإسم. وحتى في المعنى التقليدي، لا يحمل الإسم المدون نفس القيمة للجميع. ويطبق آخرون الكلمة على الإنتروبونيمي (دراسة أسماء الرجال) وأسماء المواقع الجغرافية (دراسة أسماء الأماكن). "بشكل عام في هذا المعنى الأكثر شمولاً، فنستخدم مصطلح onomastics الذي يشمل anthroponymy ، لأسماء الناس ، و toponymy ، لأسماء الأماكن".

Souad Bouhadjar. *op. cit.* p. 20- 23.

[2] على الرغم من ان اهتمام النحاة الأوائل كان منصرفا أساسا إلى وضع قواعد تمكن من يراعيها من "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم. محمد عابد الجابري. بنية العقل العربي. دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط9. 2009. ص 43. نقلا عن أبو الفتح عثمان ابن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب العلمية. القاهرة. ط2. 1952. ج1. ص34.

ولذلك يبقى السؤال في كيفية مساهمة المؤرخ وما هي القيمة التي يضيفها في بناء المعرفة التاريخية المتعلقة بهذه الإشكالية، ومن هنا تكون الخطوة الأولى في الأساس الذي توفره جميع العناصر اللغوية والتاريخية وغيرها، والتي بإمكانها المساعدة إلى حد ما في إعادة تقييم الذاكرة والثقافة التي شيدت في اللغة البربرية، والصفات التي غالبا ما تستدعي النظر في غياب الأبحاث المتعلقة باللغات المستخدمة في بلاد المغرب في القرون الوسطى. وهي المادة التي تساعد المؤرخ على معرفة تاريخ جغرافية الجماعات والمتغيرات اللغوية من خلال هذه المصادر الوسيطية[1].

إن الإحاطة بالطوبونيميا بالأوراس في جزئه المتعلق بأسماء الأماكن بالدرجة الأولى، يرتبط بتاريخ اللغة الأمازيغية التي لا تزال محاطة بظلال وفجوات، وهذا نتيجة التقاليد الشفوية في استخدامها وطبيعة كتابتها، وكذلك علاقاتها مع محيطها الخارجي، إذ لا يمكن فصل المحيط والعلاقات التي كانت تربط هذه المجتمعات البربرية مع جيرانها خاصة المصرية القديمة واللغات والمجتمعات الحبشية واللغات السامية[2]. لذلك ومن أجل تقريب الرؤية حول هذه النقطة لا بد لنا من الوقوف على معاني المفردات ومدلولاتها والتي لها علاقة باللغة المستخدمة وأسماء المناطق المرتبطة بمختلف المتغيرات اللغوية عند البربر.

فاللغة والأسماء القديمة يعتبران من أهم الدلالات التي توحي بتاريخ المكان والإقليم، والآثار المتبقية لهذه اللغة المفقودة نجدها في أسماء المدن، والمواقع، والأنهار، والجبال، وغيرها[3]. ولذلك فإن معظم الأسماء الجغرافية صيغت عن طريق وصف جوانب محددة للمواقع المحلية أو المعالم، وتوفرت بالتالي معلومات عن الظروف الطبيعية والثقافية التي كانت موجودة عند صوغها. وهي تشكل عنصرا مكملا ومهما لتاريخ الأماكن التي استقر فيها الانسان. وإن كان يستحيل في حالات كثيرة الجزم بالعمر الدقيق لمعظم الأسماء[4]، يحدث هذا في الجغرافيات التي يمكن أن أن تتزاحم فيها أكثر من لغة واحدة، ولأن اللغات الموجودة في منطقة ما فهي لا تتشابك دائما بصورة مطلقة: فقد نجد توزيعا جغرافيا نسبيا: كما في حالة لغتين، تستخدم إحداهما في المدن والأخرى في الريف، لكن مثل هذا التوزيع لا يكون واضحا دائما[5].

---

[1] Lionel Galand, « état linguistique de l'Aurès antique ». *Aoures* 1. Paris. 2003. p.33.

[2] René Basset, « Notice sur les dialectes berbères des harakta et du djérid tunisien ». p. 2 3.

[3] Henri Tauxier, « sur la détermination et le sens de plusieurs mots de l'ancienne longue Numidie » *recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume*, Paris. (1866), p. 98.

[4] بوتولف هيليلاند. القيم الاجتماعية والثقافية للاسماء الجغرافية. ص 116.

[5] فرديناند دي سوسور. علم اللغة العام. ص 217.

1- المشترك اللغوي غداة الفتح :

يصعب على الدارس تحديد تاريخ معين لبداية الحديث عن الطوبونيميا ببلاد المغرب بعد القرن السادس الميلادي. إذ أن القضية تحيلنا إلى واقع التمازج الذي حدث بين مختلف اللهجات واللغات؛ لغة الأسياد الجدد والممثلة بجهازها الإداري والدعوي، ولغة الجماعات البربرية، وهذا سيؤدي مع الوقت إلى تشكل "مشترك لغوي". ولكن الإشكالية تبقى في تحديد الفترة الزمنية لبداية المشترك اللغوي[1]، ولا حتى أن نقدم تاريخا وصفيا لتطوره بشكل واضح. بناء على استمرار تدفق العرب على المدن الجديدة في الأقاليم وانتشارهم فيها من ناحية، وبناء على ازدياد التواصل بينهم وبين غير العرب في تلك المدن من ناحية أخرى، فكانت الحاجة إلى تعلم العربية كلغة ثانية وبناء المشترك اللغوي كانا عمليتين حدثتا في وقت واحد تقريبا. فلا شك أن هاتين العمليتين استغرقتا وقتا طويلا قد تخطى بكل حال من الأحوال الأعوام الخمسين الأولى بعد الفتح التي شهدت تأسيس المجتمع العربي الجديد[2].

يضيف فرجسون[3] أن المشترك اللغوي في القرنين الأول والثاني قد تعايش مع اللهجات العربية البدوية والعربية الفصحى في تركيبة اجتماعية لغوية ووظيفية معقدة، من المفترض أن يكون التعريب بحسب تلك النظرية قد تم من خلال هذا المشترك، وأن أي اختلاف بين اللهجات العربية الحديثة لا بد أن تكون قد نتجت عن تطورات أحادية منفردة قامت بها كل لهجة بحسب مسارها، أو بسبب عمليات اقتراض لغوية قد تكون حدثت بعد مرحلة التوزيع المبكرة أو النشر المشترك اللغوي في القرون الأولى من الفتح.

كما لا يخفى مدى مساهمة الموروث البيزنطي بما توفره من معلومات مختلفة والتي ستغني حتما المعارف الوسيطية ويساهم في قراءة الكثير من الأسماء المحلية بالأوراس والتي لا يمكن معرفتها وقراءتها قراءة صحيحة إلا بالعودة إلى أصولها القديمة بدل قراءتها من النصوص العربية، وهذا يمكننا من معرفة معطيات جديدة حول الجغرافيا التاريخية القديمة لأوراس العصر الوسيط[4].

---

[1] تعتبر عملية التركيب اللغوي من أقدم الوسائل التي استعملها الأمازيغ في مجال إغناء رصيده المعجمي. أنها طريقة ترتكز على ادماج كلمتين معروفتين لتركيب كلمة جديدة. صدقي ازايكو. التأويل النسبي الجينيالوجي لتاريخ شمال افريقيا. ص 25.

[2] محمد الشرقاوي. التعريب في القرن الأول الهجري. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2007. ص 185 186.

[3] Charles a. Ferguson. « The Arabic koine ». *Language*. vol. 35, no. 4 (oct. - dec., 1959). Linguistic Society of America.

[4] Mohamed Benabbès. *op. cit,*. p. 119- 120, 128.

مهما يكن فإن ظروف الفتح تكون قد أنتجت بيئة تشكلت فيها ثنائية اللغة نتيجة الاستخدام الواسع للخطاب الديني في المجتمع؛ فبعد انتشار اللغة العربية في المنطقة المغاربية والتي تبدو عكس القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي، أصبح يتم استخدام المفردات الدينية مباشرة دون أن تخضع لتشوهات أو تحريفات أو تترجم إلى اللهجات المحلية؛ مثل العدالة التي أصبح يعبر عنها "الحق"، والظلم "الباطل"، وهذا الخطاب شمل جميع المجالات والمستويات بما فيه الدعاة والنخب السياسية، ويتجلى في اللغة الخاصة بالدعوة التومرتية اتجاه أتباعه، وهو ما نجده في كتاب البيذق حول أخبار ابن تومرت، كما نجدها في مؤلف الصوفي التادلي لأبي يعزى، هذه المؤلفات التي تشمل الفترة الموحدية والمرينية بما فيها مؤلف ابن خلدون، فنجد في هذه المدونة التاريخية المغربية الخاصة بهذه الفترة سعي من أجل تقديم أسماء محلية بالبربر بصورة يمكن نطقها ومعرفتها، وبالتالي إعطاء المزيد من المعلومات حول المجتمعات البربرية[1].

ولعل السبب في ذلك يكمن في علاقة اللغة البربرية بالقبائل والمجالات الجغرافية في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، فإذا كانت النصوص العربية قدمت قدرا كبيرا من المعلومات عن البربر، يجب أن نشير مرة أخرى إلى وجود علاقة وثيقة بين الأسماء القبلية، والمتغيرات اللغوية والمساحات الجغرافية. ومع ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن النصوص المتداولة هي إنتاج للنخب الفكرية العربية، لذلك فإننا نتساءل عن المسافة الموجودة بين هذه النخب وطبقة العامة المشكلة من أغلبية بربرية، ومدى معرفة هذه النخب بطبيعتهم، وفهم لغة هذه الجماعات في حد ذاتها[2]، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من تقارب الكثير من الأفعال والأسماء والأشياء. بين مختلف المناطق والمجالات البربرية، وهو ما وقف عليه روني باسي (René Basset) عند مقارنته بين اللهجات في منطقة الحراكتة بالأوراس ولهجات منطقة الجريد التونسية، بحيث تكون الاختلافات بينها بسيطة جدا في أسماء الإشارة والضمائر وغيرها[3].

بالإضافة إلى العوامل التاريخية الناتجة عن ارتباط مجال الأوراس بحضارات مختلفة، ومنجزات كثيرة، ثم وقوعه تحت سيطرة قوى جديدة تختلف كل واحدة عن السابقة لها. لذلك تبقى مشكلة التعريب، لذلك تبقى مشكلة تعريب الأسماء، والأعلام، والمجالات، والحاوضر، من اللاتينية إلى العربية، عملية غاية في التعقيد، وقائمة دوما. إذ أنه من الصعوبة المحافظة على النطق الأصلي للكلمة عند نقلها للعربية، وفي هذا الشأن فإنه من النادر

[1] Mehdi Ghouirgate. *op. cit.* p. 600- 602.

[2] Lionel Galand, *op. cit.* p. 35.

[3] René Basset, *op. cit.* p. 2 3.

جدا العثور على متخصصين يتقيدون بقواعد ضبط المفردات عند الكتاب القدامى، باستثناء القليل جدا[1]، كما أن العملية تحتاج تخصصا لغويا أكثر دقة لذلك لا يمكن حصر الأمثلة في نماذج لأسماء معينة.

هنا تكون عملية الإلمام بالتاريخ القديم واللغات المحلية أمرا ضروريا لفهم أصل الأسماء، وبالنسبة لبلاد المغرب يقتضي الأمر "ضرورة امتلاك اللغة الليبية القديمة والإغريقية أو اللاتينية لفك رموز بعض الأسماء إلى لغة أخرى. فضلا عن ضرورة اعتماد اللغات المحلية بالإضافة إلى نتائج البحث في التاريخ القديم. لكونها الأداة المبينة والمساعدة لفهم أصل هذه الأسماء والتغيرات التي لحقتها عبر التاريخ"[2].

2- **البربرية في العصر الوسيط.**

غداة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب ظلت اللاتينية هي اللغة المهيمنة على معظم مجالات سكان بلاد المغرب، ولا شك أن هناك فرق بين اللغة الشعبية المزوجة بموروثات لغوية قديمة ومتنوعة واللغة اللاتينية الرسمية، وقد يكون لذلك سببا جعل العرب زمن الفتح يطلقون على السكان المحليين اسم "البربر" عند وصولهم إلى إفريقية[3]، فقد كانت كل الكتابات والمؤلفات التي عثر عليها المسلمون الفاتحون مكتوبة بالحروف اللاتينية، وحتى الكتابات التي خطت على الأضرحة والمباني القديمة كانت بذات اللغة[4]. فأسس المؤرخون العرب موقفهم ذلك نتيجة عدم عثورهم على كتابة أخرى غير الكتابة اللاتينية[5]، وإذا كنا لا نملك نصوصا معاصرة لفترة دخول العرب الفاتحين لبلاد المغرب، فإننا لا نعلم أيضا اللغة التي كانت تتم بها الخطابات والتواصل بين الفريقين (الفاتحين والبربر)، ومن جهة ثانية تسمح لنا النصوص التاريخية بتسجيل بعض الملاحظات المتعلقة بالأسماء التي يلاحظ أن بعضها حورت عن أصلها بحكم أمرين اثنين:

إما لتغليب النطق الشفوي الذي قد يؤدي إلى الترخيم أو الاختزال أو الإدغام أو حتى الاقلاب لحروف الأسماء، وإما لفقدانها لخصائص التسمية التي كانت قد ارتبطت بقبيلة أو حرفة أو نبات أو مناخ أو موضع هو مصدر تسميتها[6]، وفي هذه المراحل قد تتشتت الوحدة اللغوية عندما تتأثر لغة طبيعية بلغة أدبية.

---

[1] ابن كمال باشا. رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية. تحقيق محمد سواعي. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية. دمشق. 1991. مقدمة المحقق. ص 12- 15.

[2] محمد البركة وآخرون. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي. ص 18- 19.

[3] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. p. 260.

[4] ليون الافريقي. وصف إفريقيا. ج1. 70.

[5] عادل النفاتي. المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب. حفريات في أدب الرحلة. القرن 16. في الهوية والتدين والثقافة. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. 2015. ص 34.

[6] محمد البركة وآخرون. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي. ص 17.

وهذا يحدث دائما كلما سعت أمة لبلوغ مرحلة من المدنية. ويقصد باللغة الأدبية لغة الأدب فضلا عن لغة الثقافة على نحو عام، واللغة الرسمية التي تخدم المجتمع بأكمله[1].

تبقى مشكلة المصادر المعاصرة لهذه الفترة تطرح إشكالا عميقا رغم أننا نملك مصدرا ولكنه متأخر كثيرا يخص الكتابة الأمازيغية، ويتعلق الأمر بما أثاره ليون الافريقي حول المسألة المتعلقة بالعرب الفاتحين عند دخولهم بلاد المغرب أنهم "لم يجدوا فيها غير الكتابة اللاتينية"[2]، وهو ما يطرح فرضيتين: الفرضية الأولى تنفي امتلاك الأفارقة كتابة خاصة بهم والفرضية الثانية تعارض الفرضية الأولى وتشدد على امتلاك الأفارقة لكتابتهم الخاصة، لم تستوعبها المصادر المبكرة لذلك لجأت إلى إلغائها والقول بعدمها.

بالنسبة للفرضية الأولى وهي فرضية تبناها المؤرخون العرب على حد تعبير ليون الافريقي الذين كانوا يعتقدون اعتقادا جازما أنهم لم تكن للأفارقة كتابة أخرى غير المرسومة بالحروف اللاتينية[3].

أما الفرضية الثانية التي تتبنى فكرة وجود كتابة خاصة بالأفارقة فهي فرضية تبناها ابن الرقيق وذكرها ليون الافريقي في قوله إن "الذي انتهى إلى القول بأنه كانت لهم كتابة، وأن من أنكر ذلك يمكنه أن ينكر أيضا وجود لغة خاصة بهم، وأضاف أنه من المستحيل على شعب ذي لغة خاصة أن يستعمل في كتابته حروفا أجنبية"[4]. ويجدر التنويه بأن مارمول كربخال بدوره تبنى الفرضية الثانية لليون الإفريقي. ولعل المعطيات التاريخية تؤكد هذا الطرح الأخير؛ إذ كان البربر مجاورون لأقوام وحضارات تقدم عليهم تفوقهم، بدءا بلغة الحضارة الإغريقية واللغة الفينيقة، أما في الفترة الرومانية فقد زادت اللغة المحلية انعزالا أكثر. وظلت كل هذه اللغات خاصة بالنخب الحاكمة والعالمة فيما ابتعد السكان المحليين وانتشروا أكثر في الأطلس الصحراوي ومجالات الصحراء الواسعة، مع احتفاظ كل جماعة بلهجاتها الخاصة بها[5].

[1] فرديناند دي سوسور. علم اللغة العام. ص 217.

[2] ليون الافريقي. وصف لإفريقيا. ج1. ص 69.

[3] المصدر نفسه. ص ج1 .69.

[4] المصدر نفسه. ج 1. ص 71.

[5] محمد العربي عقون. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي. ص 202 –204.

3- البربرية عند ابن خلدون (ق8هـ/ 14م).

يبدو أن الواقع اللغوي قد تطور خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عن ذلك الذي كان حدث في القرن الأول الهجري/ الحادي الميلادي، حيث أصبحت اللغة العربية أكثر شمولية خاصة في الأرياف التي أصبحت تحت سيطرة القبائل الهلالية وبنو سليم، وسيؤدي هذا الأمر إلى تعريب قسم كبير من قبائل البربر[1].

عملت القبائل الهلالية على توسيع دائرة التعريب وسيطرتهم على السهول وتأثر البربر الرحل بذلك خاصة جماعات زناتة، حيث كانت هذه المجالات أكثر تأثيرا من غيرها في جوانب التعريب واللغة، وأول ما هددت القبائل الهلالية هي القبائل البدوية ثم الحياة الريفية، وفي الجهة المقابلة ونفس الوقت فشلت القبائل البدوية في استيعاب هذه الموجة من الهجرات خاصة على المستوى الثقافي حيث اعتمدوا على حياة الترحال بعيدا عن الحواضر الكبرى، وهو ما صعب من عمليات الاندماج[2].

ولعل مزج اللسان المحلي باللغة الوافدة جعلت ابن خلدون يؤكد أن إفريقية والمغرب خالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم، و لم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل، فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد[3]، ونتيجة لذلك فهو يقول عن لغة البربر أنها: "من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم". ويورد قصة غزو أحد ملوك التبابعة وهو أفريقش لبلاد المغرب، ولما "سمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك، وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالربر. والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة[4]. وستتأثر جميع هذه العوامل لتخلق واقعا لغويا خاصا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

لقد أصبحت اللغة في عهد ابن خلدون[5] مزيجا من لغات القبائل ذات الأصول المختلفة، والتي استقرت ببلاد المغرب بعد الفتوح الإسلامية، غير أن الأمر سيتغير بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي،

---

[1] Gabriel Camps. « Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe ». *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, 35, 1983-1. p. 15.

[2] *Ibid,* p. 18- 19.

[3] ابن خلدون. المقدمة. ج3. ص 1145.

[4] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 116 117.

[5] يعرف ابن خلدون علم البيان بقوله: "هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة. وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني. وذلك ان الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي: إما تصور مفردات تسند ويسند إليها وفضي

بعد موج ة الانتشار الواسع للقبائل الهلالية التي تسربت في مختلف المناطق، فأدى ذلك إلى انتشار التعريب على مجالات جغرافية واسعة وأصبحت المنطقة تتجه نحو تأثر بهذا المعطى الجديد على مستوى اللغة والتعريب.

ويفصل ابن خلدون واقع اللغة في عهده بعدما خالطت القبائل البربرية العرب؛ ويقول أن "ما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالكاف. فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وما ينطقونه بها أيضا من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم والأجيال ومختصا بهم لا يشاركهم فيها غيرهم. حتى إن من يريد التعرب والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها. وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف"[1].

ثالثا: العامل الديني والطوبونيميا:

كانت أهم الجوانب التي مستها اللغة هي الجوانب العقائدية للدين الإسلامي، ويظهر من خلال تفحص مختلف المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلة، والفقه والنوازل، أن اللسان البربري استمر استخدامه ببلاد المغرب بعد الفتوح الإسلامية[2]، إلا أننا لا نملك المعلومات الكافية على مدى استخدامه والمجالات التي شملها، وهذا بسبب قلة النصوص التاريخية وندرتها التي تشكل العقبة الأولى التي تصادف الباحث في هذا الباب.

لقد ارتبطت هذه المفاهيم والمفردات الروحية بنمط عيش المجتمع الجبلي ببلاد المغرب، أما عن إشكالية الدين واللسان المتصلة بعملية الأسلمة فلم تحفظ لنا كتب التاريخ كما أشرنا سابقا تبيانا لذلك عدا بعض الإشارات إلى وجود مترجمين من اللسان البربري وإليه في قصور الأمراء. أما المسارات الأولى التي رافقت عمليات الفتح من القرن الأول والتحركات الكبرى التي شهدها القرن الثاني فلا نملك من الوثائق ما يخولنا

بعضها إلى بعض، والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والفعال والحروف، وإما تمييز المسندات منم المسند إليها والأزمنة، ويدل عليها بتغيير الحركات وهو الإعراب وأبنية الكلمات. وهذه كلها هي صناعة النحو. المقدمة. تحقيق. عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر. ط7. 2014. ج3. ص 1135.

[1] المقدمة. ج3. ص 1144.

[2] عن صالح بن طريف يقول ابن حوقل: أنه "دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وصلحت مترلته في علمها إلى ان قوّم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه وكان له خط حسن وفهم بأطراف من العلم وعاد فترل بينهم وكان بربري الأصل مغربي المولد مضطلعا بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم فدعاهم إلى الإيمان به وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم". ابن حوقل. صورة الأرض. ص 82.

لإبداء رأي حاسم في القضية، والترجيح في غياب المستندات المؤكدة أو النافية لذلك أمر صعب التحقق منه[1]. وقد تكون العملية تمت وفق مفاهيم عقدية للدين الإسلامي واللسان البربري وما احتواه من مكونات تتعلق بالله والحياة وغيرها من عقائد سائدة عند البربر.

لكن ما يمكن التأكيد عليه من خلال النصوص الإباضية هو أن البربر عملوا على استخدام اللغة في المجال المقدس الذي يخص العقيدة والدين والعبادات والدعاء لله تعالى؛ إذ نجد أن الكثير من النصوص التي تشكل استثناءات تخص بعض الجماعات بالمنطقة مثل الإباضية التي تحتفظ لنا مدونتها[2] بنصوص تخص استخدام اللسان المحلي على نطاق واسع فيما بينها؛ فقد أفتى مشائخ الإباضية الوارجلانيون بأن الأمازيغي يستطيع أن يوحد الله ويذكره بالبربرية؛ وهذا من خلال سؤال إلى جماعة من شيوخ ورجلان أجاب عنه أبو عمار عبد الكافي. وكان السؤال: هل يقال لله تعالى بالبربرية ايراد؟

فكان الجواب: ما سمعنا أحدا أجازه إلا أبو سهل، ولعل هروبهم من جوازه اشتراك اللفظة في لغة البربر، فإنهم يسمون الداجن من الطير والوحش "ايرادن" ولمن أخلف الوعد "يردى" وهذا على حسب اللغات، والهروب من المشكل إلى الواضح أولى".

سؤال: ما الحكم فيمن قال أن الله ليس بييكش؟

الجواب: إن كان بربريا أو ممن يعرف اللسان البربري فهو كمن قال: "أن الله ليس بإله" ومن قال ذلك فهو مشرك، فقال بعض من حضر أراك أدرجت المسألة فقال أو تشكون في ربكم؟ فقال حينئذ عبد الله بن سجممان: سمعت شيخنا أيوب بن إسماعيل يقول: من قال أن ايكش السلحفاة فهو مشرك بالله العظيم"[3].

---

[1] المبروك المنصوري. جدل الدين الإسلامي والعمران المغربي. الدار المتوسطية. تونس. ص 117.

[2] لعدم تمكن البربر من اللغة العربية فإننا نجدهم يضطرون إلى مترجمين فقد كان أبو سهل فصيحا بلغة البربر وترجم للإمام أفلح ، وأبو سهل الفارسي نفوسي، ولا شك أن أمه رستمية من بيت الإمامة، فغلب عليه واشتهر به". الدرجيني. طبقات المشايخ. ج2. ص 351. دونت الدواوين من كلامه، وانتشر في الآفاق حسن نظامه، وقد اعجز المراثي بما أوعظ، فلها بذلك في النفوس أحسن موقع وأوفر حظ، وجميع ما حفظ من ذلك فإنما هو بلسان البربر، وأكثره بالصواب حدا...". أما كتاب سير المشايخ لأبي الربيع الوسياني عبارة عن مدونة تشمل مفردات لها رصيد سوسيو تاريخي مهم يتعلق بنمط العيش الخاص بالجماعات الإباضية في مختلف المناطق من إفريقية ومناطق الواحات بأريغ وسوف ووارجلان. فضلا عن كونها مدونة منقبية تخص سير شيوخ الإباضية ومناقبهم. وينقل لنا الكاتب نماذج كثيرة من الحوارات بين الناس بلسان هذه الجماعات البربرية حول مختلف القضايا. أبو الربيع سليمان الوسياني. سير الوسياني. تحقيق عمر بن لقمان بوعصبانة. منشورات وزارة التراث والثقافة. عمان. 2009. ج2. ص 529، 532، 534، 549، 639، 640، 641، 642، 649، 739، 740، 743، 745، 760.

[3] الدرجيني. طبقات المشايخ. ج2. ص 488- 489.

ونجد عند ابن سلام كذلك الكثير من المفردات التي تدل على استخدام اللسان المحلي في المخاطبات، إذ يقول "وبلغنا أن النبي عليه السلام قال: من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. والربقة: تاسديت بالبربرية، والربق حبل تجمع فيه الجديان وهو أسدي يز بالبربرية، والربك حبل تجمع فيه الضأن تحلب".[1]

ويستعمل "ياكش" على أنه مرادف لفظي أمازيغي للفظ "الله" منذ أواسط القرن الخامس الهجري/11م، ففي "فتوى منسوبة إلى أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي صاحب "التحف المخزونة" يقول الوسياني في سيره وروي أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي (ق6هـ/12هـ) عن أبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ت471هـ 1078) عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، أن من وحد فقال "ياكش" بالبربرية فأتم الجملة فهو موحد"[2]. فالبربر كانوا يوحدون الله بلسانهم. أما البكري فيذكر أن اسم باكش Bakouch يعني اسم الله عند البربر. وعند الاباضية فاسم الله هو "ايش" و "يكش" ومعناه بالبربرية بلا أو شيء موجود[3].

ويؤكد البكري هذا الأمر عند حديثه عن إحرام هذه الجماعات: "أن يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول: ابسمن ياكش، تفسيره بسم الله، مقر ياكش، تفسيره الكبير الله..... ويقولون في تسليمهم بالبربرية: الله فوقنا لم يغب عنه شيئ في الأرض ولا في السماء، ثم يقول مقر ياكش خمسا وعشرين مرة، إيحن ياكش مثل ذلك ومعناه: الواحد الله، وردام ياكش مثل ذلك ومعناه: لا أحد مثل الله"[4]

رابعا – الإثينونيميا وأصول السكان المحليين Ethnonymie

لقد سبقت الإشارة في بداية هذا المبحث إلى القول بحدوث قطيعة في بعض الجوانب المرتبطة بأسماء بعض القبائل والمواقع، إلا أن الغالب هو حالة الاستمرارية في المرحلة الانتقالية ما بين استخدام النصوص العربية المتقدمة، والمرحلة التي سبقت الفتوح الإسلامية في مجالات عديدة ومختلفة، من خلال بقاء أسماء الحواضر والمدن في التداول سواء بصفتها القديمة أو حدوث بعض التحريفات فيها.

إن بقاء واستمرارية الكثير من أسماء المواقع والحواضر في مختلف المناطق استمر إلى أواخر العصور الوسطى، بل أن الكثير منها استمر حتى العصر الحديث مع بعض التغيرات التي حدثت في بعض الفترات التي

---

[1] ابن سلام. كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق فيرنر شفارتس والشيخ سالم يعقوب. دار النشر فرانز شتاينر فيسبايدن. 1986. ص 79.

[2] الوسياني أبي الربيع . سير مشائخ المغرب . تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985 . ص 448.

[3] Motylinski. « Le nom de Dieu chez les ibadites ». *Revue africaine* . 49. (1905). p. 141, 143, 148.

[4] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 322- 323.

طبعت بخصائص محلية نتيجة خضوع هذه المجالات لضغوطات قبلية خاصة بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أو تحولات ناتجة عن تكاثر ونمو الحركة الصوفية أواخر العصر الوسيط. ففي العهد الحفصي نجد الكثير من أسماء المواقع قد أخذت أسماءها من بعض القبائل التي أخضعها الأعراب وسيطروا عليها فاستقرت في تلك المجالات وأخذت أسماءها بعد ذلك، كما أن بعض المواقع التي يبدأ اسمها بعبارة "سيدي" قد بدأت تتكاثر في آخر العصر الوسيط، كنتيجة طبيعية لنمو الحركة الصوفية[1].

بالنسبة للمصادر الجغرافية العربية المبكرة فإن هذه المدونة لم تكن لتهتم بضبط اسم العلم الجغرافي إن لم تكن معدومة، فقد اهتم هؤلاء الجغرافيون بتحديد المسافات بين مدينة وأخرى ولكنهم لم يهتموا بوضع التشكيل للعلم الجغرافي الأمر الذي لاحظه دوسلان (De Slane) عندما كان يترجم مسالك البكري، حيث وجدناه يفترض رقم كبير جدا من الأسماء لقراءة كلمة تتألف من أربعة أحرف (يعرف بدون تنقيط) تحتاج كلها للتنقيط! ولا يدري عدد النقط، وهل هي من تحت أم من فوق، ولا يدري كذلك عن نوع الشكلة التي تصحب الحرف[2]، لذلك وردت بعض الأسماء غير صحيحة ومحرفة.

أما فيما يخص الأسماء المعربة فتظهر مشكلة مخطوطات وكتابات الكتاب العرب في العصور الوسطى التي قد تفتقر للتشكيل وهو ما يؤدي في الغالب إلى قراءات مختلفة لمفردات المواقع والمفردات الغير مألوفة[3]، لذلك فإنه من الواجب تقريب الهوة في عدد من الأسماء الإثنية التي تقدمها المصادر اليونانية واللاتينية الواردة في المصادر العربية. ومعروف أن التعامل مع دقة الأسماء من خلال المصادر القديمة والقرون الوسطى يتطلب أيضا مهارات لازمة في مجالات الكتابة القديمة وعلم الأثار على وجه الخصوص، إضافة إلى معرفة اللغات والثقافات القديمة.

غير أن المشكلة الأكثر تعقيدا في هذا الخصوص المتعلق بطوبونيميا الجماعات والسكان تتمثل في ندرة البحث على التحول الصوتي من اللاتينية إلى العربية وفقر المصادر المحلية المغربية، خاصة الفترة المتعلقة بأوائل القرن السابع وما تبعها من تحولات في طريقة تعريب الأسماء البربرية، وهو معطى يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار لمعرفة جوهر تطور الأسماء أو أخطاء النسخ والنساخ، وهو ما حاول "ايف موديران" تطبيقه في حالة قبيلة هوارة[4]. فأسماء القبائل تميزت بالمرونة أيضا بظهور اتحادات قبلية أو عشائر فرعية لم تكن معروفة سابقا وفي

---

[1] روبار برونشفيك. تاريخ افريقية العهد الحفصي. ج1. ص 366.

[2] عبد الهادي التازي. الفكر الجغرافي عند المغاربة. ضمن الاسم الجغرافي تراث وتواصل. أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية 15 16 17 أفريل. 1992. المعهد الجامعي للبحث العلمي. المحمدية. المغرب. 1994. ص 28– 29.

[3] Mohamed Benabbès. *op. cit.* p. 120.

[4] *ibid.* p. 125.

مجالات مختلفة ليست هي المجالات الأصلية للقبيلة الأم. وهذا ما ينطبق على طوبونيم هوارة ببلاد إفريقية والمغرب على سبيل المثال، التي توزعت على مجال واسع شمال إفريقيا مباشرة بعد الفتح الإسلامي. وهذا ما يعطينا دلالة على العلاقة بين التسميات القبلية القديمة وعلاقتها بالهياكل الاجتماعية والسياسية الوسيطية ببلاد المغرب في الأول والثاني الهجري/ القرنين السادس والسابع الميلاديين[1].

كما يجب ربط تطور الاستيطان بالأوراس بمسألة تطور أسماء الجماعات والقبائل وهذا بالرجوع إلى الفترة القديمة التي سبقت العصر الوسيط[2]، ولذلك فالعملية متشعبة ومعقدة لارتباطها بأكثر من علوم وتفاسير ولغات مختلفة هي تلك التي كانت متداولة في فترة ما بمنطقة الأوراس ولا يمكن بأية حال تجاوزها من أجل قراءة سليمة وموضوعية للتاريخ الطوبونيمي للجماعات بالمنطقة.

فالفرق بين التسميات القديمة أو الوسيطية ستؤدي ولا شك إلى حدوث اختلالات في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة، إذ أن مقارنة الأسماء الإثنية في النصوص اليونانية واللاتينية مع الأسماء المستعارة من النصوص العربية توقفنا على صعوبة معرفة الإثنونيميا البربرية كما أن ارتباط قبائل البربر بمجالات واسعة بما فيها الصحراوية، تتطلب عدم تجاوز هذا المجال بكل ما يحمله من مضامين حضارية ولغوية والتي لا تزال موجودة بصفة محدودة جدا، وتطرح هذه المسألة فجوة ينبغي أخذها بعين الاعتبار لمعرفة العلاقة بين العنصر الليبي القديم والبربري، وبالتالي معرفة لغات التخاطب التي كان يستخدمها البربر قديما، فهل أن الذين كانوا يستخدمون اللغات الليبية القديمة كانوا هم أسلاف البربر يتساءل أحد الباحثين؟[3]. يطرح هذا التساؤل في ظل وجود هجرات مختلفة تكاد تكون غير منقطعة وغزوات وتحركات للسكان غيرت الكثير من المعالم الإثنية للمنطقة. فإلى أي مدى سيكون تأثير هذه الهجرات في تغيير الأسماء في الأوراس، بل في شمال إفريقيا في حد ذاتها، لأن المسألة لا يمكن حصرها في مجال ضيق، بل تتعداه إلى المجالات الأخرى المجاورة، خاصة قبل القرن السابع الميلادي والواردة في نصوص المؤلفين اليونانيين واللاتين الذين كانت تبدو لهم الأسماء المحلية بربرية تماما أو أنها غير مفهومة.

---

[1] Yves Modéran. «*Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 258- 262.

[2] يظهر هذا العمل في دراسة ايف موديران حول قبائل المور، المؤرخ فحص بدقة استخدام المصطلح في مصادر أثرية متأخرة. وكان هدفه تحديد دور السكان المور، ثم البربر، في تطور أفريقيا الرومانية في الثلاثة القرون التي سبقت الفتح الإسلامي، وبحث في استخدام مفردة "البربر" لتحليل الفترة ما قبل الإسلامية.

Ramzi Rouighi. The Berbères of the Arabs. *Studia Islamica,* nouvelle édition/new séries, 1, (2011). p. 69.

[3] Mohamed Meouak. « Remarques sur la genèse du peuplement antique et medieval du Maghreb ». p. 71.

مرحلة الفتح الإسلامي والقرون الثلاثة التالية له ستكون بداية التحول التي تمس الأسماء الإثنية بظهور قائمة قبائل جديدة تقدمها النصوص الجغرافية ومصنفات الأنساب، وهو ما يشير إلى بداية مرحلة إعادة تشكيل المجتمع البربري في هذه الفترة التي يمكن اعتبارها تأسيسية لمرحلة ما بعد الفتح الإسلامي، وستؤدي إلى تغيير الوضع الجغرافي والسياسي والاجتماعي للكثير من القبائل خاصة تلك التي انخرطت في الحروب والصراعات على السلطة ببلاد المغرب، أو النزاعات الناجمة عن الصراعات المذهبية[1].

أما بالنسبة لأسماء القبائل والتحولات التي مستها فإننا نجد الكثير من القبائل البربرية القديمة كانت تعرف في العصور القديمة باسم المازيس (Mazices)، وقد نقل الأجانب هذا الاسم في صور شتى؛ فجعله المصريون مشوش، وجعله الإغريق مازييس (Mazyes)، أو ماكسيس (Maxyes)، وجعله اللاتين مازيس (Mazices)[2] وماديس (Madie).

وفيما يخص الجانب الإثني لمجتمع الأوراس قبل الفتح الإسلامي فإنه يختلف تماما على ما تصوره المدونة التاريخية والجغرافية العربية؛ فالمصادر الإغريقية واللاتينية تعطينا قائمة بأسماء القبائل مثل: مور (Maures) وجيتول (Gétules) ، والنوميديون (Numides) والليبيون (Libyens) ، وهي تسميات أخذت طريقها إلى الاختفاء، إن لم تكن قد اختفت تماما نتيجة لعوامل عديدة لعل أقلها أن النخبة المحلية الإفريقية والرومانية لم تترك أي أثر كتابي بأي لغة لهذه الفترة.

لقد فرضت هذه الإشكالية نفسها على المؤرخين الأوائل، وظلت دون تغيير، ونجد أنه إلى غاية القرن السادس كان "المور" هم السكان الأقدم في المنطقة. رغم أن مصطلح "البربر" الذي يمثل "المور" في المصادر العربية الوسيطية المبكرة لم تكن محل اهتمامهم، حيث كانوا يتعاملون مع مجتمع مجهول لديهم وغير محدد جغرافيا[3].

إن دراسة متفحصة للمدونة العربية المكتوبة عن البربر تسمح بالوقوف على ملاحظة هامة تتمثل في محاولة التطابق بين التقسيمات العربية والتقسيمات المحلية للبربر؛ حيث لجأ المؤرخون والجغرافيون وغيرهم

---

[1] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine* . p. 258, 260.

[2] يرى كامبس أن طوبونيم المازيس واسع الانتشار ببلاد المغرب، وبالإضافة إلى كونه اسم إثني فهو أيضا إسم مجال. وجذر الإسم (م ز غ MZG) أو (م ز ك MZK). وتحتفظ جماعات بالأوراس بهذا الإسم الذي يرد عند هيرودوت باسم الماكسي (Maxyes)، كما يعني أيض سكان المناطق الجبلية. غابريال كامبس. في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ. ترجمة العربي عقون. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. ط2. 2012. ص 54 –56. هامش 81. ص 57.

[3] Ramzi Rouighi. *op. cit,*. p. 6, 67, 69, 70.

العرب إلى استخدام نفس المدلولات والألفاظ المتعلقة بالمجموعات التي ينتظم فيها المغاربة دون تغيير أو إشارة لبعض الفروق بين المجموعتين. فاستخدمت مفردات (البطن، الفخذ، القبيلة...)[1] ولم تصلنا المصطلحات البربرية المرادفة لها، وإن كانت ما تزال بعضها معروفة اليوم، كما أن استعمال هذه الألفاظ في مختلف المصادر، قد يدفعنا إلى الاعتقاد بأنها تعني المدلول نفسه السوسيولوجي الذي كانت تعنيه في شبه الجزيرة العربية، في الجاهلية وفي صدر الإسلام[2]، وهذا مخالف لواقع المجتمع البربري في العصر الوسيط.

لا شك أن دراسة تاريخ مجتمع المغرب القديم تسمح لنا بالوقوف على حالة عدم تطابقه الحتمي مع مجتمع المشرق، كما لم تكن لتخضع لنفس الشروط التاريخية ولا البيئية الجغرافية، فقد عالج عدد من الدارسين أصل تسمية البربر، وهم يتفقون على أنها تسمية أجنبية، أي أنها أطلقت من الآخرين على سكان شمال بلاد المغرب الأصليين. ويرى مرسيي (Marcais) أنها أطلقت على لغتهم ثم امتدت إلى الجنس أو العرق، وأطلقت أخيرا على جزء من بلادهم[3].

مقابل ذلك بدأت مصطلحات جديدة في الظهور مثل: بتر، برانس. هذا التصنيف الثنائي لم يكن موجودا قبل دخول العرب. فهو يكاد يكون عربيا لفظا ومعنى. والظاهر أن العرب هم الذين أنشأوه. على غرار النموذج المعروف لديهم وهو مرادف لتقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية. أو العرب العاربة والمستعربة، فحاولوا عموما وبطريقتهم تطبيق نظامهم الاجتماعي على سكان المغرب[4].

أما بعد الفتح الإسلامي فيختفي طوبونيم "المور" ولا نجد استمرارية لهذا الاسم "المور" المستخدم في عهد البيزنطيين، وحل محله مصطلح "البربر" الذي سيكون وريث مباشرة للمفردة اللاتينية البربرية.

وفي المحصلة فإنه من الخطأ إلحاق تقسيمات قبائل البربر بنفس تقسيمات القبائل العربية، ونخضعها للشروط نفسها السوسيولوجية. لأننا نجد أن كلمة أمازيغ لم تكن عامة بين سكان البربر، كما لم تكن دقيقة سواء من حيث النطق أو المعنى.

وفي هذا الإطار نجد أن ابن خلدون يقدم لنا أحسن النماذج عن مصداقية الكتابة في هذا الصنف من أصناف الكتابات، حيث كان شاهد عيان على الكثير من المتغيرات التي انتبه إليها ودونها من خلال ملاحظاته

[1] فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. ص 23، 24، 29، 30، 34، 55.

[2] الحسين أسكان. الدولة والمجتمع في العصر الموحدي. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط. ص 249.

[3] محمد ضيف الله. الهوية البربرية من خلال المجلة الافريقية في المجال والهوية ببلاد المغرب- جامعة صفاقص. ندوة دولية. ص 182.

[4] رحمة تويراس. تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط. ص 155.

ومعاينته لها. حيث خالط قبائل البدو طويلا، وسكن بين ظهرانيهم وارتحل صحبتهم ونوه ببدائية حضارتهم، واتخذ منهم مخبرا لنظرياته، وذلك على غرار العالم الأنثروبولوجي، وهو ما يفسر انفراده بذكر مادة تاريخية نادرة، وبالتوصل إلى بناء رؤية مكتملة حول العمران[1].

وذكر ابن خلدون في القرن الرابع عشر ميلادي أن فرعا من البربر هم البرانس، ينحدر من مازيغ "Mazigh" وليس من الغريب في شيء أن يكون بعض سكان بلاد المغرب في العصور القديمة قد أرجعوا سلاسل أنسابهم إلى أسلاف ينتمون بمازيغ أو ماديغ؛ ذلك بأنهم قد كانوا يتخذون لأنفسهم هذا الاسم من قديم الزمان[2]. ويتساءل غابرييل كامب عن جميع محاولات تفسير انتشار البربر التي تستند تقليديا إلى الاجتياحات، والهجرات، والغزوات، وأشكال الهيمنة التي وقعت على البربر. وماذا لو كان البربر لم يأتوا من أي مكان[3].

إن الاطلاع على مضامين هذه المصادر الخاصة بالأنساب البربرية، مثل ابن حزم وابن خلدون[4] وعند تفحص قائمة القبائل الواردة عند كل منهما، نجد أنه "مع التقدم في التعريب تتقلص بوضوح أسماء القبائل باللسان الأصلي مثل: سدويكش، ورتناج، ويطوفت...، وهي عمليات صادرة عن دوافع سياسية وكذلك اجتماعية جعلت هؤلاء السكان يلجؤون في بعض الأحيان وخاصة عند اشتداد الحملات التحقيرية لا إلى تعريب اللسان البربري فحسب وإنما أيضا إلى تعريب النسب"[5].

فالعرب كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءا من الكلام بعد التعريب، كذلك تستعملها وتجعلها جزءا منه من قبله[6]. وبعد عملية التعريب لم تكن الكلمات الأعجمية خالية من التغير في نوع التصرف من تبديل حرف أو تغيير حركة أو لا تكون مغيرة أصلا. لكنها تكون ملحقة بأبنية كلام العرب أو لا تكون

---

[1] محمد حسن. ابن خلدون مؤرخا للقبيلة العربية- المضمر في شأن العرب في كتاب العبر. ضمن ابن خلدون ومنابع الحداثة. ندوة علمية بمناسبة المائوية السادسة لوفاة ابن خلدون. مارس 2006. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. قرطاج. 2008. ص 55.

[2] غابرييل كامب. البربر، ذاكرة وهوية. ترجمة عبد الرحيم حزل. إفريقيا الشرق. المغرب. 2014. ص 58.

[3] المرجع نفسه. ص71.

[4] لا يخفى أن مسألة انتشار اللغة العربية قد شملت حتى الأنساب البربرية التي عربت الكثير منها، حيث كانت أحد أهم المداخل الرئيسة في عملية الاندماج، والتي شكلت "مدخل جوهري للتعرف على حيثيات التعريب. لما كان لمفعول هذا الانتماء من ثقل حاسم، وإن كان غير مباشر في تبني اللغة العربية كلغة للثقافة وأداة للتواصل اليومي". علي أومليل. الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون. دار التنوير. بيروت. ط3. 1985. رحمة تويراس. تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العهد الموحدي. مؤسسة الإدريسي للأبحاث والدراسات. الدار البيضاء. المغرب. 2015. ص 134.

[5] حياة عمامو. أسلمة بلاد المغرب. ص19

[6] ابن كمال باشا. رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية. ص46.

ملحقة بها"[1]. ولا يمكن استثناء بعض الأطراف والمناطق الداخلية التي شملتها هذه العملية ففي أعالي جبل شليا بالأوراس نجد قبيلة باسم "أوجانة" وهو اسم بربري اقتبسه العرب من أولاد زانا أو زناتة. الدلائل والمؤشرات تدل على ان بلد ديانا أو زناتة انتشر أصلا في إقليم نوميديا والمناطق المجاورة في الحدود مع الحضنة وموريطانيا السطيفية. هذه الموقعية التي تؤكدها المصادر القديمة وتثبتها المصادر الوسيطية عبر مجموعة أسماء القبائل بالمنطقة[2].

يبدو أن المعرفة العربية حول البربر أعيد بناء تشكيلها وفق طريقة بعدية ووفق طريقة تفكيرهم ومفاهيمهم حول البربر. وهو ما يطرح إشكالا حول جوهر التحول من الداخل في ظل انعدام كتابات محلية أو معاصرة للحدث. وهل كان العرب على معرفة بأسماء القبائل والأعراق والجغرافيا والمجالات والمدن التي نجدها في مصنفاتهم وبأسماء مختلفة في الكثير منها.

وينفي مرسيي مع فلاتزر وتوكسيي تماما أن يكون الرومان أو اليونانيون هم الذين أطلقوها عليهم[3]. ويرون أن تسمية البربر من صنع العرب. إما اشتقاقا من اللغة العربية كما ذهب إلى ذلك فلاتزر. أو اشتقاقا من لفظة البربار (Barbare) التي كان يستعملها المستعمرون اليونان والرومان لوصف جيرانهم غير المتحضرين. أو لوصف أولئك الذين لم يكونوا يتكلمون اليونانية أو اللاتينية، أو أنها كانت تطلق على مجموعات الرحل الذين كانوا يهاجمون الحدود الرومانية، ويدخل في اطارهم بربار الغرب (البربر) وبربار الشرق (العرب) وقد وجد المسلمون الأوائل هذه العبارة بهذا المعنى فأطلقوها اسم علم على البربر[4].

ومن هنا نقف على الأصل اليوناني اللاتيني للفظة البربر، التي ولا شك تحمل شحنة سلبية لوصف سكان شمال إفريقيا الذين كانوا يسمونهم "نوميديين" أو "لوبيين"[5]. وفي القرن العاشر لا نزال نجد علاقة بين أسماء المجالات القديمة وكيف تم تكييفها وفق مسميات جديدة عربية، إذ يحدد ليون الافريقي معالم "نوميديا" في "القسم الثاني يسميه اللاتينيون "نوميديا"، ويدعوه العرب بلاد الجريد. حيث ينبت النخيل يبتدأ شرقا بالواحات، وهي على بعد نحو مائة ميل من بلاد مصر، ويمتد غربا إلى نون على ساحل المحيط، ويصل شمالا إلى

[1] ابن كمال باشا. رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية. ص 46 47.

[2] Ahmed M'charek. Continuité de l'ethnonyme, continuité du peuplement au Maghreb. p. 466.

[3] محمد ضيف الله. المرجع السابق. ص 182.

[4] Paul. Flatters, l'Afrique septentrional ancienne. *Revue Africaine*. 123. (1877) . p. 157 - 159.

[5] *Revue Africaine*., 6e année. 36. (1862).

سفح الاطلس الجنوبي، ثم يتاخم رمال الصحراء جنوبا. ويطلق العرب نفس الاسم على جميع هذه البلاد المنتجة للتمر، لأن موقعها واحد"[1].

أما إميل ماسكوري (Emile Masqueray) فيرى أن كلمة مازيغ كانت تنطبق على التوارق أمزيغ (Amzigh) بمعنى المشهور (Illustere) والشريف (Noble)[2]. وهو بذلك اقتبس ما ذهب إليه قبله كتاب آخرون من بينهم فنتور دي بارادي (Venture de Paradis) الذي يذكر أن البربر يحبون أن يسموا أنفسهم أمازيغ أي الحر الشريف.

فيما بحث توسكيي في الجذر التاريخي للكلمة، فوصل إلى أن كلمة مازيغ وردت في المصادر القديمة "مازيك Maziques" وأنها اسم قبيلة[3]. ويقول في موضع آخر أن سكان البلاد كانوا منذ بداية التاريخ عرضة لمحاولات الالحاق من قبل القرطاجيين والرومان. وأن الذين لم يخضعوا منهم للتبعية أطلقوا على أنفسهم لقب "زاغ- Zegh" بما يعني في لغتهم الأحرار والمستقلين. وان هذه العبارة استعملها بهذا المعنى بعض الكتاب الرومان[4] الذين أشاروا إلى وجود عدد كبير من القبائل الحرة[5].

كما يذهب فلاتزر[6] إلى أنه ثمة من يرى أن كلمة أمازيغ هي اسم قبيلة أو مجموعة من القبائل ويؤكد من جانب آخر أن هذه التسمية مازالت موجودة لدى التوارق الذين يطلقون على أنفسهم حسب التجمعات العديد من الأسماء: "Imazighen- Imajighen- Imouchagh" بمعنى حر، مستقل، بدون سيد. ويضيف فلاتزر أن القبائليين لا يعرفون هذه العبارة بهذا المعنى.

وبعيدا عن القراءات الانتقائية للمصادر، فإن تفحص النصوص التاريخية مكنت من بناء عالم مغاربي في القرن السابع أكثر ثراء وأكثر تعقيدا مما يبدو للوهلة الأولى، وفق كتابات القدامى، فقد كان البربر عند وصول العرب الفاتحين مرتبطين بروحهم الإستقلالية، وبنظمهم القبلية فيما كانت جماعات أخرى أكثر ارتباطا بالبيزنطيين حفاظا على مكانتها ومصالحها. وفي هذا الصدد يفرق ايف موديران بين فريقين من البربر:

---

[1] ليون الافريقي . وصف إفريقيا. ج 2 . ص 28 29.

[2] Emile Masqueray. La mission dans le sud de la province de Constantine. *Revue Africaine*. 122 (1877). p. 97.

[3] Henri Tauxier, Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme. *Revue Africaine*. 7e annee n 37,38 (1863). p. 31.

[4] Henri Tauxier. Note sur les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranès, Botr, Mazigh et Frank. *Revue Africaine*. 32e année. 138. (1879). p. 473.

[5] محمد ضيف الله. "الهوية البربرية من خلال المجلة الافريقية. ص 184.

[6] Paul. Flatters, l'Afrique septentrional ancienne. *Revue Africaine*. 123. (1877), p.153.

فيرى أن "بربر الداخل" كانوا عند وصول العرب ربما أكثر ارتباطا بالبيزنطيين، أما ما يسميه بمجموعات "بربر الخارج" فكانوا أكثر استقلالية وارتباطا بهويتهم البربرية[1].

وسيتشكل من الفريق الثاني تلك الجماعات المرتبطة بمكون القبيلة بالمغرب، ومنها تلك المستقرة بالأرض وتسمى باسم المنطقة الجغرافية التي تهيمن عليها، كما يظهر من تحليل أسماء "تقبيلت" الأمازيغية في العصر الوسيط، وإما تحمل اسما من وصف مميز لها، أو حرفة[2].

إن هذه الأسباب المرتبطة بالتدوين البعدي لتاريخ القبيلة بالأوراس وباقي الأقاليم الأخرى ببلاد المغرب، هو العامل الذي سيؤثر في تشكيل الانقطاع أو التواصل في التسميات وفي مدى حضور الجماعات في الأحداث التاريخية بالمنطقة. وفي الفترة الممتدة بين العصر البيزنطي والعصر العربي تواصلت بعض الأسماء وتغيرت أسماء أخرى، كما تواصل وجود بعض القبائل بتسمياتها القديمة لكنها تعربت في أغلبها. مثل كتامة (Ucktamini) التي أصبحت تسمى كتامة، و(Illaguensos) التي أصبحت تسمى لواتة، وهما قبيلتان لعبتا دورا هاما في القرن الثالث الميلادي في التصدي للرومان[3]. وسنستعرض فيما يلي نماذج من هذه التغيرات التي مست بعض الجماعات في العصر الوسيط.

ثلاث مجموعات ومجال واحد.

1- مدلولات النوميد والمور

لهذه الأسماء عبر القرون مدلولات مختلفة؛ فالإغريق على غرار القرطاجيين كانوا لفترة طويلة يطلقون اسم "نوميد" على كل الأفارقة غير الخاضعين لقرطاجة، محتفظين باسم ليبيين في الإشارة إلى الأهالي الساكنين في الإقليم الخاضع لتلك المدينة. أما السكان الليبيين في أقصى المغرب فيطلقون عليهم اسم "المور" بدل النوميد، والتمييز بين الاسمين لم يتم نهائيا إلا بعد أن تعرف الرومان على وجود مملكة أهلية في المغرب. ثم أطلق الفنيقيين اسم "المور"[4] على سكان شمال إفريقيا وهي التسمية التي نجدها في الصيغة اللاتينية باسم "ماوري" (Mauri)[1]

---

[1] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 756.

[2] الحسين أسكان. الدولة والمجتمع في العصر الموحدي. ص250.

[3] محمد نجيب بوطالب. القبيلة التونسية بين التغير والاستمرارية، الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي إلى الاندماج الوطني. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية . تونس. 2002. ص 177.

[4] بالنسبة لخطأ اسقاط "المور" على كتلة الأوراس، فقد قارب البعض الآخر اسم "المور" بالاسم القديم للكتلة الأوراسية "آوراس"(Aoures) "آوراسينوس" (Aourasinus) فالحرف الصافر الذي يظهر في الكلمة الإغريقية (Manronsioi) تجد هنا تفسيره، ولذلك حاول البعض إسقاط مملكة بوكوس الموريةالمعاصرة ليوغرطة على الأوراس، وهو ما أدى إلى تحريف في جغرافيا بلاد المغرب كله، وأدى إلى انزلاق كبير نحو الشرق لكل جغرافية نوميديا. غابريال كامبس. المرجع نفسه. ص 273– 274.

2- النوميد

خلال الفترة الرومانية كان اسم النوميد مقتصرا على بعض قبائل الشرق الجزائري وتونس، وينتشر النوميد في إقليم يمتد ما بين المور وقرطاجة.

ويبدو أن أسماء "نوميد، ماسيل، ماسيسيل" هي أسماء أهلية وخاصة الاسمين الأخيرين اللذين استمرا في أسماء الأعلام الأمازيغية. أما اسم نوميد فيبدو غامضا وكأنه سامي ومرد ذلك احتمالا إلى أثر مختلف الأنساق الكتابية عليه.

3- المجموعة الثالثة الجيتول

الشعب الثالث الذي يعمر بلاد المغرب يسمى "الجيتول" من طرف القدامى، ومناطق تمركز هؤلاء الجيتول (Gaetulii) غير محددة بدقة لأن النصوص أشارت إلى تواجدهم في المغرب والجزائر وتونس في ذات الوقت، كما يحمل الليبيون هذا الاسم الذي ظهر في وقت متأخر في المصادر الأدبية[2]. وهي أقرب إلى الممالك منها إلى القبائل تتجاور في مجال واحد وفي حدود متحركة وغير ثابتة، يتغير اسمها عبر القرون حسب القوى والإمبراطوريات التي تمنح لهم اسم معين.

أما "جماعات المور" التي تتحدث عنها المصادر القديمة فهي مرتبطة بقبائل الأفارق والبربر حيث تشترك في مجال واحد مع جيرانها، ولم تكن هذه الأسماء محل تحليل منهجي من طرف المؤرخين العرب، خاصة فترة العصور الوسطى المبكرة، كما لا نعلم كيفية تعامل الجيوش العربية مع كل مجموعة من هذه القبائل، وقد تكون قد تقاسمت مع هذه القبائل نفس المجال، وربما شكلت كونفدرالية في جيوش جرجير وجيش الكاهنة، وكانت الروم مرتبطون أكثر بالبحر من أجل إمكانية الفرار واللجوء إلى جزر البحر الأبيض المتوسط ومن ثم إلى البلد الأم بيزنطة، عكس المجموعتين المتبقيتين الأفارق والبربر[3].

4- جماعات (إيزناتن) زناتة

إيزناتن أو جناتن الجماعات الأكثر حضورا بإفريقية في مرحلة ما بعد القرن الأول الهجري، وقد توزعت فروعها على مجال واسع بالمنطقة، كما أن الكثير من فروعها كان له حضور بالأوراس بشكل من

[1] غابريال كامبس. المرجع نفسه. ص 270- 271.

[2] المرجع نفسه. ص 285- 286.

[3] Soléna Cheny. *op. cit.* p. 244- 245.

الأشكال؛ إذ يوجد تقارب لغوي بين زانا وديانا، وهو موجود في الكتابة اللاتينية ومنتشرة في افريقية[1]، وترد عند ابن خلدون باسم "جانا" وهو أبو "زناتة"[2].

أما عن تاريخ توطن هذه الجماعات قديما بالمنطقة فقد تم تسليط الضوء على اللغة المستخدمة وأسماء المناطق المرتبطة المتغيرات اللغوية من البربر، وقد يكون العرب قد استبدلوا الجيم (ج) بالزاي (ز) وأصبح الاسم زانا بدل جانا. وبعد تعريبه عاملوه معاملة المفرد وأضافوا اليه هاء الجمع فصار "زناتة". هذه الظاهرة اللغوية والصوتية التي وضعها ابن خلدون حول اسم زناتة تسمح باعتبار اسم بربر ايزناتن استبدلوا ب: بنو جانة – بنو زناتة – وكيفت الاسم بعد ذلك[3].

اسم زينيتس، غير معروف في نوميديا أو موريتانيا الرومانية، ولكن سيظهر في هذه المناطق قبل الغزو العربي، أما عن البداوة التي تتميز بها هذه الجماعات فلم تكن معروفة بدقة في العصر الروماني، حيث بدأت في الانتشار منذ القرن الخامس الميلادي في وسط المغرب قبيل الفتح الإسلامي[4].

وعن نمط العيش السائد لدى هذه الجماعات فالتاريخ يخبرنا بأنهم كانوا في غالبيتهم رحلا يربون الحيوانات الأليفة وخاصة منها الصغيرة الأجسام. وعند تحليل اسمهم يمكن التوصل إلى نوع من التأكيد للصورة التي يحتفظ التاريخ بها لهم، وبهذا يمكن اصدار فرضيتين اثنيتن:

1- أزنت في المفرد. إزنتن في الجمع، أزنت لفظ مركب من أزن ومعناه " بعث وأرسل"، أتن أي النعاج. فتكون أزن– أتن ، إزننتن قد تعني إذن الذين يبعثون بنعاجهم إلى المراعي، والذين يمارسون أساسا تربية الماشية في الترحال.

2- إزنتن لفظ مركب من: إهن (إزن–أزن) ويعني الخيام، وأتن ومعناه: أن يكون الشيء كثيرا أو كبيرا، ومن هنا يأتي معناه: الخيام الكثيرة، أو المراتع الكبيرة، وهذا يتضمن أن إزنتن يمارسون التربية الترحالية للماشية[1].

---

[1] Ahmed M'charek. Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb. p. 464.

[2] ديوان العبر. ج6. ص 122. في الإسم والموقع، يعرض الكاتب Carette مثال على استمرارية اسم هذه القبيلة "أوجانة" بالأوراس. فالنسابة يرجعون نسب قبيلة زناتة إلى جانة، فاسم ابن جانة هو ترجمة ل "أوجانة" بالبربرية، ومنه جاءت بني أوجانة القبيلة من اسم قبيلة زناتة Beni ou-djana. والتي لا تزال مستقرة بجبل أوراس.

Antoine Ernest. Carette. *Origine et migrations de principales tribus de l'Algérie. Imprimerie impériale.* Paris. p. 150.

[3] عبد الوهاب بن منصور. المرجع السابق. ص 311. Ahmed M'charek. *ibid.* p. 464.

[4] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine.* p. 172.

5– ايزناكن أو جمالو الصحراء.

إن القسم الذي تحتله صنهاجة من الصحراء كان يمتد على مسافة ستة أشهر من المشي، وتاريخ المرابطين يبين أنهم كانوا رحلا حقيقيين، متعودين على العيش في فضاءات جافة واسعة. ويبدو أن اسمهم مأخوذ لا من أصل نسبي ما، ولكن من الصيغة الغالبة على أنشطتهم، وبهذا الصدد يمكن اقتراح نوعين من التأويل الممكن:

1–أزنك في المفرد، إزنكن في الجمع، هذا اللفظ مركب من: إهن (أزن) ومعناه "الخيام المصنوعة من الجلد"، وإكن (المغاورون أو الذين يمارسون الغارات) يقع التركيب إذن على هذا النحو: إزن+ إكن يصبح إزنكن، وبما أن التفخيم يعتبر من مميزات اللهجات الصنهاجية، يمكن أن نفترض أن الزاي العادية يمكن أن تنطق مفخمة. وقد تعني كلمة إزنكن إذن: خيام القوم الذين يقومون بالغارات، ومعلوم أن هذا النوع من الأنشطة يمارس بكثرة عند رحل الصحراء.

2–يمكن كذلك أن تكون الكلمة مركبة من: أزن: بعث، أرسل، وإكن (فرقة غير نظامية من الرجال تجتمع للقيام بحركة حربية قصد النهب) والكلمة المركبة تصبح أزنك في حالة المفرد، إزنكن في حالة الجمع، فيكون معناها هنا هو : الذين يقومون بعمليات الغزو أو الغارة[2]. وفسر أصل الكلمة صناك بالصاد المشم زايا والكاف القريب من الجيم (زناك) فلما تعرب زاد العرب الهاء بين النون والألف فصار "صنهاج"، فيما تتوزع قبائلها وبطونها إلى سبعين منتشرين في كل مجالات بلاد المغرب[3].

4– جماعات إيفرن. Ifri

تعتبر قبائل "إيفرن" من قدماء زناتة، كانوا مستقرين في شمال شرق الأوراس، وفي المجال التلي، حيث ينتشرون في منطقتين جغرافيتين رئيسيتين من إفريقيا؛ في المجال الممتد من وادي مجردة ووادي مليان، أين تعطينا المصادر التي تنتمي إلى سياقات مختلفة حول هذه الجماعات وأقاليمها في الكثير من الوثائق، والتي ينتمي بعضها إلى المصادر الكلاسيكية الليبية واليونانية واللاتينية، ضمن الأراضي والشعوب التابعة لسلطة قرطاجة[4]، وكانت قبائل "إفري" تدخل ضمن الوحدات المساعدة للجيش كجند روماني حسبما يرى J. Lassère الذي يقول أن

[1] صدقي ازايكو. التأويل النسبي الجينيالوجي لتاريخ شمال افريقيا. مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية. 15. (1990/1989). ص 28.

[2] المرجع نفسه. ص 29.

[3] صدقي ازايكو. المرجع السابق. ص 328– 329.

[4] Hamden Ben Romdhane. « Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine ». *Actes du troisième colloque international.* Le peuplement du Maghreb antique et medieval. Sousse, 05, 06 et 07 mai 2016. p. 105.

شعب أفري كان يدخل في تشكيلة الفيالق التي تساعد الجيش الروماني في افريقيا، وبالتالي كانت في علاقة من التبعية أو التحالف.

أما عن مجالها فقد كانت مجاورة لليبيين النوميديين إلى الغرب والجنوب من الأقاليم التي يسيطرون عليها، ويكون إقليم هذه الجماعات "بلد إفري" الذي يتعين إثباته من خلال الخلفية العرقية المحلية وأشكال تحالفاتها مع روما قديما، حيث أعطي لهم اسم منذ الحروب البونية قديما[1].

هذه الجماعات التي ورد ذكرها في المصادر القديمة كان لها حضور زمان الفتوحات الإسلامية ولكنها بدأت تتراجع وتتلاشى قوتها، وكانت "قبيلة إيفرن" أهمها بالإضافة إلى قبائل الروم. أما موديران فيعتقد بأن "إيفري" طوبونيم أصله لاتيني. ولا وجود له في النقوش البونيقية حيث كانت التسمية المشاعة آنذاك تطلق عليهم اسم "ليبي". وينتهي موديران إلى أن المزيد من البحث الأونوماستيكي يمكن أن يجيب عن أصل الكلمة بوضوح خاصة وقد استمر الاختلاف حولها إلى غاية القرن الثامن الهجري، حيث يقول باتفاق البربر حول أصل الكلمة التي تعني "الكهوف" وهي العمارة التي منتشرة في المناطق الجبلية بمعظم مجالات بلاد المغرب[2]. أما جماعات الأفار (Afar) فيطلق على الخصوص على السكان الأفريقيون المستقرون في الإقليم الذي تراقبه قرطاجة، وسيطلق عليم اسم أفري (Afri) من قبل اللاتين في وقت لاحق وبلادهم أفريكا [3] (Africa)

تبقى مشكلة الحذر من المصادر التاريخية وكتب الأنساب في التاريخ للكثير من الجماعات البربرية أو الأعلام، لأن الفجوة الزمانية تتسع أكثر بين الأحداث الخاصة بهم والمصادر التي تؤرخ لها[4]. أما الإشكال الآخر حول طوبونيم "إفري" فيتعلق بمدلوله الإثني والمجالي أيضا، فلا نعلم المقصود بإيفرن إن كان هو المجال أم القبيلة، وإلى أي مدى يمكن قبول آراء بارتش (Partsch) وكورتوا (Courtois) في أن "إيفرن" يمكن أن يكونوا هم أسلاف القبيلة الحديثة "الفراشيش" Frechich التي يمتد مجالها بين تالة (Thala) تبعد 50كلم عن مدينة القصرين التونسية، وتلابت (Thelepte) ومدى توافق هذا الموقع مع جزء من المزاق حيث تنتشر عمارة الحصون البيزنطية بها بكثرة خاصة بين تبسة وحيدرة (Ammaedara) وتلابت (تالة) والأربس[5].

هناك إشكالية أخرى تتعلق بالربط بين القبيلة ومجالات جغرافية كانت مستقرا لبعض القبائل قدمت حولها المصادر القديمة أوصافا واستمرت هذه الجماعات في الإستقرار طيلة فترة طويلة جدا وهذا ما يحتاج إلى

---

[1] hamden ben romdhane. *ibid.* p. 108 - 113.

[2] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 292- 293.

[3] غابريال كامبس. في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ. ص 52- 53.

[4] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 261.

[5] Soléna Cheny. *op.cit.* p. 241.

متابعة أسس التغير التاريخي في هذه المجالات، فمثلا نجد جماعات "الفراشيش" التي تنتمي إلى "هوارة"، والتي يعتقد أن اسمهم يستمدونه من شعوب قديمة بالمنطقة[1]، ورغم أن المصادر التاريخية والجغرافية الوسيطية لا تذكر هذا الطوبونيم "الفراشيش" فإن دراسة المعطيات التاريخية واللغوية الخاصة باستمرارية الجماعات البربرية على الحدود الحفصية، والتقاليد الشفوية تثبت أن علاقة الفراشيش بجغرافيتها الممتدة إلى حدود تالا (تيلابت) تتوافق إلى حد بعيد مع تاريخ جماعات استقرت فعلا في نفس المجال.

وفي هذا الإطار يطرح روبار برونشفيك[2] إشكالية استمرارية التوطين في بعض المجالات الجبلية الحفصية والتي تتطابق في المعطيات التاريخية واللغوية، ذلك أن تلك المناطق الجبلية التي قاوم سكانها المحليين ربما أكثر من غيرهم أي تدخل عنصري (إثني) أو حكومي في العصر الوسيط، هي بالضبط التي احتفظت بهويتها اللغوية إلى حد الآن. ذلك أن الناطقين بالبربرية في الوقت الحاضر الذين مكثوا في حدود إفريقية الحفصية سابقا، يتوزعون إلى ثلاث مجموعات ترابية كبرى، هي نفس المجموعات التي أشرنا إليها سابقا، مع تجاوز واسع النطاق بما فيه الكفاية حول جبل الأوراس حتى تبسة من الجنوب الشرقي، ووادي ريغ، وورقلة،... فهل كان الوضع اللغوي هو نفسه في العصر الحفصي؟.

إن الإجابة على هذا السؤال لا يمكن تصورها إلا ضمن خطوطها الكبرى، ذلك أنه من العبث البحث أن نحاول بالنسبة إلى القرن السادس عشر مثلا رسم خريطة لغوية مهما تكن قلة دقة حدودها، ومن باب أول وأحرى تحديد المناطق المزدوجة اللغة، ولكن ما يمكن التأكيد عليه بدون تخوف، أن الجبال الثلاثة (الأوراس نفوسة الأطلس) الناطقة بالبربرية اليوم، كانت تمثل آنذاك أيضا الهيكل الأساسي لاستعمال اللغة البربرية في إفريقية.

فمنذ عهد بعيد تعرب لغويا معظم سكان منطقة القبائل الصغرى من قدماء كتامة، وذلك منذ مساهمتهم في الحياة السياسية الإسلامية بمناصرتهم للمهدي الفاطمي، كما تعرب أيضا ولكن منذ عهد قريب، تحت تأثير الهلاليين حسبما أشار إلى ذلك ابن خلدون، الوهاصة، سكان ناحية بونة، وهوارة المقيمون في منطقة التل الأعلى التونسي، شمال الأوراس[3]، ومرتفعات الشمال التونسي التي لا توجد لدينا معلومات كافية حولها

[1] Yves Modéran. *Ibid.* p. 261.

[2] روبار برونشفيك. المرجع السابق. ج1. ص 359.

[3] يقول ابن خلدون عن هذه الجماعات: "ومن أشهر قبائل لهاصة أيضاً قبيلة أخرى ببسيط بونة يركبون الخيل ويأخذون مذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعارهم كما هو شأن هوّارة". ديوان العبر. ج6. ص 151.

بالنسبة إلى تلك الفترة، بدأت حركة التعريب على نطاق واسع. فالاستمرارية في الاسم للقبائل والحواضر دلالة على التواصل وقدم الحواضر أو التوطين في هذه المجالات.

أخيرا، لا بد من الإشارة إلى أن جدول التكافؤ بين الأسماء الإثنية من النصوص اليونانية واللاتينية والأسماء المستعارة من المصادر العربية ليست متباعدة جدا كما يبدو، ونعطي أدناه بعض الأمثلة على هذه المعادلات للقبائل / الكونفدراليات الكبيرة جدا (من الشرق إلى الغرب)، والتي سيتم تبرير تفاصيلها فيما بعد.

Laguatan	luwata	لواتة
Naffur	Nafusa	نفوسة
Macales	Maghila	مغيلة
Ucutamani	Kutama	كتامة
Macurebi	Maghrawa	مغراوة
Macenites	Maknasa	مكناسة
Niceves	Ngaous	نقاوس

جدول حول استمرارية أسماء قبائل بربرية[1].

5- أوكتامي Ucutamani كتامة :

كتامة Ucutamaii أو **Ucutamani** عثر على نقوش قديمة بالمجال الكتامي تحمل اسم (**Ucutamani**)، كانت جماعات من هذه القبيلة تنتشر جنوب جبل بابور، والتي تدخل في المجال الكتامي، ووردت هذه التسمية في نقيشة لاتينية تعود إلى القرن السادس الميلادي، ويكون العرب قد نقلوا هذه التسمية عن سابقيهم، والتي قد تعني جمع "كتامة"، وأطلقوا عليهم "كتامة".

[1] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 211- 216, 262.

ابن خلدون وحسب النسابين الذين نقل عنهم ينسب هذه الجماعة إلى شعوب "البرانس" "وأما شعوب البرانس فعند النسابين أهم يجمعهم سبعة أجذام وهي ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة"[1]، كما يستعرض أهم فروع هذه القبيلة التي تنتشر في إقليم واسع شمال الأوراس.

يقدم علاوة عمارة قراءة تاريخية لتطور طوبونيم "كتامة" من زاوية مذهبية معتمدا على النصوص الإسماعيلية. منذ بداية الدعوة الإسماعيلية بإيكجان، ثم وصول الإمام المهدي بعد تحريره من سجلماسة. واعتمادا على القاضي النعمان يشير إلى علاقة هذا الاسم بمجال القبيلة "بلد كتامة" بالداعيين (أبو سفيان والحلواني)، ثم مدلول هذا الطوبونيم من خلال من خلال رد الحجاج الكتاميين على سؤال الداعي فإن بلادهم كانت تشمل المدن الثلاثة: ميلة، سطيف، بلزمة. غير أن الاسم سيشمل جماعات أخرى ستدرج ضمن هذا الإقليم في فترة الدعوة منها بنو سكتان شمال سطيف ليظهر مجتمع جديد مكون من فروع كتامة مثل: سكتان، ومسالتة. ولهاصة، أجانا، وجيملة، فقراءة مصار الأنساب البربرية القديمة تساعد على التعرف على بعض الجماعات التي كانت لها علاقات مع كتامة، ومن أبرزها نجد تلك التي استقرت بغرب وبجنوب الأوراس ومنها العديد من فروع "هوارة" مثل " جملان" أو "بني كملان" بجنوب الأوراس، والتي ارتبطت بصورة مباشرة بتمرد أبو يزيد مخلد بن كيداد[2].

8- طوبونيمية لواتة والأغواس

يتطابق هذا الطوبونيم"لواتة (Lawâta)" مع قبائل "الأغواس (Ilaguas)" التي ذكرها كورييوس ضمن القبائل الليبية المتحالفة مع القائد "أنتالاس"، والعلاقة بين الاسمين المتقاربة يراها البعض معقدة. لأن اسم "لاغواتان" هو شكل من أشكال الاستعارة قد يتطابق مع "لواتة" أو "هوارة" وهي اسم قبيلة (إثنيم) يوناني[3].

---

[1] ديوان العبر. ج6. ص 72.

[2] Allaoua Amara. Peuplement et arabisation au Maghreb medieval. p. 275 - 277.

[3] Mohamed Benabbès. « The Contribution of Medieval Arabic Sources to the historical geography of byzantine » africa. p. 126.

في دراسة لأحمد مشارك M'charek حول طوبونيم وادي وادران (l'Oued Ouadran) يذكر بأن مصادر القرون الوسطى والحديثة تجعلنا نعرف أسماء مختلفة والتي تشكل أوجه تشابه مهمة أخرى جديرة بالذكر . مثل: اسم لواتة (Laouata) مع (Laguatan) عند كورييوس، (Lavatae) و بروكوب (Lawata) مع ما نجده في المصادر العربية بالمغرب الأوسط في اسم المكان ورقلة (Ouergla)، والتي وردت في شكل ورجلان (Wargalan) في المصادر الوسيطية، والتي يجد فيها نوع من التناظر بين Wargalan)، واسم أدرار / أدرار ن وزال (Adraran wazzel) المذكورة في كتاب المسالك والممالك للبكري. Ahmed M'charek. La vallée de l'Oued Ouadran (l'antique *vadara*), un espace tribal Hautement stratégique de corippe à ibn Khaldoun. Actes du 6e colloque Sbeitla, 2008. INP, Tunis, 2010. p. 10- 12.

أما موديران فنجد يجلي المسألة أكثر وضوحا ويرى أنه لا توجد اختلالات كبيرة في الأسماء الإثنية التي تقدمها المصادر اليونانية واللاتينية وتلك التي تقدمها المصادر العربية كما هو الشأن حول قبيلتي "هوارة" و"لواتة"؛ فهناك تقارب وتشابه بين المفردات "Hawar Haguas Ilaguas" وهو تشابه في الصوت والنطق، حيث يتفق في اللغة العربية مع اسم القبيلة التي ذكرها بروكوبيوس "ليواتان (Ilaguantan)" ثم تحولت إلى اسم "لواتة"[1].

لواتة ذكرها بليني وبطليموس، وهي التي وردت في النصوص العربية باسم "لواتة" وقد صنفها ديسانج Desang، ضمن القبائل الأفريقية في جدول القبائل[2]، وهو ما يثبت استمرارية الهياكل الاجتماعية والقبائل بالأوراس، ومن هنا فإن إعادة قراءة النصوص تمكننا من بناء عالم مغاربي للعصر الوسيط ثري وشديد التعقيد.

[1] Mohamed Benabbès. *op. cit.* p. 125.

[2] Jehan Desanges. *Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil,* Dakar, 1962. p. 17,101-102, 173.

خامسا: طوبونوميات الحواضر بالأوراس

نجحت التوسعات العربية في توسيع الأسلمة واللغة العربية على نطاق كبير في الوقت الذي انهارت السلطة البيزنطية بالمنطقة، والتي ساعدتها الانقسامات الدينية والثورات المتكررة للقبائل.

جدول للأسماء القديمة لبعض الحواضر القديمة والوسيطية[1].

Lambaese	لمباز	Iscca veneria	شقنبارية (الكاف)
Lamasba	لماصبا (مروانة)	Thagaste	سوق اهراس
Lambiridi	لمبريدي	Thubunae	طبنة
baghai	باغاية	Vazaivi	زوي
mascula	خنشلة	Thamugadi	تيمقاد
teveste	تبسة	Nigrenses	نقرين
Thabudios	تهودة	Casae	قاساس
Zaratha	زراية	Tigisis	تيجيس
Zana	زانة (عين زانة)	Lamiggiga	سريانة
Tipasa	تيفاش	Nicives	نقاوس
Madauros	مداوروش	Badias	بادس

هذه الظروف التاريخية يمكن أن تفسر لنا ثراء اللغة البربرية. بالإضافة إلى تأثير الفترات السابقة

على الأسماء الجغرافية. فباستثناء المناطق المنعزلة التي حافظت على مكوناتها المحلية نجد أن أسماء المدن والحواضر والقرى التي أشار إليها علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ والجغرافيا لا تزال تحتفظ بأسمائها التي ترتبط بالذاكرة التاريخية القديمة بما في ذلك ذاكرة الجماعات والقبائل التي تحمل الكثير من أسماء المدن. كما أن الدارس لهذه الأسماء الخاصة بجغرافية العمران يجد الارتباط الوثيق بين هذه الأسماء وجغرافية المنطقة للعديد منها.

إن المشكلة الأساسية التي تصادف الباحث في مجال الأوراس بعد الفتح الإسلامي تتمثل في معرفة الكيفية التي تمت بها صياغة الطوبونوميات الجديدة من طرف الفاتحين بعد القرن الثاني الهجري/ السابع

[1] Jehan Desanges. *Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil,* Dakar, 1962. p. 278-283. Stéphane Gsell. *Atlas archéologique de l'Algérie.* Index Alphabétique Des Noms Des Lieux. T1. p. 1- 6. البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 227، 229، 244، 328.

ميلادي، حيث بدأت أولى عمليات التوطين والاستقرار الكبرى في بعض المدن والحواضر القديمة، والعملية اقترنت بالاستيلاء على أراضي ومجالات جديدة، وهجرات ضخمة، ويتطلب الأمر التعامل مع حضارات سابقة لهذه المجالات، وبالتالي مع تاريخ لغاتها واللهجات المتداولة بين مختلف القبائل والجماعات، وآليات الاتصال بين مختلف اللغات وحياة اللهجات المرتبطة بأسماء الأنهار والجبال.

يمكن أن نتطرق في الصفحات التالية إلى نماذج من الطوبونوميا الحضرية بالأوراس وعلاقتها بالأعلام والبيئة التي بنيت فيها، مع العلم أن معظم هذه الحواضر قديمة النشأة تعود إلى الحقبة النوميدية واستمرت تسمياتها عبر القرون إلى اليوم، وهو ما يدل على استمرارية التوطين بالمنطقة باستثناء بعض المدن والحواضر التي اندرست أو التي أخذت أسماء أخرى في حقب معينة. ولا يمكن التطرق إلى جميع حواضر المنطقة ولكن سنكتفي بذكر بعضها فقط وتوضيح الأبعاد الطوبونيمية في أسماء بعض هذه الحواضر بمجال الأوراس، وبالإضافة إلى هذه النماذج من طبونيميات بعض الحواضر بالأوراس فإن الدارس سيجد حتما نماذج أخرى انطلاقا من البحث الأيركيولوجي ومعرفة أصول أسماء المدن.

1- طبونيميات مدغاسن:

يعتبر مدغاسن من العمائر القديمة بالأوراس ولا تعطينا النصوص العربية تفسيرا واضحا لاسم هذا الضريح، لذلك علينا البحث من خلال التاريخ حيث يمكن أن تساعدنا القرائن اللغوية في تفسير الأصل من اسم هذا الضريح المهم، خاصة وأنه يعتبر شكل من أشكال العمارة النوميدية القديمة، ذكره المؤرخون القدامى، كما ورد في النصوص الجغرافية الوسيطية.

الرحالة شو يرى أن الضريح الذي يصعب إيجاد معنى له في اللغة البربرية، لكن كاريت يجد له سند في ارتباطه بأحد أجداد البربر في بلاد المغرب "مادغيس"[1] الذي يربطه البكري بمجال طبوغرافي قريب من بحيرة أخذت اسم هذا الضريح هي"بحيرة مادغوس، وهي مجمع لكل طائر"[2]. لذلك فمن الضروري العودة إلى

---

[1] Bakhta Moukraenta. « Les sources arabes et les royaumes numides ». مخبر البحوث الاجتماعية الناصرية للدراسات التاريخية والتاريخية بجامعة معسكر. العددان 5 و6 جوان 2014 2015. ص 33 34.

ابن خلدون يربط بين هذا الطوبونيم وقبائل البربر: وأما شعوب البتر وهم بنو مادغيس الأبتر فيجمعهم أربعة أجذام، أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر، وكلهم بنو زحيك **بن مادغيس**. فأما أداسة بنو أداس بن زحيك فبطونهم كلها فى **هوارة** لأن أم =أداس تزوجها بعد زحيك أوريغ ابن عمه برنس والد هوارة، فكان أداس أخا لهوارة، ودخل نسب بنيه كلهم في هوارة. وهم سفارة وأندارة وهتزولة وضريسة وهداغة وأوطيطة وترهتة. هؤلاء كلهم بنو أداس بن زحيك بن **ماذغيس** وهم اليوم في هوارة. ديوان العبر. ج6. ص 71 72.

[2] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 227.

البربرية لفهم هذا الطوبونيم الذي لا يزال معمارا مجهولا عند صاحب الإستبصار و"لا يعلم على الحقيقة ما هو: هل هو قبر أو هيكل. إنما هو بناء قديم لا يعلم له أول..."[1].

2- **زانة استمرارية الاسم**

أ-حصن زانة (Diana Viteranorum)

من الحواضر التي عرفت استمرارية في اسمها عبر القرون وإلى اليوم. تقع أسفل جبل مستاوة الذي كان دوما مركز للتمرد والمقاومة منذ العهد النوميدي. وقد كانت مستعمرة عسكرية عملت على مراقبة القبائل المحيطة بها منذ عام 106م[2].

نجد هذه المدينة ترد بثلاثة أسماء أذنة، أربة، أزبة، الرقيق والبكري ترد عندهم أدنة[3]، أما اليعقوبي فذكرها باسم أربة Arba وأدنة Dana[4].

البكري لا يذكر أخبار هذه المدينة قبل القرن الرابع الهجري. لكنه يتطرق إلى إغارة هوارة على نساء أدنة، ووقوعها وسط مجموعة حواضر مثل المسيلة مقرة طبنة وسبع قرى منها قرية يكسم[5].

انعكس هذا الخلط في التسمية بين أذنة وديانة (زانة)، واستطاع ستيفان قزال ضبط موقعها الجغرافي وهي مدينة زانة التي تشرف على مرتفعات سريانة، وهي متصلة بجبل مستاوة، كما وأنها تشرف على الهضاب العليا المقابلة لها. ولذلك تكون في شكل حصن متقدم للمبيسيس. وفي القرن الأول الهجري/ القرن السابع الميلادي كانت المدينة التالية في طريق الفاتح عقبة بن نافع بعد فتحه لمبيسيس، ولا تخبرنا الروايات التاريخية حول سلوك عقبة بن نافع مع المنطقة إلا كونها معبرا لجيشه في حملته الثانية. وتكون سريانة (Lamiggiga) أحد أهم هذه الحواضر المتجمعة حول ديانا (زانة)[6].

---

[1] مجهول. الاستبصار في عجائب الأمصار. ص 164.

[2] Tissot, Charles Joseph. *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*. Tome second. Chorographie. Réseau routier. Imprimerie nationale. Paris. (1888). p. 484.

[3] فصل كوميزا في مسألة الاختلاف حول هذه المدينة التي تعتبر عاصمة الزاب. وهي أذنة، لأنها قد تتشابه في النطق مع مدينة زانة. كما تختلف كتابة هذه الحاضرة في المصادر التاريخية والجغرافية بين أدنة وأزبة غيرها. Paul-Louis *Cambuzat*, *op. cit.* p.50- 51. Marge 7.

[4] اليعقوبي. البلدان. ص 191.

[5] البكري. المسالك والممالك. ج 2 ص 328.

[6] Stéphane Gsell. « Pasteur. Un village en pleine ». p. 10- 12. Paul-Louis Cambuzat, *op, cit.* p. 50- 51.

ب- الاستمرارية في الاسم بزانة ودورها المحلي

احتفظت ديانا فيتيرانورم (زانة) باسمها القديم عبر قرون في أشكال متعاقبة من الأسماء، مختلفة الرسم والشكل؛ فنجد: أدانا، أدينا، دانا وزانا، والعديد من النقوش وجدت بالمنطقة تعطي إلى جانب الاسم القديم: "ريسبوبليكا ديانانسيوم، مونيسيبيوم ديانانسيوم" حيث تقع عند سفح مستاوة، الذي كان دائما المركز في العديد من مقاومات التمرد في هذا الجزء من نوميديا، الذي تحيط به مجموعة من القبائل التي كانت دوما في حالة ثورة[1].

3- سريانة (Lamiggiga)

ورد ذكر هذا الموقع في مجمع قرطاجة 411. كما أشارت أحد مراسلات القديس جرجوار البير إلى شخصية أرجنتيوس اللاميجي Argentius Lamigiggensis وقد عثر على نقيشة جنائزية يفترض أنها تعود إلى القرن السادس تذكر شخصية أرجنتيوس. وقد يكون القس الذوناتي الذي مثل المدينة في المجمع[2]. أما في العصر الوسيط، فلا نجد ذكر لهذه المدينة التي تكون قد تراجعت أو أصبحت من المدن المندرسة.

4- طبونيم لامبيسيس المحلي

كانت (Lambaesis) عبارة عن أطلال مهجورة تماما قبل تأسيس المستعمرة الزراعية في عام 1848، تحمل اسم "تازولت"، وفي تقريره لعام 1855 قدم السيد ل. رينيه (M. L. Renier) تقريره عن الحفريات التي أقيمت بالمنطقة ثم أعطي اسم "تازولت" وهي المدينة القديمة "لامبيز" التي أسسها الفيلق الثالث في إقليم نوميديا، ومنذ القرن الخامس الميلادي لم يتم إعادة بنائها وظلت أطلال وأغلب آثارها سليمة، وتتشكل من المعسكر والمدينة[3]. كما نجد هناك قراءة أخرى لهذا الطوبونيم اعتمادا على بيئة المنطقة ويرجح أن يكون مصدر لاسم مدينة تازولت الذي اعتمده العرب[4].

5- لماصبا الطبونيم النوميدي

اسم لماصبا الليبي حسب الآثار الإيبيغرافية التي عثر عليها بالمنطقة فإن الاسم الذي وجد هو لاماسوا (Larnasvoua)، وهو طوبونيم ليبي. أما في جدول بوتينجر فكتبت على شكل (lamasbua)، وبهذا فإن هذه المفردات تكون مرادفة تماما لمدينة لاماصبا قرب هنشير مروانة حسبما أكده كاربوتشيا (carbuccia)، الذي

---

[1] Tissot, Charles Joseph. Op. ciot. p. 484- 485.

[2] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي. ص 364.

[3] Tissot, Charles Joseph. *ibid.* p. 491. Gustave mercier, « le nom des plants en dialecte chaouia de l'Aurès ». Acte 14e congrès

[4] Gustave mercier, « le nom des plants en dialecte chaouia de l'Aurès ». Acte 14e congrès interne. Orientalistes 2. (1897). p. 85.

أكد هذا الإكتشاف من خلال العديد من النقوش التي تثبت اسم المدينة القديمة الموجودة على بعد أميال قليلة من مدينة مروانة. والتي تشكل أطلالا تغطي مساحة واسعة جدا[1].

6- تهودة

تهودة أو ثابوديوس تقع على بعد 12 ميلا شرق بسكرة، على ضفاف وادي الأبيض أحد أكبر الأنهار بالأوراس الذي يصب في جنوبه الغربي في الصحراء، تحتل تهودة موقع وسط يجمع بين السهول الواسعة ومنطقة التل والواحات، والعبور إليها يكون عبر ممر تيغانيمين[2].

7- بادس

لا تزال المدينة تحتفظ باسمها القديم منذ عهد بطليموس، كما تحتفظ ببعض مكوناتها والتي من بينها الأسقفية التي لا تزال بعض معالمها واضحة. وردت في النصوص الجغرافية والتاريخية العربية الوسيطية. وتقع في نهاية وادي العرب الذي ينبع من سلسلة جبال الأوراس. هذا الوادي الذي يشكل حوضه منطقة اتصال بين مجالين: التل والصحراء[3].

وقد أصبحت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي حصن هام جنوب الأوراس "وهو في أسفل طرف جبل أوراس... وهو حسن عامر بأهله..."[4]، واستمر تطورها كمدينة كبيرة، لها حصنان وأرباض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع جليلة..."وهي التي كانت "مدينة قديمة فيها آثار للأولين"[5].

8- تيجيس (Thigisis) المستعمرة الفينيقية على مشارف الأوراس

في عام 1878 اكتشف نقش بمنطقة عين البرج، وقد حددت كتاباته مفردة تحمل اسم "تيجيسيس"، المدينة حسب جدول بوتينجر تقع على بعد ستة (6) أميال من سيغوس، وقد أشار بروكوب الذي كان دقيقا في وصفه إلى أن "تيجيسيس" كانت واحدة من أقدم المستعمرات الفينيقية بنوميديا، وهو ما يؤكد على قدم المدينة، والتي استمرت إلى غاية العصر الوسيط دون تغير اسمها، وبقاء الكثير من معالمها قائمة[6]، ويصفها ابن حوقل أنها ذات "سور وربض قد استدار من قبلتها إلى بحريها وسوق صالح وماء جار من عين."[7]، وسور

---

[1] Tissot, Charles joseph. *op. cit.* p. 503.

[2]. *Ibid.* p. 526- 527.

[3] *ibid.* p. 529.

[4] الإدريسي. نزهة المشتاق ، ج 1 ، ص 264 .

[5] مجهول. الاستبصار ، ص 175.

[6] Tissot, Charles Joseph. *op. cit.* p. 420 - 423.

[7] صورة الأرض ، ص 87 .

المدينة قديم مبني من الصخر حسبما يذكر البكري الذي يضيف أن المدينة " بها أسواق وجامع وحمام"[1]، ويستمر دور المدينة حتى عهد الدولة الحمادية.

9- نقرين القبيلة والمدينة

نقرين: موقع المدينة يحتوي في الواقع ثلاثة مواقع متجاورة وهي اسم ليبي (Ngry)[2] قبيلة من السكان الأصليين الذين كانوا مستقرون في الموقع المحتمل لنقرين قبل الاحتلال الروماني. لا زالت مزدهرة في العهد الإسلامي حسب البقايا الاثرية من السيراميك الوفيرة التي تعود إلى القرن التاسع. لتبدأ في التلاشي بعد ذلك[3].

10- نقاوس Nicevus

مدينة قديمة كانت تقطنها قبيلة (Nicevus)، لذلك لا يستبعد أن المدينة أخذت اسمها من القبيلة التي استوطنته. وهي قديمة، برز دورها وتطور طيلة العصر الوسيط واستمر لما بعده، وكانت تتمتع بخيرات كثيرة طيلة هذه الفترة كما جاء في أغلب أوصاف الرحالة والجغرافيون في الفترة الوسيطية. وبقي اسمها دون تغيير.

11- قاساس (qasae)

يعرف هذا الطوبونيم من خلال النقوش الأثرية الموجودة بالمنطقة، إلا أن هناك اختلاف حول موقع هذه المدينة بالتحديد، إذ يمكن أن يعود المكان لإحدى ثلاثة مراكز مجاورة للسكان. وقد يكون الاسم خاصا بأحد هذه المناطق قرب الجبل[4]. تقع قاساس على بعد 30كلم إلى الشمال الشرقي من تيمقاد، في مقدمة الجبل الأبيض، حيث نجد الاثار القديمة لحصن قاساس، وتتنوع بين الآثار الرومانية والبيزنطية بالمنطقة دون غيرها، ما يطرح تساؤل على مصير المخلفات الأثرية السابقة لهذه الفترة[5]، استمرت هذه المدينة (الحصن) في العصر

---

[1] المسالك و الممالك ، ج 2 ، ص 244 .

[2] Jean- Pierre Laporte, Xavier Dupuis. « De Negrenes Maiores a Négrine ». *Antiquités africaines* 45. (2009). p. 57-59.

[3] Jean-Pierre Laporte. « notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du Dyr et des nemencha) ». *Actes de 7e colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes.* Sbeïtla session 2010. Institut national du patrimoine. Tunis. (2014). p. 94.

[4] Audollent Aug. « Mission épigraphique en Algérie » de MM. Aug. Audollent et J. Letaille (1889 - 1890). *Mélanges d'archéologie et d'histoire,* 10, (1890). p. 559- 560.

[5] *Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine.* 1923 1924. p. 243-244.

الوسيط، حسب أوصاف الجغرافيين العرب مثل ابن حوقل الذي يقول أن "تيجس" ترتبط بمجانة بطريق على بعد خمس مراح، كما ترتبط بباغاية ومسكيانة[1].

12- باغاية ثابغا الليبية باغاية الرومانية

في أصول الأسماء النباتية للمدن والحواضر نجد لفظة باغاي (Baghai) والتي تعني بالبربرية الشوكة النباتية Thabegha . باغاي: أصل الكلمة ليبية مشتقة من: ثابغا (Thabr'a) _ هبغا (Habr'a) مصدرها نبتة كانت تنتشر بالمنطقة ومنحت الاسم لمدينة التي سميت في العهد الروماني باغاي[2].

استمرار أسماء الأماكن والمدن المنتشرة بالأوراس تشمل الكثير من مجالاته، وترتبط بخلفيات كثيرة قبلية وتضاريسية وطبيعية وغيرها؛ فمثلا مدغاسن كمنشاة جنائزية إضافة إلى اسم "البرانس" بعمق الأوراس المرتبط بالقبيلة وبالمدينة أيضا، بجوار العديد من الحواضر المنشاة على حواف الأنهار، وهو اسم بربري قديم. حيث كانت الجماعة تحت زعامة القائد كسيلة زمن الفتوح الإسلامية. لتنتقل هذه الجماعة إلى القيروان بعد مقتل عقبة بن نافع. وبقيت المنطقة تسمى بالبرانس بالأوراس كحاضرة.

والبرانس تعتبر من أكبر القبائل بالأوراس الشاوية، والتي تتجاوز مجالاتها إلى مدينة بسكرة. موقعها هام جدا تاريخيا، والمنطقة غنية بالآثار على حواف الأنهار الكبيرة، وتشمل مجموعة من الحواضر: اشير، منعة، ايمتنان، جمورة، البرانس، تنتشر كلها على حواف النهر وبجوار اطلال المدن القديمة[3].

إضافة إلى أن الطوبونيميا البربرية في شمال إفريقيا تحمل آثار هذا التجسيد الأنثروبومورفي للأرض، إذ يكفي الإشارة إلى أن عددا من الأسماء التي تطلق على بعض الحوادث الطوبوغرافية مستوحى من أعضاء الجسد. مثل: إيغيل (الذراع)، أغروض (الكتف)، أكرض (العنق)، إيخف (الرأس)، أمادل (الخد)، ايكتري (الجبهة)، ناهيك عن الينبوع الذي يسمى(تيط) أي العين، مثلما هو في العربية، حيث ينظر إلى المنابع التي تتفجر ماء على أنها عيون الأرض... هذه العلاقة التي يبنيها الأمازيغي مع الأرض علاقة الأمومة هي التي نجد لها آثارا في مناطق مختلفة من بلاد الأمازيغ..[4]. وتتطابق هذه التسميات مع الطابع المجزأ لتضاريس الأوراس. إضافة

---

[1] صورة الأرض. ص 84.

[2] Gustave Mercier, le nom des plants en dialecte chaouia de l'Aurès. p. 82- 83.

[3] Antoine Ernest. Carette. *op. cit.* p. 13- 15, 32- 33.

[4] محمد أوسوس. في الميثولوجيا الأمازيغية. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. ص 53.

إلى توزع السكان عبر هذا النطاق وبين مكوناته الطبيعية من وديان ومنخفضات وسهول ضيقة عادة ما تكون محصورة بين الجبال.

إن الوقوف على أصول الأسماء الخاصة بالمدن والجماعات وغيرها تسمح لنا بفرز الأسماء المحلية من تلك التي تعود في أصولها إلى حضارات أخرى سواء تلك المجاورة للمنطقة أو تلك التي امتزجت بها الحضارة المحلية وكونت كيانات مستقلة طبعت بطابع محلي أكثر ما هي مرتبطة بالآخر نتيجة لعامل الزمن الذي مكن من صهر كل المكونات السابقة.

سادسا: طبونيميا البيئة. Oronyme.

1- طبونيميا البيئة.

إذا كانت البيئة تقدم هذه التفسيرات الطوبونيمية في أسماء الأمكنة والمواقع فإن البادية قد عرفت تطورا "طوبونيميا" محدودا، لذلك تقل المعطيات حول هذه المجالات من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذلك يخدم كثيرا الجانب الطوبونومي لأنه يبقي على أصالة المجال والقبيلة معا؛ فقلة الجماعات المستقرة بالريف والتي ستأخذ أسماء الأماكن التي تنزل بها سيضعف استغلالها للمجال لقلة عددها وهذا ما يدعم أن عددا كبيرا من المواقع حافظ على الأسماء القديمة (اللوبية- البربرية، أو البونية واللاتينية- البيزنطية، أو العربية في القرون الأولى)[1]. أما بالنسبة للحاميات العربية التي استقرت ببلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي فقد توطنت في المدن القديمة، أو أقامت مدنا قريبة من المدن القديمة المندرسة، وبقيت خرائب حولها، فقد سئل سحنون "عن خربة لرجل بين دور يلقى فيها الزبل، ولا يدري من يلقيه فقام رجل الخربة على ربها فيما أضر الزبل بحائطه" وقال سحنون في موضع آخر " في الزبل يجتمع في خربة لقوم أو فناء فيضر بالناس أن على جيران الموضع كنسه، يؤخذ به الأقرب فالأقرب على الاجتهاد"[2]. لقد عرفت هذه المناطق بالخربة و لم تدون بعض أسماء هذه المدن القديمة المندرسة لمختلف الأسباب. وهذا ما يدل على سعي الفاتحين الجدد إحداث قطيعة حضرية فيما يتعلق بالحواضر والمدن التي أسسوها.

أما الجبل فيبقى مساحة محدودة غير واسعة له معالم مضبوطة جغرافيا، ويضمن هذا المجال مختلف عناصر المعاش لساكنيه الذين يطوعون هذ المجال للتحكم في مصادره الطبيعية، وكذلك من أجل تحقيق حاجاتهم المعاشية. على أن الإنتاج وتعامل الإنسان مع مجاله يقتضي التعرف على مكوناته التي يتشكل منها.

---

[1] محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1 . ص 302.

[2] التيطلي. ت 386هـ. كتاب نفي الضرر. تحقيق فريد بن سليمان والمختار التليلي. مركز النشر الجامعي. تونس. 2003. ص63- 64.

بالنسبة للأسماء الجغرافية في هذه البيئات يمكن النظر إليها على أنها انعكاس للتفاعل بين الإنسان والطبيعة عبر فترات الزمن المختلفة. وتبين الدراسات الإقليمية العديدة التي أجريت في العالم في مجال الأسماء أن الأسماء الجغرافية تقدم صورة مفصلة متعددة الأوجه للوجود البشري في علاقته بعناصر البيئة المحيطة به. وفي بعض الحالات يمكن للأسماء الجغرافية المكتوبة أن تخبرنا بشكل عام عن النطاقات الزمنية للاستيطان[1]. وهذا ما نجده مثلا في جانب الحواضر التي حملت أسماء القبائل التي استوطنتها مثل نقاوس، نقرين. أو تلك التي اشتقت أسماءها من النباتات التي تنمو فيها بكثرة مثل باغاية، تازولت (لمباز) وغيرها، لذلك فإن علاقة الإنسان (الريفي خاصة) بالبيئة التي يعيش فيها حتمت عليه التعامل مع الأرض وإطلاق تسميات الأماكن التي يتفاعلون فيها انطلاقا من تلك الخصائص كالجبال، والأودية، والسباخ، وغيرها.

2- التضاريس واللغة.

يشمل هذا الجانب المنطلقات الفلاحية للطوبونيميا ببلاد المغرب، وهي تلك التسميات المرتبطة بالمنشآت الفلاحية التي أوجدها الإنسان في تفاعله الفلاحي في مختلف العصور، مثل: الهنشير، والساقية، والماجل، والبئر[2].

أما عن استخدام أسماء النباتات في المجالات المختلفة، فهو يدل على علاقة المزارعين والرعاة الذين هم على اتصال مباشر ودائم مع الطبيعة، هذه العلاقة الوطيدة التي تدل على قدرة التحكم في المجال الذي يكون مميزا بخاصية هذا النبات أو الشجر. ويرى غوستاف مرسييه (Gustave Mercier) أن الكثير من أسماء النباتات بالأوراس تعود إلى لغات ليبية قديمة، ويكون الرومان قد نقلوها عنهم باستخدام اللغة اللاتينية بعد استيطانهم المنطقة[3]. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال:

-ايثقل-بوقنون: توجد الكثير من المنطق بالأوراس تشتق اسمها من هذا الاسم Ad'iil pl. Id'iilen Cèdre بوقنون وهو الأرز أي ايثقل. شجر ينتشر في كثير من المناطق جبل شليا، جبل ايشمول، والواجهة الشمالية الجبلية[4].

---

[1] بوتولف هيليلاند. القيم الاجتماعية والثقافية للأسماء الجغرافية. ص116.

[2] محمد نجيب بوطالب. الفلاحة والمجتمع الريفي في تونس. ص 44.

[3] Gustave Mercier, Le Nom Des Plants en dialecte chaouia de l'Aurès. p 80. Mansour Margouma. *op. cit.* p. 231.

[4] Gustave Mercier, *ibid.* p. 83.

-هذرياس. (Had'ries) يسمى بالعربية "درياس" أو "بونافع"، ويستخدم في الكثير من الأغراض الطبية والكثير من المناطق تسمى بهذه النبتة. مثال عين درياس[1].

-يرذن. القمح (Ird'en) يرذن تعني القمح، ومصدر هذه المفردة نجدها في كل اللهجات بالأوراس والطوارق وتماشق ونفوسة ومزاب. وهي اسم ليبي قديم، وفي الأوراس تطلق على مدينة لمبريدي التي تعني سهل القمح[2].

-توزالث (Thuzalt) مصدرها (Ouzzal) الحديد. وحطب هذه الشجرة شديد الصلابة ويرجح أن يكون مصدر مدينة تازولت الذي اعتمده العرب[3].

وبالنسبة لاستغلال الأرض في الأوراس فلا شك وأنه مجال خصب للتعرف على طوبونيميات الزراعة والتي يشكل السقي أحد مكوناته الرئيسة، ويمكن التطرق إلى بعضها فيما يأتي:

تاركا (الساقية) اسم مفرد، جمعه "تيركيو" يعني الساقية الكبيرة التي شقها الإنسان لجر المياه، وقد تطلق تاركا كذلك في بعض المناطق الصحراوية على الجداول الطبيعية التي لا تجري فيها المياه إلا عند نزول الأمطار. والكلمة منتشرة انتشارا واسعا في المجال الأمازيغي بمعناها الحقيقي وكأسماء أعلام جغرافية وبشرية؛ فيذكر البكري المدينة القديمة بشليقة بقرب المسيلة "فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأول اليها يقال لها: تارقا أنو ودي، تفسيره: ساقية السمن"[4].

والساقية عند البربر مؤسسة اجتماعية ترتبط بها مجموعة قبائل، إذ تعتبر فيه "تاركا" كموجود ملموس وكمؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الجماعة، وعنصرا حساسا يعكس ما يثير حوله من أحداث وعلى المدى الطويل، التاريخ العميق للجماعات المتساكنة في مجالات حيوية قد تكون صغيرة أو قطاعية أو واسعة[5]. وقد أشرنا إلى ذلك عند دراستنا لنظم السقي القديمة بمنطقة سهل بلزمة وكيف استمرت عبر قرون من الزمن إلى فترات متأخرة من القرن التاسع عشر.

---

[1] Gustave Mercier, *ibid.* p. 83

[2] Gustave mercier. *ibid.* p. 91. Emile Laoust. Mots et choses berbères. p. 268.

[3] Gustave mercier. *ibid.* p. 85.

[4] تاركا. الساقية "تيركوينّ في الجمع . وهي تتجاوز المعنى اللفظي كونها كمؤسسة اجتماعية ذات أهمية قصوى في حياة الجماعات المستقرة في كثير من أرجاء بلاد المغرب. وتمتلك نظاما محكوما بوثائق قد تكون مكتوبة أو شفوية، تشمل اتفاقية حول الحلول الموضوعة للصراعات المحتملة بين المستخدمين لها. البكري. المسالك والممالك. ج 2 ص 239. علي صدقي أزايكو. نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات التاريخية والبيئية. المغرب. الرباط. 2004. ص59- 60.

[5] معلمة المغرب. الجمعية المغربية للتأليف والنشر. 2000. الرباط. ج6.ص 2016

وقد ارتبطت أسماء البيئة المرتبطة بالمياه بالأنهار؛ التي تعني تلك التي يقل جفاف جريانها في فصل الجفاف في الصيف، وهي مرتبطة كثيرا بالجبال التي تنتهي بشبكة من هذه الأنهار. ومعنها هو: إيغرز Igzer. Igezr[1] المروج Igmir، وهو مصطلح قديم يطلق على المروج، وهذا الاسم يمكن أن يطلق على بعض ضفاف الأنهار خاصة في طوبونيميا الجبال[2].

أسيف Asif أو سوف هو النهر الجاري، وتعريبه هو الوادي. نجد هذه التسمية كثيرا في الواحات والقصور. اما مصطلح "أسوف Asuf" فينتشر في أنهار الطوارق، بينما نجده في المناطق الزناتية باسم " سوف "Suf[3]

على أن خصوبة الأرض تشكل في كثير من الأحيان دافعا للاستقرار، وتعلق الإنسان بمكان معين وارتباطه بلون معين ينعكس على تسميته، مثل نوعية التربة، وقد تستخدم الألوان للدلالة على الأماكن مثل: عين البيضاء، الحمرا، الكاف لحمر، جبل لخضر... وتشكل هذه الأسماء أساسا من خلال ربط هذه الخاصية مع نوع المكان (جبل، نهر، عين...)، أو اللون المميز له[4]، لذلك لا يمكن عزل أي لفظة أو تسمية، تدل على علم جغرافي أو بشري خلال البحث في مضامينها ومعانيها، عن إطارها البيئي، وعن محيطها الاجتماعي الاقتصادي، وعن المؤثرات التاريخية والحضارية، وعن الخصوصية اللغوية والتعابير واللهجات المحلية المتداولة[5]. وهذا ما ركز عليه عمل لاوست Laoust[6] فيما يخص المفردات البحرية في اللغة البربرية الخاصة ببعض الجماعات البربرية بالمغرب الأقصى.

---

[1] Emile laoust, contribution a une étude de la toponymie du haut atlas adrar n deren d'après les cartes de jean Dresch, extrait de la revue des études islamiques année 1939, cahiers, 3,4, 1940, paris, 1942, p. 233.

[2] *ibid.* p. 253.

[3] *ibid.* p. 249.

[4] Mansour Margouma. La toponymie algérienne : lecture préliminaire de la dénomination de l'espace, *nouvelle revue d'onomastique*, n° 43-44/ 2004. Paris. p. 231.

[5] محمد البركة وآخرون. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي. ص 70.

[6] Emile laoust. Mots et Choses Berbères. Notes de Linguistique et D'ethnographie Dialectes du Maroc. Paris. 1920.

نجد أن هناك حقل معجمي للمصطلحات الخاصة بالحيوانات والأسماك، التي لها أسماء خاصة بمناطق معينة بالمغرب الأقصى قام بجردها لاوست، حيث يتم تسمية بعض الإسماك حسب لونها. من بين هذه الألوان، نحن لديك الأحمر والأصفر والأسود والمرقطة، بالإضافة إلى الحيوانات والحشرات كالعنكبوت والعقرب وأنواع النباتات. Abdallah El Mountassir. Ces voix et ces mots qui disparaissent. Le vocabulaire maritime berbère (tachelhit). *Revue des études berbères*, 10, (2015). (Berbère et arabe maghrébin. Etudes de linguistique et de sociolinguistique), centre de recherche berbère – lacnad, inalco, paris. p. 194 - 196.

وتشكل بحوث لاوست Laoust أهمية كبيرة في الدراسات الموجودة إلى حد الآن، حيث قدم ملاحظات حول المفردات البربرية النباتية، حسب تشكيل أسماء النباتات، وأصل بعض الأسماء، وطريقة تشكيلها، والمقارنة أو التنوع أو التباين بينها، (المظهر العام والشكل واتساق النبات، ورقة أو الجذعية، الجذر، نوع الفاكهة، اللون، الخ...)، وكل هذا يدخل في تنظيم المعجم الأمازيغي من النباتات وفقا لهياكل مماثلة لتلك التي تتواجد في اللغات الأخرى[1].

وفي نفس السياق لا يمكن لنا أن نعتمد على الطوبوغرافيا كليا، إذ لا يمكنها أن تقدم لنا إثباتا قطعيا في التفسير، لأن اسم المكان يمكنه أن يكون محتفظا بذكرى أسماء نباتية أو عمرانية لم تعد موجودة بذلك المكان، لهذا فإن استحضار العامل البشري والتاريخ المحلي بعين الاعتبار يمكن أن يقود إلى تفسير مقبول لاسم المكان. إذ يقول محمد البركة بوجوب تجاوز الدراسة البحث عن معنى اسم المكان إلى التساؤل عن سبب تسميته، فالطوبونيميا علم لا يقتصر على البحث الإيتيمولوجي étymologie واللغوي فقط، بل يتجاوزه إلى البحث التاريخي والاجتماعي[2]. أما بالنسبة لأسماء النباتات وخصوصا الأشجار فهي شائعة عموما في وضع الأسماء، فقد أعطيت أسماء أماكن وأقاليم ونواحيها حسب نوع النباتات والأشجار التي تنبت فيها.

وتبقى دراسة علم النبات البربري مهمة لا تزال شاقة للغاية محفوفة بالمخاطر. بالإضافة إلى حقيقة أن هذا المجال لا يزال بكر، فمن المؤكد أن أسماء النباتات، كما هو موجود في النباتات في بلاد المغرب، حيث تتواجد بكم كبير جدا وضخم مع ما تحتويه من أخطاء في النسخ من منطقة إلى أخرى، بالإضافة إلى تعدد واختلاف اللهجات من منطقة إلى أخرى، وما هو ما يؤدي إلى تعذر ضبط الكثير من المفردات.

ويبقى العمل الذي قام به لاوست Laoust الأكثر أهمية في الدراسات الموجودة إلى حد الآن، حيث قدم ملاحظات حول المفردات البربرية النباتية، حسب تشكيل أسماء النباتات، وأصل بعض الأسماء، وطريقة تشكيلها، والمقارنة أو التنوع أو التباين بينها، (المظهر العام والشكل واتساق النبات، ورقة أو الجذعية ، الجذر ، نوع الفاكهة ، اللون ، الخ ...)، وكل هذا يدخل في تنظيم المعجم الأمازيغي من النباتات وفقا لهياكل مماثلة لتلك التي تتواجد في اللغات الأخرى[3].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن انتشار هذه اللغة كان شاملا لكافة مجالات الحياة، فضلا عن امتدادها الجغرافي لمعظم أقاليم بلاد المغرب، ولعل أكثرها شيوعا وأقربها إلى الاستخدام، والذي يشكل عنصرا حيويا للحياة أيضا هو الماء؛ فنجد Lillen و Tililna هو اسم إله الماء الذي يرتبط اسمه بلفظة lil, Slil في الأمازيغية

[1] Mohand Tilmatine. Observations sur le vocabulaire amazigh (berbère) des plantes. january 2005. p. 2.

[2] محمد البركة . المرجع نفسه. ص 79.

[3] Mohand Tilmatine. Observations sur le vocabulaire amazigh (berbère) des plantes. january 2005. p. 2.

المعاصرة وتعني غسل بالماء، ومنها Illel اللفظ الأمازيغي الذي لا يزال يستعمل بمعنى البحر في زوارة بليبيا[1]. وهذا دلالة على انتشار اللسان البربري في أوساط القبائل حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي[2].

ولفظ الماء "أمان" منتشر في المجال الأمازيغي كله وبنفس الصيغة. ويبدو أنه قديم جدا إذ يعود إلى البدايات الأولى لبروز اللغة الأمازيغية، حيث توجد شهادات أثرية أكيدة تدل على وجود عبارة أمان لدى الأمازيغ خلال العصور القديمة، وإلى العصور الحديثة حسب بعض الدراسات، نظرا لأهمية الماء وكونه المسؤول عن الخصب لدى الإنسان والحيوان والنبات. وتبدو أهمية المياه في العصور القديمة بشمال إفريقيا من خلال تأليف الكاتب تيرتوليان Tertullien لمؤلف حول الماء سماه (Debaptima) أي التعميد، يتحدث فيه عن قداسة الماء وقوته الخلاقة والمخصبة والمطهرة حيث يقول "إن المياه الأولى هي التي توصلت بأمر إحداث المخلوقات الحية[3].

في الأخير يمكن أن نقول أن معرفة التحولات الطوبونيمية بالمجال الأوراسي في العصر الوسيط، عملية متكاملة بين الكثير من العلوم والتخصصات التي يمكن لها تفسير معاني الأسماء في هذا المجال، وأنه من الخطأ الاكتفاء فقط بما نجده في الأسطوغرافية العربية الوسيطية التي تكون قد نقلت من نصوص قديمة بطرق شتى، وليس بالضرورة أن تكون هذه النقول صائبة خاصة لدى الإخباريين المشارقة الأوائل، وهذا نتيجة ما يتميز به مجال الأوراس من خصوصيات محلية، وارتباطها بمكونات حضارية قديمة.

[1] محمد أوسوس. في البيولوجيا الأمازيغية. ص 15.

[2] المبروك المنصوري. المرجع السابق. ص 118- 119.

[3] مصطفى أعشي. المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط. ج1. ص 40- 41.

الفصل الرابع:

جغرافية التوطين بالأوراس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الجماعات السابقة للفتح الإسلامي بالأوراس.

1- المصادر

عرف سكان بلاد المغرب في العصور الوسطى تحولات كثيرة مست كل جوانبه وخاصة منها تلك المتعلقة بمكوناته الإثنية. غير أنها كانت بطيئة لم يكن من السهل الالتفات إليها أو معرفة تفاصيلها الدقيقة لأنها كانت تتطلب فترات زمانية كافية ليتم معرفة معالم هذه التغيرات، وقد شملت مناطق استقرار الجماعات والقبائل في المدن والقرى، كما لم تستثن الاقتصاد ونمط عيشها، وأهم هذه التغيرات ما تعلق بحركات الانتقال والهجرة، والتدافع القبلي المدفوع بمختلف الأسباب والعوامل، ولو أنه كان يهدف فيه عمومه إلى السيطرة على المجال المفضي إلى الملك والسيادة.

وقد اهتمت مختلف المصادر بهذه التغيرات منذ القديم، وتتمثل في النصوص اللاتينية والتي تمدنا بقائمة من القبائل التي كانت في الغالب ترتبط بعلاقات عدائية مع السلطة منذ عهد سيطرة قرطاجة إلى المدن الأميرية في المنطقة.

أما ما يميز العصر الوسيط فهو التنوع في المصادر إذا ما قورن بالفترات السابقة؛ فيمكن لنا أن نجد في هذه المرحلة النصوص والروايات التاريخية، وكتب الطبقات، والمصادر الجغرافية وكتب الرحلة، كما يمكن الاستفادة من كتب الفقه التي نستطيع من خلالها قراءة بعض التوزيعات وجغرافيا التوطين لبعض الجماعات، فضلا عن أن هذا النوع من المصادر قد يرسم لنا الحدود القصوى لمدى انتشار تعاليم الدين، وبعض المذاهب الإسلامية، واللغة، وبالتالي أسلمة المجتمع وتعريبه. نتحدث هنا عن حالة بلاد الغرب الإسلامي كجزء من منظومة العالم الإسلامي الذي بدأت تظهر معالم التغير في تشكلاته الاجتماعية والآليات التي يمكن بواسطتها قراءة وتحليل هذا التغير انطلاقا من هذه المصادر.

غير أن هذا لا يعني الوفرة في المادة الخبرية الخاصة بالأقاليم الطرفية والهامشية مثل "إقليم الأوراس" حيث تقتصر أخبار الجماعات والقبائل على سكان الحواضر والمدن دون الالتفات إلى هذه المجالات. إلا أن ذلك لا يعفينا من المحاولة من أجل رسم صورة عامة عن الواقع السوسيو- تاريخي لهذا الإقليم في العصر الوسيط باللجوء إلى تنويع المصادر المتاحة لتجاوز بعض العقبات التي يمكن أن تطرح في هذا الجانب. لذلك فإن مستوى ودرجة استغلال هذه المصادر والتي تختلف زمانيا من فترة إلى أخرى؛ لأن الكثير من معطيات هذه المتون لا تهتم بتاريخ القبائل بقدر ما تقدم لنا واقعا معاصرا لزمن التأليف عن جغرافية القبيلة أو طبيعة علاقاتها

مع السلطة أو قوى أخرى غير تلك المتعلقة بالسلطة السياسية. كما أن هذه المصادر لا تعطي نفس الانطباع والصورة عن جميع المناطق بل تنتقي مناطق دون أخرى.

2- كتب الأنساب والطبقات وجغرافية التوطين:

حول هذه النقطة ودون فتح المجال حول تقييم ونقد لهذه المصادر يكفي أن نشير إلى ما أكده عبد الأحد السبتي من أن مؤرخ المجتمع سوف يتخذ مسافة مضاعفة: فالكتب الإخبارية تقتصر على ما يجري في دائرة الحكام، والتراجم تؤرخ لمشاهير الرجال، وإذا كانت كتب المناقب أقرب إلى قاعدة المجتمع، فإن أسلوبها يضع القارئ في مناخ الكرامات والخوارق[1]، وفي نفس السياق يعتبر ليفي بروفنسال[2] أن مؤلفات الأنساب هي مجرد لوائح مملة من الأسماء، وضعت لمجاملة بعض البيوتات وبقصد تخليد ذكراها. وهذا ما يعقد أكثر من مسألة الوصول إلى حقيقة الشرائح الاجتماعية الدنيا التي تتشكل منها العامة بعيدا عن تاريخ النخب.

تعطينا الكتابات الإباضية في العصر الوسيط صورة عن هذا النموذج من الكتابات وهي التي ظهرت وسط أيديولوجية كانت تعتمد على مطالب العدالة الاجتماعية وجعلتها كخلفية لإبراز شخصية هذا المكون الذي أصبح يشكل جزءا هاما من مجتمع بلاد المغرب، وتبرز هذه المصادر[3] فضل البربر ومناقبهم، كما أشارت إلى علاقتهم بالإسلام وذلك في سياق النصوص المنقبية التي تتميز بها هذه المصادر، ويدخل هذا الخطاب في إطار رد الاعتبار للبربر وردا على سياسات الأنظمة اتجاه الجماعات الإباضية التي نالها الكثير من خصومها.

فكتب السير الإباضية تعكس التطور الفكري وتؤكد هوية المجتمعات المحلية للخلافة الإسلامية، وتدرج ضمن كتب الفضائل والمناقب للعلماء والأولياء الخاصة بالنخب الإباضية الوهبية. وهي نصوص تسلط الضوء على حياة النخب وعلاقاتها بالجماعة الإباضية، جمعت في أوقات مختلفة، واستطاعت الحفاظ على الذاكرة الجماعية للنخب السائدة والحاكمة للإباضية الوهبية[4].

ويتضح أن الخطاب التاريخي لهذه المصادر (ابن سلام وأبو زكريا) قد نقلوا أيديولوجية هذه الجماعة التي تضع البربر في سياق الأحداث العامة للخلافة الإسلامية، وربط أصولهم بهذا السلف انطلاقا من علاقاتهم

---

[1] عبد الأحد السبتي. مصادر التاريخ الاجتماعي. تساؤلات حول مستويات النص التاريخي التقليدي. في النهضة والتراكم. دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني. دار توبقال. الدار البيضاء. 1986. ص 317- 318.

[2] Évariste Lévi-provençal. *Historiens des Chorfâ essai sur là littérature historique et biographique au Maroc du xvi e au xx e siècle*. Emile Larose, Paris. 1922. p. 47- 49.

[3] سنشير إلى هذه المصادر في فصل الجغرافيا المذهبية.

[4] Allaoua Amara. « Remarques sur le recueil ibāḍite-wahbite siyar al- mašā'ih : retour sur son attribution ». *Andalus, Magrib*, 15 (2008). p. 35, 39- 40.

بالصحابة ثم إيجاد أصول تاريخية للمذهب تعود لهؤلاء الأئمة الكبار التي وضعها ابن سلام والتي تعود إلى الصحابة الأوائل كأبي بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وحقيقة الخلاف مع عائشة التي نقل عليها حسب هذه المصادر أحاديث تخص البربر.

ولعل هذه الفترة تمثل بداية تشكل اتجاه لدى البربر بضرورة مشاركتهم الملك بعدما خاب ظنهم من السياسة الأموية، وأصبحت بلادهم تشكل جزء من منظومة جديدة هي منظومة الخلافة الإسلامية.

تقدم كتب الطبقات الإباضية الوهبية جغرافية القبائل البربرية في كامل بلاد المغرب وليس فقط في الأوراس، كما تسمح لنا بمعرفة بطونها وفروعها التي انتشرت وغيرت مواطنها بفعل الضغوط والإكراهات السياسية الناتجة عن الانقسامات أو نتيجة عوامل اقتصادية وحتى مذهبية، هذه الأخيرة التي وحدت جغرافيات متباعدة تحت ولاء واحد هو الإقرار بسلطة الإمام بتيهرت عبر أقاليم جبل نفوسة وجبل دمر ونفزة وقسطيلية والزاب، وهي موزعة على مختلف الحواضر والقرى، كما ترتبط أسماء هذه القبائل في أغلبها بالأصول البربرية القديمة.

وهذه النصوص الإباضية في نظر البعض معظمها تروم إبراز صفات البربر التي أصبح يتباهى بها المؤلفون الإباضيون ومفتخرو البربر، وأرادوا جميعا تسليط الضوء على التفوق العسكري للبربر الذي سمحت لهم أن يكونوا في طليعة الدفاع عن الإسلام. ولا يقتصر حسبهم الأمر على العرب فقط، وهي صورة إيجابية عن البربر من أجل أن يكون لهم شرعية تاريخية في علاقتهم بالإسلام[1].

3- ابن خلدون

قلما نجد دارسا للبربر دراسة شاملة مثلما فعل ابن خلدون المؤرخ الذي كان على مسافة قريبة جدا مع الكثير من الجماعات البربرية في القرن الثامن الهجري/ 14م. ونتيجة اعتماده على مصادر مختلفة تخص تاريخ وأنساب البربر[2] فقد عرف أنماط عيشهم وقال الكثير عن أصولهم وفصل في ذكر قبائلهم الكبيرة وأهم

[1] Boutheina Ben Hassine. « *L'image des berbères dans les sources ibadites* ». Géographie historique du Maghreb antique et médiéval : état des lieux et perspectives de recherches. *Colloque international du laboratoire de recherche «occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval».* Sousse, Tunis, 14, 15, 16 mars (2014). p. 290-293.

[2] ذكر ابن خلدون أهم علماء الأنساب البربر الذين نقل عنهم ومنهم: ابن حزم الذي نقل عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار ، وهو الذي نقل عن يوسف الوراق. إضافة إلى سابق بن سليمان المطماطي ، وهاني بن مسرور، والكومي، وكهلان بن أبي لؤي. ديوان العبر. ج6. ص 117-118.

بطونها وفروعها الأخرى؛ فهم من الكثرة بحيث "ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره..."[1].

ابن خلدون ينفي تماما الكثير من القصص الأسطوري البعيد عن الواقع حول ما أثير عن أصول البربر ونسبهم إلى ولد إبراهيم[2]، أو "أنهم من نسل جالوت أو العماليق، وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا، فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة. إذ مثل هذه الأمة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض. لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام"[3].

فيما كانت الرؤية الخلدونية للقبيلة قائمة على أساس نظرية (العصبية)[4] التي تمثل منطلقا منهجيا لتفسير توليد الدولة من رحم القبيلة في المغرب الوسيط. ويمكن سحب النموذج الخلدوني على الفترات السابقة له، باعتبار أن القبيلة بقيت إحدى الثوابت الأساسية في تاريخ المغرب الوسيط[1].

---

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 116.

[2] حول أصول السكان يظهر صدى المقولات القديمة حول الأصل الشرقي للبربر الموجودة في النصوص العربية الوسيطية؛ وأن أصلهم من جالوت هاجروا للمغرب وهي الأحداث التي يرويها ابن خلدون نقلا عن مجموعة من النسابة البربر والمصادر المشرقية كالمسعودي والطبري. ولذلك نجد أثر هذه النصوص لدى بعض القبائل البربرية التي أطلقت على نفسها نسب عربي مثل صنهاجة وكتامة الذين يعتبرون أنهم ليسوا بربرا ولكن قدموا من حمير من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. وهي القبائل التي أرسلها إفريقش الذي أعطي اسمه لإفريقية. أما ابن خلدون فيقسم البربر إلى قسمين رئيسيين ويقول حول هذه المسألة : "وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس. ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معاً إبناً برنس. وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد؟ فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد. وقال سابق بن سليمان المطماطي، وهاني بن مسرور واكومي وكهلان من أبي لوا وهم، نسابة البربر: إن البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان. والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان وربما نقل ذلك أن أيوب بن أبي يزيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق". ديوان العبر. ج6. ص 117.

Mohamed Meouak. « *Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb : l'apport de la toponymie et de la philologie* ». Rocznik Orientalistyczny, lxvi, z. 1, (2013). p. 68-70.

أما مسألة إلحاق الأنساب إلى الأصول المشرقية فإننا نجد أن الكثير من القبائل البربرية ونتيجة لتغير موازين القوى الجديد الذي أفرزته الفتوحات الإسلامية بعد القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي تحاول إلحاق نسبها إلى بلاد المشرق.

و للمزيد حول أهم النظريات التي ناقشت مسألة أصول البربر خاصة في النصوص القديمة من سالوست وهيرودوت وسترابون وبطليموس وغيرهم يراجع: عقون محمد العربي. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. ص 183 – 188. غابريال كامبس. في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ. ترجمة العربي عقون. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. ط2. 2012. ص 33- 36.

[3] المصدر السابق. ج6. ص 126- 127.

[4] كتاب العمران لابن خلدون اعتبر منهلا للمفكرين في مختلف التخصصات وتشكل نظريته حول العصبية القبلية سبقا فكريا في عصره وما تلاه من القرون بل لا تزال تشكل مبعثا للكثير من الدراسات. ونجد في ثنايا هذا المؤلف (العمران) الكثير من الفصول والأبواب حول أسس وقواعد نظرية ابن خلدون التي تتعلق بالعمران البدوي وأسس تشكل العصبية وشروطها وتشكل الأنساب وعلاقة العصبية بالرياسة والملك . المقدمة. الفصول والأبواب المتعلقة بالعمران البدوي والعصبية والملك والخلافة. وقد عالج محمد عابد الجابري إشكاليات العصبية في مؤلفه فكر ابن خلدون:

يقسم ابن خلدون شعوب البرانس حسب النسابين إلى سبعة أجذام، وهي: "أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة". ويضيف أن سابق بن سليم واصحابه زاد "لمطة وهسكورة وجزولة"[2]. أما شعوب البتر "وهم بنو مادغيس الابتر فيجمعهم أربعة أجذام: أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر. وكلهم بنو زحيك بن مادغيس"[3].

لكن المشكلة تتمثل في مدى صحة هذا التقسيم الغامض[4]، فقد يستند إلى عوامل طبيعية جغرافية بين سكان السهول المتحضرين والجبليين الشبه رحل وقبائل صحراوية لا تعرف الاستقرار وهي دائمة الارتحال، غير أن هذا التقسيم بين البتر والبرانس فهو محاولة مماثلة مع تقسيم العرب إلى عدنانية وقحطانية. ووصل هذان الفرعان بالاستقرار أو الارتحال. وجعل كل فرع مختصا بنمط عيش واحد ومحدد طول التاريخ وهو توجه لا يتماشى والواقع الاجتماعي للأمازيغ في العهد الوسيط.

ولذلك ينبغي قراءة الموضوع من زاوية مختلفة، ولعل تتبع الأصول التاريخية لمجتمع البربر في العصر الوسيط وإيجاد الروابط التي تصله بالفترة القديمة كفيلة بتفكيك هذه العلاقة وفهمها؛ لأننا نجد أن هناك قطيعة

العصبية والدولة. معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط6. 1994. حول نظرية العصبية والصراع العصبي. ص 163– 178. والعصبية والملك وأنواع السياسات. ص 179– 195. وعلاقات العصبية بالدولة وتطورها. ص 211– 233.

[1] محمد حسن. القبائل والأرياف. ص 12. عبد الله العروي يعطي للقبيلة مفهوما دقيقا يخالف فهم المدرسة الاستعمارية لها، ويرى أن على الباحث أن يصف القبيلة، في كل مظاهرها وبجميع تقسيماتها المتنوعة، في ظروف ظهورها، ابتداءً واستئنافا، أي بعد الغزو الروماني. ليس من حقه أن يتصورها كقاعدة ثابتة تمثل أصل التاريخ المغربي. لعبت القبيلة دورا خطيرا طوال ماضي المغرب، لا لأنها كانت أساس تطوره أو ركوده، بل لأنها كانت الجواب المبتدع أو المستعار، والأمر واحد في نهاية التحليل على المحاصرة الرومانية. وهو جواب جدلي ذو وجهين: وجه الثبات والدوام ووجه الانتقال والتجاوز، ووجه الحفاظ على الذات والتعلق بالتقاليد، ووجه انتظار الفرصة لاجتياز السد الأمني. العروي. مجمل تاريخ المغرب. ج1. ص 101.

[2] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6 .117.

[3] المصدر نفسه. ج 6 .118.

[4] يرى محمد حسن أن تقسيم ابن خلدون غير ثابت لأن صاحب المقدمة لم يكن فقط شاهد عيان لحالة البربر في عصره، إنما أرخ أيضا للأحداث السابقة، معتمدا في ذلك على المصادر الكتابية والشفوية، بما فيها من خلط بين الأسطورة والحقيقة، وبالتالي فإن هذا التقسيم يحتوي على كثير من العناصر الخيالية والمخطئة، .... ففضلا عن صنهاجة البرنسية تنقسم إلى مستقرين في الشمال، ورحل (صنهاجة اللثام). وكذلك انقسمت زناتة إلى بدو السباسب العليا بالمغرب وسكان الواحات المستقرين. كما ان انتماء نفوسة إلى المجموعة البترية لم يمنع من أنها أخذت شكلا قرويا مميزا مثل جبل أوراس وجبل سلات. محمد حسن. القبائل والأرياف. ص 11 12. كما أن التقسيم إلى بدو وحضر مسألة فيها نظر؛ فتقسيم الأمازيغ بين صنف متحضر يدعى البرانس، وصنف آخر يسكن البادية، وهو المعروف بالبتر، تقسيم مصطنع لا ينبني على أسس مقبولة تؤكد صحته. كما أن قبائل البتر لا تعيش كلها على حياة التنقل والترحال، فمدغرة مثلا وكومية مستقرون في الاكواخ ونفوسة فلاحون مستقرون وكذلك جراوة. رحمة تويراس. تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى. هامش رقم 2 ص 153.

Richard w. « Bulliet, botr et bernes. Hypothèses sur l'histoire des berbères ». *Annales*. (1981). p. 104-106.

وبتر في المصادر المشرقية التي تغافلت عن هذا العنصر وتعاملت مع البربر انطلاقا من خلفياتها ونظرتها للمنطقة التي لم يكونوا على دراية كافية بتاريخها إطلاقا. وهذا ما نجده في الكثير من المصادر.

من هنا فالدعوة إلى إعادة النظر في هذا التقسيم بين الرحل والمستقرين لا يتماشى والواقع الاجتماعي في العهد الوسيط. وهو تقسيم يحتاج إلى مراجعة خاصة عند ربط هذين الجذمين بنمط العيش وبالحل والترحال. ومن غير المعقول الحديث عن زناتة وهي تحتل شريطا ممتدا من جبل نفوسة إلى المحيط الأطلسي، بصفتها قبيلة واحدة ذات ثقافة واحدة ونمط انتاجي واحد وعلاقات اجتماعية وسياسية واحدة، ثم وصف هذه القبيلة بالبداوة المعطلة لحركة التحضر والانتقال إلى الملك[1].

4- **النصوص الجغرافية**

تتواصل إشكالية البربر في المصادر إلى النصوص التاريخية والجغرافية والأنساب الوسيطية فابن حوقل مثلا يقول: "والبربر السكان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري"[2]. ثم يضيف "ولو قلت أني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور والعلماء بأنسابهم وأخبارهم وآثارهم هلكوا وكنت قد أخذت عن بعضهم رسوما أثبتها ولم أرجع منها إلى غير ما قدمته من ذكر قبائلهم"[3].

إلا أن أغلب المصادر الجغرافية تتفق على مسألة الانتقال والهجرة ونمط الانتجاع الذي كانت تخضع له الجماعات البربرية؛ فعند البكري نلتقي بجموع مصمودة في ستة مواضع وبزناتة في أربعة عشر، بينما نجد صنهاجة في خمة وعشرين موقعا، وهوارة في خمسة عشر، وفي عدة مواطن. ويشير تراكم الأسماء إلى تعايش المجموعات المختلفة في نفس الناحية. فقابس وطبنة وبونة ومسيلة وتاهرت، كل هذه المواقع على غرار مدينة فاس في تاريخها المبكر، تشكل مراكز حقيقية لتواجد عينات مختلفة[4]. ولم تكن القبائل لتستقر بالأوراس وتتم عملية التوطين إلا بالاستيلاء على المجال، وهذا يتطلب انتزاعه من القبيلة المستقرة فيه، وهي عملية تستلزم توفر

[1] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص 156 157. المبروك المنصوري. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. ص 156- 157

[2] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 100.

[3] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 107. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1957 . ج 1، ص 203- 204.

[4] جاك بيرك. في مدلول القبيلة بشمال افريقيا. الانثروبولوجيا والتاريخ. حالة المغرب العربي. ليليا بنسالم وآخرون. ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. 1988. ص 120.

عناصر قوة العصبية بمختلف أشكالها. فليس من السهل انتزاع الأرض من قبيلة جبلية استوطنت فيه مدة من الزمن لقبيلة أخرى.

لذلك ليس من السهل تحديد الجغرافيا القبلية للأوراس طيلة العصر الوسيط وخاصة في القرون الأولى التي تلت مرحلة الفتح الإسلامي حيث انتشار حالة عدم الاستقرار في كل الميادين بالإضافة إلى كثرة البطون والفروع القبلية وتشعبها مما يصعب عملية تفكيك هذه البنية وتصنيفها، فضلا على نمط العيش المتبع من قبل هذه الجماعات.

5- الدراسات الحديثة

تأتي الدراسات والمقالات العامة حول البربر من مدرستين تاريخيتين: الأولى هي المدرسة الاستعمارية والتي تدور أغلبها حول التقليل من دور "السكان الأصليين"، وتمنح المستعمر مبررات تاريخية أنه يقوم بمهمة حضارية اتجاه هذه المجتمعات. لكن المدرسة المغاربية الجديدة في التاريخ ستحدث تغييرات كثيرة على مستوى أدوات البحث وعلى مستوى التحليل.

فالعمل الذي قام به **إيف موديران**[1] Modéran يعتبر مرجع لا غنى عنه لدراسة القبائل المورية والتي كرسها لتاريخ قبائل البربر من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي، ويشكل مدخلا هاما يمكننا من خلاله إيجاد آثار لحركات القبائل المستمرة والهامة من الشرق إلى الغرب، وكانت هذه القبائل الطرفية التي صادفت الفاتحين العرب هي الأولى التي مسها التحول الجديد للإسلام، ثم تستمر في لعب دورا كبيرا في المرحلة الثانية من العمليات العسكرية للتوسع غربا، ولكن قبل الفتوح الإسلامية لا توجد مؤشرات على اختراقها للأراضي الإفريقية أو نوميديا[2]. مما يدل على أن هذه القبائل قد تحركت بفعل عوامل ناجمة عن أحداث القرن السادس والسابع الميلاديين، وهو ما يؤدي إلى تغيرات في النسيج الاجتماعي للمناطق المفتوحة بفعل هذه الأحداث.

وتشكل دراسة إيف موديران منطلقا لدراسة جغرافية القبائل المورية لمرحلة ما قبل الفتح الإسلامي في مجال الأوراس وعلاقاتها مع البيزنطيين وممالكهم وأنماط عيشهم، ويستمر مؤرخ القبائل المورية في بلاد المغرب في القرون الوسطى (موديران) في توضيح فترات التاريخ القبلي من "المغاربة"؛ وحسب ما يرى فإن القبائل البربرية كانت تعيش ديناميكية مكانية مهمة جدا في جميع العصور القديمة، اعتمادا على دراسات ابن خلدون

[1] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*.. Id, « mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique.

[2] Yves Modéran, « Mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique: à propos d'un texte d'ibn Khaldûn », *Revue historique*. 2 . 618. (2001). p. 319.

ونظريته حول قبائلهم المقسمة إلى بتر وبرانس. لذلك فإن هذا الكتاب هو مصدر ثري لدراسة القبائل البربرية[1].

وإذا ما قورنت هذ الدراسة الخلدونية بالنصوص القديمة حول توزع وانتشار هذه الجماعات التي ورد ذكرها في هذه النصوص القديمة أو المتأخرة، والتي نقل عنها كوريب يجعل من المستحيل ذكرها جميعا لأن الكثير منها غير معروف تماما، وما ذكر فقط هو مجموعات كانت تتمتع بأهمية وقامت بأدوار كبيرة[2].

أما ما تعلق بمسألة التعامل مع المصادر القديمة فإن موديران يلح على الحذر فيما يتعلق باستخدام مصادر مثل كورييبوس الذي قد تجعله أدبيته وشاعريته وأسلوبه الملحمي يشير إلى الشعوب التي تنتمي في الواقع إلى قصة قديمة. وفي مجال جغرافي أوسع ودور آخر غير الذي قامت به. فيؤدي ذلك إلى تشوه الحقائق التاريخية عند اقترانها بالأسطورة وملاحم المحاربين وانتصاراتهم[3].

وقد قام بتصنيف أكبر هذه المجموعات البربرية اعتمادا على معطيات وحجج جغرافية جديدة ومن مصادر كلاسيكية (كورييبوس)، ويميز بين ثلاث مجموعات كبيرة:

المجموعة الأولى يقودها أنتالاس، كانت تنتشر في إقليم البيزاسان، وعلى نحو أدق في الجنوب الغربي من هذه المنطقة. وكانت تتألف من قبائل إفريقية[4].

المجموعة الثانية هي المجموعات التي تحالفت مع زعيم الأوراس، Iaudas وتنتشر في إقليم نوميديا والهوامش الصحراوية.

أما الثالثة فهي تتألف من جماعات غير معروفة بالتحديد، تنتشر في جنوب تونس ومناطق من ليبيا الحالية، والتي ستعمر مجالات نفوسة فيما بعد، وهي جماعات كانت تمتلك القدرة على اختراق مجالات البيزاسان، والبروقنصلية[5].

فيما بعد ظهرت دراسات غابريال كامبس (Gabriel Camps)[1] الذي يرى أن أخبار البربر همشت من الروايات المشرقية، ويشدد على إعادة النظر في تاريخ هذه القبائل وإعطائهم المكانة الأساسية في تاريخ المنطقة. أما ديسانج J. Desange فقد وضع جدولاً لـــ القبائل البربرية في العصور القديمة ومناطق انتشارها[2].

---

[1] Boutheina ben hassine. Le peuplement au Maghreb médiéval. 259- 260.

[2] Yves Modéran. *Les Maures et l'Afrique romaine*. p. 43.

[3] *ibid*. p. 85.

[4] *ibid*. p. 85.

[5]. *ibid*. p. 85- 86.

في حين أن **هشام جعيط** يرى أن شعوب البربر، وإثنياته، وقبائله كانت تكون شبكة معقدة ومتحركة خاصة زمن الفتح الإسلامي وما بعده، لذلك كانت تعرف بعدم استقرار، فانتقلت بعض القبائل إلى المغربين الأوسط والأقصى. وتفتت أخرى فاندمجت بقاياها في تجمعات قبلية أكثر استقرارا مساهمة بذلك في تغييرها. كما قام بتحليل عمليات الفتح العربي الإسلامي للمنطقة المغاربية، وسيطرة النخب العربية التي فرضت نظام إداري وجبائي همش البربر الذي كان أكثر عددا وبمختلف مكوناته سواء كانوا مترومنين أو مرتبطين بالمسيحية بشكل ما، وهي حالة بعض الفصائل من البرانس المستقرين، أو يعيشون مستقلين، فقد حافظ العنصر البربري على تركيبته القبلية، بل وازداد تمسكا بها مع الإسلام[3].

غير أن محمد الطالبي[4] بالنسبة للمرحلة المتقدمة من العصر الوسيط فقد كرّس عمله للديناميات الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة الأغلبية؛ إذ يرى أنه منذ أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، بدأت تظهر علاقات عديدة تحدد الصلات القائمة بين إفريقية والشرق، سواء بواسطة العنف أو الإقناع، بينما تفككت بصورة جدية الوصاية، تحت تأثير عوامل متنوعة، في انتظار أن تلغى نهائيا. كما أمد البربر المشرق أيضا بالجند الذي قاتل منذ وقت باكر في سبيل الله، وكان عددهم ألفين سنة 65هـ/ 684م وارتفع عددهم إلى 12000سنة 82هـ/ 701م. بقيادة حسان بن النعمان[5]، وفي خلال هذه العلاقات يصبح البربر كمكون رئيسي لا يمكن تجاوزه في الحياة السياسية لإفريقية.

أما محمد حسن في كتابه حول "القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط" قدم قراءة في مفاهيم "القبيلة" المغربية انطلاقا من الموروث التاريخي القديم[6]، ثم حاول الربط بين القبيلة ومجال الريف من خلال أنماط

---

[1] Gabriel camps. « Comment la Berbérie est devenue le Maghreb arabe ». *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, 35, 1983-1. Edem *Massinissa. Aux origines de la Berbérie: Massinissa ou les débuts de l' histoire*. Arts et métiers graphiques, (1960).

[2] Jehan Desanges. Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar, 1962.

[3] هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص 156.

[4] التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 668- 669 .

[5] محمد الطالبي. المرجع نفسه. ص 48- 52.

[6] أما بالنسبة للقبائل الصحراوية والجبلية الأخرى فقد حدد عبد الله العروي خطأ التصنيف الذي اعتمدته المدرسة الكولونيالية في تعريفها للقبيلة، ثم إسقاطها المفاهيم الخاصة بها بمجتمع البربر في العصر الوسيط. ويقول أنه من العبث رسم لوحة اجتماعية للمغرب القديم اعتمادا على المؤلفات اليونانية والرومانية لأنها لا تتعدى في كل الأحوال الأسماء إلى المسميات، ويبرر ذلك بأن مؤرخي عهد الاستعمار يرون أن تاريخ المغرب هو "تاريخ قبائل"، فأي فائدة في هذا القول ما دمنا نعلم أن القبيلة تعني أشياء مختلفة جدا؟ نطلق كلمة (القبيلة) على تنظيم الرحل الجمالة، أي على نظام اجتماعي شامل يلائم وحده المحيط الصحراوي الصرف، ونطلقها أيضا على سكان الجبال، أي على مجموعة قواعد تخص المعيشة والسلطة وتهدف أساسا إلى ضمان التوازن والأسر، ونطلقها أخيرا على سكان السهول والهضاب، أي على تنظيمة أسامي ورموز تصلح فقط لتصنيف التجمعات السكانية. كلمة واحدة نعبر بها عن مضامين مختلفة، كلمة مجردة إذن من أي مضمون محدد، فكيف نستطيع أن نفسر بها الأحداث؟ إذا انطلقنا،

الإنتاج الفلاحي وأعطى تفاسير للصراع بين القبيلة وسلطة الخلافة مبرزا دور هذه القبائل في المجالات الطرفية على أساس علاقاتها بمذهب الخوارج الإباضية ثم خصص قبيلة نفوسة كنموذج في علاقاتها مع السلطة الفاطمية والزيرية[1].

في حين كان مؤلفه "المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي"[2]، مرجعا لتناول تشكل المجالات المختلفة بإفريقية بدءا بالمجال القبلي وحركة القبائل الهلالية عبر مدن وأرياف المنطقة، وأهم العلاقات التي تربط بين عالم البادية والمدن، من خلال الإنتاج الحرفي ولأهم المبادلات بين المجالين، والتي ستحدد نمط عيش هذه القبائل.

مسألة هامة وشائكة تحتاج المتابعة الدقيقة مع الاستعانة بتخصصات أركيولوجية ولسانية وغيرها هي تلك التي طبقها أحمد مشارك[3]، حول استمرارية أسماء القبائل وتوطينها منذ العصور القديمة، وفي دراسة حول العديد من القبائل مثل صنهاجة وبعض بطونها مثل مسوفة والتي تنتمي إلى اتحاد قبلي يسيطر على المجالات الجنوبية لبلاد المغرب، وانخرطوا في تجارة القوافل واستغلال الملح وتتحكم في المسالك الصحراوية، وقد اعتمد مشارك على النصوص الجغرافية لكل من اليعقوبي[4] ومؤلف مجهول صاحب الاستبصار[5] لتحديد مجالات صنهاجة بالمغرب الأوسط والتي تقع غرب مجال الزاب في كل من "هاز" و"متيجة". وهي مجالات كانت تحت نفوذ موريطانيا القيصرية. أما بالنسبة لمسوفة التي توسعت نحو شمال المغرب وبلاد الأندلس فقد ظهرت على مسرح الأحداث منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وانتشرت في الكثير من المناطق مسببة اضطرابات كثيرة وقلاقل للدولة الموحدية خاصة بعدما تحالف بنو غانية مع بعض القبائل العربية بالمغرب الأوسط وإفريقية[6].

كما يفعل المؤرخون التقليديون من مفهوم القبيل العام، إما كفرضية قبلية وإما كنتيجة استقرائية، معتبرين إياها الأساس الذي شيد عليه المجتمع المغربي. ثم يقدم العروي رسمًا بيانيًا يتمثل في اضطرابات الهجرة وتحركات قبائل صنهاجة ومصمودة ويؤكد دور الإمبراطوريات المرابطية والموحدين في تشكيل خريطة جديدة للقبائل (هجرة مصمودة وهنتاتة إلى إفريقية). عبد الله العروي. مجمل تاريخ المغرب. ج1. ص 93- 99.

[1] محمد حسن. القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط. ص 7، 23، 99.

[2] محمد حسن. المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. ج1 و2.

[3] Ahmed M'charek. « De tacite à ibn khaldûn ». *op. cit.* p. 242- 244.

[4] البلدان. ص 189- 192.

[5] الاستبصار في عجائب الأمصار. ص 129- 136.

[6] Ahmed M'charek. « De tacite à ibn khaldûn ». *op. cit.* p. 241- 242.

أما الدراسة التي تهمنا أكثر في هذا الجانب فهي تلك المتعلقة باستمرارية طوبونيميات جماعات "هوارة، وزناتة"[1] في الأوراس والمناطق التي تنتشر فيها هذه الجماعات، من خلال تتبع تطور هذا الاسم عبر مختلف المراحل والحضارات.

ثانيا: القبائل المورية بالأوراس.

كانت بلاد المغرب منذ القديم مجالا لازدهار **القبيلة**[2] التي ارتكزت عليها مختلف الممالك التي تأسست فيها، واعتمدت هذه القبائل في قوتها على قوة عددها من الأفراد، وما يقدمه لها مجالها من امتيازات جغرافية؛ كتوفر الأراضي الصالحة للرعي والزراعة، والإشراف على المسالك والطرق ومراقبتها، سواء ممرات تحرك القبائل الرحل وأنصاف الرحل، أو الطرق التجارية، وخصوصا تأمينها للربط بين مجالات مهمة في التجارة المتوسطية-الصحراوية[3].

لذلك لا يمكن دراسة البربر في العصر الوسيط دون الرجوع إلى الفترات السابقة، حيث عرفت المنطقة مراحل مختلفة من الهجرات والتوطين منذ عهد الروم، والبيزنطيين، والأفارق، والبربر، المسيحيين منذ فترة طويلة، وأخيرا البربر من القبائل المتزايدة على نحو كثير ولكنهم كانوا من المستقرين في معظم الحالات[4].

بالعودة إلى سكان الأوراس قبل الفتح الإسلامي فإن المنطقة كانت مجال لتوطن مجتمع روماني في الحصون والحواضر المنتشرة في مختلف أرجائه. نرى ذلك من خلال الدراسات التي لا تزال نادرة حول طبيعة هؤلاء السكان وتوزعهم بالمنطقة، فضلا عن أن نعرف أصولهم، وفي هذا الجانب يقدم (Agnès

---

[1] Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie », *op. cit.*

[2] مشكلة المصطلح يطرح بحدة في مسألة **التوطين** وتوزيع الجماعات والقبائل بالأوراس في العصر الوسيط انطلاقا من النصوص الإخبارية وكتب التاريخ العام والحوليات والنصوص الوصفية العربية الوسيطية، وذلك للاختلاف الشاسع بين البيئة العربية ومنطلقاتها، والسياق العام الذي ظهرت فيه الكتابة التاريخية العربية والتاريخ المحلي للأوراس الذي لا يمكن أن نسقط عليه نفس الرؤية المشرقية خاصة في مكوناته الإثنية. ولعل **مفهوم القبيلة** يشكل أحد هذه العقبات؛ فالقبيلة تعرف أنها:

الطبقة الثانية من طبقات الأنساب على المشهور. وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر. وإنما سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، وتسمى دائما باسم الأب الوالد لها، أو يطلق لفظ البنوة عليها، فيقال بنو فلان أو يعبر عنها بآل فلان. وجمعها قبائل وهي تجمع العمائر. وتوجد الكثير من المفردات التي تحمل معاني لتركيبة اجتماعية معينة كا**لجذم** و**الجمهور** و**العمارة** و**البطن** و**الفخذ** و**العشيرة** و**الرهط** وغيرها من المفردات. فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. العشيرة بين التقليدي والحديث. ص 23 – 26.

[3] عبد العزيز أكرير. تاريخ المغرب قبل الإسلام. الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني قراءة جديدة. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. المغرب. 2007. ص 106- 107.

[4] Hicham Djaït. « La Wilāya d'Ifrīqiya au IIe/VIIIe siècle: Étude institutionnelle (suite et fin) » . *Studia Islamica*,. 28 . (1968). p. 79.

groslambert)[1] دراسة أونوماستيكية لعينة من المجتمع المدني لسكان لمباز بإقليم نوميديا. فقد ساعدت التطورات السياسية الاقتصادية المواتية ليتحول هذا المركز الذي تعود أصول نشأته إلى مركز للفيلق العسكري ليتحول بعد ذلك إلى مركز حضري مهم يجمع طبقتين من المجتمع؛ مدني وعسكري.

[1] Agnès groslambert. « Population civile à Lambèse: étude onomastique ». *Revue des études anciennes.* 105, (2003). p. 177- 179.

توطين قبائل المور ببلاد المغرب

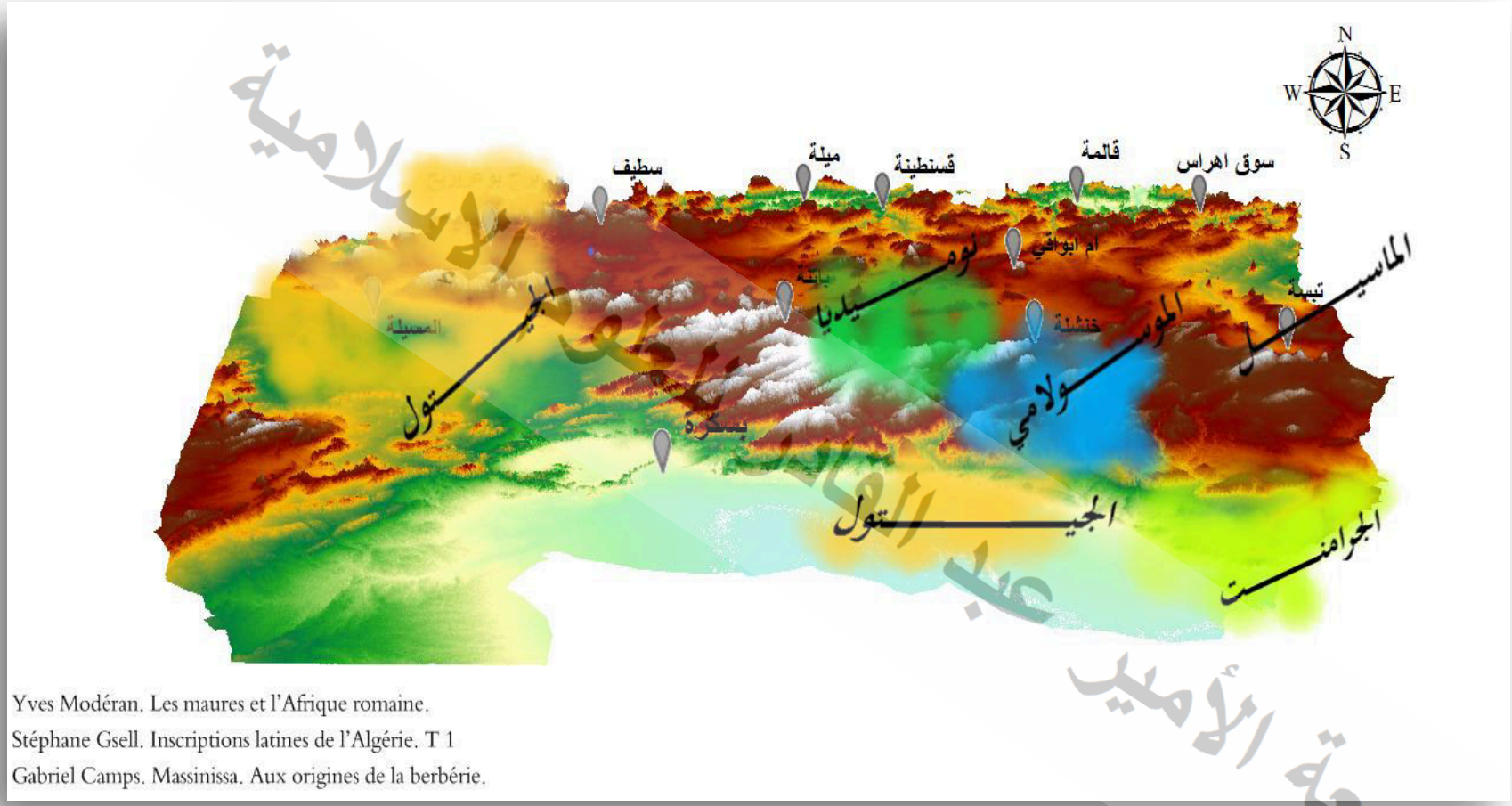

Yves Modéran. Les maures et l'Afrique romaine.
Stéphane Gsell. Inscriptions latines de l'Algérie. T 1
Gabriel Camps. Massinissa. Aux origines de la berbérie.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما عن تكون ممالك المور الأولى فكان للجغرافيا أثر كبير في طبيعة توزيعها وتقسيم مجالات الجماعات البربرية ورسم حدود علاقاتها، فقبائل "الموسولامي" التي كانت تمتد إلى حدود تونس (75كلم شرق تبسة) نجدها تمتد إلى منطقة مداوروش محاذية لقبائل "الجيتوليين" في الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية أين عثر ستيفان قزال على كتابات عديدة، وهي نقود رسمية من عهد الإمبراطور ترايانوس. هذه النقوش والكتابات تسمح بتحديد نطاق موسولامي بين هذه المجالات إلى الغرب. ولكن لا يمكن الجزم ببقاء مجالها عدة قرون بعد ذلك كما كان في عهد ترايانوس وحروب بوكوس. غير أنها احتفظت ببعض الجيوب الأخرى بالمنطقة، ولا نملك دلائل أو وثائق تشير إلى المجال الذي كانت بلادهم تشكل جزءا منه في إفريقية أو إلى نوميديا[1]. هذه الجماعات التي سيطلق عليها اسم "الماوروس" والمنتشرة في الأوراس أصبحت تحل محل النوميديين وهم الذين يعتبرهم كامبس أنهم أسلاف الشاوية حاليا[2].

كما انتشرت هذه الجماعات في المناطق الصحراوية جنوبا، وكانت تحت سلطة قانون المنتصرين الذين لم تكن على علاقة ودية معهم في غالب الأحيان، وظلت مشتتة وبدون وحدة، وبالتالي سمح لها ذلك بالحفاظ على عاداتها البدوية الخاصة بها[3].

وإذا كانت التجربة التاريخية لاستقلال أيوداس الذي أخضع مجال الأوراس وهوامشه، والتي نجدها تتطابق إلى حد بعيد مع مجال نوميديا، فإنه سيكون بداية لمرحلة تأسيس ممالك مستقلة لجماعات من السكان الأصليين في هذا المجال[4]. فالقرن الخامس الميلادي يشكل الإطار العام لتشكل هيكل القبائل واندماج الكثير منها في عالم الريف الجديد الذي يتجه نحو الاستقلال عن السلطة الإمبراطورية مع مرور الوقت.

وما يدعم انتشار هذه الممالك المستقلة هي الشواهد الأثرية والنقوش مثل نقيشة أريس التي تشكل دليلا على أن المنطقة تمثل أحد النماذج الخاصة بعجز روما على تعميم مؤثراتها الحضارية في الخريطة المغربية، بعد كل ثورة لسكان الأوراس على الوندال والبيزنطيين وإعلان استقلالهم [5].

---

[1] Stéphane Gsell. *Inscriptions latines de l'Algérie*. T 1. p. 267.

[2] Gabriel Camps. *Massinissa. Aux origines de la Berbérie: Massinissa ou les débuts de l' histoire*. Arts et métiers graphiques, (1960). p. 148.

[3] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. p 18. Marge 20.

[4] *ibid*. p. 337.

[5] يوسف عيبش. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. ص 228 – 230.

جماعات من سكان القنطرة. المرجع lassère jean-marie. un syrien et sa famille à el-kantara. p.354

1- مجالات الموسولامي وهجرات قبيلة هوارة.

ستؤدي حركة الهجرة والانتقال في القرن السادس الميلادي إلى وضع حد للسلطة البيزنطية بعد الإرباك الذي سببته هذه الحركة (نجاحات الجيوش الأموية) وانتصاراتها العسكرية التي أدت إلى إنهاء أسس السلطة البيزنطية ببلاد المغرب[1]، وتبدأ مرحلة التأسيس الجديدة للمنتصرين ببلاد المغرب، ولو أننا لا نملك نصوص حول جوهر التحول الذي مس هياكل هذه السلطة بالأوراس باستثناء روايات متأخرة زمانا وبعيدة جغرافيا عن مجال دراستنا.

كبقية الأقاليم ببلاد المغرب فإن المجتمع القبلي بالمجال الأوراسي قبل الفتح الإسلامي كان موزعا بين أشكال محلية من الجماعات والقبائل، ولم تكن حتما مماثلة للصورة التي كان عليها المجتمع القبلي العربي، هذه الجماعات مقسمة بين مجالات السهول، والواحات، وقبائل جبلية، وصحراوية، ومدنية مرتبطة بالعمران الذي خلفه الغزاة السابقون لهذا المجال. كما لا يختلف اثنان حول الدور الأساسي الذي لعبته القبائل القديمة

[1] Yves Modéran, « Mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique. p. 318.

"الجيتول" أو "المور الأصلية" في العهد الوندالي وعهد الممالك البربرية. ثم الدول التي تذكرها المصادر في القرون الوسطى خلال مرحلة الفتوح الإسلامية بإفريقية.

أما عن المجالات التي عرفت كثافة في توطين واستقرار قبائل المور قبل الفتح الإسلامي، فنجد العديد من الدراسات حول هذه المسألة، فقد حددها موديران في المجال الممتد ما بين تبسة – تيمقاد، وجنوب نوميديا. ورغم أن مصادر القرن السادس نادرة فيما يخص المجتمعات الريفية والقروية الخاضعة للنظام الإمبراطوري المهمين على المنطقة فإننا نجد ازدهار لبعض الحواضر مثل ما وصلت إليه "تيمقاد". لكن السلطة المركزية ستتراجع بعد ذلك ويؤدي هذا الوضع الجديد إلى تداعي النظام القديم في معظم الحواضر المجاورة وإداراتها التي لم تعد مرتبطة بالإمبراطور إلا بالاسم أواخر القرن الخامس وطيلة القرن السادس الميلادي[1]. وفي هذه الأقاليم نجد بعض الدراسات التي أشارت إلى جغرافية التوطين بالأوراس والخاصة ببعض الجماعات ولعل أبرزها بالمنطقة هي "هوارة"، ولو أن هذه الدراسات تختلف حول ضبط المجالات التي استقرت فيها بدقة، ونستطيع إجمال أهم هذه المجالات في الخريطة التالية:

أ- **جون بيار لابورت** (Jean-Pierre Laporte) بالنسبة إليه فقد كانت جماعات "هوارة" محور دراسته، ويرى أن الأوراس كان مجال توطن واستقرار هوارة، وحدد هذا المجال في النطاق الذي كان يشمل العديد من الحواضر القديمة، وهو نفس المجال الذي كانت تسيطر عليه قبائل "الموسولامي"من قبل، وأصبح بعد ذلك خاضعا لمجال "هوارة" وبعض فروعها مثل "بني كملان" بعد القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي. أما عن أهم مراكز هذا المجال فقد حددها في الحوار والمدن التي تمتد من باغاية، ثم حمام الصالحين (Aquae Flavianae) وخنشلة (Mascula) ومرسط (Vasempus) ونقرين (Nigrenses) وفازاييفي (Vazaïvi)/ (زوي) و مدينة تبسة (Theveste) و مجانة المطاحن [2].

هذه الأخيرة التي سمحت الأبحاث الأثرية التي أجريت بالمنطقة بمعرفة الكثير من الاكتشافات قرب وادي صغير خاصة بحجارة المطاحن والتي يمكن أنها أعطت هذه الخاصية لاسمها في العصر الوسيط خاصة عند الجغرافيين العرب باسم "مجانة المطاحن"، وهو موقع لا يزال موجودا.

---

[1] Yves Modéran. *op.cit.* p. 466.

[2] Jean-Pierre Laporte. Notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du dyr et de Nememcha) . Actes du 7ème colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes : Sbeïtla, session (2010). p. 95- 99. Yassir Benhima, Pierre Guichard, « De la tribu à la ville: un essai d'approche régressive», de l'histoire du peuplement de la région de Tébessa». *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée.*

وبالاعتماد على الشواهد الأثرية فإن هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى استمرارية موقع "مجانة"، ومن السهولة مقارنة هذه الشواهد بالنصوص العربية الوسيطية، والأوصاف التي قدموها حول هذا الموقع. كما نستطيع الاعتماد على مقاربة أحمد مشارك حول موقع العديد من الحواضر القريبة منها كمرماجنة، قلعة سنان، واعتماده على تحديد موقع مجانة القريب من "هنشير الطويل" الذي يبعد عنه مسافة 20كلم شمالا.

إن استمرارية المستوطنات الحضرية بين العصور القديمة والعصور الوسطى أمر شائع، ويعتبر هذا الموقع من أهم مراكز التوطين حول مدينة "مجانة المطاحن" من خلال العديد من الشواهد المتفق عليها، والتي جمعت حول المنطقة، والتي لا يزال يتعين بناؤها والتحقق منها على أرض الواقع، من أجل التوصل إلى نتيجة تكون أكثر دقة[1].

وإذا ما بحثنا عن تطور هذه المجالات من العصور القديمة إلى الفترة الوسيطية فمبدئيا فإن المسألة ترتبط بتحول الهياكل القديمة إلى النظم الجديدة، وهي إشكالية تبقى مطروحة لأنها تتعلق بهجرات وتحركات القبائل الدائم والمستمر، فكتاب القرون الوسطى يعطوننا أمثلة كثيرة ودلائل واضحة بأن حياة القبيلة ليست ثابتة، لكنها تتطور، وفي بعض الأحيان تتفكك أو تتآكل عناصرها خاصة في أوقات الأزمات فضلا عن إشكالية القطيعة المتعلقة بالكثير من الأعلام وأسماء القبائل. لذلك فالأمر معقد ويحتاج إلى مقاربة تفكيكية لمجمل عناصر هذا المكون لأنه ليس من السهل الإحاطة بمجتمع مكون حسب بعض الآراء من "شعوب وقبائل أكثر من أن تحصى حسبما هو معروف في تاريخ الفتح بإفريقية والمغرب"[2].

[1] Jean-Pierre Laporte. « Notes sur les steppes de l'est algérien » *op. cit.* p. 99- 102.

[2] ابن خلدون. المصدر السابق. ج6. ص139.

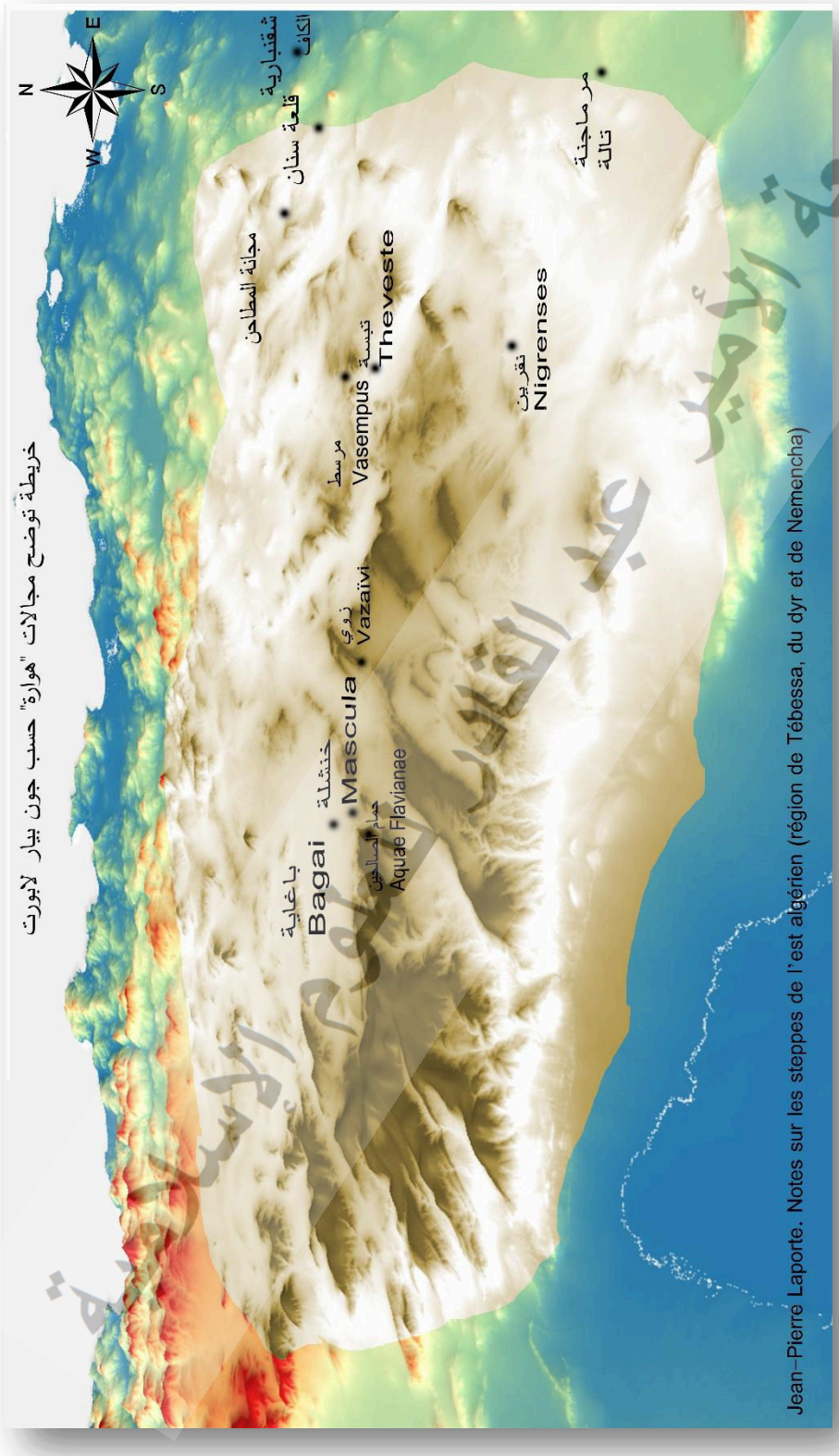
خريطة توضح مجالات "هوارة" حسب جون بيار لابورت
Jean-Pierre Laporte. Notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du dyr et de Nemencha)
N
S
E
W
شقنبارية
الكاف
قلعة سنان
مجانة المطاحن
مرماجنة
تالة
مرسط
Vasempus
تبسة
Theveste
نقرين
Nigrenses
زوي
Vazaivi
خنشلة
Mascula
حمام الصالحين
Aquae Flavianae
باغاية
Bagai

ب- **تحديد أحمد مشارك لمجال هوارة** فقد قام بدراسة حول التطور التاريخي لقبيلة هوارة في إفريقية اعتمد فيها على المقاربة الطوبونيمية والبحث التاريخي من خلال النصوص الإخبارية والوصفية، والبقايا الأثرية متتبعا استمرارية هذا الطوبونيم "هوارة"[1] في مختلف المراحل وعبر الكثير من المواقع التي عرفت استقرار هذه الجماعات وبطونها.

يقدم مشارك عدة مؤشرات يمكن الاستناد إليها في دعم فرضية استمرارية قبيلة هوارة في هذا المجال، يتمثل **الأول** في القرب اللغوي بين اسمي المجالين في مختلف العصور (إقليم افاريتانا -بلاد هوارة) فالقرب الجغرافي تشهد به مصادر القرون الوسطى بما في ذلك المؤرخ "ابن خلدون". هذا الأخير الذي كتب في القرن الرابع عشر ميلادي، الثامن هجري، مشيرا إلى أن مجال هوارة الأوراس امتد من مرماجنة إلى جبل أوراس[2]، كما يتفق أيضا مع تحديد الزركشي لبعض فروع جماعات "هوارة" والمتمثلة في جماعات" الحنانشة" في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي[3].

أما **التأكيد الثاني** حول استمرارية هذا الطوبونيم من خلال النصوص الوصفية، فنجد الجغرافي اليعقوبي في القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي، وهو الذي زار المنطقة ويعرفها جيدا. يقول عن الجماعات التي تقطن باغاية "حولها قوم من البربر من "هوارة"، بجبل جليل يقال له أوراس..."[4].

أما التأكيد الثالث الذي يقدمه مشارك فيتعلق باستمرارية أسماء الأماكن حيث يجد أن هناك مؤشرات لموازات هوارة تؤكده أسماء جغرافية بالأوراس من خلال "عين هوارة" التي تقع بالجنوب الشرقي ببهلول بمنطقة النمامشة[5]. هذه هي الدلائل الثلاثة حول استمرارية الطوبونيم المتعلق بهوارة والذي يتميز بوحدة الاسم ووحدة المجال أيضا بمنطقة الأوراس، والذي سيستمر إلى غاية نهاية العصر الوسيط.

---

[1] Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours ». *op. cit.*

[2] Ahmed M'charek. *ibid.* p. 448.

[3] الزركشي. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تحقيق. محمد ماضور. المكتبة العتيقة. تونس. ط2. 1966. ص 118.

[4] البلدان. ص 190.

[5] Ahmed M'charek. *ibid.* p. 450. Marge. 17.

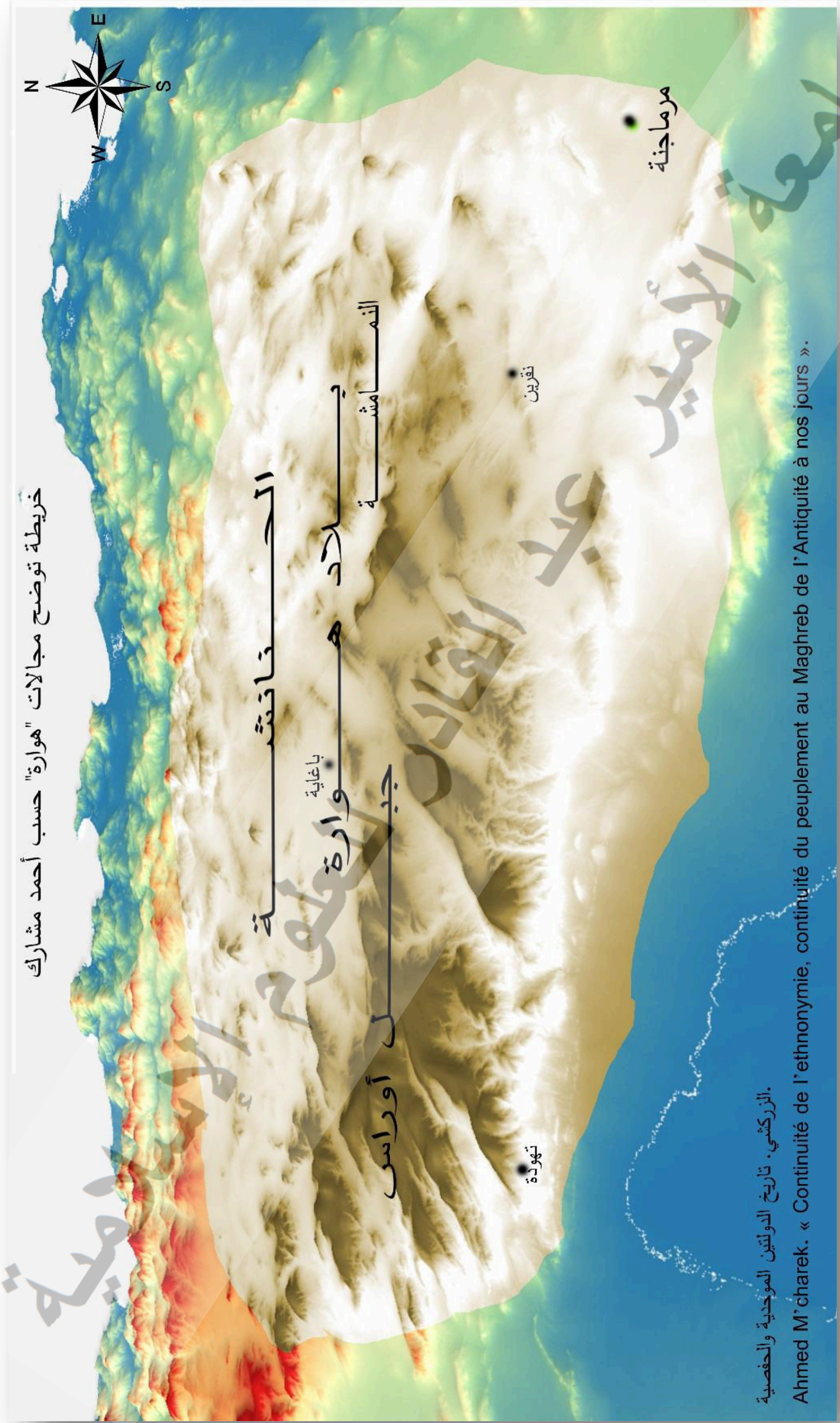

خريطة توضح مجالات "هوارة" حسب أحمد مشارك

الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.
Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours ».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج- تحديد علواني . مجال تلابت – تبسة وأصول هوارة

أما التأكيد الثالث على استمرارية "هوارة" بهذه المجالات فيؤكد صالح علواني الذي سبقت الإشارة إلى دراسته حول مجال تلابت- تبسة انطلاقا من الكشوفات الأثرية الخاصة بالمعالم الأثرية التي تزخر بها النصوص القديمة والتي تعود إلى القرن الميلادي الأول وتمتد إلى نهاية القرن الرابع، إلا أن الكثير من هذه المعالم اندثرت اليوم[1].

فيما يتعلق بجماعات "هوارة" فهو يعطي بعدا جغرافيا أكثر نحو الشرق إلى حدود "تلابت" ويقول أن دراسة مجال تلابت- تبسة يعني أننا نبحث عن الأصول التاريخية للجماعات والقبائل التي استوطنته منذ الموسولامي[2]، مرورا بالعصر الوسيط الذي استقرت فيه قبائل هوارة وبعض فروعها ثم أصبح تحت نفوذ قبيلة الحنانشة أواخر العصر الوسيط. فالمؤرخون يحددون موقع وسط الموسولامي حول "وادي ملاق" منذ القرن الثالث حسب النصوص المكتشفة، وفي نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كانت "أرض الحنانشة" عند وادي مجردة، فمن أجل القضاء على ثورة ابن الكماد من طرف أبي فارس عبد العزيز بعد فشله في الاستيلاء على قسنطينة بمساعدة صاحب بونة الأمير عبد الله محمد ابن المولى أبي زكريا سنة 796هـ/1394م، قام المولى أبا فارس إليه من "حضرة تونس والتقى الجمعان في شهر رمضان المعظم عام سبعة وتسعين فهزمه مولانا السلطان من تبسة الكائنة **"بأرض الحنانشة"** التي عندها أصل وادي مجردة إلى سيبوس"[3].

---

[1] Salah Alouani. De Theveste à Thelepte : la voie romaine et le peuplement. p. 7- 8.

[2] وفقا لستيفان قزال فإن مجال موسولامي كان يمتد شمال شرق تبسة وقد أخذ بهذه الفرضية من قبل J. Desanges. ويشير Gabriel Camps أن هذه المجالات تميزت باستمرار الجماعات المورية فيها محافظة على نمط عيش يسوده الاكتفاء ف. ونتعرف عليها من خلال منتجاتها الخاصة بالنسيج والفخار واستغلال الأرض وغير ذلك.

Gabriel Camps. « Espaces berbères ». *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée,* 48-49, (1988), p. 42. .

[3] الزركشي. المصدر السابق. ص 118.

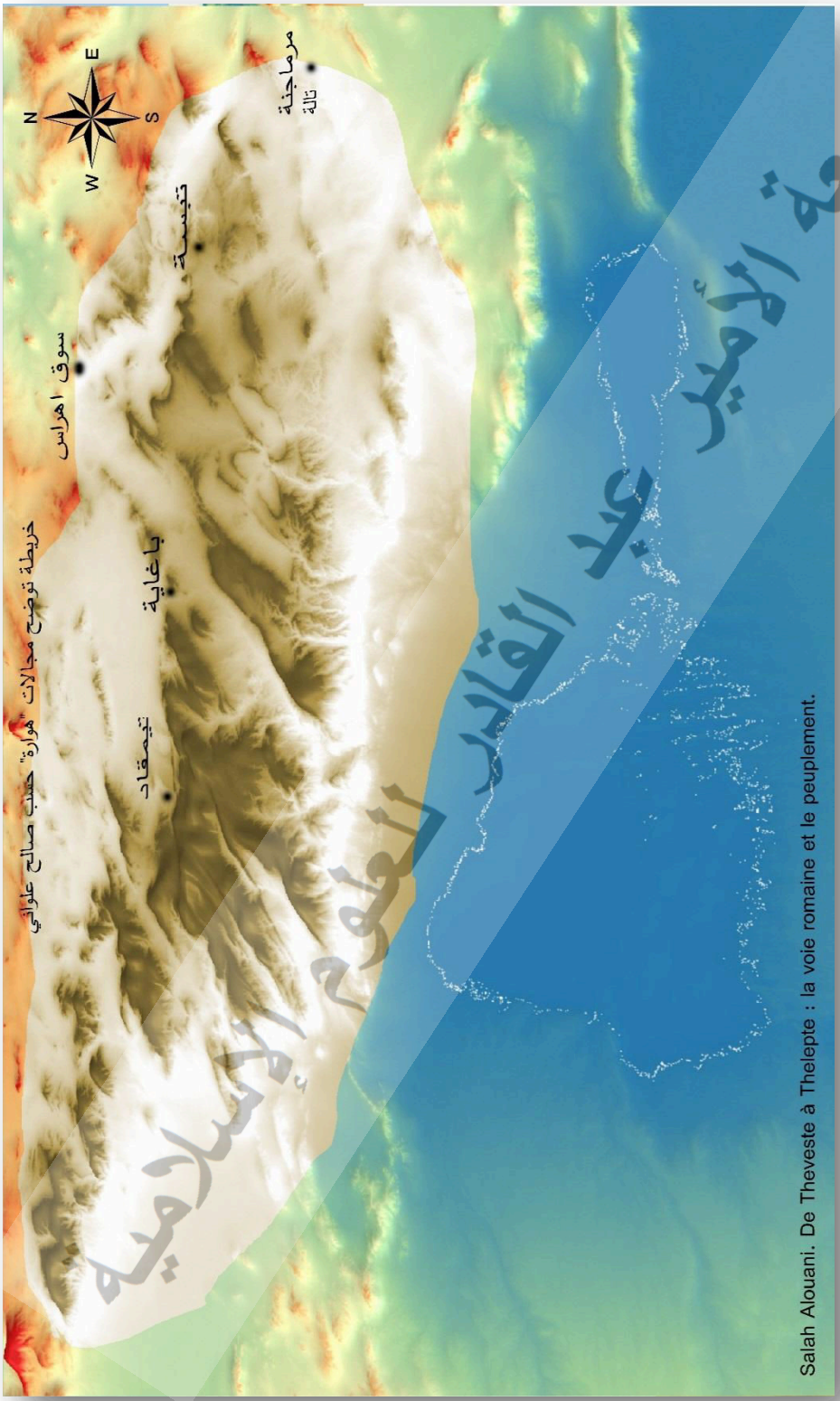

Salah Alouani: De Theveste à Thelepte : la voie romaine et le peuplement.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما ركز (Musunii Regiani) على أنماط العيش الخاص بالجماعات الريفية في هذا المجال، وهي مسألة تستحق المزيد من الدراسة لأننا نجد استمرارية هذا النمط دام إلى غاية الفترات المتأخرة من العصر الوسيط؛ ويتمثل في سيادة طابع البداوة الذي ارتباط بالقبائل والجماعات المستقرة بهذه المنطقة، مع وجود ثقافة الأراضي المشتركة بين القبائل، وهي التي كانت تطبع الهوية الجماعية لشعب "الجيتول" سابقا، وكانت لهذه الجماعات القدرة على خلق تحالفات كبيرة مع غيرها في منطقة السهوب العليا[1]. لذلك فإن دراسة أنماط العيش الخاصة بالقبائل البدوية والرحل لسكان الأوراس، تتيح لنا معرفة أشكال التواصل واستمرارية الكثير من هذه التنظيمات القديمة لمختلف الجماعات في مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي، فقد استمرت هذه الجماعات في الاعتماد على الانتجاع والارتحال كنمط إنتاج خاص بها.

إن دراسة هذه المجالات وخلفياتها التاريخية تسمح لنا بمعرفة النطاق الذي كان يشكل مجال التوطين وتحرك القبائل واتجاهاتها. وقبل ذلك نشير إلى أن معظم هذه المجالات كانت معبرا لأغلب مسارات الجيوش الأموية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وهي التي كانت كما أشرنا منطقة استقرار الموسولامي. وبعد انتهاء معارك الفتوح الإسلامية ستكون مجالا للكثير من القبائل والتي لا يمكن لنا بأية حال الفصل في هوياتها وطبيعتها إلا بقدر ما تسمح به المصادر والدراسات، والتي تتمثل في معظمها في كتب الفتوح والمغازي العربية في هذه الفترة.

غير أن تفسير التحولات التاريخية الكبيرة من وجهة نظر أحادية حتما لا يمكن أن تؤول إلى الحقيقة. إذ نجد أنفسنا بعد فترة الفتح أو غداته مباشرة نتعامل مع نصوص تاريخية مشرقية فقط. وكانت أولى الإشارات على بداية احتكاك الفاتحين بالنظم المحلية تظهر بجهل هؤلاء بالمكون المحلي بصورة تكاد تكون مطلقة؛ فقد سأل حسان بن النعمان من بقي من هذه الممالك سائلا الناس: "دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية، فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة، وقالوا أنها بجبل أوراس، وهي بربرية، اجتمع البربر عليها بعد قتل كسيلة..."[2].

ثالثا: طبيعة استيطان الفاتحين المسلمين بالأوراس.

مع نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، نجد الأوراس يدخل مرحلة من التغيرات ستؤدي ولا شك إلى بداية القطيعة مع التنظيمات القديمة، وهذا مع بداية اجراءات موسى بن نصير بتفكيك النظم الموروثة عام 85هـ/ 704م، مع استكمال الترتيبات الإدارية التي أصدرها الخليفة الوليد بن عبد الملك والقاضية بفصل

[1] Salah Alouani. De Theveste à Thelepte : la voie romaine et le peuplement. p. 9- 10.

[2] النويري. المصدر السابق. ج24 . ص 197.

ولاية افريقية والمغرب عن ولاية مصر وربط القيروان مباشرة بدمشق، وثبت تعيين موسى بن نصير واليا على القيروان سنة 86هـــ 705م[1]. نقول هذا بكل تحفظ لأن المجالات الطرفية وشبه المغلقة أمام تيارات التأثير الخارجي عادة ما تكون عصية على التحول ولو كان بطيئا أو متدرجا وفي الغالب فهي تحتفظ بموروثاتها وأعرافها لقرون عديدة.

فقد كانت حركة السكان والجماعات تنتج عنها تغيرات في ملكية الأرض، ولكننا لا تنفي مشاركة البربر في امتلاك الأرض والمجال؛ فالمجتمعات البدوية في بلاد المغرب القديم والوسيط شاركت، تحت شروط دقيقة، في احتلال الأراضي. وكثيرا ما كانت هذه الجوانب ناجمة عن التزامات حيوية تتعلق بالبحث عن أراضي الرعي بالنسبة للقطعان، مما يترتب عليه احتلال طويل الأمد للأماكن[2]. وإذا كانت الكثير من الأراضي تحت السلطة المباشرة البيزنطية فإنها أصبحت خاضعة لنمط جديد من السيادة أو أصبحت خاضعة لمجموعات من الرحل والرعاة وأشباه الرحل الذين لا زالوا مستقلين و لم تخضعهم سلطة الأسياد الجدد.

لقد شاركت مجالات الأوراس في أحداث حركة الفتح الإسلامي وكان موضوعا لدراسات عديدة كما شاركت المنطقة في أحداث القرن الثاني الهجري وتحولات أواخر القرن الثالث أثناء التوسع الشيعي الإسماعيلي، ومن الواضح أن معظم المواقع القديمة والمسيحية الكثيرة قد استمرت على الأقل حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وأخذت تتراجع وتضعف في بعض الفترات بعد وصول الهلاليين[3].

وقد انتعشت الكثير من هذه المراكز في القرون التالية ولعبت أدوارا هامة ليس فقط في الأوراس بل في كامل مجال إفريقية والمغرب، مثل لمبيسيس، وزانة، وبلزمة، وزانة. فيما انتعشت بقية الحواضر خاصة المدن الطرفية بالأوراس مثل باغاي نقاوس إلى حدود مدينة طبنة، وكل هذه الحواضر ستتحول إلى مراكز لتوطين مختلف القبائل التي كانت تتشكل منها جيوش حملات الفتح الإسلامي طيلة النصف الثاني من القرن الأول الهجري وما بعده من هجرات.

[1] يتحدث ابن خلدون عن مجموعة من الممالك والإمارات ببلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي، ففي حديثه عن جيل البربر قديما وما كان لهم من السلطان والملك يذكر "ما كان لوهيا الكاهنة وقومها بجبل أوراس من الملك والعز والكثرة قبل الإسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب". ديوان العبر. ج6 . ص 135. ثم يذكر ملوك البربر الذين واجهوا الجيوش الأموية: "استفتح حصون الفرنجة مثل باغاية ولميس، ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت ففضهم جمعاً بعد جمع". المصدر نفسه. ج6. ص 139– 141. محمد القبلي. تاريخ المغرب تحيين وتركيب. ص 149.

[2] Mohamed Meouak. Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb .p. 72.

[3] Jean-Pierre Laporte. « Notes sur les steppes de l'est algérien ». *op. cit.* p. 94– 95.

أمام هذه التحولات الهامة، وجد السكان أنفسهم أمام سلطة جديدة بالقيروان وتقسيمات ستؤدي حتما إلى تغيير البنيات والهياكل القديمة بعد النجاحات المتتالية للقوى الجديدة وعلى كافة المستويات، وأدت إلى خلق مجموعات مهيمنة سيطرت على المجال وسترث ممتلكات الطرف المنهزم، وقد أدى ذلك إلى صياغة نمط جديد من السيادة من طرف المنتصرين الذين لن يلبثوا أن يصطدموا بعوائق مختلفة فرضتها البيئة المحلية لبلاد المغرب.

ولعل أهم هذه التحولات تتمثل في ظهور جماعات "هوارة" و"زناتة" في شكل اتحادات قبلية يمكن أنه توسع ليشمل بلاد الحضنة والجزء الغربي للأوراس، لتترأس الإمارة في حدود القرن السابع ميلادي الكاهنة وتصبح ملكة "جراوة" بمملكة الأوراس، وهو ما حدث في اتحاد القبيلة الزناتية هوارة التي شكلت اتحادا تطور وأصبح مملكة موحدة بين مجموعة قبائل في وقت لاحق في عهد كسيلة[1].

ولا شك أن هذه الفترة قد شهدت بعض التحالفات بين الجماعات المحلية أثناء الفتوح الإسلامية، خاصة بمنطقة الأوراس خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، لمواجهة الجيوش التي حققت انتصارات متوالية.

وكان للجغرافيا منطقها في رسم خارطة التوطين في القرون التالية للفتح الإسلامي إذ أن الموقع الجغرافي يمكن أن يؤثر على الجماعات البشرية في التحرك، كما يؤثر في تحديد مكان واتجاه التحرك، وكانت التخوم عامل وصل بين المجموعات البشرية يتفاوت سهولة وصعوبة، فالبيئة إذن محرك تاريخي قوي، وعامل جوهري في التاريخ.

واعتبارا لجدلية الصراع القائم، توصلت القبائل المشاركة في تخطي مرحلة الاتحادات القبلية المحلية والسيطرة على مجالات شاسعة، محاولة في ذلك توحيدها وبناء الدولة القارة، على أن التناقض الموضوعي بين البدو المستقرين حال دون ذلك، علاوة على أن هذا الأمر افتقر إلى أيديولوجية واضحة المعالم، وهو ما توفر في مرحلة ثانية إثر انتشار المذهب الخارجي في بلاد المغرب[2].

1- تراجع جراوة بعد هزيمتها.

كانت قبيلة جراوة وهي فرع من زناتة التي ترتبط بالبتر التي تعتمد على نمط المعيشة البدوية والرعوية خاصة، اعتنقت في البداية اليهودية، لكنها تحولت فيما بعد، مثل قبائل أخرى كثيرة، إلى المسيحية. وتشكل

[1] Ahmed M'charek. Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb. p. 464. 473.

[2] محمد حسن. القبائل والأرياف. ص 75.

عبر التاريخ شريط من المجال المقاوم امتد عبر جنوب الأوراس منذ ما قبل الفتح الإسلامي، وتواصل هذا المجال ليشكل نهايات تراجيدية للكثير من الأحداث التاريخية لبلاد الغرب الإسلامي؛ بتهودة كانت معركة النهاية عام (64- 65هـــ/ 683م)، التي قضت على حركة الانتشار التي شكلها عقبة بن نافع. وبالقرب من هذه المدينة وبمخرج جبل ششار سنعرف بعد ذلك نهاية الملكة الكاهنة على يد جيوش حسان بن النعمان عام 78 هـــ/ 698م.

اقترن اسم هذه القبيلة باسم الملكة الكاهنة والتي ستظهر على مسرح الأحداث بالأوراس مباشرة بعد هزيمة كسيلة ولجوء قبيلة أوربة للأوراس، وقد عرفت هذه الملكة بالقوة والحزم[1]، في عام 73هـــ/692م، عند قدوم حسان بن النعمان لإفريقية وتراجع قوة أوربة، لا يزال الأوراس محافظا على قوته القبلية التي حولته إلى قلعة للمقاومة وصد حملات الفتح نتيجة لجوء القبائل لهذا المعقل الطبيعي. وفي هذه الفترة تبرز قوة جديدة بالمنطقة سيكون لها شأن في قادم السنوات في أيام حسان بن النعمان الذي "دلوه على امرأة يقال لها الكاهنة، وجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون..."[2].

مجاليا يمكن القول أن الأوراس الشرقي والشمالي إبان الفتح العربي كان موطن لقبيلة جراوة التي كانت الكاهنة ملكتها، ويعتبر ابن خلدون أن جراوة من الزناتيين، وفي شمالي الأوراس بمحاذاة سهول قسنطينة العالية ومنطقة التل، يقع وادي الزناتة الذي لا يزال حتى اليوم يحمل اسم القبيلة الكبرى، وليس الأوراس كله موطن زناتة على رأي ماسكوري إذ يستثني وسط الجبل ومنطقة الوديان المقفلة. أي وادي العبدي ووادي الأبيض[3].

[1] حين دخلت الكاهنة ركح التاريخ، كانت أرملة ومتقدمة في السن جدا بالتأكيد. وتمنحها الأسطورة 127سنة من العمر. قضت منها 35 سنة ملكة على الأوراس حيث كانت قد تأسست منذ عام 477م. بفضل ثورة مظفرة على الوندال مملكة بربرية مستقلة أولى يحكمها يابداس (Iabdas)، واستطاعت هذه الملكة أن تشيد ملكا بالأوراس الشرقي، وامتد حتى حدود الصحراء، وأغلب مناطق التل الأعلى بالمغرب الأوسط وافريقية. ولعل اسم هذه المرأة يدل على مكانتها فقبيلة جراوة "وكان فيهم ملوك ورؤساء مشاهير. ومنهم كانت الكاهنة الملكة، واسمها دهية ابنة ثابتة بنت تيفان ملكة إفريقية والمغرب"، لذلك فإن قوة هذه الملكة لم يكن وليد الانتصار الذي حققته على حسان بن النعمان إن لم تكن تلك المواجهات سببا لتراجع قوتها. بن عبد الحليم. مفاخر البربر. ص 196. دائرة المعارف التونسية ص 56- 57.

[2] ابن عذاري. المصدر السابق. ج 1 ص 35. عبد الوهاب بن منصور. المرجع السابق. 339.

[3] غوتييه. ماضي شمال افريقيا. ص 113.

مجالات توطن البربر بعد الفتح الإسلامي

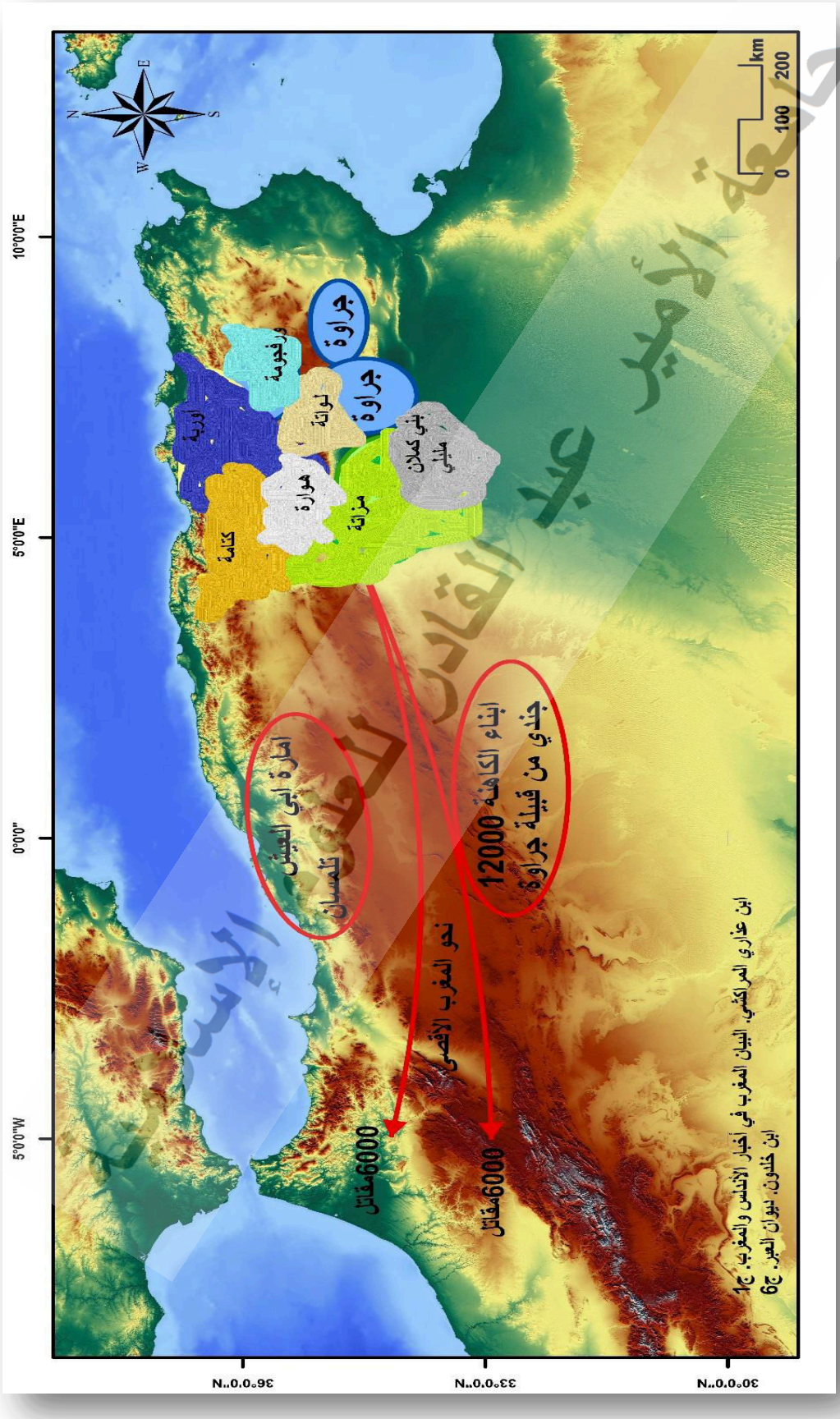

2- مزاتة

كانت في فترة الفتح الإسلامي منتشرة بمنطقة زويلة التي افتتحها عقبة نافع. وجهه عمرو بن العاص حتى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين[1].

أما اليعقوبي فيقول: أن مضارب هذه القبيلة "بالرمادة" وهي "أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم"[2]، وهذا ما أكده ابن حوقل، ثم تستقر مزاتة مع المعتزلة بجبل نفوسة. تتجه هذه القبيلة غربا لتستقر يتيهرت[3]، بعدما شاركت بقوة في قيام الإمامة الرستمية.

يشير صاحب افتتاح الدعوة الشيعي إلى وجود مزاتة مع القبائل المشاركة في معركة باغاية عام 359هـ/969م، ويقول أبو زكريا أنها شاركت ب 12000 فارس[4]. وكانت مواطن مزاتة بمدينة بلزمة، أما في منتصف القرن 5ه/11مـ نجدها بين تيفاش والمسيلة، وعلى الحدود مع المجال الكتامي حسب البكري[5].

3- لواتة:

في نهاية القرن الثالث الميلادي حدث ظهور مفاجئ لجماعات لواتة، والتي لم يشر إليها بطليموس ويرى توكسيه[6] (Tauxier) أنه ربما حدث تغير في الاسم بالنسبة لبعض القبائل أو استبدلت بقبائل أخرى منتصرة. ولكن استبعدت فكرة التغيير الأونوماستيكي لصالح فكرة هجرة هذه القبائل، وهذا خيار الكثير من الدارسين[7]. وخلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين قامت لواتة بهجمات ضد الروم كانت ناجحة في كثير من الأحيان، و لم يكن الرومان قادرين على وقفها. ثم تواصل هذه القبيلة في مضايقة البيزنطيين في السنوات 543م – 548م[8]. فكانت هذه القبيلة تتقدم غربا لتسيطر على أجزاء واسعة من إفريقية.

---

[1] ابن عبد الحكم. فتوح مصر والمغرب. ص 202.

[2] البلدان. ص 180.

[3] Yassir Benhima, « Quelques remarques sur le nomadisme préhilalien au Maghreb (VIIIe-XIe siècle) », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 39-2 .(2009), p. 215.

[4] أبو زكريا. كتاب السير . ص 143.

[5] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 227- 329.

[6] Henri Tauxier. Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme. ***Revue africaine***. 1862, p. 441-445.

[7] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. p. 118.

[8] *Ibid*. p. 112.

بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين لا تسمح لنا النصوص المبكرة باكتشاف لواتة خارج مجال الأراضي الليبية الحالية. لذلك فإن هناك إجماع بين المصادر حول مسألة توطين هذه القبيلة، ثم قيامها بنشاط توسعي نحو الغرب خاصة بعد النصف الثاني من القرن السادس الميلادي[1].

ولذلك فإن الأعمال التي قام بها غابريال كامبس تؤكد على مسألة التحول البطئ للقبائل البدوية الليبية، ولا سيما لواتة، في الاتجاه من الشرق إلى الغرب، ومن خلالها ستستولي على مجالات قبائل الجيتول بداية من القرن الرابع الميلادي.، وغداة توسعات الجيوش الأموية غربا أصبحت لواتة من أولى القبائل التي تحولت إلى الإسلام، وأول القبائل التي دمجت في جيوش الفاتحين بعدما أصبحت قبيلة بترية. ويبدو أنها لعبت دورا هاما في المشاركة في معارك التوسع غربا، حتى أنها كانت في جيش عقبة بن نافع[2].

وبفضل هذا التحالف أتيحت لهذه القبيلة فرصة أن تصبح من أكبر الجماعات ارتباطا بالإسلام، والانتشار في جميع أنحاء بلاد المغرب، ثم تحولت إلى المعارضة، وتبنت المذهب الإباضي، واستقرت منها جماعات نواحي تيهرت.

أما بالأوراس فيشير ابن خلدون إلى توطنها قرب "نقاوس"، و كانت هذه القبيلة من الكبر ما جعل ابن خلدون يقول أنها "بطن عظيم متسع من البربر البتر، ينتسبون إلى لوا الأصغر بم لوا الأكبر بن زحيك"[3]. وقد كانت من من حلفاء أبي يزيد في ثورته على الفاطميين.

منذ القرن الرابع، ظلت لواتة بجبل الأوراس من ضمن القبائل المتولية لجباية الأوطان. ثم تنقطع أخبار هذه القبيلة إلى حدود القرن الثامن الهجري/ الرباع عشر ميلادي، حيث لا يزالون متمسكون بالمناطق التي كانوا فيها سابقا بالأوراس؛ فلم "يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من القبائل هوارة وكتامة، ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم ألفا وتجاوز رجالاتهم العدة، ثم أصبحت الدولة تعتمد على هذه القبيلة في جباية الأموال، بجبل أوراس من القبائل الغارمة "فيحسنون الغَناء والكفاية، وكانت البعوث مضروبة عليهم ينفرون بها في معسكر السلطان"[4].

---

[1] Yves Modéran. *op. cit.* p.163- 164.

[2] Yves Modéran. *Ibid.* p. 164166-. عبد الوهاب بن منصور. المرجع السابق. ص 339 .

[3] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج 6. ص152

[4] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6. ص 152. محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1. ص 141.

وقد استخدمهم بنو سعادة في جباية الأموال "فلما تقلص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم في أقطاع أولاد محمد من الدواودة. فاستعملوهم في مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه، فأصاروهم خولا للجباية وعسكرا للاستنفار وأصبحوا من جملة رعاياهم وقد بقي جانب منهم لم تستوفه الاقطاعات، وهم بنو زنجان وبنو باديس فاستضافهم منصور بن مزني إلى عمله.

عادت قبيلة لواتة عهد ابن خلدون إلى الاعتصام بجبل أوراس "وهم إلى هذا العهد معتصمون بجبلهم لا يجاوزونه إلى البسيط خوفا من عادية الأعراب. ولبني باديس منهم أتاوات على بلد نقاوس المحيطة في سفح الجبل بما تغلبوا على ضواحيها. فإذا انحدر الأعراب إلى مشاتيهم اقتضوا منها اتاواتهم وخفارتهم. وإذا رجعوا إلى مصايفهم رجع لواتة إلى معاقلهم الممتنعة على الأعراب"[1].

4- ورفجومة الوحدة الإثنية والانقسام المذهبي:

تعتبر ورفجومة من بطون نفزاوة، استوطنت منطقة غرب الأوراس، ولعبت دورا مزدوجا في فترة حكم الفهريين لإفريقية، فقد ساعدت عمر بن حفص أثناء تعرضه للحصار بطبنة عام 151هـ/ 769م، "فأنزل ورفجومة بها بما كانوا شيعا له، وعظم غناؤهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن[2].

وهي "أشدهم بأسا وقوة" مثلما يقول ابن خلدون، الذي يورد رواية خروج عبد الرحمن بن حبيب عن دعوة أبي جعفر المنصور وقتله أخواه. لجأ عبد الوارث إلى الأوراس للاحتماء عند هذه القبيلة التي كان زعيمها هو عاصم بن جميل ... فأجاره"[3]. هذه المرحلة كانت افريقية تحت حكم آل عبد الرحمن بن حبيب الفهريين القيسيين، تغلبوا على الوالي حنظلة بن صفوان واخرجوه من افريقية التي استقلوا بها. وقد استعانوا بورفجومة التي كانت على مذهب الصفرية في تلك الاثناء، واستعانوا بها للوصول لأهدافهم وهي الاستيلاء على القيروان[4]. فالصراعات بين القبائل العربية التي قامت بين القيسية واليمنية بإفريقية من جهة، ومن جهة أخرى اشتد الخلاف بين الصفرية والاباضية، هذه الأوضاع سمحت بتكون قوى قبلية أخرى بعيدا عن افريقية مثل قبيلة ورفجومة التي سمحت لها قوتها بالسيطرة على القيروان عام 141هـ/ 751م.

---

[1] ابن خلدون. المصدر السابق. ج6. 152- 153.

[2] المصدر نفسه. ج6 ص 151.

[3] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج 6 . ص 150. عبد الوهاب بن منصور. المرجع السابق. ص 339.

[4] بوبة مجاني. أثر العرب اليمنية. ص63.

غير أن علاقة ورفجومة مع الفهريين لم تستمر طويلا بعد وفاة عمر بن حفص، ففي عام 157هـ/ 774م، أغارت عليهم جيوش يزيد بن حاتم "فأثخنوا فيهم. ثم انتفضت نفزاوة على أبيه داور ودعوا إلى دين الاباضية"[1]، وكانت هذه الأزمة سببا لتحول القبيلة لمذهب الاباضية، لكن ونظرا لتحمل ورفجومة تبعات الكثير من ثورات الخوارج قبل مرحلة الظهور، فإن هذه القبيلة تراجع دورها وانتهت إلى الانتقال من الأوراس في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وتوزعها على القبائل.

5- زناتة. عودة حكم الجماعة.

ينقل ابن حزم عن يوسف الوراق عن بعض نسابي البربر كأيوب بن أبي يزيد بن مخلد بن كيداد نسب زناتة: "أن زناتة هو شانا بن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضرى بن سقفو بن جنذواذ بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم[2].

ولزناتة بطون عظيمة كبني برزال، وبني دمر، ومغراوة، وبني صمغار، وغيرهم[3]، كما تعتبر زناتة من أكبر الجماعات التي استفادت من الأوضاع الجديدة التي أفرزتها أوضاع ما بعد القرن الأول الهجري والتي أدت إلى تراجع جماعات أوربة وجراوة التي أضعفتها المعارك الكثيرة التي خاضتها ضد الجيوش الأموية، في حين نجد أن زناتة تتجه نحو الانتشار على مجالات واسعة بالمغرب الأوسط والغربي، وهو المجال الذي ورثته عن قبائل الجيتول التي استوطنت هذه المناطق وتعتمد على الرعي، ثم تدرجت وتطورت إلى حياة الرحل ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وبعد الفتح الإسلامي أعيد تنظيم القبيلة في سياق جديد في ظل السيادة العربي[4].

تظهر جماعات زناتة ببلاد المغرب، وفي منطقة الأوراس حيث تنتشر الكثير من فروعها، في أعقاب انتهاء عمليات الفتوح الإسلامية للمنطقة، هذه الفترة التي كانت غير مستقرة سياسيا واجتماعيا أدت إلى سرعة التحركات القبلية بين مختلف المجالات، كما نشطت حركات التحالف بين القبائل البربرية، فكانت القبائل التي واجهت هذه الحملات قد استنفذت كامل قواها في العمليات العسكرية معظم القرن الأول الهجري، وكان تراجعها لصالح زناتة التي نجدها بالأوراس والزاب وجنوب تلمسان.

---

[1] ابن خلدون. المصدر نفسه . ج6 ص 151

[2] ابن حزم. جمهرة أنساب العرب. ص 495.

[3] المصدر نفسه. ص 495.

[4] Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. p. 173.

عموما فإن الأوراس يكون قد شهد حركة نزوح وهجرة كبيرة وقد تكون قسرية نحو الغرب إذا عرفنا نتائج هزيمة الكاهنة والشروط التي فرضها حسان بن النعمان على البربر بالمنطقة. فضلا عن تزعم أبناء الكاهنة للجيش العربي الإسلامي كقادة على رأس اثنا عشر ألف من الجند البربر واتجاههم غربا فلا شك أن هؤلاء الجند قد ارتحلوا بأسرهم لذلك سيزيد عدد المهجرين من الأوراس، وفي نفس الوقت زادت قوة زناتة وهوارة أكثر في غرب المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بعد ذلك[1].

أما في القرن الخامس فإننا نجد القبائل الزناتية التي تشمل هوارة، مكناسة، سدراتة، مغراوة[2]، متوزعة في مناطق الحضنة والزاب وقسم كبير من الأوراس، وذلك قبل وصول القبائل الهلالية التي ستغير من هذه الخارطة بصورة جذرية.

لكن الزيريين لن يستطيعوا الوقوف في وجه هذا الزحف بعدما حاول ابن باديس في البداية جعل هذه القبائل حلفاء له، إلا أنهم رفضوا فقرر محاربتهم، لكنه انهزم أمامهم في معركة حيدران بين قابس والقيروان سنة (443هـ/ 1051م)، فانهارت بذلك الإمارة الزيرية. ولم يكن مصير الإمارة الحمادية بالمغرب الأوسط بأفضل من جارتها الزيرية بإفريقية. حيث ما لبثت أن انهارت هي الأخرى بعد معركة سبيبة سنة (457هـ/ 1065م).

إن هذا التوزيع للقبائل المتنوعة والموزعة على أغلب حواضر المغرب الأوسط وبكثافة حول بلاد الزاب والأوراس قبيل نهاية القرن الخامس ونظرا لتأثيرات التغريبة الهلالية والتي ستؤدي إلى خلخلة البنية القبلية ببلاد المغرب كلها، كما ستؤدي إلى تدمير التحالفات القبلية الصنهاجية التي كانت تقوم عليها إمارات بني زيري وبني حماد. كما دفعوا بالقبائل الزناتية أمامهم نحو المغرب الأقصى والمناطق الصحراوية النائية[3]. وستؤدي هذه التغيرات إلى انقراض الدولة الصنهاجية عام 555هـ/ 1160م، إذ لم يقدر لا آخر ملك بني زيري في المهدية، ولا أمراء بني حماد في بجاية على إنقاذ دولهم التي أصابتها الفوضى الناشئة عن غزوة بني هلال في الصميم. وحتى لو حاولوا ذلك بتظافر جهودهم عوض التناحر، فالأرجح أنهم ما كانوا ليحرزوا أي نجاح. ذلك أن العراقيل التي وضعها الهلاليون كانت جسيمة إلى أبعد حد وقد تفاقمت جراء التنافس بين رياح والأثبج، وبين خصومهم[4].

---

[1] Antoine Ernest. Carette. Origine et migrations de principales tribus de l'Algérie. Paris. p. 40- 41, 152- 153.

[2] عبد الوهاب بن منصور. المرجع السابق. ص 340.

[3] محمد الكوخي. سؤال الهوية في شمال افريقيا. التعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والثقافة والتاريخ. افريقيا الشرق. ص 81.

[4] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج 1 ص 467.

من هنا تبدأ مرحلة استيلاء شيوخ القبائل الهلالية على السلطة في المنطقة، وبالتالي أصبحت السلطة الحقيقية في يد هؤلاء الشيوخ الذين أسسوا إمارات محلية مستقلة وشرعوا في ضرب العملة بأسمائهم كدليل على استقلالهم[1]. ورغم استماتة القبائل الزناتة في الدفاع عن مجالاتها لكنها فشلت فاعتصمت بالجبال التي أوقفت هذا الزحف. إذ لا زال الناصر بن حماد يتحكم في شمال ووسط مرتفعات المغرب الأوسط، ولأن سقط المنخفض الجنوبي بين ايدي الهلاليين، فإن هؤلاء يتعرضون هنالك لمقاومة زناتية مستميتة[2].

6- قبيلة أزداجة:

يذكر البكري القبيلة في عصره منتصف القرن الخامس وعاشت قرب وهران وقد تكون القبيلة قد هاجرت من الأوراس فيما بين 260هـ/ 873م، و460هـ/ 1067م، وهو ما يتماشى مع جميع الأدلة التاريخية.

وفي ظروف الأزمة التي حلت بإفريقية في عام 268هـ/ 881م حيث "اشتد القحط وغلت الأسعار حتى بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير... وهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضا"[3]، تمردت هذه القبيلة في هذا العام على أمراء السلطة الأغلبية، ففي أيام أبي إسحاق إبراهيم بن الأغلب "عصت وزداجة ومنعوا صدقاتهم، فعاملهم العامل عليهم وهو الحسن بن سفيان فهزموه حتى وصل إلى باجة". ويحدد محمد الطالبي مكان المعركة في "جبل المنشار"[4].

7- كتامة:

استقرت على أطراف **جبال الأوراس الغربية**، كما انتشرت بعض فروعها في دواخله مع نهاية القرن الثالث الهجري واستقرت في الكثير من حواضره، وتعتبر "أوجانة" كمثال على هذا التوطين، ثم أصبحت ولفترة قصيرة نخبة حاكمة مع بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، وبعد ذلك زاحمتها جماعات هوارة وبني كملان في سياق ردود الفعل العنيفة على السياسة الفاطمية بالمنطقة.

وكانت علاقات هذه الجماعات مع الحاميات المجاورة لها متوترة نتيجة سياسة الإمارة الأغلبية اتجاه مختلف القبائل بهذه الأقاليم الطرفية؛ إذ نجد جماعات بني تميم التي استقرت سابقا بمدينة بلزمة فرضت على قبيلة كتامة ضرائب تدفعها كل عام بعد سطوة جند بلزمة على المنطقة؛ وكان ذلك قبل عشرين سنة من ظهور قوة

[1] محمد الكوخي. المرجع السابق. ص 85.

[2] روجي إدريس. المرجع السابق. ج 1 ص 292.

[3] النويري. المصدر السابق. ج24. ص 70.

[4] النويري. المصدر نفسه. ج24. ص 70. محمد الطالبي. الدولة الأغلبية. ص 222- 227.

كتامة في حدود عام (278هـ/ 891م)، فالمصادر التاريخية تشير إلى أن "أهل بلزمة كانوا قد أذلوا كتامة واتخذوهم خولا وعبيدا. وفرضوا عليهم العشور والصدقات وأن يحملوا ذلك على أعناقهم"[1].

في منتصف القرن (6هـ/ 12م) تعود الإثنيات المحلية للظهور لعالم ما بعد الموحدين، ونتيجة لغياب كتامة عن الأحداث التاريخية الكبرى لهذه الحقبة تغيب المصادر التاريخية باستثناء ابن خلدون الذي أفرد لها عنوان "الخبر عن كتامة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور علي القبائل وكيف تناولوا الملك من أيدي الأغالبة بدعوة الشيعة"، وقد توزعت هذه القبيلة **شمال غرب الأوراس**، ويقول عن هذا القبيل أنهم "تشعبوا في المغرب وانبثوا في نواحيه إلا أن جمهورهم كانوا لأول الملة بعد تهييج الردة وطفئت تلك الفتن، موطنين بأرياف قسطنطينية إلى تخوم بجاية **غربا إلى جبل أوراس** من **ناحية القبلة**. وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل إيكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة وميلة وقسنطينة وبسكرة والقل وجيجل، من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة[2]".

انتشار كتامة على هذه التخوم سيسمح لها مع نهاية القرن الثالث الهجري على اختراق الأوراس عبر مجموعة من الممرات وعن طريق اسقاط معظم المدن التي قاومت توسع هذه القبيلة التي تحالفت مع الداعي عبد الله الشيعي. وكان نصيب المدن المقاومة هو الحرق والتخريب وإسقاط الأسوار وتهديم معالمها كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثاني.

وكان لاعتماد السياسة الفاطمية على أكثر من قبيلة واحدة في حكمها انعكاس على وضع "كتامة"[3]، إذ ستؤدي إلى الحد من طموحها، بل ستعود هذه القبيلة للاحتماء بالمناطق المنعزلة بعد رحيل الفاطميين والفتك بالشيعة، فكان بالأوراس والمناطق المجاورة له الكثير من بطون هذه القبيلة التي حافظت على أسمائها، فيما لجأت فروع أخرى إلى تغيير أسمائها واستوطنت بهذا المجال[4].

---

[1] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 131. Antoine Ernest. Carette. *ibid.* p. 99.

[2] ابن خلدون. المصدر السابق. ج6. ص 195. Antoine Ernest. Carette. Origine et migrations de principales tribus de l'Algérie. p. 93- 95.

[3] بادر عبيد الله المهدي بعد إعلان الخلافة الفاطمية برقادة إلى إيلاء قبيلة كتامة عناية خاصة والعمل على رفع منزلة رجالها دون غيرها من قبائل البربر الأخرى، تقديرا منه للدور الإيجابي الذي لعبه رؤساء وأفراد هذه القبيلة في مرحلة الدعوة الإسماعيلية، فقد خص المهدي رجال كتامة بتولي المناصب الإدارية الهامة في الدولة حيث عين منهم لمناصب الداووين وبيت المال والحجابة، فقد تولى في عهد المهدي عبدون بن حباسة ديوان العطاء، وأفلح بن هارون الملوسي القضاء برقادة. كما قسم على وجوه كتامة وزعمائها أعمال افريقية التي استولى عليها أبو عبد الله الشيعي وجعل لكل مجموعة عسكر من كتامة ناحية خاصة بهم. ابن عذاري ج1 ص 195. المقريزي. الخطط ج2 ص 31. القاضي النعمان. افتتاح الدعوة. ص 299 .

[4] ابن خلدون. المصدر السابق. ج6 ص 196.

ويفسر ابن خلدون تراجع قوة هذه القبيلة إلى عدة عوامل تاريخية تتمثل بالدرجة الأولى في علاقتهم بالخلافة الفاطمية، ثم الهجرة الهلالية[1]: "أهمها كان من قيامهم في دعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دولة الفاطميين إثر دولة بني العباس، فأنظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله. ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا إلى المشرق فملكوا الإسكندرية ومصر والشام، واختطوا القاهرة أعظم الأمصار بمصر، وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها"[2].

أما عن البقية الباقية "في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبائلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بفتنة الجبل مثل بني زلديوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة، أيضاً في جبالهم"[3].

8- عودة فروع هوارة بالأوراس:

يشير اسم "هوارة" إلى مجموعة قد تكون (كونفدرالية) من السكان قبل الفتح الإسلامي وتمتد من طرابلس إلى فزان في ليبيا، ويتحدث ابن خلدون بإسهاب عن هذه القبيلة في مؤلفه أنها: " كانت مواطن الجمهور من هوارة هؤلاء، ومن دخل في نسبهم من إخوانهم البرانس والبتر لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودي والبكري، وكانوا ظواعن وآهلين، ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا إلى لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي كوكو من السودان تجاه إفريقية. ويعرفون بنسبهم هكَارة"[4]، كما يشير إلى اختلاف اسم القبيلة حسب جغرافية مواطنها[5]، ومن سلك من اطرابلس إلى ودان فإنه يسير في "بلد هوارة" نحو الجنوب في قياطن وبيوت، وهناك مرئيات ومنازل إلى قصر ابن ميمون، وذلك كله من عمل اطرابلس"[6]، كان هذا في بداية القرن الأول الهجري عام 23هـ/ 643م.

---

[1] Allaoua Amara. Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval. p. 281.

[2] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6. 196

[3] المصدر نفسه. ج6. ص 196.

[4] المصدر السابق. ج6. ص 185.

[5] Marceau Gast, « Huwwâra, Houuara, Houara, Hawwâra », *encyclopédie berbère*, (2000), p. 3513.

[6] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 184. كان موطن هوارة الأصلي بجهة طرابلس. ولم تتحول جهات منها إلى تلمسان وجبل أوراس إلا زمن الاضطرابات السياسية في نهاية القرن الأول وبداية الثاني الهجري/ القرن السادس والسابع الميلاديين، حيث تمكن أبو قرة اليفرني المغيلي من تأسيس دولة صفرية بتلمسان أصبحت مجاورة لتيهرت، وتم ذلك بين سنتي 140هـ، و148هـ. وعندما وصلت الجيوش العربية إلى مشارف بلاد المغرب وجدوا المقاومة من طرف قبيلة "هوارة"[6]. ويظهر أن هذا الاسم أطلقه العرب على هذه القبيلة -كأسياد على تلك البلاد- واستمر هذا الطوبونيم طوال فترة العصر الوسيط خاص بها[6]. Marceau Gast, *op. cit*, p. 3513- 3514. محمد حسن. القبائل والأرياف. ص 109.

هجرات جماعات هوارة ببلاد المغرب

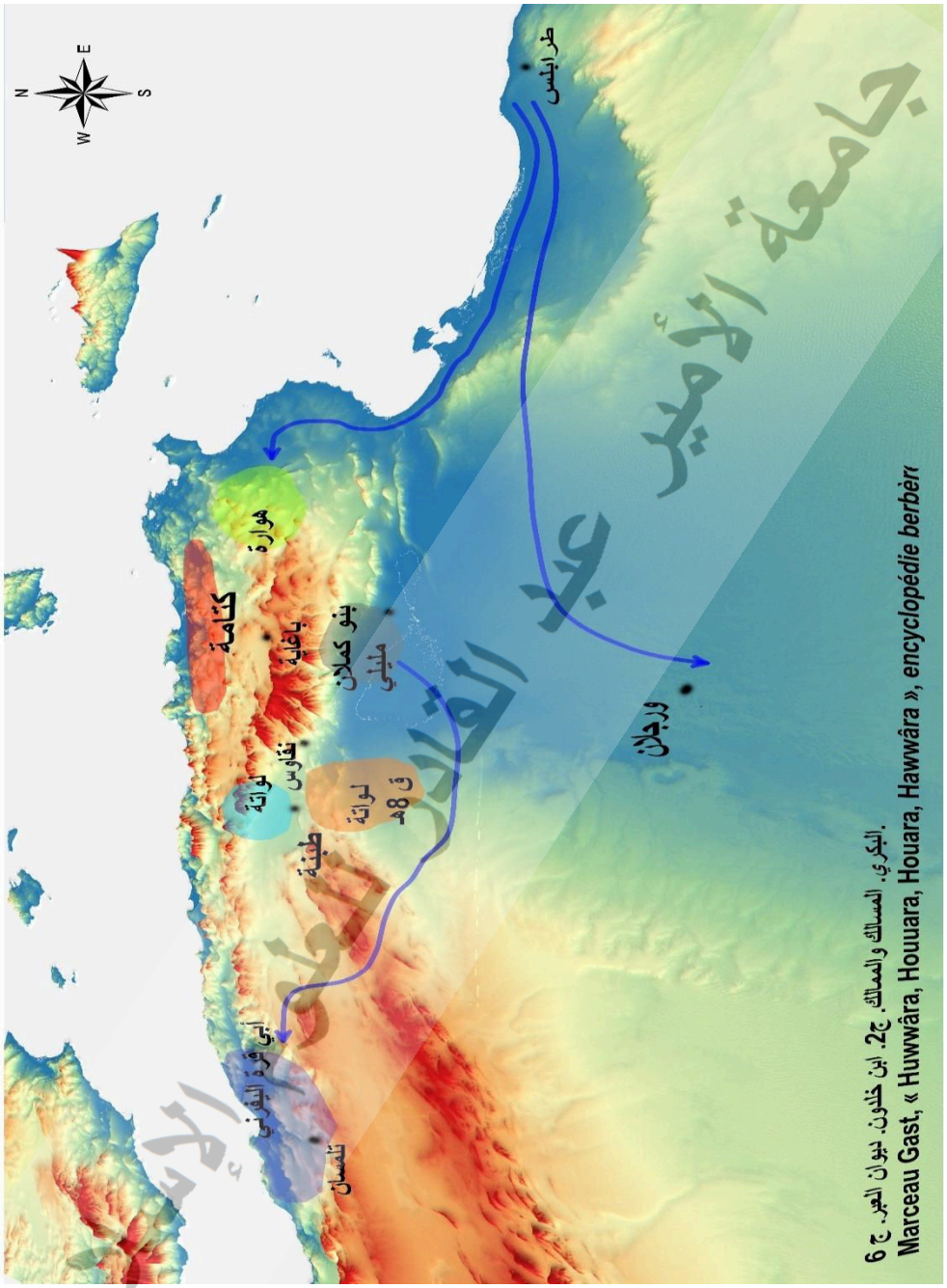

البكري. المسالك والممالك. ج2. ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6
Marceau Gast, « Huwwâra, Houuara, Houara, Hawwâra », encyclopédie berbère

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر الشيعية في القرن الرابع الهجري/ 10م تتفق مع المصادر الأخرى والتي تحدد "هوارة" و"بني كملان" كسكان "لجبل أوراس"[1]. كما أن ابن حماد الصنهاجي يفصل في دور هذه القبائل في أحداث القرن الرابع في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، إذ لم تكن علاقة هوارة بالجيدة مع الخلافة الفاطمية، وتحملت الكثير جراء هذه الثورة "وكانت دولة العبيديين جرت عليهم بكلكلها لما كان منهم في فتنة أبي يزيد..."[2]. كما استقرت فروع منها شمال شرق الأوراس طيلة قرنين من الزمان. ثم نجد هذه القبيلة تنتفض ضد الفاطميين وتصبح من أهم القبائل التي ناصرت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني، وخاضوا معه اغلب حروبه "اجتمعوا إليه من مواطنهم بجبل أوراس ومرماجنة لما غلب عليه، وأخذ أهلها بدعوته فأغاشوا إلى ولايته وفعلوا الأفاعيل..."[3].

لم تسلم بطون هوارة من هذا التراجع، مثل بني كملان التي انقطع ذكرها بعد ثورة أبي يزيد. ولكن ابن خلدون يعود في القرن الثامن ليقف على التحول الكبير الذي حدث في القبيلة؛ من خلال تعربها واعتمادها على الظعن في المعاش وتشبهها بالعرب في الملبس والمسكن "منهم لهذا العهد بمصر أوزاع... وآخرون موطنون ما بين برقة والإسكندرية، ويظعنون مع العزة من بطون هيث من سليم بأرض التلول من افريقية ما بين تبسة ومرماجنة إلى باجة، ظواعن صاروا في عداد الناجعة عرب من بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل، وكسب الإبل وممارسة الحروب، وايلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم. قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم..."[4].

بعد تراجع دولة صنهاجة توزعت فروع هوارة و"بقي منهم فل بجبل أوراس وما بعده من بلاد افريقية وبسائطها إلى أبه ومرماجنة وسبيبة وتبرسق"[5]. هذا المجال الذي سيسمح لهوارة بالتحكم في العديد من المسالك المسالك والمعابر وهو مجال حيوي للمرحلة التي ستشهد سيطرة الزيريين على المنطقة إلا أنها لم تستطيع الصمود أمام الزحف الهلالي وتراجعت قوتها أمام الغزاة الجدد، فبعدما "تغلب الأعراب من هلال وسليم على سائر النواحي بإفريقية، وكثروا ساكنتها، وتغلبوا عليهم، أخذ هذا الفل بمذهب العرب وشعارهم وشارتهم في

[1] Ahmed M'charek. *ibid.* p. 449- 450.

[2] أخبار ملوك بنو عبيد وسيرتهم. ص 30- 31. ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6 ص 383.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. 185.

[4] المصدر نفسه. ج6. ص 186.

[5] المصدر نفسه. ج 6. ص 383.

اللبوس والزي والظعون وسائر العوائد، وهجروا لغتهم العجمية إلى لغتهم، ثم نسوها كأنها لم تكن لهم شأن المغلوب في الاقتداء بغالبه"[1].

ارتبطت هوارة بمجال الأوراس حتى عهد الحفصيين، وحاولوا التمرد على الأمير أبي زكريا بعد بدأت تظهر تباشير استقلال الحفصيين وانفصالهم "ظهر منهم التياث في الطاعة، وامتناع عن المغرم، وأضرار بالسابلة، فاعتمل السلطان في أمرهم. وخرج من تونس سنة ست وثلاثين وستمائة (636هـ/ 1238م) موريا بالغزو إلى أهل أوراس، وبعث في احتشادهم فتوافدوا في معسكره. ثم صبحهم في عسكره من الموحدين والعرب ففتك بهم قتلا وسبيا، واكتسح أموالهم وقتل كبيرهم أبا الطيب بعرة بن حناش وأفلت من أفلت منهم ناجيا بنفسه، عاريا من كسبه، فألانت هذه البطشة من حدهم وخضدت من شوكتهم واستقاموا على الطاعة بعد"[2].

وأصبحت سيطرة هوارة على التلول الممتدة بين القيروان والأربس وتيفاش واضحة، حتى كونوا إقليما خاصا بهم، يطلق عليه **وطن هوارة**. وقد مثل هذا الأخير العمق الاقتصادي والممول البشري لمدينة تونس، وقد توصل بعضهم إلى تولي خطط علمية هامة مثل القاضي ابن عبد السلام والأبي، كما ذكرت النقائش عددا هاما من الهواريين بتونس[3].

9- بني ملول. فرع كملان (جملان). بشرق الأوراس.

حول نسب هوارة يقول ابن خلدون أن أحد فروعها تسمى بنو كملان[4]. أو بالأحرى بني جملان، كما يشير إلى فرع من القبيلة الهوارية تدعى "مليلة" التي تقع قرب جبل ششار[5].

أما بالنسبة لتحديد مجال بني ملول أو مليلة، فإن جورج مارسي يقترح أن تكون "بجبل ششار" قبيلة تدعى بني ملول "ايملولن" وقد كيف اسم القبيلة على المصدر البربري لجذر "ملل (mll)، واقتبس العرب اسم "مليلة" من الرومان التي كانت تعرف على شكل "ملول". فضلا عن ذلك نجد منطقة بناحية الأوراس نجدها

---

[1] ابن خلدون. المصدر السابق. ج 6. ص 383.

[2] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج 6. ص 383- 384. أصبحت "هوارة" في عهد ابن خلدون تسيطر على المجالات الممتدة من باجة إلى تبسة، وقد تأثرت كثيرا بجيرانهم من "بني سليم"، الذين تأثروا بهم، واستطاعوا استيعابهم في اللغة والملبس ونمط العيش القائم على الترحال وركوب الخيل، بل إن الكثير من "هوارة" من نسي عوائده السابقة نتيجة هذا التأثير. Marceau Gast, *op. cit.* p. 3516- 3517.

[3] محمد حسن. المدينة والبادية. ج1. ص 158.

[4] يقول ابن خلدون: ومن بطون هوارة بنو كملان، ويقال: إن مليلة من بطونهم. هؤلاء باتفاق من ابن حزم وسابق وأصحابه. ديوان العبر. ج6. ص 183.

[5] Ahmed M'charek. *op. cit.* p. 457.

في المصادر العربية باسم "دار ملول"، التي تقع في الطريق الروماني القديم بين باغاية والزاب[1]، كما تنتشر أيضا على مساحة تمتد من بوحمامة على ارتفاع 1736م إلى واحة خيران على مشارف الصحراء على ارتفاع 500 متر. وتنتشر فيها مختلف أنواع النباتات والتكوينات الجيولوجية[2].

أما بالنسبة لتحديد جملان أو كملان، المجاورة لمليلة، فتعتبر من أقدم القبائل بشرق الأوراس، ويكون جذر اسم القبيلة بربري جمل gml، أو كمل kml، ويبرر التقارب الموازي المقترح هنا والمكافئ بين جملاي وكملان، وهو تقارب لغوي وصوتي[3].

وقد حدث انقسام جزء من بني كملان التابعة لهوارة وانضم جزء منها للسلطة الفاطمية مع جيش ميسور الخصي في ثورته على أبي يزيد عام (333 هـــ/949م)؛ فقد كان بنو كملان بالأوراس من أكبر أنصار أبي يزيد، أما الذين كانوا يعملون في صفوف ميسور، فقد تم إجلاؤهم من منطقة المسيلة قبل عشرين سنة من ذلك التاريخ، وهذا ما يفسر انفصالهم عن أبي يزيد[4]. وقبل ذلك كان لبني كملان حضور قوي، وقامت بثورات ضد أمراء الأغالبة، قبل تلك الثورات التي قام بها زعيم النكارية بالمنطقة، إضافة لقبيلة هوارة وفروعها بالأوراس[5].

10- الشاوية: الحنانشة وإرث جماعات هوارة.

الحنانشة مجال يضم الكثير من القبائل التي تشكلت بفعل الحروب والهجرات المختلفة من طرف القبائل، بالإضافة إلى السكان الأصليين. وإذا كان من الصعب معرفة الأصول الحقيقية للكثير من قبائل الأوراس، فإننا نستطيع معرفة العناصر الثلاثة التي تشكل سكان الحنانشة في شكل تحالفات مندمجة تتكون من:

[1] Ahmed M'charek. *ibid.* p. 457- 458.

[2] Yazina Helal. dans le massif des beni-imloul- Aurès- Algérie. Université de la foresterie, Sofia. Étude e biomasse du Romarin (*Rosmarinus Officinalis* l.) Forest science, 3, (2010). p. 31.

[3] Ahmed M'charek. *op.cit.* p. 458.

[4] الهادي روجي إدريس. المرجع السابق. ج 1. ص 48.

[5] Ahmed M'charek. *Ibid.* p. 460.

- الشاوية: وهم بربر الأوراس ويعتبرون من أقدم السكان بالمنطقة، ينحدرون من النوميديين[1]، وهم من كانوا وراء مختلف المقاومات التي عرفتها المنطقة ضد الرومان والوندال والبيزنطيين، ثم العرب الفاتحين خاصة مقاومات الكاهنة.
- هوراة وأداسة: وهم فروع من قبائل بربر زناتة الكبيرة، كانت قبائل بدوية زمن الفتوح بطرابلس، وامتد وجودها غربا ليستقر الكثير منها بالأوراس، ثم تدخل ضمن تشكيلات الحنانشة[2].

إن التوزيع الجغرافي للقبائل البربرية والذي شهد تطورا أو إعادة الانتشار عهدي ابن خلدون في القرن 8هـ/14م، وعهد ليون الإفريقي ومارمول كربخال في القرن 10هـ/ 16م، هو أمر بديهي وطبيعي لعدة اعتبارات:

أولها: الاعتبار البشري، حيث أحصى مارمول كاربخال فروع للقبائل البربرية الكبرى بحوالي 600 فرعا، منهم من آثر الاستقرار وآخرون واصلوا الظعن، وهو نفس الطرح الذي أكده الباحث محمد حسن[3] الذي يعتقد أنه لا توجد قبيلة كبرى قد اعتمدت بأكملها على الانتجاع أو الاستقرار، فهناك من الفروع التي انتقلت من الانتجاع إلى الاستقرار أو من الاستقرار إلى الانتجاع.

أما الاعتبار الثاني لهذه التحولات فهو اعتبار سياسي وعسكري، فالقبائل بما تمثله من قوة عسكرية فاعلة، كثيرا ما تشارك في الصراعات السياسية لنصرة فريق ضد آخر مما ينجر عنه في نهاية تلك الصراعات حصول بعض القبائل على امتيازات جبائية أو عقارية كمقابل لتعاونها وولائها وفي المقابل تصبح القبائل الأخرى المعادية مطاردة ومجبرة على تغيير مواطن استقرارها أو ظعنها إلى مناطق أخرى.

أما الاعتبار الثالث فهو اعتبار اقتصادي، مرتهن بتحولات الطرق التجارية الصحراوية والتي تتكثف في منطقة معينة وتتقلص حركتها أو تنعدم في مناطق أخرى حسب الظروف الأمنية والسياسية، مع تغيير خطوط الطرق التجارية تتغير مجالات انتشار القبائل[4].

---

[1] يرى بيار موريزو (Pierre Morizot) أن الشاوية اسم أطلق على نفس الشعب الذي عمر الأوراس منذ فجر التاريخ فهو شعب واحد "بأسماء مختلفة ومتغيرة" عبر التاريخ بدءا من الليبيين والجيتول والنوميد والمور والبربر ثم الشاوية. Pierre Morizot. *Archéologie aérienne de l'Aurès*. Paris. 1997. p12.

[2] Charles Féraud. « Les Harar de seigneur de hanencha ». *Revue africaine*. 18 (1874). p. 29.

[3] محمد حسن. المرجع السابق. ج1. ص 37.

[4] محمد حسن. المرجع نفسه. ج1. ص 37. عادل النفاتي. المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب. ص 30- 31.

لقد تمكنت مجموعات الحنانشة من الاستيلاء على مجال واسع غرب إفريقية، كان في السابق يشكل "وطن هوارة"، واستغلت ضعف السلطة الحفصية خاصة في (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي)، للتوسع على المناطق التلية[1]، خاصة وأنها أصبحت تمتلك القوة لموقعها الهامشيي، وفرضت هيمنتها على الكثير من المدن.

فقبائل الشاوية المستقرة بالأوراس، نجدها في قراها المحصنة بمواقع خاصة بكل قبيلة، واختارت الاستقرار قرب الجداول والأنهار الصغيرة، أو تلك المناطق المحمية طبيعيا، أو في أراضي سهلية. وأصبح لكل إقليم خاص بقبيلة معينة يجمعها تحت اسم وانتماء واحد، ويجمعها في هذا الموقع انتسابها المشترك فضلا عن الانتماء لهذا الإقليم الذي يختلف في الجبل الواحد[2]، لنصل إلى في الأخير إلى التأكيد على أن التوطين في الجبل كان محكوما إلى طبيعة التضاريس التي فرضت على البربر الاكتفاء بمجال محدد في شكل جماعات مجزأة، وقد تكون هذه القبائل قد تأثرت بالعوامل السياسية والعسكرية التي أجبرتها على الانتقال والهجرة، وتوزعت أو أكرهت على ترك مجالاتها، أو تحالفت مع قبائل وجماعات أخرى، وهي الحالة التي نجدها في الظروف التي خلقتها مرحلة توسعات الجيوش الأموية بالمنطقة، و الفترة التي تلتها بعد ذلك بالنسبة للجماعات التي تحالفت مع الإباضية الصفرية والوهبية. وقد تعرضت المنطقة إلى تغييرات كثيرة ناتجة عن ظروف توسعات الإسماعيلية، والثورات المتتالية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، إضافة إلى سياسة التهجير القسري لبعض القبائل خلال فترة حكم الفاطميين، وكانت نتائج الزحف الهلالي السليمي أكثر تأثيرا على المنطقة، وخلق مرحلة نشيطة من الحركة للسكان وتغيير التوطن.

غير أن الكثير من الجماعات حافظت على مجالاتها، بفعل نمط عيشها الذي كان يضمن لها الانتقال بين بيئات جبلية، وواحية، وسهلية، تساعدها على الاستقرار، ومقاومة الظروف الطارئة عليها.

[1] فاطمة بن سليمان. فاطمة بن سليمان. الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574– 1881. ص 94– 95.

[2] Antoine Ernest. Carette. Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus. p. 150.

ثانيا. التوطين العربي بالأوراس:

أولا: عرب الفتح

تحجم المصادر عن التطرق إلى سكان المناطق الطرفية أو الداخلية لإفريقيا ما عدا الحواضر التي كانت تتخذ مستقرا للعمال وكانت مصدرا لتركز سلطة جباة الضرائب والخراج، أو لاستقرار بعض العناصر من الحاميات العربية، لذلك لا نأمل أن تسعفنا قلة المصادر على الوقوف على ديموغرافية الأوراس في هذه الفترة المبكرة، أو معرفة التشكيلات السكانية لمجاله؛ فيذكر لنا ابن عبد الحكم: " أن حسّان بن النعمان هو الذي أنشأ الدواوين، وفرض الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر"، ويضيف أنه "بنى مسجد جماعتها ودون الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية ، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامّتهم من البرانس إلا قليلا من البتر. وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد ، ثم توجه إلى عبد الملك بغنائمه فى جمادى الآخرة سنة ستّ وسبعين"[1].

وإذا كانت تعوزنا النصوص التاريخية حول طبيعة استيطان الفاتحين بالأوراس في السنوات الأولى للفتح، فإن الثابت هو توزع الحاميات العربية على مختلف الحواضر الأوراسية بعد مصادرة العقارات البيزنطية. وهو ما يدل على استمرارية الشبكة الحضرية القديمة، ويمكن الاستفادة بالسجل الأثري للكثير من المدن القديمة أواخر المرحلة البيزنطية في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وبداية العصور الوسطى، لمعرفة الأدوات المشتركة بين النمطين الإسلامي الشرقي والبيزنطي، ولو أن هذه الأعمال اقتصرت على حفريات فردية وحواضر بعينها دون الأخرى، فإنها تسمح لنا بسد الثغرة المتعلقة بغياب النصوص التاريخية المعاصرة لهذه الفترة الانتقالية[2]. والثابت أن المصادر العربية المبكرة[3] تشير إلى أن الكثير من المدن استمرت كحواضر للمور أو كمراكز لتوطن طلائع جند الفاتحين الأوائل.

لقد كان الفاتح الحقيقي لإفريقية هو حسان بن النعمان (76 ــ 84 هـــ/ 695- 703م)، وقد تطلب إتمام الفتح مدة سنتين كاملتين من خليفته موسى بن نصير. فخرجت إفريقية في سنة (86 هـــ/ 705م)، من عهد الفتح المضطرب والبطولي لتدخل في طور التنظيم الذي اصطلح على تسميته ب "قرن الولاة"، وقد تزامن هذا التحول الفعلي مع تغير الوضع القانوني تدقيقا.سواء كانت إفريقية مجرد مجال لخوض الجهاد، أو متمتعة

[1] ابن عبد الحكم. فتوح مصر والمغرب . ص 234. ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 38.

[2] Philippe von Rummel. *op. cit.* p. 116.

[3] اليعقوبي. البلدان. ص 182- 183.

بالوضع القانوني لولاية بواليها ومدينتها ـــ المعسكر انطلاقا من (55 هـــ/ 675م)، فإنها كانت في كل الأحوال تابعة لولاية مصر[1].

1- الحاميات العربية بالأوراس.

ظل العنصر العربي المنتشر في البلاد بحسب أماكن الحاميات، والحاجات العسكرية، حضريا أساسا. وفي العهد الأموي مثلما هو الشأن بالنسبة إلى العهد العباسي، كانت مراكز التجمعات الأكثر أهمية هي القيروان، وهي إنشاء عربي صرف، وتونس، والزاب. من الطبيعي أن يستقر في عاصمة الولايةـــ وبحكم توجهاتها الأولية ـــ عدد كبير يوجد فيه ممثّلون لأغلب المجموعات القبلية المعروفة، كلبيين، معافريين، ومجموعات من مزينة وجهينة، والتنوخيين والتجيبيين، وتيم ربيعة ،وقيسيّين وتميميين، دون أن ننسى الأرستقراطية الأنصارية ـــ القرشية[2]، التي تحتل فيها عشيرة القرشيين الفهريين مكانة مميزة تعود إلى عدد أعضائها وحلفائها، وكذلك ومن دون شك إلى رصيد العظمة المتراكم حول شخصية عقبة شهيد الفتح[3]، وقد اكتسبت هذه العشيرة ، خارج دائرة إشعاعها الاجتماعي، سلطة سياسية، إذ كان لبعض الفهريين سلطة مهمّة، حتى أن بعض المنتمين إليهم أسّس سلالة (عبد الرحمان بن حبيب). وتركزت في تونس وبلاد الزاب خاصة[4].

تتشكل أغلب الحاميات العربية المستقرة بالأوراس أو على حدوده من القبائل التي قدمت مع جيوش الفاتحين، وقام محمد الطالبي[5] بإحصاء الجند الذين ذكرهم ابن عذاري المراكشي في إطار حملات الفتح بعدما نجحت الدعاية القائمة لفائدة الهجرة نجاحا تاما، وهي قد نجحت خاصة لأنها ازدوجت بضرورات لم تكن حقا غريبة عن تنظيمها، فهي ضرورات الحرب التي غالبا ما تفرض نفسها، ويقدم الكاتب جردا بأعداد الجنود الذين دخلوا إفريقية والمغرب أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني حسب ابن عذاري المراكشي:

---

[1] المالكي. رياض النفوس. ج1ص 36. هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص 135- 136.

[2] هذا ما يستنتج من الانتماء القبلي لشخصيات مذكورة في كتب الأخبار مثل ابن الرّقيق. تاريخ افريقية والمغرب. ص 99 ـــ 139. ويعطي تحليل مصدر التراجم المناقبية مثل المعالم ذكر رقم 41 شخصية بالنسبة إلى طبقة الصحابة منهم 18 قرشيا ، و 4 أنصار ، و 17 عضوا من مزينة وجهينة ، و 2 من الموالي ، ووقع ذكر 26 اسما بالنسبة إلى الطبقة الثانية أو طبقة التابعين وهم 3 من الأنصار. و 2 من معافر (يمنيّين) ، والتوزيع تقريبا متساو بين بقية القبائل. ونجد ـــ بالنسبة إلى الطبقة الثالثة أو طبقة تابعي التابعين ـــ بروزا واضحا للعناصر العربية الجنوبية (لخم ، معافر ، همدان ، تجيب .. إلخ).

[3] ابن حزم. جمهرة أنساب العرب ، ص 177 – 178.

[4] هشام جعيط. المرجع السابق. ص 152- 153.

[5] محمد الطالبي. التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 25.

في سنة (50هـــ/ 670م) بقيادة عقبة بن نافع 10000رجلا[1]. وفي سنة (78هـــ/ 697م) بقيادة حسان بن النعمان 40000 رجلا[2]. وفي سنة (123هـــ/ 740م) بقيادة كلثوم بن عياض 30000 رجلا، إثني عشر ألفا من أهل الشام، وعشرة آلاف منهم من خلص بني أمية[3]. وكان في سنة 140هـــ/ 763م بقيادة ابن الأشعث 40000رجلا[4]. وبلغ عددهم سنة (155هـــ/ 771م) بقيادة يزيد بن حاتم 60000 رجلا اقتطعوا من جند الشام والعراق وخراسان[5].

كان من الطبيعي ألاً يستقر كل هؤلاء بالمنطقة مثلما يرى محمد الطالبي[6]؛ وعاد بعضهم إلى الشرق وأرغم آخرون على نقل نزاعاتهم وآمالهم إلى الأندلس وقد اضطرهم لذلك تقلبات المعارك بإمرة القائد الشامي الشهير بلج، فكم استقر منهم في البلاد في نهاية الأمر؟ والجدير بالذكر أن أغلب هؤلاء كانوا بمثابة النخبة ومن عناصر الرقي، لا صلة لهم بجحافل بني هلال الذين قدموا بعد عدة قرون.

2- الحاميات العربية بالأوراس العهد الأغلبي.

من المعروف أن أولى الحملات العربية على بلاد المغرب قد تميزت عناصرها بثقافة مستقرة أساسا، حتى الحضرية، وقد يعتقد أن تأثيرها لم يكن ليترك صدى كبير على الرحل في بلاد المغرب، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن قوات الحملات العربية سيطرت في البداية على المراكز الحضرية، قبل التوسع في الأرياف والمناطق البعيدة الأخرى.

فكانت الحاميات الأغلبية التي ورثت الحصون والحواضر الرومانية بالأوراس واستخدمتها في الناحية الغربية من البلاد، نجدها في المعطيات التي يذكرها اليعقوبي **بشمال شرق الأوراس**؛ فمجانة كان أهلها "قوم يقال لهم السناجرة يقال إن أولهم من سنجار من ديار ربيعة وهم جند السلطان"، أما على أطراف **جنوب شرق الأوراس** فقد استقرت قبائل تشكلت من "أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم

---

[1] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 19. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر. المرجع نفسه. ص 38.

[2] ابن عذاري المراكشي. المصدر نفسه. ج1 ص 34.

[3] المصدر نفسه. ج1. ص 54- 55.

[4] ابن عذاري المراكشي. المصدر نفسه. ج1. ص 72. النويري يجعل تاريخ تكليف ابن الأشعث في 142هـــ، بعدما تغلبت الصفرية على افريقية وقتلت ورفجومة من قتلت من عربها ... فكتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه ووجه إليه الجيوش فخرج في أربعين ألفا: ثلاثون ألف فارس من أهل خراسان وعشرة آلاف من أهل الشام. النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق. مصطفى أبو الضيف أحمد. دار النشر المغربية. المغرب. 1985. ص 227. والرقم عند ابن الأثير هو خمسون ألف. الكامل في التاريخ. ج5 . ص 377.

[5] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص78.

[6] محمد الطالبي. المرجع السابق. ص 26.

والبربر" بمدينة طبنة، وبمقرة "قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم"، وحولها مجموعة من الحصون يقطنها أقوام من "بني تميم من بني سعد" وكانت مدينة باغاية يسكن بها "قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من البلد من بقايا الروم"، **بغرب الأوراس** بمدينة بلزمة فكان "أهلها قوم من بني تميم وموالي[1] لبني تميم" غير بعيد عنها وإلى الجنوب من بلزمة استقر بمدينة نقاوس "قوم من الجند" وإلى الشمال الغربي من **إقليم الأوراس** فقد استقرت جماعات من "بني سليم" في حصن ميلة أما بسطيف فقد استقر فيها "قوم من بني أسد بن خزيمة"[2].

تميزت هذه الفترة (عقب استقرار الحاميات العربية) باضطراب شديد في المنطقة تميزت بالصراع الذي عرفته الأسر العربية من أجل الاستئثار بالملك في الولاية الجديدة، وكان الأوراس طرفا غير بعيد عن هذا الصراع الذي كان يعرف فصوله الأخيرة في بيت الفهريين عندما ثأر حبيب بن عبد الرحمن لمقتل والده، وخلص له الأمر، فبعد مقتل إلياس تمكن أخوه وحليفه عبد الوارث من الإفلات بمن بقي معه من المنهزمين من أصحاب إلياس، ولجأ إلى قبيلة من بربر الخوارج الصفرية وهي ورفجومة الصفرية احدى بطون قبيلة نفزة، حيث رحب بهم زعيمها عاصم بن جميل[3]، وكتب حبيب إلى عاصم يطلب منه تسليم عمه عبد الوارث وأصحابه، وهدده. وكان رد عاصم بن جميل هو التحالف مع يزيد بن سكوم أمير قبيلة ولهاصة. وبفضل إعلان الولاء والطاعة إلى الخليفة الشرعي أبي جعفر المنصور انضمت كل قبائل نفزاوة إلى الحلف، وقررت الخوارج الخروج لاستخلاص القيروان. وسار حبيب نحو نفزاوة للقاء عاصم بعد أن استخلف على القيروان القاضي أبا كريب جميل بن كريب المعافري، ولكن القتال انتهى بانهزام حبيب نحو قابس، والاعتصام بها[4]، وزحف عاصم وبصحبته أخوه مكرم نحو قابس ولكنه تركها وراء ظهره، وسار إلى القيروان مباشرة[5].

---

[1] استعمل العرب في مرحلة ثانية مواليهم المتأسلمين والمتعربين ، ومفهوم المولى ليس هو مفهوم أهل الذمة. فالموالي أقحموا في المدينة العربية ــ الإسلامية ودخلوا في القبيلة العربية المستوطنة ، فهم كالعرب مع وضعية اجتماعية دنيا. وأول من بدأ استعمالهم في الجيش والإدارة موسى بن نصير. ومع تقدم عملية التعريب الإداري الذي يبدو أنه تم حوإلى 100 ه / 718 م، لا شك أن العنصر العربي الخالص دخل الدواوين ، لكن أهل الذمة من المسيحيين ما زالوا يستعملون ، ولعله قلل من عددهم. فلنا نص من المدونة ، يتجلى من خلاله أن القضاة كانوا يستعملون كتبة من أهل الذمة في العهد الأغلبي الأول ، وإذن فبصفة أحرى أن كانت الإدارة الجبائية تستعملهم. هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص 103.

[2] البلدان. ص 190، 191، 211. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر. القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين. ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر. 1982. ص 49.

[3] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج 1 ص 69 – النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب . ص 90. ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 111.

[4] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1 . ص 70. ابن خلدون. المصدر السابق. ج6. ص111. المالكي. رياض النفوس. ج1 .107.

[5] ابن عذاري المراكشي. المصدر نفسه. ج1 .ص 70. النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ص 90. ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6. ص 111.

لقد خدمت البيئة البدوية المغربية تلك الصراعات بين مختلف القبائل وما تفرزه من نظام قبلي، فضلا عن الاعتماد على موارد اقتصادية غير قارة، وانعدام الأمن في مثل هذه البيئة، يعزز نظام الغارة والاعتداء على الغير، ويجعلها نظاما مألوفا غير خارج عن العرف والقانون في ظل واقع الإحتراب بين القبائل المغربية، غير أن الدعوة الدينية التي تقتنع بها القبيلة الحاكمة وتعمل على نصرتها، تؤدي إلى الاجتماع والتآلف وتحول فكرة الغزو من نظام الغارات العشوائية إلى الغزو المنظم[1]، كما أن قراءة هذا الواقع انطلاقا من استخدام العلاقة بين الأنثروبولوجيا والبيئة، يسمح لنا بمعرفة أشكال متعددة من البداوة التي تقوم على حماية أكثر لاستغلال الموارد الطبيعية وأساليب الرابطة الرعوية، كما أن البدو يعتمدون أنماط عيش هي بالغة التعقيد في أشكال الاستيطان وتعاملهم اليومي مع بيئاتهم الطبيعية[2].

ثانيا: النزوح الهلالي السليمي ق5هـ/ 11م:

كانت أكبر الهجرات التي ستعرفها تخوم الأوراس هي تلك التي حدثت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والتي ستحدث تغييرا جذريا في بنية المجتمع المحلي، كما ستخلق حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار ونشاط كثيف في حركة الانتقال والتهجير للسكان من مختلف المناطق والأقاليم ببلاد المغرب، وسيكون لها تأثير كبير على طبيعة التوطين بمختلف جهات الأوراس.

كما اعتبر هذا النزوح من أكبر القضايا إثارة للجدل والاختلاف بين المؤرخين في العصر الوسيط، وأثارت العديد من النقاشات حديثا، وبالنسبة للمؤرخين المغاربة فقد كان أغلبهم نخبة مستقرة بالمدن، وهم مرتبطون بأهل السلطة والتجارة، وهي الفئتان اللتان يستظل بهما عادة أهل الأدب، فلا بد إذن من أن يحملوا على هؤلاء الرحل المهددين لاستقرار الحضر، والدولة كضامن لهذا الاستقرار، والمهددين كذلك لسلامة الطرق، وهي سلامة ضرورية لأهم تجارة آنذاك، أي التجارة البعيدة المدى.

وبالعودة إلى منطلقات هذه الهجرات ودوافعها نجد أن التخلص من شرهم كان على رأس الأولويات للسلطة الفاطمية فقد "عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم"[3]. وقد كان الرهان بعد ذلك ببلاد المغرب قائما على "اصطناعهم والتقدم لمشايخهم وتوليتهم أعمال إفريقية وتقليدهم أمرها ودفعهم إلى حرب صنهاجة

[1] إبراهيم القادري بوتشيش. حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي. دار الطليعة. بيروت. ص 12- 13.

[2] Mohamed Meouak. Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb. *op. cit.* p. 72- 73.

[3] ابن خلدون. المصدر السابق. ج 6 . ص 19

ليكونوا عند نصر الشيعة، والسبب في الدفاع عن الدولة"، ويضيف ابن خلدون أنه في حالة فشلهم في ذلك فإن "أمر العرب البادية أسهل من أمر صنهاجة الملوك"[1].

أما عن تحركات هذه القبائل فلم تكن الهجرات المتلاحقة للقبائل الهلالية السليمية تستهدف مجالا محددا بعينه تريد الاستحواذ عليه؛ فكان تحركها وفقا لما يضمن لها معاشها، فكانت حركتها ودوافع انتشارها عبر مختلف المنافذ والمعابر التي تراها أقل خطورة، لذلك لم يكن بالإمكان أبدا إهمال الدور الجغرافي والتضاريس في رسم خط سير وتحركات هذه القبائل.

1- الظرفية التاريخية للحضور الهلالي السليمي بالأوراس:

قبل الحديث عن جغرافية توطين القبائل العربية بالأوراس يجب التذكير بالظروف والدوافع التي خلقت منطلقات هذه الهجرات بذلك الحجم الذي سيغير من ديموغرافية المنطقة، وكيف يمكن أن تضع هذه المتغيرات في سياقها التاريخي، فبعد رحيل الفاطميين لم يلبث خلفاؤهم في إفريقية أن انقلبوا عليهم، وأدى ذلك إلى تغيرات حاسمة على الجانب السياسي والاجتماعي فأصبحت القطيعة واضحة بين القاهرة وإفريقية فيما كانت النتائج الاجتماعية أكثر أهمية وخطورة من خلال سعي الفاطميين معاقبة الزيريين بإقطاع المنطقة للقبائل العربية. وقد أصبحت إفريقية تعاني من تراجع على مختلف الجوانب حيث خرجت بعد الحكم الفاطمي مثقلة بالحروب والتراعات، كما تراجعت قوة الكثير من العصب والقبائل وعلى رأسها قبيلة كتامة على سبيل المثال التي أصبحت مشتتة بين الكثير من المجالات وقد أنهكتها متطلبات حضورها القوي في الخلافة الفاطمية في الفترة المغربية، والتي أعقبتها بعد تأسيس القاهرة.

ومن أجل الإلمام أكثر بهذه المخلفات ينبغي لنا الخروج عن دائرة تحركات هذه الجماعات مستعينين بخلفيات تاريخية حول مجالنا؛ فقد كانت الأوضاع غير مستقرة تميزها التراعات الداخلية بحواضر إفريقية بين الشيعة والسنة، والصراع الصنهاجي على المحور الأموي- الزناتي، وتراجع قيمة الدينار والدرهم الزيريين وما نجم عنه من ارتفاع الأسعار وازدياد الأزمة الاجتماعية؛ ففي عام 395هـ/ 1004م، كانت في إفريقية شدة عظيمة انكشف فيها المستور، وهلك فيها الفقير وذهب مال الغني، وغلت الأسعار، وعدمت الأقوات، وجلى

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6 . ص 19

أهل البادية إلى أوطانهم، وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث. ومع هذه الشدة وباء الطاعون، هلك فيها أكثر الناس من غني ومحتاج... وقيل أن أهل البادية أكلوا بعضهم بعضا"[1].

أما بعد هزيمة حيدران عام (445هـ/ 1052م)، فقد عمت الاضطرابات أغلب المجالات الداخلية لإفريقية، لما تمكن الجنود الفارون ورقيق الأرض والبؤساء من الانقضاض على الأثرياء في المدن والأرياف وانتشرت عمليات السلب والنهب وقطع الطرقات، ما حمل أهالي القيروان على الهجرة إلى المناطق المجاورة فرارا بأنفسهم ومتاعهم، لذلك فقد عرفت إفريقية فراغا ثقافيا، نتيجة تدمير العاصمة الدينية والثقافية القيروان من طرف الهلاليين، مما أفرز هجرة ثقافية اتجهت غربا في غالب الأحيان.

وإذا كان الصدام هو ميزة هذه القبائل مع الزيريين، فإن الحماديين اتبعوا سياسة ناجحة إلى حد بعيد، وأثبتت الأحداث أنها أفضل من سياسة أبناء عمومتهم بني زيري الذين يتحملون قسطا كبيرا من هذه الحملة. فقد استطاع الحماديون ترويض هذه القبائل لدرجة استغلالهم لهم في حروبهم ضد بني زيري، وضد زناتة، وعن طريقهم حصل الحماديون على مدن زيرية، واستعملوهم في قتال المرابطين.

وقد استعملوا معهم السياسة الوحيدة الناجحة مع العرب وهي سياسة التفريق فمالئوا بعضهم على بعض، لدرجة جعلت العرب يحسون بولاء عظيم لدولة الحماديين كما ظهر من ثوراتهم ضد الموحدين بعد سقوط بجاية، إلا أن هذه العلاقة بين الحماديين والقبائل الهلالية لم تكن خالية من المعارك بين الفريقين، لأن من طبيعة هذه القبائل الحرب والإغارة والنهب. خاصة بعد أن فتحت أمامهم مجالات أتاحت لهم العيش في الفوضى والارتزاق والانقسام، ولعل هذا الطابع هو الذي جعلهم مع تغلبهم على صنهاجة الزيرية لا يؤسسون ملكا ولا يشيدون دولة[2].

---

[1] محمد الشريف. الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسي المعاصرة. من المغرب والأندلس. دراسات في التاريخ والأركيولوجيا. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تطوان. 2006. ص 104- 105. الشماخي. كتاب السير. الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ 11م. تحقيق. محمد حسن. منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. 1995. ص 294. وفي عام (409هـ/ 1018م) ظهر الغلاء مصحوبا بالحروب الكثيرة وأصبح قطاع الطرق ذارعين يمينا وشمالا بواحات الجريد واريغ ، كل هذه الظروف ستشكل ضغطا ديموغرافيا متزايدا على منطقة الأوراس التي ستشهده حدوده الشرقية والشمالية والجنوبية، وستكون مرشحة لمواجهة هذ الظروف المتمثلة في زحف ضخم ومستمر لمختلف قبائل الرحل، ففي إفريقية البلد المنبسط الذي اجتاحته جحافل الغزاة الرحل بتمامه وكماله، أصبح عرضة للفوضى، و لم تبق لتميم بن زيري سوى المهدية، وبالعكس من ذلك فإن الناصر بن حماد ما زال يتحكم بقوة في شمال ووسط مرتفعات المغرب الأوسط، ولئن سقط المنخفض الجنوبي بين أيدي الهلاليين، فإن هؤلاء يتعرضون هناك لمقاومة زناتية مستميتة، في حين يتوقع أن يتعزز التحالف بين بني حماد وبني هلال. روجي إدريس. المرجع السابق. ج 1 ص 292.

[2] عبد الحليم عويس. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. ط2. 1991. دار الصحوة. القاهرة ص 178- 179.

وتنتهي هذه الحركة باستسلام إفريقية للواقع المفروض عليها من قبل هذه القبائل البدوية، ففي عام (454هـــ/ 1062م)، ستشهد تغييرا على رأس المملكتين الصنهاجيتين، ولكن وضع كل واحدة منهما يختلف تماما عن الأخرى.

2- **الهجرات الهلالية في المصادر:**

لم يكن ابن خلدون سباقا لدراسة الهجرات الهلالية لبلاد المغرب فقد سبقه العديد من المؤرخين الذين صاغوا مجموعة من المفاهيم والأحكام عن هؤلاء العرب البدو وتداولوها قبل ابن خلدون وقد لخصها محمد الشريف[1] فيما يلي:

إبادتهم للعمارة؛ جاهليتهم المستمرة، وجهلهم بالحرب النظامية[2]، بينما ينعتهم ابن عذاري بالجهال المنافقين الكلاب المسعورة جاهلون للحرب[3]، إفسادهم لعمران المغرب[4]، وتقويضهم للعلم والحضارة، بينما اعتبروا خطيئة الموحدين لترحيلهم للمغرب الأقصى وهم سبب مصائبه.

أما المصادر المعاصرة للهجرة الهلالية فإن أغلبها تعتبر هذه الهجرات "زحف جراد"، و"كارثة"، حلت ببلاد المغرب، أوهنت اقتصاده وأتلفت معالمه ومنشآته الحضارية وأوقعته في هوة سحيقة[5]. ويستمد هذا الموقف جذوره من روايات المعاصرين للحدث من أمثال شعراء القيروان، ومؤرخيها كابن رشيق وابن شرف القيرواني وأبي الصلت[6]. أما المصادر الأخرى التي تحدثت عن الهجرة الهلالية وانتشارها فإنها جاءت في الغالب متأخرة: نجدها عند الإدريسي، وابن الأثير، وابن عذاري، والتيجاني، وابن خلدون.

تستمر مشكلة المصادر لنجد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري حتى كامل القرن السابع الهجري، وهي مرحلة تميزت بضغط الهجرات الهلالية على مناطق الساحل، وتكاد تسيطر على الداخل باستثناء بعض المناطق الصعبة وخاصة المعقدة التضاريس، والتي لم تستطيع السيطرة عليه نتيجة لمنعتها، وتميزت هذه

---

[1] محمد الشريف. المرجع السابق. ص91.

[2] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. 229 308. الإدريسي. نزهة المشتاق. ج1. ص 253- 256، 258- 2261، 263. ج2. ص 532- 534.

[3] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج3. ص 130 159 660.

[4] الإدريسي. المصدر نفسه. ص 60، لسان الدين ابن الخطيب. تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. تح أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء. 1964. ص 74 – 77.

[5] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج1. ص 245.

[6] Georges Marçais, Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle. Constantine. 1913. p. 7- 13.

المرحلة بغلبة الحضور الإيطالي في المتوسط؛ هذا ما فرض وجود لنوعية جديدة من المصادر هي أساسا وثائق أرشيفية متعددة المصدر والمضمون[1]، لذلك قلت المصادر الخاصة بالجبل و المناطق الداخلية.

أما في العهد الحفصي فإن الزركشي أشار إلى العديد من الوقائع الدالة على حضور التعسر، مشددا على الخلافات السلالية ودورها في تغذية النعرات القبلية بين الفصائل السليمية المتحاربة كالدواودة، وأولاد أبي الليل، وأولاد المهلهل من الكعوب، هذ القبائل التي كانت تتناوب السيطرة على الحدود الغربية للإمارة الحفصية، كما أن حوليات ابن الشماع رغم الاختصار الشديد الذي شاب نقولها، فقد توقفت عند العوامل التي مثلت مظهرا مهيكلا لم تنقطع آثاره السلبية خلال مجمل الردهات الزمنية التي استغرقتها حياة الدولة الحفصة[2].

كل هذه النصوص التاريخية لا نجد صداها لدى المؤرخين الذين تمسكوا بآراء ابن خلدون. هذا الأخير لم يفعل إلا أنه ذكر وردد ما قيل من قبل. ولم يكن سابقا إليه، وهو قد استقى على مستوى التنظير مجموعة مفاهيم كان يتداولها المؤرخون عن هؤلاء البدو الرحل. وهنا يكمن خطأ الأسطوغرافية الاستعمارية لتي اقتصرت على قراءة ما لابن خلدون واعتبرته مصدرا مطلقا لكل ما ثيل عن بدو العرب هؤلاء[3].

بالنسبة للمصادر الجغرافية؛ فالجغرافي البكري الذي يمثل لنا مرحلة هامة تسبق الزحف الهلالي، لكنه لم يشر إلى المسألة وكانت آثاره في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أقل قيمة من الشهادات التي قدمها في القرن السادس الهجري/ العاشر الميلادي، وخاصة النصف الأول منه تميز بتفاقم الضرر ليشمل الطرق وأحواز المدن والبسائط في السهول الداخلية[4].

الزهري (ت أواسط ق6هـــ) كان معاصرا للإدريسي، يؤكد على الآثار السلبية لهذه الهجرات التي أدت إلى تفرق الناس إلى الساحل، أو الهجرة غربا نحو المغرب الأقصى، ومنهم من اجتاز إلى عدوة الأندلس. وتحولت الكثير من المدن والعواصم إلى خراب، ودام ذلك مدة طويلة من الزمن، إلى أن تمكن منهم عبد المؤمن

---

[1] لطفي بن ميلاد. إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5ه/11م إلى مطلع القرن 10هـــ/16م. وقائع الانفصال وتحديات الاتصال. الدار المغاربيّة. تونس 2011. ص 252- 253.

[2] ابن الشماع. الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية. تحقيق. الطاهر بن محمد المعموري. الدار العربية للكتاب. تونس. 1984.ص 137- 138.

[3] علي أومليل. مصادر ابن خلدون في المعرفة والتنظير. ص 77.

[4] يقدم المقدسي صورة عن الأقاليم الجنوبية لبلاد المغرب، خاصة المجال الذي يقع خلف البحر، أنه: "بعيد الأطراف، كثير المفارز، صعب المسالك كثير المهالك، في زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر مقطوع، فلا راغب فيه، ولا له ذاهب، ولا عنه سائل..." أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ص 179.

بن علي الذي طردهم وهَجَّرهم[1]، فقد تفطن عبد المؤمن بن علي إلى قدرة الأعراب[2] المتفلتين على خلق مشاكل وصعوبات عويصة في أطراف الدولة، التي كانت تراهن كثيرا على مناطق الشرق، في امتداد يحقق مشروعها الوحدوي السياسي المبني على الطموح إلى تأسيس دولة الخلافة القوية القادرة على توحيد المسلمين، لذلك كان من وصايا عبد المؤمن لابنه يوسف نقل المزيد من عرب إفريقية للاستعانة بهم في حروب الأندلس[3].

أما العبدري (ت720هـ/1321م)، فيورد شهادة على الاعتداءات التي كانت تتعرض لها بعض المدن بغرب إفريقية، وكانت محاصرة من طرفهم، وأن بعض سكان هذه المدن "لا يفارق أسوار المدينة خوفا من العربان"[4].

الخلاصة:

إن النقاش حول قضية الهجرة الهلالية والسجال الذي طرحته في مختلف الكتابات تطول[5]؛ فالجميع يعتمد على المصادر نفسها (الأخبار، المناقب، الأحكام، الفتوى) التي كتبها في الغالب فقهاء ينصبون العداء في

---

[1] الزهري. كتاب الجعرافية. تحقيق محمد حاج صادق. مكتبة الثقافة الدينية. مصر. ص 112.

[2] حول الفرق الفرق بين العرب والأعراب ينظر: الرصاع. فهرست الرصاع. ص 65- 66.

[3] محمد المغراوي. المرجع نفسه. ص 99. عز الدين عمر موسى. النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي ط2 2003. ص 98- 99.

[4] العبدري. الرحلة المغربية. مؤسسة بونة للبحوث والدراسات. الجزائر. 2007. ص 66.

[5] علاوة عمارة. الهجرة الهلالية واشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط. قراءة في نقاش تاريخي. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. قسنطينة. العدد الرابع. (أكتوبر 2004). المطبعة العربية غرداية. ص 40- 41. 47- 48.

محمد الشريف. المرجع السابق. ص102 - 107.

راضي دغفوس. دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط. . دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2005. ص 151- 152.

Jean Poncet, Le Mythe de la Catastrophe Hilalienne, *annales ecs*, (1968), p. 1160, 1118, 1102, 1111. Idem encore a propose des hilalienne la mise point de roger idris , *annales ecs*, (1968). p. 260, 262.

Henri Terrasse, « Citadins et Grandes dans l'histoire de l'islam», *studia islamica*, 29, (1969). p. 12, note1.

Claude Cahen, quelques mots sur les hilaliennes et le nomadisme, *journal of economic and société historique of orient*, 9, (1968), p. 130- 133.

Idris Hady Roger. de la realité de la catastrophe hilalienne annales esc. p.390- 396. Idem la berberie orientale sur les zirid. Idem L'invention hilalienne, cahier de civilisation médiévales 1968, Idem l'invention hilalienne, cahier de civilisation médiévales 1968, p.357 note 5 .

Jack Berque, « de nouveau sur les beni hilal », *Studia islamica*, 36, (1972), p.110.

Georges Marçais. La Berberie musulmane et l'orient au moyen age. – Paris. 1946. Idem, *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*. Constantine, 1913.

Elise Voguet Mohamed Ourfelli. « Le monde rural dans l'occident musulman médiéval ». *Revue des mondes musulmans et de la méditerranée*. 126. (2009). p.17.

نفس الوقت أمراء بني زيري وأشياخ القبائل الهلالية. فلا عجب إذا وجدنا فيها كل فريق ما يؤيد نظرته. فلا يمكن والحال هذه، الفصل بينهما مهما طال النقاش[1].

وما يمكن أن يرجح كفة إحدى النظريتين حول المسألة المطروحة، حسب العروي هو شهادة وثائق أصلية عن تطور التجارة البعيدة في أواسط القرن الخامس الهجري، مثل وثائق الجنيزة القاهرة، التي تؤيد النظرية النقدية ربما أنها تتضمن رسائل تشير إلى نوع من الانحطاط الذي مس مجموع الغرب الإسلامي سنوات عدة قبل وصول جحافل البدو الحجازيين. وبالتالي تعتبر البداوة بمعناها السياسي العسكري نتيجة أكثر مما هي سبب وباعث[2].

في القرن (6هـ/ 12م)، حاولت الكثير من القوى (الحمادية، والموحدية، والحفصية) السيطرة على القبيلة والاستيلاء على مجالاتها وإخضاعها للسلطة المركزية، وذلك باستعمال مختلف الطرق بفرض الضرائب، أو بالتهجير، ومحاولة تحويل القبائل إلى دوائر إدارية وعسكرية، وتوحيدها مع الجيش[3]، ومن ثمة التدخل في تنظيم المجتمع القبلي والتحكم فيه، وهذا ما نجده في محاولات السلطة الموحدية التي لم تتردد في تهجير القبائل المتمردة شمال الأوراس إلى مراكش، ثم عملت على استخدامها في جيشها[4].

وبالفعل تحول الهلاليون إلى أمراء حرب، وبمجرد وصول البدو العرب، يفكر الحكام البربر في استخدام هذه القوة الجديدة في الاقتتال الداخلي، لذلك، وبعيدا عن القلق حول الاختراق نحو الداخل من الهلاليين، أصبحت هذه القبائل مثل الأثبج الذين يقاتلون أبناء عمومتهم رياح، وهم يكافحون ضد أبناء عمومتهم الزيريين.

---

[1] العروي. المجمل في تاريخ المغرب. ج 2 . ص 97- 98.

[2] العروي . المرجع نفسه. ص 103. محمد الشريف. المرجع السابق. ص 108.

[3] كانت الولاءات في هذه الفترة تتبع القبيلة، و لم يكن هناك جيش منظم تابع للسلطة لتعتمد عليه، لذلك نرى أن بعض القبائل قد تنقلب ضد سلطة الدولة حسب ولاءاتها. ومن هنا انخرطت القبائل الهلالية منذ البداية في الانقسامات التي حدثت بالمنطقة؛ فقد رأى العديد من الحكام في الهلالية جنودا مرتزقة فقط، فكان كل منهم يسعى لمحالفة فريق منهم لمساعدته في تنفيذ مشاريعه ضد الآخرين. فاستعان بنو حماد بفريق منهم على قتال المعز ولما يمض على دخولهم إفريقية غلا فترة وجيزة، ووضح هذا الاتجاه في عهد الناصر بن علناس الحمادي الذي استعان بعدة بطون منهم في حربه ضد تميم بن المعز سنة 460هـ/ 1067م، و لم يتورع تميم هو الآخر عن الاستعانة ببعض بطونهم خاصة بني رياح في معظم حروبه. وغير هؤلاء الأمراء كثير. حتى سرت عدوى داء الفرقة إلى صفوف الهلالية أنفسهم فدب فيهم الخلاف وفرقتهم أفخاذ وبطون متصارعة هي الأخرى.
Gabriel Camps. « Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe ». *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, 35, (1983)-1. p. 20. Gabriel Camps.

[4] Pascal Buresi, Mehdi Ghouirgate. Le Maghreb XIe XVe siècle, Paris, 2013 p. 98.

وبعد قرن من وصول القبائل البدوية الأولى، بنو هلال يجتمعون لمواجهة القوة المتنامية من الموحدين، سادة المغرب الأقصى ومعظم المغرب الإسلامي ولكن بعد فوات الأوان والهزيمة في معركة سطيف. ومن المفارقات أن هذه الهزيمة لا تعيق توسعها، إذ كانت الأهداف الموحدية ترمي إلى استخدام هذه القبائل دون الالتفات إلى أن العواقب يمكن أن تكون أكثر خطورة عليهم، وتأمر بترحيل العديد من بطون رياح والأثبج وجشم في مختلف مناطق المغرب الإسلامي، إلى المغرب الأقصى والسهول الأطلسية[1].

ثالثا: شرق الأوراس وازدهار التحالفات الزيرية الحمادية الهلالية:

اجتمعت العديد من العوامل التي أثرت في توطين القبائل العربية بالأوراس، منها الهجرة، والعوامل الجغرافيا، والاختلاط، والاتحادات القبلية، وتراجع العصبية القبلية، واستخدام القبيلة أحيانا في الصراعات السياسية عن طريق الولاء،؛ فقد ظهرت الكثير من أشكالا للاتحادات القبلية من أجل مواجهة الأخطار الخارجية، وبعدما أصبحت الظروف في صالح هذه القبائل، وأصبح النصر حليفهم بتغلبهم على الدولة "وعجزت زناتة عن مدافعتهم بإفريقية والزاب، وصار الملتحم بينهم في الضواحي بجبل راشد، ومصعب من بلاد المغرب الأوسط" وانتهت هذه المواجهات إلى شبه اتفاق بين الطرفين "صالحهم الصنهاجيون على خطة خسف في انفرادهم بتملك الضواحي دونهم، وصاروا إلى التفريق بينهم، وظاهروا الأثبج على رياح وزغبة"[2]. وكانت هذه الحركة التي تنتشر في عصبيات بدوية تعتمد الالتحام النسبي وسيلة لتنظيم الجماعة من حيث العيش والحرب، فالنظام العصبي ضرورة يفرضها نمط الحياة في المجال الصحراوي، وكثرة العصبيات في المجتمع الصحراوي تعبير عن استقلال هذه العصبيات، لذا فتراعها المستمر، وعدم استقرار التحالفات، دليل على التمسك المطلق لكل عصبية باستقلالها، وخاصة تجاه الدولة التي تمثل الهيمنة الحضرية[3]. خاصة لما تكون هذه القبائل تحت ضغوط تهدد معاشها؛ فالقبائل الهلالية كانت في وضع خانق نظر لوجودها في منطقة جدباء، عرفت بجفاف مناخها وقلة مراعيها وهي الصعيد بمصر. مما شجعها على توجيه نظرها إلى إفريقية والخروج من الصعيد بحثا عن ظروف عيش ملائمة[4].

---

[1] Gabriel Camps. *op. cit.* p. 16.

[2] ابن خلدون. المصدر السابق. ج 6 .ص 27.

[3] علي أومليل. مصادر ابن خلدون في المعرفة والتنظير. ملتقى ابن خلدون والفكر العربي المعاصر. جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس 1980. ص 82- 83.

[4] راضي دغفوس. دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط. ص 178- 179

في سنة (457هـــ/ 1065م)، كان اللقاء بين المتحاربين سنة في سهل سبيبة الواقع بين القيروان وتبسة، "وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعا وعشرين ألفا، وبهذه المعركة تم للعرب ملك البلاد"[1]، ويبدو أن جيش الخيالة الصنهاجي الذي كان يعد بجاية اثني عشر ألف فارس على أقل تقدير، مقيمين بالقلعة، قد أبيد في سبيبة[2].

[1] ابن خلدون العبر. ج6. 211- 212.

[2] لسان الدين ابن الخطيب. تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. تح أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتب ، الدار البيضاء. 1964. ص 94- 96. الهادي روجي إدريس. المرجع نفسه. ج 1 . ص 306 – 308.

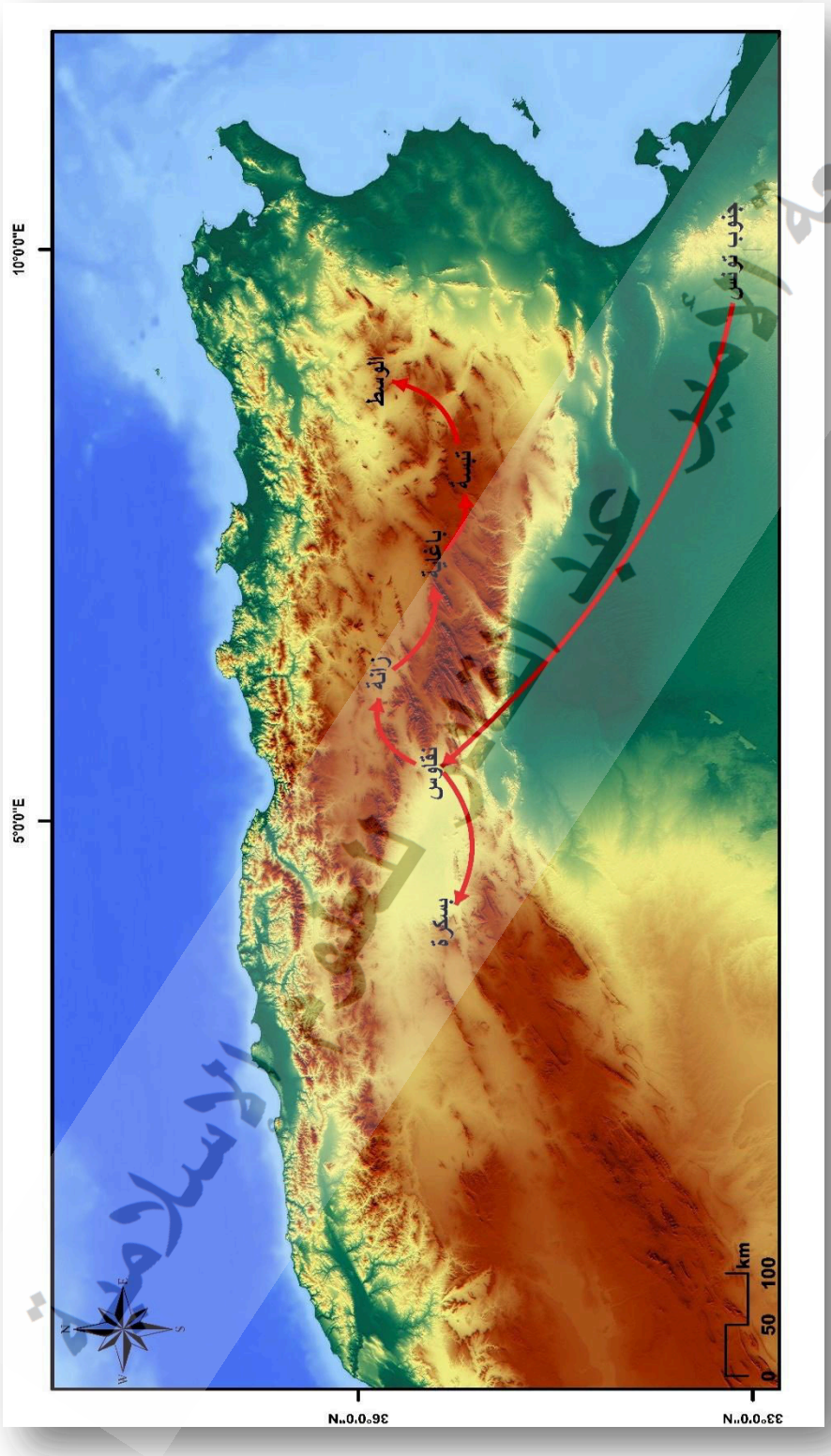

محاور دخول الهلاليين للأوراس عبر طريق القوافل

ففي هذا العام أقام الناصر حلفا عتيدا بين البربر والعرب، ويبدو أن **الأثبج** هم الذين حرضوه على ذلك، إذ كانوا يرغبون في بذل مجهود أخير لمقاومة نفوذ **بني رياح** المتعاظم فاستعان شيوخ الأثبج بالناصر ضد رياح. وقد لبى بنو حماد طلبهم بطيبة خاطر، لا سيما وأن بنو رياح كانوا موالين لبني زيري. وكان شق الناصر يضم بالخصوص بالإضافة إلى الصنهاجيين، الأثبج، وعدي من بني هلال، وزناتة، في حين كان الشق المنافس يضم المجموعة الهلالية الأخرى المتركبة من رياح وزغبة وبني سليم، وقد انضم إليهم الأمير المغراوي ابن المعز بن زيري بن عطية.[1]

أما **قبيلة رياح**، وبعد أن تمكنت من دحر القبائل المنافسة نحو الغرب (الأثبج وزغبة سنة (466هـ/ 1073م)، **وقبيلة عدي** سنة (499هـ/ 1105م) انفردت برئاسة بني هلال خلال القرن (6هـ/ 12م) نازلة **بالسهول التلية** الخصبة، وهو ما يفسر تنامي أعدادها، ولكنها عجزت في الحلف البدوي المكون من رياح وعدي والأثبج بقيادة أمير المعلقة محرز بن زياد عن التصدي لعبد المؤمن بن علي في موقعة سطيف التي فتحت باب إفريقية أمام الموحدين سنة (547هـ/ 1153م)[2]. فلما التقى الموحدون والعرب قالت العرب: الرواح، فتبعهم الموحدون ولم يشغلهم المال، فاتبعوهم يوما وليلة، وهزموهم بإذن الله، واشتغل الموحدون بضم المال"[3]."وأوصى الخليفة الموحدين، وقال لهم: "لا تشتغلوا بالغنائم إذا سمعتم العرب تقول: الرواح، اتبعوهم ولا تشتغلوا بالغنائم.

[1] الهادي روجي إدريس. المرجع السابق. ج 1. ص 305.

[2] محمد حسن. المرجع السابق. ج1 ص 105.

[3] البيذق. المصدر السابق. ص 108.

2-الحضور الهلالي شمال الأوراس.

الحضور الهلالي في شمال الأوراس على الحدود مع إقليم كتامة تميز بسيطرة قبائل الأثبج، ورياح، ودريد، على ضفاف الوديان الرئيسية لبلاد كتامة، كما سيطرت هذه القبائل على الأراضي الممتدة بين قسنطينة وبونة، وانتشرت بجانبهم قبائل الكعوب ومرداس الذين كانت لهم علاقة بثورة بني غانية على الموحدين، فيما سيطرت قبائل الدواودة على غالبية السهول والهضاب التي تمتد بين قسنطينة وكتلة جبال الأوراس والزاب[1]. وكانت سيادة البنى القبلية في المغرب والتي تفسر بإحساس سكان البادية أفرادا وجماعات بضرورة تأمين العيش والبقاء والاستمرار في بيئة تتميز بعدم ثبات مناخها، وتعرض مواردها الطبيعية للجفاف والنضوب في اية لحظة. مع غياب تام للسلطة المركزية، وانعدام كلي للأسوار والحصون، الشيء الذي يدفع البدو إلى التجمع من أجل قهر الظروف الطبيعية وتأمين الرزق وحماية الذات.

وبما أن الظروف المناخية غير مأمونة في البوادي، فإن البدو يلجؤون في بحثهم عن القوت إلى القيام بغارات للحصول على المغانم التي تضمن لهم العيش، فتكون أرزاقهم في ظلال رماحهم[2].

ولكن ضمن ذلك المفهوم ذاته لامتزاج الأجناس ليس من غير الجائز الاعتراف بوجود درجات متفاوتة بالنسبة إلى الفترة التاريخية المعنية بالأمر. وأننا نكون غير خاضعين للواقع، إن لم نسلم بأن الغزوة الهلالية قد شملت في الجملة المناطق الجبلية في البلاد المغربية أقل مما شملت المناطق المنخفضة[3]، ولعل هذا ما ينطبق على جبل أوراس الذي كان ممتنعا عن البدو، على الأقل في بداية تحركهم.

---

[1] Allaoua Amara. Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval. p. 282.

كان ابن غانية بعد واقعة شبرو 604هـ/ 1207م، انطلقوا يستألفون الأعراب من كل ناحية، حتى اجتمع إليهم من ذلك أمم كان فيهم من رياح وزغب والدريد وعوف ودياب ونفاث. واختلفوا في الاحتشاد وأجمعوا دخول أفريقية فبادرهم أبو محمد قبل وصولهم إليها. وخرج من تونس سنة ست وستمائة وأغذ السير إليهم، وتزاحفوا عند جبل نفوسة، واشتدت الحرب.

واستفحل أمر أبي محمد بأفريقية وحسم علل الفساد منها واستوفى جبايتها. وطالت مواقف حروبه ولم تهزم له فيها راية. وهلك الناصر وولي ابنه يوسف المستنصر، واستبد عليه المشيخة لمكان صغره، وشغلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب، فاستكفى بالشيخ أبي محمد في أفريقية وعول على غنائه فيها، وضبطه لأحوالها وقيامه بملكها فأبقاه على عملها، وسرب إليه الأموال لنفقاتها وأعطياتها، ولم يزل بها إلى أن هلك سنة ثمان عشرة وستمائة. العبر. ج6. ص 375.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش. حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي. دار الطليعة. بيروت. 2006 ص 11.

[3] روبار برونشفيك. تاريخ افريقية في العهد الحفصي. ج1 ص 358.

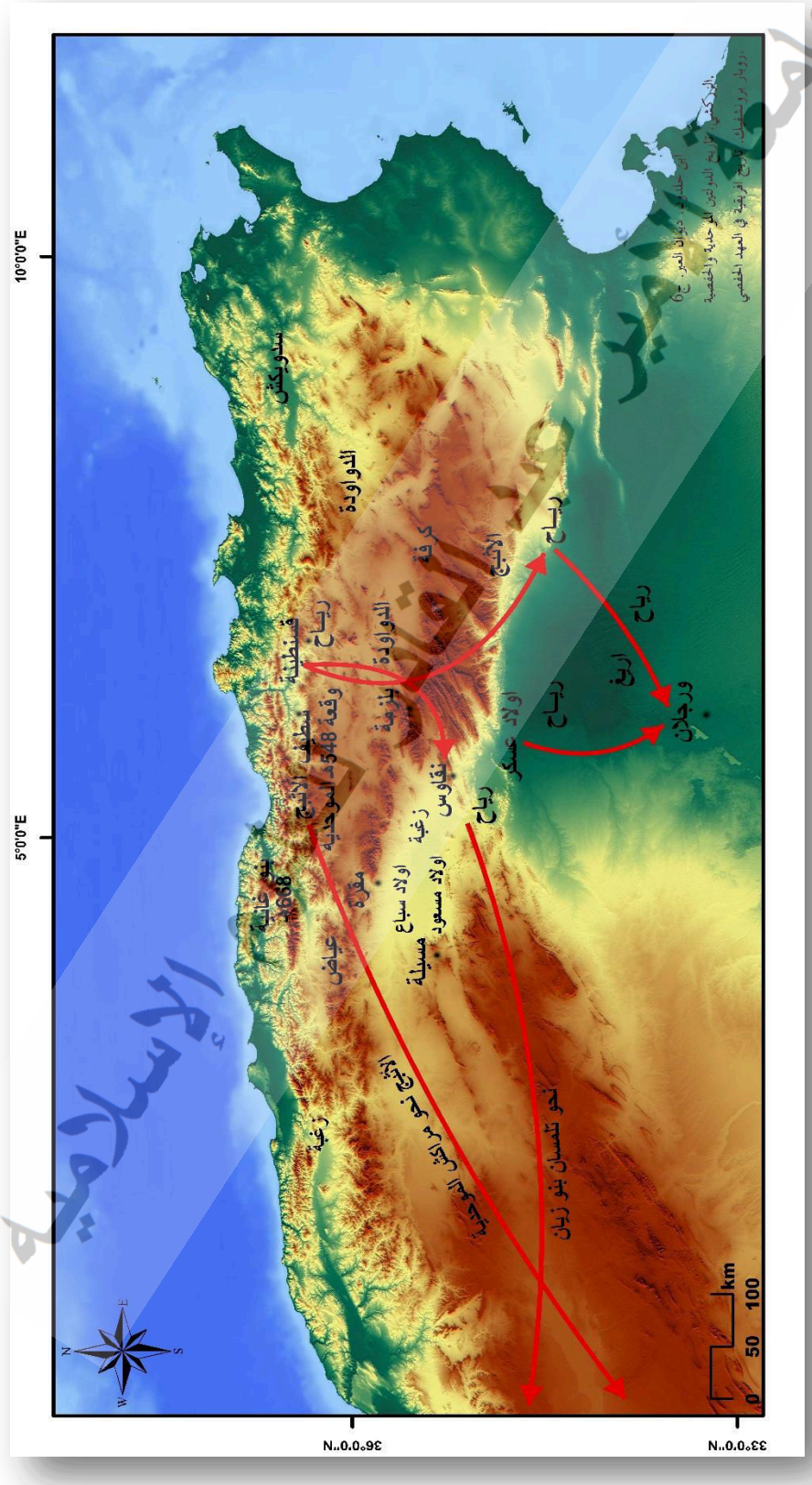

هجرات وتوطين القبائل العربية بالأوراس بعد القرن 5هـ/ 11م

3- قبيلة رياح قوة النفوذ بعد ترحيل الأثبج

ظلت القبائل العربية بإفريقية والمغرب الأوسط مستقرة على طبيعة استقرارهم ونمط عيشهم قبل قرن كامل، لم يقع عليها أي تغيير، حيث ظلوا مصدرا لعدم الاستقرار، ولردم الإنجازات الحضارية التي أسستها إمارات بني زيري وبني حماد. وبما أنهم لم يدركوا أبعاد الموحدين فلم تعد تحركاتهم تعبر سوى عن النزعة الفوضوية الفطرية التي كانت تميزهم.

كل هذا لم يكن مقبولا من لدن الدولة الموحدية التي كانت شديدة التمركز، وكانت مسكونة بالهاجس التنظيمي والضبط الأمني ليس فقط بالنسبة للمناطق القريبة، بل للأطراف أيضا[1].

استقرت هذه القبيلة على تخوم الأوراس ثم انتشرت على أطرافه الشمالية والشرقية، وكانت المنطقة تعيش في فتنة بين **قبيلة الأثبج** التي تستقر في **شرق الأوراس** وباقي القبائل الأخرى مثل كرفة، وقرة، وعياض، وأصبح المجال مفتوحا أمام قبيلة رياح خاصة بعد وقعة سطيف عام (548هـ/ 1154م)، عندما رحل الموحدون قبيلة الأثبج، "واعتزت رياح بعدهم بإفريقية وملكوا ضواحي قسنطينة، ورجع إليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب اعتز الدواودة على الأمراء والدول، وساء أثرهم فيها وغلبوا بقايا الأثبج. فنزلوا قرى الزاب، وقعدوا عن الظعن وأوطنوا بالقرى والآطام"[2]. وسيستمر توطن قبيلة رياح في القسم الشرقي للأوراس وقسم كبير من الزاب حتى قدوم الحفصيين، الذين يثيرون قبيلة كرفة عليهم.

كما استطاعت رياح إخراج قبيلة زغبة التي أصبحت في خدمة الموحدين، بعد أن دحرتها رياح وأخرجتها من مجال الأوراس والحضنة في تجاه الغرب حيث زناتة[3]. بعد سيطرة الموحدين على إفريقية، وإنهائها للاضطرابات التي كانت تقوم بها القبائل العربية ولو مؤقتا بعد وقعة سطيف المذكورة، حيث لم يبق من القبائل العربية خارج هذا الحلف سوى قبيلة زغبة.

إن سيطرة القبيلة على أي مجال لم يكن ملكا لها يتضمن حتما دفع القبيلة التي كانت تستوطن ذلك المجال إلى الارتحال والهجرة الحتمية، وهذا ما يؤدي إلى الصدام والحروب القبلية من جهة، ومن جهة أخرى استمرار حركة التنقل القبلية؛ وهذا ما يتطابق وواقع المنطقة في ظل هذا الصراع القبلي، إذ تعد العقود الثلاثة الأولى من القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي)، فترة انتقالية في تاريخ بلاد إفريقية، وقد تميزت بإعادة

[1] محمد المغراوي. الموحدون وأزمات المجتمع. جذور. الرباط. 2006. ص 91.

[2] ابن خلدون. ديوان العبر . ج 6. ص 31.

[3] عبد الواحد المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص 329- 328. محمد حسن المدينة والبادية. ج 1. ص 46.

النظر في الهيكلة البشرية وتسهيل **الانتشار السليمي** للتخلص من **بني هلال** ودحرهم نحو **الغرب** مثلما اندحرت من قبلهم زناتة[1].

في النصف الثاني من القرن السابع وفي عام (666هـ/ 1218م)، شهدت حركة انتشار ثانية للقبيل الرياحي، انطلاقا من الأطراف الجنوبية-الغربية لإفريقية، متغلبين على وارجلان وأريغ، ومنها تزاحفوا إلى المدينة الثغرية التي عين بها الحفصيون عاملا على مقرة، فاستولوا عليها، ثم غلبوا على بلاد الزاب، فجبل أوراس. و لم يستطع التحالف المكون من أولاد عساكر من الدواودة، وعياش من الأثبج، وسدويكش من صد تقدم سائر الدواودة برئاسة أولاد مسعود البلط للسيطرة على التلول الشمالية.

لم يكن في وسع الدولة الحفصية التغلب على رياح، فتلافتهم بالاصطناع والاستمالة، مقطعة إياهم الأراضي التي استولوا عليها وخراج المدن التي كانت بحوزتهم مثل مقرة ونقاوس والمسيلة، لأنها تعلم جيدا أن مسالك التجارة الصحراوية النشيطة، والمتصلة بوارجلان-قسنطينة، أصبحت تحت رقابتهم[2].

كانت مضارب رياح في **القسم الشرقي، والجنوب الغربي من الأوراس**، التي تشترك فيها مع قبيلة كرفة التي أقطع لها الحفصيون جباية هذا الموطن، لذلك كثيرا ما كانت تلجا للجبل هروبا من قوة قبيلة رياح، وتظعن إلى تخوم الزاب[3]. أما عن بطون رياح بالأوراس، فقد استقر أولاد مسعود وأولاد عساكر وأولاد سباع من الدواودة استقروا بنقاوس ومقرة والمسيلة.

ولا يخفى أن سبب دفع رياح للسيطرة على مضارب كرفة وتجبرها اللجوء للأوراس كان نتيجة لضعف الحفصيين، ففي هذه الفترة التي بدأت منذ نهاية ق (7هـ/ 13م). تمكنت رياح من التغلب ثانية على كرفة، وملك المجالات التي كانت تستعمل لضعنهم، ودحر كرفة إلى جبل أوراس، الذي اتخذته وطنا لها حسب التوزيع التالي:

- أولاد سرحان (السرحانية) استوطنوا بالقسم الجنوبي الغربي لجبل أوراس بناحية قهودة، وكان لأولاد نابت المتمكنين من الرئاسة اقطاعات السلطان شرقي جبل أوراس وبلاد الزاب الشرقية.

---

[1] محمد حسن. المدينة والبادية . ج1 . ص 50.

[2] المرجع نفسه . ج1 . ص110.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6 . ص 31.

- أما بنو محمد وبنو مروان (المراونة) فقد بقوا على ضاعنتهم، يكتالون أقواتهم من أهل الجبل، ويتولون خفارة القوافل.... هذه القبيلة التي تطورت نحو الاستقرار ظلت في خدمة الأمراء المحليين من بني مزني[1].

وكانت السياسة الحفصية تجاه زعماء البدو الرحل وقبائلهم، سواء كانت صارمة أو متسامحة، وسواء كانت هجومية أو دفاعية، فإنها خاضعة لمبدأ أساسي وهو: "فرق تسد". فقد كانت الحكومة تسعى دوما وأبدا إلى التمتع أو الاحتفاظ بالسند الفعال لكثير من القبائل أو فروع القبائل خضوعا للسلطة المركزية، وهي قبائل المخزن التي كانت توفر لها مددا عسكريا هاما. وأكثر من ذلك، فقد كانت تشجع لفائدتها الخلافات القائمة بين القبائل وبين فروع نفس القبيلة. وينجر عن ذلك تحالف غير ثابت بين المخزن وبين أحد العناصر المعنية بالأمر، ضد العنصر الآخر المنافس. وهنا يعطي برونشفيك مثال على تغير مواقف أولاد أبي الليل وأولاد مهلهل المناهضين لبعضهم البعض، ويضيف بأن زعماء البدو الرحل كانوا يقبلون مفهوم السيادة السلطانية التي من الممكن أن يستفيدوا منها عند الحاجة، كان السلطان أيضا يرضى بالتلاؤم مع شيء من الاستقلالية البدوية، بشرط أن يعرف كيف يتصرف في ذلك بدهاء، لكي يستطيع أن يحكم[2].

أما في القرن الثامن، وهو عصر ابن خلدون، فقد كان النصف الغربي من الهضاب القسنطينية العليا ومنطقة الحضنة، محل إقامة رياح التابعين للدواودة، وقد يمتد نفوذهم إلى أبعد من ذلك في اتجاه الجنوب. كما كانوا مسيطرين على أجوارهم من بني سدويكش وعياض وكذلك على من بقي من أبناء قبيلة ريغة. مستقرين في السهل الذي مازال يحمل اسمهم إلى يومنا هذا. عائشين تحت الخيام. جنوب جبل سكرين[3]. في الأقاليم الجنوبية للأوراس أضحت رياح في عهد أبي زكريا منتجعة بين الصحراء والزاب شتاء، وقسنطينة وبجاية صيفا، وبدأت في الخضوع لسلطة الدولة، إذ جاء أميرها موسى بن محمد بن مسعود إلى أبي زكريا سنة (648هـ/ 1259م)، معلنا قبوله الأمر الواقع[4].

---

[1] محمد حسن. المدينة والبادية. ج1 ص 99.

[2] تاريخ إفريقية في العهد الحفصي. ج2. ص 104.

[3] روبار برونشفيك. تاريخ افريقية في العهد الحفصي. ج1. ص 324. توسعت قبيلة رياح في عهد ليون الإفريقي وأصبحت تسكن "صحاري ليبيا إلى الجنوب من قسنطينة، وتمتد سلطتهم على جزء من نوميديا ... ويتلقون مساعدات من ملك تونس، وفيهم 5000 فارس". الحسن الوزان. وصف إفريقيا. ص 61.

[4] محمد حسن. المرجع نفسه. ج 1. ص 108.

4- قبيلة الدواودة بالأوراس

كانت قبيلة الدواودة تسيطر على مجالات الزاب من نقاوس إلى بسكرة بجنوب الأوراس، وفي عام (651هـ/ 1254م) فر الأمير أبو إسحاق إليهم[1]، وبايعوه، ثم سيطروا على بسكرة قبل أن يرتحلوا إلى قابس. وقد تحالفت قبيلة الدواودة مع ابن غانية سنة (664هـ/ 1266م)، بعد تولي محمد عبد الواحد بن أبي حفص أمور إفريقية. وكانت من القبائل التي تحالفت مع ابن غانية عندما ثار ضد الموحدين، "ثم إن ابن غانية جمع العرب من الدواودة وغيرهم، فجاء بهم لقتال الموحدين بتونس فخرج إليه الشيخ أبو محمد عبد الواحد مع بني عوف من سليم"[2]. وكانت مضارب هذه القبيلة واسعة تشمل قسم كبير من جنوب وشمال الأوراس.

تبنت قبيلة الدواودة حركة سعادة فأرادوا القيام بحركة إصلاحية إلا أن هدفهم كان هو التكسب والربح، فقد أشار ابن خلدون أنه "بقي هؤلاء الدواودة ينزع بعضهم أحيانا إلى إقامة هذه الدعوة (حركة سعادة السنية)، فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها ويقضي حقها، بل يجعلونها ذريعة لأخذ الزكوات من الرعايا، ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسدا في ارتقاء، فينحل أمرهم بذلك وتخفق مساعيهم، ويتنازعون على ما تحصل بأيديهم ويعترفون على غير شيء"[3]. فقد تغلبت عليها طبيعتها البدوية واستحكمت فيها، وهو ما أهلها أن تتحول إلى زعيمة عرب رياح لذلك رأى فيهم بني مزني القوة التي تساعدهم على التحالف معهم من أجل استمرار إمارتهم على بسكرة والزاب[4]، وقد تمكن الدواودة من إخضاع معظم السكان الأوراسيين، قبل أن يعوضهم بنو مزني أصحاب منطقة الزاب. و لم يحتفظ بالإستقلال لمدة من الزمن إلا فرعان من فروع اللواتة وهما: بنو ريحان وبنو باديس. بل تمكن الفرع الأخير من الإستيلاء على نقاوس والسهول المحيطة بها، وكانوا يتولون جباية الضرائب في فصل الشتا، مستغلين فرصة غياب الدواودة الذين كانوا إذ ذاك ينتجعون في اتجاه الجنوب.

---

[1] كان الأمير أبو إسحاق يخافه السلطان ولا يثق به، وفي عام 651هـ فر إلى نواحي "نقاوس" حيث كانت مضارب قبيلة الدواودة من رياح، وبايعوه، ثم اتجه إلى بسكرة التي حاصرها وكانت تحت إمرة ابن مزني، وهناك كون جيش وتجه إلى محاصرة مدينة "قابس"، إلا أنه فشل في السيطرة عليها، وافترق مناصروه، فلجأ إلى تلمسان، و منها إلى الأندلس. ونزل على السلطان محمد بن الأحمر، إلى أن مات هناك. ابن خلدون. العبر. ج6. ص 405- 406.

[2] الزركشي. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. ص 18. تمتد مجالات هذه القبيلة من جنوب الأوراس إلى الشمال القسنطيني، حيث أرض كتامة وسدويكش، أما غربا فتمتد إلى حدود حمزة وبجاية وجبل عياض وونوغة، كما تسيطر قبيلة الدواودة على المراعي الخصبة ونقاط المياه الرئيسية شمال الاوراس، والحضنة الشرقية، وغرب الزاب.

Marcais, Georges. *les arabes en berbérie du xie au xive siècle*. Constantine, 1913. p. 542- 543.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6. ص 53.

[4] أبو الضيف. أثر القبائل العربية في الحياة المغربية. ص 134.

وكانت تقيم أمام بسكرة في السفح الجنوبي الغربي من جبل أوراس عدة عائلات تابعة لقبيلة العمور العربية أو المستعربة[1]، التي ستتوسع فيما بعد في الجنوب الجزائري، وكانت تلك العائلات خاضعة للدواودة وبني مزني على حد سواء[2].

استطاعت قبيلة الدواودة من التوسع في المجال بعد أن استأنفت هجماتها، وكان المستنصر الحفصي (647هـ- 667هـ/ 1249- 1277م) قد قضى عليهم نهائيا[3]. فقد قتلوا في إحدى المعارك، والي السلطان على الزاب، وانتشروا أكثر من الماضي في جنوب منطقة قسنطينة. وبعد ذلك بقليل أقطع لهم أحد السلاطين الذي ربما يكون أبو إسحاق الأول (678هـ/ 1279م) جميع المناطق التي احتلوها وكذلك المسيلة ومقرة ونقاوس[4].

وقد انقسم الدواودة إلى فرعين: بني عساكر موالية للحفصيين وبنو مسعود معارضة لهم، فبعد أن واجه المستنصر الحفصي (666هـ/ 1218م)، الدواودة وتحالفه مع الكعوب ودياب وبعض الهلاليين انقسمت الدواودة إلى: بنو عساكر قبيلة موالية حيث عقد المستنصر لشيخها على قومه. أما بنو مسعود فتوغلوا في الصحراء انطلاقا من نقاوس لتحاشي مواجهة الحفصيين. لكن والي بجاية تحايل عليهم وقتل منهم عددا من رؤسائهم. وهذا ما جعل الدواودة يلتحقون ببني زيان وتحالفوا معهم لاسترجاع مجالهم ببلاد الزاب[5].

ويتضح هذا الانقسام منذ بداية العهد الحفصي إلى قسمين:

بنو عساكر فضلوا الاستقرار بالتل، والخضوع للسلطة الحفصية، فيما استمر بنو مسعود البلط في انتجاعهم واستقلاليتهم ومحاربتهم للحفصيين، الذين غذوا العداء بين الطرفين، حتى آل الأمر بينهم إلى النزاع، عندما حاول بنو مسعود التوسع في اتجاه التل. وانقسم هذا الفرع الأخير بدوره إلى قبيلتين متنافستين، عند عودته إلى بلاد الزاب: أولاد محمد بن مسعود البلط، وأولاد سباع بن يحيى، وهو ما يفسر إضعافهم، وانتقال

---

[1] ينقل ابن خلدون عن ابن الكلبي أن العمور يلحقون بالأثبج: "وهم بطنان: قرة وعبد الله، وليس لهم رياسة على أحد من هلال، ولا ناجعة تظعن لقلتهم وافتراق ملتهم. إنما هم ساكنون بالضواحي والجبال، وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة. وموطنهم ما بين جبل أوراس شرقاً إلى جبل راشد. وكان كل ذلك من ناحية الحضنة والصحراء. وأما التلول فهم مرفوعون عنها بقلتهم وخوفهم من حامية الدول، فتجدهم أقرب إلى موطن القفر والجدب". العبر. ج6. ص 34- 35.

[2] روبار بونشفيك. ج1. ص 325- 326.

[3] لجأ أخو الخليفة أبو عبد الله المستنصر إلى قبيلة الدواودة وبايعوه في "زراية" جنوب غرب الأوراس، ثم ساعدوه مع أحد أفراد عائلة بني مزني في الاستيلاء على قاعدة بسكرة. لكن العملية ستفشل، وتنقلب عليهم، بعدما تمكن المستنصر من القضاء على هذه الثورة وتشتيت القبائل الثائرة من الدواودة ومرداس ودباب. ابن الشماع. المصدر السابق. ص 62- 66. روبار برونشفيك. المرجع نفسه. ج1. ص 71- 72.

[4] ابن الشماع. المصدر السابق. ص 75- 76. روبار برونشفيك. تاريخ افريقية العهد الحفصي. ج1. 79- 80. ج 2. ص 192.

[5] محمد حسن . المدينة والبادية. ج1. ص 109- 110.

الرئاسة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى أولاد دريد، بفرعيها أولاد سباع بن يحيى وأولاد محمد بن مسعود[1].

في النصف الثاني من القرن الثامن هجري/ الرابع عشر الميلادي، انزاحت قبيلة الدواودة إلى الاستقرار شرق بجاية حتى قسنطينة، ففي عام (766هـ/ 1365م) حدثت فتنة تسببت فيها هذه القبيلة، بعدما نشب صراع بين الأمير عبد الله أمير بجاية وابن عمه السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة بسبب صراع على الحدود. وفشل أمير بجاية في القضاء على الفتنة، وهي الحادثة التي يوقفنا عليها ابن خلدون شخصيا حيث ساعد أمير بجاية الذي جمع له الأموال التي أنفقها على عرب الدواودة بالمنطقة[2].

أما في عام (804هـ/ 1402م)، فيعرج السلطان أبو فارس (ت837هـ/ 1434م) على بئر الكاهنة ويضع حدا لإمارة ابن مزني، "في سنة أربع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس إلى بسكرة فأقام ببئر الكاهنة مدة حتى دبر أمره ثم ارتحل اليها، وضاق أمر شيخها أحمد بن يوسف بن مزني و لم يبق له غير الفرار أو التسليم فدخل المولى السلطان بسكرة يوم السبت سابع جمادي الأخرى من السنة المذكورة واقام بها مدة ثم انصرف إلى حضرته ورفع معه ابن مزني المذكور وقدم في البلد قائدا من قواده وبعد أن مضت لأولاد ابن مزني بها المشيخة المستقلة نحو مائة وأربعين عاما[3].

5- استسلام قبيلة الأثبج وتهجيرهم إلى المغرب الأقصى

هيمنت هذه القبيلة على جزء كبير من بلاد المغرب الأوسط، وكانت مضاربها على شرق الأوراس منذ وقت مبكر من الانتشار الهلالي بإفريقية، فقد أقر سحق صنهاجة في سبيبة هيمنة بني هلال على كامل المغرب الأدنى والأوسط، حيث أصبح بنو رياح يسيطرون على إفريقية، والأثبج يسيطرون على المغرب الأوسط. ذلك أن دولة بني حماد قد اعترفت إلى آخر أيامها بتفوق الأثبج على القبائل العربية الأخرى، إلى أن فقدت تلك القبيلة نفوذها وتفككت[4]. وكان ذلك إثر استمرار الفتنة بين هؤلاء الأثبج وافتراق أمرهم.

---

[1] محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1. ص 110.

[2] ابن خلدون . رحلة ابن خلدون. ص 95.

[3] الزركشي. المصدر نفسه. ص 122.

[4] الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية ج 1. ص 309.

Georges Marçais. les arabes en berbérie du xie au xive siècle. p. 161.

وجاءت دولة الموحدين وهم على ذلك الشتات والفتنة، وكانت لبطونهم ولاية لصنهاجة. فلما ملك الموحدون إفريقية نقلوا منهم إلى المغرب العاصم ومقدما وقرة وتوابع لهم من جشم..."[1].

وقد أرسل الكاتب أبا القاسم القالمي رسالة على لسان عبد المؤمن بن علي، يخبر فيها باستسلام قبيلة الأثبج إثر انهزامها: "وأما قبائل الأثبج وزغبة فوصل أعيانهم يمدون يد الإستتابة، ويطلقون ألسنة الإنابة، ويتعوذون من حرم هذا الامر بالأمن والمثابة، وقد وعدوا على النظر فيما عن لهم من غزاتهم، ونفذوا على إمضاء عزماتهم؛ فإن أمضوها نية، وأبدوها طاعة جلية، فحظ لأنفسهم اقتنوه، وعاجل مكروه كما فعل بأشياعهم من قبل تخطاهم وتخطوه..."[2]. انهزمت الأثبج وطلبت العفو من الموحدين وبالتالي الاستسلام.

وأدى تراجع أهمية هذه القبيلة جعلها تفرط في سهول قسنطينة الخصبة لقبيلة رياح وتركن إلى الاستقرار بقرى الزاب وجبل أوراس وغيرها. وهو ما يعني انتقالها من طور لآخر، من قبيلة محاربة إلى قبيلة مخزنية[3]. وقد اعتبر ابن خلدون الأثبج من أقوى قبائل بني هلال فهم "أوفر عددا وأكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم... وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقيه"[4].

6- كرفة بشرق الأوراس:

تظهر هذه القبيلة وهي من بطون الأثبج في العهد الحفصي بعد فتنة الدواودة وتردي علاقتهم بالسلطة، تتحول قبيلة كرفة إلى أداة للسلطة الحفصية بجبل أوراس، وتقطعهم القسم الشرقي منه، و"لما نبذ بنو أبي حفص العهد للدواودة ... واستجاش عليهم بنو سليم وأنزلوهم القيروان اصطنعوا كرفة من بطون الأثابج فكانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان. وقاطعتهم الدولة لذلك جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية.

حتى إذا اختل ريح الدولة، وأخلت جدتها واعتزت رياح عليها وملكوا المجالات على من يظعن فيها نزل كرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حللا متفرقة واتخذوه وطنا. وربما يظعن بعضهم إلى تخوم الزاب.."[5].

---

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6. ص 31. محمد حسن . المدينة والبادية. ج 1. ص 98.

[2] ليفي بروفنسال. مجموع رسائل موحدية، من انشاء كتاب الدولة المؤمنية. المطبعة الاقتصادية. الرباط. 1941. ص119.

[3] محمد حسن. المرجع نفسه. ج 1. ص 98.

[4] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 30- 31.

[5] المصدر نفسه. ج 6. ص 31.

أما عن بطون كرفة الذين استقروا بجبل أوراس والزاب مما يلي تهودة، فيذكر ابن خلدون كل من "بنو محمد بن كرفة ويعرفون بالكلبية وأولاد شبيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبية وأولاد صبح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة، وأولاد سرحان[1] بن فاضل أيضا ويعرفون بالسراحنة[2].

اعتمدت السلطة الحفصية على قبيلتين في هذا النطاق: بني سليم شرقا وبقايا الأثبج من كرفة غربا، لدحر القبائل الرياحية، وتطريقها من الجهتين. وكان الإقطاع السبيل الكفيل للحفاظ على موالاة هذه القبائل، وكان نصيب كرفة الجانب الشرقي من أوراس وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية[3].

رابعا: نتائج التوطين الهلالي بالأوراس

كانت الغزوة الهلالية التي استهدفت السهول وأجليت سكان الريف إلى أعالي الجبال، لم تؤثر فيها و لم تتسرب إلى الجبال التي ظلت إلى يومنا هذا بربرية اللسان، مثل مناطق القبائل، ولا سيما الأوراس معقل المذهب الخارجي[4]. ويبقى السؤال: هل زهدت القبائل العربية في هذا المجال، أم أن جغرافية الجبل الممتنع عليهم حالت دون تمكنهم منه؟

وكخلاصة وتقييم أولي لنتائج هذه الهجرات التي عرفتها المنطقة، فإنها لم تكن بعيدة عن التخريب والنهب، وفرض الاتاوات، وإفساد السابلة، وكان أهم نتيجة هو تغيير خارطة التوطين تغييرا حاسما، رغم أن الهجرات الهلالية لم تتوسع في الجبال على الأقل في بدايات تحركها نتيجة لمناعتها، إضافة إلى أن المنطقة كانت تبدو لهم فقيرة وذات منافذ صعبة لدوابهم، وعادة ما كانت تستخدم كحصون للثوار المبعدين من البلاد. وبذلك توسعوا في حوض الحضنة بأكمله وتجنبوا التوغل في الجبل[5]. لذلك تبقى مسألة توطين هذه القبائل غير مطروحة على الأقل بعد فترة شمولية انتشارها في معظم بلاد المغرب الأوسط. إضافة إلى غياب استراتيجية محكمة تؤطر لإدماج هذه القبائل في النسيج الاجتماعي لمجتمع المغرب الأوسط القبلي والحضري، حال دون استقرار هذه القبائل.

اجتماعيا كانت النتائج ترتبط بتحول السلطة في المنطقة إلى شيوخ القبائل الهلاليين الذين استولوا على السلطة، وأصبحت السلطة الحقيقية في يد هؤلاء الشيوخ الذين أسسوا إمارات محلية مستقلة وشرعوا في ضرب

[1] في نسخ أخرى نجد أسماء بديلة للشبه بدل الشبية والسرحانية بدل السراجنة.

[2] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6. ص 31- 32.

[3] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج 7. ص 48- 49. محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1. ص 98- 99.

[4] الهادي روجي إدريس. المرجع السابق. ج2. ص 8.

[5] جورج مارسي. بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى. ص 242.

العملة بأسمائهم كدليل على استقلالهم[1]، وأدى الصراع بين هذه القبائل إلى ظهور محاولات إقصاء عائلة متفوقة من طرف عائلة منافسة، والنزاع القائم بين أفراد المجموعة المسيطرة والمفضي أحيانا إلى انقسام القبيلة. وهاتان الظاهرتان تقيمان الدليل على ما تتميز به رئاسة المشايخ من وهن وعدم استقرار، تزيد في تفاقمها بعض العوامل الأخرى[2].

فكانت كل قبيلة أو كل فرع من فروع القبيلة المترحلة، خاضعة لشيخ تختاره من بين أفرادها وتعينه هي بنفسها في العادة على مدى الحياة. وتقدم لنا قبيلة الكعوب مثال على ذلك؛ فقد تمكن أبناء وأقرباء الشيخ أحمد بن كعب خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، من الانضمام إلى كتلة واحدة لفرض سيطرتهم على بقية القبيلة. وتميز أحفادهم، بعد ذلك بقرن بالاسم الذي أطلق عليهم وهو "الأعشاش"[3].

وفي نفس الوقت أدت هذه الهجرات إلى إفراغ إفريقية والمغرب الأوسط على الخصوص من قبائل كثيرة كان أهمها كتامة وغيرها من القبائل ذات العصبية والمنعة، ودفعها نحو الهجرة، وخلقت في المنطقة رواق سهل الاختراق من قبل هذه القبائل البدوية في زحفها. كما أنهكت الصراعات السياسية والصدامات الكثير من القبائل مثل زناتة وصنهاجة.

وقد أدى الوضع الجديد إلى تغيير الخريطة القبلية لهذه المجتمعات؛ حيث أدت إلى تشكل نشاط كبير في انتقال وهجرة القبائل عن مواطنها ومجالاتها خاصة القبائل السهلية إلى مناطق أكثر أمنا وقد شكل ذلك ضغطا متواصلا على المناطق الطرفية وخاصة الجبلية، وكان الأوراس أحد هذه المجالات التي أصبحت ملاذا لأغلب تلك القبائل التي أصبحت الخيارات أمامها محدودة جدا؛ فإما الهجرة غربا أو جنوبا نحو الصحراء، أو الخضوع والاستسلام.

كما أن هناك أسبابا تتعلق بالهلاليين أنفسهم تجعلهم ينفرون من الالتزام بالاستقرار في مجال واحد، ويعود ذلك لطبيعتهم كمجموعة قبائل متنافرة فيما بينها؛ فالأثبج الذين سمح لهم الصنهاجيون ببسط هيمنتهم على القبائل العربية الأخرى في المغرب الأوسط قد أوهنتهم الخصومات الداخلية قبل قدوم الموحدين. بالإضافة إلى أن تجارب توطين العرب الهلالية من قبل بعض الإمارات لم تكن خالية من الحسابات العسكرية

[1] محمد الكوخي. المرجع السابق. ص 85.

[2] برونشفيك. المرجع السابق. ج2. ص 101- 102.

[3] ابن خلدون. العبر. ج1. ص 297. برونشفيك. ج2. ص 101.

والسياسية[1]، والتي ستنقلب بالسلب على إمكانية الاستقرار، نتيجة ارتباطها بالتغيرات السياسية الشديدة التغير في تلك الفترة. فأصبحنا نشهد حالة من التغير الشديد للتوطين، واستمرار تحرك الجماعات والقبائل تبعا لولاءاتها السياسية من جهة، ومن جهة أخرى لا ننسى مدى تأثير نمط الترحال والانتجاع[2] الذي تعتمده هذه القبائل الذي لا يسمح لها بالاعتماد على الاستقرار في المدن و الحواضر.

ومما لا شك فيه أيضا أن أهم الآثار التي تركتها هذه التحركات البشرية المستمرة والمضطربة قد أدت إلى التأثير سلبا بصورة مباشرة على شبكة الطرق والمسالك في المجالات الداخلية، وغياب الأمن، وكانت أكثر هذه الأقاليم تضررا هي بلاد إفريقية وأغلب مجالات المغرب الأوسط. وكانت هذه النتائج محصلة لطبائع تميزت بها هذه القبائل التي ألفت الانقلاب نتيجة الظروف والبيئة التي وجدت فيها نفسها[3].

غير أن هذا الواقع سيشهد بعض التغير، إذ أن الواقع البدوي الذي خلقته الهجرة الهلالية سيكون قابلا للتجاوز في إفريقية مع قدوم الحفصيين[4]، أما على الجانب التجاري فكان التأثير بليغا، نتيجة لتحول شبكة

---

[1] ابن خلدون. ديوان العبر هامش 88. الهادي روجي دريس. المرجع السابق. ج1 ص 468. الطاهر بونابي. ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ. ص 162- 163. تشكلت ببلاد المغرب شبكة علاقات جد معقدة بين الإمارات السياسية وشيوخ العرب الهلاليين وبنو سليم، فقد انتشرت هذه القبائل في الكثير من الاحيان نتيجة ارتباطاتهم مع حكام تونس الذين تعاونوا مع "الكعوب" أحد بطون بني سليم، فيما تمكن يغمراسن من تدعيم ملكه بتلمسان بقبائل "عرب زغبة". Gabriel Camps. *op. cit.* p. 16- 17.

[2] ليس من السهل تقسيم القبائل بصورة محكمة ودقيقة ونهائية، بين تلك التي تعيش حياة الترحال وتعتمد على تربية الإبل وحركات الانتقال والهجرة طويلة الأمد، والنفوذ والقوة بالاستناد إلى بعض دواعي التمييز في الثامن الهجري/ القرن الرابع عشر ميلادي، نجد قبائل سدويكش وولهاصة التابعة لسهول واودي شمال قسنطينة. وأبناء هذه القبائل هم من البربر المستعربين الأشداء، المتعاطين على وجه الخصوص لتربية البقر والخيول.كما نجد قسما من هوارة، أولئك البربر المستعربين الذين كانوا يتعاطون تربية الخيول والغنم في منطقة التل الأعلى التونسي. ثم نجد القبائل المتعاطية لتربية الغنم في المناطق المنخفضة، مثل عرب دريد في منطقة قسنطينة الشرقية[2]. التي كانت أشد القبائل بأسا عند دخول العرب لإفريقية، واستطاعت السيطرة على المجال الأكثر خصوبة، الممتد من عنابة إلى جنوب قسنطينة، ثم حاولت التقدم جنوبا إلى أراضي الزاب للانتجاع شتاء، فصدها عن ذلك التحالف القائم بين كرفة وعياض وقرة. محمد حسن. المدينة والبادية. ج 1. ص 99. كما يوجد صنف آخر ينتمي إلى الشاوية وهم بربر مستعربون يتعاطون تربية الغنم في منطقة الأوراس. ويتمثل الجبل هنا في عنصر خاص، ويتعلق الأمر أيضا في كثير من الحالات "بالانتجاع" أكثر مما يتعلق "بالترحال" بمعناه الضيق. برونشفيك. ج2. المرجع السابق. ص167.

[3] يقول الكفيف الزرهوني، صاحب أبي الحسن المريني واصفا حالة الاضطراب التي كانت في منتصف القرن الثامن الهجري عند قدوم أبي الحسن المريني لتأديب هذه القبائل بإفريقية يقول:

والعربي كالندى على الغرس — يوما تقطع عنو العطا يخذل
ما يعطيك لا زهر ولا تمرا — ولو تسقي شجرة بما النيسان.
صبت ظلما وبحر من حمرا — من حد إفريقية لمزغنان
وطريق الحج عطلوا لجرا — تحلب فيها مصارن الركبان.

الزرهوني. ملعبة الكفيف. تحقيق. محمد بنشريفة. المطبعة الملكية. الرباط. 1987. ص77.

[4] لطفي بن ميلاد. إفريقية والمشرق المتوسطي. ص 384.

الطرق التجارية نحو البحر[1]، فتزول البدو بجنوب إفريقية ثم بجنوب المغرب الأوسط أدى إلى ابتعاد القوافل عن هذين الإقليمين، وتتجه نحو الغرب وصادفت هذه العملية ظهور حركة قوية متوثبة بأقصى الجنوب الغربي للمنطقة، وزادت كثافة العلاقات التجارية للمنطقة مع الغرب الأروبي على حساب الشرق[2].

وهذا الواقع الجديد أدى إلى خلق اختلال الأمن في البوادي، والذي حول قسما من سكانها نحو المدن المحصنة، كما أن تضخم السكان الحضريين وتجمعهم في مراكز محددة، كان علامة على اختلال التوازن والضعف الداخلي، أكثر مما كان علامة على النمو الطبيعي والازدهار[3].

عموما فإن حركة الانتقال والتنقل والتحالف لم تتوقف طيلة العصر الوسيط، كما أن مجال جبل الأوراس لم يكن مستثنيا من هذه الحركة المستمرة؛ بل أنه كان محور الكثير من هذه التغيرات القبلية، ولأسباب جغرافية جعلته يربط بين إقليمين هامين: مجال الواحات التي تعتبر مركز الكثير من القبائل والجماعات، ومناطق السهول الغنية التي كانت هدفا للكثير من الهجرات.

كما أن الاختلافات الواضحة بين الدارسين حول التوزيع الجغرافي للجماعات والقبائل بمجال الأوراس، سيعقد حتما عملية تحديد وضبط جغرافيتها بالمنطقة، ومن أجل الوقوف على مدى استمرارية نفس هذه الجغرافيا البشرية، وايجاد رابط اتصال بين مرحلة التاريخ القديم والوسيط من جهة، ومن جهة ثانية معرفة التغيرات التي ستحصل في مرحلة ما بعد القرن السادس الميلادي، بعد نجاح الجيوش الأموية واستقرار الحاميات العربية ببلاد المغرب.

صحيح أن الهجرات الهلالية السليمية أثرت تأثيرا بليغا في إعادة ترتيب التوطين في بلاد المغرب، وخلقت بيئة متوترة وغير مستقرة، إلا أن الكثير من الجماعات بالأوراس لم تتأثر بهذه الضغوط التي شكلتها هذه الحركة، وتمسكت بالاستقرار في الجبل الذي أمدها بمقومات الصمود؛ فقد تمكنت هذه الجماعات من تطويع الجبل والتحكم في مسالكه وسهوله الداخلية منذ زمن بعيد، كما ساعدها نمط عيشها على التعامل مع كافة المتغيرات التي شهدتها المنطقة.

---

[1] لطفي بن ميلاد. إفريقية والمشرق المتوسطي. ص 260.

[2] محمد القبلي. مراجعات ص 16.

Claudette Vanacker. Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle. Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 28, 3, 1973, p659, 680.

[3] روبار برنشفيك. المرجع السابق. ج 1. ص 367- 368.

الفصل الخامس:

الجغرافيا المذهبية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: المذاهب والأسلمة:

لا يمكن أن نتجاهل الدور الذي قامت به الفرق والمذاهب على مختلف اتجاهاتها ومبادئها، فقد استقطبت بلاد المغرب مذهب الخوارج الصفرية والإباضية، ووجد فكر الخوارج السياسي في شكله المتطور طريقه إلى بلاد المغرب بانتشار مذهبي الإباضية والصفرية بين البربر في أوائل القرن الثاني الهجري، والتزم خوارج المغرب بتطبيق تعاليم المذهب حتى السبعينات من القرن الثاني الهجري، فيما قاموا به من نشاط سياسي وما أقروه من نظم في الحكم والإدارة[1].

لقد ارتبطت الأسلمة بانتشار المذاهب ببلاد المغرب التي صنعت تجربة دينية محلية مرتبطة بأنظمة الثقافة المغربية؛ فالجماعات الدينية كانت تتصارع صراعا ثقافيا رمزيا مثلما كانت تتصارع صراعا ماديا[2]، فقد عمل البربر من خلال ردود أفعالهم على ممارسات الولاة لرد الظلم داخل الإسلام و لم يثوروا ضد الإسلام، فرغم حجم هذه التجاوزات فإن البربر لم يناوؤوا الإسلام و لم يثوروا عليه ولكنهم بحثوا داخل هذا الإسلام عن شكل ملائم يجعلهم أسياد أنفسهم دون أن يرتدوا عن الإسلام دينا وحضارة[3]. أما عن حديث ابن خلدون عن ارتداد البربر فلا يمكن أن يفهم خارج الإطار الزماني له؛ وهو مرحلة ما قبل ولاية موسى بن نصير (92هـ/ 710- 711م). إلا أن ذلك لا يخرجهم عن كونهم مسلمين، وهذا ما حدث مع العرب عندما أعلنوا الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهم لم يعرفوا بعد عقائد الدين وأحكامه. فلا يمكن والحال هذه أن نساوي بين بربر القرن الثاني الهجري مع مجتمع مكة أو المدينة لنحكم على ارتدادهم أو على انتفاضاتهم ضد طغيان الولاة والحكام.

في المغرب، استقطبت المسألة البربرية نظر الإخباريين في موضوع اعتناق القبائل البربرية الكثيف، تاركين في الظل التطور الفعلي للمسيحية ببلاد المغرب، حيث توالت قصص الثورات الكبرى البربرية التي نسجها الخوارج. وتوحي هذه الفتنة المغربية بتعقد الخصوم الاجتماعيين في الفضاءات أين لا يمكن للتقدم المذهل لعلميات الاعتناق "الشكلية" وانتهاء المسيحية إخفاء فشل التحكم الذي مارسته الخلافة ومشكلة تأسيس دولة وفق النموذج المشرقي ما عدا بإفريقية[4]، فدور دعاة الخوارج لا يمكن إغفاله فبالإباضية الوهبية

[1] محمود إسماعيل. الخوارج في بلاد المغرب حتة منتصف القرن الرابع الهجري. دار الثقافة. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1985. ص 259.

[2] المبروك المنصوري. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. تشكله وتطوره وانتشاره. ص 28.

[3] حياة عمامو. أسلمة بلاد المغرب. ص113.

[4] M. Talbi, « Le Christianisme Maghrébin de la Conquête Musulmane à sa Disparition : une tentative d'explication », *Conversion and Continuity, op. cit.*, p. 313-351 ; Id., « La Conversion Des Berbères au kharijisme ibāḍito-sufrite et la nouvelle carte politique du Maghreb au IIe/VIIIe siècle », *Études d'Histoire ifriqiyenne et de*

وظفت شبكة مع الصفرية للدعاة وساهما في توطيد الإسلام بين المجتمعات القبلية المعارضة للنخبة العسكرية العربية والتي دفعت ممارساتهم للاحتجاج على احتقار البربر[1].

فيما نجد أن إدموند دوتي (Edmond douté) يربط نشاط الخوارج بالحركة الدوناتية خلال القرن الرابع ميلادي ضد السلطة الرومانية في بلاد البربر التي ثارت من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية للبربر الفقراء، لأن مذهب الخوارج كان من العوامل المساعدة في تثبيت الإسلام في المنطقة بعد أن اعتنقه البربر ليكون وسيلة للقضاء على سلطة العرب، فالبربر يعتمدون على الأعراف أكثر من الإسلام حسبه[2]، كما يرى أن الشيعة نجحت في استمالة قبيلة كتامة التي ساعدت دعاتها على تأسيس دولة لهم[3].

مع بداية القرن الثاني الهجري/منتصف القرن الثامن الميلادي، يبدو من خلال الشواهد النصية ممارسة الشبكات التي شكلها الدعاة الإباضية والصفرية لدعوة فعلية، لكن ليست هناك أي علاقة توضع بين عمليات اعتناق الإسلام والدعوة الخارجية الأولى، في توطيد الأسلمة؟ فقد كانت هذه الجماعات القبلية نفسها معتنقة للإسلام قبل النشاطات الخارجية.

فالأمر يتعلق بانشقاق في بلاد المغرب الإسلامي، لأن أول المعتنقين وجدوا أنفسهم تحت هيمنة نخبة عسكرية عربية، وهذا ما شجع على تبني إسلام "احتجاجي" وهم الخوارج. وتكونت شبكات إباضية وصفرية ومعتزلية وعلوية ثم سنية والتي سمحت للثقافة الإسلامية بالتغلغل في الجماعات الأصلية التي أصبحت مسلمة سطحيا وأيضا الجماعات المسيحية[4].

وهذا ما يتماشى وطبيعة الأوراس التضاريسية مع القرن 5ـــ/ 11م، حيث تختفي الأقليات النكارية بالأوراس بعدما كانت جماعات مطاردة من طرف الفاطميين. هذه الأخيرة التي ستلقى المصير نفسه على يد الزيريين والحماديين، ليفسح المجال أمام المذهب السني المالكي مع وجود جماعات طرفية، أما غربا، فكان دخول المذهب المالكي للأندلس زاد من توسع حركة الأسلمة بالمنطقة بالإضافة إلى المصاهرة بين مختلف الطوائف خلال فترة حكم الأمراء[5].

---

civilisation musulmane médiévale, Tunis, (1982), p. 13-80.+112 *Cyrille* aille. Islamisation et Arabisation dans le monde musulman médiéval. p.14.

[1] Allaoua Amara. L'islamisation du Maghreb central. p. 128.

[2] Edmond Douté. L'Islam algérienne en l'an 1900, Algérie, Girlat, 1900, p 30.

كريم بوترعة. المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية. ص 78.

[3] Edmond Douté. *op. cit.* p. 35- 38.

[4] Allaoua Amara. Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval. p. 130.

[5] Cyrille Aillet. *op. cit.* p.1, 8.

لقد كانت الأسلمة تتم بالحواضر الكبرى عن طريق المشاركة السياسية أو عن طريق اعتناق أفكار مختلف المذاهب المعارضة، والذي استمر حتى عهد الإمارة الأغلبية وما بعدها، والأمثلة كثيرة على العلاقة بين الجماعات البربرية والمذاهب ومختلف التأثيرات التي ستؤدي بطريقة مباشرة على تعميق الفهم بتعاليم الدين الإسلامي من خلال فهم مبادئ مختلف المذاهب والفرق الكلامية.

إن تفكيك عناصر الأسلمة يسمح لنا بالوقوف على مختلف العناصر الفاعلة في العملية، فالعملية جمعت جهود الدولة والنخب الجديدة والقبائل، وكانت أدوار هذه الفئات تختلف حسب قدراتها من فئة لأخرى، ولا يمكن في هذا الصدد إغفال الدور الذي لعبته الفرق المذهبية[1] ، حتى وإن كانت أقليات في البداية، إلا أنها لعبت دورا مهما في الأسلمة. كما ينبغي الاستعانة بالمصادر الإباضية لمعرفة تفاصيل وآليات أسلمة الجماعات المحلية وتجاوز الأفكار المسبقة حول هذه المسألة[2].

ثانيا: الجغرافيا المذهبية بالأوراس.

قبل الحديث عن الحياة المذهبية في الأوراس لا بد من معرفة واقع الخريطة المذهبية في بلاد المغرب بصفة عامة؛ إذ لا يمكن فهم التطورات الحاصلة في الأوراس بمعزل عن الجغرافيا المذهبية للمنطقة بصفة عامة، فالتوزيع الجغرافي للجماعات المذهبية أو تتبع التيارات الكبرى لمسارات الجماعات السياسية والعقدية ببلاد المغرب الإسلامي معقد التركيب يصعب تحييده أو فصل جزره عن بعضها البعض لما لها من روابط اجتماعية وسياسية واقتصادية متداخلة.

ونؤكد مرة أخرى على مسألة تجاهل المصادر المبكرة للجماعات الهامشية والمناطق النائية عن العواصم والحواضر الكبرى، وبقي تاريخ هذه الجماعات الطرفية غامضا، بالإضافة إلى إقصاء بعض الجماعات المذهبية من طرف خصومها، مثلما نجده في المدونة الإباضية المتعلقة بأخبار النكار، أو صورة هؤلاء في المصادر

[1] كتب السير الإباضية تعكس التطور الفكري وتؤكد الهوية المحلية للمجتمعات المحلية للخلافة الإسلامية، وتدرج ضمن كتب الفضائل والمناقب للعلماء والأولياء الخاصة بالنخب الإباضية الوهبية. وهي نصوص تسلط الضوء على حياة النخب وعلاقاتها بالجماعة الإباضية، جمعت في أوقات مختلفة، واستطاعت الحفاظ على الذاكرة الجماعية للنخب السائدة والحاكمة للإباضية الوهبية.

Allaoua Amara. Remarques sur le recueil ibādite-wahbite siyar al- mašā'ih : retour sur son attribution. aam, 15 (2008). p. 35, 39, 40.

[2] *Ophie Gilotte. Annliese* Nef. « L'apport de l'archéologie, de la numismatique et de la sigillographie à l'histoire de l'islamisation de l'occident musulman : en guise d'introduction ». *Islamisation et arabisation de l'occident musulman médiéval (viie-xiie siècle)*, éd. Dominique Valérian, publications de la sorbonne (bibliothèque historique des pays d'islam), Paris, (2011). p.32.

الإسماعيلية. أو أننا نجدها بصورة مشوهة، باستثناء القليل من الأخبار الواردة في النصوص الجغرافية التي يمكن أن نستخلص منها بعض الأحداث[1]

أولا: مجال الصراع.

دون إغفال المعطى السوسيو- تاريخي للمنطقة[2] فإن الجغرافيا المذهبية للأوراس لا يمكن بأي حال معرفتها بصورة شاملة بمعزل عن التركيبة القبلية السائدة ونمط العيش لمنطقة كانت تقطنها جماعات كانت تعيش خارج سيطرة الحكم المركزي منذ قرون؛ فقد كان هذا العامل أحد أسباب الإقبال الواسع لها على اعتناق هذه الأفكار السياسية كرد فعل مباشر وطبيعي على السياسة الأموية القائمة على أساس العنصر العربي دون سواه من السكان الآخرين. وبغض النظر عن الظروف التي دخلت فيها أفكار ومبادئ مختلف المذاهب إلى بلاد المغرب فقد اقترنت في مجملها بآثار الحملات العسكرية للفتوح الإسلامية وما صاحبها من تمكن الأقليات العربية بالسلطة والملك، وبداية تسرب دعاة الجماعات المعارضة إلى المنطقة سعيا منهم لكسب الأنصار والمؤيدين، بعد الضربات التي تلقتها في مركز دار الإسلام بالمشرق.

لقد كانت توسعات الجيوش الأموية في الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية قد قوبلت بمقاومة عنيفة من طرف بعض السكان في إقليم نوميديا ومن بينها بعض الجماعات المستقرة بجبل الأوراس، ويمكن تفسير هذا الوضع بسبب محافظة الإقليم على بعض الهياكل الاجتماعية والاقتصادية المحلية، عقب الانتصارات التي حققتها الجيوش الأموية والتي أدت إلى تجريد الملاك الكبار من ممتلكاتهم التي ستتحول إلى الأسياد الجدد المنتصرين. لذلك فإن المعروف عن انتشار الإسلام ببلاد المغرب أنه سار بطريقة بطيئة، وأخذ وقتا ليس بالقصير، لأنه في البداية كان منحسرا بالحواضر القليلة في بداية القرن الثاني الهجري، قبل أن ينتشر ويتوسع مع مرور الوقت ليعم كافة المناطق الريفية. ثم إن ندرة النصوص التاريخية ستشكل حتما عقبة أمام

[1] Virginie Prévost. « Ibadisme et sufisme dans le Maghreb central. Histoire générale de l'Algérie ». *L'Algérie médiévale*. Sous la direction de Houari Touati. Oran, zaytun (2012). p. 316.

[2] حاول التيار المنعوت بالخوارج أن يعيدوا تكوين مجموعات صغيرة على أسس إسلامية موافقة لمبادئهم وبيئاتهم التي كانت تعتمد على روح القبيلة، فيكون الإمام عنهم يجمع بين السيادة والسلطة القبلية وفي نفس الوقت يكون إماما في نفس السياق. غير أن هناك استثناء للإباضية مقارنة مع نظرائهم السنة أو الشيعة حول السلطة الشرعية، وهي متباعدة منذ وقت مبكر حول شخص الإمام وبنية مؤسسة الإمامة نفسها رغم أنهم كلهم قد وجدوا أنفسهم في صف واحد ضد الأمويين. فضلا عن المنطلقات والتأثيرات المتعلقة بكل فرقة واختلاف الظروف المشكلة لكل من الخوارج والشيعة في العراق وغيره من المناطق الأخرى. Adam Gaiser,. *op. cit.* P. 143- 145.

معرفة الطرق والآليات التي دخلت فيها أفكار المذهب الإباضي لبلاد المغرب، فضلا عن أن أغلب هذه المصادر روايات متأخرة جدا عن الفترة موضوع الدراسة[1].

لكننا في الجهة المقابلة نجد بعض الروايات الخاصة بهذه الأقاليم تشير إلى انتشار سريع للإسلام بين السكان المحليين، رغم احتفاظ الكنيسة اللاتينية والبيزنطية بوجودها في الكثير من المدن الكبرى في إفريقية. غير أن أسلمة جزء كبير من المجتمعات الريفية ستؤدي قريبا إلى تشكل مجتمع مسلم جديد والذي سيصطدم بمواجهة سياسية واقتصادية (ضريبية) أموية مجحفة، حيث سيهمش هذا المجتمع الجديد من طرف النخب السياسية والعسكرية الأموية[2]، وهذه السياسة ستخلق ظروفا مواتية لانتفاضة السكان ضد الحكام الأمويين المتمركزين في القيروان وستتحول بلاد المغرب إلى منطقة مواتية لمختلف الاتجاهات والحركات المعارضة، كما أن أغلب المواقف يمكن إدراجها في سياق التعبيرات الاجتماعية عن الواقع السياسي الجديد الذي أصبح يتخذ أشكالا مختلفة من التعبير لعل أهمها تلك المواقف المؤيدة لمختلف المذاهب العقدية والتأييد الذي أصبح يتمتع به الدعاة، خاصة تلك الدعوات التي اتخذت من واقع البربر منطلقا للمطالبة بالعدل والمساواة، والوقوف في وجه تجاوزات الحكام الجدد الذين أعطوا مبررا لهذه المطالب استغلتها خاصة تيارات الإباضية والصفرية والعلويين الطالبيين في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

بعد انتهاء العمليات العسكرية للفتوحات الإسلامية أصبحت مجالات بلاد المغرب على أهمية كبيرة للعديد من الدعاة الذين نجحوا في نسج علاقات وتحالفات بفعل تغلغل الدعاة في مختلف الأوساط، فكانت الكثير من مجالات هذه البلاد مسرحا لنشاط دعوي سيثمر بظهور الكثير من الإمامات وعلى رأسها الإباضية والصفرية والعلويين والإسماعيلية وغيرها.

لقد كان من أسباب نجاح حركات المعارضة والإباضية والصفرية تحديدا ببلاد المغرب هو السياسة الأموية اتجاه الجماعات المورية[3]، والتي اصطدمت بأفكار دعاة هذه التيارات التي قامت بنشر أفكارهم التي تدعو إلى

---

[1] محمود إسماعيل. الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري. دار الثقافة. الدار البيضاء المغرب ط2. 1985. ص 63 64 وما بعدها

[2] Allaoua Amara. « Entre la conversion et la mort : le statut et le sort des ibadites maghrébins d'après les textes juridiques malikites ». Biografías magrebíes. Identidades y grupos religiosos. *Estudios onomástico-biográficos de al-Andalus*, XVII, (2012). p.65 - 67.

[3] لا تزال العصبية العربية مستحكمة في النفوس لدى تلك القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب. ولم يتشكل مجال بلاد المغرب بعد. فبعد ثورة البربر عام 122هـ وخروج ميسرة المدغري وانتصار البربر في "معركة الأشراف" يقول الرقيق أنه: "اختلفت الأمور على عبيد الله بن الحبحاب. واجتمع الناس وعزلوه عن أنفسهم. وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك. وقال: "أقتل أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب أصحاب الغنائم؟" قيل: "نعم يا أمير المؤمنين" قال: "والله لأغضبن لهم غضبة عربية. ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم وآخرهم عندي، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة "قيسي" أو "تميمي". ثم كتب إلى ابن الحبحاب بقدومه عليه. تاريخ افريقية والمغرب. ص 137.

العدالة، وإلى العودة إلى السنة النبوية، وقد وجد هؤلاء الدعاة كل الدعم والتأييد من طرف جماعات زناتة، ونفوسة، ومزاتة خصوصا.

من هنا بدأت تتشكل جغرافيات مذهبية ببلاد المغرب. وسيكون مجال الأوراس مقبل على مرحلة جديدة من المقاومة وهي مرحلة الدخول في فترة ممهدة للكثير من ثورات الإباضية بالأوراس. وسيشكل هذا المجال الجبلي نقطة التقاء لمختلف المذاهب التي ناصرتها الجماعات المستقرة في هذا الإقليم، وبقدر ما جمعها هذا المجال فإن تلك المذاهب شكلت جزر في مجال غير متواصل يبعد أحيانا بعضها عن بعض مسافات شاسعة. وجمع بينها قوة عنصر الهوية المذهبية[1].

فالأوراس بطبيعة الحال لم يكن بعيدا عن هذه التحولات المذهبية، بل كان له الدور الكبير والفعال في المساهمة بقبائله وجغرافيته أحيانا أخرى، حيث كان منطلقا لبعض هذه الحركات مثل الإباضية والصفرية، كما احتضن الثوار الفارين وشكل تهديدا مستمرا للثورات المضادة في مختلف المراحل. وكان أهمها في البداية هي حركة عاصم بن جميل[2] إمام الصفرية، ثم كان في منتصف القرن الثاني الهجري مجال وصل بين جماعات الصفرية والإباضية ولو أنهما فشلا في الحفاظ على ذلك التحالف الظرفي الذي جمعهما في وقعة طبنة 151هـ/ 768م. ثم سيحتضن بعد ذلك تيا النكارية عند ثورته على الوهبية، قبل أن تسقط حصونه وأغلب حواضره أمام ضربات الكتاميين بقيادة عبد الله الداعي في نهاية القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي. وكان ذلك سببا مباشرا لسقوط إمارة الأغالبة عام 296هـ/ 909م. واستمر هذا المجال في خط الثورة والمقاومة بعد ذلك وبصورة أكثر حدة في العهد الفاطمي الذي وضعها على حافة السقوط التام مع حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

قبل ذلك، ونحن بصدد الحديث عن فترة زمانية دقيقة في هذه الرقعة الجغرافية، فإن هذه الأقاليم كانت تبدو كبؤرة توتر واضطراب، يتوجس منها أمراء رقادة خوفا من احتمال ثورتهم عليهم؛ فقد ربطتهم معهم انتماءات قبلية واحدة وأغلبهم من "بني تميم". إلا أن مواقف "رقادة" المريبة أدت إلى صدامات كثيرة تحولت

[1] محمد مريمي. خطاب الرحلة والإسلام الإباضي خلال العصر الوسيط والفترة الحديثة. من كتاب الرحلة والغيرية. تنسيق. عبد الرحيم بنحادة، خالد شكراوي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 2008. ص 11- 12.

[2] يقول عنه ابن سلام الإباضي أنه كان من خيار شيوخ البربر ويسرد قصة موته نتيجة أكله فقوس قثاءة مسمومة اشتروها من صبي في عسكر أبي حاتم فكان فيها موته. كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. ص 129.

إلى مجازر مرعبة ارتكبت في حق بعض الحواضر بمنطقة الزاب وبلزمة قبيل توسعات عبد الله الداعي بعد نجاحه في الاستيلاء على معظم الحصون الأغلبية الغربية[1]، والتي كانت مهيأة لذلك نتيجة تلك السياسات الأغلبية.

وإذا كان من غير الصائب إعادة سرد الأحداث التاريخية كرونولوجيا فإننا سنختار فترة زمنية من هذه المرحلة لنرى كيف كانت أحداثها تؤثر بطريقة مباشرة على إثارة العداء بين هذه الأقاليم ورقادة؛ ففي عهد الأمير محمد الثاني أبي الغرانيق (250- 261هـ/ 864- 875م) "كانت في أيامه حروب وفتن. وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين. وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية، وبنى محمد حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب وهي الآن معروفة"[2]. إن اهتمام هذا الأمير بالساحل قد صاحبه إهمال لما كان يجري في الداخل الذي كان يبدو هادئا، خاصة منطقة الزاب والأوراس التي كانت تجري فيه بعض الأحداث التي لم يلتفت إليها المؤرخون. فقد جرت بعض الاضطرابات في هذا الإقليم، ولكن كان رد الأمير قاسيا وقمعيا صاحبه زيادة الجباية. وقد أشرنا في فصل سابق إلى المجزرة التي حدثت لجند بلزمة[3]. وهذا أدى إلى خلق ما سماه محمد الطالبي "بالحدود المائعة والمائعة جدا" وهي التي كانت تربط الإمامة الإباضية الرستمية والإمارة الحنفية الأغلبية، وهذه ظاهرة اشتركت فيها جميع ممالك العهد الإسلامي الوسيط، بل إنها حدود تشابكت إلى حد أننا نجد ولايات قابس ونفزاوة وقسطيلية وحتى الساحل جزء مندمج في أراضي تيهرت حسب تاديوش لفيتشكي (Tadeusz Lewicki)[4]، هذا الأخير الذي يرى أن الميادين الشرقية للإمامة الإباضية كانت تشمل في مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كامل إفريقية الجنوبية، أي قفصة حاليا، وبلاد الساحل، وبلاد الجريد، وأعماله قسطيلية، وقنطرارة، ونفزاوة، وحرث نفاثة، وجبال الجنوب الشرقي التونسي. فكانت ممتلكات الإمامة الرستمية تطوق دولة الأغالبة من كل جانب. وكانت سلطة هذه الدولة مقتصرة في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، على إفريقية الشمالية[5].

ولعل هذا المجال الذي كانت تنشط فيه الجماعات الرعوية التي تنتجع في السهول والهضاب العليا أتاح للأوراس أن يلعب دورا محوريا بين هؤلاء الثوار الرحل وأشباه الرحل الذين يشغلون الفضاء الجغرافي الممتد من

---

[1] يمكن معرفة طبيعة العلاقة بين أغلب الحواضر والمدن الواقعة بمنطقة التل الأعلى بما في ذلك مجالات الأوراس الشمالية والشرقية بالرجوع إلى دراسة Paul-Louis *Cambuzat, L'évolution des cités du Tell en* Ifrîkiya. p. 99, 188- 189.

[2] ابن خلدون. ديوان العبر. ج4. ص 259.

[3] محمد الطالبي. التاريخ السياسي للدولة الأغلبية. ص 294 295 303. ينظر ص 197- 199. من فصل تاريخ جغرافية الأوراس.

[4] محمد الطالبي. المرجع نفسه. ص 400.

[5] Tadeusz Lewicki. « Les ibadites en Tunisie au moyen-âge ». la répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen-âge. Rocznik oriontalist, xxx, 1957. p.301, 343.

الجريد إلى جنوب تلمسان والذي يتشكل غالبا من جماعات زناتة ولواتة وهوارة وزواغة[1]. كما لا يمكن إغفال العامل التاريخي لهذا الإقليم والذي لا تزال بعض رموزه (الكنائس) شاهدة على استمراريته؛ والمتمثل في استمرارية انتشار مواقف الثورة والاحتجاج التي شملتها نفس الأقاليم الخاصة بالجماعات الإباضية، ليس فقط في مجال الأوراس بل في كامل بلاد المغرب والتي وجدت صدى إيجابيا في نواحي ترسخت فيها التقاليد المسيحية الدوناتية وأكدتها الاكتشافات الأثرية[2]. وهي أطروحة انتشرت بين المستشرقين تربط بين الحركة الدوناتية التي استمرت إلى غاية القرن السادس الميلادي، وبين حركة الإباضية، وكلاهما يعبران عن نزعة استقلالية للبربر مع اختلاف الزمان بينهما[3].

وهي مجالات كانت منحصرة في التل الغربي الذي تحول منذ القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي إلى مجال للدعاة (الصفرية، والإباضية، والإسماعيلية، والمالكية...) وسرعان ما أصبح ميدانا للمواجهة بين من مختلف الجماعات المذهبية فيما بينها أو ضد خصومها. هذه المنطقة الحدودية من إفريقية التي شهدت صراعات كثيرة في العهد الإباضي مع جيرانها من الأغالبة وجماعات الإباضية النكارية، لذلك فإنها ستحدد معالم الحدود القصوى التي استطاع الأغالبة الاستيلاء عليها، فيما شكلت منطقة توسع وانتشار لخصومهم في نهاية القرن الثالث الهجري[4].

لقد كان مجال التل ميدانا لتحركات جماعات الرحل الزناتية، وفي نفس الوقت كانت هناك صلة مباشرة بين انتشار أفكار الإباضية والصفرية وحياة الترحال مثلما أشار إلى ذلك غوتييه، حيث روجت له كل من زناتة وهوارة[5]. وفي هذه الظروف بدأت أولى مراحل التغير ببلاد المغرب بعد وصول الدعاة من بلاد المشرق وكان الكثير من الفارين من العراق قد لجأوا إلى بلاد المغرب بعد ضغط الخلافة الأموية بالمشر.

---

[1] ابن عذاري. المصدر السابق. ج1 ص 8 28.

[2] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâdites du Zâb, p. 119- 120.

غير أن هناك من الأطروحات التي ربما تبالغ في تضخيم العامل التاريخي والعرقي للثورة لدى البربر؛ إذ نجد على سبيل المثال جورج مارسي يربط بين حركة الخوارج ويشبهها بعلاقة الأحفاد بالأجداد، إلا أن الفرق حسبه يتمثل في عدم استيعاب البربر لمبادئ الخوارج وانخراطهم في مشروعهم انطلاقا من بعض البنود السهلة المنال للعامة. فلا يمكن إنكار ما تشكله مبادئ هذه الفرق ومقولاتها حول العدالة والحق في الإمامة من إغراءات لقبائل البربر التي تتوق إلى المشاركة في الملك. جورج مارسي. بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى. ترجمة. محمد عبد الصمد هيكل. منشأة المعرف. الإسكندرية. 1991. ص 54.

[3] المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 21- 23.

[4] Paul-Louis *Cambuzat*, op. cit. p. 97- 98.

[5] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis » p. 120.

والجدير بالذكر أن مجال الأوراس كان في معظمه إباضيا رغم تنوع القبائل المستقرة فيه، حيث كانت الدولة الرستمية تحيط بإفريقية الأغلبية من الشرق والغرب والجنوب، و لم يكم هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة والانتقال والاختلاط في مناطق الحدود. ومن هنا اختلط الأمر على بعض الجغرافيين، فنسبوا بعض البلدات والكور الرستمية... كتهودة، وودان، إلى دولة الأغالبة[1].

وإذا كان المذهب الحنفي السباق من الناحية الزمنية من بين المذاهب الفقهية السنية، وهو ما أشار اليه القاضي عياض (ت544هـ،1150م) في كتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" فقد انتشرت الرؤية الحنفية في الفقه بالقيروان وبواحات بنطيوس ببلاد الزاب، لكن النخب المشكلة لهذه المجموعة الفقهية التي عاشت في ظل دولة الأغالبة الأحناف سرعان ما تنكرت لمذهب العراق ولفكرة دولتهم التي سقطت في يد الإسماعيليين الشيعة[2]. لقد انهار البناء الفقهي الحنفي و لم يبق من أوفياء له في نهاية القرن الخامس الهجري إلا أهل تهودة في جنوب الأوراس[3].

أما عن البدايات الأولى لحركة الإباضية والصفرية التي تبقى محل اختلاف بين الدارسين فإن أغلب المصادر تتفق على الرواية التي تقول بقدوم دعاتهم معا، وحسب الرواية الإباضية لأبي زكريا التي يوردها عن أصحابه: "عن الإمام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم أنه قال: أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية، سلامة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية، فسمعت سلامة يقول وددت أن لو ظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده"[4]. إلا أن حياة عمامو[5] ترى أنه لو سلمنا بفرضية قدوم عكرمة إلى إفريقية، وأنه دخلها في

---

[1] محمود إسماعيل . الخوارج . ص 188.

[2] كانت الإمامة أو الخلافة في الإسلام بالاختيار، ولما توفي النبي لم يوص لأحد بالإمامة من بعده، بل ترك الأمر شورى بين الناس، وأن الصحابة سلكوا هذا المسلك، مسلك "الاختيار" أو "الشورى" لأن ذلك كان هو الموقف الذي يمليه الشرع، و لم يكن من الممكن أن يخالفوا الشرع في أهم مسالة تتعلق بها حياة الإسلام والمسلمين، ولا أن يتواطأوا على إخفاء وصية النبي أو تجاهلها. لكن الشيعة كان لهم ولا يزال موقف مخالف تماما: "قالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية (أي من المصالح العامة الدنيوية) تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية وهي ركن من أركان الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله (تركه مرسلا بدون تخصيص). ويجمعهم (الشيعة): القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. و القول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حالة التقية" الجابري. بنية العقل العربي. ص 318. الشهرستاني. الملل والنحل. دار الفكر. بيروت. ط 2. ص 118.

[3] البكري. المسالك والممالك. ج2. 254. علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص 129.

[4] أبو زكريا. سير الأئمة وأخبارهم. ص 25 26. الدرجيني. طبقات المشايخ. ج1. ص 11- 12. محمود إسماعيل. الخوارج في بلاد المغرب. ص 46 - 48.

[5] أسلمة بلاد المغرب. ص 92. محمود إسماعيل. المرجع نفسه. ص 43- 44.

زمن بني أمية[1]، فلا يوجد ما يدل على كونه كان صفريا، ويعلم المبادئ الصفرية لأن أول من جعله صفريا من المؤلفين السنيين هو أبو عبيد البكري[2] (ت487هـــ/ 1094م) وهو الذي نقل أكثر أخباره عن محمد بن يوسف الوراق (ت363هـــ/ 973م). لذلك فإن ربط الحركة الصفرية بعكرمة تعود إلى القرن الخامس الهجري وفي أحسن الحالات إلى القرن الرابع، ويبقى الأمر غامضا، وأن ربط العلاقة بين الصفرية وهذا الداعي إنما هو من ابتداع الرواة الذين تناقلوا الرواية لتبرير الأحداث وتفسيرها[3].

وبغض النظر عن هذا الاختلاف حول بدايات الدعوة وحسب الرواية التي تقول بوصول الدعاة سلمة بن سعد وعكرمة مولى ابن عباس على راحلة واحدة، فإن هذا يعطي دلالة على عدم وجود العداء بين أنصار هذين الفريقين على الأقل في بداية مرحلة الدعوة. في حين تتساءل فرجيني بريفو (Virginie Prévost) حول طبيعة التوزيع الجغرافي للمذهبين وحول ما إذا كان هناك اتفاق بين هؤلاء الخوارج حول مسألة توزعه وانتشارهم. أم أن العملية كانت تلقائية وخاضعة لميزان القوى لكل فرقة؟ وهل كان لأئمة المشرق دور في الموافقة على تقاسم المجالات ببلاد المغرب؟ فنجد أن المناطق الواقعة غرب القيروان كانت للصفرية، أما شرقا فكانت مجالاتها خاضعة للسيطرة الإباضية. وهل أن الأمر كان يهدف إلى تجنب المنافسة بين الإباضية والصفرية منذ أن بدأت نشاطات الدعاة الأوائل من أجل كسب المؤيدين والأنصار[4].

كان جبل الأوراس الإباضي آهلا بجماعات من هوارة ومكناسة وبني كملان ومليلة وغيرهم[5]، وفي الوقت نفسه أصبح الصراع القبلي غلافه عصبية وعمقه صراع من أجل الموارد، إذ كان الصراع بين القبائل وما يسفر عنه من سيادة القبيلة الغالبة على القبائل المهزومة يغلف عادة بغلاف العصبية فإنه لم يكن في العمق سوى صراع من أجل موارد الرزق بشهادة ابن خلدون نفسه[6]، ولذلك أصبحت بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بمثابة فسيفساء من المجموعات السياسية والعقدية من إباضية، وصفرية، وواصلية، ومعتزلة، وزيدية.

---

[1] أبو العرب تميم. طبقات علماء إفريقية وتونس. تحقيق. علي الشابي. الدار التونسية للنشر. تونس 1985.ص 82- 83.

[2] المسالك والممالك. ج2. ص 334- 335.

[3] حياة عمامو. المرجع نفسه. ص 92- 93. و عن نشاط الدعوة الإباضية والصفرية أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري ، ومهام الدعاة الأوائل، المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 16- 20. Virginie Prévost. *op. cit.* p. 316.

[4] Virginie Prévost. Ibadisme et sufisme dans le Maghreb central. p. 316.

[5] كما كان الشأن في العصر الأغلبي. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تح جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1996. ص 134. وفي بداية عهد المعز لدين الله الفاطمي كان يسكن جبل أوراس بنو كملان ومليلة وهوارة. الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. ج2. ص 86.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش. حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب. ص 12.

أصبحت الجغرافيا المذهبية لإقليم الأوراس ونواحيه القريبة منه تتجه في القرن الثالث الهجري إلى نشاط حركات مذهبية كثيرة وكانت حركات تناصب العداء لغيرها، حتى أننا نجد المجال الواحد مقسما بين أكثر من مذهبين؛ وأصبح الأوراس مقسما بين إباضية وهبية، ونكارية، ومعتزلة، ومالكية كما بدأت حركة نشاط دعوية شيعية في بعض مناطقة الشمالية والشمالية الشرقية (قسطيلية وسوجمار)، وبعد أن تحولت هذه الدعوة إلى مرحلة العلن سيجد جبل الأوراس نفسه محاطا من ناحيته الشمالية بانتشار اسماعيلي، وهي فترة (280هـ/ 893م- 290 هـ/ 902 م)، حيث كان فيها هذا المجال يراقب عن كثب تنامي قوة الداعي على حدوده الشمالية انطلاقا من "إيكجان"، ليتحول طيلة القرن 4هـ/ 10م إلى مركزا للمعارضة الإباضية التي هددت الوجود الفاطمي في الكثير من المرات.

بعد سقوط تيهرت أصبح الأوراس ملجأ للكثير من الجماعات التي فرت واتجه أغلبها إلى الجنوب واستقروا بسدراتة بوارجلان والمناطق القريبة منها بالواحات ببلاد الزاب بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. بالإضافة إلى جربة وجبل نفوسة. فيذكر الشماخي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مجموعة من الإباضية بالأوراس وبداية من النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي سيؤسسون نظام العزابة[1]، كما يفيد أبو زكريا وجود جماعات النكار بالأوراس وفي وادي ريغ والجريد والزاب وسوف، وهي جماعات شاركت في ثورة باغاية[2].

أما المجال الإباضي في النصف الثاني من القرن الخامس فكان يشمل بلاد الجريد حتى وصول بني هلال، ونفزاوة، انتشرت فيها الإباضية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[3]، مع الإشارة إلى وجود بطون من قبيلة نفزاوة بمدينة بلزمة قبل هذا التاريخ. وإذا كان شرق أوراس منطلق ثورة أبي يزيد مخلد كيداد، بعد أن لجأ إليه، فإن وقعة باغاية سنة358هـ/ 968م، ستكون أيضا محطة لإنهاء "إمامة الدفاع" التي قام بها أبو خزر يعلى بن زلتاف، الذي رافق المعز في رحلته إلى مصر حيث استقر[4]. ويشير البكري إلى حصن باغاية كانت تقطنها العديد من القبائل الإباضية من "مزاتة وضريسة، وكلهم إباضية، وهم يظعنون في زمن الشتاء..."[5].

وبجانب الإباضية وجدت فرق أخرى فينقل ابن حزم عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق، عن أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد، أن معظم بطون زناتة كبني برزال، وبني دمر، ومغراوة، وبني صمغار،

[1] حول نظام العزابة والمنتسبين إليه . إبراهيم البرادي. الجواهر المنتقاة. دار الحكمة. لندن. 2014. ص 207- 208.

[2] Virginie Prévost. *op. cit.* p. 322 - 329. أبو زكريا. سير الأئمة وأخبارهم. ص 116 117 143.

[3] عبد المجيد بن حمدة. المدارس الكلامية بإفريقية. ص 82.

[4] المنصف قوجة. تاريخ الاباضية الديني والسياسي. ص 57.

[5] البكري. المصدر السابق. ج02 ص 329.

وغيرهم، "كلهم معتزلة (ويقصد هنا بالمعتزلة هم الوهبية لأن عقيدتهم معتزلية)، حاشا بني برزال وبني واسين، فهم إباضية، أما جمهور بني مغراوة، وبني يفرن، فسنية"[1].

لقد بقي الأوراس يشكل مستقرا لجماعات الخوارج النكارية في القرن التاسع الهجري، فيذكر الدباغ في ترجمته للشيخ أبي سمير عبيد بن يعيش الغرياني، أنه "لما حصر أبو فارس عبد العزيز[2] بمحلته قبل أخذها لما ذكر جبل أوراس، وهو جبل حصين جدا يسكنه الخوارج.."[3]. إلا أن بدايات التراجع والضعف في المناطق الشمالية ستكون بعد القرن الخامس الهجري بفعل الكثير من العوامل التي حتمت هذه الفرق إلى الانسحاب نحو مناطق طرفية بالجنوب ومناطق الواحات وغيرها.

ثانيا: قراءة في المصادر

تطغى المصادر الإخبارية وكتب الطبقات والتراجم المتوفرة حول توزيع التجمعات الإباضية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، ورغم الوفرة التي نجدها حول هذه الفرقة إلا أنها في معظمها مصادر منقبية. ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى مجموعتين متميزتين: المصادر الإباضية والمصادر العربية السنية.

تتميز الكتابات الإباضية أنها جمعت بين التاريخ الحدثي والتاريخ الطبقي والفضائل، لكتابة تاريخ أعيان مذهب بطريقة عاطفية وأحيانا ميثولوجية[4]، واللافت أن أهم هذه المصادر المتمثلة في كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير المالكي، فهو غير إباضي والراجح أنه علوي، إلا أن مؤلفه يعتبر أقدم وثيقة تاريخية تخص الإباضية ببلاد المغرب، عاش أيام حكم الإمام أبي اليقظان، وأبي حاتم. وقد كتب مؤلفه في نهاية القرن الثالث الهجري في حدود عام 290هـ/ 902م. نقل عنه بعض المؤرخين وكتاب الطبقات مثل أبو القاسم البرادي وأبو العباس الشماخي[5].

أما كتاب السيرة وأخبار الأئمة. لأبي زكريا يحي بن أبي بكر الورجلاني الذي كتبه نهاية ق5هـ/ 11م: أصوله ترجع إلى ورجلان، وأخذ عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ/ 1078م)،

---

[1] ابن حزم الأندلسي. جمهرة أنساب العرب. ص 498- 497.

[2] برونشفيك. تاريخ إفريقية العهد الحفصي. ج 1. ص 241 269.

[3] الدباغ. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. ج 4. ص 257.

[4] وتشمل المصنفات الإباضية "كتاب سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكريا (حوالي 471هـ/ 1078م). وبعده وعلى نفس الطريقة كتب الوسياني (ت 571هـ/ 1175م) "سير مشايخ المغرب). ثم كتاب "طبقات المشايخ" للدرجيني (670هـ/ 1271م). ثم كتاب "الجواهر المنتقاة في ما أخل به كتاب الطبقات" لأبي القاسم إبراهيم البرادي (ق8هـ/ 14م) الذي يعتبر مكملا لكتاب الدرجيني. ثم كتاب الشماخي (ت920هـ/ 1521م) "السير". علاوة عمارة. الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي. التاريخ العربي. 32. 1425هـ/ 2004. ص 362- 363.

[5] تادايوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ترجمة أحمد بومزقو. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2005. ص 91- 92.

فهو يقدم لنا معطيات هامة عن بدايات تطور المذهب الإباضي ببلاد المغرب، والدولة الرستمية، ثم الانشقاقات التي ظهرت بداية من القرن الثاني إلى الخامس الهجري، مستعرضا الصراع الإباضي الفاطمي في هذه الفترة[1].أما ابن سلام (ت بعد274هـ/ 887م)، والوسياني (ت571هـ/ 1175م)، والشماخي (ت920هـ/ 1521م)، فتعتبر مصادر مهمة لمختلف الجماعات الإباضية الوهبية في مختلف المناطق كما أنها المصدر الأساسي لتطور المذهب عقديا وسياسيا[2] ولا يختلف اثنان حول طبيعة الخطاب الديني لهذه المصادر (ابن سلام وأبو زكريا) فقد نقلوا أيديولوجية هذه الجماعة التي تضع البربر في سياق الأحداث العامة للخلافة الإسلامية، وربط أصولهم بهذا السلف انطلاقا من علاقاتهم بالصحابة ثم إيجاد أصول تاريخية للمذهب تعود لهؤلاء الأئمة الكبار التي وضعها ابن سلام والتي تعود إلى أبي بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وحقيقة الخلاف مع عائشة[3].

ففي هذا الجانب نجد أن الإسطوغرافية الإباضية تلجأ إلى اختراع نسيج من العلاقات المبكرة بين هؤلاء البربر وعاصمة الخلافة أو رموزها من آل البيت، أو من الصحابة الكبار. بل نجد هناك مأثورات نبوية تخص هؤلاء البربر فيما جاء في الأثر عن النبي عليه السلام في فضائل البربر. وهي روايات نجدها عند ابن سلام تتعلق بأحاديث عائشة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن البربر: "هم الذين يحيون دين الله بعد إذ يموت ويجددونه بعد إذ يبلى"[4]. وكذلك حديث عمر بن الخطاب لما قدم عليه قوم من لواتة أرسلهم عمرو بن العاص، وأخبروه أنهم من البربر وتوافقت أوصافهم مع ما رواه لهم عمر من أن: "الله سيفتح للإسلام بابا من المغرب يعز الله بهم الإسلام ويذل الله بهم الكفار، أهل خشية وبصائر، يموتون على ما أبصروا، ليست لهم مدائن يسكنونها ولا حصون يتحصنون فيها ولا أسواق يتبايعون فيها"[5].

بالإضافة إلى أحاديث أخرى كلها تدور حول ابراز دور البربر في مراحل الإسلام المبكر بغض النظر عن مدى صحة هذه المأثورات[6]. كما أن كتب السير الإباضية أيضا تشكل مصدرا هاما للعلاقات الإباضية الفاطمية كما ترى بريفو فيرجينو واعتمادا على المصنفات الإباضية التي تجمع بين السرد التاريخي والسيرة الذاتية (مشايخ العلماء) والتي تحتوي على مسائل قانونية وعقدية[7].

---

[1] تادايوش ليفيتسكي. المرجع السابق. ص 63.

[2] Allaoua Amara. « Remarques sur le recueil ibāḍite-wahbite siyar al- mašā'iḫ : retour sur son attribution ». *Andalus, Magrib*, 15 (2008). p. 31- 40.

[3] Boutheina Ben Hassine. *op. cit.* p. 290.

[4] ابن سلام. بدء الإسلام. ص 122. أبو زكرياء. سير الأئمة وأخبارهم. ص 33. الدرجيني. طبقات المشايخ بالمغرب. ج1. ص 15- 16.

[5] ابن سلام. المصدر نفسه. ص 123- 124. أبو زكرياء. المصدر نفسه. ص 34. الدرجيني. المصدر نفسه. ج1. ص 17- 18.

[6] ابن سلام. المصدر نفسه. ص 124.

[7] Cyrille Aillet, *op. cit.* p. 129.

وحول طبيعة العلاقات بين هذه الجماعة وخصومها فإن المصادر الإباضية الوهبية في معظمها تعطينا صورة عن العداء المستحكم بينها وبين خصومها النكارية من خلال النظرة التحقيرية لأبي يزيد مخلد بن كيداد، والتي يمكن أن نسقطها كصورة لموقف عام عن أتباعه. وقد تكون مواقف أبي يزيد المتقلبة اتجاه حلفائه أثناء ثورته على الفاطميين سببا في تشكل هذا الانطباع حوله، حيث وصف بأنواع الصفات الذميمة والطغيان والفساد والخروج عن الدين[1]. وما ساعدها على ذلك هو أن المجموعات الإباضية عرفت بإنتاجها في ميدان العقيدة والكلام لعدة عوامل أهمها حاجة الجماعة لمرجعيات عقدية وكلامية في مواجهة انتشار المالكية من جهة، والانقسام الذي عرفته هذه الجماعات، وهذا ما أدى بالإباضية الوهبية إلى تنظيم حملة دعائية ضد جماعات النكار من أجل الانفراد بقيادة المجموعات المنضوية تحت لواء مذهب جابر بن زيد. وتجدر الإشارة إلى أن تيارات الإباضية استفادت من التجربة الكلامية لمجموعات المعتزلة بعدما جاوروهم بضواحي تيهرت[2].

تستمر هذه الحركات المذهبية في كسب المزيد من الأنصار وبالتالي المزيد من الانتشار المجالي. لكن يبقى الجبل مستقرهم الأهم المفضل خاصة أوقات الأزمة، مثلما نجده في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حول احتماء الكثير من الجماعات مثل مزاتة وضريسة، وجماعات من النكارية ولأسباب مذهبية لجأت إلى الجبل[3].

أما بالنسبة للأقليات الأخرى فإن المؤرخون الإباضيون، على عكس ابن الصغير، يتكلمون على أقلية مسيحية. أما الشماخي فيشير إلى عالم كبير من علماء العقيدة في القرن التاسع كان له عبد مسيحي، كما يشير إلى تحوله من المسيحية إلى الإسلام بعد زواجه من إباضية[4]. ويبدو أن بعض الجماعات الإباضية دمجت المسيحيين واليهود في مجتمعهم إذا وافق هؤلاء على الدخول في الإسلام[5].

---

[1] أبو زكريا. السير. ص 116– 117.

Cyrille Aillet, «l'ibadisme maghrébin en contexte fatimide (début X^e-milieu XI^e siècle)», *revue des mondes musulmans et de la méditerranée*, 139. (2016). p. 137.

[2] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2008. ص 112– 113.

[3] أبو زكريا. السير. ص 143. الوسياني. سير مشايخ المغرب. ج1. 328. Virginie Prévost. *ibid.* p. 327.

البكري ج2. ص 254.

[4] أبو زكريا. المصدر نفسه. ص 259. الشماخي. كتاب السير . ص 154، 175، 190.

[5] Virginie Prévost, « Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord », *Revue de l'histoire des religions.* ,224/4. (2007). p. 466.

1- المصادر التي تؤرخ للنكارية:

بالنسبة للجماعات الإباضية النكارية بالزاب والأوراس أشار علاوة عمارة إلى غياب نصوص نكارية تؤرخ لهذه الجماعات وطرح مجموعة قضايا حول الإباضية بالزاب ويرى أن كتاب الفرع الاباضي الوهبي لا يتقبلون الفروع الأخرى المنتسبة للإباضية؛ فكلهم ألفوا كتب جامعة للتراجم تتعلق بالمناطق الرئيسية الآهلة بأتباع مذهبهم؛ مثل جبل نفوسة، جربة، الجريد، أريغ، ورجلان، بينما لا يوجد أي أثر لرواية بيوغرافية تتعلق بالزاب، باستثناء روايتين نقلتا عبر أشخاص ينتمون إلى فرع بني واسين المستقرين في قرية محصنة تقع في أقصى جنوب الزاب. والأمر نفسه بالنسبة للنصوص الوصفية التي ألفها غير الإباضية، في أغلبها سنية وشيعية، فهي تتضمن تعداد للقبائل الإباضية بالزاب دون أي تحديد لتوزعها الجغرافي، بالإضافة إلى أن هذه الاوصاف تصبح قليلة انطلاقا من منتصف القرن 6هـ/ 12م، وذلك بعد خضوع طرق الاتصال لمراقبة وسيطرة القبائل الهلالية[1].

أما القسم الثاني من المصادر وهي المصادر السنية، فإن ابن عبد الحكم يستحضر ثورات الصفرية الأولى بإفريقية تحت قيادة خالد بن حميد الزناتي، والانتصارات التي حققها. ثم ثورات عبد الواحد بن يزيد الهوّارى الذي كان صفريا وقتاله حنظلة بن صفوان فى سنة أربع وعشرين ومائة[2]. وفي منتصف القرن 2هـ/ 8م، تظهر النصوص أولى الإشارات حول الجماعات الإباضية بالزاب والأوراس، ويذكر ابن عذاري المراكشي فتنة 151هـ/ 768م، واجتماع أمراء القبائل على مواجهة عمر بن حفص بالزاب، ولكن التحالف فشل، وكان آخر اتحاد بين الصفرية الإباضية في المجال الذي كان خاضعا لسلطة حاكم القيروان بمدينة طبنة[3]. غير أنه وعلى بعد 25كلم من بسكرة في طريق طولقة نسجل في الزاب حضور الطوبونيم "مليلي" يعرف كذلك في العصر الوسيط باسم "مليلة" يمكنه أن يشكل شاهدا على بداية انتشار الإباضية بالزاب، في الواقع هذا الاسم يعني فرع من هوارة الذي مثل اليد القوية للإمام الإباضي بطرابلس أبي حاتم الملزوزي[4].

المصدر الثاني الذي أشار إلى جغرافية الجماعات الإباضية بالأوراس نجد الرقيق القيرواني (ت420هـ/ 1029م) يعتبر كتابه مصدر هام لأغلب المصادر المتأخرة؛ مثل ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233م). وابن عذاري ت بعد 712هـ/ 1312. وشهاب الدين النويري ت 732هـ/ 1331. 1332. وابن خلدون ت 808هـ/

---

[1] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis » , p. 117- 118.

[2] ابن عبد الحكم. فتوح مصر والمغرب. ص. 253، 255، 256.

[3] ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 75- 76.

Allaoua Amara, *ibid.* p. 120.

[4] Allaoua Amara, *op. cit.* p. 120.

1406. على أن تأخر هذه المصادر لا يعني بالضرورة أنها بلا قيمة لهذا الموضوع. يشير الرقيق إلى أحداث كثيرة ترتبط بالتطورات المذهبية ببلاد والمغرب ومنه بالأوراس، ويفصل في ثورة الصفرية بالأوراس وزحفها على القيروان بقيادة عاصم بن جميل، ثم يورد اتحاد الخوارج الصفرية والإباضية على قتال الجيش العباسي تحت لواء أبي قرة الصفري المغيلى الذي أعلن نفسه إماما وحاصروا القائد العباسي عمر بن حفص الذي استطاع أن يكسر حصارهم عام 151هـــ/ 768م، لذلك اعتبر الرقيق مصدرا لثورة عمر بن حفص[1].

بالنسبة لابن خلدون فإنه يتجاوز الحضور الخارجي ببلاد المغرب، ولا يتناوله في إطار دولة خاصة بهم: الصفرية والإباضية، كما هو الواقع التاريخي، بل وزعه وشتته بين تاريخه لهذه القبائل أو تلك من قبائل البربر: هوارة، ولماية، ونفزة، ومغيلة، ومغراوة، وبني يفرن من زناتة ليؤكد أن ما قام من سلطة خارجية في المغرب، لم يكن على أساس مذهبي تجاوز معيار العصبية، بل هو من جنسها و لم يخرج عن حدودها. وتشتت أخبار دول في أنساب متفرقة لأنها خالفت ما أقره من معايير[2].

2- النصوص الجغرافية وكتب الرحالة:

هذه المصادر لا يمكن الاستغناء عنها من أجل دراسة الجغرافيا المذهبية للأوراس. فالرحالة والجغرافيون عادة ما ينطلقون في استقراء عالم الآخرين من نظام عادات وقيم يجعلونه مقياسا يقيسون عليه ما يشاهدونه وغالبا ما تكون المنظومة الدينية الإسلامية ومنطق الحلال والحرام والحسن والفاسد هو المرجع والمعيار الذي يحدد المقبول والمرفوض.

وقد ذهب علي أومليل إلى أن الرحالة المسلم ينطلق من موقع، ومن نظام للعوائد والقيم هذا الموقع هو مقياسه القار يقابل عليه ما يشاهده ويتأمله من مغايرة الرحالة يحمل معه موطنه، يحمله معه وهو يتنقل في مجال الغربة والمغايرة، المقارنة عمليته الذهنية اليومية، صلابة الموقع المرجعي للرحالة تتوقف على تفوق حضارته وهو يحتك بالمجتمعات والحضارات المغايرة وقد كان هذا حال الرحالين المسلمين[3]، فمهما كانت رحلاتهم بعيدة

---

[1] الرقيق القيرواني. تاريخ إفريقية والمغرب. ص 13، 81.

Abdelhamid Fenina. Réflexions sur la révolte des Berbères kharijites au Maghreb sous le gouvernement de cUmar b. Hafs (151-154/768-771). Une relecture des sources textuelles à la lumière des sources numismatiques », Revue tunisienne des sciences sociales, n° 138, (2009), p. 134- 135.

[2] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 5. ص 362. ناجية الوريمي. حفريات في الخطاب الخلدوني. الأصول السلفية ووهم الحداثة العربي. دار بترا. دمشق. 2008. ص 290.

[3] لطفي دبيش. الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة تونس. 2011. ص 520.

وموغلة في أرجاء المعمورة فإنهم لم يكونوا يشعرون بالدونية. قد يلاحظون الآخر متفوقا في هذا المجال أو ذاك إلا أن ملاحظاتهم لا تمس اعتقادهم الراسخ بتفوق النظام الإسلامي العام[1]، فهل ينطبق هذا التوصيف على قدرة النص الجغرافي والرحلي على ترجمة الواقع المذهبي؟ إذ أن هناك من الجغرافيين والرحالة من لا يكلف نفسه عناء السفر أو البحث الدقيق وإنما يكتفي بالاقتباس من هذا المصدر أو ذاك حسب هواه فالإدريسي اقتبس ولا شك عن ابن حوقل كما أن صاحب الاستبصار وياقوت الحموي إقتبسا ولا شك عن البكري، وكما اقتبس هؤلاء قضية وجود المنبر أو عدمه في المساجد الإباضية بالمغرب، كذلك اقتبسوا التعليلات والأسباب مع تصرف في ذلك في بعض الأحيان[2].

أما محليا فإن هذه المصادر تفيد الباحث في الجغرافيا المذهبية الوسيطية، و يمكن أن نفهم هذا الاختلاف في مصادر الرحلة وإنشاء مادة معرفتها سواء عن طريق العيان أو المعاينة، أو عن طريق السماع أو السلسلة سواء كانت المعرفة من خلال فكرة الشخصية الاجتماعية للرحالة أنفسهم. هذه الفكرة التي تنظر في نفسية الرحالة وموقفه العدائي من الإباضية من جهة، وفي نفس الوقت إلى انتمائه إلى فئة اجتماعية معارضة للآخر الإباضي من جهة أخرى[3].

أ- اليعقوبي (ق3هـــ/ 9م):

يعتبر أول مصدر حول الوضعية العقدية وتوطين الإباضية بجنوب الأوراس والزاب من انجاز الرحالة الشيعي اليعقوبي (ت نحو 284هـــ/ 897م) الذي زار بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ 9 م. أي فترة قليلة قبل تأسيس الخلافة الفاطمية في كتابه البلدان، ذكر الجماعات الحضرية والريفية بالزاب خاصة الأفارقة والروم المستقرين في المراكز الحضرية الكبرى مثل طبنة باغاي بسكرة وواحاتها. لكن بالنسبة لأرياف الزاب فقد اتبعت اتجاها دينيا آخر الذي أشار اليها مؤلفنا بلفظة "شراة"[4] أو يسميهم بدقة "الإباضيين"[1].

---

[1] علي أومليل. الذات والمغايرة. مجلة الوحدة. 1988. ص 40- 42.

[2] بحاز إبراهيم. الإباضية عند الجغرافيين وأصحاب الرحلات. ص 147.

[3] م حمد مريمي. خطاب الرحلة والإسلام الإباضي خلال العصر الوسيط والفترة الحديثة. ص 13.

[4] إمامة الشراة وفق النظرية السياسية الإباضية تعتبر فريدة وخاصة بها، وتعتبر بأسلافهم الخوارج الأوائل، على الرغم من وجود معاني هذا المفهوم لدى الشيعة، كما نجد مفاهيم الاستشهاد في القرآن ونماذج في المجتمع الإسلامي. و"الشراء" يعني تقديم أو سعر كثمن لمقابل معين. والشخص الذي يقوم بذلك هو "الشاري"، وجمعه "الشراة". ويتعلق هذا المفهوم عند الإباضية في القتال والموت من أجل القضية التي تحددها الجماعة الإباضية، وتعتبر قمة الشجاعة والتضحية عند أتباع المذهب ، واستخدم الخوارج هذا المفهوم "شراة" لوصف أنفسهم أو حركتهم الإباضية في سياق توسعاتهم أو معاركهم مع أعدائهم. وتعتبر "إمارة الشراة" أو حالة "الشراء" منفصلة عن ولاية إمامة "الكتمان و "الدفاع".

وعن مدينة (أربة) و"هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب و لم يجاوزها المسودة، وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم"[2].

وعن بني دمر يقول اليعقوبي أنهم "من زناتة في بلد واسع وهم شراة كلهم عليهم رئيس منهم"[3]. و ينقل ابن حزم عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق، عن أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيدا، أن معظم بطون زناتة كبني برزال، وبني دمر، ومغراوة، وبني صمغار، وغيرهم، "كلهم معتزلة، حاشا بني برزال وبني واسين، فهم إباضية. أما جمهور بني مغراوة، وبني يفرن، فسنية"[4].

ب- ابن حوقل (ق4هـ/ 10م):

مصدر مهم لمعرفة جغرافية الجماعات المذهبية بالأوراس وبلاد المغرب بصفة عامة؛ عن الخوارج فهو يذكر أن: "الجبل (نفوسة) بأجمعه دار هجرتهم (نفزاوة) على قديم الأيام لهم. وبه معشر الإباضية والوهبية ثووا بعد عبد الله بن إباض وعبد الله بن وهب الراسبي، لأنهما قدماه وماتا به. و لم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الإسلام إلى سلطان ولا سكنه غير الخوارج مذ أول الإسلام بل مذ عهد علي عليه السلام وقت انصرافهم عنه بمن سلم معهم من أهل نهروان. وقد أقام من خلفهم على منهاج سلفهم به وبما قاربه من مدن الخوارج وهي: نفزاوة، ولاوجة، وبادس، وبسكرة، يعتقدون آراءهم ويمشون على سنتهم وللسلطان على أهل هذه المدن حكم وأمره فيهم نافذ وكذلك فيمن كان منهم[5].

ويضيف أن "أهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى وأهل جبل نفوسة فشراة. إما إباضية من أصحاب عبد الله بن إباض، أو وهبية من أصحاب عبد الله بن وهب. وتجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الإعتزال من أصحاب واصل بن عطاء. وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي الخارج على القائم محمد بن عبيد الله من أهل سماطة"[6].

Adam Gaiser,. *op. cit.* p. 79- 82.

[1] البلدان. ص 189- 190.

[2] اليعقوبي. المصدر نفسه. ص 191. Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis ». p. 119.

[3] اليعقوبي. المصدر نفسه. ص 191.

[4] ابن حزم. جمهرة أنساب العرب. ص 498- 497.

[5] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 95.

[6] المصدر نفسه. ص 96.

على الرغم من العلاقات الودية التي كانت بلا شك تربط بين المسيحيين والإباضية في مناطق الواحات، فلا يمكن لنا تجاهل إشارات كل من ابن عبد الحكم وابن حوقل اللذان ستحضران ثورات الخوارج ضد أهل الذمة خاصة في المراحل الأولى لانتشار الخوارج الصفرية في جنوب تونس[1].

ج- المقدسي (5هـ/ 11م)

وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، إنما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله. وكنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي رحمه الله، فقال: اسكت من هو الشافعي إنما كانا بحرين أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب أفنتركهما ونشتغل بالساقية.

ورأيت أصحاب مالك رحمهم الله يبغضون الشافعي، قالوا: أخذ العلم عن مالك، ثم خالفه، وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا، وأقل تعصبا منهم[2].

د- أما **البكري** فيقول أن: "مدن بنطيوس وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض، وفي كل مدينة جامع، فالإثنان لأهل السنة، والثالثة لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية، إباضية، إحداهما يسكنها قوم من الفرس يعرفون بني جريج[3].

وتهوذا أعداؤهم: هوارة، ومكناسة إباضية، "وهم بجوفيها. وأهل تهوذا على مذهب أهل العراق"، ويربط **البكري** الرواية التاريخية بأحداث القرن الأول الهجري مع فتوحات عقبة بن نافع ومعركته مع قبائل البربر ولقائه مع خصمه الذي كان محبوسا مع أبي المهاجر دينار وكسيلة، الذي هزم عقبة بن نافع بتهوذة، والتي أصبحت موضوع كثير من الروايات التاريخية التي ترفع من شأن هؤلاء الذين ماتوا فيها؛ يقول البكري: روى أبو المهاجر عن رجاله عن شهر بن حوشب أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهوذا. ويقال إنه قال: "سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد، والله ما بدلوا حتى ماتوا"[4]، كما نشير في الجانب إلى ارتباط المجال الأوراسي بالأقاليم المجاورة له، و لم يكن مستثنيا من التحولات المذهبية التي كانت تشهدها[5].

---

[1] ابن حوقل. المصدر نفسه. ص 70. ابن عبد الحكم. المصدر السابق. ص 223.

[2] المقدسي. أحسن التقاسيم في معرف الأقاليم. ص 190.

[3] البكري. المسالك والممالك. ج2. ص 254.

[4] المصدر نفسه. ج2. ص 255.

[5] بعيدا الأوراس وفي أواخر القرن السادس نجد **صاحب الاستبصار** الذي نقل عن البكري الذي نقل روايته عن محمد بن يوسف الوراق، يصف الجماعات المذهبية للكثير من مدن والقرى التي يزيد عددها على 300 قرية بالقرب من جبل نفوسة "أهلها إباضية، وليس بها جامع ولا فيما حولها

أما في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، يقدم لنا **ابن جبير** (ولد ببلنسية 539هـــ/ ت614هـــ)، شهادة بدأ في تقييدها في 30 شوال سنة 578هـــ، عن الواقع العقدي والمذهبي ببلاد المغرب عندما اصطدم بما رآه ببلاد المشرق من تنوع وتعدد الأهواء بين مختلف الفرق؛ "وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها. وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها. كما انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين، أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم منم الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة يعشرون المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها"[1].

في القرن السابع الهجري، يقدم لنا **ابن سعيد** (610هـــ- 1214م/ 685هـــ- 1286م) شهادته عن سكان جبل أوراس أنهم: "لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل، ولما عندهم من الحيل والرجالة والأسلحة. وهو كثير الخيرات، وأهله خوارج، ومعظمهم من لواتة"[2].

أما في القرن الثامن فيقدم **ابن الصباح** شهادته حول واقع انتشار الجماعات الإباضية ببلاد الزاب والواحات **جنوب الأوراس** القرن الثامن الهجري؛ ويقول أن: "جميع مدائن بلاد الجريد كلها حرارة وعطش بلاد معطشة وصحراء من الصحاري التي بالغرب حتى إلى بلاد طرابلس وهي بلاد خوف وقطاع طريق ولصوص وسراق وخوارج غير مأمونة للغريب، ومدينة قفصة وبسكرة والحامة وقابس وطرابلس كلها خوارج[3].

من القرى، وفي نظرها أزيد من 300 قرية. ولا يرون مذهبهم الجمعة، وفي هذا الجيل أمم كثيرة على مذاهب شتى، وأكثرهم إباضية، وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما لهم شيوخ وفقهاء في مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم، ولهم رخص كثير في مذاهبهم". مجهول. الاستبصار في عجائب الأمصار. تحقيق سعد زغلول عبد الحميد. دار الشؤون الثقافية العامة. آفاق عربية. بغداد. ص 144 145. البكري. المصدر نفسه. ج2. ص 181. كما بدأت جماعات الخوارج تنحصر في المناطق النائية لتشكل جزر متباعدة بعد أن هزمتها الدول والممالك المنشاة بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، و يستعرض **التجاني** واقع مذهب الخوارج بإفريقية في جربة وهم الذين ينقسمون إلى فرقتين فرقة تعرف "بالوهبية"، وفرقة تعرف "بالنكارة". "وكلا الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج، لا كمذهب المعتزلة في امتناعهم من إطلاق اسم الكفر على من واقع كبيرة و لم يتب منها فإن المعتزلة لا تسميه كافرا ولا مؤمنا، وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده في جهنم، وكان المعتزلة بزعمهم توسطوا في هذا بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة[5]. التجاني. رحلة. ص 122- 123.

[1] ابن جبير. رسالة اعتبار الناسك في ذكر الكريمة والمناسك. (الرحلة). لجنة تحقيق التراث. مكتبة الهلال. بيروت. ص 49- 50.

[2] ابن سعيد. الجغرافيا. ص 145.

[3] ابن الصباح. أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار. ص 104.

في القرن التاسع الهجري يواصل **الحميري** الذي ينقل هذه الأوصاف عن البكري، لكن مع تغيير في موطن القبائل إلى **فحص باغاية** "...ويسكن فحص هذه المدينة-باغاية- قبائل من لواتة وضريسة ... وأهلها اليوم كلهم إباضية"[1]، كما أن الإباضية عند بعض الجغرافيين والرحالة فهم من الخوارج المارقين الخارجين عن الدين أصحاب ضلالة وبدعة[2].

ولا بد من الإشارة هنا إلى الخلط الذي وقع فيه المؤرخون وكتاب المقالات ثم الجغرافيون والرحالة والذي يتمثل في اعتبار ونسبة مبادئ النكار للوهبية رغم أن بعضهم يعرف تصنيف الإباضية إلى وهبية ونكار إلا أن المقصود الذي يريده جميعهم هو الإباضية بنكارها ووهبيتها دون استثناء[3].

بالنسبة للنصوص الإسماعيلية المتعلقة بالفاطميين فهي كبقية النصوص الأخرى ذات أهمية بالغة بالنسبة لهاته الدراسة، فقد لعبت منطقة الزاب دورا هاما جدا في تاريخ المغرب تحت حكم الفاطميين حتى قبل تأسيس الخلافة بالمهدية، حيث استقر دعاة الإسماعيلية شرق جبل الأوراس في عمق الجماعات الإباضية بهوارة ومزاتة، ثم ان هذه النصوص تتعلق بالحملات التي قام بها الفاطميون للسيطرة على الزاب وكذلك السيطرة على محورين رئيسيين نحو المغرب الأقصى..... لذلك شكل انتقال سكان طبنة نحو المذهب الإسماعيلي، وتأسيس المسيلة من قبل الفاطميين بداية دخول هذه المنطقة السهلية ضمن التيار، ومن هنا تصبح المعلومات عن الزاب متوفرة، كما أن هذه المنطقة شكلت ولسنوات طويلة مسرحا للمعارك بين الجنود الفاطميين ضد المعارضين الإباضيين خاصة بالأوراس. بفضل الأوصاف الدقيقة للمتابعة التي قام بها الخليفة المنصور ضد القائد الإباضي أبي يزيد فإن معارفنا بالتوطين والتاريخ الإباضي تعتبر مؤسسة[4].

وكانت دراستان لكل من هايتر هالم وبريت حول تحول كتامة إلى المذهب الإسماعيلي وتأسيس الخلافة الفاطمية انطلاقا من العاصمة "تازروت" تحت إشراف الداعي عبد الله الشيعي، واعتمادا على نتائج

---

[1] الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار. ص 76- 77.

[2] ابن حوقل. صورة الأرض. ص 43. الإدريسي. نزهة المشتاق. ص 197 . ابن سعيد. الجغرافيا. ص 8، 11، 145. القلصادي. الرحلة. تحققي محمد أبو الأجفان. الشركة التونسية للتوزيع. تونس. 1978. ط2. ص 124.

[3] بحاز إبراهيم. الإباضية عند الجغرافيين وأصحاب الرحلات (البلدانيون). مجلة العلوم الإنسانية. 20. 2003. ص 130.

[4] Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis ». p. 118.

[4] في هذا السياق وعلى أطراف الأواس الشمالي والشمالي الغربي، فإن دراسة لعلاوة عمارة حول التوطين والتعريب في إقليم كتامة Allaoua Amara. « Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des kutãma ». ALBORÁN. *Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb. granada* – (2018). أشار فيها إلى مجمل الدراسات التي تناولت مسألة التوطين والتعريب في إقليم كتامة منذ الفتح الإسلامي.

فرحات الدشراوي تطرق هالم إلى الهياكل القبلية لقبيلة كتامة، فيما اعتمد بريت على روايات القاضي النعمان لربط نجاح الدعوة الإسماعيلية في أقاليم كتامة ودورهم في الخلافة الفاطمية بعد القضاء على الأسر المنافسة.

أما دراسة تاديوش لفيتسكي Tadeusz Lewicki، فقد عمل على دراسة التوزيع الجغرافي لإباضية في بلاد المغرب العصر الوسيط، وخاصة في تونس، كما تخصصت في السنوات العشرة الأخيرة الباحثة البلجيكية فيرجيني بريفوست Virginie Prévost في إباضية جنوب إفريقية وجربة لتصل من خلال مجموعة من الدراسات إلى أن السبب الرئيسي في اختفاء العناصر الإباضية في بلاد نفزاوة وبلاد الجريد وحتى مناطق ورجلان هو الهجرة الهلالية التي عملت على تدمير البنية الاجتماعية والسكانية لهذه المناطق. كان اختفاء المذهب الاباضي والديانة المسيحية من أهم آثارها[1]، فيما قدم علاوة عمارة نموذجا للدراسة السوسيومجالية لكتامة القبيلة والمجال وعلاقاتها بالمذهب الإسماعيلي؛ هذه القبيلة التي تداخلت مكوناتها مع حدود الأوراس الغربي الذي يشكل منبسط طبيعي يربطها بإقليمك الأوراس عبر سهل بلزمة وتلال قسنطينة. وانطلاقا من النصوص الإسماعيلية[2].

أما بالنسبة لحركات الإصلاح والمتصوفة الهادفة لدمج المجتمعات البدوية والتي ظهرت في إفريقية والزاب وكانت لها امتدادات جغرافية إلى داخل الأوراس، وكذلك امتدادات زمانية بحيث توارثت بعض القبائل حركات التصوف وتبنت رموزها إلى غاية بدايات العصر الحديث إلى حدود القرن الثامن عشر، نجد الطاهر بونابي في دراسة له حول الحركة الصوفية شملت مجال المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ 14- 15م، وهي الفترة التي يراها مناسبة لظهور تحولات جديدة في حركة التصوف ببلاد المغرب؛ فأصبحت التشكيلات القبلية البدوية لقبائل المنطقة تبحث عن سبل الانخراط في المنظومة الدينية عبر التصوف وهذا بعدما فشلت مختلف الكيانات السياسية في استتابة هذه القبائل. وكان مجال الأوراس مجاور للكثير من هذه الأحداث التي كانت تجري في الزاب وعلى الحدود الغربية لإفريقية[3].

في مقال له حول انتشار التصوف بين القبائل البدوية في المناطق الداخلية لإفريقية[4]، أشار صالح علواني واعتمادا على ابن خلدون: ديوان العبر، إلى العديد من حركات الإصلاح والتصوف التي ظهرت بإفريقية،

---

[1] علاوة عمارة. الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. 10 (2009). ص 11- 12.

[2] Allaoua Amara. « Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval. p. 272.

[3] الطاهر بونابي. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ 14- 15م. أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر. 2008 .2009

[4] Salah Alouani. « Diffusion du tasawwuf chez les tribus nomades de l'intérieur de léifriqiya entre le vie/XIIe et le ixe/XVe siècle et naissance de tribus maraboutiques ». *Al Andalus- Magrib*, 15 (2008).

أعاد نشره في *Ibla*, 203 (2009/1).

ونجد أن هناك ثلاثة من هذه الحركات كانت لها علاقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالأوراس، سواء كمجال جغرافي أو الأوراس كمكون إثني، فقد تأثر هذا المجال بأحداث حركة أبي يوسف الدهماني التي انطلقت من بوادي القيروان على **الحدود الشرقية للأوراس**، واتجهت إلى الشمال والساحل التونسي، لكن قبائل رياح والكعوب وأولاد أبي الليل سيكون لها دور هام في تحركاتها داخل الأوراس، بعدما تسببت في الكثير من الاضطرابات للسلطة الحفصية، وهو ما أشرنا إليه في فصل سابق. أما تلميذه قاسم بن مُرا فقد ظهرت حركته في أوساط قبيلة أولاد أبي الليل وقبائل بنو سليم. الحركة الثالثة كانت تتمثل في العمل الذي قام به سعادة على الحدود الجنوبية للأوراس بالزاب الغربي.

وعن إشكالية خطاب المناقب والتاريخ فإن العلاقة بينهما متينة جدا، لأن خطاب المناقب في جوهره ليس سوى تاريخ لأفراد واقعيين، عرفوا بالولاية والصلاح، وكان لهم حضور طاغ على مستوى السياسة والاجتماع، فانخرطوا في هموم مجتمعهم، بالقدر الذي حملوا معه رؤى إصلاحية متفاوتة القيمة والخطورة، بين أنظار إصلاحية تارة، وأفكار تقليدية خرافية تارة أخرى[1]، أما عن كتب السير الصوفية فهي من نوع خاص ولا يمكن أن تتشابه مع غيرها من أنواع السير؛ فهي تعكس صورة الإنسان وهو يصارع الحياة صعودا وهبوطا، فإن سيرة الصوفي هي سيرة الإنسان الكامل في تجلياته، إنها صناعة للنموذج، وتعيين للقدوة، وتحقيق للمثال، بما يعني ذلك من اختيار، وانتقاء، واصطفاء للعمل والسلوك، وإعادة تأويل، وتفسير للمواقف والأفعال، بحيث يحتفظ بما هو محل اقتداء، ويستبعد خلافه، أو على الأقل، يحتفظ بما خو قابل للتأويل والتفسير، ويستبعد ما ينذُ عن التفسير، ويستعصي عن التأويل[2]. ولذلك فإن هذا الطابع من الكتابة مثلما يرى الكاتب تتميز بطابع "اللا تاريخ" لأنها تعتمد على ما يسمى "بالتاريخ الساكن" الذي لا يخضع لمنطق النمو، والتحول، والتبدل، بل يخضع لمنطق التراكم، والثبات، والتجاور[3].

ثالثا: الصفرية بالأوراس:

في الأوراس يمكن دراسة مذهب الصفرية من عناصر ثلاثة؛ تتعلق الأولى بالمسألة المرجعية للصفرية وكيفية تناول المصادر لهذه الإشكالية. لأن القرون التالية للفتح الإسلامي بالمنطقة لم يحدث فيه انقسام مذهبي حقيقي. وقبل 121هـــ/ 736م أي قبل اندلاع ثورة ميسرة المدغري لم تكن هناك حواجز وفروق واضحة بين المذاهب،

ثم نشر الجزء الأخير من هذا المقال في مجلة إنسانيات صالح علواني. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين. إنسانيات. عدد مزدوج 60- 61. سبتمبر 2013. ص 113.

[1] عبد السلام المنصوري. بنية الخطاب المنقبي- طلاق العقل وأوهام التاريخ. الرباط. 2017. ص 54.

[2] المرجع نفسه. ص 55.

[3] المرجع نفسه. ص 66.

على الأقل بين المذهب الصفري والمذهب الإباضي. فالكل كان يناصب العداء للسلطة القائمة، والكل كان يروج لمذهبه، ويبحث عن كسب أكبر عدد من الأتباع والأنصار.

شكلت فترة حكم الولاة بداية لمرحلة ظهور الانتفاضات والثورات في أطراف بلاد المغرب الإسلامي، وكان الأوراس وتحديدا الجهة الغربية منه حيث مواطن ورفجومة، ونتيجة للظروف السابقة الذكر، ملجأ لبعض القادة الذين كانوا في صراع على الحكم في القيروان[1]، وهذا ما سيمنح لأسبقية الثورة بالمنطقة.

وقبل ذاك فإن إغراءات الجغرافيا سيكون لها دورها في استقطاب الدعاة للأوراس، بعدما قدم داعيتين من الخوارج (حسب الرواية الإباضية) أحدهما إباضي والأخر صفري (عكرمة مولى ابن عباس الصفري وسلمة بن سعد الإباضية) مجتمعين في رحلة واحدة[2] يدل دلالة واضحة على أن هذه الجماعات في بلاد المغرب هي من كانت تقوم في بداية الامر بالدعاية للمبادئ العامة التي تلائم الفكر الإباضي[3]، مركزين على مبدأ المساواة بين المسلمين دون اعتبارات أخرى.

وقد تزامن ذلك مع وصول الحكم الأموي إلى مستويات قصوى من الظلم ويتجسد خاصة مع مطلع القرن الثاني الهجري في فترة حكم يزيد بن أبي مسلم[4]، فموقف هذا الوالي يدل على الانتهاكات التي ارتكبتها السلطة الأموية ضد البربر، ولذلك أبرز دعاة الخوارج الكثير من هذه المظالم، داعين إلى المساواة والشورى في الحكم، وفي هذه الفترة اندلعت ثورة طرابلس وحاول الإباضية فرض أنفسهم بها.

---

[1] سبقت الإشارة إلى لجوء عكاشة للأوراس واتخاذ أيوب من غرب الأوراس منطلقا للهجوم على القيروان. أواخر حكم الفهريين.

[2] حياة عمامو ترى أنه لو سلمنا بفرضية قدوم عكرمة إلى إفريقية، وأنه دخلها في زمن بني أمية، فلا يوجد ما يدل على كونه كان صفريا، ويعلم المبادئ الصفرية لأن أول من جعله صفريا من المؤلفين السنيين هو أبو عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م) وهو الذي نقل أكثر أخباره عن الوراق (ت363هـ/ 973م). لذلك فإن ربط الحركة الصفرية بعكرمة تعود إلى القرن الخامس الهجري وفي أحسن الحالات إلى القرن الرابع، ويبقى الأمر غامضا أهملته المصادر التاريخية، وأن ربط العلاقة بين الصفرية وهذا الداعي إنما هو من ابتداع الرواة الذين تناقلوا الرواية لتبرير الأحداث وتفسيرها. حياة عمامو. المرجع نفسه. ص 92- 93. أبو العرب تميم. طبقات علماء إفريقية وتونس. تحقيق. علي الشابي. الدار التونسية. تونس 1985.ص 82- 83.

[3] محمود اسماعيل. الخوارج. ص 47. حياة عمامو. المرجع نفسه. ص 94.

[4] إن وصول يزيد بن أبي مسلم الذي كانت ممارساته توحي بإحياء الممارسات البيزنطية عندما أمر بوشم أيدي الموالي ، وهو ما أدى إلى مقتله. ابن عذاري. المصدر السابق. ج1. ص 48، 49، 54. النويري. نهاية الإرب. ج 24. ص80. السلاوي. المرجع السابق. ج1. ص 117. هشام جعيط تأسيس الغرب الإسلامي. ص 88، 98- 99. وقد أثار الرجوع إلى هذه الوضعية القديمة كما هو متوقّع انتفاضة البربر في سنة 122 هـ. وبعد مرور ثلاث عشرة سنة على هذا التاريخ رفض عبد الرحمان بن حبيب قبول أمر المنصور في إرسال العبيد البربر كاتبا إليه: "إنّ إفريقية اليوم إسلامية كلّها وقد انقطع السّبي منها". ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6. ص 151.

لقد أدت التطورات التالية ببلاد المغرب إلى توجس الوالي عبيد الله بن الحبحاب الخوف من الثورة عليه، "وفى المغرب يومئذ قوم فيهم دعوة الخوارج وفيهم عدد كثير وشوكة" لذلك سارع إلى استدعاء قادته وكتب "إلى أبي خالد حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع بالرجوع من صقلية، وولى خالد بن أبى حبيب الفهري على أشراف إفريقية ووجوههم، وشخص إلى ميسرة ووصل حبيب بن أبى عبيدة من صقلية، فعقد له ابن الحبحاب، وأمره أن يلحق بخالد، فوجه حبيب في أثره"[1]

وكانت الصفرية حسب الروايات التاريخية السباقة للثورة على حكم الولاة الأمويين. وأول ما ظهر بالمغرب حوالي سنة 117هـ/ 735م، "وثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحقير... وكانت وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل إفريقية". وحالفهم النصر العظيم كرتين وعلى التوالي، في غزوة الاشراف سنة 122هـ/ 740م، بقيادة ميسرة المدغري، وفي غزوة واد السبو سنة 123هـ/ 741م، بإمرة خالد بن حميد الزناتي[2]. ثم ظهر الإباضيون بعد ذلك وقاموا بالعديد من الثورات طيلة القرون التالية، والتي لم تكن مستمرة أو دائمة، وهذا عكس ما يذكره محمد الطالبي[3]. لقد اعتبرت هذه الثورة وما أعقبها من ثورات حتى نهاية القرن الثاني الهجري. بداية لدخول بلاد المغرب لفترة مضطربة، كثرت فيه الدول والتي تمثل مختلف المذاهب، من حنفية، وإباضية، وصفرية، وزيدية، لكن سنجد أن إفريقية تظل سنية في أغلب جهاتها[4].

كانت مجالات الأوراس قريبة من بؤرة التوتر هذه، وأحيانا أخرى كان يشارك في بعض الأحداث مثلما كان الأمر عندما استنجد ابن عبد الرحمن بن حبيب بقبيلة من الأوراس من أجل أن تنتصر له على عمه إلياس، فأصبحت الفرصة مواتية لورفجومة أن توسع نفوذها ليشمل القيروان. إذ عرفت المرحلة الكثير من

---

[1] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. ص 67.

[2] بعدما نجح ميسرة المدغري في إشعال فتيل الثورة بالمغرب الأقصى على عمال وولاة الأمويين، استطاع البربر تحقيق انتصارات أخرى على أحسن قواد إفريقية وهما: خالد بن أبي حبيب وحبيب بن أبي عبيدة على ضفاف "نهر الشلف" ي سميت "برقعة الأشراف". وفي 124هـ انتصر خالد بن حميد الزناتي خليفة ميسرة المدغرة على كلثوم بن عياض قرب "نهر سبو" وضيق الخوارج الخناق على القيروان نتيجة اتساع رقعة ثورات البربر. هشام جعيط. تأسيس الغرب الإسلامي. ص 176- 177. الرقيق القيرواني. المصدر نفسه. ص 137. ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1. ص 55. مجهول. أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها. تحقيق. إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري. ط02. 1989. 34- 35.

[3] الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي. 184ص 44.

[4] عبد المجيد بن حمدة. المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الاشعرية. مطبعة دار العرب. تونس. 1986.

في الأقاليم الغربية لإفريقية والمغرب الأوسط نستطيع أن نتبين بعض الكيانات السياسية التي ستظهر بدءا من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري في شكل إمارات من الخوارج والعلويين الطالبيين. امتدت من أقاليم غرب إفريقية إلى غرب تلمسان وفاس. ومن أهم هذه الإمارات كانت الصفرية التي تمثل الاتجاه الأكثر تطرفا والإباضية الاتجاه الأكثر اعتدالا. وكانت الصفرية قد عرفت منحى ثوري مع عكاشة وعبد الواحد الهوارى كرؤساء، والتي يقودها عن طريق الإباضية أبو الخطاب (757/140). ثم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تم ثورة أبو يزيد، مخلد (331هـ / 947م)، النكارية الملقب ب "صاحب الحمار" بسبب حياته الزهدية ، هز الخلافة الفاطمية لإفريقية.

المعارك تستهدف السيطرة على القيروان، هذه الأخيرة التي تقدمت جيوشها نحو الزاب وغرب إفريقية في حين تراجعت قبيلة زناتة مؤقتا عن صدارتها لصالح نشاط الجماعات الصفرية في المغرب الأوسط[1].

تمكن عبد الرحمن بن حبيب من قمع الثورات المتتالية في عام 140هـ/ 757م، وأما ورفجومة فقد تمكنت من الاستيلاء على القيروان، ونهبت العاصمة و ربما حدثت تجاوزات وانتهك سكانها حسب المصادر الإباضية[2]. وفي هذه الظروف يعود إلى إفريقية حملة العلم الخمسة[3]، الذين أرسلوا إلى البصرة لإكمال معرفتهم الدينية مع أبي عبيدة مسلم التميمي. والتي ستعمل على مواجهة الواقع الجديد خاصة بعد مقتل القائد أبي الخطاب.

لكن هل كانت هذه الدعوة كافية لتشكل دافعا للبربر إلى الثورة؟ أم أن الأوضاع المزرية الناتجة عن الحكم السلبي هي من دفعت هؤلاء للانخراط في تيار الثورة؛ وتصبح بذلك هذه الثورات تعبيرا اجتماعيا عن واقع الأمر الذي كان عليه الأوراس في تلك الفترة؟

إن هذه التساؤلات تجعل البحث عن أسباب وعوامل الثورة تكون بعيدة عن هذه الأفكار العقدية، أما نسب هذه الثورات إلى انخراط البربر في هذا الوقت المبكر في تفاصيل عقدية لمذاهب مشرقية مثل مذهب الصفرية، حيث عرف أصحابها بالمعرفة الواسعة والعميقة للقرآن[4]، تجعل الأمر مستبعدا لأن البربر حديثي العهد بهذا الدين، وهي محاولة لربط الثورة بالمستند المذهبي حتى لا يكون سبب الثورة مجهولا، وهذا تجاوزا للأسباب

---

[1] محمود إسماعيل. الخوارج. ص 69.

[2] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. ص 80- 81 . الشماخي. كتاب السير. تحقيق أحمد بن مسعود السيابي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ط الثانية. 1992. ج1. ص 116.

[3] روي أن أبا الخطاب عبد الأعلى المعافري، وعبد الرحمن بن رستم، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي، وأبا داود القبلي، هؤلاء الذين حملوا العلم من المشرق إلى المغرب، والتقوا إلى بمكة، وهم يريدون البصرة عند أبي عبيدة ليتعلموا العلم، فساروا حتى قدموا البصرة، فدخلوها ليلا...". البغطوري. مقرين بن محمد. روايات الأشياخ. أشيخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري. تحقيق سليمان بوعصبانة. مكتبة خزائن. سلطنة عمان. 2017. ص 102- 103. Virginie Prévost. *op. cit.* p. 317.

[4] بالإضافة إلى الآراء السياسية لهذه الفرق في جواز الإمامة في غير قريش. وأن الإمام إذا غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله، وغيرها من الآراء الأخرى. فإن فريقا منهم عرفوا بالقراء وأنهم من أهل صلاة وصيام. الشهرستاني. الملل والنحل. ص 93- 94. ويرى الجنحاني أنه من الخطأ الاكتفاء بالتفاسير التي تعتمد المبررات العقدية والمذهبية في حركة الخوارج بل أن الحركة ترتبط بتحول عميق في المجتمع الإسلامي الناشئ مس فئات جديدة ملكت الثروة ولم تعد تعيش أسلوب التقشف المعهود في زمان الشيخين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما، نتيجة حركة التوسع ونجاح الفتوحات الإسلامي. كما أن الاكتفاء بالدور الذي لعبته العصبية القبلية في تاريخ الخوارج يجانب الصواب؛ لأن تحمس القبيلة أو بعض عشائرها إلى دعوة الخوارج الدينية، ومقاومة النظام القائم مرتبط بالتعبير عن نقمة ضد واقع سياسي اجتماعي يحميه ممثلو نظام الخلافة بدمشق ثم ببغداد. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1980. ص 38- 39. المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. 2005. ص 200.

الحقيقية لثورة البربر على الأوضاع العامة التي أفرزتها الإدارة الأموية[1]. حيث ترتبط هذه المسألة بمدى انتشار الإسلام بين القبائل البربرية، ومدى فهم واستيعاب البربر لتعاليمه، لأن أغلب ما تناقلته المصادر التاريخية التي تعمل على تلاؤم المقولات المذهبية (الصفرية) بهذه الثورات أمر مبالغ فيه؛ لأن فترة تتراوح من سبع سنوات يتمكن هذا الداعي من التأثير في أكثر من خمسة زعماء قبائل كبرى[2] فاعلة سيكون لها دور كبير في تجربة الثورة أو تجربة التنبؤ[3]... كما لا يمكن تجاهل المجتمع البربري ومكوناته القبلية لتفسير هذه الثورات؛ فزناتة كانت من أكثر الشعوب الرحل ببلاد المغرب وقامت بالعديد من الثورات[4].

إن هذه العلاقة بين زعماء القبائل ومذهبي الإباضية والصفرية، تدل صراحة على أن البربر إنما استغلوا تلك المقولات المذهبية الخاصة بهذه الفرق، و لم يكونوا يبالون بالفروق المذهبية أو تفاصيلها الدقيقة بقدر ما كان يهمهم تقويم الأوضاع التي كانوا عليها من جهة، ومن جهة أخرى فإن هشاشة هذه العلاقة تعود إلى كون أهمية كسب المجال ومقدرات معاش هذه القبائل أهم من الوفاء للمبادئ العقدية لهذه الفرق.

وكانت هذه الانقسامات السياسية متناسقة مع الانقسامات المذهبية؛ ففي وقت مبكر ستتحطم الوحدة الإباضية في بلاد المغرب بسبب الانشقاقات والخلافات التي أفضت إلى انبثاق عدد من الفرق ذات الطابع السياسي والديني، ونعتقد أن من أسباب هذا الانفصام تلك الأزمات السياسية التي تتخذ دائما نزعات انفصالية داخل منظومة لاهوتية، كما هو الحال بالنسبة للإباضية[5]. بالإضافة إلى صعوبة التمييز بين الولاءات المذهبية في هذه الفترة المبكرة، ولعل أحسن مثال على ذلك نجده في مجال الأوراس وكانت له امتدادات إلى القيروان هي التجربة التاريخية لقبيلة ورفجومة التي كانت تتراوح بين الثورة باسم الصفرية بغرب الأوراس، فيما نجدها قبيلة إباضية الولاء في القيروان.

أما عن جغرافية الصفرية فلا يزال تاريخها غامضا، فهي إمارة صغيرة قامت بتلمسان أقصى المغرب الأوسط، عكس تلك التي قامت بسجلماسة من طرف بني مدرار. وتعتبر تتويجا للانتصارات التي حققها الصفرية ضد الأمويين. ثم تراجعت هذه الإمارة أمام قوة جيرانهم الأدارسة فيما بعد.

---

[1] المبروك المنصوري. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. ص 172. الجنحاني. المرجع نفسه. ص 39 -41.

[2] تقول الروايات انه لما نزل عكرمة بالقيروان اتصل بزعماء قبائل بربرية مثل: ميسسرة المدغري زعيم مدغرة. وأبو القاسم سمكو بن واسول شيخ قبيلة مكناسة. وطريف بن شمعون زعيم قبيلة برغواطة الذين تخلوا عنه واتبعوا تعاليم صالح بن طريف... كما اتصل به من قبيلة بنو يفرن من زناتة . محمود إسماعيل. الخوارج . ص 47 – 50 .

[3] المبروك المنصوري. جدل الدين الإسلامي والعمران المغربي. ص 104.

[4] E- F. Gautier. Les siècles obscurs. p. 289. المبروك المنصوري. المرجع نفسه. ص 173- 174.

[5] تاديوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ص 71.

1- ورفجومة الصفرية والتحول للإباضية.

على تخوم الأوراس الجنوبية يمتد الزاب الذي هو منطقة شاسعة تمتد من واحات الصحراء إلى جبال الأوراس ما تزال مجهولة تقريبا، وهذا بسبب اختفاء الآثار المكتوبة من قبل أنصار الإباضية النكارية الذين كانوا يشكلون الأغلبية بالمنطقة. وقد تساءل علاوة عمارة حول كيفية وزمان انتشار الإباضية بالزاب؟ وكيف يمكننا معرفة تنظيم المجتمعات الإباضية ؟ في أي سياق وقعت المنطقة تحت سيطرة الدول المستقرة بالمنطقة؟ وأخيرا تحت أي ظرف اختفت الإباضية بالزاب[1]؟

إن الدور التاريخي الكبير الذي اضطلعت به الجماعتين الصفرية والإباضية في بدايات نزوح وانتشار الإسلام في بلاد المغرب كان معروفا[2]؛ فالصفرية كانوا من الأولين الذين دافعوا عن قضية البربر المنتفضين منذ عام 122هـــ/ 739- 740م من طرابلس إلى طنجة، ومع ذلك أجبروا منذ وقت مبكر على ترك المجال للمذهب الإباضي، بسبب الحروب الدامية التي جمعتهم بالعرب السنيين والإباضيين على حد سواء لكونها أرهقت قواهم.

تمكنت الصفرية من تحقيق النجاح في مجالات الأوراس والزاب حيث مضارب نفزة، وزناتة، وورفجومة، هذه الأخيرة التي كانت من قد أعلنت الثورة مبكرا ومنذ ما قبل 151هـــ/ 768م "وكانوا شيعا له، وعظم غناؤهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن"[3]. فقد قامت ورفجومة التي تقطن الأوراس بعدة ثورات ضد العباسيين، وبعد مقاومة عمر بن حفص بطبنة 151هـــ/ 768م. التي انتهت إلى لجوء عمر بن حفص إلى وسيلة المؤامرة لزرع الفتنة بين العدو ونقلهم إلى التخلي عن الحصار مقابل رشوة ابن أبي قرة لدفعه الصفرية التخلي عن الحصار، ثم يعود إلى تلمسان، ويتمكن هو من إلحاق الهزيمة بالإباضية في تهودة[4].

---

[1] Allaoua Amara, *op. cit.* p. 117.

[2] نجحت الإباضية والصفرية في الانتشار الواسع وكسبتا تأييدا شعبيا متزايدا بفعل مناداتهما بتطبيق مبدأ المساواة الاجتماعية بين العرب والمسلمين الجدد من البربر. وتحول نضال المجتمعات الريفية إلى حركة مسلحة ضد رموز نظام الخلافة بإفريقية والمغرب الأوسط، مثلما سنجده بطبنة عام 151هـــ768م. وكانت هذه الأفكار دافعا قويا للثورة من طرف الكثير من الجماعات التي انتفضت ضد الأوضاع المزرية التي تعيشها فانخرطت نتيجة لذلك في سياق الثورة. علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص128.

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6 .151. لقد كانت ثورة عمر بن حفص 151 – 154 هـــ/ 768 771م، التي نجد تفاصيلها عند ابن الأثير. الكامل .ج5. ص 195- 196. وابن عذاري. المصدر السابق. ج 1. ص 75 76. وأيضا عند النويري. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. ص 232- 233. الذي ترك لنا وصفا دقيقا، لكن هذه الرواية مملوءة بالمعلومات المتضاربة ومتناقضة في بعض الأحيان. وتبقى هذه الحلقة من ثورة الخوارج في بلاد المغرب لسوء الحظ لم تتلق الاهتمام الكافي من المؤرخين المعاصرين.

Allaoua Amara, *op. cit.* p. 119. Abdelhamid Fenina. *op. cit,* p. 135.

[4] Abdelhamid Fenina. *ibid.* 142.

أما الأسباب الحقيقة لاشتداد الصراع بالمنطقة فلا يمكن حصرها في سبب واحد أو اثنين فقط. لأن هناك العديد من العوامل التي خلقت بيئة مواتية للثورة وتختلف الخلفيات التاريخية لكل عامل منها؛ فقد كانت قبائل قوية رفضت امتيازات القبائل العربية التي لا تزال تحتفظ بها؛ فلا تزال القبائل العربية تحتفظ بروح الحرب والرغبة في التوسع وإحكام القبضة على أقاليم المنطقة ومقدراتها. فهذه القبائل ترفض التنازل عن مكتسباتها التي تعتبرها من حقوقها التي اكتسبتها ببلاد المغرب، مقابل انتصاراتها على خصومها. فيما كانت القبائل البربرية تشعر بالظلم وعدم المساواة مع القادمين الجدد، أو أنها أقصيت من المشاركة في الملك وثمراته. وفي هذه الظروف تظهر نفزاوة وورفجومة؛ إذ تعتبر هذه الأخيرة "أوسم بطون نفزاوة وأشدهم بأسا وقوة"[1]. وستتحول إلى قوة معارضة تعلن الثورة على أوضاعها، رافضة هذا الواقع الجديد.

لم تستمر ورفجومة موحدة مذهبيا بعدما انشق زعيمها؛ حيث تشير المصادر إلى أن عاصم السدراتي. بعد رجوعه إلى بلاد المغرب تحول عن المذهب الإباضي إلى المذهب الصفري، ويصبح عدو لأصحابه[2]؛ إذ كان أحد حملة العلم الخمسة الذين بعثهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي زعيم البصرة إلى المغرب لنشر العقائد الإباضية، وكان ذلك قبل 140هـ/ 757م بقليل. وأصبح يناصر جماعات لا تدين بالمذهب الإباضي، وشرع في مقاتلة زملاء الرحلة، يدرجه الشماخي[3] ضمن أئمة وأكابر الإباضية بالغرب الإسلامي، إلا أن المصادر تسكت عن هذه المرحلة الدقيقة ولا تتعرض لتفاصيل هذا الانقلاب، ولا إلى أوضاع قبيلته بغرب أوراس.

تحملت المنطقة الكثير من النتائج المباشرة لسلبيات الحكم الأموي بإفريقية، وتوافدت مجموعة من القبائل التي أصبحت حاميات بحواضر المنطقة، فاختارت نفزة الاستقرار بحصن بلزمة إضافة إلى حي بني مالك من بني تميم. فيما استقرت ورفجومة بطبنة، لكنهم انتفضوا بعد موت عمر بن حفص على يزيد بن حاتم عند قدومه على إفريقية سنة 157هـ/ 773م "وسرح إليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فاثخنوا فيهم، ثم انتفضت نفزاوة على أبيه ودعوا إلى دين الإباضية، وولوا عليهم صالح بن نصر منهم. فرجعت العساكر إليهم متراسلة وقتلوهم ابرح قتل"[4]. لم تصمد هذه الثورات طويلا وقمعت في الأخير عام 164هـ/ 780م. إن هذه الرواية

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج06 . 150.

[2] المبروك المنصوري. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. ص 201.

[3] الشماخي. كتاب السير. ج 1 . ص 126. وقد اختلف في وفاته بين عامي 141هـ759م، وبين 155هـ 172م. تاديوس لفيتسكي. تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم. دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونيميا الامازيغية. ترجمة عبد الله زارو. مؤسسة توالت الثقافية. 2006. ص 72.

[4] ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6. ص 151.

تؤكد الخيط الرفيع الذي كان يفصل هذه القبائل التي كانت على مذهب الصفرية، وتحولها إلى المذهب الإباضي رغم ما كان بينهما من صراعات وانقسامات.

بالإضافة إلى ورفجومة نجد بني يفرن الذين كانوا من أهم مساندي المذهب الصفري، حيث توطنت هذه الجماعات بكثرة في غرب إفريقية، وكانت كقبيلة شكلت أقلية ولكنها مؤثرة. بين القرنين الأول والخامس كانت منتشرة بالأوراس، منذ حركة الكاهنة، حيث تشكل حلف كبير ضم جراوة، ومغراوة، وبنو يفرن. هذا الحلف توسع حتى إفريقية وضم معظم المغرب الأوسط. لعبت فيه قبيلة بنو يفرن دورا لا يستهان به في مساندة عبد الرحمن بن رستم[1] في ثوراته، منتصف القرن الثاني الهجري. غير أن معظم هذه القبيلة كان على مذهب الصفرية ثم أصبحوا نكارية واستقروا بناحية الزاب في عهد عبد الوهاب كما انتشروا بجبل أوراس بكثرة[2].

إن مسألة الولاء المذهبي للقبائل كان يخضع للكثير من العوامل، وما يدعم هذا الطرح هو الموقف الذي نجده في ورفجومة التي انقسمت وغيرت جماعات من القبيلة المذهب الصفري إلى المذهب الإباضي، و لم يكن التحول المذهبي لقبيلة ورفجومة عام 157هـ/ 773م، إلى الإباضية إلا وجه من أوجه الانقسام الذي ستعرفه القبيلة على مستوى المجال أيضا، بين القيروان، وجنوب غرب الأوراس. وتبدأ مرحلة أخرى للتراجع والضعف لهذه القبيلة التي كانت تشكل رأس صفرية إفريقية وانقرض أمرهم وصاروا أوزاعا في القبائل[3]. لقد استمرت قوة ورفجومة بجنوب وغرب الأوراس على مذهب الصفرية حتى منتصف القرن الثاني الهجري لتتشتت

[1] لم يكن التقوى والزهد والاستقامة هي المعايير الوحيدة في تولي عبد الرحمن بن رستم الإمامة رغم أنها كانت من صفاته كإمام في روايات المصادر الإباضية كأبي زكريا وابن الصغير عندما قدم وفد البصرة. إذ يقول ابن الصغير أن عبد الرحمن "لما ولي أمور الناس شمر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، ولا يخاف في الله لومة لائم.." ولما علم إباضية البصرة بذلك أرسلوا له الأموال لمساعدته وقالوا "قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا" ولما قدم الوفد عند دار الإمام عبد الرحمن "أصابوا عند بابها غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه، والغلام يناوله ما يصلح به فسلموا على الغلام فرد السلام ثم قالوا هذه دار الإمام؟ فقال نعم ..". أخبار الائمة الرستميين. تحقيق. بحاز إبراهيم ومحمد ناصر. دار الغرب الإسلامي. 1986.. ص 32- 33. ثم يصف ابن الصغير بساطة دار الإمام المفروشة بحصيرة. إن المصادر الإباضية تصور بساطة الإمام وممارساته الزهدية على أنها استثنائية، فضلا عن صفاته الشخصية وحكمه الذي تميز بالعدل. فاستحقت بذلك هذه الشخصية أن تكون نموذجا خلال ولاية الظهور. الشماخي. المصدر السابق. ج1. ص124- 126. Adam Gaiser,. *op. cit.* p. 45.

[2] Brahim Zerouki. L'imamat de Tahart. Premier Etat musulman du Maghreb. 144-296 de héjire. Tome.1. *Histoire politico- socio- religieuse*. c.n.r.s. Paris. p. 60.

[3] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. ص 162. ابن الأثير. المصدر السابق. ج05. ص 223. محمود إسماعيل. الخوارج. ص 80

وتتراجع لصالح قوى قبلية أخرى بالمنطقة. أما قبيلة نفزاوة فقد تحول أهلها إلى الإباضية في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[1].

بعد هذه الأحداث تتراجع قوة ورفجومة، لكنها بقيت تلعب دورا مهما في الجماعة الإباضية. ولعل الانقسام الذي حدث في هذه القبيلة قد جعل جزءا منها بالأوراس تمذهب بالإباضية، أما الجزء الذي استقر بالقيروان فكان صفريا[2]. ولعل القرب من القيروان مركز الصراع وردود أفعال خصوم القبيلة وأعدائها هو الذي جعل ورفجومة الأوراس تكون بعيدة عن عنف وثورة صفرية المذهب.

2- اتحاد الصفرية والإباضية و المعركة التي لم تحدث. 154هـ/ 770م:

في هذه المعركة التي لم تحدث اتحد الإباضية والصفرية معا لأول مرة[3]. ففي ولاية عمر بن حفص اشتدت حركة الصفرية والإباضّية عليه ، وأحاطت به عساكرهم بمدينة طنبة بالزاب ، فأخذ يستميل بعض أمرائهم لينصرف بعضهم عن بعض ومن ذلك أنه دفع إلى ابن أبي قرة أربعة آلاف درهم وأثوابا على أن يعمل في صرف أبيه ، فرد الصفرية إلى بلدهم ، فعمل ذلك في ليلته ، فلم يعلم بذلك أبو قرة حتى ارتحل العسكر منصرفين إلى بلادهم تجريدا ، فلم يجد بدا من إتباعهم، فلما انصرفت الصفرية وجه عمرو بن حفص معمر بن عيسى العبدى في ألف وخمسمائة إلى ابن رستم، وهو في تهودة في خمسة عشر ألف ، فالتقوا فانهزم ابن رستم ، وقتل من أصحابه نحو من ثلاثمائة ووصل ابن رستم منهزما إلى تيهرت، ثم أقبل عمر بن حفص يريد القيروان، واستخلف على طبنة المهنأ بن المخارق بن عفّان الطائى[4].

---

[1] عبد المجيد بن حمد. المدارس الكلامية. ص 82.

[2] Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 62.

[3] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. تح حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج 24. 1983. ص 80.

[4] الرقيق القيرواني. تاريخ افريقية والمغرب. ص 173 174. ابن عذاري. البيان الغرب. ج1. ص 75 76. النويرى. المصدر السابق ج 24، ص81. كان عبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألف فارس، وأبي حاتم في جمع كبير ولم تشر المصادر التاريخية على حد علمنا إلى عددهم، وعاصم السدراتي في ستة آلاف، والمسور الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس. أما الصفرية فقد اجتمعوا بقيادة أبي قرة اليفرني الصفري في أربعين ألفا. ابن عذاري . المصدر نفسه. ج1 ص 75. ثم انضم إليهم عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين من اتباعه. النويري. نهاية الإرب. ج 24. ص80. السلاوي. المصدر السابق. ج1 . ص 117 ويبدو أن جماعة أخرى قد انضمت إليهم فيها جرير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة. ابن خلدون. ديوان العبر. ج 6 ص127. فضلا عمن انضم إليهم من هوارة وزناتة ممن لا يحصى عدده. السلاوي. المرجع نفسه. ج1 ص117.

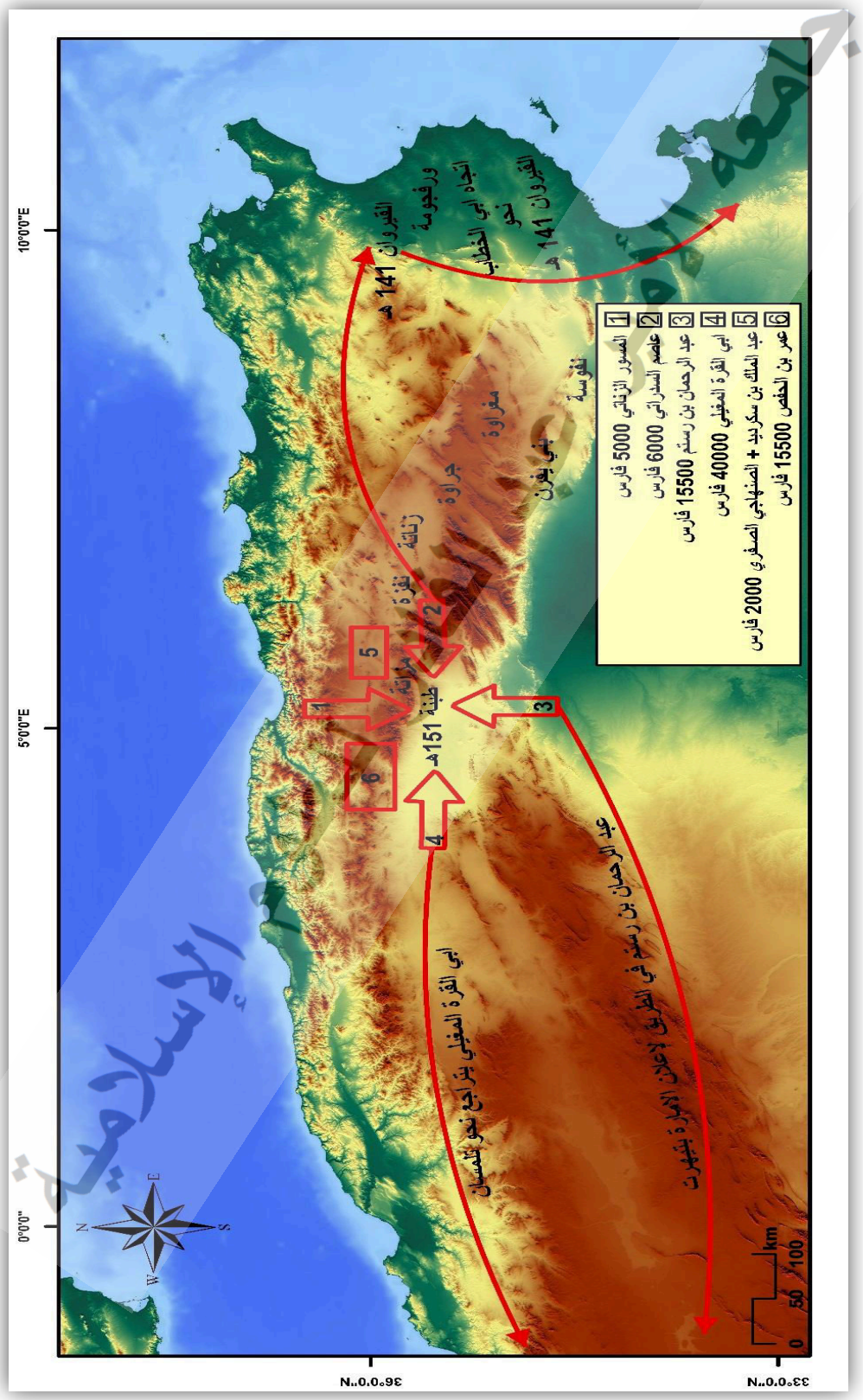

الجماعات الصفرية منتصف ق1هـ/ 7م.

كانت قوة عمر بن حفص تتمثل في خمسة عشر ألف وخمسمائة فقط[1]. مقابل هذا التحالف ضده، لذلك كان يعي أنه لا يمكن مواجهة هذه الجموع الغفيرة في معركة مفتوحة[2]، لذا لجأ إلى الحيلة والخداع لإثارة الفرقة بين الإباضية والصفرية، فأرسل رجلا من مكناسة يدعى إسماعيل بن يعقوب إلى أبي قرة زعيم الصفرية ليعرض عليه أربعين ألف درهم وكساء وهدايا ثمينة مقابل أن يرفع الحصار ويعود إلى بلادهم. ونجح أبو قرة في تقسيم هذا التحالف ضده، وانفرط العقد الذي لم يكتب له أن يعمر طويلا. وأجبر ذلك المتحالفين على الانتقال إلى مرحلة أخرى، هي مرحلة تأسيس الملك؛ فاتجهت الصفرية إلى أقاصي بلاد المغرب حيث سجلماسة وتلمسان، فيما اختار عبد الرحمن بن رستم الاستقرار بجبل سوفجج بتيهرت. وتنقطع بعد ذلك أخبار إباضية الأوراس إلى غاية ظهور العديد من الأعلام الذين اشتهروا في هذا الجبل، وسنتطرق إليهم بعد حين.

وفي هذه الفترة تم امتصاص الجزء الأكبر من القبائل البربرية الصفرية من طرف الإباضية، أما الباقي فقد تمركزوا حول دويلة الصفرية تأسست حوالي سنة 140هـ/ 757- 758م بسجلماسة بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى. وستنمحي بقايا الصفرية في سياق تاريخ بلاد المغرب خلال أواسط القرن العاشر الميلادي لما تخلى الإمام المدراري محمد بن الفاتح عن الصفرية وتبنى المذاهب السنية[3].

رابعا: الإباضية الوهبية:

ليس من السهل تحديد إقليم الإباضية كمجال، فالعاصمة الرستمية تيهرت كانت لها الكثير من المناطق التابعة لها مذهبيا ولكنها متباعدة جغرافيا. وبالإضافة إلى غياب فكرة الحدود وطبيعة السكان البدو الذين يعتمدون على الظعن والارتحال. فهذه الحياة غير المستقرة أثرت بصورة كبيرة جدا على رسم حدود الإمامة.

ظهرت الإباضية في خضم الصراع حول مؤسسة الخلافة في الدولة الإسلامية، ومشكلة الأحق بالإمامة، فكانت للإباضية[4] مواقفها حول مسألة طاعة الإمام وإن جار والإمامة في قريش دون غيرها من

---

[1] ابن عذاري. المصدر السابق. ج1. ص 75 قارن مع النويري ج 24 . ص80.

[2] عوض خليفات. نشأة الحركة الاباضية. المطابع الذهبية. مسقط. عمان. 2002. ص 160.

[3] تادايوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ص 67.

[4] أما عن نسبة الاباضية إلى عبد الله بن اباض الذي تعتبره المصادر غير الاباضية مؤسس المذهب، أما العلماء الإباضيون فينسبون إلى عبد الله بن اباض دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر بن زيد الازدي العماني الذي يعتبرونه امام اهل الدعوة، ومؤسس فقههم ومذهبهم. ويجمع المؤرخون والمفكرون الإباضيون على ان عبد الله بن اباض كان يصدر في كل أقواله وافعاله عن جابر بن زيد. وبذلك فإن عبد الله بن إباض كان المسؤول عن الدعوة والدعاة في شتى الأقطار ولذلك سمته المصادر رئيس القعدة في البصرة وغيرها من الأمصار. الشماخي. كتاب السير. ج01. ص 72. عوض محمد خليفات. نشأة الحركة الاباضية. ص 9- 10.

المسلمين، وواجب القضاء على الفرق المخالفة والمكانة المتميزة "لأصحاب الحديث" مقارنة مع سائر الناس وغير ذلك من المبادئ ... لا نجد لها مستند نصي إلا في الحديث. فكان متوقعا أن يرفعه الخطاب السلطوي السائد إلى مستوى القرآن وأن يناظر في سلطته التشريعية به. وكان متوقعا أيضا أن يفكك الخطاب المعارض- وهو الخطاب الخارجي هنا- أسس التوظيف وينبه إلى افتقاره للمشروعية[1]. لقد ارتبطت هذه المقولات بالواقع الذي كان يعيشه البربر ببلاد المغرب جراء تعسفات الولاة والعمال الأمويين، فلاقت الترحيب والرواج. وتنتسب هذه الفرقة لجابر بن زيد الذي استعمل التقية[2] الدينية وأخفى معتقده فلم يخطر على بال أحد أنه زعيم الإباضية ومؤسس مذهبها، وخاصة أنه لم يكن معروفا لدى البصريين إلا بكونه أحد التابعين المحدثين الثقات ومن أشهر فقهاء البصرة وعلمائها. كان جابر ذا علاقة وثيقة بحركة المحكمة منذ وقت مبكر وأصبح أحد مفكريها البارزين منذ بداية النصف الثاني للقرن الأول الهجري[3]. يقول عنه الشماخي إنه" بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه اطامه..."[4].

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ازدهرت العصبيات ببلاد المغرب، وكانت هذه العصبيات في مجملها مرتبطة بشكل من الأشكال بدعوة التيارات الوافدة من المشرق، والتي عرفت كيف تستغل النقمة الموجودة لدى البربر على الواقع السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيشه. هذه العصبيات أصبحت تشكل الدعامة السياسية والعسكرية لدعوة الخوارج[5].

وبعد تشكل الجماعة الإباضية ظلت تسعى لتكوين دولة لجماعتها وظلت هذه الجماعة تنظر لنفسها كفرقة أقلية تسعى إلى تكوين دولتها على هامش الدولة المركزية، وليس على أنقاضها[6]. ولتحقيق هذا الهدف

---

[1] ناجية الوريمي. الإسلام الخارجي. دار الطليعة. بيروت. 2006. ص 188- 189.

[2] برع الإباضية في تطبيق التقية للحفاظ على أنفسهم، وأجادوا في استعمال التقية لإظهار الولاء لمخالفيهم حتى يعتقدوا أنه معلى مذهبهم ويؤيدونهم... ولم تقتصر التقية على الكلام، بل تجاوزت ذلك إلى التصرفات، فرغم خلاف الإباضية العقدي مع الفاطميين، إلا أنهم كانوا يتقربون منهم تقية ليكونوا على اطلاع وعلى قرب من الحكام، ويطلعوا على تخطيط الحكام وتوجيهاتهم، ويعلموا أنصارهم كيف يتصرفون في نشر دعوتهم. ويبدو أن الفاطميين الذين كانوا يجيزون التقية، كانوا يقربون العلماء الإباضية ليكونوا أيضا على معرفة بالتحركات الإباضية، وليكون زعماء الإباضية تحت مراقبتهم. عبد الرحمن عثمان حجازي. تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي. ص 101 – 103. أبو زكريا. المصدر السابق. ص 138. الدرجيني. المصدر السابق. ج2 ص 287.

[3] عوض محمد خليفات. الأصول التاريخية للاباضية. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ط03. 1994. ص10.

[4] الشماخي. كتاب السير. ج01. ص 67 -69.

[5] الحبيب الجنحاني. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. ص 40.

[6] مثل نظرائهم السنة، وعكس الشيعة، فإن الإباضية يفضلون أن تكون المعرفة كصفة في الإمام، ولكنها ليست صفة وجوبية فيمكن تولي الإمامة فيمن افتقر للمعرفة وخاصة في مرحلة "إمامة الدفاع" عكس "مرحلة الكتمان" حيث تتطلب المرحلة دراية بالحكم والمسؤولية. وظلت الإمامة الإباضية في العصر الوسيط تتمتع بحكم أئمة كانوا في أغلبهم يتمتعون بسمات المعرفة. Adam Gaiser,. *op. cit.* P. 50, 78.

انطلقت الجماعة من ممارسة العمل السري أو" الكتمان"[1] واستطاعت من خلاله الوصول إلى وضعية الدولة أو "الظهور"[2].لكن لم تصمد هذه الجماعة ببلاد المغرب أمام ضربات خصومها بطرابلس والقيروان. وظلت هذه الجماعة في تلك المرحلة في حالة اضطراب، وكان أتباعها يطلقون على أنفسهم اسم " المسلمين" أو "جماعة المسلمين" أو "أهل الدعوة"... بيد أنهم مع مرور الزمن وإصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم (الإباضية) قد قبلوا به وخاصة أنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء إلى سمعتهم. وقد ظهر لأول مرة في المؤلفات الإباضية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري[3]. ومع مرور الوقت سيتحول هؤلاء الدعاة إلى نخب حاكمة، فيما تتجه هذه الجماعات إلى أكبر مكون لقاعدة الملك لمختلف الإمارات والممالك. كما استخدمت في مختلف المجالات العسكرية والاقتصادية بعد نجاح هذه الفرق في إقامة الملك السياسي.

كانت ثورات قبائل البربر التي تعبر عن الواقع الجديد المعارض لسياسة الولاة وممارساتهم وفي الوقت نفسه لم تخف الكثير من القبائل رغبتها في الملك والسلطة، فانضمام البربر واعتناقهم تلك المبادئ وانضمامهم إلى دعاتها، إنما فعلوا ذلك رغبة منهم في استقلالهم، واعتبارا لذاتيتهم المتميزة، وأنهم في ثوراتهم على الولاة العرب، كانوا يهدفون إلى التخلص من ظلم العمال والولاة[4]. فكانت مبادئ الجماعة الإباضية تتوافق مع الكثير من مقدرات هذه القبائل؛ فقد كشفت مهادنة الرستميين خاصة الإباضيين عامة لمحيطهم الخارجي على محلية

---

[1] بالإضافة إلى التقوى والاستقامة الأخلاقية، تشترط الإباضية امتلاك المعرفة في الأئمة وجعلها جزء متكامل في الإمام الإباضي، هذا الشرط ليس ووجوبا عند الإباضية مقارنة بمذاهب أخرى). ويشير مفهوم المعرفة في اللغة إلى مدلولات عديدة منذ الفترة الإسلامية المبكرة. بين معانيها على وجه التحديد كمعرفة عادية في الادب والدين، وبين مفهوم آخر للمعرفة المرادف للعلم والحكمة الذي يدل على المعرفة الفكرية. ومع مرور الوقت أصبح التعليم الديني مرتبطا بالعديد من التخصصات كعلم الكلام والفلسفة والفقه الذي يتطلب حدا أدنى من المعرفة القانونية. وقد تطورت أدوار العلماء في الدولة الإسلامية منذ الوقت المبكر وتولوا أدوارا رسمية وعينوا كقضاة في العهد الأموي في المدن والأقاليم لتطبيق الشرع واحكام السلطة. ونجد الإمامة الإباضية لم تحد عن ذلك في اسناد السلطة (سلطة الإمام الإباضي) للعلماء والفقهاء أو تفويضهم السلطة السياسية في غياب الإمام في مرحلة "إمامة الكتمان".

Adam Gaiser,. *Op.cit.* p. 49- 50.

[2] عبد الجواد ياسين. السلطة في الإسلام. نقد النظرية السياسية. . دار التنوير. بيروت. ط 2. 2012. ج2. ص 339.

[3] عوض محمد خليفات. المرجع السابق ص 12.

[4] عبد المجيد بن حمدة. المرجع السابق. ص 80.

اعتمدت السياسة الإباضية منذ البداية على بناء مشروعها السياسي من خلال ما شاع وظهر على ظلم الولاة والعمال، فكان مما يبحثه الإباضية في **فقه البغي** مسألة إمامة الغلبة والقهر وأنها بغي، والذي ذهب إليه الإباضية في هذه المسألة عدم انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة، وعليه فإن المستولي عليها يعتبر باغيا يحكم عليه بأحكام أهل البغي، وإلى هذا القول ذهب المعتزلة والخوارج وبعض الشافعية. ويرى فقهاء الإباضية بضرورة قتال أهل البغي بعد إقامة الحجة عليهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، وقتل الممتنعين عن الحق، حتى يأخذوا بما وجب عليهم وإقامة الحدود. سرحان بن سعيد الإزكوي. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي. وزارة التراث والثقافة. عمان. ط2. 2013. ج2. ص 324. أحمد بن يحي بن أحمد الكندي. ملامح فقه البغي عند الإباضية بين التنظير والتطبيق. أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية، النظرية الفقهية والنظام الفقهي. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. عمان. 2012. ص 221.

المشروع الإباضي في بلاد المغرب، ولعل وعي البربر الإباضين بهذه المحلية، هو الذي جعلهم ينسحبون من الساحة السياسية الساخنة للانزواء في مناطق الأطراف بعيدا عن مناطق التوتر المتواصل خوفا من الذوبان في مشاريع أوسع نطاقا وأكثر طموحا[1].

هذه المبادئ التي تعكس بشكل مباشر حركة التاريخ السياسي الواقعية كما مارستها الجماعة الإباضية الأولى، التي ظلت تنتقل من العمل السري إلى القتال إلى الدولة ثم تعود إلى العمل السري من جديد، لذلك لا تقدم النظرية إمامة واحدة، بل أربع إمامات، إحداها فقط تغطي حالة التمكن من ممارسة السلطة وهي إمامة الظهور. والثلاثة الأخرى تترجم حركة الفرقة من موقع المعارضة[2].

غير أن هذه الفرقة لها نظرية خاصة بها للسلطة والملك؛ فهي تعكس وضعية خروج قائم على الدولة المركزية، ففي جميع الأحوال تعكس نظريتهم وضعية "خروج" محتمل أو قائم على دولة ما، هي الدولة المركزية، وتترجم النظرية بمصطلحاتها ذات الإيقاع القتالي (الكتمان، الدفاع، الشراء، الظهور) مجمل السيرة الواقعية للفرقة في مواجهة هذه الدولة المركزية[3].

لقد رتب المذهب الإباضي الوهبي مراحل للإمامة تتوافق ووضعه السياسي وإمكاناته في مجابهة أعدائه ومخالفيه موافقا لمسالك مذهبه وحسب الظروف السياسية التي تتحكم إلى حد بعيد في طبيعة النشاط الذي ستقوم به هذه الجماعات، فالمتمعن في هذه المراحل وتطورها التاريخي يفهم حجم هذه الفرقة التي تركز أكثر على الوضع غير المستقر، حيث ترى ناجية الوريمي أن من بين الأشكال الأربعة نجد شكلين يتعلقان بوضع غير مستقر للمجموعة، وهو وضع الحرب والتأهب الدائم للهجوم أو الدفاع، وخاصة "الشراء" و"الدفاع"... وهما مرحلتان انتقاليتان وليستا دائمتين[4].

1- القبائل الإباضية ومسالك الدين الإباضية بالأوراس:

نجد أنفسنا أمام هذا التوزيع للقبائل المناصرة للإباضية بالأوراس حيث التداخل الشديد بين القبيلة المجال وانتمائها المذهبي، والذي يحدد مدى التوسع والقوة التي يمكن ان تستند عليها هذه الكيانات والدول التي

---

[1] حياة عمامو. المرجع السابق. ص 119.

[2] عبد الجواد ياسين. السلطة في الإسلام. نقد النظرية السياسية. دار التنوير. بيروت. ط 2. 2012. ج2 . 340- 341.

[3] عبد الجواد ياسين . المرجع السابق. ص299. حدد مسالك الدين في المذهب الإباضي من أجل أن تساير تطور التجربة التاريخية لفكر الجماعة؛ وهي أربع أشكال للانتظام الداخلي للمجموعة، سميت بمسالك الدين، وهي: الكتمان، والظهور، والدفاع، والشراء. ويوضح علماء الاباضية هذه المفاهيم بالرجوع للواقع التاريخي المتعلق بمسيرة تحقيق الدعوة. الوريمي بوعجيلة. الإسلام الخارجي. ص 209.

[4] الوريمي بوعجيلة. الإسلام الخارجي. ص210.

قامت بالمغرب الإسلامي. كما يوضح لنا هذا التوزيع مدى ارتباط القبيلة بمجالها الخاص، والذي يعطيه جورج مارسي تفسيرا انقساميا يتعلق بنمط العيش الحضري والريفي، والعلاقات المتوترة بين الريف والمدينة... ويرى أن ذلك كان سببا في فداحة آثار ثورات الخوارج؛ حيث كان الريفيون يتزلون من الجبال عند مهاجمة المدن والمزارع ويقومون بالدور الذي كانوا متخصصين فيه عبر التاريخ في زمن الأسقف دوناتوس[1]، وأثناء (فترات السلب) يبدو على هؤلاء الريفيين حقدهم للحضريين ومزارعي السهول. فكان الدين والدفاع عن البلاد ذريعة لهذه الانتفاضات[2].

انتشرت الإباضية بين المجتمعات المحلية الرعوية في الهضاب الداخلية ومناطق الواحات، كما أن أصداء مبادئ الخوارج الإباضية قد وجدت لها صدى في الأوراس ونواحي القيروان، فالإمامة الرستمية بتيهرت نجحت في السيطرة على شبكة الطرق التجارية والتي كانت تمتد من جبل نفوسة إلى غاية تلمسان غربا، فضلا عن تجارة القوافل، ولما كانت قبائل البربر تشكل دعامة ثورات الخوارج وركيزتها، فإن ذلك مثلما سبقت الإشارة إليه بدواع التخلص من الظلم الذي لحقها في الجانب الاقتصادي بزيادة الضرائب والخراج، وسياسيا بشعورها بالإقصاء من المشاركة في الملك، فأصبح لزاما علينا فهم مكونات هذه الجماعات وبطونها التي تتشكل منها هذه المذاهب ببلاد المغرب، وبالأوراس مجال الدراسة. ويقتضي الأمر النفاذ إلى مكونات الثقافة والتركيبة الاجتماعية والبناء الاقتصادي لهذه الجماعات التقليدية. وكخطوة أولى لا بد من ربط العلاقة بين هذه القبائل ومجالاتها الجغرافية في هذه الفترة التي ازدهرت فيها حركة التنقل والانتقال بين مختلف الأقاليم، وهي صفة قديمة تعرف بها قبائل الأوراس، خاصة تلك التي تتخذ من الظعن نمطا إنتاجيا ومعاشا لها.

إن تفكيك العلاقة بين هذه القبائل من جهة، وشبكة علاقاتها مع محيطها، ومع غيرها من القبائل الأخرى من جهة ثانية، يتيح لنا معرفة العوامل التي تؤثر على مجموعة ما، ونفهم أن سلوكها مجرد غطاء لمعطيات اقتصادية واجتماعية، دون إغفال الآليات الثقافية المتحكمة فيه[3]، كما أن الصراع المذهبي بالمغرب الإسلامي لم يستثن القبائل العربية، إن لم نقل أنها هي من كانت تغذيه.

بالأوراس ارتبطت الإباضية بالقبائل التي كانت تريد المشاركة في الملك ولو أن هذه القبائل الطرفية أو الحدودية قد تمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي في مجالاتها المتعلقة بجغرافية الجبل. إلا أن مبادئ الإباضية

[1] مؤسس الدوناتية. مات 355م . قاد الحركة الدوناتية في الكنيسة الإفريقية في حدود القرن الرابع الميلادي. واندلعت في أسقفية (قاساي) في نوميديا. شارل اندري جوليان. تاريخ إفريقيا الشمالية. ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية. تونس ، 1983. ج01. 296. 301.

[2] جورج مارسي. بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق. ص 178.

[3] ناجية الوريمي. المرجع السابق. ص19- 20.

المتوافقة مع الجماعة لا مع الأمة قد رأت فيها فرصة للمشاركة في الكثير من الأحداث السياسية والثورات. وكانت هذه الثورات قد تركت آثارا سلبية على المجتمع وعلى الاقتصاد، فقد استنزفت جهود الولاة ومواردهم المالية، فقد أنفقوا الكثير على إعداد الجيوش ومضاعفة الأعطيات لمواجهة هذه الثورات[1].

لقد شكل جبل أوراس ملاذا للجماعات الإباضية الثائرة وهو ما يؤكد أن هذه الجبال كانت موطنا للإباضية في أغلب مراحل المذهب الثلاثة: الكتمان، والظهور، والدفاع. فحتى بعد سقوط تيهرت وانتهاء حكم الرستميين، ثم رفض يعقوب بن أفلح أن يعلن إمامة الدفاع[2] من أجل تنظيم المقاومة في وجه الفاطميين، وذلك بمبرر استحالة الوقوف في وجههم من الناحية العسكرية، مما أدى بقسم كبير من الإباضية النكار إلى تحمل هذا العبء واعتصامهم بجبل أوراس وحافظوا على استمرار المقاومة[3]، ولو أن ذلك كان بشكل مؤقت ومرحلي مقارنة بالنكارية.

أما التجربة التاريخية بالأوراس فإنها تتقاطع أحيانا مع بعض فترات هذه المراحل المذكورة، لأن علاقة الأوراس بالإباضية كان يتوافق ومسالك الدين عند الإباضية؛ حيث نجحت الإباضية في خلق حلف كبير بين جماعات بربرية تشكلت من مزاتة التي تعتبر من أهم القبائل المؤيدة للمذهب الإباضي ببلاد المغرب، إذ يقول الإمام عبد الوهاب بأن "هذه الدولة شيدت بسيوف نفوسة، وأموال مزاتة"[4]، كما انضمت نفوسة منذ وقت مبكر إلى المذهب الإباضي، فمنذ مقتل عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي حوالي أواسط القرن الثامن. اختار الإباضيون إسماعيل بن يزيد النفوسي زعيما لهم، وكان يحظى بمكانة بارزة، كما انضوى حوله أتباع كثيرون حسبما أورده المؤرخون العرب. وذكر النفوسيون كذلك ضمن القبائل الإباضية التي أوصلت أبا الخطاب عبد الأعلى إلى منصب الإمامة، وكانت لهم مشاركة في معركة تاورغا، كما كانت لهم

---

[1] الرقيق القيرواني. المصدر السابق. 119. ابن عذاري. المصدر السابق. ج1. ص 59.

2 ابن الصغير المالكي. المصدر السابق. ص 111. أما عن إمام الدفاع فيكون في مرحلة ضعف الجماعة الإباضية، ويكون هذا الإمام من أجل أن نوع من التوازن بين الإمام والمجتمع الإباضي، وهذا ما حدث بعد سقوط الإمامة الرستمية، والهدف هو تحمل المسؤولية الجماعية للإباضية الذي يتطلب جزء من تأمين القيادة المناسبة لإقامة الحدود وليحفظ شؤون الناس والصالح العام عندما يتهددها خطر خارجي مما يحتم اللجوء إلى القبول بقيادة مؤقتة وظرفية وهي أوضاع لا يمكن القبول بها في إمامة الظهور. والمصادر الإباضية المبكرة تظهر استمرارية الإمامة مع القبائل وتقدم النموذج الإسلامي للقيادة التي تشجع على بناء هيكل السلطة الإباضية التي يمكن لها أن توفق في ضمان الاستقرار بين مختلف القبائل، وتكون قراراته ملزمة للجميع، ولذلك تستطيع تسوية النزاعات داخل القبيلة على أسس المذهب أو العرف والتقليد.

Adam Gaiser,. *op. cit.* P. 111- 113.

[3] المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 37.

[4] أبو زكريا. السير. ص 103.

مشاركة ضمن جيش الإمام أبي حاتم الملزوزي[1]. وكانت نفوسة الجبل من القبائل التي اعتنقت ودرست أفكار المذهب الإباضي الوهبي المعتدل، باعتبارها من الأتباع المخلصين لأئمة تيهرت الرستميين.

انتشرت هذه الجماعة على حواف الصحراء بين الجنوب الشرقي التونسي والحضنة. فكانت تراقب هذا الطريق الهام للمسافرين الذي ينحصر فقط في مجال جبالها، إذ نجد الشرق من هذا الإقليم جبال كتامة، وبني يفرن الجبليين غربا[2].

أما هوارة فقد عرفت بقوة الانتشار والتوزيع، نجدها بباغاية ونواحيها، وفي الشمال الغربي لنواحي المسيلة، ومقرة، وسهول الحضنة وجبالها، كانت جماعات هوارة واسعة الانتشار؛ فنجدها في كامل غرب إفريقية، وتكون هذه الجماعات أكثر كثافة وقوة بالجبال، واستطاعت من النفوذ في معظم الفضاء الإباضي، وكان لهوارة حضورا قويا بالأوراس، حيث تستقر في شريط يمتد من الجنوب إلى الشمال، بين تبسة إلى مرماجنة، وتيجيس، وأبة، والأوراس، وباجة، وتستمر في الانتشار في بلاد قسنطينة، وبجاية. وجنوبا نجدها تنتشر في الجبال والهضاب المحاذية للزاب.

أما عن التنظيم الهيكلي لها فقد كان لهوارة الأوراس قاضي هو أفلح بن محمد الهواري، كما أن هذه الجماعات كانت تسير من قبل مجلس أعيان من الممكن أن يتوافق مع الجماعات البربرية الريفية. بما أن كل التجمعات الإباضية الزابية المذكورة في النصوص رعوية بالجنوب وفلاحية داخل الجبل مثل هوارة- سريانة، التي مارست تربية المواشي[3].

أما نفزاوة بالأوراس فقد تحالفت مع هوارة وأوريغة وأوربة وغيرها في ثورات الخوارج[4]. وبالنسبة للواتة فقد استقرت على أطراف الصحراء وانتشرت في بوادي المغرب، توطنت بالأوراس وهي تشكل اتحاد يجمع نفزاوة

---

[1] ابو زكريا. المصدر نفسه. 37- 39.

[2] Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 64.

أما مزاتة فتسكن هذه الجماعة بالجزء الشرقي من طرابلس الحالية، تجاورها كلا من لواتة برقة من الشرق، وهوارة طرابلس الوسطى من الغرب. أما النهاية الشرقية لتراب الجماعة فيقع على بعد مسيرة يوم من الطريق إلى الغرب من أجدابيا، بينما حد تراب مزاتة جهة الغرب فيمر قرب تاورغا إلى الجنوب من مصراتة. أما الحد الجنوبي فإن موطن هذه القبيلة يمتد إلى ما وراء جبل السودا على الحدود مع فزان حيث كان سكانها على صراع مستمر مع مزاتة منذ القرن التاسع الميلادي. ثم اعتنقت مزاتة المذهب الإباضي منذ وقت مبكر وأضحت مقاطعة سرت إقليما ضمن الإمامة الإباضية العابرة التي أسسها أبو الخطاب عبد الأعلى السمح المعافري (139-140هـ-757- 758م / 143هـ-761م) وكان لعدد من أبناء قبيلة مزاتة الدور الريادي في جيش هذا الإمام. تادايوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ص 78- 80.

[3] عماد الدين القرشي. المصدر السابق. ص 137. 149.

[4] Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 65.

وأوربة وقبائل أخرى. ويرجعها ابن خلدون إلى أصول بربرية، تستقر على حواف الصحراء، وبوادي المغرب بكل من مجانة، ونواحي باجة، وفي الزاب، ونقاوس، ودكمة، وجبال أوراس[1].

هذه القبيلة بقيت وفية للمذهب الإباضي حتى بعد سقوط تيهرت[2]. وقد تجلى هذا الوفاء أكثر بمنطقة أوراس. فيما كانت ازداجة التي أشار إليها ابن خلدون، فقد لعبت دورا كبيرا في الأوراس، حيث كانت مع جماعات أخرى في هذا الجبل في الصراع الخارجي مع العباسيين (الأغالبة). و لم تترك مجالها وتهاجر من المنطقة إلا في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري، لتستقر غربا[3].

أما أوربة فقد لعبت دورا مهما في غرب إفريقية، خاصة في العهد السابق للفتح الإسلامي؛ في العهد الروماني والبيزنطي، وفي بداية الفتح الإسلامي. في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. نجدها تتوزع في طبنة، وتهودة، وبادس، وفي الأوراس، ونواحي مدينة نقاوس، ومعظم الزاب. كانت هذه القبيلة تعتنق المذهب الخارجي[4].

2- **إمامة الإباضية النكار بالأوراس. البحث عن استرجاع إمامة الظهور:**

نشأت الجماعة الإباضية النكارية عقب تنصيب الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إماما للإباضية بحسب الرواية الوهبية، وبالطريقة التي سبقت الإشارة إليها، فظهر يزيد بن فندين من بني يفرن، زعيم المعارضين لهذا الإمام وللطريقة التي تولى بها[5]. وانقسمت الإباضية منذ عهد الإمام الثاني، وطبيعي أن يحدث الانقسام بين القبائل نفسها نتيجة لهذا الانحراف؛ ويستمر أيام حكم الأسرة الرستمية، وبعد سقوط تيهرت في نهاية القرن الثالث الهجري (296هـ/ 909م)، قامت حركات مسلحة ضد الفاطميين[6].

أ-مجال الإباضية النكارية:

بسرعة كبيرة نشطت الدعاية النكارية، بيد أنه لم ترجح مكانة النكاريين صفوف إباضية بلاد المغرب إلا في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، عقب انهيار إمامة تيهرت (296هـ/ 909م) وتأسيس

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 150- 152.

[2] Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 6,64 .

[3] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 190- 192. Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 67

[4] Brahim Zerouki. *op. cit.* p. 67.

[5] أغلب المصادر الوهبية تتحامل على النكارية في هذه المسألة ولا تشير إلى تحول الإمامة إلى ملكية وراثية بعد استيلاء عبد الوهاب بن عبدالرحمن على الإمامة . انظر: أبو زكريا. كتاب السير. ص 58 – 60. ابن الصغير المالكي. المصدر نفسه. ص 50- 51.

[6] المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 35.

الدولة الفاطمية ببلاد المغرب[1]، وأصبحنا أمام شمول النكارية بالزاب عهد الفواطم وبالضبط في عهد أبي يزيد مخلد بن كيداد[2].

هذه الجماعة التي ستزيد من دعايتها عقب انهيار الإمامة بتيهرت (296هـ/ 909م)، وسيزداد مجال القبائل المناصرة للنكارية ليشمل الجنوب التونسي، والجنوب الجزائري كله، من جبل نفوسة حتى تيهرت كله نكاريا.

نتيجة لذلك ومع نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري تحول جبل أوراس إلى أحد أكبر المراكز الإباضية ببلاد المغرب إضافة إلى جبل نفوسة، حيث كان الجزء الغربي للأوراس مسقرا لأهم القبائل النكارية؛ فقد أطلق على الجماعة النكارية أسماء عديدة من طرف أنصار عبد الوهاب بن رستم، مثل النكاث[3] لنكثهم بيعته، والنجوية إكثارهم الاجتماع والنجوى، والشعبية نسبة إلى شعيب بن المعرف ومستاوة[4].

ب- ثورة الإباضية النكارية بالأوراس:

إذا اعتمدنا على الخلفيات السوسيو اقتصادية للعديد من الانتفاضات والثورات التي قامت ضد الفاطميين، وهو ما يقرره الحبيب الجنحاني، فإننا نحيل ذلك إلى اهتمام الفاطميين بالسياسة الجبائية اهتماما كبيرا إلى جانب سياسة مصادرة الأموال بشتى الذرائع، والنظام الجبائي الفاطمي معروف بإرهاقه للسكان، وبخاصة سكان الريف، وقد كان اشتداد وطأته عليهم سلاحا فعالا عرف كيف يستعمله أبو يزيد في انتفاضته ضد الحكم الفاطمي، معتمدا بالخصوص على سكان المناطق الريفية[5].

لعب الأوراس دورا كبيرا في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وكان سكان هذا الجبل قبل هذه الثورة على مذهب الإباضية النكارية من خلال سلطة تيهرت عاصمة الإمامة الرستمية التي عين فيها قاضيا من الأوراس هو محكم الهواري في عهد أفلح بن عبد الوهاب. واستطاع الأوراس فيما بعد جلب الكثير من النكارية. لكن من الصعب جدا تحديد أي من القبائل التي دعمت واحتضنت ثورة أبي يزيد أكثر من غيرها.

---

[1] تاديوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ص 43.

[2] Allaoua Amara, *op. cit.* p.123.

[3] ابن الصغير المالكي. المصدر السابق. ص 50. أبو زكريا. السير. ص 58- 61.

[4] Tadeusz Lewicki. Les subdivisions de l'ibāḍiyya. *Studia Islamica*, no. 9. (1958). p. 78.

غير أنه تجب الإشارة إلى أن جزءا من سكان الجبل (نفوسة) ساندوا خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (خلف بن السمح)، الذي كان انشقاقه ذا طبيعة سياسية. وفي وقت لاحق خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كان لزعيم النكار المشهور (أبو يزيد مخلد بن كيداد) أتباع كثيرون بين صفوف نفوسة الجبل، كما كان لجزء منها على الأقل مشاركة في الحروب التي أعلنها هذا الزعيم ضد الفاطميين. وربما هذا ما حذا بالإدريسي في وقت سابق إلى نعت سكان نفوسة بالخوارج النكار.

[5] الجنحاني. المجتمع العربي الإسلامي والحياة الاقتصادية والاجتماعية. عالم المعرفة. الكويت. 2005. ص 217.

فقد ساندته جماعات النكارية والإباضية كما فعلت ذلك أيضا الجماعات المالكية بالقيروان ردا على السياسة الفاطمية[1].

لكن المؤكد من مختلف المصادر بما فيها المصادر الشيعية، وبغض النظر عن الدوافع الاقتصادية لهذه الثورة، هو إلحاح هذه المصادر على البواعث المذهبية لها؛ إذ يقول عماد الدين القرشي، رغم انتقاده الشديد له "خرج أبو يزيد النكاري بجبل أوراس في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة"[2].

كانت القبائل التي تقطن المجال الإباضي النكاري تبحث عن قائد يوحدها في اتجاه العمل الثوري، وكان أبو يزيد بعد فراره من السجن يبحث عن عصبية قبلية تتيح له مقارعة أعدائه؛ لذلك بعث إباضية الأوراس طالبا التأييد، فأجابوه، وانضم إليه بنو برزال المنتشرين قرب المسيلة، وكذلك بنو زنداك من مغراوة، فضلا عن لواتة، وبنوكملان. وبايعته جماعات الإباضية النكار على محاربة الفاطميين سنة 331هـ/ 944م[3].

لقد احتضن الأوراس أهم إمارة إباضية نكارية تولد عنها أخطر الحركات الثورية التي هددت الوجود الفاطمي بالغرب الإسلامي؛ هي إمامة أبي عمار الأعمى الإمام الذي عاش في نهاية القرن الثالث الهجري، واستطاع تلميذه أبو يزيد مخلد بن كيداد[4] خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري قيادة التمرد الذي كاد ينهي الخلافة الفاطمية[5]. ومع ازدياد الأتباع والمؤيدين لهذه الإمارة، وبعد أن نجح أبو يزيد من الفرار من سجنه (تقيوس) التجأ إلى درجين (نفطة) يطلب حماية أهلها من الوهبية إلا أنهم رفضوا لجوئه إليهم، فارتحل إلى الأوراس "وفيه قوم من هوارة يقال لهم بنوكملان من أهل مذهبه، فقام فيهم وقوى بهم واشتدت شوكته، واستفحل أمره وعمره إذ ذاك ستون سنة..."[6].

يعود اختيار أبو يزيد للأوراس ليعلن الثورة على الخلافة الفاطمية انطلاقا منه إلى أن الأوراس ومنذ إعلان الخلافة لم يكن خاضعا للسيطرة المركزية. وكان قادة الإباضية المقيمين في معقلهم بجبل أوراس حريصين

---

[1] Virginie Prévost. *op. cit.* p. 325.

[2] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 264. المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 41.

[3] محمود إسماعيل. الخوارج. ص242.

[4] A. Golvin. *Encyclopédie berbère*. Conseil international de la philosophie et des sciences humaines (Unesco). Aix-en-Provence, France, (1989). p. 97 98 99.

[5] Tadeusz Lewicki. *op. cit.* p. 78.

[6] أبو عبد الله محمد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. ص 30.

على الإفلات من السلطة الفاطمية. وقد تمكنوا طوال مدة تناهز العشر سنوات من حشد عدد أكبر من الأتباع والتأهب لشن ثورتهم العظيمة[1].

وإذا حاولنا الإحاطة بهذه الثورة وانعكاساتها بالمجال موضوع الدراسة، فإن ذلك يحتم علينا تجنب السرد الحدثي لمراحل الثورة وحيثياتها. فما يهمنا من ثورة أبي يزيد هو آثارها على منطقة الأوراس على مستوى القبائل والمذهب.

[1] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص247.

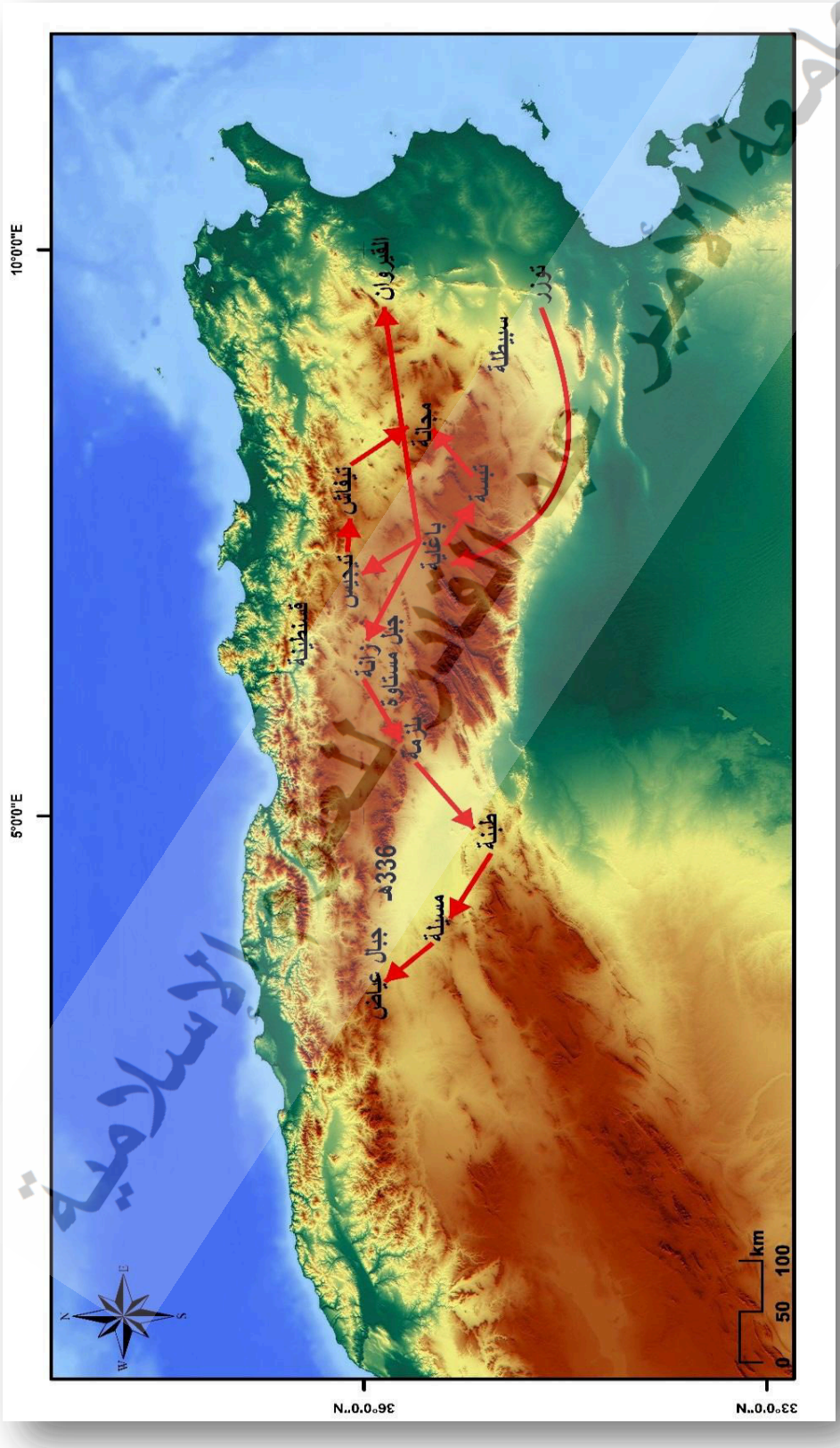

حملات النكارية بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد

أبو يزيد وتحالفاته غير المتجانسة بالأوراس:

1- التمهيد للثورة:

عندما غادر أبو يزيد مخلد بن كيداد توزر حيث كان مسجونا، لجأ إلى الأوراس و رحبت به جماعات بني كملان وهم من هوارة. وهنا يقع بينه وبين أبي عمار الأعمى تحالف وينجح في جمع العديد من الإباضية النكارية حول حركته التي بدأها بهجومات على المراكز الفاطمية القريبة[1]، وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تم إجبار الإباضيين على اللجوء إلى المناطق الطرفية حيث سدراتة وجربة وجبل نفوسة، واستفادت سدراتة من دور المنطقة الرئيسي في التجارة عبر الصحراء، كما دعم إباضية سدراتة ثورة النكارية بزعامة أبي يزيد ضد الفاطميين. لكن مع تراجع أتباع هذا الثائر تدريجيا انهزم في 336هـ/ 947م. وقد احتفظت الذاكرة الإباضية بأوصاف شنيعة اتجاهه[2].

لقد بدأ أبو يزيد في الترويج لحركته بترغيب القبائل في الغنائم والمكاسب المختلفة "فعاقدهم وحالفهم على أنهم ما أخذوه من مال المسلمين حكموا فيه كما يحكم في غنائم المشركين، وأن ما سبوه من النساء والذرية فهو مباح لهم غير محرم عليهم..."[3].

وفي محاولة منه لإنجاح أفكار ابن فندين، كون مجلسا من اثني عشرة عضوا يدعون العزابة لمعاضدته في تدبير الإمامة النكارية، إلا أنه قرب إليه فيما بعد بعض المتشددين الخارجيين، وأجاز الاستعراض، أي قتل مرتكب الكبيرة على غرار الأزارقة[4]، واستطاع أبو يزيد تجنيد حلفاء له بجبل أوراس، وسمحت له أول النجاحات ضد الفاطميين بحشد جزء من مزاتة، ومعظمهم من البربر الإباضية الوهبية، وكانت هذه التحالفات غير متجانسة ومؤثرة، لأنه سينهزم في الأخير بسبب تراجع الكثير من حلفائه[5] .

2- الثورة:

اكتفى أبو يزيد في أول الأمر بالهجوم على الممتلكات الواقعة في ضواحي باغاية للحصول على الغنائم، فنهب بعض القصور من بينها قصر العامل صولات بن ملول، وسرعان ما أفضت جاذبية النهب إلى ارتفاع

---

[1] Virginie Prévost. *op. cit.* p. 326- 327.

[2] *ibid.* p. 320.

[3] عماد الدين القرشي. المصدر السابق. ص 256- 257.

[4] تاديوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ج 1. ص 43.

[5] Cyrille Aillet, *op. cit.* 138.

عدد أتباع الثائرة مما شجعه على الزحف على باغاية ذاتها، وقد أوشك على الاستيلاء عليها[1]. يقول عنه ابن خلدون أنه "تلقب بشيخ المؤمنين، ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني أمية فاتبعه أمم من البربر"[2]. في البداية لم ينجح أبو يزيد في السيطرة على باغاية، رغم أنه استولى على مجموعة من القصور المحيطة بها، مثل "قصر لصولات بن مملول، فيه عبيد له ودواب وطعام ونعمة، وكان صولات أحد رجال أمير المؤمنين، القائم وهو عامله على باغاية، فانتهب مخلد ما في قصره"[3]. لكنه استطاع بعد هذه الحملة الاستيلاء عليها وفتح هذا النصر شهية باقي القبائل في الغنائم، فانضموا إليه "واجتمع له لفيف من الناس، فصار معه أربعمائة فارس ورجالة كثيرون، وزحف بهم إلى قصر يعرف بـــ (أبي معلوم) من فحص باغاية على اثنى عشر ميلا منها .."[4]. نجح أبو يزيد في كسب مؤيدين له من قسطيلية؛ فبعدما حاول أبو القاسم القائم الاستعانة بكتامة لمساعدة صاحب باغاية، كاتب أبو يزيد قبائل البربر من بني واسين وغيرهم بقسطيلية فزحفوا على توزر، فيما توسع أبو يزيد إلى مدينة تبسة[5]، ثم إلى مرماجنة، بعد أن سيطر على مجانة[6].

استطاع أبو يزيد في بداية هذه الحركة بالأوراس من تحقيق مكاسب عديدة، أهمها النجاح في كسب المجال وتوسيعه في المناطق التي كانت تسيطر عليها الخلافة الفاطمية، وسيطر على أهم الحواضر بالأوراس[7]. أما المكسب الثاني فيتمثل في نجاحاته في كسب المزيد من قوى الجماعات الإباضية النكارية التي أصبحت منخرطة في هذه الثورة تباعا.

أما النجاح الثالث لهذه الحركة فهي قدرته على كسب فرق كانت إلى وقت قريب متنافرة فيما بينها؛ فجموع الوهبية الذين آزروه لم يخف عليهم حقيقة معتقداته، إنما أيدوه لاتفاقهم معه في الرغبة في الإطاحة بالحكم الفاطمي رغم ما كان بينهم جميعا من عداء مذهبي، "فلما أحس من نفسه القوة ورأى كثرة من اجتمع له من الناس، تكلم إليه بعض عزابتهم، ماذا تنتظر للأخذ بثأر يزيد بن فندين، يا شيخ؟

---

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. الجزء 7. ص 19 20. فرحات الدشراوي. المرجع السابق. ص249.

[2] ابن خلدون. المصدر السابق. ج 4. ص 52.

[3] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب. ص 266.

[4] المصدر نفسه. ص266.267.

[5] المصدر نفسه. ص 271.

[6] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج7. ص19. نشير في هذا الخصوص إلى تغلب النظرة المعادية لأبي يزيد والدوافع الأولى التي شكلت منطلقا لثورته التي تحصرها هذه النظرة في السلب والنهب دون الالتفات إلى الظروف العامة التي كانت تعيشها الجماعات التي ناصرته في البداية.

[7] ابن خلدون. المصدر السابق. ج7. ص 20.

فقال أبو يزيد: دعنا حتى نفرغ من نسج كسائنا. فإذا ما فرغنا منها وقعدنا في مصحات اشتغلنا في تنقية كساءاتنا"[1] فأعمل أبو يزيد الحيلة للتخلص من هذه القوى الواحدة تلو الأخرى ليصفو له الجو، فكانت النتيجة أن فارقته جميعا وتخلت عنه في وقت عصيب كان النصر فيه وشيكا[2].

لقد وجد أبو يزيد نفسه مجبرا على قطع تحالفاته ومواصلة الاعتماد على القبائل التي اعتنقت المذهب الإباضي في صورته النكارية فحسب. ولكن ذلك لم يكن كافيا ليكسب الحرب فخسرها بعد أن عمد الفاطميون إلى محالفة أغلب القبائل من صنهاجة وكتامة والمالكية وإلى تحييد الوهبية مما جعلهم يكسبون الحرب في سنة 336هـــ. 949م[3]،

غير أن الأهداف التي قد يكون أبو يزيد قد أضمرها اتجاه حلفائه هي التي ستعجل بهزيمته؛ فالحقيقة أن أبا يزيد كان يكن عداء مرا لهؤلاء وأولئك لا يقل عن عدائه للفاطميين، ومن المؤكد أنه أضمر بهم غدرا أو على الأقل إضعاف شوكتهم بضربهم بالفاطميين. فقد أرجأ الانتقام من الوهبية إلى ما بعد الانتهاء من قتال الشيعة[4]. كما مكر بالسنة أثناء حصار المهدية، وتخلى عنهم لتحصدهم جيوش القائم الفاطمي[5].

3-السقوط:

بعد هزيمة أبي يزيد في القيروان عام 335هـــ/ 946م، ورغيته في العودة للتحصن بباغاية، كان المنصور قد استغل الموقف وتحرك غبر محور انطلاقا من مجانة، وصولا إلى سفح جبل أوراس ربيع الثاني 335هـــ/ 946م، وصولا إلى باغاية حيث استقبله أهلها ... ومنها سار المنصور إلى طبنة، حيث كان أبو يزيد يريد محاصرتها[6]، وعندما وصل جيش المنصور إلى نقاوس، انتقل أبو يزيد إلى الجنوب حيث الصحراء ولجأ مرة أخرى إلى بلاد الإباضيين بسدراتة وورجلان. لقد تغيرت موازين القوى بين المعسكرين، الشيعي الفاطمي والنكاري الإباضي

---

[1] أبو زكريا. المصدر السابق. ص 118.

[2] كانت النخبة المالكية بالقيروان ممثلة في الفقهاء والعباد قد ساندت ودعمت أبو يزيد في معركة القيروان إلا أن أبا يزيد كان يضمر لهم الشر وخذلهم وأراد أن يتخلص منهم بتقديمهم أمام العدو؛ يقول ابن عذاري أن أبو يزيد "لما رأى أنه قد استولى على الأمر، أو كاد، وأن الشيعي قد كاد يبيد، أو باد، قال لجنوده: "إذا التقيتم مع القوم، فانكشفوا عن أهل القيروان، حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن. فنستريح منهم". أراد أن يتبرأ من معرة قتلهم عند الناس، وأراد الراحة منهم، لأنه، فيما ظن، إذا قُتل شيوخ القيروان وأئمة الدين، تمكن من أتباعهم فيدعوهم إلى ما شاء فيتبعونه. فقتل من صلحاء القيروان وفقهائها من أراد الله بسعادته وشهادته. وسقط في أيدي الناس، وقالوا: "قَتَلَ أولياء الله شهداء" ففارقوه، واشتد بغضهم له. ج1. ص 218. ابن خلدون. ديوان العبر. ج4. ص 53 54. محمود إسماعيل. المرجع السابق. ص 251

[3] المنصف قوجة. المرجع السابق. ص 41.

[4] أبو زكرياء. سير الأئمة وأخبارهم. ص 118- 119. محمود إسماعيل. الخوارج. ص 239.

[5] محمود إسماعيل. الخوارج. ص 239.

[6] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 390- 391.

الذي خسر حلفائه، ففي الوقت الذي اتسعت تحالفات الفاطميين حيث انضم إليهم القائد زيري بن مناد[1]، ومحمد بن خزر الذي انقلب على أبي يزيد، وهما يمثلان قبيلة صنهاجة وعجيسة. وفي هذه الظروف تتراجع أهم القبائل عن أبي يزيد وهي قبيلة هوارة، مما يشير إلى قرب نهاية الثائر الذي لم يفلح هذه المرة من الفرار أمام أعدائه.

لم يمض حينئذ سوى أقل من شهر على عودة المنصور إلى إفريقية حتى خرج إلى القتال مع ابنه وولي عهده معد الذي سيلقب فيما بعد بالمعز لدين الله. وللتغلب على هذا الثائر[2]، كان المنصور قد التجأ إلى خدمات أحد رؤساء زناتة، وهو باطيط بن يعلى بن باطيط الذي استعمله على جنوب أوراس. فاحتال على فضل الذي كان بمدينة بجنوب الأوراس يقال لها "مديلة"، وأتاه مظهرا الدخول في طاعته فوثق به واطمان إليه. وكان يعتزم الاستيلاء على باغاية، ولكن باطيط عاجله بسيفه وتمكن من قطع رأسه بنفسه، ثم سار بالرأس إلى المهدية فأحسن إليه المنصور وخلع عليه "[3].

قتل أبو يزيد مخلد بن كيداد في محرم 336هـ اوت 947م. ولكن شعلة الثورة لم تنطفئ بموته، فقد حاول ابنه فضل بن أبي يزيد الاستيلاء على طبنة بمساعدة رجال معبد بن خزر ثم مناوشة الجيش الفاطمي في ناحية المسيلة، وتمكن من حشد عدد كبير من الأنصار في جبل أوراس واستأنف القتال عوضا عن أبيه.

لقد أدت هذه الثورة إلى ارهاق الخلافة ماليا وكلفتها نفقات باهضة وحمّلتها خسائر لا يمكن حصرها، في وقت كانت فيه بلاد إفريقية تمر بمجاعة، وبأزمة اقتصادية[4]، ومن المرجح أن فشل ثورة أبي يزيد والقمع الفاطمي الذي أعقبه، أضعف بشكل كبير الإباضية بالأوراس، فلم يكن أمامهم غير الانتشار جنوبا إلى بلاد الجريد وورجلان وبقاء القليل منهم بمناطق كثيرة من الزاب، والذين شاركوا في ثورة باغاية 358 هـ/ 968م[5]، وفي الأخير بعد اندحار ومقتل أبي يزيد، تراجع نفوذ النكار، ورجعت القبائل الوهبية، غير أن بقايا النكار كانت لهم مشاركة في الانتفاضة الإباضية العامة ضد الفاطميين سنة (358هـ/ 968م)، كما ورد ذكرهم (431هـ/ 1039م 1040م)، في سياق الثورة الكبرى التي قادتها هذه الفرقة بجزيرة جربة[6].

---

[1] ابن حماد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. ص27.

[2] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 310 – 312.

[3] Virginie Prévost. *op. cit.* p. 326- 327.

[4] المقريزي. اتعاظ الحنفا. ص. 84– 45. ابن الأثير. المصدر السابق. ج8. 157. ابن عذاري المراكشي. المصدر السابق. ج1 .273.

[5] Virginie Prévost. *op. cit.* p. 326- 327

[6] تاديوش ليفيتسكي. دراسات شمال إفريقية. ص 43

خامسا: النخب الإباضية الأوراسية:

1-محكم الهوَّاري الأوراسي (208-258هـ / 823-871م):

يعتبر أهم شخصية من الأوراس في العهد الرستمي، ينسب إلى جماعات "هوارة" التي كانت مستقرة بالأوراس، فرض على تولى القضاء رغم أنه كان رافضا له[1]، وفي نفس الوقت عدم ترحيب الإمام "أفلح بن عبد الوهاب" به في البداية، إلا أن تمسك الناس به أرغمه على القبول بأن يكون قاضيا لتيهرت، ويذكر ابن الصغير المالكي كيف دعي "محكم الهواري" إلى تيهرت لممارسة القضاء، بعدما طلب الإمام من الناس اختيار من يرضونه لتولي هذه الخطة، لكن بعدما أجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن "بجبل أوراس"، احتج ورفض ذلك، بدعوى أنه "رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه، وإن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم ولا يظلم ولكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لأنفسكم".

إلا أن إصرار الناس وتمسكهم بهذا القاضي دفع بالإمام إلى القبول به، و"أنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء فاشتروا له خادما صفراء وأجرو عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي أملوها منه ورجوها عنده[2]. وبعد سقوط تيهرت بقيت جماعات إباضية في عهد البكري (أواخر القرن الخامس) "على رأي الخوارج الإباضية"[3].

2- هود بن محكم الهواري الأوراسي (ق 3هـ/ 9م):

أخذ عن أبيه الذي تتلمذ عنده، وأخذ عنه، واختلف في الأماكن التي نال فيها العلم بين الأندلس وتيهرت والقيروان، وأتاه من يستعينه على نوائب الدهر وعلى التخلص من دين ركبه فقال له أنت حيا هناك من أحياء مزاتة وأرسل معه رسولا وقال له قل لهم قال لكم هود بن محكم اجعلوا له صلة فبلغهم فأعلمهم رسوله فبسط رداءه فجعلوا يلقون فيه الذهب والفضة والدراهم[4].

---

[1] محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بحاز، وآخرون. معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر. قسم المغرب. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 2000. ج2. ص 355.

[2] ابن الصغير. أخبار الأئمة الرستميين. ص 57 - 59. الشماخي. كتاب السير. ج1. ص 167- 168-. Allaoua Amara, *op. cit.* p. 120.

[3] المسالك والممالك. ج 2. ص 328.

[4] الشماخي. المصدر نفسه. ج2. ص 59.

وأصبح عالما وهو صاحب كتاب " تفسير كتاب الله العزيز" المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين[1]، وهو من أهم التفاسير المعتمدة عند إباضية الجزائر وليبيا والجريد التونسي وسلطنة عمان وزنجبار إلى الآن، وهو مطبوع متداول، ولقد تتلمذ وتعلم على يد هود بن محكم الهواري العديد من التلاميذ الذين أصبحوا بدورهم علماء منهم: أبو عمرو ميمون حمودي بن زورستن الوسياني الكنومي (400–450هـ / 1009–1058م).

3– أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يعلا بن زلتاف:

كان مسكنهما بالحامة بالجريد، وأصبح يزيد بن مخلد من كبار الأئمة، لذلك نال منزلة كبيرة عند المعز لدين الله الفاطمي (ت365هـ/ 975م)، وكان أبو القاسم ذا مال كثير، وقد بلغ من العلم مع صديقه أبي خزر مبلغا عظيما فعقدا الحلقة ويأتيهما من أهل الدعوة من كانت له رغبة في العلم والأدب وسير الصالحين. ويتعلمون عندهما حتى اشتهر أمرهما وعلى ذكرهما. وكان أبو القاسم يطعمهم وينفق عليهم من ماله، وأبوه مخلد إذ ذاك حي[2].

إلا أن حاشية المعز قامت بالوشاية بيزيد بن مخلد به بأنه يريد الإستقلال عن سلطة العبيديين، فأدى ذلك إلى مقتله، و"بلغ في أهل الدعوة مقتله مبلغا عظيما و لم يجدوا في أنفسهم أن يصبروا عن حقه وعن طلب دمه، مما تسبب في ثورة صديقه أبي خزر يعلى بن زلتاف، من أجل الثأر له بتأليب القبائل على المعز وجمع قوة كبيرة لثورة باغاية 358هـ، والطلب بحقه من الأئمة المسودة، هو ومن معه من المشايخ، وكان ذلك أحد الأسباب المباشرة في ثورة باغاية[3]

سادسا: الوهبية وانتهاء إمامة الدفاع بشرق الأوراس 358هـ/ 968م:

نجحت سلالة الرستميين في تأسيس ملكهم ببلاد المغرب وكانت الشعارات التي يدعون لها وجمعت حولها تحالف مجموعة من القبائل البربرية على المحك، فبعد وفاة عبد الرحمن بن رستم، ونتيجة لما عرف به من صرامة في العقيدة لدى هذا الإمام، واعتماده على المرونة في السياسة. وكانت مقولات الإباضية المتعلقة بالحق في الإمامة كحق عام، وأنها ليست وراثية، عامة وفضفاضة وتخدم مصالح المذهب الإباضي مادام في حالات "الشراء" أو "الدفاع" أو "الكتمان"، فبعدما نجح المذهب في تأسيس الملك، ووضعت هذه الشعارات على

[1] محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بحاز. المرجع السابق. ج2. ص 355– 443.

[2] أبو زكريا. سير الأئمة وأخبارهم. ص 136. 140.

[3] أبو زكريا. المصدر نفسه. ص 142. محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بحاز. المرجع السابق. ج2. ص 467.

المحك، وبعدما جوبهوا بتحديات الحكم وواجبات السلطة في حالة "الظهور" اضطروا لتعديل نظريتهم وتعرت هشاشتهم النظرية، فالتحالف بين البربر والفرس داخل أوساط السلطة الرستمية ضد العرب إبان ولاية عبد الرحمن بن رستم الفارسي لم يعد كافيا لحل مشكلة الإمامة[1]. فقد ثارت قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم، فيما عرف بفتنة النكار[2]. وتبعتها ثورة قبيلة هوارة ضد الإمام عبد الوهاب[3].

وقد تسبب الخلاف بين الوهبية والنكار في تناحر عسكري، وهو الصراع الذي فشلت الجماعة الإباضية في حله بالطرق السلمية في صلب مجلس السبعة... وهيمن منطق الإقصاء على منطق الحوار، كما طرح خروج النكار على عبد الوهاب بن رستم إشكالية الإمامة على الفكر الديني الإباضية. بعد أن تجاوز هذا الصراع حدود المغرب إلى المشرق الإسلامي ومصر، وبعد حسمها من طرف جماعة البصرة ادمجت في مبدأ "مالا يسع جهله". أي في العقيدة بنفس الدرجة كالشهادة. وأصبح قبول إمامة عبد الوهاب بن رستم شرط من شروط الإيمان، وكذلك البراءة من النكار[4]، وبذلك انتقلت مسألة الإمامة من الحقل السياسي إلى الحقل العقدي... وأصبح نظام الحكم ملكيا وراثيا بتواطؤ مفضوح من الفقهاء ورجال الدين[5].

أما سياسيا فقد تحول الحكم من ذلك الحين إلى وراثة وهذا بمباركة فقهاء البصرة الذين ناصروا الرستميين ضد النكار. وإذا كانت الإباضية قد عرفت مبدأ التدرج في الملك، وانتقالها من الدعوة إلى مرحلة التمكن والملك، هذه المراحل التي تطابق الظروف التي تحيط بالجماعة الإباضية

يستمر هذا الصراع الذي قسم الإمامة طيلة أيام حكم الأسرة الرستمية. وبعد أن تمكن الفاطميون أنهاء حكم هذه الإمامة سياسيا عام 296هـ/ 909م، تبدو مظاهر الانقسام في مبادئ الحركتين الوهبية والنكارية. وسيجد الإباضية أنفسهم مرغمين على العودة إلى الجبل للاحتماء والإعداد للثورات القادمة ضد

---

[1] المنصف قوحة. المرجع السابق. ص 81.

[2] ابن الصغير المالكي. أخبار الائمة الرستميين . ص47.

[3] ابن الصغير. المصدر نفسه. ص53- 54.

[4] يقدم الجيطالي مفهوم واسع للبراءة ودلائل وجوبها الشرعية، وأنواعها التي يذكر من بينها البراءة من إمام الجور وجميع من تبعه على جوره والبراءة من المرتد من الإسلام إلى الشرك، أو الذي غير مذهبه إلى مذهب أهل الخلاف. قواعد الإسلام. تحقيق أحمد بن صالح الشيخ أحمد. مكتبة الضامري. سلطنة عمان. ط5. ج1. 2015. ص 111- 130. الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق محمد حبيب صالح ومحمود بم مبارك السليمي. وزارة التراث والثقافة . سلطنة عمان. ط2. 2013. ج2. ص326- 327.

[5] المنصف قوحة. المرجع السابق. ص 80.

Allaoua Amara. « La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (11e 15e) siècle ». *Annales islamologique*. Institut français d'archéologie oriental. 42. (2008). p. 261.

الفاطميين بعد فشل سلالة الرستميين عن الدفاع عن ملكهم الذي كانوا هم وحدهم المستفيدين منه. فاختار الإباضيون المنطقة الوسطى بين جبل نفوسة وورجلان، إضافة إلى جبل أوراس لتنظيم دفاعاتهم[1].

1- وقعة باغاية 358هـ/ 968م:

قامت فرجيني بريفو (Virginie Prévost) بدراسة تاريخية لهذه الثورة[2] انطلاقا من المصادر الإباضية ومنهم أبو زكريا والدرجيني والشماخي، والمصادر السنية (ابن خلدون وابن الأثير) فيما اقتصرت المصادر الشيعية على جوذر، هذا الأخير الذي أشار إليها لأنها قد تكون ربما مقترنة بالسياق السياسي للإعداد للرحيل واجبار المعز على القتال ضد زناتة المدعمة من طرف الأمويين[3].

أبو زكريا يتتبع الأحداث التي أدت إلى هذا التمرد، يمنح فصلين لثورة باغاية، مشيرا إلى أعمال الثوار أبي القاسم بن يزيد بن مخلد، وأبي خزر يعلى بن زلتاف[4]، وبالنسبة للمصادر السنية، ابن خلدون[5] وابن الأثير[6]، فيشيران إلى أن أبا خزر الزناتي سيحارب الخليفة بدعم من مجموعة من البربر النكارية. وبعد تجهيز الخليفة المعز (342هـ 365هـ/ 953م- 975م) للحملة على الأوراس لمواجهة هذا الثائر، وفي ذروة الهيمنة الفاطمية على إفريقية، إلا أنه اصطدم بتحصنه بجبل أوراس، وفشل في النيل منه، وهو ما أدى به لطلب المساعدة من بلكين بن زيري الذي أخذ في الشروع في ملاحقة المتمردين. وقد أشار سيرة جوذر إلى هذه الحملة وتوسعها إلى غاية بسكرة[7].

---

[1] المنصف قوحة. المرجع السابق. ص 37.

[2] Virginie Prévost. « La Révolte de Bāġāya (358/969). Le dernier soulèvement des ibāḍites maghrébins ». *Journal of near eastern studies*, 65, 3 (2006), p. 198- 199.

[3] يقول جوذر أنه : "لما عزم مولانا على الخروج في طلب الثائر المعروف "بأبي خزر" أمر الأستاذ بالخروج إلى المهدية لإحكام ما بالخزائن التي بها، وشد الأمتعة إلى المشرق". المصدر السابق. ص 108- 109.

[4] أبو زكريا. المصدر السابق. ص 142.

[5] اقتصر ابن خلدون على الإشارة إلى خروج جيوش المعز في معركة بغاية عام (358هـ/ 968م)، لمواجهة أبي خزر الذي "اجتمعت إليه جموع من البربر والنكارية، وخرج إليه المعز بنفسه، وانتهى إلى باغاية وافترقت جموع أبي خزر، وسلك الأوعار، فعاد المعز وأمر بلكين بن زيري بالمسير في طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه خبره، ثم جاء أبو خزر مستأمنا سنة "تسعة وخمسين" فقبله، وأجرى عليه الرزق"[5]. ابن خلدون. المصدر السابق. ج4. ص 62.

[6] لم يتطرق ابن الأثير إلى حيثيات المعركة، ومثل ابن خلدون تطرق إلى مسيرة الجيش الفاطمي للأوراس "حتى بلغ مدينة "باغاية" وكان أبو خزر قريبا منها، وهو يقاتل نائب المعز عليها، فلما سمع "أبو خزر" بقرب المعز تفرقت عنه جموعه، وسار المعز في طلبه، فسلك الأوعار فعاد المعز وأمر أبا الفتوح يوسف بلكين ابن زيري بالمسير في طلابه أين سلك، فسار في أثره حتى خفي عليه خبره"[6]. ابن الأثير. المصدر السابق. ج 7. ص 297.

[7] Virginie Prévost. La révolte de bāġāya. p.197.

ويتفق أبو زكريا والشماخي على أن الرغبة في الانتقام من مقتل أبي القاسم يكون المحفز للثورة التي قام بها أبو خزر وأبو نوح[1]، إلا أنهما لا يكشفان عن طموح أبا خزر. هذه الثورة التي قام بها أبا خزر تشبه إلى حد بعيد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، حيث حاول الاتصال بالأمويين وطلب الدعم منهم لمحاربة الفاطميين.

وكانت هذه الثورة تمثل الانتفاضة الكبرى والأخيرة في تاريخ الإباضية الوهبية ببلاد المغرب بعد سقوط تيهرت، وشكلت الفرصة الأخيرة لاستعادة الإمامة، إذ كان أبو خزر ولفترة قصيرة إمام الدفاع، لأن الإباضية الوهبية اضطرت بعد الهزيمة العودة إلى مرحلة الكتمان، قبل أن تلجأ في النصف الأول من القرن الحادي عشر ميلادي إلى انشاء الحلقة الوهبية[2].

2–ظروف وأسباب قيام ثورة باغاية:

تفادت الوهبية الصدام المسلح مع أعدائهم، وعجزوا عن مواجهة النفوذ الفاطمي، وأدى ذلك إلى انطفاء إمامة الظهور مما حز كثيرا في نفس النكار فشنوها حربا شعواء ضد الفاطميين، وإذا كانت الوهبية أكثر استعدادا لممارسة فن الحكم، فإن الإباضية النكارية كانت أكثر استعدادا للمواجهة المسلحة[3].

كما أن الصراع الداخلي لدى الإباضية كان أقوى من الرغبة في التوحد ضد الفاطميين؛ فقد كان النكارية يشكلون رأس الحربة في ثورتهم على الفاطميين من خلال صاحب الحمار، الذي كان يعرف ولا شك مجال نفوذه جيدا[4]، وبعد ذلك حاول الفاطميون كسب رؤوس الإباضية كما فعلوا مع الصنهاجيين وهم وإن لم يستميلوهم نهائيا إلى صفهم فإنهم قد أمنوا جانبهم على الأقل، وبهذه الكيفية ظل أغلب الإباضيين يشاهدون من بعيد هزيمة صاحب الحمار الذي جنى على نفسه بما اختطه لنفسه من طريق الغلو وألب خصومه وأصدقائه عليه[5].

فشل المعز في محاولة تفادي المواجهة مع الإباضية بعدما دعاهم إلى ذلك عن طريق رسالة وخاطبهم في نص الرسالة التي بعثها المعز لدين الله الفاطمي إلى مشايخ الإباضية لما علم بأمر خروجهم والتهيؤ للثورة عليه

[1] يقول أبو زكريا حول أسباب الثورة أن "أبا القاسم لما قتل. (رضي الله عنه). بلغ في أهل الدعوة مقتله مبلغا عظيما و لم يجدوا في أنفسهم أن يصبروا عن حقه وعن طلب دمه. وعزم رأي الشيخ أبي خزر (رضي الله عنه) على القيام بثأره والطلب بحقه من الأئمة المسودة. هو ومن معه من المشايخ. ولكن لم يريدوا أن يحدثوا حدثا إلا عن مشورة أهل الدعوة واستمدادهم". سير الأئمة وأخبارهم. تحقيق إسماعيل العربي. المكتبة الوطنية. الجزائر. 1979. ص 142.

[2] Virginie Prévost. *Ibid.* p. 203– 204.

[3] المصف قوجة. المرجع السابق. ص 39 40.

[4] Cyrille Aillet, « l'ibadisme maghrébin en contexte fatimide. p. 144.

[5] المنصف قوجة. المرجع نفسه. ص 44.

358هـــ/ 969م، اقترح الخليفة عودة هذه القبائل إلى جهة تاهرت حقنا للدماء، حيث خاطبهم بقوله: "ارجعوا إلى بلادكم التي وليتموها من تاهرت وغيرها فتكونوا على ما كان عليه أوائلكم ونكون على ما كان عليه أوائلنا"[1].

3-الثورة:

بعد سقوط تيهرت عام 296هـــ/ 909م، وعدم قدرة الإباضية النكارية في مواجهة الفاطميين، تشكلت رغبة لدى الإباضية الوهبية (الذين تفادوا المواجهة المسلحة في البداية) في مواجهة الفاطميين بعد مقتل أبي القاسم على يد الخليفة الفاطمي، وقام بالثورة تلامذة أبي القاسم أبو خزر وأبو نوح استجابة لضغط القاعدة وأعيان المذهب وقياداته المعتدلين من الإباضية الوهبية[2].

أما عن واقع المجال الذي حدثت فيه هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الوهبية بالأوراس فيمكن أن نلاحظ حدوث الانقسام المذهبي بين جناحيه الغربي والشرقي، لكنه اختلاف مذهبي ظرفي؛ حيث كان غرب الأوراس نكارية والذي دام إلى غاية 336هـــ/ 948م، فبعد 22 سنة من مقتل أبي يزيد مخلد بن كيداد اندلعت ثورة باغاية؛ هذه الثورة التي اعتبرت محاولة يائسة إعادة الحياة لإمامة الظهور، بيد أن الكثير من النقاط ظلت غامضة خصوصا ما اتصل بتأويل أو تفسير العلاقات التي كانت بين زعماء الثورة والمعز بن باديس، كما أن هناك تساؤل حول كيفية قيام الإباضية الوهبية وهم الذين يعتبرون أنفسهم ورثة الخوارج الأول صلات تحالف مع الشيعة المنحدرين من سلالة كانت السبب في هزيمة الإباضية وسقوط دولة تاهرت وما الداعي إلى ذلك[3]؟

سجلت سنة 358هـــ/ 969م هذه المرة آخر ثورة إباضية وهبية كبيرة على تخوم الأوراس وبالزاب، ولشرح هذه الحركة التي قادها أبو نوح وأبو خزر وهما عالمان ينتميان إلى بني واسين بالجريد فقد تحدثت النصوص الإباضية الوهبية سلفا عن إعدام الفاطميين للعالم الإباضي أبي القاسم يزيد بن مخلد[4]، وبالإضافة إلى جزء من مدينة الحامة بالجريد فإن الثورة مست كذلك مدينة باغاي الواقعة في السفوح الشمالية لمرتفعات

[1] أبو زكريا. سي الأئمة. ص 142.

[2] المنصف قوجة. تاريخ الإباضية. ص 45.

[3] المرجع نفسه. ص 43.

[4] الدرجيني. طبقات المشايخ. ج1. ص 126، 135.

الأوراس وفاز بها واحدا من شيوخ زناتة الزاب وهو المنتصر بن خزرون، بعد كسب تأييد إباضية الزاب، ورجلة، الجريد وأريغ. حاصر المتمردون مدينة باغاي و لم ينجح حاكمها في هزيمتهم بسبب الظروف السيئة[1].

يعود الأوراس الشرقي في آخر محاولة لتكوين تحالف بين مجموعة من القبائل بقيادة أبا خزر "فأرسل إلى ناحية الزاب وأريغ ووارجلان يستفزهم ويستحشدهم"[2]، الوقعة ستكون حاسمة للإباضية، فقد جندت القوات الإباضية التي كانت مستعدة لمواجهة الفاطميين، وتمكنت من جمع الرجال من ورجلان الذين كانوا مستعدين المشاركة في القتال، حيث كانت ورجلان محطة في الطريق الرابط بين جبل نفوسة وتاهرت، بل وكانت أيضا مكان لتجمع الإباضيين في هذه المرحلة[3].

استطاع أبا خزر جمع من جيش قوامه "من مزاتة تعد باثني عشر ألف فارس. وأما الرجال، فلا يعدون"[4] وكان لأبا خزر يعلى بن زلتاف نشاط سياسي وعسكري هام، فبويع إمام الدفاع، وحشد جيشا لقتال المعز الفاطمي، وتوجه إلى باغاية سنة358هـ/ 968م، ولكنه تعجل الأمر قبل أن يصله المدد من أريغ، والزاب، وورجلان، وهو المجال الذي انحصرت فيه الجماعات الإباضية، فحاصره المعز واخفقت ثورته[5]، و لم تسعفه الجيوش القادمة من "أهل الزاب واريغ وورجلان، الذين خرجوا في جموع عظيمة، فخرج خزرون بن فلفول، فلما وصل خزرون ومن معه إلى الموضع الذي يقال له افودان تطلا[6]، وكان بينه وبين باغاي مسافة قصيرة، فيما قيل ... سمع بخبر الهزيمة فرجع"[7].

---

[1] سنتان بعد ذلك أي في عام 360هـ/ 971م، وفي جنوب الأوراس بمنطقة الزاب، ستصبح المنطقة بؤرة توتر من جديد للخروج على الفاطميين لأن حاكم المسيلة جعفر بن علي بن حمدون كسب ولاء بني برزال الإباضية ضد الخليفة المعز واعلانا لتحولهم لخلافة قرطبة فقد أقدم بني حمدون على وضع نهاية لسلطة الفاطميين بالزاب الغربي وقضوا على جند صنهاجة. لكن الزيري بلكين تمكن من القضاء على بني حمدون وحلفائهم بني برزال مما تسبب في انتقالهم بقوة نحو الاندلس وهناك دخلوا في خدمة المنصور بن أبي عامر وأسسوا بعد ذلك الإمارة البرزالية بقرمونة. ابن حماد الصنهاجي. المصدر السابق. ص 127.135 Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis », p.

[2] أبو زكريا . كتاب السير. ص 143.

[3] Virginie Prévost, « une tentative d'histoire de la ville ibadite de sadrāta », *mélanges de la casa de velázquez*. 38-2, (2008), p. 5. 6.

[4] أبو زكريا. المصدر نفسه. ص 143.

[5] زهير تغلات. الفكر السياسي الإباضي من خلال مؤلفات جابر بن زيد وسالم بن ذكوان الحلالي والبرادي والشماخي. الدار التونسية للكتاب. 2014. ص 134. معجم أعلام الاباضية، ج2، ص 477.

[6] أبو زكريا. المصدر السابق. ص 144. هامش 6، 7.

[7] أبو زكريا. المصدر السابق. ص 144. يحيل المحقق ان اللفظ ورد هكذا . وقد أورد المترجم رسمه العربي: افودان لكلا. واضح أنه مصطلح بربري وأنها لغة محلية لسكان جنوب باغاية بجنوب شرق أوراس.

انتهت ثورة باغاية بمواجهة عسكرية ضد الفاطميين بالطريق الشمالي الشرقي من جبال الأوراس، ولقي العشرات من الإباضية حتفهم، وظلت هذه الهزيمة تعرف "بوقعة الشهداء"، وكان سبب الهزيمة تدخل بلكين أولا وخيانة بني وايان؟ مما أدى إلى انسحاب القبائل الإباضية، أما السبب الثاني فهو حرص أبو خزر على الانتصار بدل انتظار وصول تعزيزات بعد الهزيمة عبر عن أسفه للمخاطرة بأتباعه[1].

4– نتائج وقعة باغاية:

لا نجد الكثير من النصوص التاريخية حول هذه المعارك الوهبية التي تصورها القلة القليلة من المصادر الإباضية في صورة رثائية لحال الأسرة الرستمية التي طوت إمامة الظهور نهائيا، وها هي وقعة باغاية تنهي مرحلة أخرى من مراحل مسالك الدين عند الإباضية والمتمثلة في **مرحلة الدفاع**، أما على المستوى الاجتماعي فإن هذه الهزيمة سيكون وقعها مؤلما لهذه الفرقة بحث أدت إلى تشتتها وانشطارها على مختلف المجالات والمناطق، وأصبحت الجماعات الإباضية معزولة عن بعضها البعض جغرافيا، وأصبح من الصعب لم شمل هذه الجماعات في إمارة مستقلة والذي أصبح أمرا شبه مستحيل، وأصبح البحث عن إيجاد نظام يضمن استمرارية هذه الجماعات ضروريا وملحا، كما يسمح لها بتنظيم حياتهم بينهم، مثلما كان الأمر أيام الإمامة الرستمية.

لقد فشلت القبائل والجماعات التي احتشدت في باغاية عام 358هـ/ 968م في تحقيق النصر، واستسلمت الإباضية أمام قوة أعدائها الفاطميين، و لم يعد هناك من إمكانية لاستعادة الإمامة بصورة فعلية وعادت الفرقة الإباضية إلى السرية (الكتمان) مرة أخرى، في إطار جديد يتمثل في "الحلقة"[2] بزعامة مجلس للأعيان يرأسه شيخ وهذا من أجل تنظيم الحياة داخل مجتمعاتهم المحلية، والدفاع عنها وتحقيق وصالحهم في إطار المبادئ الإباضية.

5- انتهاء الجماعات الإباضية:

بدأت تتلاشى الإباضية في شمال المغرب الأوسط مع سقوط أبي يزيد منتصف 10/ 4هـ، تحت ضربات الفاطميين وحلفائهم الزيريين، وتحولت هذه المجموعات إلى أقليات بالأوراس والحضنة مع ازدياد ضغط

---

[1] Virginie Prévost. La révolte de Bāġāya. p. 203.

أطلق على هذه المعركة "وقعة الشهداء" كما تدعي المصادر الإباضي، والتي تكون قد ضخمتها، فقد اختفت تماما من الذاكرة التاريخية المشتركة. بعدما تحالف رجال الزاب، وادي ريغ، ورقلة، وتؤكد المعركة استمرارية الجماعة الإباضية متماسكة واكتساب شرعية الثورة من خلال القيام بالواجبات الدينية والانصياع لدعوة المشايخ. Cyrille Aillet, *op. cit.* p. 138 139.

[2] حول الحلقة في منطقة ريغ التي تأسست في عام 1019، حيث تم انتخاب مجلس العزابة الذي اعتمد على نظام تدريس صارم وفق تعاليم المذهب، وقد شملت هذه التنظيمات كل مدن وادي ريغ ومزاب. Virginie Prévost. *op. cit.* p. 321.

فقهاء المالكية الذي أصبح مذهب الأمراء[1]، وكان انتهاء الجماعات الإباضية متوازيا مع انتشار قوة الحماديين وسيطرتهم على مختلف المجالات، إذ وجدت الجماعات الإباضية نفسها في مواجهة وضعية جديدة لم تستطيع مقاومة السياسيات الضريبية والدينية القاسية التي اتبعتها سلالتي صنهاجة (الزيرية والحمادية) المالكيتين.

لقد قررت النخب المالكية مصير الإباضية وفي نفس الوقت كانت السبب في حدوث مجازر من طرف الزيريين ضد الجماعات الإباضية، بعد الاضطهاد والمذابح التي قامت بها السلطة الشيعية في المدن الكبيرة من إفريقية في الفترة ما بين / 406هـــ/ 1015- 420هـــ/ 1030م، وأصبحت المدن الإباضية هدفا للسلالة الباديسية: الزيريين والحماديين مثل ما حدث عندما نهبت باغاية من طرف الحماديين[2].

ونشير إلى أنه لم يتم القضاء على الخوارج نهائيا في القرون التالية، بل إنهم انسحبوا نحو الأطراف الجنوبية للبلاد، ولم يبرهنوا قط عن النية في مناهضة السلطة أو محاولة الصراع ضد المالكيين، بل نشعر من خلال المصادر أنهم كانوا في حالة دفاع من أجل البقاء أكثر منها حالة هجوم[3]، وفي نفس الوقت استمرت النخب المالكية في التضييق على الأقليات المذهبية من الخوارج الإباضية الوهبية خاصة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، حيث أصبحت تعتبرهم من "أهل البدع" و"الضلال". لذلك اعتبرت هذه المواقف متشددة جدا وراديكالية اتجاه المذهب الإباضي[4]. وسيطال هذا العداء تحاشي التعامل معهم في الوظائف القضائية أو الإدارية أو الزواج والشهادة.

سابعا: الشيعة بالأوراس 296هـــ/ 909م:

1- محاور التوسع الاسماعيلي بالأوراس:

شهدت بلاد المغرب تدفق الدعاة، وانتشار الكثير من حركات الدعوة في مختلف المناطق في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي، ففي الوقت الذي نجحت فيه سلالة الحسن بن الحسن بن علي

---

[1] Allaoua Amara. La structuration desibadites-wahbites au Maghreb. p. 262.

تتحدث النصوص السنية وكذلك الإباضية – الوهبية عن الحملات المنفذة من قبل الحماديين والباديسيين بالجريد والزاب، يعود استئصال الجماعة الإباضية بباغاي إلى مؤسس الدولة الحمادية، هذا الأخير وضع النهاية لمزاتة في مدينة تامرنيت؟ التي انسحب منها السكان نحو واحات الصحراء مرافقين لقائدهم إسماعيل بن بشر بن إبراهيم بن ملال المزاتي. الدرجيني. المصدر السابق. ج2. ص413. أما بالنسبة للباديسيين فقد ارتكبوا عدة مجازر ضد الإباضيين خاصة خلال سنة 429هـــ/ 1037م متسببين في تهجير قسري للعديد من القرويين. ابن الأثير. المصدر السابق. ج3. 460. النويري. المصدر السابق. ج 24 . ص 208. Allaoua Amara. « Entre la Conversion et la mort ». p. 77.

[2] Allaoua Amara. *ibid.* p. 77- 78.

[3] Allaoua Amara. *ibid.* p. 77, 85. إبراهيم جدلة. المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي. ص 257.

[4] Allaoua Amara. *ibid.* P. 77.

بن أبي طالب من تكوين ملك الأدارسة العلويين بفاس نجد أن منطقة إفريقية ستشهد حركتان للدعوة؛ كانت الأولى في حدود عام 145هـــ/ 762م حيث أرسل إثنان من المبشرين من البيعة، يقال من قبل الإمام جعفر الصادق وصل في إفريقية. الأول، أبو سفيان، استقر في تالا في منطقة مرماجنة ويمكن أن تشكل نواة البيعة في الأوراس ونفطة. أما الثاني فهو الحلواني، حتى وصل إلى سُوجمار (نواحي قالمة)[1] واستقر في الناظور[2]. حيث اكتسب سمعة باعتباره رجل علم وتقوى. ودعايته كللت بالنجاح مع العديد من القبائل التي تنتمي إلى سماتة ونفزة وكتامة. وأما بعض تلاميذه الصغار فقد أدركوا أبا عبد الله الداعي. فعندما يترل في إفريقية سيجد بين أنصاره من قبيلة سماتة الكثير من الذين سيتم إلحاقهم بخدمته.[3]

أما الحركة الثانية للشيعة فقد قام بها عبد الله الشيعي في ظروف سياسية واجتماعية ساعدته في "إقليم كتامة"، المنطقة الجبلية التي فشل الأغالبة في اخضاعها، واكتفوا بمراقبتها عبر مجموعة من الحصون امتدت عبر ميلة، سطيف، بلزمة، باغاية، وقسنطينة. غير أن هذه الحصون لم تصمد طويلا أمام الجند الكتامي الذي نجحت الدعوة الإسماعيلية في تحويلهم إلى جنود مؤمنين وأوفياء للداعي أبي عبد الله الشيعي. فكانت هذه المنطقة أرض خصبة للعمل الثوري الإسماعيلي، وأصبح بذلك الداعي هو المؤسس الحقيقي للخلافة الفاطمية[4].

[1] محمد الطالبي. الدولة الأغلبية. ص 665- 666.

[2] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة. ص 54 – 59. محمد الطالب. المرجع نفسه. ص 652 – 657.

[3] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 78 – 80.

[4] Farhat Dachraoui. Les commencements de la prédication ismā'īlienne en ifrīqiya. *Studia islamica*. 20. 1964. p. 93 94.

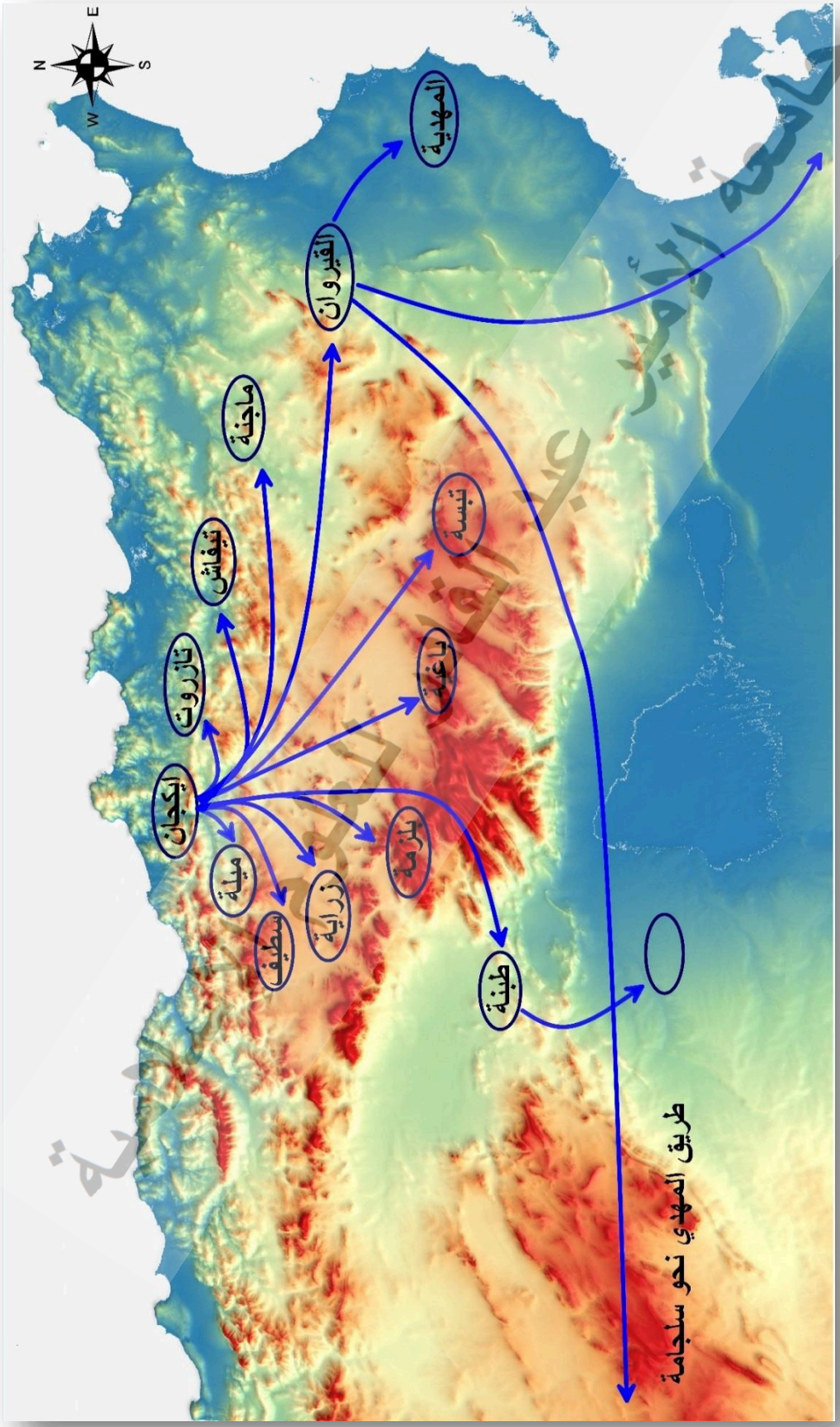

حملات توسع الشيعة الاسماعيلية بالأوراس.

2- الأوراس قبل التوسع الفاطمي:

شهد الأوراس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري محاولة اختراق عسكرية على حدوده الغربية والشمالية من طرف قبيلة كتامة التي اعتنقت وتبنت دعوة عبد الله الشيعي، في الوقت الذي اعتمدت فيه السياسة الأغلبية على إضعاف حامياتها على حدودها الغربية. وقد شكل الأوراس مجالا حدوديا طبيعيا للأغالبة عبر خط يمتد من تبسة، باغاية، بلزمة، نقاوس، ويمتد حتى طبنة.

وقد أشرنا في السابق إلى مذبحة بلزمة التي قام بها الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني عام 280هـ/ 893م، والتي تسببت في حالة من الريبة والخوف لدى باقي الحاميات في وقت عجزت الخلافة عن إنقاذ أتباعها بسبب مشاكلها حيث وقفت مكتوفة الأيدي أمام تقدم الزحف الفاطمي، كما أن نزاعا جرى في البيت العباسي أدى إلى عزل المقتدر وتولية المعتز، ثم دعوة المقتدر وعزله وتولية أخيه القاهر، ثم عودته من جديد إلى الخلافة مما حال دون التفكير في تقديم العون للأغالبة[1].

كما أدت هذه المجزرة إلى انهيار الجبهة الغربية الأغلبية (والتي تشكلها الأوراس)، بعد الثورة على إبراهيم الثاني، الذي تنازل عن العرش لفائدة ابنه أبي العباس عبد الله الثاني 289هـ/ 902م، فقد أججت تلك الواقعة حقد السكان على بني الأغلب وأنذرت بقرب انقراض دولتهم[2]، وأصبحت الناحية الغربية من إفريقية ثغرة واسعة في الجهاز الدفاعي الأغلبي.

وقد أتينا على هذه التفاصيل من أجل الوقوف على درجة النقمة لدى العامة، والجند، ومختلف الحاميات، وستتطور الأحداث في المستقبل القريب إلى انخراط الجميع وعلى رأسهم جند الحاميات في جيش الخصم المهدي؛ فقد كان عدد كبير من الجنود العرب يعملون في الجيش الفاطمي في مستهل عهد المهدي. ذلك أن بعض جنود الثغور كانوا ينتظرون سقوط آخر أمراء بني الأغلب للانضمام إلى الداعي والدخول في طاعة الإمام الذي كانت إفريقية تعلم أنه موجود في سجلماسة على استعداد لدخول رقادة وراء الداعي

---

[1] محمود إسماعيل. الأغالبة. سياستهم الخارجية. 184هـ- 296هـ. عين للدراسات. ط3. 2000. ص 57.

[2] إثر هذه الفاجعة وجدت الدولة الأغلبية نفسها-كما كان الشأن في عهد زيادة الله الأول أثناء ثورة منصور الطنبذي- على قاب قوسين أو أدنى من سقوطها. ولكن هذه المرة لم تتحرك الناصر المتمردة من الجند، بل أن سكان المدن والأرياف هم الذين شقوا عصا الطاعة في وجه السلطة؛ فقد ثارت أولا تونس والجزيرة ثم الأوراس وباجة وقمودة، وما لبثت أن اشتعلت نيران الثورة في كامل البلاد، ما عدا منطقة الساحل والشريط الساحلي الشرقي حتى طرابلس. فانزوى إبراهيم الثاني أول الأمر داخل الخنادق التي حفرها حول رقادة، ثم تمكنت جيوشه المعززة بالخصوص بالعناصر المخلصة من حرسه الأسود من تدارك الوضع تدريجيا فاستقر الأمير في تونس التي افتتحها من جديد بحد السيف... فكان تفاقم نفور الناس من إبراهيم الثاني، مما دفع الخليفة العباسي، المعتضد الذي بلغته شكوى من أهل تونس، إلى مطالبة تابعه بتحسين سلوكه مع البشر. الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 35- 36.

وأولياؤه الكتاميين. فلم يتردد حينئذ بنو أبي خترير من جند ميلة وبنو مالك من جند بلزمة، وبنو ملاس في الأوراس، وحامية طبنة وقائدها أبو المقري، حين فتح أبو عبد الله إفريقية، في خلع طاعة بني الأغلب وقد كانوا لا يعترفون بسلطتهم إلا اسميا، وذلك منذ وفاة إبراهيم الثاني[1]، وفي الوقت الذي كان فيه الداعي يحرض القبائل على الخضوع لسلطته بعدما انتقل إلى تازروت وفشل تحالفات يقودها رئيس لهيصة، مسالتة و لطاية، من أجل تشكيل المعارضة لدعوته في "دار الهجرة"، التي كانت منيعة، ووقفت في وجه أعدائها[2]، فكانت قبائل المنطقة تتوجس خطرا من حركة الداعي عبد الله الشيعي. ولعل النظام القبلي بهذه الأقاليم سهل من اجتماع القبائل وتشكيل اتحاد قبلي لمواجهة هذه الأخطار، بعدما تبين الناس عجز الأغالبة من الوقوف في وجه هذه التهديدات. بعدما فشلت حملة أبي حوال عام 289هـ/ أكتوبر 902م، القضاء على دعوة عبد الله الشيعي في المهد[3]. كما فشلت حملته الثانية في رجب 290هـ[4].

إن كسب المجال كان قضية هامة في تلك الفترة الحاسمة، خاصة وأن المناطق الحدودية الغربية للإمارة الأغلبية كانت قابلة للانفصال والاستقلال بسبب السياسة التي نهجها أمراء الأغالبة اتجاه هذه المناطق وحامياتها فلم يكن من السهل عند الداعي الشيعي التوسع بسهولة في منطقة جبلية عرفت بشدة تمسك القبيلة بمجالها؛ فالتوسع في هذا المجال يعني حتما تجريد وانتزاع المجال والثروة لهذه القبائل المجاورة لمجال كتامة، خاصة وأن هذه الدعوة قد ركزت كثيرا على الأرياف وهو عكس ما حدث لدى الفرق الأخرى التي كانت مرتبطة أكثر بالحواضر مثل الصفرية والإباضية.

استغل دعاة الإسماعيلية الأرياف البعيدة عن الولاة ومراكز المراقبة، الا أن العديد من القبائل قامت بتشكيل حلف قبلي للنظر في أمر هذا الداعي "فلما نظر الرؤساء والقبائل وولاة البلدان ذلك و لم يروا نهضة من إبراهيم بن احمد في أمره، خافوا زوال رئاستهم من أيديهم، وأن يغلب أمره عليهم، فكتب بعضهم إلى بعض وتراسلوا. فاجتمعوا وتعاقدوا. وكان ممن تعاقد على ذلك:

- موسى بن عباس صاحب ميلة.
- علي بن عسلوجة صاحب سطيف.
- وحي بن تميم صاحب بلزمة.

[1] فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية بالمغرب. ص 547.

[2] Farhat Dachraoui. *op. cit.* p. 96 97.

[3] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 110-111 .

[4] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة. ص 145-146. فرحات الدشراوي. المرجع السابق. ص124-125.

وهؤلاء أمراء هذه المدن عندهم العدة، وفيهم العدد والنجدة"[1].

لم يتوقف الأمر على هذا الحلف الثلاثي بين المدن الثلاثة، ولكن سعوا إلى توسيعه بضم القبائل المجاورة إليهم "ووالاهم على ذلك: فتح بن يحيى المسالتي، وكان يقال له الأمير، ومهدي أبي كناوة رأس لهيصة، وفرح بن جبران رأس اجانة، ونحل بن نوح رئيس لطاية، وزياد المتوسي رئيس متوسة"[2]. وما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الجماعات بالأوراس كانت قد تشيعت قبل وصول الداعي لمنطقة كتامة، وقد تكون قد سهلت من عمله في أثناء التوسع بالمنطقة؛ فعندما زحف الداعي على تيجس الواقعة شمال أوراس وتعرضه للمقاومة من القبائل المحلية، كان من بينها قبيلة معاد " وكان فيهم تشيع قديم"[3].

3- الفاطميون يفشلون في السيطرة على الأوراس.

شكلت معظم الأقاليم الواقعة تحت سيطرة السلطة الفاطمية مصدرا مهما لجلب الأموال التي كانت عماد السياسة الفاطمية، حيث اعتمدت على سياسة مالية جبائية، وقد جعلت جهازا إداريا خاصا بجمع الأموال ومراقبة كل نشاط اقتصادي يجري على الأراضي التي تخضع لسلطانها. وكان الدعاة أعضاء في هذا الجهاز يقومون بجمع الأموال للإمام في جزرهم التي يدعون فيها ويبعثون بها إليه منذ أيام الدعوة وقبل ظهور الدولة[4]، فقد نشرت الإمامة أعوانها في جميع الأقاليم من أجل إحكام القبضة على كل الموارد، ففي كل مدينة متول للخراج يتبع للخليفة مباشرة في أغلب الأحيان، يتولى جمع الأموال المستحقة من خراج وزكاة وعشر وغيرها. كما زرعت المراصد يعمل بها مرصدون يتولون مراقبة التجار والقوافل وما يحملونه. ويبدو أن هؤلاء المرصدين كانوا من العبيد[5].

وكانت سياسة العمال تعتمد وفق تعليمات الخليفة على استغلال أهل المدن والأرياف بواسطة الضرائب، وكان عددهم كبيرا، مما يجبر منظوريهم على التشكي للخليفة ذاته بل حتى على الثورة. وقد أدت هذه السياسة إلى تمردات وثورات ضد السلطة الفاطمية، ومثال ذلك الاضطرابات التي اندلعت في نواحي

---

[1] عماد الدين القرشي. تاريخ الخلفاء الفاطميين. ص 94 .

[2] المصدر نفسه. ص 94- 95.

[3] القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة. ص167. عماد الدين القرشي. المصدر نفسه. ص 120- 121. فرحات الدشراوي. الخلافة الفاطمية. ص 137.

[4] بوبة مجاني. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية. ص 283- 284. القاضي النعمان. المجالس والمسايرات. ص 103

[5] بوبة مجاني. المرجع نفسه. ص 172- 173. الحبيب الجنحاني. المجتمع العربي الإسلامي والحياة الاقتصادية والاجتماعية. ص 210.

"تيفاش" و"قصر الإفريقي" حيث تفاقم الوضع حتى اضطر المعز إلى توجيه الجيش اليها لإرجاع الأمن إلى نصابه[1].

وقد سلكت السلطة الفاطمية في مرحلة تالية سياسة المهادنة اتجاه مخالفيها خاصة في عهد المنصور، وقد أدت الانحرافات التي وقعت في عهد كل من المهدي والقائم إلى تذمر العامة والإعلان عن الثورة، لهذا حاول المنصور تجنب هذه الأخطاء وتسكين الناس باتخاذ سياسة مغايرة لسياسة من سبقه من الخلفاء[2]. إلا أن السياسة الفاطمية على مستوى القبائل تميزت بالتناقض والتغير الشديد من مرحلة لأخرى؛ فعندما اشتدت المعارضة حمل الإمام مسؤولية الثورة للموظفين الماليين. وبعد أن هدأت الأوضاع وتم القضاء على الثورة يعلن الإمام أن الضرائب حق لا يمكن أن يتنازل عنه. ويظهر هذا التلون في السياسة الفاطمية كذلك عندما يعلن الخليفة المعز لدين الله عن عدم قبوله للأموال التي تأتيه من العمال الجائرين، ويعد الرعية بإقامة الحق والإنصاف والعدل[3]. وهذه السياسة والمواقف التي أبدتها اتجاه القبائل أو العامة من الناس، هي نفسها التي ستتخذها اتجاه المالكية؛ حيث كان المنصور يحاول اقتلاع جذورهم عندما عاملهم باللين، بينما تتبع أهل الجبال تحسبا لقيام أية ثورة عليه[4]. إذا لا تزال ذكرى ثورة أبي يزيد في الأذهان[5].

والنتيجة الحتمية لهذه السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون ببلاد المغرب، أن أصبحت جسما غريبا مزروعا في المجتمع المحلي، وقد عمق هذه الوضعية تصرفهم في أغلب الأحيان كنحلة تعمل على حماية مصالحها

[1] إذا صدقنا أقوال القاضي النعمان وصاحب سيرة جوذر اللذين أشارا إلى ما ارتكبه بعض العمال الصقالبة من أعمال شنيعة، أمثال زيدان في تيفاش وبلخ في فندق ريحان وصافي في قصر الافريقي وغيرهم، فإن الخليفة كان يتبرأ دائما من مظالمهم. وكان ممثلي السلطة العبيدية وعيونها داخل المجال من الكتاميين أو الزيريين، هم الذين احتكروا الامتيازات الهامة والنفوذ الواسع، وبقية فئات المجتمع المغلوبة على أمرها والتي تصدر لحمايتها من جور الحكام شيوخ المالكية القيروانية وزهادها. غير أن محمود إسماعيل يرى أن الذين اتهموا المهدي بشطط سياسته المالية تجاهلوا حاجته الشديدة إلى المال لدعم دولة في المهد، كذلك فرضه الضرائب الباهظة على الطبقة الموسرة ليس الا... ومن ثمة يعزى اتهامه بالجور إلى خيال المؤرخين السنيين الذين نقلوا عن فقهاء المالكية بالقيروان، وكانوا يمثلون شريحة اقطاعية ثيوقراطية؛ صودرت ضياعها بعد قيام الدولة الفاطمية. جوذر. سيرة جوذر. ص 89 94. محمود إسماعيل. سوسيولوجيا الفكر الإسلامي. طور الازدهار–1 – الخلفية السوسيو تاريخية. سينا للنشر – مؤسسة الانتشار العربي. بيروت. ط3. 2000. ص 123. لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. ص 57.

[2] بوبة مجاني. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية. ص 102.

[3] المرجع نفسه. ص 266.

[4] المالكي. رياض النفوس. ج 2. 361 362. القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق أحمد أعراب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب. 1982. 3 359.

[5] بوبة مجاني. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية. ص 107

بالتنظيم والالتزام أكثر من العمل على نشر مذهبها[1]، وهذا ما يفسر المجازر التي انفجرت ضدهم بعدما دام الهدوء مع بداية القرن الخامس لفترة أقل من عشرين سنة. بعد مذابح 407هـــ، والتي ستنتهي ببداية ظهور ملامح القطيعة مع القاهرة.

ففي عام 409هـــ/1018م بعد قطع دابر الشيعة بالقيروان، يتحول **الأوراس** الذي كان يؤرق الخلفاء الفاطميين باحتضانه للثوار والمتمردين على سلطة الخلافة، إلى مقصد السكان الشيعة، فبعدما ظهر الغلاء المصحوب بالحروب الكثيرة، وأصبح قطاع الطرق ذارعين يمينا وشمالا بواحات الجريد واريغ، وهذا ما يشكل ضغطا على منطقة الأوراس التي سيلجأ إليها الفارون هروبا من حروب صنهاجة وزناتة[2]، فعادت النحلة الشيعة أقلية متخفية ببلاد المغرب، وستعود إلى الحواضر الجبلية للعيش فيها. بعدما أثبتت الأحداث على الإخلاص المطلق لسكان إفريقية للسنة المالكية، هذا الاتجاه الني قضى نهائيا على المذهب الشيعي بما في ذلك تلك المجالات القاصية المنعزلة في الجبال بما فيها إقليم كتامة نفسه.

قطع المعز الدعوة الفاطمية عام 440هـــ/ 1277م، "وقطعت الخطبة لصاحب مصر، وأحرقت بنوده... وأمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيديين؛ فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة، وللعباس، ولبقية العشرة رضي الله عنهم"[3]، ولذلك سصبح المذهب المالكي الذي عرف تطورا مهما بين القرنين الرابع والعاشر للهجرة، قادرا على أن يعطي الدولة التي تتولاه شرعية كبيرة، وكلما زاد ولاء الجمهور للمذهب والسلطة التي تحميه انفصل مفهوم الدولة عن مفهوم الأسرة الحاكمة. تضمحل أسرة فتخلفها أخرى ويبقى المذهب على حاله بمثابة الدستور المؤسس للمجتمع[4]. ولذلك صمد هذا المذهب أمام سياسة الفاطميين واحتضنه العامة ليعرف أوجه بعد رحيل الفاطميين من بلاد المغرب، كما تواصلت المجازر ضد الإسماعيلية طيلة الربع الأول من القرن الخامس الهجري، وفر الكثير من هؤلاء إلى جبال الأوراس، ولم يمر وقت طويل حتى لاحقتهم الإبادة الجماعية سنة 409هـــ/ 1019م، وهذا بمدينة باغاية، وقتل الكثير، منهم الشاعر الإسماعيلي البربري ميمون بن عبد الله الهواري[5].

---

[1] إبراهيم جدلة. المالكية وفقهاؤها بإفريقية في العهد الفاطمي. ضمن النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات. اعمال المؤتمر الدولي الأول (تونس16 17 18 نوفمبر 2012). الأطلسية للنشر. تونس 2014. ص 172.

[2] محمد الشريف. الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسي المعاصرة. ص 105.

[3] ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب. ج1. ص 277.

[4] العروي. ثقافتنا في ضوء التاريخ. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط4. 1997. ص 49.

[5] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص 132.

ثامنا: المالكية بالأوراس. أصول الوحدة المذهبية:

من الصعب العثور على حركية نشيطة على مستوى التغيرات الفكرية في مجال جبلي كان شبه مغلق أمام الحركية الثقافية وبعيدا عن تأثيرات النخب الفاعلة مثل ما كان عليه الأوراس في العصر الوسيط، فأغلب النخب دأبت على العيش قريبا من ممثلي السلطة أو في صراع معه. لكنها في الحالتين كانت تحتاج إلى بيئات ملائمة لها لا يمكن ايجادها في البيئة المغلقة للجبل، ولكن ينبغي استثناء أقلية جدا من الحواضر التي تقع على أطراف هذا الجبل، استطاعت استقطاب بعض من هؤلاء الفقهاء.

ورغم أن الطابع الجبلي العام لإقليم الأوراس حال دون وجود الحواضر الكبرى التي يمكن لها أن تستقطب كبار الفقهاء والعلماء وغيرهم إلا أننا نجد بعض الأسماء من هؤلاء في بعض الحواضر التي ازدهرت في العصر الوسيط لكنها لم تكن على نفس المستوى؛ فنجد على سبيل المثال مدينة باغاية التي ازدهرت في العهد الأغلبي والفاطمي وبداية الزيري الحمادي قد بدأت في الضعف والتراجع بعد ذلك، عكس مدينة نقاوس وتيفاش اللتان استمرتا في التطور إلى غاية العهد الحفصي خاصة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وهي الحواضر التي أعطت العديد من أسماء. وما تجدر الإشارة إليه هو إحجام المصادر قبل القرن الثامن الهجري/14م عن الحديث على هذا الجانب الذي يبقى إلى حد الآن مقتصرا على المدن والحواضر الكبرى عكس الريف والجبل. فهل هذا يعود إلى اكتفاء الجبل بالأدوار العسكرية السياسية والاجتماعية؟ أم صحيح أن هناك فقر في هذا الجانب وعزوف النخب عن الجبل؟ ولذلك نكتفي بالإشارة في هذا الباب إلى بعض الحواضر واستعراض نماذج من الأعلام الذين ظهروا في هذه الفترة، كانت لهم تأثيرات في المجتمع، ومثلوا نخبة المذهب.

إن **مدينة باغاية** رغم وقوعها في محور الصراعات السياسية المختلفة طيلة العصر الوسيط، ومنذ القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي مرت على مختلف مراحل تطور الحياة المذهبية بالأوراس؛ فقد استقطبت دعوة الإباضية، ثم تحولت إلى قلعة نكارية أثناء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد. وبعد مقتله عام 336هـ/ 947م، كانت باغاية قد شهدت آخر ثورة للإباضية الوهبية عام 358هـ/ والتي انهزم فيها الوهبية وتذهب ريحهم ليتحولوا نهائيا إلى أطراف بلاد المغرب، وكان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة من مراحل مسالك الفقه الإباضي الذي آثر اللجوء إلى العيش على هامش مجال الخلافة الفاطمية.

لكن السؤال المطروح هو: كيف كانت تأثيرات مختلف هذه المذاهب على مستوى النخبة في هذه المدينة أو غيرها من مدن وحواضر الأوراس؟ وهل أن إحجام المصادر وكتب الطبقات على هذا الجانب مرتبطا

بفقر المنطقة من هؤلاء الأعلام أم أن الأمر يتعلق بأسباب أخرى؟ فالواقع أن المذهب الإسماعيلي لم ينجح في خلق نخبة شيعية بباغاية، وهو الأمر الذي نجده أيضا في المذهب الإباضي.

غير أن الاستثناء نجده في ظهور كوكبة من فقهاء المالكية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في بعض مدن الأوراس، ومنهم **الفقيه أبو العباس الباغائي**: واسمه أحمد بن علي بن أحمد المقرئ الحافظ. وكانت حياته حسب المصادر كلها خارج الأوراس، حيث نجده بقرطبة بالأندلس، ثم في مصر. قال عنه ابن حيان: "كان ربانيا في علوم الإسلام، جم الرواية، شديد الحفظ، آية في ذلك، لم يخلف بعده أحدا يفوقه في علوم القرآن، وهي كانت الغالبة عليه، وكان بحرا من بحار العلم؛ له تآليف في أحكام القرآن، وكانت له خاصة من العامرية، وقدم للشورى إثر موت ابن المكومي، فلم يطل أمره، وكان أبو عبد الله بن عتاب يستحسن تأليفه في الأحكام، وقرأه عليه. وتوفي في ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة[1].

انتقل إلى الأندلس سنة ست وسبعين وثلاث مائة، وقدم إلى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستأدبه المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، ثم عتب عليه فأقصاه، ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة مكان أبي عمر الإشبيلي الفقيه على يدي قاضيه أبي بكر بن وافد، و لم يطل أمده.

وكان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، وله كتاب حسن في "أحكام القرآن" نحا فيه نحوا حسنا وهو على مذهب مالك رحمه الله.

أما في مصر فقد روى عن أبي الطيب غلبون، وأبي بكر الأذفوني، وغيرهما. قال ابن حيان: توفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة[2]. **أما ابنه أبو بكر**، فقد خلفه بجامع قرطبة للإقراء، وكان حسن التلاوة، ذا حظ في الفقه، وبصر بالشروط، طاهر الثوب[3].

لا تسمح المصادر المختلفة وخاصة كتب الطبقات والتراجم إيجاد واقع الحياة المذهبية في الأوراس من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، ولا شك أن الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة منذ رحيل

---

[1] القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك. ج7. ص 198.

[2] ابن بشكوال. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. تونس. 2010. ج1. ص 136- 137. شمس الدين الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2003. مج9. ص 25-26.

[3] القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك. ج7. ص 198.

الفاطميين وما أعقبه من تبعات سلبية ليس فقط على الأوراس بل في كامل منطقة الغرب الإسلامي، قد أثر على إفقار المنطقة وتحولها إلى ملجأ لمختلف القبائل التي كانت في صراع مع البدو، أو الهجرة نحو مناطق أكثر أمنا نحو الساحل أو الاتجاه غربا.

يضاف إلى هذه العوامل، الظروف الاقتصادية التي ستشهدها نهاية القرن الرابع في عام 395هـ/ 1005م، بإفريقية التي تميزت بانتشار المجاعة وأعقبها وباء واسع، يقول عنه ابن عذاري: "انكشف فيها الستور، وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلت الأسعار، وعدمت الأقوات، وجلي أهل البادية عن أوطانهم، وخلت أكثر المنازل، فلم يبق لها وارث، ومع هذه الشدة، وباء وطاعون هلك فيه أكثر الناس من غني ومحتاج، فلا ترى منصفاّ إلا في علاج، أو عيادة مريض، أو آخذ في جهاز ميت، أو تشييع جنازة، أو انصراف من دفن" وقد أدت هذه المجاعة التي صاحبها الوباء يضيف ابن عذاري إلى أن "مات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم تعالى"[1].

أما في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، نجد عالم باغائي هو **فتوح بن الغزال الباغائي**، عاش بالقيروان، وجمع بين الفقه والعلم، وكانت له مكانته الخاصة من السلطان، وكانت نهايته القتل في ظروف الفتنة، يقدم لنا القاضي عياض تعريفا وافيا بشخصه ويقول عنه أنه: "كان فاضلا، فقيها، موسرا، خيرا، حسن الطريقة، منظورا إليه ببلده، رأس على من فيها من العلماء بعلمه، وبخيره، ومكانته من السلطان، وكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، وكذلك كل من كانت له بها رئاسة، من عربها وعجمها فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطان مشغول بفتنة القيروان إذ ذاك، المذهلة، فأجابهم ووجه فيه، فأمر بقتله بالرماح في حضرتهم، فقتل وترك مطروحا يومين. وكان له ابن على صغر سنه ذا علم بالفقه، وانتهبت أمواله، وكشف عياله"[2].

كانت حياته بالقيروان وفيها مات، ونتيجة للأوضاع التي عليها إفريقية، وانتشار السلب والنهب الذي عم فيها، فإن ممتلكات الفقيه فتوح الباغائي لم تسلم حتى بعد مقتله "وكان فيما انتهب له كتب بنحو ألفي (2000) مثقال. وكان ذلك كله منتصف شعبان من سنة ستة وأربعين. (446هـ/ 1054م)"[3].

بعد ذلك يغيب مجال الأوراس طيلة القرن الخامس وإلى غاية الربع الأخير من القرن السادس عن المشهد الثقافي، ولعل الأحداث المتعلقة بزحف القبائل الهلالية وإشراف الكثير من قبائل البدو وفروعها على

[1] البيان المغرب. ج1. ص 356 357.

[2] القاضي عياض. ترتيب المدارك. ج8. ص 75 76.

[3] المصدر نفسه. ج8. ص 76.

الأوراس تكون قد حدت من العلاقة بين حواضره وباقي المدن والعواصم وخاصة القيروان التي تراجع اشعاعها في هذه الفترة، يضاف إلى ذلك تحول مجالات الأوراس وخاصة أطرافه إلى منطقة صراع بين مختلف القبائل البدوية والكيانات السياسية، مثلما أشرنا إلى أحداث حركة ابن غانية وآثارها الكارثية على المنطقة في الربع الأخير من القرن السادس 581هـ/ 1185م. وقد استمر هذا الوضع إلى غاية قيام محاولات من طرف سلطات تونس الحفصية من أجل إخضاع القبائل المتمردة، و لم تستثن هذه التدخلات حتى من الحكام المرينيين مثل حركة أبي عنان المريني.

أمام هذه التغيرات انحصرت الحركة الثقافية المذهبية بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، على طرفي الأوراس الغربي والشمالي الشرقي. إذ يمكن تحديد ثلاثة حواضر هامة في هذه الفترة عرفت بأعلام مشهورين في كل من تيفاش وباغاية ومدينة نقاوس.

مدينة تيفاش التي تراجعت بعد القرن الرابع الميلادي حيث كانت من أهم الولايات الفاطمية، تعود في نهاية القرن السادس الهجري، وتصبح معروفة بعلم كبير يقول عنها الحميري: "إليها ينسب مؤلف كتاب "مشكاة أنوار الخلفاء وعيون أخبار الظرفاء" **عمر التيفاشي**، وهو كتاب مطول حسن ممتع ضاهى به عقد ابن عبد ربه فأبدع"[1].

ولد **عمر التيفاشي** بتيفاش سنة 580هـ/ 1184، لا تخبرنا المصادر عن ظروف نشأته والفترة التي قضاها بهذه المدينة إلى غاية رحيله إلى مصر، وبين تيفاش والقاهرة كانت هناك رحلة العالم الفقيه التي امتدت إلى بلاد الشام عبر الديار المصرية حيث توفي بالقاهرة سنة 651هـ/ 1253م.

كان عمر التيفاشي بارعا في الأدب وعلوم الأوائل، كان له الشعر الحسن والنظم الجيد والمصنفات العديدة في فنون العلم، قدم الديار المصرية وهو صغير فقرأ بها على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ورحل لدمشق وأخذ عن تاج الدين الكندي ثم رجع لبلاده وولى قضاءها ثم رجع لمصر، كتب عنه الحافظ ابن مسدي وابن الصابوني وغيرهما[2].

وهو قاضي وطبيب ولغوي وأديب وشاعر وجغرافي وفلكي، واشتهر كعالم معادن وحجارة، وأول من ألف من المسلمين في علم الإرصاد الجوي[3]. وقد ألف في مصر كتابه الشهير "أزهار الأفكار في جواهر

[1] الحميري. الروض المعطار. ص 146.

[2] ابن مخلوف. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الفكر. بيروت. ص 170.

[33] مليكة بن عطاء الله. أحمد التيفاشي وإسهاماته العلمية. مجلة الذاكرة. 5. (2015). ص 75.

الأحجار" كتاب في علم المعادن". والذي انتهى من تأليفه سنة 640هـ/ 1242م، ويقع في خمسة وعشرين فصلا يختص كل فصل بدراسة معدن من المعادن من حيث مكوناته وخصائصه وقيمته. فضلا عن مؤلفاته في الطب حيث ألف كتاب "الشفا في الطب المسند عن السيد المصطفى" و "الوافي في الطب الشافي" و "المنقذ من التهلكة في دفع مضار السمائم المهلكة". أما في الجغرافيا فألف "سجع الهديل في أخبار النيل"[1]. وقضى بقية حياته بمصر حتى وفاته بالقاهرة أين دفن في مقبرة باب النصر.

لا يمكن فصل الواقع السوسيوثقافي للأوراس عن الأقاليم المجاورة له والتي كانت محل نقد من قبل العديد من أصحاب النصوص الرحلية المتعلقة بالغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، ولو أنها كانت محكومة إلى شخصية وثقافية الرحالة في قدرته على إعطاء صورة محايدة وموضوعية عن الواقع[2]، وهذا ما نجده في نص الرحالة البلوي في عالم 737هـ/ 1336م، عندما كان في الطريق إلى تونس ومارا ببلد العناب وقسنطينة التي قدمها من بجاية واصفا ظروف المجال الشمالي للأوراس المحاذي لبلد العناب، إذ يقول: "فدخلنا في أمر عظيم، وطريق غير مستقيم، وعذاب يوم عظيم، نصعد على التهائم ونغور في النجود ونسلك كل مخدع لم يكن بالمألوف ولا بالعهود. ولا كان مسلكا إلا للذئاب واللصوص والأسود، إلى شعراء بالخوف مشعرة، وأرض خالية مقفرة، وجبال منخرقة في الجو وعرة، تقطع الأسباب، وتخلع الألباب"[3]. وتكون هذه الظروف غير مناسبة، بل وعدائية لأي تطور أو ازدهار للجوانب الحضارية للمدن والحواضر، وتؤدي إلى تراجعها وترديها أكثر.

استمرت هذه الظروف حتى عهد ابن خلدون في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وبنظرة أكثر تشاؤمية يعطي ابن خلدون بعدا أكثر شمولية لأوضاع المنطقة، ويقف كشاهد عيان على تردي أوضاع بلاد المغرب وتراجعه في كافة الميادين: "وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن

[1] مليكة بن عطاء الله. أحمد التيفاشي وإسهاماته العلمية. ص 78-81

[2] إذا كان من الصعب التأريخ للأحداث والأعلام اعتمادا على مصدر واحد، فإن الأمر يصبح أكثر تعقيدا للتأريخ للجانب الفقهي والثقافي العام لمنطقة ومجال ما من خلال انطباع جغرافي أو حالة فقط. ولو أننا نجد من يدافع عن أهمية وقيمة النص الرحلي مثلما نجده عند إبراهيم الحجري الذي يرى أن تحول الانطباع والمشاهدة إلى نص مكتوب هو نص الرحالة يحصل التحقق النصي لمسار الرحلة، وتدخل هذه التجربة بوابة الخلود وتتنصل من الطابع الفردي، ويتاح لها أن تعيش حيوات أخرى، وأن تمتد حتما إلى سياقات مختلفة، يفرضها منطق التحول من عالم الذات المغلق إلى عالم الآخر المنفتح. ووجود نص الرحلة كوثيقة منجزة للدارسين أرضية خصبة للكشف عما تحتويه هذه الوثيقة الرحلية من معطيات يطبعها التعدد والاختلاف. فترتب عن ذلك اختلاف وجهات النظر والرؤى بصدد طبيعتها وهويتها. إبراهيم الحجري. شعرية الفضاء في الرحلة الاندلسية. نموذج القلصادي. ص 50.

[3] البلوي. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. تحقيق الحسن السائح. مطبعة فضالة. المحمدية. المغرب. ج1. ص 152.

المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم، هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف[1]، الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفل من حدها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل"[2].

مجاليا فإن آثار المجاعات والأوبئة تختلف ببلاد المغرب من منطقة إلى أخرى حسب ظروف كل إقليم التضاريسية والطبيعية نتيجة الاختلافات الشديدة والتنوع في البيئات بين المناطق الجافة الصحراوية ومناطق السهوب، والأقاليم الجبلية التي لا يمكن أن تكون على نفس المستوى من باقي المناطق لما يمكن للجبل أن يوفره من إمكانيات الاستقرار قد لا تتوفر عليها الأقاليم الأخرى.

هذه العوامل تساهم في الإسراع بالانهيار والتدهور ولكنها لا تستطيع أن تفسر بمفردها وضعا ديموغرافيا مثل وضع الغرب الإسلامي الذي تميز طيلة القرون الأخيرة من العصر الوسيط بالتقهقر والتقلص. فالجفاف والأوبئة التي هي ظواهر طبيعية مستقلة عن إرادة الإنسان تحدث عند وقوعها قطيعة في التطور الذاتي للهياكل الديموغرافية وتكون لهذه الظواهر الكوارث انعكاسات على سير المجتمع والإنتاج الاقتصادي ولكن وقع الكارثة يبقى دوما مرتبطا إلى درجة كبيرة بمدى سيطرة الإنسان على محيطه[3].

---

[1] تتفق جل الدراسات الحديثة على أن عام 749هـ/ 1348م هو تاريخ ولادة الطاعون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وإذا اعتبرنا هذا التاريخ بداية مرحلة جديدة في تاريخ الأوبئة بالغرب الإسلامي الوسيط ولأن هذا الوباء الذي تميز بالشدة والشمول كان منطلقا لسلسلة من الطواعين ستستمر حتى بداية العصور الحديثة وكانت لها أعظم النتائج على تاريخ المنطقة الديموغرافي. وقد أحصى أحمد السعداوي عدد هذه الطواعين ببلاد المغرب والتي ابتدأت بالطاعون الأعظم واستمرت حتى منتهى القرن التاسع الهجري أي على طول قرن ونصف القرن وذلك سنوات (749- 750هـ)، 766هـ، 769هـ، 796هـ، 805هـ،(815هـ- 818هـ)، 844هـ- 847هـ)، (856هـ- 857هـ)، (871هـ- 873هـ)، 898هـ899هـ)، (905هـ- 906هـ). أحمد السعداوي. المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديموغرافية. الديموغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي. عمر بن حمادي، رشيدة برور وآخرون. دار سراس. تونس. 1993. ص 39 41.

وقد ألف ابن الخطيب "مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749هـ"، ذكر فيها ابن الخطيب ظروف ظهوره، وأعراضه الأولى، وطرق الوقاية منه. يقول عنها: وقد كنا عند اضطراب الناس في أمر الطاعون العام، أملينا يوما بباب السلطان على من به من الأطباء مقالة نبيلة، هي اليوم مشهورة شائعة" وقد أهداها برسم أمير المسلمين سلطان مملكة غرناطة الغني بالله أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج بن الوليد بن نصر (755هـ- 793هـ). مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل. تحقيق حياة قارة. دار الأمان. الرباط. ص 58 من مقدمة المحقق.

[2] المقدمة. تحقيق. علي عبد الواحد الوافي. ج1. ص 325- 326.

[3] أحمد السعداوي. المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط. ص 43.

ولا يمكن إنكار مدى قدرة هذه الأوضاع على التأثير الحتمي في الحياة العامة للمنطقة، إذ سيكون لها صدى على أحداث المنطقة المتعلقة خاصة بتراجع العلوم خلال القرن 8 هـــ/ 14م، وأصبحت حسب أحد الباحثين منقسمة بين علوم مدينية سلطانية، وريفية هامشية من عمل الزوايا؛ وأصبح العلم في نهاية الأمر مرتبطا بالسلطان، يوجهه ويراقبه، ووطد هذه المراقبة عجز العلماء (الفقهاء) عن القيام بدورهم كمفكرين لأنهم بقوا يدورون في حلقة مفرغة يجترون الماضي دون الإلمام بواقع عصرهم. وقد كرس هذا التقوقع العلمي والفكري القطيعة بين النخبة وبقية السكان عاكسا انفصال السلطان عن المجتمع وافقه انفصال بين علم رسمي يهدف إلى الخطة والارتباط بالسلطان وعلم "هامشي" شمل المدن والأرياف على السواء[1]، أما بعد القرن الثامن الهجري وإلى غاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فالمصادر تحجم عن التطرق إلى أوضاع هذا المجال باستثناء ما يقدمه لنا عبد الكريم الفكون[2] في القرن العاشر الهجري من أعلام وفقهاء أوراسيين.

فقهاء مدينة نقاوس:

في القرن العاشر الهجري ازدهرت مدينة نقاوس، ويقدم حسن الوزان وصفا لهذه الحاضرة وهو منبهر بما وجده من رقي فيها، ويقارن سكانها بسكان مدينة بجاية، ويقول أنها تحتوي "مدرسة للطلاب يتكفلون بلباسهم ويتحملون نفقاتهم، وجامع جميل فسيح جدا فيه كل ما يحتاج إليه"[3].

ولعل توفر المدينة على مدرسة[1] تعطي دلالة على مستوى متقدم من التطور الذي كان في هذه الحاضرة. لذلك فقد برز الكثير من الفقهاء من هذه المدينة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وأهم هؤلاء:

---

[1] إبراهيم جدلة. قراءات في الفكر الخلدوني هل كان ابن خلدون فعلا رمزا للعقلانية العربية. الثقافية للنشر والتوزيع. تونس. 2018. ص24.

[2] من أهم هؤلاء يستعرض الفكون عالما وصالحا التقاه، وكان صديقا لجده، هو **أبو زكرياء يحي بن سليمان الأوراسي (ق 10هـــ/16م)**، ويقول عنه أنه: "كان مصادقا للجد مؤاخيا له في الله"، قرأ على عمه قاسم. وأخبر الفكون أن جده كان ممن يحضر مجلس درسه، اطلع الفكون على تقاييد له في مسائل الفقه والنحو وعلم البيان، وكان "يميل إلى التصوف، وله من أصحابها سلسلة وخرقة". اشتغل بالإفتاء في مدينة قسنطينة وبمدينة الجزائر، ونتيجة لما يتميز به من أمارات الزهد والصلاح حيث كان الناس يستشيرونه في أمورهم، كما أن قطاع الطرق والبدو الأعراب كانوا يخشونه، فأثار ذلك حسد خصومه الذين وشوا به إلى الأمراء، ففر من قسنطينة لجبل أوراس مع أخوه العباس أحمد معه. وبالأوراس ستتحول هذه الحركة إلى العنف الثوري، و"كان من أمرهما أنهم استقلوا به ودارت عليهم العربان وأولاد عيسى وكرفة وغيرهم من المتمنعين، وقام بهم أخوه أحمد المذكور والناس يرون أن سيدي يحيى هو القائم لشهرته واعتقاد الناس فيه، وتحملت لهم عساكر الجزائر ووقعت بينهم حروب كثيرة ورجعوا عن غير ظفر منهم، وبقي كذلك مدة إلى أن قتل رحمه الله، بحالة غدر من بعض الفرق فبيتوه فغدروه"، وقام ابنه من بعده إلا أنه لم تطل أيام قيامه حتى رجع وانسلخ وتاب وسكن البلد، ثم خرج ومكث ما يزيد على الخمسة عشر عاما، ويذكر الفكون أنه ربما عاد للثورة في عام 1662م حسبما قيل له. منشور الهداية. ص 54 55.

[3] الحسن الوزان. وصف افريقية. ج2. ص53.

1- **أبو العباس النقاوسي:**

هو الشيخ الفقيه العالم، التقى به البلوي في تونس عام 737هـ/ 1337م، وقد تأثر به كثيرا، وربما كان لقاؤه به قد جعله يغير انطباعه السابق عن مجالات سير رحلته شمال الأوراس من قسنطينة إلى تونس، قال عنه أنه كان: "حافظ مجيد، وحامل مجيد، وناقل سديد وناقد شديد، وعالم فريد، ومدرس مقيد، له طبع حل فيه الذكاء والنبل، وقل فيه لوابل كرمه الطل والوبل، إن واخاك رأيت الأنس قد ارتدت ذواهبه، وعادت مذاهبه، ووجدت الزمان قد لانت صعابه، وبانت شعابه، وأولاك ودادا أخلصت سريرته، وحمدت في شرعة الوقاء سيرته، فلا حمد إلا ما قد تصفحته له صفحات الفلا، ولا عهد إلا ما حفظه وإلا فلا.

حسن الوفاء مرشح بخلائق تجري مع الماء الزلال إذا جرى[2].

انتقل إلى تونس التي رحل إليها من تلمسان قبل محاصرتها، وفيها اشتغل بالتدريس وأصبح أحد أعلامها. "وأحد من برع في علمي البيان والكلام، وأوجد الناس للدر إذا خاض بحر العلوم بسوابح الأقلام، أديب العصر ونحويه، وعرضيه وبيانيه، وحكيمه ومنطقيه، وعددية وفرضية، وأصولية وجدلية، وتعاليجية وأرتماطيقية، جمع أشتات هذه الفضائل وكان فيها صائلا ليس بضائل، وعلم اللغات وسائرها، وفك الأعاريض دوائرها، إلى احاطة بعلم التفسير والحديث، وسلاطة على المطالعة والمذاكرة في القديم والحديث، أما الفروع والأصول فبه كنت فيهما أصول، ولم تريعني قط شرقا وغربا أسرع منه نسخا وكتبا"[3].

لما وصل البلوي تونس وعلم به أبو العباس النقاوسي التقى به وأقام معه في مترله، وقرأ عليه جميع تآليفه في العروض الذي سماه بالروض الأريض في علم القريض، وجميع تآليفه في الأدب الذي لخص فيه رسالة أحكام صنعة الكلام من إنشاء الوزير الكاتب أبو عبد الله بن عبد الغفور، وكتبها له بخطه، وأجاز له جميع ما رواه وألفه من تآليفه التي أبدع فيها تلخيص مشكل الحديث لابن فورك، وكتاب حديقة الناظر في تلخيص المثل السائل في علم البيان، وشرح كتاب المصباح لابن مالك، وكتاب إيضاح السبيل والقصد الجليل في علم الخليل في شرح قصيدة ابن الحاجب العروضية، وله تآليف غيرها مما عرف بحمد الله قدرها، وأشتهر على

[1] كانت المدرسة تعبر عن مرحلة من التجانس المذهبي والفكري، ومثلت أطرا لا يمكن الخروج عنها، ساجنة الحركة الفكرية في مجال الاجترار والتبسيط، فإن التقائها بالزاوية بما يعنيه ذلك من مزيد انتشار التعليم في المدن والأرياف وتبسيطه، جاء في فترة تميزت بعدم الاطمئنان إلى الطبيعة والبشر والسلطان وهو ما جعل الحركة الفكرية تتجاوز النقل إلى الخرافة. إبراهيم جدلة. قراءات في الفكر الخلدوني. ص27.

[2] البلوي. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. ج1. ص 187.

[3] البلوي. المصدر نفسه. ج1. ص 188.

الألسنة ذكرها[1]، وقد نقل التنبكتي عن البلوي أخبار الفقيه أحمد النقاوسي أبي العباس، وقال أنه "أخذ عن الناصر المشدالي وابن راشد القفصي"[2].

2- **أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي النقاوسي القسنطيني (ق 9هـــ/15م):**

محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن أبي علي. أبو الطيب بن أبي عبد الله المغربي النقاوسي القسنطيني المالكي: ارتبط هذا الفقيه العالم بأبيه الذي كان قاضيا، وبعد قراءته القرآن واشتغاله قليلا ارتحل إلى قسنطينة للطلب ثم إلى تونس وأخذ الفقه عن إبراهيم الأخذري وأصوله مع المنطق والعربية والمعاني عن أحمد النخلي ومحمد الواصلي، وبعد وفاة والده ارتحل إلى الديار المصرية في سنة 869هـــ/ 1464م[3].

3- أحمد البجاوي النقاوسي:

كان فقيها وعالما، قال عنه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي: شيخنا الإمام المحقق جامع علمي المعقول والمنقول ذو الأخلاق الرضية والأحوال الصالحة السنية، ومن شيوخه: الإمام أبي مهدي عيسى الغبريني وأبي عبد الله المراكشي وغيرهما. وله شرح في غاية الحسن على المنفرجة[4].

ثانيا: مدعي الولاية بالأوراس:

بعد القرن (8هـــ/ 14م) وفي سياق تشكل حركة المرابطة، كثيرا ما ظهرت طموحات لدى الكثير من المغامرين والفرسان من مختلف القبائل لاستغلال تردي الأوضاع العامة التي كانت عليها البلاد، وبمساعدة من قبائلهم حاولوا انتحال صفة "المرابط"، وبسطوا سيطرتهم على المسالك وفرضوا الضرائب على المسافرين، ونالوا بذلك سلطة على مجالات كثيرة. وقد انتشر بعض هؤلاء بالأوراس ومنهم:

---

[1] البلوي. تاج المفرق. ج1. ص 188 189.

[2] أحمد بابا التنبكتي. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ج1. ص 95- 96. + كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديبا. دار ابن حزم. 2002. ص 44.

[3] في أثناء إقامة أبو الربيع سليمان النقاوسي بمصر اشتغل بالعلم وأخذ عن الشمني في حاشيته والتقى الحصني في المنطق وغيره والشرواني في شرح الطوالع وغيره من طبيعي وإلهي ورياضي، والكافياجي ولازم الأمين الأقصرائي في التفسير وغيره والفقه عن يحي العلمي وآخرون. وطلب الحديث وقتا وأخذ عن بقايا الشيوخ وكتب بعض الطباق، وبعدما حج من بالقاهرة عاد إلى بلاده واشتغل كقاضي العسكر لحفيد مولاي مسعود وصار أحد عدول تونس. لكنه أراد الانتقال إلى الحجاز، وارتحل عبر مصر حيث استقر ثلاثة أشهر ثم مكة التي التقى فيها بالسخاوي. ودخل المدينة المنورة في عام 897هـــ/ 1491م، حيث درس بها وكان يريد المقام فيها حسبما قال للسخاوي. شمس الدين السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الجيل. بيروت. ج10.ص 7- 8.

[4] نيل الابتهاج بتطريز الديباج. ج1. ص 111-112. كفاية المحتاج، ص 55.

1- **قاسم بن أم هانئ وثورة والده نواحي نقاوس:**

ظهرت حركة قاسم بن أم هانئ[1] في جبال نقاوس بعد وفاة جده الذي كان مسيطرا على المنطقة. تظاهر في البداية بالزهد والخلق الحسن مواظبا على الصلاة والصوم ولبس الغرارة، لذلك استمال قلوب الناس وتعاطفهم معه، وبعد أن شق ولده عصا الطاعة بمنطقة نقاوس وتدخل عساكر قسنطينة، فر إلى الجبال المجاورة وتعاظمت مفاسده بلجوئه إلى البدع، فكان يجمع الزكوات والأعشار مستغلا تظاهره بالزهد فانتشرت أخباره في الأرياف والبوادي التي بث فيها أحاديث عن كراماته ليستميل إليه تعاطف الناس ويردع اللصوص وقطاع الطرق[2].

2- **محمد الملقب الحاج.**

غير بعيد عنه وفي مدوكال نجد **محمد الملقب الحاج**.كان يقال له الصحراوي وفي ابتداء أمره اعتمد الخلوة والعزلة، ثم إنه أظهر أمره أهل البادية والأعراب، وتصدر لرئاسة إعطاء العهد وخالط مشيخة الأعراب ورؤساءهم. ومبدأ ظهوره في ناحية الغرب نواحي القلعة ومسكنه قرية "مدوكال"، واتخذ زوايا ورعايا تزكي عليه ويأخذ منها الجبايا والأعشار، واعتقد فيه أهل القطر الغربي وناحية بسكرة وما حواليها، وأظهر ما أظهره غيره من الإعطاء والمنع والعزل والولاية...[3]. وبعد تحالف محمد الحاج مع قاسم ابن أم هانئ أصبح أتباعهما يقتسمون السلطة على الزوايا والإقطاعات والزكوات فيما بينهما.

3- **أحمد بن بوزيد:**

جاء به أبوه مع أخيه ووالدهما من "بلد نقاوس" إلى قسنطينة فارين منم الفتنة التي تسبب فيها الترك في المنطقة والتي وقعت في عام 975هـــ/ 1567م، وفي الطريق اعترض سبيلهم لصوص من "ريغة" وسلبوهم جميع ما كان معهم من متاع، ولذلك لجأ أبوهم إلى جبل الأوراس حيث كان مسكنه ، وهناك اجتمع بهم الناس، وبقي هو في الخلوة سبعة أيام، ثم رحل إلى قسنطينة[4].

---

[1] الكريم الفكون . منشور الهداية. ص 117 118.

[2] المصدر نفسه. ص 118- 119.

[3] المصدر نفسه. ص 142.

[4] المصدر نفسه. ص 158- 160.

تاسعا: التصوف والكرامات بالأوراس:

لقد كان الجبل في بلاد المغرب مقصدا للدعاة، وأصبح مجال مناسب لبناء طموحاتهم في الملك، بعيدا عن أعين السلطان وأعوانه، مثلما حدث مع عبد الرحمن بن رستم الذي لجأ إلى جبل سوفجج حيث نجح في تشكيل تحالف مع مجموعة من القبائل البربرية تحت سقف المذهب الإباضي، كما وجد عبد الله الشيعي في جبال قبيلة كتامة فرصة لنشر دعوته بعيدا عن أعين ملاحقيه من الخصوم والأعداء. وإذا اختلفت مبادئ وأهداف هذه المذاهب فإن منطلقاتها كلها تتفق على السعي إلى التغيير ومحاربة بعض السلبيات التي طرأت على المجتمع . فضلا عن اختيارها للجبل كمنطلق لها.

ومع تطور الأوضاع في القرون التالية وظهور الأربطة والزوايا، أصبح توافد الطلبة والمريدين والزوار من الأرياف المجاورة وحتى البعيدة، تحتم الاستجابة للحاجة الملحة إلى مكان يأوي الوافدين ويطعمهم ويؤمن للبعض حياتهم، مكان يستريح فيه المسافر ويلوذ به الهارب طلبا للحماية في وقت تصاعدت فيه أعمال العنف بين القبائل وداخل فروع القبيلة الواحدة. الأمر الذي فسح المجال للولي ليوسع نفوذه في غياب السلطة السياسية أو بسبب بعدها عن مواقع الصراع. وهكذا عرفت هذه المرحلة من تاريخ إفريقية نشأة أولى زوايا الأرياف الداخلية ببلاد المغرب لتستقبل زوار الشيخ وطلبته ومريديه وتقدم خدمات أخرى للوافدين عليها. وأصبحت تتقبل الفتوح وتنشر "نعمة" البركة- بركة الشيخ الصوفي[1].

لقد كان امتداد هؤلاء الصلحاء والزهاد إلى المجال الريفي بإفريقية كفيلا بتعليم تعاليم الدين الإسلامي؛ فقد نشأ الزهد بإفريقية وإلى حدود أواخر القرن الثالث الهجري كتجربة فردية، يقع فيها الزاهد بالعبادة والتنسك، ويجتهد في النجاة بنفسه بالإعراض عن متاع الدنيا، وترفها وملذاتها، خوفا من النار، وطمعا في الجنة. ومع بداية القرن الرابع الهجري، وبعد التطور النسبي الذي عرفه المجتمع على صعيد الفكر والثقافة، إذ انتشرت المؤلفات والكتابات التي تعرف بالتصوف المشرقي، بدأت في الظهور نماذج لتجارب روحية مختلفة ونسبيا عما سبقها. يمكن إدراجها ضمن إطار التصوف من حيث هو توجه مباشرة إلى الله يقوم على قطع المقامات، والتحقق بالأحوال طلبا للمعرفة الذوقية التي تتجاوز مجال العقل وتتخذ من طقوس العبادة طريق كشف وعرفان، ويندرج هذا ضمن مفاهيم الولاية أو الولي[2].

---

[1] صالح علواني. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين. ص 116.

[2] محمد الكحلاوي. الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي. القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي. دار الطليعة. بيروت. 2009. ص 68- 69. الزهد ببلاد المغرب ارتبط بظهور العباد والنساك، وهي أحد المسالك التي اتبعها هؤلاء في أسلمة المنطقة خاصة في المجالات الريفية وتلك البعيدة عن الحواضر الكبرى. وقد تفرق هؤلاء الصلحاء في مختلف مناطق المغرب الإسلامي وكان الجبل المكان المفضل للكثيرين منهم، وفضلا عن

في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يقدم لنا ابن حماد الصنهاجي رواية حول أحد المنتحلين للتصوف بالأوراس، والذي جمع حوله أربعين (40) من الأتباع في أحد الحصون القريبة من جبل الأوراس؛ ففي أثناء حركة إسماعيل المنصور لتعقبه أبا يزيد عام 335هـــ/ 947م، وبعدما وصل باغاية التي أغلق سكانها أبواب المدينة في وجه أبي يزيد. "سار إسماعيل فنزل بموضع يقال له "أبو جميل" ومنه فحص طاقة، ومنه إلى مدينة بلزمة، ومنه إلى مدينة نقاوس، وإلى طبنة، فأقام بها أياما كثيرة وورد عليه كتاب جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة والزاب يخبره بمحبوس عنده ثار بجبل أوراس واجتمعت عليه قبائل كثيرة من "زواوة" و"صنهاجة" و"عجيسة". وأتاه بالثائر المذكور، وكان غلاما أمردا، جميلا مقيدا، راكبا جملا، وعلى رأسه طرطور مشهر. وكان من أهل القيروان من أبناء الصاغة وكان ينظر كتب الصوفية ويقرأها، ومعه أربعين نفر مقيدين، وجدهم جعفر في بعض الحصون المجاورة للأوراس ممن أتبع هذا الغلام والذي زعم أنه الإمام القائم بالحق. فكان من أمر إسماعيل أن أمر "بسلخه حيا وحشا جلده قطنا، وجعله في تابوت، وكان يصلبه في كل موضع يحل به، وكذلك يفعل بأمثاله ممن يبالغ في الانتقام منه حتى سمي بالسلاخ وقطع أيدي أصحابه وأرجلهم وصلبهم"[1].

وقبل ظهور الزاوية في منتصف القرن 12/6، اكتملت ظاهرتا الزهد والولاية بإفريقية أيام الأغالبة والفاطميين والزيريين. وبالإضافة لنشر تعاليم الدين وفرائضه في المناطق الريفية البعيدة بين عامة الناس، فإن هؤلاء كان لهم الفضل في العمل على خلق تجانس مذهبي من خلال التحالف مع أعلام السنة المالكية وشد أزرهم في صراعهم مع المذاهب والنحل المنافسة لهم. وقد ترتب على هذا المجهود طمس للتنوع العقدي والمذهبي بإفريقية[2].

وكان من أسباب هذا التطور هو طبيعة الثقافة البربرية والوضع الاقتصادي والسياسي في بلاد المغرب منذ التواجد الهلالي وما صاحبه من اضطرابات طيلة القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كل هذه الظروف كانت مواتية لانتشار التصوف. ومن خلال الكتابات المتوفرة التي أرخت التصوف بالمغرب الأوسط أن الحركة الصوفية تبدأ في تحقيبه ابتداء من القرن 6هـــ/ 12م وتحديدا في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة

كون الجبل كان مقصدا لبعض دعاة المذاهب الفقهية فإنه كذلك كان مقصدا للعباد والزهاد، وتاريخيا فإن كتب التاريخ والطبقات والتراجم الإباضية تزخر بالزهاد والصلحاء والمتصوفة الإباضية. ابن الصغير المالكي. أخبار الأئمة الرستميين. 28، 85، 83، 98. الدرجيني. طبقات. ج1 ص 45، 84. ج2 ص 351- 352. الطاهر بونابي. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط. ج2. ص 23 – 26.

[1] ابن حماد الصنهاجي. أخبار ملوك بني عبيد. ص 36- 37.

[2] لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. ص 86.

الحمادية[1]، وطوال القرن 7هـــ/ م13، تحت تأثير الحركة الصوفية، كان هناك عدد متزايد من الأتباع، انتشر في مجالات كثيرة بما في ذلك المناطق الجبلية والمناطق الريفية. وأصبح التصوف في القرنين 7هـــ/13م – 8هـــ/ 14م، سواء في المناطق الريفية أو سكان المدينة أقرب تعبير ديني لتصور التقوى[2].

1- أثر أبي مدين:

تزامن ظهور الموحدين بالمغرب الأقصى وزحفهم نحو الشرق للسيطرة على كامل المغرب الإسلامي بتزايد انتشار ظاهرة التصوف الشعبي[3] الذي تأثر في مبادئه وأشكال ممارسته بمتصوفة مغاربة تمكنوا من نشر صورة جديدة للتصوف تدمج في تركيبتها الواقع الحضاري لسكان بلاد المغرب[4].

وبفضل أبي مدين (ت 594هـــ/ 1197م) أصبح التصوف المعتد متلائما مع عقلية المؤمن المغربي، سواء أكان من العامة أو من الخاصة. وبفضل ما اكتسبه ذلك التصوف من صبغة "وسطى" ما بين التدين الهادئ والتحمس المفرط، وما بين الدين الجاهل والجدلية الصارمة، سرعان ما أصبح جذابا. وهذا ما يفسر النجاح الذي أحرزه أبو مدين بسرعة، وبجهد أقل. وقد تمكن بصورة تكاد تكون خالية من أية مقاومة، من تنظيم الحركة الصوفية المثلى في بلاد المغرب[5].

لقد كان تأثير التصوف الذي روج له أبي مدين شعيب واضحا في العامة من سكان الأرياف الذين كانوا يعانون من الاضطرابات والضرائب والصراعات بين القبائل والمجاعات، فظهرت الرباطات والزوايا التي أخذت في الانتشار مع تزايد الحاجة إليها. وأصبح شيوخ الصوفية بالأرياف "يمثلون في نظر الناس الشريحة مستجابة الدعاء، الأقرب إلى الله"، وأصبحت الحاجة ملحة إلى مكان يأوي الوافدين ويطعمهم ويؤمن للبعض حياتهم، مكان يستريح فيه المسافر ويلوذ به الهارب طلبا للحماية في وقت تصاعدت فيه أعمال العنف بين القبائل وداخل فروع القبيلة الواحدة. الأمر الذي فسح المجال للولي ليوسع نفوذه في غياب السلطة السياسية أو

[1] الطاهر بونابي. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط. ص 18.

[2] Salah Alouani .« Diffusion du tasawwuf chez les tribus nomades de l'intérieur de léifriqiya entre le *VIe/XIIe* et le *IXe/XVe siècle et naissance de tribus maraboutiques». Al Andalus- Magrib*, 15 (2008). p. 8.

[3] بالنسبة لمفهوم التصوف الشعبي، وعلى غرار المصطلح المستعمل في علم النفس الاجتماعي savoir de sens commun يقترح صالح علواني استعمال مصطلحا يعبر عن هذا التصوف العامي أو الشعبي نسميه soufisme de sens commun.

[4] صالح علواني. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية. ص 113.

[5] روبار برونشفيك. تاريخ الدولة الحفصية. ج2. ص 334.

بسبب بعدها عن مواقع الصراع"[1]. كانت هذه الظروف التي تميز أرياف بلاد المغرب في القرنين 7-8هـ/ 13- 14م،

وإذا كان الجبل يمتاز بخصوصيته المحلية، فإن الزاوية قد لعبت فيه دورا أساسيا تمثل في كونها همزة وصل بين المنطقة المستقرة أو النشطة اقتصاديا، والمنطقة غير المستغلة. والتي مثلت مصدرا للخوف وانعدام الأمن. إضافة إلى الربط بين مجالات التقاء الجبل والسهل حيث نمط العيش المختلف بين الرحل وأشباه الرحل الجبليين الذين يعتمدون على الظعن بين الصحراء والجبل. وقد طرحت بحدة مسألة صعوبة الاندماج بين النمطين، وانعدام تواصل تعايش الطوائف العرقية وصعوبة انصهارها نهائيا مع بعضها، ويفسر أحد الباحثين[2] ذلك بواقع الفترة الذي يتميز بانعدام الأمن والاستقرار السياسي. حيث تصبح المجموعة الاجتماعية خير درع بالنسبة للفرد، كما يرجعه إلى غياب هياكل اقتصادية قادرة على خلق علاقات من نمط جديد. فتصبح إذن مسألة تأسيس وبناء الزوايا تكون بهدف الإعمار وتأمين محاور المواصلات.

مع ظهور الزوايا استكملت عمل الزهاد والصلحاء الذين نشروا الدين في الأرياف، وأصبحت الزاوية بعد النصف الثاني من القرن 12/6، تتخذ منحا تبشيريا والذي لم يحجم عن تبسيط شروط التوبة قصد عرضها على جفاة العرب أو البدو ... الذي نجم عن رغبة البدو أنفسهم في تصحيح عقيدتهم من خلال تمتين علاقاتهم بأحكام الشرع وامتلاك أحقية الانخراط فيما يحبه الله ويرضاه مذهب الجماعة السنية مثل غيرهم[3]. كما زادت هذه الزوايا في ربط البادية بالحواضر. وإذا كان البدو قد سيطروا على الكثير من المجالات الريفية ببلاد المغرب، فإن مجموعة من الأربطة اقترنت بالجهاد في مواجهة الأعراب[4].

كما أن اتساع مجال الزاوية ابتداء من القرن (7هـ/ 13م) أدت إلى خلق ظروف جديدة؛ حيث برزت الزاوية ببوادي إفريقية وقراها ومدنها على حد سواء، بسبب وظائفها المتعددة: إيواء الغرباء والبؤساء، وإطعامهم، وتأمين الحواضر والأرياف[5]. خاصة في أوقات الأزمات والحروب والمجاعات، حيث نجد كرامات

---

[1] صالح علواني. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية. ص 114- 115.

[2] إبراهيم جدلة. المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي. ص 231.

[3] لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. ص 126.

[4] كانت الكثير من القبائل بإفريقية تقوم بالسلب والنهب وقطع الطرق أمام المسافرين والقوافل. ويعطينا أحمد التجاني صورة عن هذه القبائل في حديثه عن ... زاوية أولاد سهيل التي نزلها التجاني، وهي رابطة حصينة. أما سهيل صاحب الزاوية فهو "رجل كان يعرف بابي عيسى يذكر عنه صلاح واعتناء بإضافة من كان يرد عليه". وبعد وفاته عام 673هـ "خلفه في إقامة رسم هذه الزاوية أبناؤه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فإنهم يرفدونهم بما يحتاجون إليه من زاد وغيره ويرجعون إليهم ما استلبتهم العرب". رحلة التجاني. ص 212- 213.

[5] محمد حسن. المدينة والبادية. ج01. ص 63.

الاستسقاء، وإطعام الطعام أو تكثيره، قاسما مشتركا بين هؤلاء الأولياء، فضلا عن البحث عن البحث عن الحلول للأزمات الشخصية أو الاجتماعية. أو طلب رد المظالم نتيجة الاستبداد السياسي، أو البحث عن علاجات مفترضة للأوبئة والأمراض المستعصية. أما عن الأقاليم الفقيرة والجافة، فإن الولي يكون وحده القادر على تقديم الحلول للانتكاسات الطبيعية، حتى وإن كانت هذه الحلول مجرد حلول تطمينية ليس إلا[1].

فقد لعبت الزاوية في المجال الجبلي دورا تحكيميا، خاصة المجالات الحدودية بين الصحراء والجبل. حيث تكفلت الزاوية بإنجاز مهام تحكيمية تهدف إلى حل المشاكل المترتبة على واقع الندرة الذي كان يعيق التعامل اليومي بين الناس[2]؛ وسيكون هذا هو واقع الكثير من المصلحين والمتصوفة الذين ستنتشر أفكارهم وتعاليمهم على حدود الأوراس الجنوبي والشمالي مع حركات إصلاحية وقفت في وجه البدو الذين أخافوا السبل واحترفوا الإغارة والسلب، فظهرت هذه الحركات كضرورة اجتماعية تبنتها قبائل حاولت التقليل من حدة هذه البداوة.

وفي هذا الإطار يمكن أن نشير باختصار إلى ثلاثة نماذج من الحركات التي ظهرت على الحدود الشرقية، وعلى التخوم الواقعة جنوبي الأوراس بمنطقة الزاب، وقد ارتبطت هذه الحركات كلها بجماعات بنو هلال وبنو سليم التي كثيرا ما وسعت نشاطاتها إلى داخل مجال الأوراس.

2- المرابطون السنة على تخوم الأوراس:

لم يشهد الأوراس ميلاد حركات إصلاحية (سنية)، إلا أنه أحيط بثلاثة حركات هامة على أطرافه الجنوبية والشمالية الشرقية، وكانت لها امتدادات في داخل الأوراس، خاصة وأنها ارتبطت بقبائل كانت متوطنة على أطراف الأوراس، وفي الكثير من الأحيان تتوغل في داخل مجالاته. وكانت أولى هذه الحركات هي تلك التي انتشرت على تخوم الأوراس، والتي قام بها الدهماني، وكانت مجالات تأثيره قد مست الكثير من القبائل التي كانت مضاربها تمتد بين حدود الأوراس والحدود الغربية لإفريقية.

أ- قبيلة رياح وحركة أبي يوسف الدهماني على أطراف الأوراس الشرقي:

أشرنا في فصل سابق إلى تمكن قبيلة رياح من التغلب على القبائل الهلالية طيلة القرن 6هـ/ 12م، بعد هزيمة الموحدين للأثبج، وتمكنها من السيطرة على مجالات شرق الأوراس، وقسنطينة، والحضنة والزاب. وقد فشلت السلطة الحفصية في القرن 7هـ/ 13م، في صد هذه القبيلة واضطرت إلى إقطاعها المجالات التي سيطرت

[1] الحسين بولقطب. جوائح وأوبئة المغرب عهد الموحدين. منشورات الزمن. الرباط. 2002. ص 35- 36.

[2] لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. ص 299.

عليها، وكان أهمها: مقرة، نقاوس، والمسيلة[1]. أما في القرن 8هـــ/ 14م، توسعت بطون من هذه القبيلة إلى مجالات أخرى، وبقيت منها جماعات في جنوب جبل سكرين بريغة.

وبعد أن بدأت تتغير الأوضاع مع تغلغل الأفكار الدينية التي يمثلها التصوف في بعض فروع أعراب بني هلال وبني سليم، سبقت بعض هذه القبائل قد اعتنقت الأفكار الصوفية منذ نهاية ق6هـــ،12م، مثل زغبة والدواودة، إذ أن بعض الأولياء الذائعي الصيت، أمثال أبي يوسف الدهماني، وغيث بن قاسم الحكيمي، كانوا من أصل أعرابي، أضف إلى ذلك أنهم كانوا حريصين على جلب عدد من أبناء جنسهم إلى حظيرتهم، وقد نجحوا في ذلك[2]. ومنذ القرن 6هـــ/12م اتجهت بعض القبائل البدوية إلى العمل على الحد من الاضطرابات التي كانت منتشرة في بلاد إفريقية. وكان مجال الأوراس محاطا بحدود غير مستقرة نتيجة تحركات لصوص القوافل وقطاع الطرق والسلب الذي اعتبر سمة العصر. خاصة وأن هذا المجال كانت تنتقل فيه قبائل ظهرت لديها أطماع للسيطرة على مجالات قبائل المنطقة والتوسع على حسابها.

وأمام عجز رجال السياسة عن احتواء جماعات الرحل، وإدارتهم لعمليات التمازج، التي ركزوا فيها على المصاهرة، والحلف، والإقطاع. إلا أن إشكالية تمازج الأصول العربية الكبرى مع رصيفتها البربرية. وهي إشكالية تطرح في العمق تعبير مستوى الديناميكية التي عاشتها مختلف المركبات الاجتماعية وخاصة تلك التي لا نملك حول تاريخها أي أخبار دقيقة[3]. وما زاد من الهوة بين النمطين الحضري والريفي هو عدم ارتباط العصبيات البدوية بأية دعوة دينية وكانت مفككة ومتصارعة فيما بينها بسبب تحالف بعض أطرافها مع السلطان ومعارضة البعض الآخر له. لكن بصفة عامة بقيت هذه العصبيات مرتبطة بالبادية والحياة القبلية، ولم تحاول افتكاك الملك أي أن الملك لم يعد غاية للعصبية[4]، تلك هي الظروف التي خلقت البيئة التي سينشط فيها بعض الصلحاء والأولياء الذين ولدوا وعاشوا بين هؤلاء البدو، يعرفون خصائصهم وطبائعهم، وسيكون عليهم محاولة خوض تجربة جديدة من أجل إدماجهم في منظمة التصوف الجديدة.

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 31.

[2] روبار برونشفيك. تاريخ الدولة الحفصية. ج2. ص 348.

[3] لطفي عيسى. مغرب المتصوفة. ص 312.

[4] إبراهيم جدلة. المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي. ص 300.

أبو يوسف الدهماني:

ولد الدهماني بالبادية بقرب قرية المسروقين من حوز القيروان، ونشأ بالبادية والقيروان وقرأ القرآن على أبي عبد الله محمد بن عمر بن جابر[1]. يقول عنه ابن خلدون أنه: "شيخ الصلحاء بعصره"[2]. استطاع أن ينشر تعاليم دعوته بين القبائل الداخلية في إفريقية، وكان قريبا إلى واقع القبائل البدوية، وإلى الطامحين السياسيين من جهة، والسلطة المركزية من جهة أخرى. واستطاع من خلال نشاطاته أن يخلق محور يمتد من القيروان إلى بلاد الجريد جنوبا اعتمادا على التصوف السني الذي حاول أن ينشره في المناطق الغربية لإفريقية بين أتباعه الذين كانت معرفتهم متواضعة ولكنهم يملكون تأثير كبير[3]. ويفصل الدباغ في ذكر الكثير من كرامات الدهماني في مختلف المناطق من إفريقية، فقد "كان من أعلام طريق الإرادة وكبار مشايخه، وكان ابتداء له في أمره رياضة ومجاهدات وصدق معاملات، ... ورحل إلى بجاية للقاء الشيخ أبي مدين شعيب بن موسى"، وبعد عودته من الحج، واستقراره بالقيروان، "نشر بها الميعاد وهدى الله على يديه أمما كثيرة من الأعراب والبوادي فنقلهم من اكتساب الحرام والإضرار بالناس إلى ملازمة الطاعة والاشتغال بالعبادات"[4]. أما الحركة الثانية، فهي التي قام بها تلميذ الهماني، وهو قاسم بن مُرا، وتبنتها قبيلة أبي الليل

ب- أولاد أبي الليل تتبنى دعوة قاسم بن مُرا:

قاسم بن مُرا هو أحد تلامذة الدهماني. من الكعوب من أولاد أحمد بن كعب منهم، وهو قاسم بن مُرا بن أحمد. نشأ بينهم ناسكا منتحلاً للعبادة.

رأى ما كان العرب عليه من إفساد السابلة والخروج عن الجادة، ورغب في وضع حد لأعمال السطو التي كانوا يقومون بها، فدعاهم إلى احترام "السنة". و لم تنجح دعوته في أول الأمر إلا لدى مجموعة من أولاد أبي الليل وسرعان ما أوشكت أن تتسبب له في عداوة بقية القبيلة. فتوجه عندئذ نحو مجموعة أخرى من بني

---

[1] الدباغ. معالم الإيمان. ج3. ص215 216. Salah Alouani. « *Diffusion* du *tasawwuf chez* les *tribus nomades* de l'*intérieur* de *l'Ifriqiya* ». p.12.

[2] ابن خلدون. ديوان لعبر. ج6. ص 106.

[3] Salah Alouani. *op. cit.* p. 15.

[4] معالم الايمان. ج3. ص213. ابن الطواح. سبك المقال لفك العقال. تحقيق محمد مسعود جبران. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس. ط2. 2008. ص 60، 61، 97. السعيد بن مقيدش. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأنظار. تحقيق. علي الزواري ومحمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي. تونس.1988. ج2. ص 293- 294.

سليم واستطاع أن يستميل إليه عددا كبيرا من البدو الخاضعين لسلطته، وكون منهم شبه جماعة ذات صبغة صوفية اتخذت لنفسها اسم "جنادة"[1].

في البداية حاول قاسم بن مُرا عدم مواجهة قبيلته مباشرة، خاصة بعد نجاح دعوته مع جماعات أولاد أبي الليل. ثم خاطب بقية القبائل من فروع بني سليم، بعد أن أصبح محاطا بعدد كبير من البدو الذين يخضعون لتعاليمه وأصبحوا يشكلون "مجتمع مرابطين" وقد أصبح هؤلاء يعرفون "بالجند". "[2].

وبدأ في ملاحقة قطاع الطرق وملاحقة قادتهم الذين شن عليهم الحرب، وغزا معسكراتهم وصادر ممتلكاتهم، بل أنه قتل بعض المجرمين الذين يعيشون على الغنائم التي يحصلون عليها من السلب والنهب. وكان الخطر يزداد من أجل وضع حد للصوص البدو ومحاصرتهم.

ويروي ابن خلدون أن نجاح هذه الدعوة إلى ازدياد عداوة بنو مهلهل قاسم بن أحمد له وشكوه إلى الأمير أبي حفص سلطان تونس، "وأن دعوة هذا الرجل قادحة في أمر الجماعة والدولة، فأغضى لهم عن ذلك، وتركهم وشأنهم، فخرجوا من عنده مجمعين على قتله. ودعوه في بعض أيامهم إلى المشاورة معه على عادة العرب، ووقفوا معه بساحة حيهم؛ ثم خلصوا معه نجياً، وطعنه من خلفه محمد بن مهلهل الملقب بأبي عذبتين فخر صريعاً لليدين والفم. وامتعض له أولاد أبي الليل، وطلبوا بدمه فافترقت أحياء بني كعب من يومئذ بعد أن كانت جميعاً. وقام بأمره من بعده ابنه رافع على مثل طريقته إلى أن هلك في طلب الأمرة على يد بعض رجالات آل حصن سنة ست وسبعمائة[3].

لقد نشأ عن مقتل قاسم بن مُرا انشقاق كبير بين أولاد مهلهل وبين أقاربهم أولاد أبي الليل الذين ساندوا الرجل المصلح وسيساندون فيما بعد لا محالة ابنه وخليفته رافع. ولكنه قتل في سنة 706هـ/ 1306م من طرف شيخ قبيلة حسن التابعة لبني سليم، وكان أبوه قد تغلب عليه من قبل، فظن الناس أن تلك الحركة قد انقرضت، إلا أن أولاد أبي الليل الراغبين دائما في الانتقام من قتلة قاسم، قد عمدوا إلى قتل أغلب شيوخ أولاد مهلهل. فأصبحت القطيعة بين الفرعين العتيدين من فروع الكعوب، نهائية وذات عواقب وخيمة[4]،

[1] روباربرونشفيك. تاريخ الدولة الحفصية. ج2. ص 349. Salah Alouani. *ibid. p. 17.*

[2] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 106.

[3] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6. ص 106.

[4] روباربرونشفيك. المصدر السابق. ج2. ص 349.

استمر بنو أبي الليل مصرين على أخذ الثأر من مقتل قاسم بن مُرا إلى أن ظهر فيهم حمزة ومولاهم إبنا عمر بن أبي الليل، "[1].

ج- قبيلة رياح وحركة سعادة السنية:

كانت هذه الحركة التي تجري على أطراف الأوراس الجنوبية، ناتجة عن التطور التاريخي لظاهرة المرابطة، ونتيجة للحركة المستمرة للقبائل العربية التي أفسدت السبيل عبر المسالك الرئيسة التي تربط الجبل بالمجالات المجاورة له، وأعاقت الاستقرار مما خلق تقاطع بين القبائل المستقرة التي أصبحت في أزمة مست معاشها، والسلطة التي تبحث عن مواقف للحماية وبسط نفوذها، وهذا الولي الممثل في حركة سعادة الذي يريد تأكيد رقابته الدينية.

وقد اشتركت العديد من العوامل أدت إلى تشكل الذهنية الصوفية وفشل الحركة العلمية المتمثلة في النزعة العقلانية لدى المجموعات الفقهية المالكية، فضلا عن الظروف الاقتصادية (الطاعون الأسود)[2]، هذه "الوضعية مهدت لانتقال التصوف من القيادات الاجتماعية إلى الأوساط الشعبية الحضرية ثم بعد ذلك إلى المجتمعات القبلية الريفية، وهذا ما أدى في النهاية إلى تبني الخطاب الأيديولوجي الصوفي المبني على الماضي الكراماتي. وكل هذا شكل مرحلة جديدة في تاريخ المغرب"[3].

اقترن ظهور هذا النوع من المرابطين ببعد إصلاحي واخلاقي تمثل في تغلغل التوبة بين صفوف العرب الهلالية، بالمغرب الأوسط منذ أوائل القرن 8هـ/ 14م. على يد ولي من الأولياء أو شيخ من الشيوخ، وقد ظهر نشاط هؤلاء في محاربة قطاع الطرق واللصوص في البادية وتغيير المنكر في القبائل العربية وإقامة السنة والقيام على السلطة بالثورة قصد إلغاء المغارم والمكوس، وهؤلاء كانوا يقيمون بالزاوية، وتعد حركة سعادة وأتباعه من المرابطين بمنطقة الزاب نموذجا بارزا لهؤلاء المرابطين السنة، الذين تمركز الكثير منهم أيضا بالمواضع التي كانت مأوى للأشرار واللصوص من أجل إغاثة اللهفان ووضع حد للفساد[4].

كان سعادة الرياحي من "مسلم إحدى شعوب رياح، ثم من رحمان منهم. وكانت أمه تدعى خضيبة وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع. ونشأ منتحلا للعبادة والزهد، وارتحل إلى المغرب ولقي شيخ

[1] ابن خلدون. ديوان العبر. ج6. ص 107.

[2] سبقت الإشارة إلى سلسلة الطواعين التي تعرضت لها المنطقة، وكان أخطرها الذي حدث في عام 748هـ/ 1347م و749هـ/ 1348م.

[3] علاوة عمارة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ص 201.

[4] الطاهر بونابي. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط. ج2. ص 177- 178.

الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة أبا إسحق التسولي[1]، وأذ عنه ولزمه، وتفقه عليه، ورجع إلى وطن رياح بفقه صحيح وورع وافر، ونزل طولقة من بلاد الزاب، وأخذ بنفسه في تغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن عرفه أو صحبه، فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته لذلك من قومه وغيرهم"[2]. ازداد أتباع سعادة الرياحي، ودفعه ذلك إلى العمل على إقامة السنة وتغيير المنكر، ومحاربة قطاع الطرق من طرف الأشرار في البوادي والأرياف. ولكن ذلك سيؤدي به الأمر إلى الاصطدام بالسلطة، إذ طلب من عامل الزاب "منصور بن فضل بن مزني" رفع المكوس وإعفاء الناس من دفعها. لكن طلبه قوبل بالرفض، فكانت مبايعة أتباعه له على وضع حد لهذه الإجراءات وكانت المواجهة بين الطرفين.

كانت هذه الأربطة والزوايا مقترنة بالتضامن الذي كان بين القبيلة والولي؛ ففي حركة سعادة السنية التي ناصرتها قبائل الدواودة، وأولاد سباع، وأولاد ادريس وأولاد عساكر وشيوخ من زغبة "بايعوه على إقامة السنة والموت دونه في ذلك" أما ابن مزني الذي آذنهم في الحرب، فقد أيدته بطون من قبائل أولاد محمد، وأولاد يحيى، الذين "اقتسموا رياسة الدواودة فظاهروا ابن مزني على مدافعة سعادة وأصحابه المرابطين من إخوانهم"[3]. ويعود السبب في هذا التشتت القبلي إلى العلاقة المتينة التي تربط الولي والقبيلة من جهة، ومن جهة أخرى إلى التهديدات التي يشكلها هذا الولي كشخصية مؤثرة على ملك السلطان في حد ذاته، لما يتمتع به من تأثير على اتباعه.

بقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية، وتعرف لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزونه من أهل السابلة. وبقي هؤلاء الدواودة يترع بعضهم أحيانا إلى إقامة هذه الدعوة، فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها ويقضي حقها، بل يجعلونها ذريعة لأخذ الزكوات من الرعايا، ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسدا في ارتقاء، فينحل أمرهم

---

[1] هو أحمد بن القاضي في جذوة الاقتباس ذكر أن ثلاثة فقهاء فاس حملوا اسم التسولي هم: موسى بن محمد التسولي ت 710هـ/ 1310م، الصالح الورع دفين مقبرة مسجل الصابرين بفاس، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي ت 747هـ/ 1346م، صاحب الشروح والتقاييد على رسالة ابن ابي زيد القيرواني وتهذيب البرادعي، وأحمد بن الحسين التسولي ت 769هـ/ 1367م، الفقيه النحوي دفين فاس و لم يتبين من بين هؤلاء من كان شيخ سعادة الرياحي. ج1. ص 85 134 346. الطاهر بونابي. دكتوراه. ج2. ص 347. هامش 1. ويضيف الطاهر بونابي حول هذا المتصوف أن ابن خلدون حاول التأصيل لمسلك الزهد لهذه الحركة ومنحى التصوف في محيط الأسرة التي ترعرع فيها سعادة الرياحي والتي تميزت بالنسك والصلاح، فأمه "خضيبة" كانت قد وصلت إلى أعلى مقامات العبادة والورع، لذلك نشأ سعادة منتحلا العبادة والزهد في حياته، ثم رحل إلى المغرب الأقصى، وبنواحي تازة، لزم مجلس الفقيه الصوفي أبي إسحاق التسولي، ثم عاد إلى الزاب بفقه صحيح وورع وافر واستقر بطولقة. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. ج2. ص 347.

[2] ابن خلدون. العبر. ج6. ص 51. روباربرونشفيك. ج2. ص 349- 350. Salah Alouani. *op. cit.* p. 19.

[3] ابن خلدون. المصدر نفسه. ج6 . ص 51 52.

بذلك، وتخفق مساعيهم، ويتنازعون على ما تحصل بأيديهم ويعترفون على غير شيء"[1]، ولم يبق من آثار هذه الحركة سوى حرمة الزاوية التي أسسها سعادة بطولقة والتي كفلت لأبنائه وحفدته من بعده احترام السلطة في بسكرة لهم وكذلك وفاء أعراب الفلاة لها، فكانوا يعترفون لأبناء سعادة بحق إجازة من يجيزونه من المسافرين[2].

لقد كانت الكثير من القبائل تثير القلائل للسلطة وتغير على الطرق وتقطع السابلة بمنطقة إفريقية وأهمها: رياح التي كانت أحيانا في تحالف مع قبائل أولاد أبي الليل والكعوب، و في بعض الأحيان كانت تتمرد وتغير على تبسة، ففي عام 758هـ صادفت حملة أبو عنان هذه الاضطرابات بالمنطقة والتي سببتها: "الفرقة الذميمة أولاد أبي الليل الذين أشاد مولانا أيده الله بعدم الرضا عنهم، وتحتيم الأخذ بالثأر منهم" أما قبائل الكعوب وشيخ العرب أبو عبد الله محمد بن طالب بن مهلهل الكعبي، ومرداس فقد كان يرغبون في محاصرة تونس والهجوم عليها[3].

وإلى الغرب من تونس كانت المجالات تسيطر عليها قبائل الأعراب التي تسيطر على الطرق والمسالك وحتى الحواضر والقرى لم يكن حالها بأحسن من البوادي.؛ فقد كان "أهل تبسة بخلاء غلاظ شداد، لا يحبون رؤية أي غريب، حتى أن الدباغ الشاعر الشهير الذي أصله من مدينة مالقة الأندلسية، أسيئ إليه لدى مروره بهذه المدينة، فنظم الأبيات الآتية في هذه المدينة. يقول فيها:

لا شيء في تبسة مما هو جدير

بالتقدير والاهتمام غير شجر اللوز

معاذ الله ! بل هناك الأسوار

وماء النهر الرقراق بجوارها؛ والمدينة خالية من الفضائل

وسأقول إنها الجحيم، والكثير من الخنازير

هم سكان بيوتها.

[1] ابن خلدون. العبر. ج6. ص 53.

[2] روباربرونشفيك. تاريخ الدولة الحفصية. ج2. ص351. الطاهر بونابي. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط. ج2. ص 348.

[3] ابن الحاج النميري. فيض العباب. ص 345– 348. ابن خلدون. الرحلة. ص 198.

وكان سكان هذه المدينة في ثورة دائمة ضد ملوك تونس، وقتلوا الحكام الذين أرسلهم إليهم. وفي عام 915هـ شنق منهم ملك تونس أكثر من مائة رجل. وأمر بذبح أكثر من مائة آخرين. ونهب المدينة[1].

لقد وجدت كل من حركة قاسم بن مُرا، وسعادة الرياحي خلال القرن 8هـ/ 14م، الأرضية السياسية والاجتماعية والنفسية الملائمة لنشر أفكارهما وما تعلماه من شيوخهما في وسط قبلي كثرت فيه الصراعات بين القبائل وداخل فروع القبيلة الواحدة[2]. وفي نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، نستطيع جمع معلومات عن قبيلتين مرابطيتين داخل إفريقية هما **قبيلة النمامشة، وقبيلة الفراشيش** تقع على (الحدود الجزائرية التونسية الحالية) ومنهما ظهرت قبيليتا أولاد سعيد عبيد وأولاد سيدي التليل.

قبيلتي أولاد سيدي عبيد وأولاد سيدي تليل أمثلة على هذه التحولات الاجتماعية والدينية التي نشأت مع انتشار التصوف الولائي داخل قبيلتي النمامشة والفراشيش، وهما قبيلتان متجاورتان وتنتشران على طرفي الحدود السياسية الفاصلة حاليا بين تونس والجزائر. هذه التحولات الاجتماعية والثقافية وهذا التلاقح أدى إلى بروز تركيبات اجتماعية جديدة أهمها القبائل المرابطية. فقبيلتي أولاد سيدي عبيد وأولاد سيدي تليل ظهرتا في نفس القرن تقريبا ما بين مرتفعات الأوراس والسباسب العليا التونسية ولا يزال أحفادهم يحملون لقب عبيدي وتليلي إلى اليوم[3].

وإلى غاية القرن (10هـ/ 16م)، تشكل طوق سني مرابطي على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للأوراس، واختلفت درجات تأثير هذه الحركات على المنطقة، غير أن أهم حركة سيكون لها حضور بالأوراس هي الحركة "الشابية" التي ساعدها موقع مجال الأوراس الهامشي بأن يكون من أهم المناطق التي ستلجأ إليها هذه الحركة بعد معاناتها من ضغط السلطة المركزية لحكام تونس، بالإضافة إلى سيطرة الحنانشة التي ورثت "وطن هوارة" على هذه المجالات التخومية، وانفصالها في بعض الأوقات على السلطة المركزية الحفصية.

وكان أهم تحول ستعرفه هذه المنطقة هو ظهور تحالفات بين "الطريقة الشابية" التي أصبح لها نفوذ ديني وأحيانا سياسي، مع بعض فروع الحنانشة بالأوراس، خاصة بعد النصف الثاني من القرن (10هـ/ 16م)، حيث ستركز وجودها نحو حلفاءها في الغرب، ولم يخلو هذا الحضور من ظهور خصومات بين قبائل المنطقة

[1] ليون الإفريقي. وصف افريقيا. ج2. ص 64- 65.

[2] صالح علواني. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل. ص 117.

[3] صالح علواني. المرجع نفسه. ص 118.

Salah Alouani. *op. cit. p.22.*

و"الشابية" التي كانت على علاقة عدائية مع بعض القبائل، نجدها في "تاريخ العدواني"[1]، الذي تطرق إلى الكثير من التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، لهذه المجالات أواخر العصر الوسيط. وقد أدت هذه العلاقات المتوترة بين هذه الإثنيات المختلفة إلى خلق حالة من العداء بين "الحنانشة" وحكام تونس، وصل أحيانا إلى مواجهات عسكرية بين الطرفين، ستحسمها القوة الجديدة بالمنطقة والمتمثلة في الأتراك. وبهذا نقف على اتجاه المنطقة نحو صهر كافة المكونات القبلية والدينية، وخلق واقع جديد سيكون تتويجا لجميع المكونات التاريخية التي عرفتها طيلة حقبة التاريخ الوسيط.

[1] تاريخ العدواني. تحقيق أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1996. ص 173- 174، 201. فاطمة بن سليمان. الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574- 1881. ص 96- 98.

الخـــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

يكتسي البحث في "الجغرافيا التاريخية" قيمة علمية كبيرة في التأريخ للمجال بأبعاده التاريخية والأنثروبولوجية والطوبونيمية والبيئية، وهذا انطلاقا من البحث عن مدى مطابقة النص المصدري بالشواهد الأثرية، وهي عملية ليست سهلة، تتطلب المتابعة والدراسة المستأنفة التي لا تتوقف عند حدث معين وتتجاوز التحقيبات المألوفة في الدراسات الكلاسيكية، وهذا ما حاولنا تطبيقه على مجال الأوراس في العصر الوسيط.

وقد حاولت وبإلحاح استحضار العامل الجغرافي في التطور التاريخي لمجال الأوراس دون المبالغة في ذلك، وانتهيت إلى أن دراسة الجغرافيا التاريخية لهذا المجال مرتبطة ارتباطا عضويا طيلة العصر الوسيط في أحداث المنطقة، وهذا بعد الإلمام بالمعطيات المتشعبة بعناصر الموضوع التي تناولتها في الفصول والمباحث السابقة.

ويبدو أنه ليس من السهل البحث والكتابة في موضوع يمتد زمانا طيلة العصر الوسيط، وفي مجال جغرافي تندر فيه المصادر، إلا شتات بين المصادر الإخبارية والنصوص الوصفية، ويكون الأمر أكثر تعقيدا في العصر الوسيط المبكر، وذلك رغم أن جبل الأوراس كان حاضرا بحركية مكوناته، ليس فقط التضاريسية، بل كان لتركيبته السوسيو-تاريخية تأثيرا بليغا في مختلف الأحداث الكبرى التي طبعت تاريخ بلاد المغرب وإفريقية، خاصة طيلة القرون الخمسة التي تلت عمليات الفتح الإسلامي، والتي أكسبته مكانة رئيسية.

جغرافيا فإن الأوراس يتميز بموقع سمح له بأن يربط أقاليم حيوية ببلاد المغرب الأوسط؛ فهو يشكل حلقة وصل بين مجالين مختلفين، مجال المناطق الواحية بالجنوب، وفي الشمال مجال التل الأعلى، وهي المناطق التي كانت أكثر تأثرا في العصر الوسيط، ولو أن هذا الجبل يبدو للوهلة الأولى أنه وحدة تضاريسية واحدة، إلا أن تفكيك هذا المكون يوقفنا على تعرض حدود الأوراس إلى ارتباطات بين مختلف الجهات المجاورة له والتي شكلت تخوم متمايزة في كامل الجهات الأربعة، فقد كان لتدفق جيوش الفاتحين وحركة الجماعات والقبائل المستمر في الشرق والشمال الشرقي أثر كبير في اختراق التضاريس المغلقة والمعقدة لهذه الكتلة الجبلية، وانهارت قوى الجماعات المحلية ،كما فشلت الاتحادات القبلية في خلق قوة موازية لصد الفاتحين.

ونتيجة تشكل المقاومة في الأوراس، خاصة على حدوده الجنوبية، فقد تعرضت هذه الحدود إلى تآكل واختراق مستمر بداية من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي؛ إذ نلمس ذلك بسهولة من خلال انخراط هذا المجال في السجال المذهبي، والذي لم يلبث أن تحول إلى صراع غذّتْهُ الميولات الاستقلالية نتيجة تهميش المجتمع

المحلي، والكثير من العوامل الاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية في الكثير من الأحيان، ليصبح الأوراس وتحديدا الجهة الغربية منه يأخذ وضعية التخوم، وستشكل هذه المجالات الحدودية نقطة صدام بين خط دفاع أغلبي متهالك، وحملات متتابعة لاختراقه من طرف الحركة الإسماعيلية المتشكلة حديثا، والتي أدت إلى سقوط السلطة الأغلبية، فيما كانت الحدود الجنوبية لهذا المجال منفتحة أمام تحرك الجماعات الاباضية مع المجال الواحي، والتي كانت متوافقة كثيرا مع جغرافية المنطقة الصالحة للانتجاع، بحيث تشكلت المناطق الرعوية وأصبح التنقل سهلا بين الأوراس ومنطقة الزاب، وأدى ذلك إلى تشكيل فضاءات واسعة للحركة والاتصال بين مختلف الجماعات التي كانت تنتشر في وحدات مجزأة ومعزولة، وأصبحت تنتقل نحو المناطق التلية بالشمال عبر مختلف المسالك والطرق التي تعبر جبل الأوراس. و لم يعد الجبل يشكل حاجزا أمام هذه التحولات.

بل أن الجبل ساعد على سهولة الحركة بما يوفره من إمكانيات طبيعية، انعكست بصورة إيجابية على الاستيطان البشري واستقرار الجماعات بالمنطقة، أو الانتقال إلى منطقة التل بالمغرب الأوسط التي تعتبر من أغنى المناطق بشبكة الأنهار، تتخللها سهول ذات مراعي تنتشر على ضفافها.

لم تشكل المسالك والطرق بالأوراس عائقا أمام انتشار الطرق فيها، رغم أن التجزئة الطبوغرافية لا تيسر المواصلات بين الأقاليم. إلا أن حركة التنقل سارت حسب المناطق التضاريسية التي استفادت من انتظام وحدات التضاريس من الشرق إلى الغرب تقريبا. مستعملة السهول والأحواض الداخلية التلية رغم عدم تواصلها، بالإضافة إلى استخدام طرقات ومسالك الأحواض الممتدة على حواشي السهول العليا، وكذلك عند سفوح الأطلس الصحراوية، وكانت أغلب هذه المسالك قد ارتبطت قديما بالشرق بشبكة خط الليمس، واستمرت طيلة العصر الوسيط تؤدي أدوار الربط مع شمال الأوراس بشبكة تتصل بالمدن المرفأية (الموانئ).

وفي هذا المجال يمكن للدارس أن يقف على التحولات التي مست مكوناته الإثنية، عبر تتبع مراحل تشكله منذ العصور القديمة، هذه التحولات التي كانت بطيئة، و لم يكن من السهل الالتفات إليها، أو معرفة تفاصيلها الدقيقة، لأنها كانت تتطلب فترات زمانية كافية ليتم معرفة معالمها من جهة، و من جهة أخرى، فإن هامشية هذا المجال أدى إلى بقائه في الظل، بعيدا عن أقلام الأسطوغرافيا العربية الوسيطية، لذلك يحتاج الباحث في الجغرافيا التاريخية للأوراس العصر الوسيط إلى جهد إضافي، والاعتماد على أكثر من علم واحد للإلمام به، وهذا ما نجده مثلا في جانب الدراسة الطوبونيمية التي تتطلب علوم اللغة، واللسانيات، والأركيولوجيا، وغيرها كثير، وهي كما نعرف فروعا تساعد الجغرافيا التاريخية و استفادت منها، إضافة إلى ايماننا بوحدة العلوم

الاجتماعية والإنسانية وتكاملها، من أجل دراسة الجوانب الحية للتراث الثقافي الإنساني الضخم، والذي توارثته الأجيال شفاهة على مدى مئات السنين أو عدة آلاف من السنين.

كما سمحت لنا الدراسة بالوقوف على استمرارية الشبكة الحضرية القديمة، الموروثة منذ المرحلة البيزنطية إلى نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وهي التي عرفت كمراكز لتوطن واستقرار الحاميات العربية في مختلف الحواضر والحصون الأوراسية بعد مصادرة العقارات البيزنطية.

وأمام تعقيدات التضاريس بجبل الأوراس، لم يكن من السهل توطين واستقرار القبائل العربية المهاجرة بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، لكنها استطاعت الإحاطة ومحاصرة المجال الجبلي للأوراس، ومع التحولات السياسية المتوالية والتقلبات الشديدة والمستمرة في الولاءات بين مختلف الجماعات والقبائل، تمكنت هذه القبائل مع مرور الوقت النفاذ إلى الداخل عبر مختلف الممرات الرعوية المتعلقة بأنماط العيش لقبائل الرحل، أو التجارية، حيث استخدمت هذه المسالك للعبور عبر الأوراس إلى مجالات أخرى مجاورة، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه التغيرات إلى خلخلة البنية القبلية بالمنطقة.

وأمام تدفق حركة الانتقال والهجرة على مجال الأوراس، تعرضت المنطقة إلى تغيرات مذهبية منذ بداية وفود الدعاة على بلاد المغرب، ونجحت بعض القبائل في نسج تحالفات مع ثوار خوارج. وأصبح الأوراس مجالا لتكون شبكات صفرية، وإباضية نكارية، ووهبية، فيما كانت تستقر جماعات معتزلية على أطرافه الجنوبية بالزاب الشرقي، وإذا كانت هذه المذاهب قد استطاعت كسب أنصار لها بالمنطقة، فإنها فشلت سياسيا في احتوائه، وأجبرت على استخدام العنف والقوة لإخضاعه مثلما حدث مع دعاة الإسماعيلية. كما عرف الأوراس ثورات مستمرة ضد أغلب الإمارات. وكان مسرحا لصدام الأقليات النكارية ضد خصومهم، حيث أصبحوا جماعات مطاردة من طرف الفاطميين.

إن دراستنا للأوراس في العصر الوسيط توقفنا أمام تقاطع مجموعة من الاستفهامات التاريخية الجغرافية، والمذهبية، واللغوية، وحتى الفكرية، مع الأقاليم والمجالات التي أصبح لها دور في صناعة أو التأثير في الحدث التاريخي، ويبقى من المواضيع التي تستحق المزيد من الدراسة المعمقة أكثر، ولذلك فإن الفضاء الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط بمكوناته المختلفة، بحاجة لتوسيع أفق البحث التاريخي إلى مجالات أخرى مختلفة تشمل الثقافة والجغرافية والبيئة والجماعات.

جريدة المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

1. ابن أبي زرع. علي الفاسي (حيا 729 هـــ). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1990.
2. // //.الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. دار المنصورة. الرباط، 1972.
3. ابن أبي زيد القيرواني. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن النفزي (ت386 هـــ). النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات. تحقيق. محمد عبد العزيز الدباغ. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1999.
4. ابن الأثير. عز الدين أبي الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني(تـــ 630 هـــ). الكامل في التاريخ. المكتبة التوفيقية. القاهرة.
5. الإدريسي. الشريف محمد بن محمد (ق 6هـــ).نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب. بيروت. 1989.
6. الأزكوي الشيخ سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. ط2. 2013.
7. الأشعري أبو الحسن. مقالات الإسلاميين. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة. القاهرة. 1969.
8. الإصطخري. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ق 4 هـــ). المسالك والممالك. تح محمد جابر عبد العالي الحسيني، دار القلم، القاهرة، 1961.
9. البرادي قاسم بن إبراهيم. الجواهر المنتقاة. دار الحكمة. لندن. 2014.
10. ابن بشكوال. . أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي (تـــ 587 هـــ). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. تونس. 2010.
11. البغطوري. مقرين بن محمد. روايات الأشياخ. أشيخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري. تحقيق سليمان بوعصبانة. مكتبة خزائن. سلطنة عمان.
12. البكري. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (تـــ 487 هـــ). المسالك والممالك، تحقيق. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2. 2003.

13. البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (تـــ 279 هـــ). البلدان وفتوحها وأحكامها. تحقيق سهيل زكار. دار الفكر. بيروت. 1992.
14. البلوي. أبو البقاء خالد بن عيسى الغرناطي (ق 8 هـــ). تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. تحقيق الحسن السائح. مطبعة فضالة. المحمدية. المغرب.
15. البيذق. أبو بكر بن علي الصنهاجي (ق 6 هـــ). أخبار المهدي بن تومرت. دار المنصور. الرباط. 1971.
16. التجاني. عبد الله بن محمد التونسي (حيا 717هـــ). رحلة التجاني. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس. 1981.
17. ابن تغري بردي. جمال الدين أبو المحاس الأتابكي (تـــ 874 هـــ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب المصرية. 2000.
18. التنبكتي أحمد بابا السوداني (تـــ 1036 هـــ). كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. تحقيق محمد مطيع. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب. 2000.
19. // //. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا. 1989.
20. التيطلي. أبو الأصبغ عيسى بن موسى بن أحمد بن الإمام. (تـــ 386هـــ). كتاب نفي الضرر. تحقيق فريد بن سليمان والمختار التليلي. مركز النشر الجامعي. تونس. 2003.
21. ابن جبير. رسالة اعتبار الناسك في ذكر الكريمة والمناسك. (الرحلة). لجنة تحقيق التراث. مكتبة الهلال. بيروت.
22. الجرجاني. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471 هـــ). دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. ط3. 1992.
23. ابن جني. أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392 هـــ). الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب العلمية. القاهرة. ط2. 1952.
24. الجوذري. أبو علي منصور العزيز (توفي أواخر القرن 4 هـــ). سيرة الأستاذ جوذر. تح محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر.
25. الجيطالي. إسماعيل بن موسى (ت750هـــ). قواعد الإسلام. تحقيق أحمد بن صالح الشيخ أحمد. مكتبة الضامر. سلطنة عمان. ط5. 2015.
26. ابن الحاج النميري. إبراهيم بن عبد الله الغرناطي (توفي بعد 774 هـــ). فيض العبـــاب وإفاضـــة قـــداح الآداب في الرحلة السعيدة إلى قسنطينة والزاب. دار الغرب الإسلامي. 1990.

27. ابن حزم. علي بن أحمد الظاهري الأندلسي (تـــ 456 هـــ). جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام ومحمد هارون. دار المعارف ، القاهرة، ط5. 1982.
28. ابن حماد الصنهاجي. أبو عبد الله محمد بن علي البجائي (حوالي 628 هـــ). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تح جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
29. الحموي. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (تـــ 626 هـــ). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء). تحقيق. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1993.
30. // //. معجم البلدان. دار صادر بيروت. 1977.
31. الحميري. محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (القرن 8 هـــ). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق احسان عباس. مكتبة لبنان. بيروت. ط2. 1984.
32. ابن حوقل. أبو القاسم النصيبي البغدادي (توفي بعد 367 هـــ). صورة الأرض. دار صادر، بيروت، ط 2. 1938.
33. ابن حيان. أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (تـــ 469 هـــ). المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب. تحقيق عبد الوهاب بن منصور. دار المنصور. الرباط .1971.
34. ابن الخطيب. لسان الدين السلماني الغرناطي (تـــ 776 هـــ). تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. تح أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء. 1964.
35. // //. مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل. تحقيق حياة قارة. دار الأمان. الرباط.
36. ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (تـــ 808 هـــ). ديوان العبر، دار الفكر، بيروت، 2000.
37. // //. المقدمة. تحقيق. عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر. ط7. 2014.
38. // //. المقدمة. بيروت دار إحياء التراث. د .ت.
39. ابن خلدون.. أبو زكرياء يحيى بن محمد الحضرمي الإشبيلي (تـــ 780 هـــ). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. تحقيق. عبد الحميد حاجيات. المكتبة الوطنية. الجزائر. 1980.
40. ابن خير الأندلسي. كتاب الفلاحة. المطبعة الجديدة. فاس. 1357.
41. الداودي. أبوجعفر أحمد بن نصر الطرابلسي التلمساني (تـــ 402 هـــ). الأموال. دار الحداثة. بيروت. 1988.

42. الدباغ. أبو زيد عبد الرحمن الأسدي القيرواني (تـــ 669 هـــ) وابن ناجي التنوخي (تـــ 839 هـــ). معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. تح عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت. 2005.
43. الدرجيني. أبو العباس أحمد بن سعيد (تـــ 670 هـــ). طبقات المشايخ بالمغرب. تحقيق إبراهيم طلاي. مطبعة البعث. قسنطينة.
44. الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد (تـــ 748 هـــ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2003..
45. الرصاع. عبد الله محمد الأنصاري التلمساني (تـــ 894 هـــ). فهرست الرصاع. تحقيق محمد العنابي. المكتبة العتيقة. تونس. 1967.
46. الرقيق القيرواني. أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ق 5 هـــ). تاريخ افريقية والمغرب. تحقيق المنجي الكعبي. الدار العربية للكتاب. تونس.ط2. 2005.
47. الزركشي. محمد بن إبراهيم (ق 9 هـــ). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تحقيق. محمد ماضور. المكتبة العتيقة. تونس. ط2. 1966.
48. الزرهوني. ملعبة الكفيف. تحقيق. محمد بنشريفة. المطبعة الملكية. الرباط. 1987.
49. أبو زكرياء. يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت 471هـــ). سير الأئمة وأخبارهم. تح إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
50. الزهري. محمد بن أبي بكر الأندلسي (ق 6 هـــ). كتاب الجعرافية. تحقيق محمد حاج صادق. مكتبة الثقافة الدينية. مصر.
51. السخاوي. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (تـــ 902 هـــ). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الجيل. بيروت.
52. ابن سعيد المغربي. أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (تـــ 685 هـــ). المغرب في حلي المغرب. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. ط4. 1955.
53. // //. كتاب الجغرافيا. تحقيق. إسماعيل العربي. المكتب التجاري. بيروت. 1970.
54. ابن سلام. لواب المزاتي الإباضي(ت بعد 273هـــ)كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق فيرنر شفارتس والشيخ سالم يعقوب. دار النشر فرانز شتاينر فيسبايدن. 1986.
55. الشماخي. أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ق 9 هـــ). كتاب السير. تحقيق أحمد بن مسعود السيابي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ط الثانية. 1992.

56. // //. كتاب السير. الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ 11م. تحقيق. محمد حسن. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. 1995.
57. ابن الشماع. محمد بن أحمد التونسي (ق 9 هـــ). الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية. تحقيق. الطاهر بن محمد المعموري. الدار العربية للكتاب. تونس. 1984.
58. الشهرستاني. تاج الدين محمد بن عبد الكريم (تـــ 548 هـــ). الملل والنحل. دار الفكر. بيروت. ط 2. 2002.
59. ابن صاحب الصلاة. عبد الملك (تـــ 594 هـــ). المن بالإمامة، تاريخ المغرب في عهد الموحدين. تحقيق عبد الهادي التازي. دار الغرب الإسلامي. بيروت ط3. 1987.
60. ابن الصباح. الحاج عبد الله المدجن الأندلسي (ق8 هـــ). أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار. دار أبي رقراق. الرباط. 2008.
61. ابن الصغير المالكي (ق3هـــ). أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق. بحاز إبراهيم ومحمد ناصر. دار الغرب الإسلامي. 1986.
62. ابن الطواح. عبد الواحد (بعد 718 هـــ). سبك المقال لفك العقال. تحقيق محمد مسعود جبران. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس. ليبيا. ط2. 2008.
63. ابن عبد الحكم. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري (ت 257 هـــ). فتوح مصر وأخبارها. تحقيق. محمد الحجيري. دار الفكر. 1996.
64. ابن عبد الحليم. (حيا 712هـــ). كتاب الأنساب. تحقيق محمد يعلى. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي. مدريد. 1996.
65. العبدري. محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحاحي (ق 7 هـــ). الرحلة المغربية. مؤسسة بونة للبحوث والدراسات. الجزائر. 2007.
66. عبيد الله صالح (ت ق8هـــ). نص جديد عن فتح العرب للمغرب.تحقيق ليفي بروفنسال. ترجمة حسين مؤنس. صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مدريد. المجلد الثاني. 1954.
67. ابن عذارى. المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق. ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. دار الكتب العلمية. بيروت. 2009.
68. ابن عذارى. المراكشي(بعد 712 هـــ). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. قسم الموحدين. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون. دار الغرب الإسلامي. 1985

69. أبو العرب. محمد بن أحمد بن تميم. طبقات علماء إفريقية وتونس. تحقيق. علي الشابي. الدار التونسية. تونس 1985.
70. ابن العطار. محمد بن أحمد الأموي (ت399هـــ). كتاب الوثائق والسجلات. تحقيق ب. شالميتا، ف. كورينتي. المعهد الإسباني العربي للثقافة. مدريد. 1983.
71. العقباني. عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني. (ت871هـــ). تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر. نشره علي الشنوفي في مجلة Bulletin d'études orientales ، العدد 19 سنة 1966-65.
72. عماد الدين القرشي. الداعي إدريس اليمني (ت 872 هـــ). تاريخ الخلفاء الفاطميين. القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار. تحقيق. محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1985.
73. الفرسطائي. العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي .القسمة وأصول الأرضين. كتاب في فقه العمارة الإسلامية. تحقيق. محمد صالح ناصر، والشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج. مكتبة الضامري. سلطنة عمان. 1414. 1993.
74. ابن فضل الله العمري. أحمد بن يحيى (تـــ 749 هـــ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم. دار الكتب العلمية. بيروت. 2010.
75. القاضي عياض. . بن موسى اليحصبي السبتي (تـــ 544 هـــ) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق أحمد أعراب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب. 1982.
76. أبو حنيفة محمد بن حيون التميمي المغربي (تـــ 363 هـــ). رسالة افتتاح الدعوة. تحقيق. وداد القاضي. دار الثقافة. بيروت. 1970.
77. // //. كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة. تحقيق محمد كامل حسين. دار الفكر العربي.
78. // //.المجالس والمسايرات. تح الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر. بيروت. 1996.
79. ابن القطان. أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المراكشي (628 هـــ). نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تحقيق محمد علي مكي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1995.
80. القلصادي. أبو الحسن علي القرشي البسطي (تـــ 891 هـــ). تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب (الرحلة القلصادي). تحقيق محمد أبو الأجفان. الشركة التونسية للتوزيع. تونس. 1978. ط2.

81. ابن قنفد. أحمد بن الحسن القسنطيني (تـــ 810 هـــ). الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي. الدار التونسية للكتاب. 1968.
82. ابن كمال باشا. أحمد بن سليمان الوزير (ت940هـــ). رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الاعجمية. تحقيق محمد سواعي. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية. دمشق 1991.
83. ابن لب. أبو سعيد فرج بن قاسم الغرناطي (ت 782). تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ ابي سعيد. تحقيق حسين مختاري وهشام الرابي. دار الكتب العلمية. بيروت. 2004..
84. المالكي. أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني (تـــ 438 هـــ) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وأفضالهم وأوصافهم. تحقيق بشير البكوش. دار الغرب الإسلامي. ط2.بيروت. 1994.
85. مجهول. أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها. تحقيق. إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري. ط2. 1989.
86. مجهول. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تحقيق. سهيل زكار وعبد القادر زمامة. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 1979.
87. مجهول. (حيا أواخر القرن 6 هـــ). كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب. تحقيق. سعد زغلول عبد الحميد . دار النشر المغربية – الدار البيضاء – 1985.
88. المراكشي. عبد الواحد (تـــ 647 هـــ). المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق. خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية لبنان. 1998.
89. ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (تـــ 781 هـــ). المسند الصـــحيح الحســـن في مـــآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن. تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1981.
90. المقدسي. محمد بن أحمد بن أبي بكر (تـــ 380 هـــ).أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تح محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
91. المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلبكي الأصل (تـــ 845 هـــ) . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تح جمال الدين الشيال ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،ط 2 ، 1996 .
92. // //. إغاثة الأمة بكشف الغمة. تحقيق. كرم حلمي بركات. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2007.
93. // //. المقفى الكبير.تحقيق محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1987.

94. // //. ابن منظور. محمد بن مكرم الإفريقي (تـــ 711 هـــ). لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط3. 1994.

95. النويري. . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (تـــ 733 هـــ). تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق مصطفى أبو الضيف أحمد. دار النشر المغربية. المغرب. 1985.

96. // //. نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983. ج 22، ج24.

97. الوزان. الحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي (توفي بعد 957 هـــ). وصف إفريقيا. ترجمـــة محمـــد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،.ط 2، 1983.

98. الوسياني. أبي الربيع. سير مشايخ المغرب. تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

99. // //. سير الوسياني. تحقيق عمر بن لقمان بوعصبانة. وزارة التراث والثقافة. عمان. 2009.

100. الونشريسي. أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (تـــ 914 هـــ). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1981.

101. اليعقوبي. أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (تـــ 284 هـــ) البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

102. ازايكو علي صدقي. نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات التاريخية والبيئية. المغرب. الرباط. 2004.

103. // //. تاريخ المغرب. التأويلات الممكنة. مركز طارق بن زياد. الرباط. 2002.

104. أسكان الحسين. الدولة والمجتمع في العصر الموحدي. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط.2010.

105. إسماعيل محمود. الأغالبة. سياستهم الخارجية. 184هـــ- 296هـــ. عين للدراسات والبحوث. ط3. 2000.

106. // //. الخوارج في بلاد المغرب حتة منتصف القرن الرابع الهجري. دار الثقافة. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1985.

107. // //. سوسيولوجيا الفكر الإسلامي. طور الازدهار-1 – الخلفية السوسيو تاريخية. سينا– مؤسسة الانتشار العربي. بيروت. ط3. 2000.

108. أعشي مصطفى. المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته. إشراف محمد حمام. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات التاريخية والبيئية. إشراف محمد حمام. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. ج01. 2004.

109. أفا عمر. المخطوطات والوثائق الأمازيغية المكتوبة بالحرف العربي: أساليب الأداء وأنواع المخطوط. Paléographie des écritures arabes d'al-Andalus, du Maghreb et de l'Afrique subsaharienne. Journée d'étude tenue à Rabat le 28 novembre 201 sous la direction de Mustapha jaouhari. Les rencontres du centre jacques-berque.n° 6 – (2015) (Rabat – Maroc).

110. أكرير عبد العزيز. تاريخ المغرب قبل الإسلام. الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني قراءة جديدة. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. 2007.

111. أوسوس محمد. طقوس الاستمطار بالأمازيغية (البربرية) وأساطيرها بشمال إفريقيا. مجلة الثقافة الشعبية. 4. 44. 2011.

112. // //. في الميثولوجيا الأمازيغية. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط.

113. أومليل علي. الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون. دار التنوير. بيروت. ط3. 1985.

114. // //. الذات والمغايرة. مجلة الوحدة. 1988.

115. // //. مصادر ابن خلدون في المعرفة والتنظير. ملتقى ابن خلدون والفكر العربي المعاصر. جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس. 1980.

116. آيت أومغار سمير. مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية. مقاربات جديدة. هسبريس ثمودة. LII (1). 2017.

117. بابا عمي محمد بن موسى ، إبراهيم بحاز، وآخرون. معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر. قسم المغرب. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2.

118. باشلار غاستون. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. المؤسسة الجامعية. بيروت. ط2. 1984. 1404.

119. بالفايدة عبد العزيز. "الماء بين المقدس والمنفعة العامة في شمال افريقيا ما قبل الإسلامية على ضوء النقائش". الماء في تاريخ المغرب. جامعة الحسن الثاني. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. عين الشق. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1999.

120. الباهي. أحمد. حول ظهور قبائل دمر وزنزفة ومطماطة بجنوب شرق افريقية. بحث في التاريخ والجغرافيا والحضارة. أعمال مهداة الى الاستاذين منيرة الرمادي شابوطو وعبد الله الشريف. مركز النشر الجامعي. تونس. 2015.

121. // //. سوسة والساحل في العصر الوسيط القرن1هـ 5هـ/ 6م 11م محاولة في الجغرافيا التاريخية. مركز النشر الجامعي. تونس. 2004.

122. بحاز إبراهيم. الإباضية عند الجغرافيين وأصحاب الرحلات (البلدانيون). مجلة العلوم الإنسانية. 20. 2003.

123. البركة محمد. عبد الملك ناصري. وآخرون. الطوبونيميا بالغرب الإسلامي. أو ضبط الاعلام الجغرافية. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. 1012.

124. برودال فرناند. المتوسط والعالم المتوسطي. تعريب مروان أبي سمرا. دار المنتخب العربي. بيروت. 1993.

125. // //. البحر المتوسط. ترجمة عمر بن سالم. منشورات البحر المتوسط. المطبعة العربية. تونس. 1990.

126. بروفنسال ليفي. مجموع رسائل موحدية، من انشاء كتاب الدولة المؤمنية. المطبعة الاقتصادية. الرباط. المغرب. 1941.

127. برونشفيك روبار. تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. ج 1، 2. بيروت.1988.

128. بشاري محمد الحبيب. "السياسة الأمنية الرومانية في شرق موريطانيا القيصرية. بحوث ودراسات في التاريخ والأثار القديمة"، أعمال مهداة للأستاذ محمد البشير شنيتي. منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافية التطبيقية. المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. 2013 .

129. بعيزيق صالح. بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية. منشورات جامعة تونس. 2006. .

130. بلفقيه محمد. الجغرافيا القول عنها والقول فيها. المقومات الإبستيمولوجية. دار نشر المعرفة. الرباط. 2002.

131. بن ميلاد لطفي. إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5ه/11م الى مطلع القرن 10هـــ/16م. وقائع الانفصال وتحديات الاتصال. المغاربيّة. تونس 2011.

132. بنحمادة سعيد. أثر البنية القبلية في تدبير النزاعات على الماء بالمغرب والأندلس "المحددات والتجليات". هسبريس ثمودا.44.(2009).

133. // //. الغرب الإسلامي مباحث في العلوم التجريبية. رؤية. القاهرة. 2013.

134. // //. الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7و8 هـــ/ 13 و14م. اسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات. دار الطليعة بيروت. 2007.

135. بنسالم ليليا ، ارنست كلينر، وآخرون.الانثروبولوجيا والتاريخ. حالة المغرب العربي. ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. 1988.

136. بنعبد الله محمد بن عبد العزيز. الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. مطبعة فضالة. المحمدية. المغرب. 1417. 1996.

137. بنميرة عمر. النوازل والمجتمع. مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 2012.

138. بوتشيش إبراهيم القادري. حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي. دار الطليعة. بيروت. 2006 .

139. بوطالب محمد نجيب. القبيلة التونسية بين التغير والاستمرارية، الجنوب الشرقي من الاندماج القبلي إلى الاندماج الوطني. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . تونس. 2002.

140. بولقطب الحسين. جوائح وأوبئة المغرب عهد الموحدين. منشورات الزمن. الرباط. 2002.

141. بيار جورج. معجم المصطلحات الجغرافية. ترجمة. حمد الطفيلي. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت. ط2. 2002.

142. البياض هادي. الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس. ق 6-8هـــ/ 12- 14م. دار الطليعة-. بيروت. 2008.

143. التازي عبد الهادي الهادي. الفكر الجغرافي عند المغاربة. ضمن الاسم الجغرافي تراث وتواصل. أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية 15 16 17 أفريل 1992. المعهد الجامعي للبحث العلمي. المحمدية. المغرب. 1994.

144. تضغوت محمد. نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي، مقاربات منهجية. رؤية. القاهرة، 2004.

145. تغلات زهير. الفكر السياسي الإباضي من خلال مؤلفات جابر بن زيد وسالم بن ذكوان الهلالي والبرادي والشماخي، الدار التونسية للكتاب، 2014.
146. تويراس رحمة. تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العهد الموحدي. مؤسسة الإدريسي للأبحاث والدراسات. الدار البيضاء. 2015.
147. تيتاو حميد. الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني. 609-869هـ 1212-1465م. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية. مؤسسة الملك عبد العزيز. الدار البيضاء. 2009.
148. الجابري محمد عابد. بنية العقل العربي. دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.ط9. 2009.
149. جدلة إبراهيم. المالكية وفقهاؤها بإفريقية في العهد الفاطمي. ضمن النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات. أعمال المؤتمر الدولي الأول (17 18 نوفمبر 2012). الأطلسية. تونس 2014.
150. // //. قراءات في الفكر الخلدوني هل كان ابن خلدون فعلا رمزا للعقلانية العربية. دار الثقافية. تونس. 2018.
151. // //. المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي. المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات. جامعة قفصة. تونس. 2010.
152. جعيط هشام. تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م، دار الطليعة بيروت، 2004.
153. جغلول عبد القادر. الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون. دار الحداثة. بيروت. ط4. 1987.
154. جماعي. معلمة المغرب. ج6 12.الجمعية المغربية للتأليف والنشر. 2000. الرباط.
155. الجنحاني الحبيب. دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط02. 1980.
156. // //. المجتمع العربي الإسلامي والحياة الاقتصادية والاجتماعية. عالم المعرفة. الكويت. 2005.
157. // //. نظام ملكية الأرض في المغرب الإسلامي. القرن 1هـ-6هـ/ 7م – 12م. دراسات تاريخية. ع5. 1981.

158. جوليان شارل أندري. تاريخ إفريقيا الشمالية. ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية تونس، ج1، 2. 1983

159. الجوهري يسري. فلسفة الجغرافيا. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. 1988.

160. حجازي عبد الرحمن عثمان. تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي. من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري (95هـــ/ 713م- 928هـــ/ 1520م). المطبعة العصرية. بيروت. 2000.

161. الحجري إبراهيم. شعرية الفضاء في الرحلة الأندلسية. نموذج القلصادي. دار النايا. دار محاكاة للدراسات. دمشق. 2012.

162. حسن محمد. ابن خلدون مؤرخا للقبيلة العربية- المضمر في شأن العرب في كتاب العبر. ضمن ابن خلدون ومنابع الحداثة. ندوة علمية بمناسبة المائوية السادسة لوفاة ابن خلدون. مارس 2006. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. قرطاج. 2008.

163. // //. الجغرافيا التاريخية لإفريقية. من القرن الأول إلى القرن التاسع هـــ/ 6- 15م. دار الكتب الوطنية. بنغازي. 2004.

164. // //. القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط. المطبعة العربية التونسية. تونس. 1986.

165. // //. المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. 1999.

166. بن حمدة مجيد. المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الاشعرية. مطبعة دار العرب. تونس. 1986.

167. خصباك شاكر. الجغرافيا عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات. 1986.

168. خليفات عوض محمد. الأصول التاريخية للإباضية. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ط3. 1994.

169. // //. نشأة الحركة الاباضية. المطابع الذهبية. مسقط. عمان. 2002.

170. داداه محمد ولد. مفهوم الملك في المغرب. من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع. دراسة في التاريخ السياتسي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1977.

171. الدشراوي فرحات. الخلافة الفاطمية بالمغرب. التاريخ السياسي والمؤسسات. 296هـــ- 365هـــ / 909م 975م. ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1994.

172. دغفوس راضي. دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2005.

173. دندش عصمت عبد اللطيف. أضواء جديدة على المرابطين. دار الغرب الإسلامي. 1991.

174. دي سوسير فرديناند. علم اللغة العام. ترجمة يوئيل يوسف عزيز. دار آفاق عربية. الأعظمية. بغداد. ط3. 1985.

175. ديلاني ديفيد. الإقليم. مقدمة قصيرة. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة. 2017.
176. زعزوع ليلى بنت صالح محمد. مقدمة في الجغرافية الاجتماعية. الدار العربية للعلوم. بيروت. ط2. 2001.
177. زغلول عبد الحميد. تاريخ المغرب العربي من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبة والرستمية والأدارسة. دارا لمعارف. مصر. 1965.
178. الزقرطي إبراهيم موسى. أسس الأسماء الجغرافية. المركز الجغرافي الملكي الأردني. عمان. 1997.
179. زوزو عبد الحميد. الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837- 1939. ط2. دار هومة. الجزائر 2011.
180. السبتي عبد الأحد. قضية التحقيب وتاريخ المجال. التحقيب في الكتابة التاريخية المغاربية. أعمال ندوة مراكش وتونس. دراسات مغاربية. جامعة تونس.2005.
181. // //. مصادر التاريخ الاجتماعي. تساؤلات حول مستويات النص التاريخي التقليدي. في النهضة والتراكم. دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني. دار توبقال. الدار البيضاء. 1986.
182. السعداوي أحمد. المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديموغرافية. الديموغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي. عمر بن حمادي، رشيدة برور وآخرون. دار سراس. تونس. 1993.
183. سلامة حميد. قضايا الماء عند العرب قديما. من الجاهلية القرن 6م الى القرن 11هـ/ 17م. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 2004.
184. بن سليمان فاطمة. الأرض والهوية. نشوء الدولة الترابية في تونس 1574- 1881. منشورات جامعة تونس. 2009.
185. السير ال ثيودر موريس. الدعوة إلى الإسلام. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية. ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون. مكتبة النهضة المصرية. ط3. القاهرة.
186. الشرقاوي محمد. التعريب في القرن الأول الهجري. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 2007.
187. الشريف محمد. الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسي المعاصرة. من المغرب والأندلس. دراسات في التاريخ والأركيولوجيا. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تطوان. المغرب. 2006.
188. شفيق محمد. الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية. مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1999.

189. شنيتي محمد البشير. أضواء على تاريخ الجزائر القديم. بحوث ودراسات. دار الحكمة. الجزائر. 2003.
190. // //. الجزائر في ظل الاحتلال الروماني. بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة المور. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1999.
191. الصاوي لطيف. الخطاب الجغرافي الفرنسي حول الأرياف المغربية – دراسة تحليلية نقدية. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا. اشراف عيسى العلوي. جامعة محمح الخامس. اكدال. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 2000.
192. أبو الصبر رزاق. تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤلفة قبل نهاية القرن الخامس للهجرة، المجلد الأول. . دار الكتب العلمية. بيروت. 2013.
193. الصغير عبد المجيد. الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام. دار المنتخب العربي للدراسات. بيروت. 1994.
194. ضيف الله محمد. "الهوية البربرية من خلال المجلة الإفريقية"، الندوة العلمية الرابعة حول : الهوية والمجال ببلاد المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 4-6 مارس 2004.
195. طالبي محمد. في تاريخ إفريقية. أعلام- مواقع- قضايا. دائرة المعارف التونسية. الكراس 4. 1994 عدد خاص.
196. // //. الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي. 184-296هـ/ 800-909م. تعريب. المنجي الصيادي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط2. 1995.
197. طحطح خالد. الكتابة التاريخي. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. 2012.
198. الطرابلسي بوراوي. نشأة علم الفلاحة العربي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. دار الجنوب. تونس. 2005.
199. طويل الطاهر. المدينة الإسلامية في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس. دار المتصدر. الجزائر. 2011.
200. العامري نللي سلامة. الولاية والمجتمع. مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. 2001.
201. عبد الفتاح وهيبة. في جغرافية العمران. دار النهضة العربية. بيروت .1980.
202. العدواني. تاريخ العدواني. تحقيق، أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1996.
203. العروي عبد الله. ثقافتنا في ضوء التاريخ. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط4. 1997.
204. // // . مجمل تاريخ المغرب. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط5. 1996.

205. // //. مجمل تاريخ المغرب. المغرب في عهد الوحدة والسطوة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط2. 2000.

206. عز الدين عمر موسى. الموحدون في الغرب الإسلامي. تنظيماتهم ونظمهم. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1991.

207. // //. النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري. دار الغرب الإسلامي ط2. 2003.

208. بن عطاء الله مليكة. أحمد التيفاشي وإسهاماته العلمية. مجلة الذاكرة. العدد 05. 2015.

209. عقون محمد العربي. الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. دار الهدى عين مليلة. الجزائر. 2008.

210. // // . الكاهنة في المصادر العربية بين الأسطورة والخطاب السياسي. مجلة أسيناك. 6. 2011.

211. عمارة علاوة. دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2008.

212. // //. موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب.مغرب أوسطيات. دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط. تنسيق. علاوة عمارة.2013.

213. عمامو حياة. أسلمة بلاد المغرب، إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل. دار أمل. تونس. 2004.

214. عويس عبد الحليم عبد. دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري. دار الصحوة. القاهرة. ط2. 1991.

215. عيسى حاج امحمد. اللسان الأمازيغي في سير الوسياني. في الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري. أعلامه وقضاياه الفنية والموضوعية. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. 2018.

216. عيسى لطفي. مغرب المتصوفة. الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي. من القرن 10م إلى القرن 17م. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة تونس- 9 أفريل- تونس. 2005.

217. غلاب عبد الكريم. قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي. دار الغرب الإسلامي. لبنان. 1996.

218. غوتييه أ.ف.. ماضي شمال افريقيا. ترجمة هاشم الحسيني. مؤسسة توالت الثقافية. 2010 .

219. فازيو نبيل. دولة الفقهاء بحث في الفكر السياسي الإسلامي. منتدى المعارف. بيروت. 2015.

220. فالح حسين. مشاركة العناصر غير العربية في الجيش والإدارة الاموية. مجموعة مؤلفين. دراسات تاريخية مهداة إلى عبد العزيز الدوري. المكتبة الوطنية. الأردن. 1995.

221. فاليريون دومنيك. بجاية ميناء مغاربي. ترجمة عمارة علاوة. منشورات المجلس الأعلى للغة العربي. الجزائر 2014.

222. الفرد بل. بعض طقوس الإستمطار إبان الجفاف لدى المغاربيين. ترجمة. سمير آيت أومغار. منشورات الزمن. الرباط. المغرب. 2016.

223. فلهوزن يوليوس. تاريخ الدولة العربية، من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الاموية. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. لجنة التأليف والترجمة. القاهرة. 1968.

224. الفهري عبد الصمد. الجبل في جدلية المقدس والمدنس. ضمن المجال والهوية ببلاد المغرب. أعمال ندوة دولية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس. 4. 5 . 6 مارس (2004).

225. فؤاد خليل. سوسيولوجيا المصطلح البدوي. العشيرة بين التقليدي والحديث. منتدى المعارف. بيروت. 2015 فوكو ميشال. الكلمات والأشياء.ترجمة مطاع الصفدي وآخرون. مركز الإنماء القومي. بيروت. 1990.

226. فوكو ميشال. حفريات المعرفة. ترجمة سالم يفوت. المركز الثقافي العربي. بيروت– الدار البيضاء. ط2. 1987.

227. فيفر. لوسيان. الأرض والتطور البشري. ترجمة. محمد السيد غلاب. المركز القومي للترجمة. القاهرة. 2015.

228. ڤزال ستيفان. تاريخ شمال افريقيا القديم. ترجمة محمد التازي مسعود. الرباط مطبعة المعرف الجديدة. 2007.

229. القبلي محمد. تاريخ المغرب، تحيين وتركيب. منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. مطبعة عكاظ الجديدة. الرباط. 2011.

230. // //. مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط. دار طوبقال. المغرب. 1987.

231. قوجة. المنصف. تاريخ الإباضية الديني والسياسي، من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري. الدار التونسية للكتاب. تونس. 2014.

232. كاربخال مارمول ، افريقيا ترجمة. محمد حاجي، محمد زنيبر وآخرون. مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1989.

233. كاستال بيار. حوز تبسة. دراسة وضعية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة واعراشه. تعريب. محمد العربي عقون. مطبعة بغيجة حسام. 2010.

234. كامبس غابريال. البربر ذاكرة وهوية. ترجمة. عبد الرحيم حزل. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. 2014.

235. // //. في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ. ترجمة محمد العربي عقون. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. ط2. 2012.

236. كاهن كلود. الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى. الاجتهاد. العدد6. شتاء 1990.

237. الكحلاوي محمد. الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي. القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي. دار الطليعة. بيروت. 2009.

238. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة ،. 1957.

239. الكوخي محمد. سؤال الهوية في شمال افريقيا. التعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والثقافة والتاريخ. افريقيا الشرق.

240. لطفي دبيش. الانسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة تونس. تونس. 2011.

241. لغزاوي عبد الإله. مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس. مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آلية اشتغال الكتابة. دار أبي رقراق. الرباط. ج1. 2010.

242. لفيتسكي تاديوس. تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم. دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونيميا الأمازيغية. ترجمة عبد الله زارو. مؤسسة توالت الثقافية. 2006.

243. // //. دراسات شمال إفريقية. ترجمة أحمد بومزقو. مؤسسة تاوالت الثقافية. 2005.

244. لكلرك جيرار. الأنثربولوجيا والإستعمار. ترجمة جورج كتورة. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت. ط2. 1990.

245. لومبار موريس. الإسلام في مجده الأول من القرن 02 إلى القرن 05هـ (8-11م).ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب ،ط 03، 1990

246. مارسي جورج. بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى. ترجمة. محمد عبد الصمد هيكل. منشأة المعارف. الإسكندرية. مصر. 1991.

247. مجاني بوبة. أثر العربية اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. منشورات جامعة، قسنطينة. 2003.

248. // //. دراسات إسماعيلية. مطبوعات جامعة منتوري. قسنطينة. 2002- 2003.

249. // //. النظم الإدارية للخلافة الفاطمية. في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي. 296-362هـ/ 909. 973م. دار بهاء الدين. الجزائر. 2009.

250. مريمي محمد. خطاب الرحلة والإسلام الإباضي خلال العصر الوسيط والفترة الحديثة. من كتاب الرحلة والغيرية. تنسيق. عبد الرحيم بنحادة، خالد شكراوي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 2008.

251. مزين محمد. فاس وباديتها. مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549- 1637م. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1986.

252. مصطفى أبو الضيف. أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين. 524-876هـ/ 1130-1472م. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. 1982.

253. المطوي محمد العروسي. السلطنة الحفصية. تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1986.

254. المغراوي محمد. الموحدون وأزمات المجتمع. جذور للنشر. الرباط. 2006.

255. مقيدش السعيد. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأنظار. تحقيق. علي الزواري ومحمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي. تونس.1988.

256. بن منصور عبد الوهاب. قبائل المغرب. المطبعة الملكية. الرباط. 1968.

257. المنصوري عبد سلام. بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ. الرباط. 2017.

258. المنصوري مبروك. جدل الدين الإسلامي والعمران المغربي. الدار المتوسطية. تونس. 2010.

259. // //. الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. تشكله وتطوره وانتشاره. الدار المتوسطية. تونس. 2011.

260. المنصوري محمد ومحمد مغراوي. التاريخ والنوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. مطبعة فضالة. المحمدية. المغرب. 1995.

261. المنوني محمد. ورقات عن حضارة المرينيين. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.ط3. 2000.

262. مورار جيرار. إحياء الوسط الطبيعي وتهيئته. المغرب العربي. الانسان والمجال. تعريب. علي التومي. وآخرون. دار الغرب الإسلامي. 1997.

263. ميراندا إمبروسيو هويثي. التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية. ترجمة عبد الواحد أكمير. منشورات الزمن. النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب. 2004.

264. النفاتي عادل. المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب. حفريات في أدب الرحلة. القرن 16. في الهوية والتدين والثقافة. افريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. 2015.

265. الهادي روجي إدريس. الدولة الصنهاجية. تاريخ إفريقية في عهد بني زيري. من القرن 10 إلى القرن 12م ترجمة حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. ج2. 1990.

266. هربك إيفان. بروز الدولة الفاطمية. تاريخ افريقيا العام، إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر. إشراف م. الفاسي. وإيفان هربك. اليونسكو. ج3. ط2. 1997.

267. هواري زهير. السلطة والمعارضة في الإسلام. بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11 هـــ-132هـــ/ 612- 750م. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت. 2003.

268. هولت أريلد– ينسن. الجغرافية. تاريخها ومفاهيمها. ترجمة عوض يوسف الحداد. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. 1998.

269. هيلدبرت أزنار، الحيز الجغرافي، ترجمة. محمد إسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994.

270. هيليلاند بوتولف. القيم الاجتماعية والثقافية للأسماء الجغرافية. الأمم المتحدة- إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية. منشورات 2007.

271. الوريمي ناجية. الإسلام الخارجي. دار الطليعة. بيروت. 2006.

272. بن وزو هادي محمد حسن. قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب افريقية في العصر الوسيط. من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي. مركز النشر الجامعي. تونس. 1999.

273. ياسين جواد. الدين والتدين: التشريع والنص والاجتماع. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط2. 2014.

274. // //. السلطة في الإسلام. نقد النظرية السياسية. دار التنوير. بيروت. 2012.

275.

ثالثا: الرسائل الجامعية

276. بخوش زهير . التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني" دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية "بأوراس". رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر2. 2016. 2017.

277. بركات إسماعيل. الدرر المكنونة في نوازل مازونة. للمازوني. الجزء الأول. دراسة وتحقيق في المسائل الجهاد والأيمان والنذور.مذكرة ماجيستير. جامعة قسنطينة. 2009– 2010.

278. بوترعة كريم. المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية. 1830 1930. مذكرة شهادة الماجستير غير مطبوعة. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.قسنطينة. 2009.

279. بونابي الطاهر. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ 14– 15م. أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر. (2008 2009).

280. حاف محمد حبيب. أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان. رسالة دكتوراه. جامعة نلمسان 2012 –2013.

281. عولمي الربيع. المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، رسالة دكتوراه. جامعة باتنة، 2015–2016.

282. عيبش يوسف ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي. أطروحة دكتوراه. جامعة قسنطينة. 2007– 2006.

رابعا: الـــدوريـــــات

283. أزايكو علي صدقي. التأويل النسبي الجينيالوجي لتاريخ شمال افريقيا. مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية. 15. (1990/1989).

284. بونابي الطاهر. ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـــ. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. العدد 12. 2011

285. الخصاونة عوني محمد. مقدمة عن الأسماء الجغرافية. مجلة الأسماء الجغرافية. تصدر عن الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية. العدد الأول. نيسان (2015) .

286. علواني صالح. انتشار الولاية في بلاد القبائل الرحل وتشكل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلاديين. إنسانيات. عدد مزدوج 60- 61. سبتمبر 2013.

287. عمارة علاوة. الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط. التاريخ العربي. 32. 2004.

288. // //. الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب. التاريخ العربي. ع 25. (2003).

289. // //. الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. العدد 10. (2009).

290. // //. خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية. (1962- 2012). المواقف. 7. (2012).

291. // //. الهجرة الهلالية واشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط. قراءة في نقاش تاريخي. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. قسنطينة. العدد الرابع. أكتوبر 2004.

292. // //. أبو المهاجر دينار بين الروايات العربية والقراءات الغربية. صور وأبعاد. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. 2010. 11.

293. عيبش يوسف. الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي . مجلة الآداب والعلوم الإنسانية .02. (2003).

294. مجاني بوبة. الاتجاهات الفكرية للمدرسة الإسماعيلية في مرحلتها المغربية. 260- 362هـ/ 973- 909م. حوليات التاريخ الوسيط. 2000.

295. مجلة الأسماء الجغرافية. تصدر عن الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية. العدد الأول (نيسان 2015) .العدد الثاني. (أيلول 2015).

المصادر باللغة الأجنبية: Sources

1. Procope de Césarée, La guerre contre les vandales, guerre de Justinien, livre 3 et 4, Paris, (1990).

المراجع باللغات الأجنبية:

2. Ahmed Siraj. L'image de la Tingitane. L'historiographie arabe médiévale et *l'Antiquité nord*-africaine. Rome : École Française de Rome, (1995).
3. Albert Ballu, les ruines de Timgad (Antique Thamugadi), Paris, (1897).
4. Albert Dauzat. Les noms de lieux : origine et évolution, villes et villages, pays, cours d'eau, montagnes, Lieu-dit. Paris, (1963).

5. Antoine Ernest. Carette. Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie. Paris. (1853).
6. Arthur Pellegrin, Essai sur *les noms de lieux d'Algérie et de Tunisie* : etymologie, signification. Tunis. (1949).
7. Bilochi. M. S. *La conversion des berbères a l'islam*. Maison de l'édition, Tunis. (1981).
8. Sarnelli Cerqua, C., « Islamisation et arabisation de l'Afrique du Nord », Maghreb *médiéval. L'apogée de la civilisation islamique dans l'Occident arabe*, Aix-en-Provence, (1991),
9. Charles Diehl. *L'Afrique Byzantine, Histoire de la domination byzantine en Afrique du* Nord (533-709), Paris. (1896).
10. Courtois (Ch.), les Vandales *et l'Afrique*, paris. (1955).
11. // , Timgad, Antique Thamugadi, Alger, (1951).
12. // , Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord. (1892- 1893). Ernest leroux éditeur. Paris (1894),
13. Charles Joseph Tissot, Géographie comparée de la province romaine d'Afrique. Tome 2. Chorographie. Réseau routier. Imprimerie nationale, Paris, (1888).
14. Christophe Picard. Islamisation et arabisation de l'occident musulman médiéval (VII^{e}-XII^{e} siècle) : le contexte documentaire. Publications de la Sorbonne. Paris. (2011).
15. Colonel de Lartigue, Monographie de l'Aurès. des 3° zouaves. Constantine (1904).
16. Cyrille Aillet, Islamisation et Arabisation dans le monde musulman médiéval : une introduction au cas de l'Occident musulman (VII^{e}-XII^{e} siècle). Publications de la Sorbonne. Paris. (2011).
17. Dureau de la Malle, l'Algérie, « Histoire des guerres des Romains, des Byzantins, et des Vandales », Firmin Didot, Paris, (1852),
18. Edmond Douté. L'Islam algérienne en l'an 1900, Algérie, Girlat, (1900),
19. Edmond Doutté et Emile- Félix Gautier. Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie. Typographie Adolphe Jourdan. Algérie. (1913).
20. Elizabeth Fentress. Andrew Wilson, « The Saharan Berber Diaspora and the Southern Frontiers of Byzantine North Africa», North Africa under Byzantium and early Islam, edited by Susan T. Stevens and Jonathan P. Conant. Library of Congress.
21. Emile Laoust, Mots et Choses Berbères. Notes de Linguistique et D'ethnographie Dialectes du Maroc. Paris. (1920).
22. Ernest Mercier. « Histoire de l'établissement des Arabes dans l'Afrique septentrionale : selon les documents fournis par les auteurs arabes ». Constantine, (1875).
23. Évariste Lévi-provençal. Historiens des Chorfa essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVI e au XX e siècle. Emile Larose, Paris. (1922).
24. Gabriel Camps, Massinissa. Aux origines de la Berbérie: Massinissa ou les débuts de l' histoire. Arts et métiers graphiques, (1960).
25. Gaston Boissier, *l'Afrique romaine, Promenades archéologiques en Algérie et en* Tunisie, Paris, (1901),
26. Gautier, Émile Félix. Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs. Paris (1937).
27. // , « Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs », Paris, (1942),

28. // , L'Islamisation de l'Afrique du Nord: les siècles obscurs du Maghreb. Paris. (1927).
29. George Marçais. Les arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle. Constantine, (1913).
30. // , La Berberie musulmane et l'orient au moyen-âge. Paris. (1946).
31. Jehan Desanges,, Catalogue des tribus Africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar, (1962).
32. Lancel (S.), Actes de la conférence de Carthage en 411, éditions du cerf, Paris.
33. Mansour Ghaki. Toponymie et Onomastique libyques. L'apport de l'écriture punique/néopunique. Napoli. (2015).
34. Mohamed Benabbès. « Des provinces byzantines à l'Ifriqiya : continuités et changements dans les découpages administratifs ». Provinces et identités provinciales *dans l'Afrique romaine,* Publications du CRAHM. (2011).
35. Hicham Djaït. « La Conquête Arabe et l'émirat », Histoire de la Tunisie, Tunis, (s.d.).
36. Idris, Hady Roger. la Berberie orientale sur les zirides, Xe-XIIe siècles. Paris. (1962).
37. Michel Janon, « The contribution of Medieval Arabic Sources to the Historical Geography of Byzantine Africa ». North Africa Under Byzantium and Early islam. Dumbarton oaks Research Library and collection Trustees for Harvard University, Washington, (2016).
38. Mohamed el Mostafa Filah, Recherche Sur Les Agglomérations Antiques, Le Réseau Urbain, Et le Paysage Rural en Numidie Occidentale (Algérie), thèse de doctorat de l'université de Provence. Aix en Provence. (1986).
39. Mohamed Talbi, « La Conversion Des Berbères au kharijisme ibādito-sufrite et la nouvelle carte politique du Maghreb au IIe/VIIIe siècle », *Études d'Histoire ifriqiyenne* et de civilisation musulmane médiévale, Tunis, (1982),
40. Mohand Tilmatine. Observations sur le vocabulaire amazigh (berbère) des plantes. january (2005).
41. Ophie Gilotte. Annliese Nef. « L'apport de l'archéologie, de la numismatique et de la sigillographie à l'histoire de l'islamisation de l'occident musulman : en guise d'introduction ». Islam*isation et arabisation de l'occident musulman médiéval (VIIe–* XIIe siècle), éd. Dominique Valérian, publications de la Sorbonne (bibliothèque historique des pays d'islam), Paris, (2011).
42. Pascal Buresi, Mehdi Ghouirgate. Le Maghreb XIe XVe siècle. Armand, Paris, (2013).
43. Philippe Von Rummel. The Transformation of Ancient Land- and cityscapes in early Médiéval North Africa. North Africa under Byzantium and Early islam, washington. (2016).
44. René.Cagnat, *Carthage, Timgad, Tébessa et les villes antiques de l'Afri*que sous les Empereurs, 2 Vol., Paris, (1909).
45. Richard W. Bulliet. Conversion to Islam in the medieval period: an essay in quantitative history. (1979).
46. Shaw Thomas. *Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographique,* physique, philologique, etc. de cet Etat. Traduit de l'anglais. Par Mac Marthy. Paris. (1830).

47. Soléna Cheny. Les Berbères chez les Arabes ». Étude sur la définition d'une catégorie ethnique umr 8167, université de Panthéon-Sorbonne, paris / lacnad, inalco, paris. (2013).
48. Gsell, S., Les monuments antiques de l'Algérie. Paris, (1901).
49. // , *Inscriptions latines de l'Algérie*. Tome premier inscriptions de la proconsulaire », librairie champion, (1922).
50. // , « Pasteur. Un village en pleine ». Alger. (1894).
51. // , « Recherche archéologique en Algérie ». Ernest Leroux édition. Paris. (1893).
52. // , *Atlas archéologique de l'Algérie*, tome1. Texte, 2e édition. Algérie. (1997).
53. // , Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, Paris, Imprimerie nationale, (1902).
54. Tissot, Charles Joseph. *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*. Tome second. Chorographie. Réseau routier. Imprimerie nationale. Paris. (1888).
55. Victor de Vita, Histoire de la persécution des Vandales en Afrique, Trad. S.Lancel, Belles lettres, Paris, V, 1, 2. (2002),
56. Walter keagi, « La Dynamique de l'expansion Islamique en Afrique du Nord », conférence, université Emir Abdelkader- Constantine, (2006).
57. Yves Modéran. *Les maures et l'Afrique romaine*. (ive-VIIe siècle). Publications de l'école française de Rome. Rome. (2003).

Périodiques : الدوريات

58. Abbès Zouache, «Ruptures, Transitions, Continuités dans l'histoire de l'Egypte médiévale», médiévales. 64. (2013),
59. Abdallah El Mountassir. (Berbère et arabe maghrébin. Etudes de linguistique et de sociolinguistique), centre de recherche Berbère. Revue des études berbères, paris. 10, (2015).
60. Abdallah El Mountassir. Ces voix et ces mots qui disparaissent. Le vocabulaire maritime berbère (tachelhit). Revue des études berbères, Paris. 10, (2015).
61. Abdelhamid Fenina. « *La ville de Maǧǧāna sous Ziyādat Allāh I : un atelier monétaire peu connu et une principauté éphémère à l'époque aġlabide* ». Arabica, 55. (2008).
62. // , « Réflexions sur la révolte des Berbères kharijites au Maghreb sous le gouvernement de ᶜUmar b. Hafs (151-154/768-771) ». Une relecture des sources textuelles à la lumière des sources numismatiques », Revue Tunisienne de Sciences Sociales, 138, (2009),
63. Adam Gaiser. "Muslims, Scholars, Soldiers: The Origin and Elaboration of the Ibāḍī Imāmate Traditions »". American Academy of Religion Academy Series. New York : Oxford University Press. 1. (2010).
64. Agnès groslambert. « Population civile à Lambèse : étude onomastique ». Revue des études anciennes. 105, (2003).
65. Ahmed M'charek. « Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours : le cas des Berbères Aurès (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta) ». Académie des inscriptions & belles-lettres comptes rendus des séances, Janvier-mars. (2015).

66. // , « De tacite à ibn khaldûn. À la recherche de deux tribus berbères : masofi (masûfa) et vsinazi (banû sināg/anhadja) ». Actes du 7ème colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes : Sbeïtla, session (2010).
67. // , « Kalaat Senane "Bulla Mensa" : une forteresse - refuge de l'Antiquité aux temps modernes ».
68. // , « La vallée de l'Oued Ouadran (l'antique vadara), un espace tribal Hautement stratégique de corippe à Ibn Khaldoun. », Actes du 6e colloque Sbeitla, 2008. INP, Tunis, (2010).
69. Allaoua Amara. « *L'organisation foncière du Maghreb central (VIIe* -XIVe siècle) », *al Mawaqif, revue d'études et de recherches sur la société et l'histoire.* 5. (2010).
70. // , « *Entre le massif de l'Aurès et les oasis* : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe-XIVe siècle) », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 132, (2012).
71. // , « Les Fatimides et le Maghreb central, littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 139, (2016).
72. // , « Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (vii-XIVe siècles) ». Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126. (2009).
73. // , « Entre la conversion et la mort : le statut et le sort des ibadites maghrébins *d'après les textes juridiques m*alikites ». Biografías magrebíes. Identidades y grupos religiosos. Estudios onomaástico-biográficos *d'al*-andalus, XVII, (2012).
74. // , « *L'islamisation* du Maghreb central 7e 11e siècle », (2001).
75. // , « *L'organisation foncière du Maghreb central (VIIe* -XIVe siècle) », *al Mawaqif, revue d'études et de recherches sur la société et l'histoire.* 5. (2010).
76. // , « La structuration des Ibadites-Wahhabites au Maghreb (11e 15e) siècle ». Annales islamologique. Institut français d'archéologie oriental. 42. (2008).
77. // , « *Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du* pays des kutãma ». ALBORÁN. Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb. Granada. (2018).
78. // , « *Remarques sur le recueil Ibāḍ*ite- Wahhabites siyar al- *mašā'iḫ* : retour sur son attribution ». Andalus, Magrib, 15 (2008).
79. //, Islamisation et Arabisation de l'Occident musulman medieval. L'islamisation du Maghreb central (VIIe-XIe siècle), Paris. (2011).
80. Amar Salem Baadj. Saladin, The Almohads and the Banu Ghaniya: the Contest for North Africa (12th and 13th centuries). Leiden, E, Brill, (2015),
81. André Basset, Articles de dialectologie berbère, collection linguistique publiée par la société de linguistique de Paris. Paris. (1959).
82. // , Géographie linguistique de la Kabylie (1929) et Atlas linguistiques des parlers berbères (Algérie du nord) (1936/1939),

83. André Miquel. « La perception de la frontière aux approches de l'an mil de notre ère » .Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Le monde musulman à l'épreuve de la frontière. n°48-49, (1988).
84. Anna Maria di Tolla. La littérature orale berbère. La narration des contes du sud-est marocain. università degli studi di napoli "l'orientale" dipartimento asia, africa e mediterraneo. Studi africanistici. Quaderni di studi berberi e libico-berberi. Napoli. (2014).
85. Antonio Cunha. « Systèmes et territoire. Valeurs, concepts et indicateurs pour un autre développement ». Espace géographique, 17. 3. (1988).
86. Armand Frémont, « la région d'Ain M'Lila dans les hautes plaines constantinoises ». Méditerranée, 3e année n 2, (1962).
87. Audollent Aug. Et J. Letaille. « Mission épigraphique en Algérie » (1889 - 1890). Mélanges d'archéologie et d'histoire, 10, (1890).
88. Augustin Bernard E, Ficheur, «Les régions naturelles de l'Algérie». Annales de géographie. 11 60. (1902).
89. Bakhta Moukraenta. « Les sources arabes et les royaumes numides ». .06 الناصرية. (2015.)
90. Boutheina Ben Hassine. « *L'image des berbères dans les sources ibadites* ». Géographie historique du Maghreb antique et médiéval : état des lieux et perspectives de recherches. Colloque international du laboratoire de recherche «occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval». Sousse, Tunis, 14, 15, 16 mars (2014)
91. Brahim Zerouki. L'imamat de Tahart. Premier Etat musulman du Maghreb. 144-296 de héjire. Tome.1. Histoire politico- socio- religieuse. C.N.R.S. Paris.
92. Brent. D. Shaw, « Lamasba : An Ancient irrigation Community ». Antiquités Africaines, 18, (1982).
93. // , « Water and Society in the Ancient Maghrib: Technology, Property and Development ». Antiquités africaines,20 ,(1984).
94. Speel, C. J., Monmouth College, «The Disappearance of Christianity from north Africa in the wake of the rise of Islam». American Society of Church History, 29, 4 (1960),
95. Charles Féraud. « Les Harar de seigneur de hanencha ». Revue africaine. 18 (1874).
96. Christophe Meuret. « Le règlement de Lamasba : des tables de conversion appliquées à l'irrigation ». Antiquités africaines, 32, (1996).
97. Claude Cahen, quelques mots sur les hilaliennes et le nomadisme, journal of economic and société historique of orient, 9, (1968),
98. Claudette Vanacker. « Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle ». Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 28, 3, (1973).
99. Corisande Fenwick, « From Africa to ifrīqiya: settlement and society in early médiéval North Afriqua, (650–800) », Al-*masā*q, 25, n°. 1, (2013),
100. Cyrille Aillet, « l'ibadisme maghrébin en contexte fatimide (début X^e^ -milieu XI^e^ siècle)», revue des mondes musulmans et de la méditerranée, 139. (2016).

101. // , « Frontière religieuse et catégorisation sociale des convertis en al-Andalus (IIe-ive/VIIIe- Xe siècles) ». Annales islamologiques. 42. (2008).
102. Delphine Acolat, « La stratégie des Romains en montagne », Stratégique 1, n° 88, (2007).
103. Di Méo Guy. « De l'espace aux territoires : éléments pour une archéologie des concepts fondamentaux de la géographie ». L'information géographique, 62, n°3, (1998).
104. Dominique Valérian, « contrôle et domination politique de l'espace dans le Maghreb central (VIIe XIe siècle) » Annliese Nef et Élise Voguet (éd.), La légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval, Madrid, (2011),
105. Dresch jean. Toponymie nord-africaine. *L'information géographique*, 15, n°1, (1951).
106. Elise Voguet et Mohamed Ourfelli. « Le monde rural dans l'occident musulman médiéval ». Revue des mondes musulmans et de la méditerranée. 126. (2009).
107. Élise Voguet, « Islamisation de « l'intérieur du Maghreb» : les fuqahâ' et les communautés rurales ». Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126, (novembre 2009),
108. Emile Laoust, contribution a une étude de la toponymie du haut atlas adrar n deren d'après les cartes de Jean Dresch, revue des études islamiques, 1939, 3,4, 1940, paris, (1942).
109. Emile Masqueray, « Le Djebel chechar », Revue africaine, XXII, (1878).
110. // , «Ruines anciennes de Khenchela Mascula à Besseriani (Ad Majores)», Revue africaine, XXIII, (1879).
111. // , «Seriana, le bellezma, n'gaous, Tobna, Tolga. Rapport archéologique ». Revue africaine. 21. (1877).
112. Bahri, F. , « Sbiba entre deux conquêtes à travers trois sites islamiques : de la conquête musulmane à l'invasion hilalienne au milieu du V^e^-XI^e^ siècle », Histoire des Hautes Steppes, Antiquité-Moyen Âge, éd. F. Béjaoui, Tunis, (2003),
113. Farhat Dachraoui. Les commencements de la prédication ismā'īlienne en ifrīqiya. Studia islamica. 20. (1964).
114. Felix- Georges de Pachteref. G., « le règlement d'irrigation de Lamasba », mélanges d'archéologie et d'histoire, 298, (1908),
115. Frédéric Giraut, Myriam Houssay-Holzschuch et sylvain Guyot, « au nom des territoires. Enjeux géographiques de la toponymie », espace géographique 2, 37. (2008).
116. Gabriel Camps, « Abigas », 1. Abadir – Acridophagie, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes »), (1984).
117. // , « Rex Gentium Maurorum et Romanorum, recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIè et VIIè siècles », Antiquités africaines, t. 20, (1984).
118. // , « Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe ». Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, 35, (1983-1).

119. // , « Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri d'après une note de Latapie », libyca. Anthropologie préhistoire ethnographie, t. 6-7, (1958 -1959).
120. // , « Espaces berbères ». Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, 48-49, (1988).
121. Garcin Jean-Claude. L'arabisation de l'egypte. Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n°43, (1987).
122. Gustave mercier, « le nom des plants en dialecte chaouia de l'Aurès ». Acte 14e congrès interne. Orientalistes 2. (1897).
123. Hamden Ben Romdhane. « Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine ». Actes du troisième colloque international. Le peuplement du Maghreb antique et medieval. Sousse, 05, 06 et 07 mai (2016).
124. Henri Busson. « Les vallées de l'Aurès ». Annales de géographie. t. 9, n°43. (1900),
125. Henri Tauxier, « Sur la et détermination le sens de plusieurs mots de l'ancienne longue Numidie », Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, Paris, 2e, (1866),
126. Henri Terrasse, « Citadins et Grandes dans l'histoire de l'islam », studia islamica, 29, (1969).
127. Hicham Djaït., « La Wilāya d'Ifrīqiya au IIe/VIIIe siècle : Étude institutionnelle (suite et fin) ». Studia Islamica,. 28. (1968).
128. Hilton Simpson. « The influence of its geography on the people of the Aurès massif, Algeria », the geographical journal, Jun (1925).
129. Idris, Hady Roger. de la realité de la catastrophe hilalienne. Annales. 22e année, (1967).
130. Idris, Hady Roger, De La catastrophe hilalienne, annale ESC. (1968).
131. // , L'invention hilalienne, cahier de civilisation médiévales (1968),
132. Jack Berque, « de nouveau sur les Beni Hilal », studia islamica, 36, (1972),
133. Janon Michel. Recherches à Lambèse : La ville et les camps. Aquae Lambaesitanae. Antiquités africaines,7,(1973).
134. Jean Despois. « Changements de noms dans la liste des communes algériennes ». Annales de géographie, 74e année, no. 405. (1965).
135. // , « La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord ». Annales. Economies, sociétés, civilisations. 11e année, 1, (1956).
136. // , « Le Hodna ». Presses universitaires de France. 108. Paris. 1953).
137. Jean- Pierre Laporte, Xavier Dupuis. « De Negrenes Maiores a Négrine ». Antiquités africaines 45. (2009). Cnrs éditions. Paris. (2011).
138. Jean Pierre. Laporte. Jean Baptiste Chabin. « Aridification et désertification des Nemamcha, de l'Antiquité à nos jours. Changements climatiques et pression anthropique sur la nature. Peuplement, territoire et culture matérielle dans l'espace méditerranéen ». Colloque international, Kairouan 15 16 17 avril 2014. Université de *Kairouan, faculté des lettres et des sciences humaines département d'archéologie.* Tunis. (2016).

139. Jean-Pierre Laporte, « Notes sur les steppes de l'est algérien (région de Tébessa, du Dyr et des nemencha) ». Actes de 7*e colloque international sur l'histoire* des steppes tunisiennes. Sbeitla session 2010. Institut national du patrimoine. Tunis. (2014).

140. // , « La limite entre les Maurétanie césarienne et sitifiènne ». Frontières e*t limites géographiques de l'Afrique du Nord antique. Hommage à Pierre Salama*. Publications de la Sorbonne. Paris. (2000).

141. // , Particularités de la province de Maurétanie césarienne (Algérie Centrale et Occidentale). Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, publications du CRAHM, (2011).

142. Jean Poncet, encore à propos des hilaliens la mise point de Roger Idris, annales ecs, (1968).

143. // , Le Mythe de la Catastrophe Hilalienne, annales ECS, (1968),

144. Jean-Louis Ballais, « L'Aurès ou les Aurès ». Réflexions d'un géographe sur un pluriel singulier. Aouras, Société d'études et de recherches sur l'Aurès antique). n°7, (2012).

145. Jean-Louis Ballais, « Les grandes phases de modification de l'environnement dans les Aurès (Algérie) au cours de la période historique », *Bulletin de l'Association* de géographes français (61) (499) (1984).

146. Jean-Louis Ballais, Benazzouz Mohamed T. Données nouvelles sur la morphogenèse et les paléo-environnements tardiglaciaires et holocènes dans la vallée de l'oued Chéria-Mezeraa (Nemencha, Algérie orientale). Méditerranée, 80, 3-4. (1994).

147. Jean-Louis Ballais. « Des oueds mythiques aux rivières artificielles : l'hydrographie. du bas-Sahara algérien ». Physio-géo - géographie physique et environnement. iv. (2010),

148. Jehan Desanges, « Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle », Antiquités africaines, 15, (1980).

149. // , « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine », Byzantion, 33, (1963),

150. Jérôme Carcopino, Encore Masties, l'empereur maure inconnu, Revue Africaine, t. 100, (1956),

151. // , Un «empereur» maure inconnu d'après une inscription latine. Revue des Études Anciennes, t. 46, (1944),

152. Joseph Blayac, «le pays des Nemenchas: a l'est des monts Aurès (Algérie)». Annales de géographie, 8e Année, No. 38 (15 mars 1899),

153. Khaled Belkhoudja, « L'Afrique byzantine de la fin du 5^{e} au début du 6^{e} siècle ». Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée. 8, n° 01, (1970),

154. Lassère Jean-Marie. Onomastica africana V-VIII. Antiquités africaines, 18,(1982.

155. Le chanoine Jaubert. « Anciens evêchés et ruines chrétiennes de la Numidie & de la sétifienne ». Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine. 3e volume. (1912) .

156. Lionel Galand, « état linguistique de l'Aurès antique ». Aoures 1. Paris. (2003).

157. Louis Leschi. « Nouvelles recherches aériennes sur le « limes » d'Afrique ». Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 91e année, 3, (1947)

158. Mansour Margouma. La toponymie algérienne : lecture préliminaire de la dénomination de l'espace, nouvelle revue d'onomastique, n° 43-44. Paris. (2004).

159. Matthew M. Mccarty. Soldiers And Stelae: votive cult and the roman army in north africa. International congress of Classical Archaeology. Meetings between cultures in the Ancient Mediterranean, Roma (2008) XVII.

160. Maurice Besnier, « Notes sur l'Aurès : la plaine d'Arris », Annales de géographie, 8e année, 40, (1899),

161. Maximilien Sorre, «Les fondements biologiques de la géographie humaine», Ecologie. Politique. N°26, 3. (2002)

162. Mehdi Ghouirgate. « Le berbère au moyen âge une culture linguistique en cours de reconstitution ». Annales. Histoire, sciences sociales. n° 3. (2015).

163. Mena lafkioui et Daniela Merolla, « Contes berbères chaouis de l'Aurès. D'après Gustave mercier ». Berbères studies, 03. Harry Stroomer, University of Leiden ; The Netherlands.

164. Michael Brett (1974). The Zughba at Tripoli, 429H (1037–8 A.D.). Libyan Studies, 6. January. (1974).

165. Michel Janon. « L'Aurès au 11e siècle. Note sur le récit de Procope ». Antiquités africaines 15, (1980).

166. Mohamed Hassen.« Genèse et évolution du système foncier en Ifriqiya du VIIIe au Xe siècle: les concessions foncières (qaṭī'a),les terres réservées (hima-)et les terres habous.les dynamiques de l'islamisation en méditerranée centrale et en Sicile : nouvelles propositions et découvertes récentes ». a cura di Annliese Nef, Fabiola Ardizzone es trat to .Roma-Bari (2014).

167. Mohamed Meouak. « Brief notes on the concepts of *lisān* and lugha within the framework of the médieval berber language through some examples ». Asian and African studies, 25, 2, (2016).

168. // , « Remarques sur la genèse du peuplement antique et *médiéval du Maghreb : l'apport de la toponymie et de la philologie* ». Rocznik Orientalistyczny, LXVI, z. 1, (2013).

169. Mohammed Kamel Meharzi. « Le rôle de l'orographie dans la répartition spatiale des précipitations dans le massif de l'Aurès ». Méditerranée, T 80, 3-4-(1994).

170. Motylinski. « Le nom de Dieu chez les ibadites ». Revue africaine. (1905).

171. Nejmaddine Hentati, l'eau dans la ville de l'occident musulman médiéval, d'après les sources juridiques malikites. *Revue d'histoire* maghrébine. 102. 103. mars (2001).

172. Paul Flatters, l'Afrique septentrional ancienne. Revue africaine. 21 (1877).

173. Paul-Albert Février, Recherche archéologique en Algérie (1964-1966) Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, paris, (1967),

174. Paul-Louis Cambuzat, *L'évolution* des cités du Tell en Ifrîkiya du VII.° au XI.° siècle , Alger, Office des publications universitaires, tome. 1. (1986),

175. Pierre Morizot, Abdelmalek Nasraoui, « A propos des ruines de la vallée de Mellagou (Aurès, Algérie). Les vestiges chrétiens de baïnou et la mosaïque découverte à bouzouamel », comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres, 145e année, n. 2, (2001)
176. Pierre Morizot, « A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine ». Antiquités africaines. 35 , (1999).
177. // , « Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Masties », Antiquités africaines., 25, (1989).
178. // , « Recherches sur les campagnes de Solomon en Numidie méridionale (535-589) », C.R.A.I., janvier-février (1993).
179. // , « L'Aurès et l'olivier », antiquités africaines. 29. (1993),
180. // , « La présence romaine dans le Dj Amour. Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique ». Hommage à Pierre Salama. Actes de la table ronde réunie à Paris les 2 et 3 mai (1997).
181. // , « Vues nouvelles sur l'Aurès antique ». Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 123, 2, (1979),
182. // , *Archéologie aérienne de l'Aurès*. Paris. (1997).
183. Pierre Salama. Les voies romaines de l'Afrique du Nord. Gouvernement général de l'Algérie, (1951).
184. Pol Trosset. « De la montagne au désert. Limes et maitrises de l'eau ». Revue *de l'Occident musulman et de la Méditerranée*. 41. (1986).
185. // , Les limes antiques et la reconquête byzantine en Afrique. 2em *colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord*. (1983).
186. Rachid Bourouiba. *L'architecture militaire de l'Algérie médiévale*. Alger, Office des publications universitaires. (1983).
187. Ramzi Rouighi. The Berbères of the Arabs. Studia Islamica, nouvelle édition/new séries, 1, (2011).
188. René Basset, « Notice sur les dialectes berbères des harakta et du djérid tunisien », Deuxième congrès international des orientalistes, londres, (1891).
189. // , botr et bernes. Hypothèses sur l'histoire des berbères ». Annales. (1981).
190. Salah Alouani. « Diffusion du tasawwuf chez les tribus nomades de l'intérieur de léifriqiya entre le vie/XIIe et le ixe/XVe siècle et naissance de tribus maraboutiques ». Al Andalus- Magrib, 15 (2008).
191. // , De Thelepte à Theveste, la voie romaine et le peuplement. (AOURAS) Société d'études et de recherches sur l'Aurès antique, N° 6 (2010).
192. Serge Lancel, « Baghaï. Une cité à redécouvrir dans le piémont nord de l'Aurès », *L'Aurès antique. Actes des journées d'études sur l'Aurès antique. juin* 2005, centre universitaire Abbès Laghrour Khenchla, (2009).
193. Shaun O'sullivan. « coptic conversion and the islamization of égypt ». *Mamlūk* Studies Review . The Middle East Documentation Center. The University of Chicago. (2006).
194. Sophia björnesjö, « l'arabisation de l'Egypte : le témoignage papyrologique », Egypte. Monde arabe, 27-28. (1996).

195. Tadeusz Lewicki. « Les ibadites en Tunisie au moyen-âge ». la répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du nord au moyen-âge. rocznik oriontalist , XXX, (1957).

196. Virginie Prévost, « Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord », *Revue de l'hist*oire des religions. ,224/4. (2007).

197. // , « une tentative d'histoire de la ville ibadite de sadrāta », mélanges de la casa de velázquez. 38-2, (2008),

198. // , « Ibadisme et sufisme dans le Maghreb central. Histoire générale de l'Algérie ». *L'Algérie médiévale*. Sous la direction de Houari Touati. Oran, zaytun (2012).

199. // , « La formation des réseaux ibadites nord-africains (VIII-XII siècle) » Espaces et réseaux en Méditerranée 5e -15e siècle volume2 la formation des réseaux. Bouchane. Paris. (2010).

200. // , « La renaissance des ibadites wahbites a Djerba au X siècle ». Folia orientalia, 40, (2004),

201. // , « La Révolte de Bāġāya (358/969). Le dernier soulèvement des ibāḍites maghrébins ». Journal of near eastern studies, 65, 3 (2006),

202. W. Ragot. « Le Sahara de la province de Constantine ». Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, dixième volume, (1866),

203. Xavier Dupuis. « L'épigraphie de la Numidie depuis 1892 ». Antiquités africaines, 30, (1994).

204. Yassir Benhima, « Quelques remarques sur le nomadisme préhilalien au Maghreb (VIIIe-XIe siècle) », Mélanges de la Casa de Velázquez, 39-2 .(2009),

205. Yassir Benhima, Pierre guichard, « De la tribu à la ville : un essai d'approche régressive», de l'histoire du peuplement de la région de Tébessa». Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126,

206. Yazina Helal. dans le massif des beni-imloul- Aurès- Algérie. Université de la foresterie, Sofia. Étude e biomasse du Romarin (Rosmarinus Officinalis l.) Forest science, 3, (2010).

207. Yves Modéran., « Mythe et histoire aux derniers temps de l'Afrique antique : à propos d'un texte d'ibn Khaldûn », Revue historique. 2. 618. (2001).

المذكرات والأطروحات: **Mémoires et Thèses**

208. Abla Rihani. « Étude Hydrogéologique du Bassin de Bouzina Sous Bassin Versent de L'oued Abdi Massif des Aurès ». *Mémoire en vue de l'obtention du* diplôme de magister spécialité : géologie du génie civil et des milieux aquifères. Université : el Hadj Lakhdar -Batna. (2008).

209. Haoues Cherif. Évaluation par analyse multicritères du risque d'érosion dans la vallée de l'oued Labiod (approche systémique). Université colonel el Hadj Lakhdar de Batna. (2007-2008).

210. Jean-Louis Ballais. « Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie) » thèse de doctorat, Université Paris1, (1981).

211. Souad Bouhadjar. Approche Sociolinguistique Des Noms Des Lieux en Algérie cas de La Toponymie de Boussemghoun. Thèse de doctorat spécialité : dialectologie. Université Abou Bekr Belkaid Tlemcen. (2015-2016).

Dictionnaires et encyclopédies :المعاجم والقواميس

212. Bouillet Marie-Nicolas, *Dictionnaire universel d'histoire et géographie*, Paris, (1878),

213. Dictionnaire Hachette encyclopédique. Atlas mondial. (1994).

214. Encyclopédie berbère. Conseil international de la Philosophie et des Sciences humaines (UNESCO). Aix-en-Provence, France, (1989).

215. Golvin A. Encyclopédie berbère. Conseil international de la philosophie et des sciences humaines (Unesco). Aix-en-Provence, France, (1989).

216. Jean-Louis Ballais. et E.B. « Aurès ». Encyclopédie berbère, Edi sud V. 7, « 1989 » (2016).

217. Marceau Gast, « huwwâra, houuara, houara, hawwâra », encyclopédie berbère, 23. hiempsal – icosium, aix-en-provence, edisud, (2000),

218. Salem Chaker. amaziγ, "(le/un) berbère". Encyclopédie berbère iv, (1987).

فهرس المواد

مقدمة

أولا: حدود المجال الأوراسي وجغرافيته الطبيعية: محاولة في تفسير طبونيم الأوراس 37

1- حدود المجال الأوراسي وجغرافيته الطبيعية 37

2- التضاريس والمناخ. 40

3- الحدود: مفردات مختلفة لمدلول واحد. 48

ثانيا: شرق الأوراس. 57

ثالثا: غرب الأوراس: أثر الجبل في رسم الحدود النوميدية. 63

رابعا: جنوب الأوراس. الانتجاع والسيطرة على الماء 67

خامسا: شمال أوراس 73

1- مجانة 76

2- مسكيانة 76

3- باغاية. (Baghaï) 77

4- قساس 77

خلاصة 78

ثانيا: الشبكة الهيدروغرافية:

أولا: المصادر التاريخية والمياه بالأوراس. 80

1- كتب الجغرافيا والرحلات وأنهار الأوراس. 85

2- الآثار وحيوية المجال الهيدروغرافي بالأوراس. 86

3- آثار لماصبا. نظام سقي محلي قديم بسهل بلزمة. 89

4- نظم استغلال وتوزيع المياه بالأوراس: البربر والماء. 95

5- الحواضر والأنهار 97

6- مياه الشرب بالحواضر والمدن. 98

7- اركيولوجيا والمياه 99

ثانيا: الأنهار بالأوراس

1- الأنهار بشرق الأوراس. 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- أنهار جنوب الأوراس تغذي الواحات. 103
- وادي العرب 105
- وادي ملاق 106
- وادي الأبيض 106
- وادي عبدي 108
- وادي القنطرة ورافده 112

الفصل الثاني: تاريخ جغرافية الأوراس

أولا:

1- حدود التوطين وامتلاك المجال 117
2-مجال الأوراس والسير نحو الاستقلال عن قرطاجة. 127
3-جغرافية الفتح الإسلامي بالأوراس. 129
4-الكاهنة توقف توسع جيوش الفتح 136
5-جنوب الأوراس. نهايات قادة الفتح والمقاومة 138
6-انتهاء المقاومة والتحكم في المجال 141

ثانيا: الاستقرار وتشكل المجال.

1-شمال شرق الأوراس معبرا ومستقرا للفاتحين. 144

2- باغاية (Baghaï) 145
3- مجال بلزمة Belezma 146
4- مجانة واستكمال السيطرة على المجالات الغربية لإفريقية. 147
5-غرب الأوراس وضياع النفوذ الأغلبي على محور (باغاي -بلزمة -طبنة). 149
6-شرق الأوراس
أ- بذور التشيع وفشل سياسة احتواء الفاطميين للجبل. 154
ب- كيف يمكن أن نسجل التحولات التي طرأت على المنطقة من خلال مدينة باغاي 155
ج- محور التغلغل الإسماعيلي. 156
- تيفاش (Tipasa) 159
د- فشل الفاطميين في السيطرة وإحتواء الأوراس. 161

ثالثا: صراع السهول والجبل وأزمات القرن الخامس الهجري: 168

1- الحماديون يتحكمون في الأوراس 169
2- الأوراس مجال لصدام الموحدين ببني غانية الميورقيين. 175
رابعا: أوراس القرن الثامن الهجري، ابن الحاج النميري شاهد عيان.
1- مجال مضطرب 181
2 - القصور. عمارة قبائل الرحل. 184
3 - الهدم من أجل السيطرة 188
خامسا: مجال هوارة: جماعات الحنانشة وإعادة ترتيب المجال. 192
خلاصة. 194
الفصل الثالث. المسالك وتشعبات الهوية الطوبونيمية بالأوراس.
أولا: المسالك 198
1- تقديم تاريخي لمسالك الأوراس 198
2- مسالك الفتوح الإسلامية وتأسيس الدول: الأوراس معبرا نحو الغرب. 208
3- مسالك المذاهب والدعاة. 214
4- مجال السيطرة الفاطمية وثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد. 219
ثانيا: طرق القوافل وتحرك القبائل: 220
ثالثا: مسالك الأوراس بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي: 223
1- مسالك جنوب الأوراس: 224
2- مسالك شمال الأوراس: 225
رابعا: أخطار مسالك الأوراس القرن الثامن الهجري /14 م. 228
ثانيا: طوبونيميا الأوراس الوسيط
1- كلمة حول الطوبونيميا 233
2- أصول الطوبونيميا بالأوراس العصر الوسيط 234
3- سياقات تشكل الطوبونيميا بالأوراس. 235
4- الأوراس. قراءة في الطوبونيم 241
ثانيا: طوبونيميا اللغة والأسماء القديمة. 244
1- المشترك اللغوي غداة الفتح. 246
2- البربرية في العصر الوسيط. 248
3- البربرية عند ابن خلدون (ق8هـ/ 14م). 250

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: العامل الديني والطوبونيميا. 251
رابعا: الإثينونيميا وأصول السكان المحليين Ethnonymie 253
ثلاث مجموعات ومجال واحد.
1- مدلولات النوميد والمور 261
2- النوميد 262
3- المجموعة الثالثة الجيتول 262
4- جماعات (إيزناتن) زناتة 262
5- ايزناكن أو جمالو الصحراء. 264
6- جماعات إيفرن Ifri 264
7- اوكتامي Ucutamani كتامة 267
8- طوبونيمية لواتة والأغواس 268
خامسا: طوبونوميات الحواضر بالأوراس 270
1- طبونيميات مدغاسن: 271
2- زانة استمرارية الإسم
أ- حصن زانة (Diana Viteranorum) 272
ب- الاستمرارية في الإسم بزانة ودورها المحلي 273
3- سريانة (Lamiggiga) 273
4- طبونيم لامبيسيس المحلي 273
5- لماصبا الطبونيم النوميدي 273
6- تهودة 274
7- بادس 274
8- تيجيس (Thigisis) المستعمرة الفينيقية على مشارف الأوراس 274
9- نقرين القبيلة والمدينة 275
10- نقاوس Nicevus 275
11- قاساس (qasae) 275
12- باغاية ثابغا الليبية باغاية الرومانية 276
سادسا: 1-طبونيميا البيئة. Oronyme. 277
2- التضاريس واللغة 278
الفصل الرابع. جغرافية التوطين بالأوراس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الجماعات السابقة للفتح الإسلامي بالأوراس.
1- المصادر 284
2-كتب الأنساب والطبقات وجغرافية التوطين. 285
3- ابن خلدون 286
4- النصوص الجغرافية 289
5- الدراسات الحديثة 290
ثانيا: القبائل المورية بالأوراس.
1- مجالات الموسولامي وهجرات قبيلة هوارة. 298
أ- تحديد جون بيار لابورت (Jean-Pierre Laporte) 299
ب- تحديد أحمد مشارك لمجال هوارة 302
ج- تحديد علواني . مجال تلابت – تبسة وأصول هوارة 304
ثالثا: طبيعة استيطان الفاتحين المسلمين بالأوراس 306
1- تراجع جراوة بعد هزيمتها. 308
2- مزاتة 311
3- لواتة: 311
4- ورفجومة الوحدة الإثنية والانقسام المذهبي: 313
5- زناتة. عودة حكم الجماعة. 314
6- ازداجة 316
7- كتامة 316
8- عودة فروع هوارة بالأوراس. 318
9- بني ملول. فرع جملان أو كملان بشرق الأوراس 321
10- الشاوية: الحنانشة وإرث جماعات هوارة. 322
ثانيا. التوطين العربي بالأوراس:
أولا: عرب الفتح 325
1- الحاميات العربية بالأوراس. 326
2- الحاميات العربية بالأوراس العهد الأغلبي. 327
ثانيا: النزوح الهلالي السليمي ق5هـ/ 11م. 329
1- الظرفية التاريخية للحضور الهلالي السليمي بالأوراس 330
2- الهجرات الهلالية في المصادر. 332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- الخلاصة 334
ثالثا: شرق الأوراس وازدهار التحالفات الزيرية الحمادية الهلالية. 336
1- الحضور الهلالي شمال الأوراس. 340
2- قبيلة رياح قوة النفوذ بعد ترحيل الأثبج 342
3- قبيلة الدواودة بالأوراس 345
4- استسلام قبيلة الأثبج وتهجيرهم إلى المغرب الأقصى 347
5- كرفة بشرق الأوراس: 348
رابعا: نتائج التوطين الهلالي بالأوراس 349
الفصل الخامس. الجغرافيا المذهبية بالأوراس:
ثالثا: المذاهب والأسلمة. 354
ثانيا. الجغرافيا المذهبية بالأوراس. 356
أولا: مجال الصراع. 357
ثانيا: قراءة في المصادر. 365
1- المصادر التي تؤرخ للنكارية. 368
2- النصوص الجغرافية وكتب الرحالة. 369
ثالثا: الصفرية بالأوراس 376
1- ورفجومة الصفرية والتحول للإباضية 381
2- اتحاد الصفرية والإباضية والمعركة التي لم تحدث. 154هـ/ 770م. 384
رابعا: الإباضية الوهبية: 386
1- القبائل الإباضية ومسالك الدين الإباضية بالأوراس. 389
2- إمامة الإباضية النكار بالأوراس. البحث عن استرجاع إمامة الظهور. 393
أ- مجال الإباضية النكارية 393
ب- ثورة الإباضية النكارية بالأوراس. 394
ت- أبو يزيد وتحالفاته غير المتجانسة بالأوراس.
1-التمهيد للثورة. 398
2- الثورة.
3-السقوط 400
خامسا: النخب الإباضية الأوراسية.
1-محكم الهوَّاري الأوراسي (208-258هـ / 823-871م). 402

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- هود بن محكم الهواري الأوراسي (ق 3هـ/ 9م). 402
3-أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يعلا بن زلتاف. 403
سادسا: الوهبية وانتهاء إمامة الدفاع بشرق الأوراس 358هـ/ 968م. 403
1- وقعة باغاية 358هـ/ 968م. 405
2- ظروف وأسباب قيام ثورة باغاية. 406
3 - الثورة. 407
4 نتائج وقعة باغاية. 409
1- انتهاء الجماعات الإباضية. 409
سابعا: الشيعة بالأوراس 296هـ/ 909م. 410
1- محاور الاختراق الاسماعيلي للأوراس. 410
2- الأوراس قبل التوسع الفاطمي. 413
الفاطميون يفشلون في السيطرة على الأوراس. 415
ثامنا: المالكية بالأوراس. أصول الوحدة المذهبية. 418
1- الفقيه أبو العباس الباغائي.
2- فتوح بن الغزال الباغائي.
3- عمر التيفاشي بتيفاش سنة 580هـ/ 1184.
فقهاء مدينة نقاوس. 424
1- أبو العباس النقاوسي.
2- أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي النقاوسي القسنطيني (ق 9هـ/15م).
3- أحمد البجاوي النقاوسي.
ثانيا: مدعي الولاية بالأوراس. 426
1- قاسم بن أم هانئ وثورة والده نواحي نقاوس.
2- محمد الملقب الحاج.
3- أحمد بن بوزيد.
تاسعا: التصوف والكرامات بالأوراس. 428
1- أثر أبو مدين. 430
2- المرابطون السنة على أطراف الأوراس. 432
أ- قبيلة رياح وحركة أبي يوسف الدهماني على أطراف الأوراس الشرقي. 432
أبو يوسف الدهماني. 434

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب- أولاد أبي الليل تتبنى دعوة قاسم بن مُرا. تلميذ الدهماني. 434
ج -قبيلة رياح وحركة سعادة السنية. 436
الخاتمة. 442
قائمة المصادر والمراجع. 445

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص.

تشكل الجغرافيا التاريخية أحد أهم المداخل الرئيسة لقراءة التاريخ القديم والوسيط بالاعتماد على الدراسات المجالية وتنويع المصادر من أجل الإلمام بكافة المعطيات التي تحيط بالحدث التاريخي. وهذا لما تشكله العلاقة بين التاريخ وفروع الجغرافيا من علاقة مترابطة ومتكاملة.

فالنصوص الجغرافية تشكل أهم مصادر التاريخ. كما أن دراسة تاريخ المجالات والأقاليم تقتضي الوقوف على تاريخها وماضيها بما يسمح لنا من تشكيل تفسيرا للمؤثرات الطبيعية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى السياسية أيضا، لذلك لا بد من الاهتمام بهذه العوامل الجغرافية المتجانسة التي تتحكم في الثروة والطرق والمسالك والتضاريس ، وكيف تؤثر في صنع الحدث التاريخي أو التأثير فيه بشكل من الأشكال.

لقد اخترنا مجال الأوراس أحد النماذج المجالية للدراسة حيث كان منذ القديم يتميز بخصائص طبيعية أهلته ليلعب أدوارا مختلفة عبر التاريخ، لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو:

هل وحدها الظروف الطبيعية هي السبب في ذلك ؟

والإجابة على مثل السؤال يتطلب منا تفكيك مكونات هذا المجال المختلفة من حيث المدن والحواضر والطرق والمسالك والأنهار والسهول، بل وحتى الجماعات والقبائل ومختلف التحركات البشرية التي شهدها هذا الإقليم من هجرات وأنماط العيش وآليات استغلال الأرض. فالجماعات الجبلية ولا شك تختلف اختلافا كبيرا على جماعات السهول أو تلك التي تتوطن في الأقاليم الواحية والصحراوية. وهي المناطق التي كانت مجاورة للأوراس وبالتالي أثرت فيه وربما تأثرت به في الكثير من الأحيان عبر شبكة المسالك والطرق القديمة التي تربط بين مختلف هذه الأقاليم، وتلك هي الآلية التي تتيحها لنا الجغرافيا التاريخية لدراستها.

لا تتوقف التحولات عند هذا الحد، فنجد الكثير من هذه التغيرات التاريخية تحدث على مستويات أخرى تخص جانب العقائد والمذاهب وانتشار اللغات والأفكار وغيرها. إنها عوامل خفية لا يمكن الألفات إليها مثل تلك التي تخص الحروب والمعارك أو نشوء الدول وأفولها. إنها أحداث تحتاج إلى مدى زماني طويل لتظهر نتائجها ونستطيع تلمس آثارها.

ومن أجل ذلك نرى أن التجربة التاريخية لإقليم الأوراس تمثل نموذجا يمكن لنا بواسطته دراسة التغيرات التي حدثت فيه في العصر الوسيط، وبالاعتماد على الموروث القديم لهذه المنطقة نجد أن أبرز هذه التغيرات هي تلك المرتبطة بنتائج الفتوح الإسلامية التي نقلت المنطقة إلى مرحلة جديدة تحولت فيها الحصون البيزنطية تدريجيا إلى مدن إسلامية بقيت مرتبطة بتأثيرات الجبل، وفي نفس الوقت استمرت الكثير من المدن القديمة كقلاع، أو كحواضر جديدة.

كما لا يمكن تجاوز الواقع الاجتماعي القبلي الذي كثيرا ما نجده يكيف مع جغرافية المنطقة ذات التضاريس المعقدة بالجبال، هذا الواقع أثر ليس فقط في استقرار أو تحركات القبائل، بل حتى في رسم حدود مختلف الكيانات السياسية من خلال ولاءاتها أو ثورتها وتمردها على السلطة المركزية، وساعدها على ذلك استقرارها في المناطق التي توفر لها المنعة الطبيعة، أو وقوعها على أطراف المجال المركزي لمختلف الكيانات السياسية.

وتسمح لنا الدراسة الطوبونيمية بالوقوف على أصول أسماء المواقع والقبائل بحيث تعطينا دلالات تاريخية بالنسبة للمدن والجماعات التي استقرت فيها، وهذا ما يشكل أحد المصادر الهامة لفهم وتفسير التاريخ في شكله الجزئي كخطوة لفهم التاريخ العام.

Abstract

The geographical history is one of the main approaches for the study of ancient and medieval history, based on spatial studies and diversification of references in order to be familiar with all the data surrounding the historical event. This is because the relationship between history and the branches of geography is an interrelated and integrated relationship.

Geographical texts are the most important sources for history. The study of the history of areas and regions required to take into account its history and past, allowing us to form an interpretation of natural, economic, social, and even political influences. So there must be interest in these homogeneous geographical factors that govern the wealth, roads, routes and terrain, and how they affect the making of a historic event or influence it in some form.

We chose the region of Aurès, one of the models of the study. Since ancient times , it was characterized by its natural features which allowed it to play different roles throughout history, but the question to be asked is:

Are only natural conditions the cause?

To answer such question, it is required to analyze the various components of this area in terms of towns and cities, roads, routes, rivers and plains, even groups, tribes and various human movements witnessed in this region such as migrations and lifestyles and mechanisms for the exploitation of the land. Mountain communities undoubtedly differ greatly from those of plains or those who settle in the oasis or desert. It is the area that was adjacent to the Aurès and therefore influenced it or sometimes influenced by it through the pathway networks and the old roads linking the various regions of this area, and that is the mechanism offered by the historical geography to study it.

Transformations do not stop at this point. Many of these historical changes occur at other levels, such as beliefs, doctrines, the spread of languages, ideas, and so on. These are hidden factors that we cannot observe, such as those related to wars, battles, or the emergence and the ruin of states. These are the kind of events that need a long time to see their results and their effects.

For this reason, we consider that the historical experience of the region Aurès represents a model for us, in order to study the changes that have occurred in the midieval era, and by relying on the old heritage of this region, we find the most prominent changes are those related to the Islamic conquests that took the region into a new phase when the Byzantine forts changed

gradually into Islamic cities, still linked to the effects of the mountainous lifestyle, while at the same time, many of the old cities remained as castles, or new towns.

Nor can we neglect the tribal social reality, which often adapts with complex terrain, mountains and geography of the region, this fact not only affects the stability or tribal movements, but even the drawing of the various political entities in the form of loyalties or revolution and rebelling against the central authority. The factors that facilitate it are their stability in areas where natural fortifications, or its location on the periphery of the central scope of the various political entities.

the toponymic study also allows us to uncover the origin names of the sites and the tribes which provides us with historical clues of the cities and groups that have settled in them, and this constitutes one of the most important sources to understand and interpret the history in its partial form as a step to understand the history in general.

Résumé

L'histoire géographique est l'une des principales approches pour l'étude de l'histoire ancienne et médiévale, basée sur des études spatiales et la diversification des références afin de se familiariser avec toutes les données entourant l'événement historique. C'est parce que la relation entre l'histoire et les branches de la géographie est une relation interdépendante et intégrée.

Les textes géographiques sont les sources les plus importantes de l'histoire. L'étude de l'histoire des régions et des régions nécessaires pour prendre en compte son histoire et son passé, nous permettant de former une interprétation des influences naturelles, économiques, sociales et même politiques. Il faut donc s'intéresser à ces facteurs géographiques homogènes qui régissent la richesse, les pistes, les routes et les reliefs, et comment ils affectent le déroulement d'un événement historique ou l'influencent sous une forme ou une autre.

Nous avons choisi la région de l'Aurès, l'un des modèles pour étudier. Depuis les temps anciens, il était connu pour ses caractéristiques naturelles qui lui permettaient de jouer différents rôles à travers l'histoire, mais la question à se poser est: Est-ce que seules les conditions naturelles sont la cause?

Pour répondre à cette question, il est nécessaire d'analyser les différentes composantes de cette région en termes de villes, pistes, routes, rivières et plaines, même groupes, tribus et divers mouvements humains observés dans cette région tels que les migrations et les modes de vie pour exploiter la terre. Les communautés de montagne diffèrent sans doute beaucoup de celles des plaines ou de ceux qui s'installent dans l'oasis ou le désert. C'est la zone adjacente à l'Aurès et donc influence ou parfois influencée par les réseaux de pistes et les anciennes routes reliant les différents endroits de cette région, et c'est le mécanisme offert par la géographie historique pour l'étudier.

Les transformations ne s'arrêtent pas à ce stade. Beaucoup de ces changements historiques se produisent à d'autres niveaux, tels que les croyances, les doctrines, la diffusion des langues, des idées, etc. Ce sont des facteurs cachés que nous ne pouvons pas observer, tels que ceux liés aux guerres, aux batailles, à l'émergence et à la ruine des États. Ce sont les types d'événements qui ont besoin de beaucoup de temps pour voir leurs résultats et leurs effets.

Pour cette raison, nous considérons que l'expérience historique de la région Aurès représente un modèle pour nous, afin d'étudier les changements qui ont eu lieu à l'époque médiévale, et en s'appuyant sur l'ancien patrimoine de cette région, nous trouvons les plus importantes changements sont ceux liés aux conquêtes islamiques qui ont pris la région dans une nouvelle phase quand les forts byzantins se sont transformés graduellement en villes islamiques, toujours liées aux effets du mode de vie montagneux, tandis que beaucoup de vieilles villes restaient en tant que châteaux ou de nouvelles villes.

Nous ne pouvons pas non plus négliger la réalité sociale tribale, qui s'adapte souvent au terrain complexe, aux montagnes et à la géographie de la région, ce qui affecte non seulement la stabilité ou les mouvements tribaux, mais aussi la création des diverses entités politiques sous forme de loyauté ou de révolution. et se rebeller contre l'autorité centrale. Les facteurs qui facilitent ces évènements sont la stabilité dans les zones où les fortifications naturelles, ou sa localisation à la périphérie de la portée centrale des différentes entités politiques.

l'étude toponymique nous permet également de découvrir les noms d'origine des sites et des tribus qui nous fournissent des indices historiques sur les villes et les groupes qui s'y sont installés, ce qui constitue l'une des sources les plus importantes pour comprendre et interpréter l'histoire en sa forme partielle comme une étape pour comprendre l'histoire en général.

PEOPLE'S DEMOCRATIC AND REPUBLIC OF ALGERIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

UNVERSITY EMIR ABDELKADER OF ISLAMIC SCIENCES CONSTANTINE
N° :……
N° INSCRIPTION:……..

FACULTY OF LITTERATURE AND CIVILISATION
DEPARTEMENTOF HISTORY

The Historical Geogtaphy of the Middle Maghreb

(Aurès example) (2-10 H. century/ 8-16 century)

Study in the space, urbanism and roads

Thesis Submitted of the Requirement for the Doctorat of Sciences Degree in the médiéval History.
(Option : civilisation of the middle Maghreb in the islamic era)

Presentedby:Supervised by:

Tahar Touil — Pr. Allaoua Amara

Board of examiners

Name	Degree	University	Description
			Chairman
Allaoua Amara	Professor	Constantine	Supervisor
			Examiner
			Examiner
			Examiner
			Examiner

Academic Year :1440-1441 h./2019-2020